

تأليف

سليم حسن

الجزء الحادى عشر

تاريخ مصر والسودان

من أول عهد "بيعنخى" حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين

ولمحـة فى تاريخ آشور

الثمن : ٢٥٠ قرشا

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٥٦



تأليف

سليم حسن

الجزء الحادى عشر

تاريخ مصر والسودان

من أول عهد "بيعنخى" حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين

ولمحـــة فى تاريخ آشور

مطبعة جامعة القاهرة

١٩٥٦

تمهيد

وصلنا فى الجزء السابق من هذه الموسوعة إلى أوائل حكم الفرعون « بيعنخى » بن الملك « كشتا » مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين ، وقد تولى « بيعنخى » الحكم بعد والده حوالى عام ٧٥١ ق . م . فى « نباتا » عاصمة ملكه فى بلاد كوش ، غير أنه لم يحضر إلى مصر إلا فى عام ٧٢٠ ق . م . عندما أراد أحد أمراء مصر العظماء المسمى « تفنخت » حاكم بلدة سايس (صا الحجر الحالية) وأعظم ملوك الدلتا أو حكامها أن يجلى الكوشيين عن بلاد مصر جملة ، وقد التف حوله معظم الأمراء الإقطاعيين فى الدلتا ومصر الوسطى ، وأخذ فى الزحف نحو الجنوب حتى وصل إلى بلدة الأشمونين ضاما إليه كل البلاد التى كانت فى طريقه فى أثناء زحفه . ولما رأى بيعنخى الخطر الذى يتهدد ملكه فى مصر سار على رأس جيش عظيم وأخذ فى محاربة « تفنخت » والتغلب عليه وعلى من والاه من الأمراء الإقطاعيين إلى أن استسلموا جميعا ودان له كل وادى النيل من نباتا حتى نهاية الدلتا ، ولكنه لم يعمل على تثبيت أركان حكمه فى مصر بتعيين حكومة مركزية قوية بل ترك الأمر للحكام الإقطاعيين كل فى دائرة نفوذه .

ومن أجل ذلك قاموا باضطرابات كرة أخرى وشقوا عليه عصا الطاعة وعلى رأسهم « بوكوريس » خليفة « تفنخت » فى « سايس » . وكان بيعنخى على ما يظهر قد مات وتولى الحكم مكانه أخوه « شبكا » فحارب « بوكوريس » وانتصر عليه وقتله كما يحدثنا بذلك الكتاب الإغريق . وتدل شواهد الأحوال على أن « شبكا » قد اتخذ « منف » عاصمة لملكه ولم يتبع سياسة سلفه فى اتخاذ « نباتا » مقراً له . وقد أخذت الأحوال تتحسن فى البلاد المصرية بصورة محسة فإن الكوشيين والمصريين

كانوا موحدين من حيث السلالة والدين . ولا غرابة فى ذلك فإن الشعبين كانا يدينان بدين الإله « آمون رع » وينتسبون إلى السلالة الحامية كما فصلنا القول فى ذلك فى الجزء السابق من هذه الموسوعة . والواقع أن ملوك كوش الذين أسسوا لأنفسهم ملكا عظيما فى بلادها قاموا بنهضة قومية شاملة فى مصر وكوش كان لها أثر بعيد فى إحياء وادى النيل ثانية وإعادة مجده القديم ، بعد أن ظل خاملا عدة قرون فى أعقاب سقوط الدولة الحديثة . وقد تناول هذا الإحياء النواحى الدينية والاقتصادية والاجتماعية والفنية جميعا . والواقع أن ملوك « كوش » الذين تتألف منهم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين قاموا جميعا على رأس تلك النهضة التى تعد بحق آخر محاولة فى الأزمان القديمة لاسترداد عزة مصر وكرامتها ، فنجد أن بيعنخى أخذ فى إحياء عبادة آمون بصورة تذكرنا بعصر تحتمس الثالث وأخلافه ، كما أحيا اللغة بصورة ممتازة فأعاد لها ما امتازت به من رصانة وبهجة فى عهد ملوك الدولة الوسطى حينما كانت فى عصرها الذهبى ، وأكبر دليل على ذلك لغة اللوحة التى نقش عليها بيعنخى حروبه مع «تفنخت» وفضلا عن ذلك أبرز لنا فى متن هذه اللوحة ما كان يتصف به من رحمة وتدين هذا إلى مهارته فى فنون الحرب .

أما خلفه « شبكا » فقد كان لا يقل عنه ورعا وميلا إلى النهوض بالبلاد التى كان يعتبر نفسه إبنها البار ، وقد قص علينا هذا الفرعون أنه نقل تمثيلية بدء الخليقة التى ترجع كما يقول إلى عهد «مينا» عن بردية أكلها الدود وقد وصفها «شبكا» بأنها من تأليف الأجداد ويقصد بذلك أجداده المصريين . وهذه التمثيلية المنفية تعد أقدم مسرحية ظهرت فى تاريخ الإنسان حتى يومنا هذا . ولا نزاع فى أنها من اختراع كهنة « منف » الذين أرادوا وقتئذ أن يرفعوا إلههم « بتاح » إلى أعلى درجة بين الآلهة المصريين فقد نسبوا إليه فعلا أنه هو الذى خلق الإله « رع » إله الشمس الذى كان يعد خالق كل شىء . والجزء الفلسفى الذى يحتويه هذا النقش يدل على ما كان للمصريين من مكانة مرموقة فى الفلسفة الراقية . ومنذ عهد هذا الفرعون أصبحت

عبادة الإله « بتاح » تحتل مكانة عالية فى كل من مصر والسودان بجانب عبادة « آمون رع » الذى كان يعد إله الدولة الأكبر .

وفى عهد شبكا نلحظ كذلك أن فن النحت قد أخذ يزدهر بصورة جلية إذ أخذ المفننون ينحتون التماثيل للملوك وعظماء القوم بما يحاكى الطبيعة الخالية من كل زخرف ، وفى أعمار متفاوتة ، فلدينا تماثيل لبعض رجال الدولة تصورهم فى الشباب والكهولة والشيخوخة بما فيها من معايب ومحاسن .

ولم تحدثنا الآثار بأشياء كثيرة عن خلف «شبكا» وهو أخوه «شبتكا» الذى اعتلى الملك حوالى عام ٧٠١ ق . م وكل ما عرف عنه أنه ترك بعض آثار قليلة ، والظاهر أنه فى أيامه قامت اضطرابات فى مصر تغلب على اخمادها . ويدل تمثاله الذى وصل الينا على أن نهضة الفن كانت سائرة فى طريقها ، وقد كانت عاصمة ملكه فى مصر «منف» أيضاً على الرغم من أنه دفن فى « الكورو » كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى الجزء العاشر من هذه الموسوعة .

ولا نزاع فى أن « تهرقا » أو « ترهاقه » كما جاء ذكره فى التوراة الذى خلف « شبتاكا » كان أعظم ملوك هذه الأسرة وأمجدهم أعمالا فعصره ملىء بالأحداث الجسام من كل الوجوه ولن نغالى إذا قلنا عنه أنه كان يضارع ملوك الأسرة الثامنة عشرة من حيث التعمير ونشر الفنون والصناعات ، غير أنه يقصر عنهم من حيث الفتوح والغزو ، فالآثار التى تركها لنا «تهرقا » الذى مكث على عرش الملك أكثر من ست وعشرين سنة (٦٩٠ — ٦٦٤ ق . م) منتشرة فى أرجاء وادى النيل من « نباتا » حتى الدلتا وبخاصة ما أقامه أو أصلحه من عمائر فى مكان قرية الكوة القريبة من دنقلة . وقرية الكوة الحالية تقع على أنقاض بلدة «جماتون» التى أقيمت على ما يقال فى عهد الفرعون « أمنحوتب الثالث » . وهناك يقع معبده العظيم الذى أقامه للإله آمون رع . وما بقى لنا من آثار فى هذا المعبد وبخاصة اللوحات العدة

التى دون فيها تاريخ بناء المعبد تحدثنا بجلاء عما كان لوادى النيل فى تلك الفترة من مجد أثيل فى كل نواحى العمران وبخاصة فى الفن والعمارة والثروة الهائلة ، هذا بالإضافة إلى ما كان لمنف وغيرها من المدن المصرية من فضل فى بث النهضة الجديدة وابتكار أشياء لم تكن معروفة من قبل .

ولم تقتصر عمائر « تهرقا » على « الكوة » بل نجدها فى نباتا نفسها عاصمة بلاد « كوش » وبخاصة معبد صنم الذى كان صنواً لمعبد « الكوة » . أما فى القطر المصرى نفسه فنجد له آثاراً فى كل أرجائه وبخاصة فى الكرنك الذى شيد فيه قاعات عمد عدة . والواقع أن آثار هذا الفرعون تكاد توجد فى معظم بقاع مصر والسودان .

وقد كان لهذا الفرعون نشاط عظيم فى السياسة الخارجية التى كانت تشغل ملوك هذه الأسرة منذ توليهم عرش البلاد فقد كان شغل ملوك « كوش » الشاغل زحف مملكة آشور على بلاد سوريا وفينقيا وفلسطين بصورة مخيفة منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد وكان ملوك «كوش» يعتبرون هذه الأصقاع حاجزاً بينهم وبين الآشوريين وأن هؤلاء إذا وطدوا أركانهم فيها أصبحوا خطراً يهدد مصر ، هذا فضلا عن أن ملوك مصر منذ أقدم العهود كانوا أصحاب السيادة على هذه الدويلات وأنهم كانوا أحق الناس بتملكها . من أجل ذلك أخذ ملوك مصر منذ بداية الزحف الآشورى يحرضون أهل هذه الأصقاع على الحكم الآشورى ويساعدونهم بالمال والرجال تارة خفية وتارة علانية ، وقد فطن ملوك آشور إلى ذلك منذ البداية إلى أن اشتد النزاع بصورة كبيرة فى عهد الملك « اسرحدون » الذى صمم على غزو البلاد المصرية نفسها وكان ذلك فى عهد الملك « تهرقا » . على أن هجوم الآشوريين على مصر كان منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد على يد الملك « سرجون الثانى » واستمرت المناوشات بين الفريقين ولكن « آشور » لم تقم بهجمتها القاضية إلا فى عهد « اسرحدون » فلقد قام على رأس جيش عظيم إلى مصر وقد لاقى جيشه أهوالا عظيمة فى طريقه ، ولكنه فى النهاية أفلح فى الاستيلاء على « منف » عاصمة الملك وغيرها من البلاد

فى الدلتا وقد هرب أمامه الملك «تهرقا» ملك مصر والسودان إلى «طيبة». ولكن على أثر عودة «اسرحدون» إلى بلاده وموته فى الطريق استرد «تهرقا» بلاد الدلتا ثانية، غير أن ذلك لم يدم طويلا لأن الملك «آشور بنيبال» الذى خلف والده «اسرحدون» جهز حملة ثانية وسار بها على مصر واستولى على كل البلاد مرة أخرى بعد حروب عنيفة اضطرت «تهرقا» إلى الهرب إلى «نباتا» ولم يعد بعدها إلى مصر ثانية.

ولما استتب الأمن فى البلاد المصرية عاد «آشور بنيبال» إلى عاصمة ملكه. وعلى أثر ذلك قام خليفة «تهرقا» وهو أخوه «تانوتأمون» بغزو مصر كرة أخرى وقد نجح فعلا، ولكن ذلك لم يدم طويلا إذ عاد «آشور بنيبال» بجيش عظيم وقهر «تانوتأمون» وأتباعه فاضطر إلى الفرار صوب «نباتا»، ولم نسمع عنه بعد ذلك شيئا، أما «آشور بنيبال» فقد خرب طيبة تخريبا مريعا للمرة الثانية، وقد حدثنا كتاب التوراة عن ذلك.

والغريب المدهش فى كل الحروب التى قامت بين آشور ومصر فى تلك الفترة الطويلة التى استمرت حوالى نصف قرن أننا لم نجد نقشا واحداً أو بردية أو أى متن مصرى يشير إلى هذه الحروب من الجانب المصرى الكوشى، والواقع أن كل ما وصل إلينا كان من المصادر الآشورية التى خلفها ملوك آشور فى كتاباتهم المسمارية. ومن المؤكد أن السبب فى ذلك يرجع إلى أن ملوك مصر وكوش كانوا يعدون أنفسهم آلهة لا يهزمون ولما كانت الحروب التى قامت بينهم وبين آشور هى سلسلة هزائم دارت على المصريين فإن هؤلاء الملوك (كما هى العادة منذ أقدم العهود) لم يذكروا عنها شيئاً فى نقوشهم وإلا فكيف تتفق الهزيمة مع ما للآله من قوة وجبروت وسيطرة على الأكوان؟ ومن أجل ذلك تعوزنا بصورة جلية المصادر المصرية الكوشية إذ أن ما وصل إلينا من هذه الحروب كان من الجانب الآشورى وحده، ولا ندرى إلى أى حد لعبت فى تلك المصادر المبالغات والخيال وزهو الملوك» فلقد

بلغت أوصاف انتصاراتهم مبلغاً هائلا . كما كانت عادتهم فى كل ما وصل الينا عنهم .

وقد حتمت علينا قلة المصادر المصرية والرغبة فى استكمال الفائدة من ناحية التاريخ المقارن لفهم الموقف الدولى فى تلك الفترة أن تورد لمحة عن تاريخ « آشور » منذ نشأتها حتى نهاية عهد الملك آشور بنيبال الذى بموته قضى على دولة آشور فى نهاية القرن السابع تقريباً .

وقد أوردنا بعض التفاصيل عن الحروب التى قامت بين « آشور » وما جاورها من البلدان وبخاصة البلاد المتاخمة لأملاكها ، وأفضنا القول فى الحروب التى قامت بين « آشور » والولايات الصغيرة التى على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وهى سوريا وفينيقيا وفلسطين وما تحوى كل منها من دويلات صغيرة .

وكذلك أوردنا نصوص المتون الخاصة بالحروب التى قامت بين مصر و « آشور » والتى قامت بين « آشور » وبلاد العرب تلك البلاد التى كانت مجهولة للعالم تقريباً حتى تلك الفترة وذلك إتماماً للفائدة وفهم الموقف الدولى .

وسيلمس القارئ فيما أوردناه من متون « آشورية » ما جبلت عليه نفوس ملوك « آشور » من غلظة وفظاعة وقسوة منقطعة النظير فى التاريخ البشرى ، وأخيراً أوردنا الأسباب التى يحتمل أنها أدت لسقوط دولة « آشور » بغتة وبدون علل ملموسة مما أدهش علماء التاريخ حتى الآن .

والظاهر أن « تهرقا » كان أكبر بطل وقف فى وجه « الآشوريين » إذ قد دلت الآثار التى كشف عنها حديثاً فى « نينونة » (الموصل) وهى بقايا تماثيل عليها من نقوش على أنه كان محاربا مغواراً وأنه كان ذا مكانة عظيمة بين دويلات الشرق الأوسط التى حاربت « اسرحدون » ومن بعده « آشور » بنيبال لنيل استقلالها .
وقد فحصنا نقوش هذه التماثيل ووصلنا فى بحثنا إلى أنها على ما يظهر كانت مهداة

من « تهرقا » إلى معبد بلدة تدعى « دجل » وهذه البلدة يحتمل جداً أنها قريبة من بلدة « حماه » كما جاء فى برديه مصرية من عهد الملك رعمسيس الثانى . والظاهر أن الملك « اسرحدون » عندما استولى على هذه البلدة نقل هذه التماثيل المهداة من « تهرقا » إلى عاصمة ملكه ، والنقوش التى على التماثيل تشير إلى ذلك ، هذا فضلا عن ان « اسرحدون » نفسه قد أشار فى النقوش التى خلفها لنا إلى أنه استولى على تماثيل لملوك مصر . تلك إشارة عابرة عن هذا الكشف الحديث فى بلدة «نينوة» القديمة وسنفصل القول فيه فى مقال خاص .

أما النضال الذى كان بين « آشور » ومصر فلم ينته عند استيلاء « آشور بنيبال » على البلاد المصرية جملة بل ظلت مصر تناضل ضد « آشور » لنيل استقلالها . وقد جاء ذلك فى نهاية الأمر على يد بطل عظيم من أبطالها من سلالة « تفنخت » على ما يظهر وهو الملك « بسمتيك الأول » مؤسس الأسرة السادسة والعشرين وهى الأسرة التى سارت بالبلاد شوطاً بعيداً فى مدارج الحضارة وذلك بقيام نهضة عظيمة (وهى استمرار للنهضة الكوشية) تركت آثاراً لا تزال باقية حتى الآن فى مصرنا العزيزة وسيكون حديثنا عنها فى الجزء الثانى عشر من هذه الموسوعة إن شاء الله .

* * *

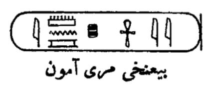
وإنى أتقدم هنا بعظيم شكرى لصديقى الأستاذ محمد النجار المفتش بوزارة التربية والتعليم لما قام به من مراجعة أصول هذا الكتاب وقراءة تجاربه بعناية بالغة . كما أتقدم بوافر الشكر إلى السيد محمد زكى خليل مدير مطبعة جامعة القاهرة ومعاونيه لما بذلوه من جهد مشكور وعناية ملحوظة فى إخراج هذا الكتاب .

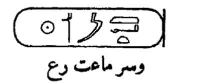
وكذلك أقدم عظيم شكرى للأستاذ أحمد عزت بجامعة عين شمس لما بذله من مجهود عظيم فى قراءة التجارب وعمل فهرس الأعلام والمصادر الافرنجية بكل دقة وعناية .

الملك « بيعنخي »

(صورة رقم ٢)

(٧٥١ ق . م – ٧١٦ ق . م)


بيعنخي مرى آمون


وسر ماعت رع

تدل الظواهر على أن « بيعنخي » قد تولى عرش ملك مصر وكوش بعد والده الملك « كشتا » مباشرة أى حوالى عام ٧٥١ ق . م ، ولكننا لا نعلم شيئاً مطلقاً عن أعماله فى مصر وكوش قبل قيامه بفتح الوجه البحرى ومصر الوسطى فى السنة الواحدة والعشرين من حكمه ، وهذا التاريخ يعد حتى الآن أعلى تاريخ عرف لهذا العاهل ، وتنحصر معلوماتنا عن هذا الفرعون فى وثيقتين : إحداهما أثرية وهى قبره الذى كشف عنه فى جبانة « الكورو » ، والأخرى لوحته الفاخرة التى دوّن عليها انتصاراته على ملوك مصر السفلى والوسطى وهى التى عثر عليها فى جبل « برقل » ؛ ومن ثم أصبحت كل معلوماتنا عن تاريخ هذا الفاتح العظيم من وجهة واحدة وهى الوجهة الكوشية ، أما الوجهة المصرية فلم تصل إلينا عنها كلمة واحدة ، وعلى ذلك سنظل نحكم على تاريخ « بيعنخي » وفتوحه فى مصر من وجهته هو التى رواها لنا . والواقع أنه لم يختلف كثيراً عن فراعنة مصر فى سرد أعمالهم التى يغمرها الزهو والفخار والانتصارات التى لا تتخللها هزيمة قط كما سنرى بعد ، ولكنه من جهة أخرى قد أظهر فى نقوشه ما يدل على تدينه ورحمته . هذا وقد أكدت كل من « بنسون » و « كورلاى »[1] أن « بيعنخي » قد حكم مصر بعد هذا التاريخ أى بعد عام ٧٥١ ق . م .

---

(١) راجع The Temple of Mut in Asher p. 259

أكثر من عشرين عاما بعد فتحها وتهدئة الأحوال فيها ، وذلك لأنه ذكر فى نقش مؤرخ بالسنة السادسة والعشرين من حكمه . والواقع أنه لم يعثر المؤرخون حتى الآن على هذا النقش ، لكن من المحتمل أنه بعد عودته من مصر إلى « نباتا » عاصمة ملكه فى كوش قد عاش عدة سنين ، غير أنه ليس لدينا أية وثيقة تحدثنا عن عدد سنى حكمه[1] .

وقبل أن نتناول بالشرح والتعليق لوحة « بيعنخى » الفاخرة يجدر بنا أن نقرر هنا ثانية بوجه عام أنه لا يوجد ملك آخر يدعى « بيعنخى » كما ادعى بذلك كل من « جوتييه[2] » و « بترى[3] » . وقد تحدثنا عن الأسباب التى تدعو لوجود « بيعنخى » واحد فيما سبق .

لوحة جبل « برقل » : ذكرنا فيما سبق أننا لا نعلم شيئاً عن كيفية غزو الملك « كشتا » لبلاد مصر العليا إذا كان هو الذى فتحها ، كما لا نعلم أية حروب قام بها ، ولكن من جهة أخرى قد ترك لنا خلفه «بيعنخى» ابنه العظيم لوحة عثر عليها فى معبد جبل « برقل » . وقد حفر متن هذه اللوحة التى تصف لنا غزوه لمصر السفلى والوسطى بالخط الهيروغليفى ، وقد غطيت اللوحة بالنقوش من جوانبها الأربعة وهى من الجرانيت الرمادى ، وجزؤها الأعلى مستدير ، ويبلغ ارتفاعها ثمانين ومائة سنتيمتر ، وعرضها أربعة وثمانين ومائة سنتيمتر ، وسمكها ثلاثة وأربعين سنتيمتر . وتزن اللوحة طنين وربع الطن ، وقد كشف عن هذه اللوحة مع أربع لوحات أخرى بطريق الصدفة المحضة عام ١٨٦٢ م على يد ضابط مصرى كان يعمل فى الجيش المصرى بالسودان المصرى فى عهد «سعيد باشا» الذى يعد المؤسس لمتحف «بولاق» الخاص بالآثار المصرية ، ولكن مما يؤسف له جدّ الأسف أن اسم الضابط الذى

---

(١) راجع L.R., IV, p. 2.

(٢) راجع L.R. IV, p. 2 note 1

(٣) راجع Petrie, History of Egypt Vol. III, p. 267-8

كشف من هذا الكنز التاريخى لم نعرفه بعد . وتاريخ العثور على هذه اللوحات على حسب ما جاء فى مذكرات الأثرى « مريت » نقلا عن « مسبرو » طريف فى بابه ، ويتلخص فى أن هذا الضابط المصرى كان على ما يظن منحدراً فى النيل بسفينته ، وفى خلال ذلك وجد نفسه مضطراً إلى تمضية بضعة أيام فى إحدى القرى الواقعة بالقرب من جبل « برقل » وهو جبل شامخ الذرا جميل المنظر يبلغ ارتفاعه حوالى ٣٠١ من الأقدام ، ويقع على الشاطئ الشرقى للنيل على مسافة بضعة أميال من «كاسنجار» الواقعة بدورها فى سفح صخور الشلال الرابع . ويقابل هذا الجبل على الشاطئ الغربى للنيل بلدة « نبت » النوبية الشهيرة وهى « نباتا » التى جاء ذكرها فى المتون المصرية القديمة. وعند ما كانت قوة الحدود المصرية الانجليزية تقيم مساكن لها بالقرب من « صنم أبو دوم » عام سنة ١٨٩٧ عثر فى أثناء حفر الأسس على خرائب معابد ومبان أخرى على عمق ست أقدام تحت الرمال ، ويقع عند سفح الجبل من النهاية الشرقية سهل شاسع أقام عليه عدة ملوك ، يحتمل أن أولهم هو «بيعنخى» ، معابد بالحجر كما أقاموا على ربوة بالقرب من ذلك عدة أهرام برهنت أعمال الحفر على أنها للملوك . وهذه المعابد قد خربت منذ أزمان بعيدة تخريباً تاماً كما دلت على ذلك أعمال الحفر التى قام بها « ريزنر » فى هذه الجهة ، ويظهر أن المعابد التى كانت قد أقيمت قريباً من سفح الجبل قد خربت جزئياً أو كلياً على حسب الأحوال بقطع الصخر الضخمة التى انفصلت من الجبل وسقطت على سقف المعابد ، أما التى بنيت فى السهل نفسه فكانت مبنية بناء واهناً حتى أن بعضها أصبح خراباً بعد إقامته بزمن يسير . ويقول الأثرى « بدج » أنه عندما كان يحفر فى هذه الجهة فى شتاء عام ١٨٩٧ — ١٨٩٨ م . كان الموقع يشبه حظيرة أحجار نصفها مدفون فى الرمل ونصفها الآخر بارز للعيان[1] . وقد كان ظاهراً منها أجزاء من أعمدة وأحجار من رقعة المعبد وكرانيش . وكان بعضها منقوشاً . وهذه الأحجار كانت مبعثرة

(١) راجع Budge, Annals of Nubian Kings, P. XII.

بعضها فوق بعض يستعملها الأهالى بطبيعة الحال فى مبانيهم ، فنجد أنه فى أعلى النهر وفى أسفله من هذه البقعة لمسافة كانت صواديد السواقى مقامة من هذه الأحجار ، هذا إلى عدد كبير من أحجار الطواحين التى قطعت كذلك من أحجار هذه المعابد ، يضاف إلى ذلك أحجار المقابر الاسلامية فى هذه الجهة فإنها كانت تسلب من خرائب هذه الآثار . على أن هذا التخريب الشامل للآثار لم يقف عند هذا الحد حتى فى عهد الاحتلال الانجليزى للسودان المصرى عام ١٨٩٨ م . كما كان المنتظر من الحكام المفروض فيهم أن يحافظوا على حرمة الآثار ويقدروها ، فقد ذكر الأثرى « بدج » أن الآثار التى شاهدها فى بلدة « دلقو » وغيرها فى هذه السنة كانت قد اختفت كلية عام ١٩٠٥ . وفى عامى ١٩٠٣ و ١٩٠٤ نعلم أن عدداً من البيوت قد أقيمت بأحجار انتزعت من جدران معبد «صلب» الذى أقامه «امنحتب الثالث» وأن العمد التى كانت لا تزال قائمة فى بلدة « العمارة » التى رآها « بدج » عام ١٩٠٥ قد اختفت بعد ذلك .

نعود بعد هذه اللمحة عن الآثار وتخريبها فى تلك الفترة إلى الضابط المصرى الذى كان قد اضطر إلى المكث بضعة أيام لسبب ما عند جبل « برقل » ، فيحدثنا « مسبرو » أن هذا الضابط كان قد ذهب لزيارة بعض الآثار ، وأنه فى بعض جزء من المعبد (ولا بد أنه يقصد معبد الملك « تهرقا ») لم يحدده بدقة رأى عدة لوحات ذات نهاية مستديرة وعليها طغراءات . وليس فى مقدورنا الإدلاء بالسبب الذى من أجله أخطأ الزائرون الذين سبقوا هذا الضابط رؤية هذه اللوحات ، إذ لم نجد لها ذكر فيما كتبه « كايو » (Caillaud) و « هسكنز » (Hoskins) كما لم يذكرها «لبسيوس» الذى لاشك فى أنه فحص عن هذا الموقع بدقة . فقد كتب عن جبل «برقل» فى مايو عام ١٨٤٤ م آخر سائح يعدد لنا بعض الأشياء التى حملها معه من هناك وهى الكبش الثمين الذى يزن حوالى ١٥٠ رطلا ومائدة قربان ارتفاعها أربع أقدام وتمثال « أزيس » الذى نقش باللغة المروية وقاعدة تمثال صغير الخ[١] . وإذا كان قد رأى

(١) راجع Lepsius, Letters from Egypt, Ethiopia and Sinai, p. 223

اللوحات فإنه كان لا يتأخر عن أخذها ولكن من الجائز أنه بين عامى ١٨٤٤ و١٨٦٢م كان الأهالى قد حملوا بعض الأحجار اللازمة لمبانيهم ، وهذه كانت تخفى تحتها اللوحات المذكورة ولذلك لم يرها كل من « كايو » و « هسكنز » و « لبسيوس » . ومن ثم نفهم أنه عندما زار الضابط هذا المعبد وجد اللوحات مكشوفة أمامه . ولكن يحتمل من جهة أخرى أن هذا الضابط كان شغوفاً جداً بتاريخ بلاده القديم كما يحدثنا بذلك « مسبرو » ، ولذلك كان لديه معرفة كافية لفهم أهمية هذه الوثائق ، على الرغم من أنه لم يكن فى استطاعته قراءتها . ولا يبعد إذن أنه انتهز فرصة وجوده فى هذا المعبد وقام بعمل حفائر على نطاق ضيق على حسابه فى المعبد ، وكانت نتيجتها العثور على اللوحات الخمس التى نحن بصددها الآن . والظاهر أن « مريت باشا » أخذ تصريحا من « سعيد باشا » والى مصر وقتئذ بعمل حفائر فى عام ١٨٦١ م . فى السودان غير أن بعد المواقع الأثرية فى هذه الجهة وقلة طرق المواصلات المؤدية إليها عاقاه عن القيام بحفائر هناك .

ولا يخفى أن الأخبار الخاصة بالشروع فى عمل الحفائر كانت لا تزال وقتئذ تثير أعظم اهتمام عند الأهالى ، وذلك لأن السواد الأعظم من الناس إن لم يكن كلهم كانوا مقتنعين أن الحفار لا بد قد حصل على كتاب أو وثيقة تدله على كنز دفين سيقوم بالكشف عنه والحصول على ثروة طائلة منه .

وقد ظن الضابط عند كشفه عن هذه اللوحات أن الطغراءات التى عليها تدل على أنها نقوش ملكية — وقد كان عند ظنه — وعلى ذلك كانت من الأهمية بمكان ، ومن ثم شرع فى نقل نقوش أطول هذه اللوحات ، وبعد الفراغ من ذلك أرسل نسخته إلى « مريت » فى القاهرة . ولسنا فى حاجة إلى القول بأن هذه النسخة كانت تحتوى على أخطاء عدة ، وذلك لأن حفر كثير من الحروف الهيروغليفية على اللوحة نفسها لم يكن من الطراز الأول من الحفر . ولكن مع ذلك كان معظم ما جاء فى نسخة الضابط مفهوما لدى « مريت » فتأكد فى الحال أن الكشف

الذى قام به هذا الضابط من الدرجة الأولى فى الأهمية من الوجهة التاريخية . وقد كان هذا ظاهراً من الخطوات التى اتخذها « مريت » للحصول على هذه اللوحات للحكومة المصرية . وقد اتخذ الإجراءات لإصدار الأوامر إلى « دنقلة » للاستيلاء عليها باسم الحكومة المصرية وإرسالها إلى القاهرة فى أقرب فرصة ممكنة ، وكذلك صدرت الأوامر للضابط بتعيين حراس لمنع أى فرد غير مرخص له بالاقتراب من خرائب جبل « برقل » كما كلف بأن يراقب مراقبة خاصة تجار الآثار الذين سمعوا بطريقة ما ما أصدرته الحكومة المصرية من أوامر بخصوص هذا الكشف ، وقد أخذوا يتوافدون إلى هذه البقعة ليتصلوا بالأهالى ويحرضوهم على سرقة ما يمكن سرقته من الآثار بشتى الطرق . وقد أخذ حاكم « دنقله » طوعا لأوامر الضابط فى جر اللوحات من المعبد حتى شاطئ النهر حيث حملت فى الوقت المناسب على سفن شحن خاصة يمكن أن تخترق الشلالات ، وفى صيف عام ١٨٦٢ أقلعت السفينة من مدينة « مروى » الصغيرة إلى « القاهرة » فى سفرة طويلة .

وفى تلك الأثناء كان « مريت » يشتغل بحل رموز النسخة التى أرسلها إليه الضابط المصرى ، وفى عام ١٨٦٣م كان فى مقدوره أن يعلن نتيجة بحثه عن هذا الكشف إلى الأكاديمية الفرنسية للفنون والآداب [١] ، وبعد ذلك أرسل نسخة من النقش إلى « دى روجيه » مع خطاب [٢] لخص فيه النتيجة التاريخية التى اعتقد أنه يمكن استخلاصها من فحص خاطف قام به عن هذا المتن وطلب إليه أن يقوم بترجمة كاملة لهذا المتن ، وقد حدثنا «دى روجيه» عن أن هذا العمل كان غاية فى الصعوبة وذلك لأن النسخة التى أرسلت إليه « وهى التى نقلها الحارس العربى (يقصد الضابط المصرى) المشرف على أعمال الحفر كانت مشوهة » كما يقول ، ولكن فى الواقع كانت النسخة التى يتحدث عنها « دى روجيه » هى النسخة التى نقلها الضابط

---

(١) راجع Lettre de M. Auguste Mariette a M. le Vicomte de Rougé Sur une Stele trouvée à Gebel Barkal in comptes Rendus, Tom. VII, p, 119 ff.

(٢) راجع Rev. Arch. (1863) Part I. p. 413.

المصرى . ومهما كانت حالة النسخة المذكورة فإنها كانت كافية لتجعل « دى روچيه » يترجم المتن وفعلا نشر هذه الترجمة [(1)] . وبعد مضى بضعة أشهر على ذلك أعلن « مريت » هذا الكشف للأكاديمية الفرنسية ، وفى هذا العام (١٨٦٣ م) قضى « دى روچيه » بعض الوقت فى مصر وذهب إلى متحف « بولاق » أملا منه أن يجد لوحة « بيعنخى » لأنه أراد أن يراجع نسخة الضابط على الأصل ويزيل العقبات التى اعترضته فى الترجمة .

وكانت السفينة التى تحمل اللوحات لم تصل بعد من جبل « برقل » ، وليس فى ذلك أية غرابة . حقاً إن الذين كلفوا بنقلها لم يجدوا صعوبة فى الاقلاع حتى بلدة « كرمه » ولكن عندما وصلوا حتى هذا المكان كان النيل قد أخذ فى النقصان ولم يكن فيه ماء يكفى للمرور بعيداً عن صخور الشلال الثالث إذ فى الواقع قابلتهم عوائق متنوعة . وبالاختصار قد ضاع على المسافرين مع اللوحات شتاء سنة ١٨٦٢ ، وكان لزاما عليهم الانتظار حتى حلول الفيضان التالى عام ١٨٦٣ م . وعند ما حل الفيضان التالى سارت السفينة فى طريقها مسافة طويلة ولكن هبط بعدها النيل وكان لابد من انتظار فيضان آخر، وكانت اللوحات وقتئذ فى مكان ما عند الشلال الثانى ثم استؤنفت الرحلة كرة أخرى بحلول فيضان عام ١٨٦٤ م . وحوالى ختام السنة وصلت اللوحات إلى القاهرة . ولا نزاع فى أن النتيجة الناجحة لنقل هذه اللوحات تجعلنا نشيد كثيرا بفضل أولئك الذين قاموا بهذا العمل الشاق بطريقة ساذجة كالتى استعملوها . وهذا العمل يشعر بضخامته أولئك الذين قاموا مرة بنقل لوحة ضخمة فى النيل بسفن الأهالى وحبالهم . والواقع أن شلالات مثل شلالات « تنجور » و « دال » و « سمنة » و « جزيرة الملك » الخ كان من الصعب جداً المرور فيها ، وعلى ذلك فإن نقل لوحات جبل « برقل » بالمرور فيها يعد من الأعمال العظيمة التى تشهد بمهارة بحارة بلاد النوبة ؛ ولا غرابة فهم أبناء النيل الذين تربوا فى كنفه أجيالا لا تحصى .

(1) راجع ,Inscription Historique du Roi Piankhi-Meriamoun, in Revue Arch. 1863. Part II, p. 94. with a plate.

وعلى أثر وصول اللوحات إلى القاهرة كلف « مريت » الأثرى « دى ڤيريا » بعمل نسخ منها ومن هذه عمل تحاليل لمحتويات النقوش ونشر فى مقال عنوانه : « أربع صفحات من السجلات الرسمية الكوشية » (١) وبعد ذلك بعامين نشر « مريت » نسخة « دى ڤيريا » فى كتابه عن أعمال الحفر فى السودان (٢) . وهذا الكتاب ظهر فى السوق وتُدوول بالطريق العادية غير أنه بعد نشره ببضعة أيام سحب من السوق وأعدمت كل نسخه بسبب لا يزال مجهولا .

وفى عام ١٨٦٨ م . بدأ الأستاذ « دى روچيه » يلقى سلسلة محاضرات فى كلية فرنسا (College de France) عن لوحة « بيعنخى » .

وفى عام ١٨٦٩ م . نشر الأثرى « لوث » ترجمة ألمانية لهذه اللوحة (٣) ثم ظهرت ترجمة بالانجليزية فى عام ١٨٧٣ م . بقلم « كانون ف . س . كوك (٤) » . وفى عام ١٨٧٦ م . نشر ابن الأستاذ « دى روچيه » ترجمة والده بالفرنسية ومعها شرح ، وهذه الترجمة تعد فى الواقع الأساس الذى بنيت عليه التراجم الأخرى التى عملت بعده ، وفى عام ١٨٧٦ — ١٨٧٧ م . ظهرت ترجمة الأثرى الكبير « بركش » لهذه اللوحة (٥) ؛ وكذلك قام بترجمتها مرة أخرى الأثرى « لوث (٦) » ؛ وترجمها « بركش » بالانجليزية فى كتابه عن مصر فى عهد الفراعنة الجزء الثانى ص ٢٣٠ الخ . وأحدث ترجمتين لهذه اللوحة هما اللتان وضعهما « جرفث (٧) » ثم ترجمة « برستد (٨) » . أما أحسن

(١) راجع Revue Arch., (1865) Tom XII, p. 161 *ff*.

(٢) راجع Fouilles executées en Egypte, en Nubia et au Sudan, fol., Paris (1867) Vol. I, Text; Vol. II, Plates.

(٣) راجع Sitzungsberichte der Kön. Bay. Akad, pp. 13-49 (Philos-Philol Classe)

(٤) راجع The Inscription of Pianchi. Meriamon London 1873, 8vo; see also Records of the Past, O.S. II, p. 79

(٥) راجع Geschichte Agypten p. 676 *ff*; Die Gottingen Nachrichten, No. 19, p. 457

(٦) راجع Abhandlungen of the Bavarian Akad. Bd., XII

(٧) راجع Egyptian Literature (in specimen Pages of the Library of the World's Best Literature p. 5274

(٨) راجع Ancient Records of Egypt Vol. IV p. 406

طبعة للمتن نقلت عن الأصل بعناية فائقة فقد وضعها الأستاذ « شيفر »[1] . وقد ظهرت بعض إصلاحات فى الترجمة لبعض فقرات هذا المتن فى المجلات العلمية سنشير إليها فى الترجمة التى سنوردها هنا . هذا وقد عثر على قطعتين من القطع الناقصة من اللوحة الأثرى « لوكيانوف » ونشرهما فى مجلة « مصر القديمة »[2] .

وصف لوحة « بيعنخى » وترجمتها (أنظر صورة رقم ٣) :

نشاهد فى الجزء الأعلى المستدير من اللوحة قرص الشمس يكتنفه صلان ولكنه بدون أجنحة ، وفى أسفل نشاهد الإله « آمون » رب « نباتا » قاعدا ونقش أمامه : « كلام « آمون رع » رب تيجان الأرضين المشرف على « الكرنك » والقاطن فى جبله المقدس (برقل) . إنى أعطيك أرض . . . مثل والد الـ . . . » وخلف « آمون » تقف الإلهة « موت » وكتب أمامها « موت » ربة « أشرو » . وأمام « آمون » و « موت » يقف الفرعون « بيعنخى » . ويلاحظ أن صورته قد كشطت غير أنه يمكن التعرف عليها ويحمل فى منطقته خنجراً ويرتدى قميصاً يصل إلى ركبتيه . ونقش أمامه متن يظهر أنه كشط ثم أعيد ثانية وهو : « ملك الوجه القبلى والبحرى « ابن رع » « بيعنخى » . ويشاهد أمام الفرعون امرأة رافعة يدها اليمنى (والظاهر أنه كانت توجد صور أخرى) وكتب أمامها : « الزوجة الملكية » (وهى زوجة « نمروت » كما سنرى بعد فى المتن سطر ٦٢ / ٦٣) . ثم يشاهد الملك « نمروت » يحمل على جبينه الصل ويقود بيده اليسرى جواداً وفى يده اليمنى يحمل صناجة ونقش فوقه الملك « نمروت » .

ويشاهد بعده ثلاثة ملوك يحمل كل منهم على جبينه الصل مقبلين الأرض أمام الفرعون وهم :

(١) الملك « أوسركون » .

---

(١) راجع Urkunden der Alteren Athiopen Konige I, Leipzig (1905) p. 1 *ff*

(٢) راجع Ancient Egypt (1926) p. 86 *ff*

(٢) الملك « أوبوت » .

(٣) الملك « بف — نف — ددى — باست » .

ويرى بعد هؤلاء على الجهة اليسرى أمير لا يحمل الصل ولكن له ضفيرة شعر جانبية ويقبل الأرض وكتب فوقه اسم مهشم بقى منه « ... تى » . وكذلك نشاهد أربعة أمراء بدون أصلال ولكن يحمل كل منهم ريشة على قمة رأسه وجميعهم يقبلون الأرض أمام الفرعون وأسماؤهم هم :

(١) الأمير « بثنفى » .

(٢) الأمير « باما » .

(٣) الرئيس العظيم لقوم مى « مركنشا » .

(٤) الرئيس العظيم لقوم مى « زد آمون أوف عنخ » .

والخطاب الذى وجهه هؤلاء الأمراء للفرعون وجد مهشما ولكن تبقى منه بعض كلمات جاء فيها : « كن مسروراً يا « حور » رب القصر ... لأصغر ملك ... » .

المتن : وأسفل هذا المنظر يأتى النص التاريخى العظيم وهاك الترجمة :

(١) التأريخ : « السنة الواحدة والعشرون الشهر الأول من فصل الفيضان (الفصل الأول) فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بيعنخى محبوب آمون » عاش أبديا » .

مقدمة : « الأمر الذى ينطق به جلالتى : « اسمعوا لما أنجزته أكثر من الأجداد . إنى ملك صورة الإله وتمثال « آتوم الحى » ، الذى خرج من بطن (أمه) مزيناً بمثابة حاكم ، يخافه العظماء الذين أكبر منه ، والذى عرفه (٢) والده ، ومن فطنت أمه أنه سيكون ملكا وهو لا يزال فى البيضة ، الإله الطيب المحبوب من الإله ابن « رع » ومن ينجز بيديه (ما يريد) (« بيعنخى » محبوب « آمون ») .

(٢) وصول رسول يحمل أخباراً تنذر بزحف « تفنخت » :

« لقد أتى إنسان ليخبر جلالته : « أن الأمير صاحب الأرض الغربية وهو الأمير الوراثى والحاكم العظيم لبلدة « نثر » (المسمى) «تفنخت» قد صار فى مقاطعة (يأتى بعد ذلك علامة ترمز للفظة مقاطعة غير أن اسم المقاطعة لم يكتب عليها) ، وكذلك فى مقاطعة « اكسيوس »[1] وفى « حعبى » وفى « ... » (اسم مهشم) (٣) وفى « عن » أو « عيان » وفى « برنب » وفى « منف » (« أنب حز » = الجدار الأبيض). وقد استولى على الأرض الغربية قاطبة من أول المستنقعات حتى « إثناوى» (= اللشت) وهو يصعد فى النيل بجيش جرار ، فى حين أن البلاد أصبحت موحدة خلفه ، والأمراء الوراثيون ، حكام المعاقل كانوا كالكلاب (طائعين فى عقبيه) ولم (٤) يغلق حصن ... فى مقاطعات الوجه القبلى . فبلدة « مر — توم » (ميدوم) وبلدة « برسخم خبررع » ومعبد « سبك » (الفيوم) و « برمزد » (البهنسا) وبلدة « تكناش » (دقناش بالقرب من غربى « ببا ») وكل بلدة فى الغرب قد فتحت له أبوابها خوفا منه (أى سلمت دون قيد ولا شرط) . وقد عاد إلى مقاطعات الشرق ففتحت أبوابها له أيضاً : « حت بنو » و «تايوزاى» و «حت نسوت» و « اطفيح » تامل (٥) ... لقد حاصر «اهناسيا المدينة ، وأحاط بها تماما (جعل من نفسه كذيل فى فم) فلم يجعل الخارجين يخرجون ، ولم يجعل الداخلين يدخلون لاستمرار الحرب يومياً . وذرع الأرض حولها كلها (أى كان يلف حولها ماشيا) وكل أمير عرف حصنه ، وجعل كل رجل من الأمراء والحكام فى قسمه (لمحاصرته) » .

الملك كان متشبعاً بحب الحرب غير أن الوقت لم يكن قد حان بعد :

« وقد أصغى (جلالته إلى الرسول) (٦) بقلب كبير ، وكان ضاحكا وقلبه منشرحا » .

---

(١) المقاطعة السادسة من مقاطعات الوجه البحرى (سخا الحالية) .

الأخبار كانت تأخذ دائماً صورة جدية منذرة بالخطر :

« وأرسل هؤلاء الكبراء والأمراء والقائد الذين كانوا فى مدنهم يومياً قائلين : « هل صمت متجاهلا أرض الجنوب التابعة لمقر الملك ؟ فى حين أن « تفنخت » يستولى عليها ولا يجد أحداً يصد ساعده .

انضمام « نمروت » ملك « الأشمونين » إلى « تفنخت » :

« « نمروت » ... (٧) حاكم « حت ورت » وصدع جدران « نفروسى » وهدم له مدينته خوفاً من الاستيلاء عليها لنفسه ، لأجل أن يحاصر مدينة أخرى » .

تأمل لقد ذهب ليكون واحدا من أتباعه وبذلك ترك ولاءه لجلالته (أى خان « بيعنخى ») وقد وقف معه بمثابة واحد (من أتباعه) فى (٨) مقاطعة « البهنسا » وقد أعطاه (يقصد « تفنخت ») هدايا كما يرغب فيها قلبه من كل شئ وجده » .

الملك يأمر جنوده الذين فى مصر بالانقضاض على مقاطعة « الأشمونين » :

وبعد ذلك أرسل جلالته إلى الأمراء وقواد الجيش الذين كانوا فى مصر : القائد « باوارمع » والقائد « لمرسكنى » وكل قائد لجلالته كان فى مصر قائلا : سارعوا إلى صفوف القتال وحاربوا فى المعركة وحاصروا ... (٩) اقبضوا على أهلها وماشيتها وسفنها التى على النهر . ولا تجعلوا الفلاحين يخرجون إلى الحقول ولا تدعوا الحراثين يحرثون الأرض وحاصروا حدود مقاطعة الأرنب وحاربوها يومياً وقد فعلوا ذلك .

بيعنخى يرسل جيشه وتعلياته للقتال :

وبعد ذلك أرسل جلالته جيشا إلى مصر مكلفا قواده بشدة قائلا : « لا تهاجموا

العدو فى أثناء الليل (١٠) على طريقة لاعبى الشطرنج (حيث يبحث كل لاعب عن التغلب على قرنه) ولكن حاربوهم عند ما يمكن رؤيتهم واطلب خوض المعركة من بعيد وإذا طلبك فانتظر مشاة وفرسان مدينة أخرى . وابق ساكنا لا تتحرك حتى تأتى جنوده وحاربه فقط عند ما يطلب إليك الحرب ، وفضلا عن ذلك إذا كان له خلفاء فى مدينة أخرى فاعمل على انتظارهم (١١) أما أمثال الأمراء الذين يمكن أن يتخذهم لمساعدته أو أى جنود لو بيين ممن يوثق بهم فأمر بمنازلتهم مقدما قائلا : « وأنت — لأننا لا نعرف من نخاطب عند تنظيم الجيش — شد على أحسن جواد فى الاصطبل وصف (١٢) الجنود فى خط المعركة ولا بد أن تعلم أن « آمون » هو الإله الذى أرسلنا » .

التعليمات للزحف على طيبة :

وعند ما تصلون إلى « طيبة » قبالة « الكرنك » انزلوا الماء وطهروا أنفسكم فى النهر وطهروا أنفسكم فى ملابس كتان نظيفة وشدوا القوس وارموا السهم ولا تفخروا بأنكم (١٣) أرباب القوة لأنه بدونه لا يكون لشجاع قوة ، إذ يجعل القوى ضعيفا وبذلك تفر الكثرة أمام القلة . وأن رجلا واحداً يستولى على ألف رجل . اغسلوا أنفسكم بماء قربانه وقبلوا الأرض أمام محياه وقولوا (١٤) له : امنحنا سواء السبيل حتى يمكننا أن نحارب تحت ظل سيفك القوى ، أما الشبان الذين أرسلتهم فسيكون النصر لهم وسيروع الكثيرون منهم » .

الجيش يثنى على نصائح الملك وقوته :

وعندئذ استلقوا على بطونهم أمام جلالته قائلين : « إن اسمك هو الذى يمنحنا القوة ونصيحتك هى مرسى جيشك ، وخبزك فى بطوننا فى كل سبيل (أسلكناه) وجعتك تطفئ (١٥) ظمأنا ، وبطولتك تعطينا القوة ، والبطش فى تذكر اسمك ، لأنه لا يتغلب جيش يكون قائده مخنث ، فمن مثيلك فيه ؟ (أى فى الجيش) فأنت ملك مظفر يعمل بساعديه وأنت المشرف على شئون الحروب » .

الجيش يتقدم نحو « طيبة » :

« ثم (١٦) ساحوا منحدرين فى النهر (إلى) أن وصلوا إلى « طيبة » وعملوا وفق كل ما قاله جلالته » .

الجيش يسير إلى الأمام ويهزم أسطول الثائرين :

ثم ساحوا منحدرين فى النهر ورأوا سفنا عدة مصعدة فى النهر محملة بالجنود والبحارة وضباط عديدين ، وكل رجل شجاع من الوجه البحرى كان مجهزاً (١٧) بأسلحة الحرب ليحارب جيش جلالته . وقد وقعت مذبحة عظيمة بينهم وكان عددهم لا يحصى . وقد استولى على جنودهم وسفنهم وأحضروا أسرى أحياء إلى حيث مكان جلالته (أى إلى « نباتا ») .

الزحف على «أهناسيا المدينة» والواقعة التى وقعت فى هذه المدينة :

« ثم زحفوا نحو مشارف « أهناسية المدينة » طلبا للحرب » .

قائمة بأسماء الأمراء والملوك الشماليين :

(١) الملك « نمروت » .

(٢) الملك « أوبوت » (١٨) .

(٣) رئيس مى « شيشنق » صاحب « بوصير » رب « دد » .

(٤) ورئيس مى العظيم « زدآمن أوف عنخ » صاحب « منديس » (تل الربع الحالى) .

(٥) ومعه بكر أولاده الذى كان قائد الجيش « بر—تحوتى—وب—رحوى » .

(٦) وجيش الأمير الوراثى « باكنرف » .

(٧) وبكر أولاده رئيس مى (المسمى) «نس ناطاى» (١٩) فى مقاطعة « حسب » [(١)] .

(١) المقاطعة الحادية عشرة من مقاطعات الوجه البحرى الغربية وعاصمتها السياسية الحالية القريبة من « هربيط » (راجع أقسام مصر الجغرافية للمؤلف ص ٩٢) .

(٨) وكل رئيس يحمل الريشة من الذين كانوا فى أرض الشمال .

(٩) ومعهم الملك «أوسركون» الذى كان فى «بو بسطة» و إقليم «رع نفرت» .

وقد تجمع كل أمير وحكام المدن المسورة فى الغرب وفى الشرق وفى الأقاليم التى فى الوسط بقلب واحد متحدين بوصفهم أتباعا لرئيس الغرب العظيم حاكم المدن المسورة للأرض الشمالية (الذى يلقب) كاهن الآلهة « نيت » صاحبة «سايس» (٢٠) والكاهن الأعظم « سم » للاله « بتاح » المسمى « تفنخت » .

الواقعة التى نشبت قبالة « أهناسيا المدينة » .

« فخرجوا إليهم (لملاقاتهم) وأوقعوا مذبحة عظيمة بينهم أعظم من أية موقعة (شئ) واستولوا على سفنهم التى كانت فى النهر » .

العدو يفر إلى بلدة « بربج » ويتبعهم الكوشيون فى المدينة :

وعندئذ عبرت بقيتهم (فلولهم) النهر ورسوا على الشاطئ الأيمن بجوار « بربج » وعندما (٢١) أضاءت الأرض فى الصباح المبكر عبر جيش جلالته نحوهم والتحم الجيش بالجيش (الآخر) فقتلوا خلقاً كثيرين منهم وخيلا لا يحصى عددها ووقعت الهزيمة بين الفلول (بقية الجيش المهزوم) .

العدو يفر نحو الدلتا :

« وفروا نحو الأرض الشمالية بسبب الضربة القوية المؤلمة أكثر من أى شئ (أى من أى ضربة أخرى) .

قائمة بالمذبحة التى وقعت بينهم : « أناس » : (ترك الكاتب هنا مكان العدد دون أن ينقش) . . . رجال .

نجاة « نمروت » وهزيمة جيشه فى « الأشمونين » :

« وهرب « نمروت » مصعداً فى النيل نحو الجنوب عندما قيل له : إن « الأشمونين »

فى وسط الأعداء ، وهو جيش جلالته الذى استولى على أهلها وماشيتها ، وبعد ذلك دخل « الأشمونين » فى حين كان جيش جلالته على النهر فى ميناء (٢٣) مقاطعة « الأرنب » (أى العاصمة) . وبعد ذلك سمعوا بذلك فحاصروا مقاطعة « الأرنب » من جوانبها الأربعة ولم يسمحوا للخارجين أن يخرجوا ولا الداخلين أن يدخلوا » .

تقرير يكتب للملك « بيعنخى » :

« وأرسلوا تقريراً لجلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (« محبوب آمون » « بيعنخى ») معطى الحياة عن كل موقعة حاربوها وعن كل انتصار لجلالته » .

« بيعنخى » يغضب ويسير نحو مصر بنفسه فى أول عيد رأس السنة .

« وعندئذ غضب جلالته من أجل ذلك وقال وكأنه الفهد (٢٤) : هل سمحوا لفلول من جيش الشمال أن تبق وسمحوا لمن خرج منهم أن يخرج لأجل أن يتحدث عن غزوته ؟ ولم يعملوا على موتهم حتى يفنوا عن آخرهم . وإنى أقسم بحب « رع » لى وبحظوة « آمون » لى أنى سأذهب بنفسى شمالا حتى أقضى (٢٥) على الذى عمله وحتى أجعله يولى الأدبار من الحرب أبديا » .

« والآن فيما بعد عندما أحتفل بشعائر السنة الجديدة سأقدم القربان لوالدى « آمون » (فى « نباتا ») فى عيده الجميل عندما يظهر بطلعته الجميلة للسنة الجديدة حتى يجعلنى أخرج فى سلام لأرى « آمون » (صاحب « طيبة ») فى عيد « أبت » (الأقصر) الجميل . وحتى يمكننى أن أحضره فى صورته (٢٦) فى موكب « الأقصر » فى عيده الجميل (المسمى) «ليلة عيد أبت» فى العيد (المسمى) « البقاء فى طيبة » ، وهو الذى عمله له « رع » فى البداية ، ولأجل أن أتمكن من أن أحضره فى موكب إلى بيته قاعداً على عرشه كما هى الحال فى يوم إدخال الإله فى الشهر الثالث من الفصل

الأول ، اليوم الثانى . ولأجل أن أتمكن من جعل الأرض الشمالية تذوق طعم أصابعى »
(فى الحروب) .

الاستيلاء على « البهنسا » :

وبعد ذلك سمع الجيش الذى كان هناك فى مصر (٢٧) بغضب جلالته منهم .
وعلى ذلك حاربوا « برمزد » (البهنسا) التابعة لمقاطعة « البهنسا » فاستولوا عليها
كأنهم طوفان من الماء وأرسلوا لجلالته غير أن قلبه لم يكن راضيا بذلك .

الاستيلاء على « طهنة » :

« وبعد ذلك حاربوا « طهنة » عظيمة الانتصار وقد وجدوها مملوءة (٢٨)
بالجنود من كل رجل شجاع من أرض الشمال وبعد ذلك استعملوا المنجنيق فى قذفها
فهدمت جدرانها ووقعت مذبحة عظيمة بينهم لا يحصى عدد قتلاها ومنهم ابن رئيس
مى « تفنخت » ثم أرسلوا لجلالته بشأنها غير أن قلبه لم يكن راضيا بذلك » .

الاستيلاء على « حت نبو » :

ثم (٢٩) قاموا لمحاربة « حت نبو » فتبثوا داخلها ودخلها جيش جلالته ثم
أرسلوا إلى جلالته ولكن قلبه لم يكن راضياً بذلك .

الملك يذهب من « طيبة » إلى « الأشمونين » :

فى الشهر الأول من الفصل الأول اليوم التاسع ذهب جلالته شمالا إلى « طيبة »
وأتم عيد « آمون » فى عيد « ابت » (الأقصر) وساح جلالته شمالا (٣٠) إلى بلدة مقاطعة
« الأرنب » (الأشمونين) ، وخرج جلالته من حجرة السفينة وكانت الخيل مجهزة
وامتطى العربة وساد الرعب من جلالته إلى نهاية بلاد الآسيويين ، وكان كل قلب
مثقلا بالخوف منه » .

« بيعنخى » يوبخ جيشه :

« ثم خرج جلالته (٣١) ليوبخ جنوده ثائراً عليهم كالفهد قائلا : هل ثباتكم

فى الحرب معناه التراخى فيما آمر به ؟ هل بلغ العام نهايته عندما نفذ الخوف منى فى الأرض الشمالية ؟ إنهم سيضربون ضربة عظيمة مؤلمة » .

« وقد أقام لنفسه معسكراً فى الجنوب الغربى من الأشمونين وحاصرها (٣٢) يوميا . وقد أقيم جسر ليحيط بالجدار ، وأقيم برج ليرفع الرماة عندما يرمون بسهامهم والضاربين بالمقلاع عندما يرمون بالحجارة وكانوا يذبحون الناس من بينهم يومياً » .

المدينة تطلب التسليم ولكن الفرعون بقى متعنتاً :

وقد مرت الأيام ورائحة «الأشمونين» نتنة فى الأنوف بعد عبيرها (٣٣) الحلو ، وبعد ذلك انبطحت الأشمونين على بطنها طالبة العفو أمام ملك الوجه البحرى . وقد خرج الرسل ونزلوا حاملين كل شئ جميل المنظر من ذهب وكل حجر فاخر ثمين وملابس فى صندوق والتاج الذى كان على رأسه « نمروت » والصل الذى كان يبعث الخوف منه ، دون انقطاع لمدة عدة أيام طالبين العفو بتاجه (أى بأن ينزل عن تاجه على ما يظهر) .

الملكة زوج « نمروت » تتوسط فى الأمر :

ثم قاموا وأرسلوا (٣٤) زوجه (أى زوج الملك « نمروت ») وابنة الملك المسماة « نستنت » تطلبان العفو من أزواج الملك وحظيات الملك وبنات الملك وأخوات الملك . ولتنبطح على بطنها (يقصد زوج الملك نمروت) فى الحريم أمام زوجات الملك قائلة إننا نأتى إليكن يا زوجات الملك وبنات الملك ويا أخوات الملك لتهدئن «حور» رب القصر صاحب القوة الكبيرة والنصر العظيم لينه يمنحنا ... تأمل (٣٥) أنه ... تأمل (....) نكان إليه ليلين الذى يجده .... (الأسطر من ٣٦ حتى السطر التاسع والأربعين محيت تقريباً) ــ ووجدت خمس قطع من هذه اللوحة بعد الكشف عنها عثر عليها الدكتور ريزنر فى نفس المكان الذى كانت فيه اللوحة فى جبل برقل وقد حاول إلوكيانوف[1]

---

(١) راجع Ancient Egypt, 1926 Part III, p. 86 ff.

أن يحدد مكانها ويعطى مضمون ترجمتها فالقطعة رقم ٤٧٠٨٧ لا يمكن وضعها إلا على الوجه الأيسر من اللوحة بين الأسطر من ٣٥ إلى ٥٠ ومن معنى سياق الكلام يمكن وضع هذه القطعة فى الأسطر ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ إذ أن كل سطر من هذه القطعة مكمل للأسطر المقابلة فى اللوحة .

ومتن هذه الأسطر هو تكملة لتضرع الملكة نستنمحونت إلى أزواج وأخوات الملك بيعنخى (أنظر السطر ٣٤) لأجل أن يصفح عن الملك نمروت . ومن متن هذه القطعة ومتن اللوحة نشاهد أن زوجات الملك وأخواته قد انبطحن على الأرض أمام الملك بيعنخى (السطر ٤٢) ، وأن الزوجات الملكيات تضرعن للملك طالبات اليه العفو عن « نمروت » ملك « حت ورت » (السطر ٤٣) . ولا بد أنه كان فى الجزء الناقص تسلم ما ورده « نمروت » ثم أتى الأخير بنفسه للملك .

« بيعنخى » يخاطب « نمروت » :

انظر ! من قادك ؟ من قادك ؟ من قادك إذا ؟ من قادك . . . (٥٢) لقد تركت سبيل الحياة . هل السماء تمطر سهاما (؟) أنى . . . (مرتاح) عندما يخضع أهل الجنوب ، وأهل الشمال (يقولون) : ضعنا فى ظلك . تأمل أنه مؤذ (. . .) . (٥٤) حاملا طعامه ، وان القلب دفة سفينته ؛ تقلب صاحبها بما هو من قوة الله . وأنه يرى اللهيب كأنه برودة فى القلب (أى أن اللهيب يظهر له كأنه برودة فى القلب لأن القلب نفسه حار ؟) . . . (٥٥) لا يوجد مسن (. . . .) والمقاطعات ملأى بالشباب » .

جواب « نمروت » « لبيعنخى » :

« فانبطح على الأرض أمام جلالته (قائلا) : كن (٥٦) (هادئا) ياحور يارب القصر إن قوتك هى التى فعلتها ، وإنى واحد من عبيد الملك أدفع الجزية للخزانة . . (٥٧) . . جزيتهم . ولقد أحضرت لك أكثر منهم » .

« نمروت » يحضر هدايا للملك « بيعنخى » :

وعلى ذلك أهدى كثيراً من الفضة والذهب واللازورد والفيروز والبرنز وكل الأحجار الثمينة فملأ (٥٨) الخزينة بهذه الجزية ؛ وأحضر جواداً فى يده اليمنى وصناجة فى يده اليسرى[1] من الذهب واللازورد » .

دخول « بيعنخى » مظفرا فى « الأشمونين » :

وبعد ذلك ظهر جلالته (٥٩) فى قصره ومن ثم سار إلى بيت « تحوت » رب « الأشمونين » وذبح ثيراناً وعجولا وطيوراً لوالده رب « الأشمونين » ولثمانية الآلهة فى بيت (٦٠) الثامون (أى ثمانية الآلهة) . وقد ارتفع صياح جيش مقاطعة « الأرنب » وفرحوا قائلين : ما أجمل حور ثاو فى (٦١) مدينته ابن « رع » ، « بيعنخى » ! أقم لنا عيداً ثلاثينياً لأنك قد حميت مقاطعة « الأرنب » .

« بيعنخى » يزور قصر « نمروت » والخزانة والمخازن والحريم :

ثم سار جلالته إلى (٦٢) بيت « نمروت » ودخل كل حجرة فى بيت الملك وبيت ماله ومخازنه وأمر بأن تحضر (٦٣) له زوجات الملك وبنات الملك وصافحهنّ جلالته على طريقة النساء ولكن جلالته لم يدر وجهه لهنّ (٦٤) . (أى كان متعففاً) .

« بيعنخى » يزور حظيرة خيل « نمروت » وينتقد تجويعها وهزالها :

ثم سار جلالته إلى حظيرة الخيل وحظائر المهارى وعند ما رأى (٦٥) أنها قد تألمت من الجوع قال أقسم بحب « رع » لى وبقدر ما تنتعش أنفى بالحياة أنه لأكثر إيلاماً لقلبى (٦٦) أن تكون جيادى قد تألمت جوعاً أكثر من تألمى لأى عمل معىّ قد عملته فى تنفيذ غرضك . لقد شهد عليك لى خوف رفاقك عليك (٦٧) ألم تعلم أن ظل الله فوقى ؟ وأن حظى لن يولى بسببه ؟ فلو كان آخر عمل ذلك معى (٦٨) فإنه

---

(١) كما يشاهد ذلك فى المنظر الذى فى أعلى اللوحة .

لم يكن يسعنى إلا أن أدينه من أجل ذلك . وعند ما كنت أصور فى الفرج وأكون فى البيضة المقدسة (٦٩) فإن بذرة الإله كانت فى . وأقسم بحضرته أنى لا أعمل شيئاً بدونه فإنه هو الذى يأمرنى بفعله » .

التصرف فى متاع « نمروت » :

« وبعد ذلك أعطيت أملاكه الخزانة (٧٠) ومخازن غلاله القربان المقدس الخاص « بآمون » فى الكرنك » .

خضوع أمير « آهناسيه المدينة » وولاؤه للملك « بيعنخى » :

وأتى حاكم « هيراكليوبوليس » (أهناسيا المدينة) « بفنفد ديباست » يحمل جزية (٧١) للقصر : من ذهب وفضة وكل حجر ثمين وجياد من خيرة ما فى الاصطبل فاستلقى على بطنه أمام جلالته وقال : مرحباً بك يا حور أيها الملك القوى (٧٢) يأيها الثور مخضع الثيران ! إن العالم السفلى قد قبض على وقد غمرت فى الظلام الذى سطع (٧٣) عليه النور[1] الآن . وإنى لم أجد صديقاً فى يوم البؤس كان ثابتاً فى يوم الواقعة ، ولكن أنت أيها الملك الجبار لقد بددت (٧٤) الظلام عنى . وإنى أكدح مع رعاياك وستدفع « أهناسيا المدينة » ضرائب (٧٥) لخزانتك أنت ياصورة « حور أختى » والمهيمن على النجوم الثابتة فكما كان فأنت كذلك ملك وكما أنه لا يفنى فإنك (٧٦) لن تفنى يا ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بيعنخى » العائش أبدياً » .

الملك ينحدر فى النهر نحو بلدة « برسخم خبررع » ويأمرها بالتسليم :

« وانحدر جلالته فى النهر نحو فتحة القناة (بحر يوسف الحالى) بجوار (٧٧) « اللاهون » فوجد أن جدران « برسخم خبررع » متهدمة وحصنها مغلق ، ومملوءة بكل رجل شجاع من الأرض الشمالية . وعندئذ أرسل جلالته لهم قائلا : أنتم يا من

---

(١) هذا الوصف كناية عن الحروب التى قامت بين مدينته وتفنخت والنجدة التى أتى بها بيعنخى له لانقاذه .

تعيشون فى الموت ! أنتم يا من تعيشون فى الموت ! أنتم أيها النكرات (٧٨) . والتعساء ! أنتم يا من تعيشون فى الموت ! إذا مرت ساعة دون أن تفتحوا لى تأملوا أنكم ستكونون فى عداد الساقطين ، وهذا مؤلم للملك ، فلا تغلقوا أبواب حياتكم لأجل أن تحضروا على مقصلة هذا اليوم ، فلا ترغبوا فى الموت ولا تكرهوا الحياة (. . .) (٧٩) . . . . . . (. . .) أمام كل الأرض » .

استسلام مدينة « برسخم خبر رع » :

وعندئذ أرسلوا إلى جلالته قائلين : «تأمل ، إن ظل الإله فوقك . وابن «نوت» (الإله « ست ») يعطيك ساعديه ، وفكرة لبك تحدث فى الحال كالتى تخرج من فم الإله . تأمل لقد صورت فى صورة إله - ونحن نرى بمراسيم يديك . وتأمل إن بلدك هى حصنه (٨٠) فافعل بها ما (يرضيك) فاجعل الداخلين يدخلون هناك والخارجين يخرجون . ودع جلالته يفعل ما يريد » . و بعد ذلك خرجوا مع ابن رئيس مى «تفنخت» فدخل جيش جلالته فيها دون أن يقتل واحد من كل الناس ووجد (٨١) مع حاملى الأختام ليختموا أملاكه . وخزائنه سلمت لبيت المال ومخازن غلاله للقربات الإلهية الخاصة بوالده «آمون رع » رب « طيبة » .

استسلام « ميدوم » :

« وانحدر جلالته شمالا ، وقد وجد « ميدوم » [1] دار « سكر » رب « سحز » قد أغلقت وكانت ممتنعة . ونشب القتال فى قلبها . أخذاً (٨٢) . . . فاستولى عليها الخوف . وختم الفزع فمهم . وعندئذ أرسل جلالته لهم قائلا : تأملوا إن أمامكم طريقين فاختاروا أنتم كما ترغبون : افتحوا فتعيشوا ، اغلقوا فتموتوا . إن جلالتى لن يمر فى باب مغلق وعندئذ فتحوا فى الحال فدخل جلالته فى داخل هذه

(١) بلدة مخصصة لعبادة الإله « سكر » رب « منف » ويحتمل أنها موحدة ببلدة « ميدوم » وتقع فى المقاطعة الواحدة والعشرين من مقاطعات الوجه القبلى ويحتمل كذلك أنها تمثل مديرية الفيوم وما حولها . راجع D. G. V. p. 42-43 .

المدينة (٨٣) وقدم قربانا . . . إلى منحيت صاحب « سخز » وقد أهدى بيت ماله إلى بيت المال ، ومخازن غلاله للقربان المقدسة « لآمون » صاحب « الكرنك » .

استسلام « اللشت » :

« ثم انحدر جلالته شمالا إلى « اللشت » فوجد السور مغلقاً والجدران ملاى بالجنود من أرض الشمال الشجعان وبعد ذلك فتحوا الحصن وانبطحوا على بطونهم (٨٤) أمام جلالته قائلين : إن والدك قد قرر لك إرثه فالأرضان ملكك وما فيهما ملكك وكل ما على الأرض ملكك . ودخل جلالته ليجعل قربانا عظيما يقدم للآلهة القاطنين فى هذه المدينة من ثيران « أوا » وثيران « و نز » ودجاج وكل شئ طيب وطاهر ، وبعد ذلك أعطيت ماليتها الخزانة ، ومخازن الغلال صارت قرباناً للضيعة المقدسة (٨٥) لوالده « آمون رع » .

الملك يسير نحو « منف » لتسلم بدون حصار طويل :

« (انحدر بعد ذلك جلالته فى النهر) إلى « منف » . وقد أرسل إليها (أى إلى أهلها) قائلا : لا تغلق (الأبواب) ولا تحاربى أنت يا مأوى الإله « شو » (يخاطب المدينة) فى الأزلية ، وان الذى يريد أن يدخل دعوه يدخل وان الذى يريد أن يخرج دعوه يخرج . ولا تمنعوا من يريد أن يغادر (المدينة) . وسأقدم قرباناً للإله « بتاح » ولكل الآلهة الذين فى « الجدار الأبيض » (منف) ، وإنى سأضحى للإله « سكر » فى المكان السرى ، وسأشاهد الذى فى جنوبى جداره (يقصد الإله « بتاح ») إلى أن انحدر شمالا فى النهر فى أمان (٨٦) . . . وإن أهل الجدار الأبيض (منف) سيكونون سالمين معافين ، ولن يبكى أحد حتى الأطفال . انظروا أنتم إلى مقاطعات الجنوب فإنه لم يذبح واحد منهم إلا الأعداء الذين لعنوا الإله وهم الذين قطعت رءوسهم على المقصلة بوصفهم ثائرين . غير أنهم (الأهالى) أوصدوا معاقلهم وأرسلوا جيشاً على فئة من جنود جلالته ، من الصناع والمشرفين على المبانى ، والنواتى (٨٧) . . . ميناء « منف » .

« تفنخت » يدخل « منف » ليلا ويحمس جنوده ويعود إلى الدلتا :

تأمل فإن أمير « سايس » هذا (يقصد « تفنخت ») قد وصل إلى الجدار الأبيض ليلا محمساً مشاته وبحارته وجميع خيرة جيشه وعددهم ثمانية آلاف رجل حاثاً إياهم بحماس عظيم . تأملوا إن « منف » قد اكتظت بالجنود من خيرة ما فى الأرض الشمالية ، ومخازنها تفيض بالشعير والبر وبكل أنواع الأسلحة . . . (٨٨) (وأنها محصنة) بجدار وقد أقيمت شرفة عظيمة صنعت بمهارة والنهر يجرى حول جانبها الشرقى ، وليس هناك فرصة للهجوم (أى من الشرق) ويوجد فيها حظائر للماشية مملوءة بالثيران والخزانة مجهزة بكل شئ من فضة وذهب ونحاس وملابس وبخور وشهد وزيت » .

« تفنخت » يذهب لعمل الإمدادات :

« وسأذهب وأعطى شيئاً لرؤساء الشمال وسأفتح مقاطعاتهم وسأكون (٨٩) . . . (وسأقضى أياماً قليلة) إلى أن أعود ، وامتطى جواداً ولم يطلب عربته وسار شمالا خوفاً من جلالته » (أى من « بيعنخى ») .

« بيعنخى » يذهب إلى « منف » :

«وعند ما انفلق الإصباح فى النهار المبكر كان جلالته قد وصل إلى الجدار الأبيض وأرسى سفينته فى شماليها ، وكان قد وجد أن الماء قد اقترب من الجدران وأصبحت السفن ترسو عند (٩٠) (جدران) « منف » وعندئذ رأى جلالته أنها كانت قوية وأن السور قد رفع بوساطة بناء جديد (عليه) ، وشرفات يحميها رجال حرب أشداء ولم تكن هناك طريقة لمهاجمتها » .

الضباط يقترحون طرقاً للاستيلاء على المدينة :

وقد أبدى كل واحد رأيه من رجال جيش جلالته على حسب قواعد الحرب

فقال كل رجل : دعنا نحاصرها (٩١) . . . تأمل إن جنودها عديدون (حتى لا يمكن مهاجمتها) وقال آخرون فلنقم طريقاً (يوصل) إليها ولترفع التربة حتى جدرانها . دعنا نقم برجا (يوصل إليها) ونصنع من العمد الخشبية قنطرة إليها (وبهذا) التصميم نقسمها من كل جانب من جوانبها على الأرض العالية (٩٢) . . . من شماليها لأجل أن ترفع الأرض عند جدرانها حتى نجد طريقاً لأقدامنا » .

الملك لا يأخذ بهذه الآراء و يصمم على مهاجمة المدينة :

وعندئذ استولى الغضب على جلالته كالفهد وقال : إنى أقسم بحب « رع » لى وبحظوة والدى «آمون » الذى برأنى أن ذلك لابد أن يحدث لها على حسب أمر « آمون » وهذا ما سيقوله الناس :(٩٣) (ان الأرض الشمالية) ومقاطعات الجنوب قد فتحت له (أبوابها) من بعيد ، لأنها لم تضع « آمون » فى قلوبها ، ولم تعرف ما الذى أمر به فإنه (أى « آمون ») قد جعل « بيعنخى » يظهر شهرته كما جعل هيبته ترى ، وانى سأستولى عليها (أى المدينة) بوصفى فيضان الماء وقد أمرت (٩٤) . . .

الاستعداد للهجوم :

«و بعد ذلك أمر بإرسال أسطوله وجيشه لمهاجمة ميناء «منف» وقد أحضروا له كل معبر وكل سفينة شحن وكل سفينة نقل وكل سفينة بقدر ما كان يوجد وأرسيت فى ميناء «منف» وربطت حبال مقدمتها بين بيوتها (أى بيوت المدينة) (٩٥) . . . ولم يوجد واحد بكى بين كل جنود جلالته (المقصود هنا على ما يظن أنه لم يصب واحد منهم بسوء) » .

الأمر بالهجوم :

« وقد أتى جلالته ليرتب السفن بقدر ما كان هناك منها . وأمر جلالته جيشه قائلا : إلى الأمام عليها (أى على المدينة) تسلقوا الجدران اقتحموا البيوت التى على

النهر (أى التى على ضفة النهر) واذا وصل أحدكم الى أعلى الجدار فلا يقف أمامه حتى (٩٦) لا يدركم الجنود (المعادون) ، وأنه لأمر حقير (بالنسبة لنا) أن نوصد الجنوب ثم ينبغى علينا أن نرسو فى الشمال ونضع الحصار فى ميزانى الأرضين» [1] .

الاستيلاء على « منف » :

« وبعد ذلك استولى على « منف » (« من نفر ») كأنها أخذت بفيضان ماء ، وقد قتل فيها جم غفير من الناس وأحضر أسرى أحياء إلى المكان الذى كان فيه جلالته أيضا » .

حماية « منف » :

« والآن عندما (٩٧) أضاء الصبح وطلع النهار الثانى أرسل جلالته أناساً لحماية معابد الإله «آمون» ومحراب الآلهة وقدم القربان لمجلس آلهة مدينة « حتكبتاح » (منف) ، ونظفوا « منف » بالنطرون والبخور وأقاموا الكهنة فى أماكنهم . ثم سار جلالته إلى بيت « بتاح » (٩٨) وأديت شعيرة تطهيره فى حجرة الصباح وكل تقليد كان يعمل للملك أجرى له ، ودخل المعبد وقدم قرباناً عظيما لوالده « بتاح » القاطن جنوبى جداره ، (ويتألف) من ثيران وعجول ودواجن وكل شئ طيب ، ثم سار جلالته إلى بيته » .

إقليم « منف » يسلم :

« وبعد ذلك لما سمع بهذا (أى الاستيلاء على « منف ») فإن كل المراكز التى كانت فى إقليم « منف » وهى « حرى بدمى » و « پى — نا — (٩٩) أوع » و برج

(١) موازين الأرضين هو اسم للمكان الذى ينفصل عنده الوجه القبلى عن الوجه البحرى وهو المكان الذى كان فيه « بيعنخى » الآن ويسمى بالمصرية « مخاتاوى » ويقصد « بيعنخى » من الجملة الأخيرة بما أنه قد أغلق الجنوب فى وجه « تفنخت » فإنه يكون من الأشياء المحطة بالكرامة بعد أن وصل إلى الشمال أن يعسكر هناك والقيام بحصار عند أبوابه (أى أبواب الشمال) . راجع عن هذه التسمية Helck, Untersuchungen .

« بيو » وواحة « بيت » وقد فتحوا المعاقل وهربوا بعيداً ولم يعرف أحد أين ذهبوا» .

خضوع صغار ملوك الدلتا للملك « بيعنخي » :

« وقد حضر الملك « أوبوت » ورئيس « مى » المسمى « أكانشو » والأمير الوراثى « بدى أزيس » وكل أمراء (١٠٠) الأرض الشمالية حاملين جزيتهم ليروا بهاء جلالته» .

إعطاء ثروة « منف » للاله « آمون » رب «طيبة» ولآلهة «منف» :

« وبعد ذلك أعطيت خزائن « منف » ومخازنها قرباناً مقدسة « لآمون » و « بتاح » وتاسوع الآلهة القاطنين فى « حتكبتاح » (منف) » .

الملك يزحف على « خرعحا » (مصر العتيقة الحالية) :

« وعندما أضاء النهار فى الصباح المبكر سار جلالته شرقاً وقرب قرباناً « لآتوم » صاحب « خرعحا » وللتاسوع المقدس (١٠١) وكهف الآلهة القاطنين فيه ، وتحتوى على ثيران وعجول ودواجن ليمنحوا الحياة والفلاح والصحة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بيعنخي » العائش أبدياً » .

« بيعنخي » يذهب إلى « عين شمس » :

« ثم سار جلالته إلى « عين شمس » (الواقعة) على تل « خرعحا » على الطريق العام الخاصة بالإله « سب » إلى « خرعحا » وسار جلالته نحو المعسكر الذى كان فى غربى « اتى » (قناة « عين شمس ») وطهر نفسه ونظف فى بركة « كبح » (١٠٢) وغسل وجهه فى نهر « نون » الذى غسل فيه « رع » وجهه » .

الاحتفال فى « عين شمس » (تل الرمال) :

« ثم سار إلى « تل الرمال » فى « عين شمس » وهناك قربت قرابين عظيمة على

« تل الرمال » فى « عين شمس » فى حضرة « رع » عنـــد طلوعه وتحتوى (أى القربان) على (١٠٣) ثيران بيضاء ولبن وعطور و بخور وكل خشب ذى رائحة جميلة » .

الذهاب إلى المعبد .

« وحضر متجها إلى بيت « رع » ودخل المعبد بدعاء عظيم ، وقد تضرع الكاهن رئيس المرتلين للاله أن يصد الثوار عن الملك ثم زار قاعة الصباح لأجل أن يرتدى لباس « سدب »[1] ، وطهر بالبخور والمـاء وقدمت له أكاليل لأجل بيت الهرم الصغير وكذلك أحضرت له الأزهار (١٠٤) . وصعد السلم إلى النافذة العظيمة[2] ليشاهد « رع » فى بيت « بن بن » (الهرم الصغير) ، وقد وقف الملك نفسه منفرداً وكسر المزلاج حين فتح المصراعين وشاهد الوالد « رع » فى بيت « بن بن » الفاخر وسفينة الصباح الخاصة « برع » وسفينة المساء الخاصة « بآتوم » ، ثم أوصد المصراعين ووضع عليهما الطين وختمهما (١٠٥) بخاتم الملك نفسه وكلف الكهنة المطهرين (قائلا) : لقد فحصت الخاتم ولن يسمح لأى فرد آخر أن يدخله من كل الملوك الذين سيأتون ، فانبطحوا على بطونهم أمام جلالته قائلين : ليتك تبق وتستمر دون أن تهلك يا حور محبوب « عين شمس » .

الذهاب لمعبد « آتوم » .

« ثم أتى ودخل فى بيت « آتوم » سائراً خلف (١٠٦) صورة والده « آتوم — خبرى » العظيم صاحب « عين شمس » .

الملك « أوسركون » يقدم خضوعه « لبيعنخى » :

وحضر الملك « أوسركون » ليشاهد بهاء جلالته .

---

(١) لباس « سدب » هو لباس يتمنطق به الملك .

(٢) تشبه مقدمة محراب الإله بالنافذة التى تشبه البلـكون فى القصر حيث يطل منها الملك على الشعب .

الذهاب إلى « أتريب » (بنها الحالية) وضرب الخيام فيها :

وعندما أضاءت الأرض فى الصباح المبكر جداً سار جلالته إلى الميناء ؛ وقد عبرت أحسن سفينة إلى الميناء على الشاطئ (الآخر) إلى ثغر مقاطعة « اتريب » (كاكم) وضرب جلالته خيمته فى الجنوب من « كاهنى » (قها الحالية) الواقعة فى شرقى (١٠٧) مقاطعة « أتريب » (كاكم) و بعد ذلك جاء أولئك الملوك والأمراء الشماليون وكل الرؤساء الذين كانوا يلبسون الريشة وكذلك كل وزير وكل الرؤساء وكل قريب للملك من الغرب ومن الشرق ومن الجزائر الواقعة فى الوسط ليشاهدوا جمال جلالته » .

قبول « بيعنخى » رجاء « بدى أزيس » لزيارة « أتريب » :

وانبطح الأمير الوراثى « بدى أزيس » على بطنه أمام (١٠٨) جلالته وقال : تعال إلى « أتريب » لترى الإله « خنتى خاتى » ولتعبد الإلهة « خويت »[1] ولتقدم قرباناً « لحور » فى معبده من ثيران وعجول ودواجن ولتدخل بيتى ، وان بيت مالى مفتوح لك فابسط (يدك) على أملاك والدى (أى التى ورثتها من أبى) وإنى سأقدم لك ذهباً بقدر مايرغب فيه قلبك أما (١٠٩) الفيروز فإنه سيكدس أمامك ؛ وكذلك جياد عدة من أحسن ما فى الاصطبل وخيرة ما فى الحظيرة » .

الفرعون يزور معبد « حور » فى « أتريب » (بنها الحالية) :

« ثم سار جلالته إلى بيت الإله « حورخنتى خاتت » وهناك قرب ثيرانا وعجولا ودواجن لوالده « حورخنتى خاتى » سيد « كم ور » (بنها) .

الفرعون يدخل قصر الأمير و يتسلم الهدايا :

« و بعد ذلك ذهب جلالته إلى بيت الأمير الوراثى « بدى أزيس » (١١٠) فقدم له فضةوذهباً ولازورداً وفيروزاً بمقدار عظيم من كل شئ ، وملابس من الكتان الملكى من كل عدد من الخيوط (التى تدل على دقة الصنع) وسررا محلاة بالكتان الجميل،

---

(١) « خويت » إلهة كانت تعبد فى « بنها » قديما .

والعطور والمسوح فى أوانى « خبخب » وجيادا من كلا النوعين ذكوراً وأناثاً من أحسن ما فى اصطبله » .

الأمير يقسم أنه لم يخف على الملك شيئا :

« وقد طهر (« بدى أزيس ») نفسه بأن أقسم يميناً مقدسا أمام هؤلاء الملوك والرؤساء العظام (١١١) الشماليين قائلا : إذا كان أى واحد منهم يخفى جياده ويخبئ ما هو واجب عليه فإنه سيموت ميتة والده ، وكذلك سيكون هذا نصيبى أن تشهدوا علىّ (يخاطب أمراء الدلتا) بكل ما تعرفونه عنى ، وقولوا أنتم إذا كنت قد أخفيت أى شئ عن جلالته من كل (١١٢) متاع بيت والدى من ذهب وفضة وأحجار ثمينة من كل أنواع الأوانى ومن الأساور الذهبية والعقود والقلائد المرصعة بالأحجار الغالية ومن التعاويذ الخاصة بكل عضو وأكاليل الرأس وأقراط الآذان وكل زينات خاصة بملك ، وكل الأوانى الخاصة بطهور الملك من ذهب وأحجار ثمينة فإن كل هذه قد قدمتها إلى الحضرة (الملكية) وملابس من الكتان الملكى بالآلاف من أحسن ما فى بيتى مما عرفت أنك ستكون مسروراً بها . واذهب إلى الحظيرة لتختار كما ترغب من الخيل التى تريدها ، وقد فعل جلالته ذلك » .

الأمراء يعودون إلى بلادهم ويقدمون الهدايا للملك :

« ثم قال هؤلاء الملوك والأمراء لجلالته . اصرفنا إلى مدننا حتى نفتح بيوت مالنا (١١٤) لننتخب منها بقدر ما يرغب فيه قلبك ولنحضر لك أحسن ما فى حظائرنا (أى أجود خيلنا) ، وعندئذ فعل جلالته ذلك » .

قائمة بهؤلاء الأمراء :

قائمة بأسماء الأمراء :

(١) الملك « أوسركون » فى « بوبسطه » إقليم « رع نفر » .

(٢) الملك « أوبوت » فى « تنترمو » و « تاعان »

(٣) الأمير الوراثى « زد أمنف عنخ » (١١٥) فى مخزن غلال « رع » التابع لبلدة « ربانبدد » (منديس) .

(٤) بكر أولاد قائد الجيش فى بلدة « تحوت بررحوى » (المسمى) « عنخ حور » .

(٥) الأمير « أكانش » فى « سمنود » (تب نثر) وفى « بهبيت » وفى « سمابحدت » .

(٦) الأمير رئيس مى « باثنف » فى « برسبد » (صفط الحنا) وفى مخزن غلال « منف » .

(٧) (١١٦) الأمير رئيس مى (المسمى) « بمو » فى بيت « أوزير » (بوصير) سيد « دد » .

(٨) الأمير رئيس مى المسمى « نس — ناقدى » فى مقاطعة « حسب » .

(٩) الأمير رئيس مى « نخت — حر — نا — شنو » فى برج « رو — رو » .

(١٠) رئيس مى « بلتاور » .

(١١) رئيس مى « نبتى بخنت » .

(١٢) كاهن « حور » سيد « لتيوبوليس » (أوسيم) المسمى (١١٧) « با — دى حرسماتوى » .

(١٣) الأمير « حوراباس » فى بيت « سخمت » سيدة « سايس » وبيت « سخمت » سيدة « رحساوى » .

(١٤) الأمير « زدخيو » فى « خنت نفر » .

(١٥) الأمير « باباس » فى « خرعحا » فى « برحعب » (بيت النيل) .

ويحملون كلهم جزيتهم (١١٨) الطيبة من ذهب وفضة .... وأسرة مزركشة بالكتان الجميل وكذلك العطور فى (١١٩) أوانى « خبخب » ... بمثابة ضريبة طيبة وجياد (١٢٠) ... » .

عصيان بلدة « مسد » :

« (وبعد عدة أيام) على ذلك أتى إنسان ليقول (١٢١) لجلالته : الـ.. جيش.. جدار . (١٢٢) (خوفاً) منك ، وقد أشعل النار فى بيت ماله و (فى المراكب التى) على النهر (١٢٣) وحاصر « مسد » (مكان غير معروف) بالجنود و ... ثم جعل جلالته جنوده يذهبون (١٢٤) ايروا ما قد حدث هناك بين قوة الأمير الوراثى « بدى أزيس » . وقد حضر إنسان ليخبر جلالته (١٢٥) قائلا : لقد ذبحنا كل رجل وجدناه هناك وقد منحها جلالته هدية (١٢٦) للأمير الوراثى «بدى أزيس» .

رسالة « تفنخت » بالاستسلام :

« وقد سمع رئيس مى « تفنخت » بذلك وجعل (١٢٧) رسولا يحضر إلى المكان الذى كان فيه جلالته وقال ممالقاً : كن مرتاحاً ! إنى لم أر وجهك (١٢٨) بسبب الخجل ، على أنه لا يمكننى أن أقف أمام لهيبك ، وإنى أرتعد من هيبتك . تأمل وانك « نبتى » (= الإله ست) المهيمن على الأرض الجنوبية و « منتو » صاحب الساعد القوى ، وإن أية مدينة تولى وجهك نحوها ، فإنك لن تجدنى حتى أصل إلى جزائر (١٣٠) البحر مرتجفاً أمام جبروتك قائلا : إن لهيبه معاد لى . ألم (١٣١) يهدأ قلب جلالتك بهذا الذى فعلته ضدى؟ والواقع أنى رجل تعس وينبغى ألا تضربنى على حسب مقدار الجريمة وازنا (١٣٢) بالموازين ومقدراً بالقدات . لقد ضاعفتها لى ثلاثة أضعاف (أى الجرائم) فاترك البذرة لأجل أن تدخرها للوقت المناسب ، ولا تجتث الأشجار (١٣٣) من جذورها . وبحياة حضرتك إن خوفك فى جسمى ، والرعب منك فى عظامى ، وإنى لم أجلس فى (١٣٤) فى حانة الجعة ولم يضرب على العود أمامى ، بل لقد أكلت الخبز جوعا وشربت (١٣٥) الماء عطشا منذ ذلك

اليوم الذى سممت فيه باسمى ، وأن المرض فى عظامى ، ورأسى عار ، وملابسى قذرة (١٣٦) حتى ترضى الإلهة « نيت » (= إلهة مقرونة بشرب الدماء) عنى ، وإن الشوط الذى جلبته على طويل وإن وجهك ضدى ؟ ؟ .. (١٣٧) وأن السنة قد قضت على نفسى فطهر خادمك من خطيئته ، ودع ممتلكاتى تسلم للخزانة من (١٣٨) ذهب وكل حجر ثمين وأحسن الجياد والفدية عن كل شئ . أرسل (١٣٩) إلى رسولا بسرعة ليذهب عن قلبى الخوف ودعنى أذهب أمامه إلى المعبد حتى أطهر نفسى بميثاق مقدس » .

« تفنخت » يعقد يمين الطاعة :

« (١٤٠) وأرسل جلالته رئيس المرتلين « بدى — أمن — نستاوى » ورئيس الجيش « بورما » (١٤١) فأهدى إليه (أى « تفنخت ») فضة وذهبا وملابس وكل أحجار ثمينة ثم ذهب إلى المعبد وصلى للاله (١٤٢) وطهر نفسه بقسم مقدس قائلا : إنى لن أتعدى أمر الملك (١٤٣) ولن أتخطى ما يقوله الملك ، ولن أفعل شيئا معاديا ضد أمير دون علمك ، وإنى سأفعل على حسب ما يقوله (١٤٤) الملك وإنى ان أتعدى ما أمر به وعندئذ كان جلالته راضيا .

خضوع آخر مدن لم تكن قد أخضعت بعد :

« وأتى إنسان ليقول (١٤٥) لجلالته : إن معبد « سبك » قد فتح حصنه ، وقد انبطحت « متنو » على بطنها ولم تبق (١٤٦) مقاطعة مغلقة أمام جلالته من مقاطعات الجنوب والشمال والشرق والغرب والجزر التى فى الوسط إلا انبطحت على بطنها خوفاً منه ، و (١٤٧) جعلت ممتلكاتها تقدم فى المكان الذى فيه جلالته بمثابة رعايا للقصر » .

« وعند ما أضاءت الأرض فى الصباح المبكر (١٤٨) حضر هذان الحاكمان للجنوب والشمال (أى « نمروت » وملك الفيوم ؟) وعلى جبينيهما الصلان ليلثما الأرض أمام

عظمة (١٤٩) جلالته ، فى حين أنه من جهة هؤلاء الملوك والأمراء أصحاب الأرض الشمالية الذين أتوا ليشاهدوا بهاء جلالته فإن أرجلهم (١٥٠) كانت كأرجل السيدات ولم يدخلوا بيت الملك (١٥١) لأنهم كانوا نجسين (لم يختنوا) ومن أكلة السمك الذى يعد لعنة للقصر (١٥٢) تأمل ، إن الملك «نمروت» قد دخل بيت الملك لأنه كان مطهراً لا يأكل السمك وقد وقف هناك ثلاثة (١٥٣) على أرجلهم (ولكن) دخل واحد فقط بيت الملك » .

عودة الملك « بيعنخى » إلى الجنوب :

« وبعد ذلك حملت السفن بالفضة والذهب والنحاس (١٥٤) والملابس وكل شئ من أرض الشمال وكل محصولات « سوريا » وكل الأخشاب الحلوة من أرض الإ له ثم أقلع (١٥٥) جلالته جنوباً بقلب منشرح ، وكان شاطئا النهر من الجانبين يهللان . وقد قبضوا غرباً وشرقاً . . (١٥٦) مهللين فى حضرة جلالته مغنين ومهللين عند ما كانوا يقولون يأيها الحاكم الشجاع (١٥٧) يا « بيعنخى » يأيها الحاكم الشجاع إنك تأتى وقد كسبت ملك الأرض الشمالية . لقد حولت الثيران (١٥٨) نسوة . ما أسعد قلب الأم التى حملتك والأب الذى أنجبك وان أولئك الذين فى الوادى يقدمون الثناء للبقرة (١٥٩) التى حملت ثورا ، و إنك ستبقى إلى الأبدية وان عظمتك تمكث يأيها الحاكم محبوب « طيبة » » .

تعليق وشرح للوحة « بيعنخى »

لا نزاع فى أن من يقرأ متن لوحة الملك « بيعنخى » بإمعان و يقرنها بالمتون المصرية الأخرى، حتى التى من عهد ازدهار الدولة الحديثة، يجد اختلافاً بيناً من حيث سرد الوقائع وما فيها من هدوء فى التعبير و بساطة فى الشرح وخلو من المغالاة التى نجدها فى الوثائق المصرية التى من هذا النوع ، على أنه من الجائز أن السبب فى ذلك قد يرجع إلى الدم الأجنبى الكوشى الذى كان يجرى فى عروق أولئك القوم النشطين المحبين للحرب مما جعلهم يخلدون على لوحات انتصاراتهم — على الرغم من تمسكهم الشديد بالتقاليد الفرعونية — مقداراً عظيما من التفاصيل المبهمة والمظاهر المتعلقة بطبائعهم وأمزجتهم الشخصية مما لا نجده فى تواريخ العصور التى سبقت عصرهم وهى التى كانت تحتوى على ألفاظ ملؤها الزهو والغرور والفخر الكاذب ؛ حقاً إن « تحتمس الثالث » و « رعمسيس الثانى » قد قصا علينا أعمالهما العظيمة بصورة أقل ركاكة بكثير عن معظم مواطنيهما من الملوك ولكن مَن مِن أبناء عصرنا من المؤرخين والأثريين يفضل قصصهم على ما جاء فى لوحة الفاتح الكوشى « بيعنخى » . والواقع أن كل ما جاء فى هذه اللوحة يجعلها مفضلة على كل ما كتبه هؤلاء الفراعنة بوجه عام ، ولست مبالغاً إذا قررت هنا أن متن لوحة « بيعنخى » يقدّم لنا صفحة من أمجد الصفحات فى تاريخ مصر فى العصر الذى نبحث فيه ، فالمتن لا يحتوى على معلومات تاريخية قيمة وحسب ، بل فى الواقع يعد سجلا حافلا بالمعلومات الجغرافية والاجتماعية والدينية والخلقية ، كما يكشف لنا عن نواح خاصة بالملك « بيعنخى » ومهارته ، ولكن مما يؤسف له جدّ الأسف أن هذه اللوحة لا تكشف لنا إلا عن الناحية الكوشية وحسب ، ولم نسمع من الجانب المصرى كلمة واحدة لنتمكن من الموازنة بين الجانبين إذ قد صمتت الآثار عن ذلك صمتا تاما فلم نعثر على متن واحد لمصرى فى هذا العهد ، وكل ما نعرفه عن المصريين فى الحرب التى قامت بينهم وبين

« بيعنخى » هو ما ذكره لنا كاتب لوحة هذا الفاتح فقط ، ومع ذلك أمكننا أن نلتقط من بين السطور أنه كان يوجد بينهم أبطال يحبون بلادهم ويدافعون عنها دفاع المستميت حتى تشل حركتهم ويضطرون إلى التسليم قهرا ، ولا أدل على ذلك مما أتاه « تفنخت » من ضروب الشجاعة والصبر وبعد الحيلة وحسن القيادة التى لولا ظهور « بيعنخى » لعدّ من بين الفاتحين العظام والساسة الممتازين .

وسنحاول هنا أن نتتبع سير الحوادث فى الحروب التى نشبت بين « بيعنخى » وبين «تفنخت» ملك «سايس» إلى أن ضيق الخناق على الأخير واضطر إلى التسليم ، ولكن بعد أن سدّت فى وجهه كل السبل .

لما مات الملك « كشتا » حوالى عام ٧٥١ ق . م . خلفه على عرش الملك ابنه « بيعنخى » وسنرى أنه كان صاحب نشاط كبير وعزم صادق ، وتدل شواهد الأحوال على أنه حكم « طيبة » مدة عشرين سنة فى سلام وهو فى عاصمة ملكه فى « نباتا » . وقد شجعه على فتح الدلتا ومصر الوسطى على ما يظهر موت « شيشنق الرابع » وما نتج عنه من سوء الحال فى الدلتا على القيام بالمطالبة بوحدة وادى النيل وتوحيد كلمة البلاد تحت سلطانه من جديد من « نباتا » عاصمة ملكه جنوبا حتى البحر الأبيض المتوسط شمالا . وقد اتخذ سبباً لذلك ازدياد قوة « تفنخت » الذى أصبح جنوده خطراً يهدد مقاطعة « طيبة » نفسها ، وقد كان معترفاً « بتفنخت » ملكا على البلاد فى الشمال خلفا للملك « شيشنق الرابع » ، وعلى ذلك فإن «تفنخت» وخلفه «بكنرنف» (بوكاريس) يعدّان فى القائمة التى وصلت إلينا عن « مانيتون » الملكين[(١)] اللذين تتألف منهما الأسرة الرابعة والعشرون . وتدل شواهد الأحوال على أن «تفنخت» كان يقصد توحيد البلاد من جديد تحت سلطانه بتأسيس أسرة جديدة فتية .

---

(١) Tnephachates and Bocchores

وكان ينافس « تفنخت » هذا فى تلك الفترة المضطربة من تاريخ مصر أمراء كثيرون اتخذ كل منهم لقب ملك غير أن منافسه الأكبر كان « نمروت » ملك « الأشمونين » ، أما الملك المسمى « أوسركون » فلم يكن إلا لعبة هينة وكان منزويا فى إقليم « تل بسطه » وما جاوره على ما يظهر ، وكان معه رؤساء آخرون من رؤساء « مى » وغيرهم نخص بالذكر منهم أمير « خرعحا » (مصر العتيقة) وملك « أتريب » وأمير « بوصير » وأمير « صفط الحنا » وأمير « منديس » وأمير « سمنود » وغيرهم مما سنذكرهم بعد . ومعظم هؤلاء الأمراء كانوا من أصل لوبى ينتمون إلى ملوك الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين وقد أخذ « تفنخت » فى مد نفوذه نحو الجنوب إلى أن أصبح خطراً يهدد « طيبة » عاصمة ملك « بيعنخى » فى مصر وهو الذى كان وقتئذ يقطن فى عاصمة ملكه « نباتا » فى بلاد السودان ؛ وعندما شعر بهذا الخطر قائدا أجناده فى مصر وهما « بورما » « ولمرسكنى » طلبا إلى الملك السماح لهما بالزحف بجيوشهما لوقف زحف العدو عند حد بعد أن أوضحا له الموقف بالضبط كما جاء فى اللوحة التى أقامها فيما بعد هذا الفرعون فى « نباتا » تذكاراً لهذه الحروب وهى التى كان من نتائجها أن أصبح « بيعنخى » يسيطر على مصر كلها وبلاد السودان حتى الشلال الرابع . ويقص المتن الذى على اللوحة أنه قد جاء « لبيعنخى » رسول من عند قواده يخبره أن « تفنخت » المسيطر على الأراضى الواقعة غربى الدلتا وأمير بلدة « نثر » (بهبيت الحالية) قد استولى على مقاطعات فى الدلتا نذكر منها « سخا » ثم انحدر جنوباً فى الدلتا واستولى على « برحعبى » (وهى أثر النبى الواقعة على مسافة كيلومتر جنوبى « مصر العتيقة ») وكذا أخذ « عن » أو « عيان » القريبة من « الجيزة » ثم صعد جنوباً واستولى على « بر — تب — نب — أح » وهى « أطفيح » الحالية الواقعة على الشاطئ الأيمن للنيل قبالة «ميدوم» وهى عاصمة المقاطعة الثانية والعشرين من مقاطعات الوجه القبلى ، وكانت تقدس فيها البقرة « حتحور » ربة الجمال ولذلك أطلق عليها « أفروديتوبوليس » عند اليونان ،

ثم استولى على « منف » القديمة (الجدار الأبيض) . والواقع أنه قد أصبح صاحب السلطان على كل الأراضى الواقعة غربى النيل من أول مستنقعات الدلتا حتى بلدة « اللشت » (مركز العياط) وكان يساعده فى تنفيذ فتوحه هذه جيش جرار يسير هو على رأسه ، هذا إلى أن البلاد التى كان يفتحها « تفنخت » هذا كانت تنضم إلى لوائه وتدين له بالطاعة مما جعل كل البلاد من ورائه موحدة وحكامها طوع بنانه ، ولذلك أخذ يزحف على مصر الوسطى ، فاستولى على « ميدوم » وعلى بلدة « برسخم خبررع » القريبة من مدخل « الفيوم » وبلدة « الفيوم » نفسها (برسبك) وبلدة « البهنسا » وبلدة « تكنتاش » وهى « دقناش » الحالية الواقعة بالقرب من غربى « ببا » وكذلك نجد أن كل البلاد الواقعة فى غربى النيل فى هذه الجهة قد فتحت أبوابها خوفا منه ، أى أن هذه البلاد كلها قد سلمت له بدون قيد ولا شرط ، وبعد ذلك عاد هذا الأمير إلى مقاطعات الشرق المقابلة لما فتحه غربا واستولى عليها دون حرب أو نزال إذ فتحت له أبوابها فاستولى على أربعة بلاد وهى (١) « حت بنو » وتعد عاصمة المقاطعة الثانية عشرة من مقاطعات الوجه القبلى وتقع على مقربة من « شارونة » على الشاطئ الأيمن للنيل (٢) و « تايوراى » وتقع مكان « الحيبة » الحالية (مركز الفشن) على مسافة ٢٣ كيلومترا شمالى « شارونه » (٣) و « حت نسو » وهى بلدة « الكوم الأحمر سويرس » (مركز بنى سويف) الواقعة على الشاطئ الأيمن للنيل على مسافة خمسة كيلومترات جنوبى « شارونة » (٤) و « أطفيح » وتقع على مسافة ٧٩ كيلومترا شمالى « الحيبة » . وإذا دققنا فى ترتيب فتح هذه المدن الشرقية وما يقابلها من المدن الغربية التى فتحها « بيعنخى » وجدنا أن الترتيب فى الفتح من الجنوب إلى الشمال لم يرتب جغرافيا بدقة إذ قد وضعت « حت نسو » (الكوم الأحمر) فى غير مكانها التسلسلى الطبعى وقد حدث مثل ذلك على ما يظن فى لوحة « بيعنخى » عند ذكر الأسماء التى فتحها بالتسلسل على الشاطئ الغربى التى ذكرناها من الشمال إلى الجنوب إذ قد وضع « البهنسا » بعد « دقناش » .

ويذكر لنا بعد ذلك الرسول الذى حمل الرسالة إلى « بيعنخى » عن الأحداث فى مصر أن « تفنخت » أخذ من ثم فى حصار « اهناسية المدينة » وأحاط بها من كل جوانبها فلم يجعل أحداً يخرج منها أو يدخل فيها وفى ذلك من المهارة الحربية ما فيه إذ بهذا الإجراء ضمن سرية الحصار وعدم الاتصال بالعدو من الخارج .

وبعد ذلك أخذ « تفنخت » يذرع الأرض حوالى المدينة ووضع كل أمير فى مكانه الذى يدافع عنه ، وجعل كل رجل وكل حاكم يلزم القسم الخاص به من المدينة للدفاع عنه ؛ كل ذلك كان يجرى وقد سمع أبه « بيعنخى » من الرسول بقلب كبير منشرح ووجه باسم وهو فى كل ذلك يرى أن الوقت لم يكن قد حان بعد لمنازلة عدوه ولكن عظماء رجاله وكبار قواده الذين كانوا يرابطون فى أماكنهم كانوا لا يفتئون يرسلون إليه عن خطر الموقف ويسألونه هل صمت متجاهلا أرض الجنوب التى كانت تابعة للملكه وقد أخذ « تفنخت » يمعن فى الاستيلاء عليها دون أن يجد من يصده ؟ .

غير أن الموقف قد ازداد سوءاً عندما انضم « نمروت » ملك « حت ورت » (« هور » الحالية القريبة من مدينة « الأشمونين ») إلى « تفنخت » وقد كان مواليا من قبل للملك « بيعنخى » وقد تغالى فى ولائه « لتفنخت » لدرجة أنه هدم جدران مدينته رغبة فى إرضاء الغازى ؛ ولكن أمام هذه الأخبار المزعجة كتب « بيعنخى » لقواده الذين كانوا بالفعل فى مصر يأمرهم أن يحاصروا « الأشمونين » ؛ وفى الوقت نفسه كان يعد هو جيشا آخر ليرسله لمصر من « نباتا » عاصمة بلاد « كوش » الواقعة عند الشلال الرابع فاستمع إلى تلك الفقرة الهامة التى جاءت على لوحته وهى التى يوجه فيها جيوشه وقواده[١] :

« وعندئذ أرسل جلالته جيشاً إلى مصر قائلا لجنوده : لا تهاجموا العدو ليلا على حسب طريقة لاعبى الشطرنج ، ولكن حاربوا عندما يمكن أن تروا (العدو) ،

---

(١) راجع J. E. A. Vol. XXI. P. 219 ترجمة الأستاذ « جاردنر » وهى تخالف كل التراجم السابقة إذ تقلب المعنى .

واطلبوا (العدو) للوقعة من بعيد وإذا طلبكم (للحرب) فانتظروا المشاة والفرسان من مدينة أخرى ، وانتظروا هادئين حتى تأتى جنوده وحاربوه فقط عندما يطلب منازلتكم ، وفضلا عن ذلك إذا كان حلفاؤه فى مدينة أخرى فاعملوا على انتظارهم ؛ وعليكم أن تطلبوا إلى ساحة القتال مقدما ما يمكن أن يساعد من الأمراء أو أى جنود يوثق بهم من اللوبيين قائلين لهم : « أنت » لأننا لا نعرف من يخاطب عند اصطفاف الجيش . أسرج أحسن جواد فى حظيرتك واصطف للوقعة . وعليك أن تعرف أن « آمون » هو الإله الذى أرسلنا » .

وبعبارة أخرى نفهم من هذه الفقرة أن « بيعنخى » يأمر جيشه أن يعطى العدو اختيار الزمان والمكان لأجل الحرب، لذلك كان لزاما أن يسمح بمهلة تمكن مساعدى « تفنخت » من أن يصلوا إلى مكان القتال ، هذا كما كان لزاما أن ينبهوا مقدماً بوقت كاف قبل أن ينقضوا عليهم بأى هجوم ، والسطر الأخير من هذه الفقرة يكشف عن الأسباب التى دعت إلى إسداء هذه النصيحة الغريبة من الوجهة الحربية وهو : « عليك أن تعرف أنت أن « آمون » هو الإله الذى أرسلنا » (فهو كفيل بالنصر) .

وإذا كان مثل هذا الأمر الذى أصدره « بيعنخى » قد قصد منه معناه الحرفى جدياً فإنه فى الواقع يعد نطقاً لم يسبق له مثيل من رجل حرب مدرب ، وذلك لأن أول مبدأ فى فنون القيادة الحربية ألا يستهين القائد بقوة العدو أولا . ولا شك فى أنه يعد من التجديد الهام أن تعطى الفرصة عن قصد للعدو ليحدد شروطه هو للوقعة التى سيشنها ، ولكن يجب أن نتجاوز بعض الشئ عما جاء فى هذا الأمر لأنه قد كتب على لوحة انتصار أقيمت فى تاريخ جاء بعد تسليم «تفنخت» بدون قيد أو شرط . وعلى أية حال لو اعتبرت كلمات « بيعنخى » أنها تعبير بلاغى (أى كلامى) فإنها على أقل تقدير تحمل فى طياتها شهادة بشجاعته العالية وتقواه العميق ؛ وهذه الفقرة تتفق فى هذا الصدد مع ما جاء فى سائر اللوحة إذ كما ذكرنا

من قبل نعلم أنه عندما سمع فى بادئ الأمر بثورة « تفنخت » فإنه تقبلها بقلب عال وسن ضاحك وأب منشرح . هذا وتدل الفقرة التى تعقب الفقرة التى ترجمناها على اعتقاده العميق فى ربه فاستمع إليه وهو يقول :

« وعندما تصلون إلى « طيبة » قبالة « الكرنك » فانزلوا إلى الماء وطهروا أنفسكم فى النهر وأظهروا أنفسكم فى ملابس كتان نظيفة وشدوا القوس وارموا بالسهم ولا تفخروا بأنكم أرباب القوة لأنه بدونه لا تكون لشجاع قوة ، إذ قد يجعل القوى ضعيفاً وبذلك تفر الكثرة أمام القلة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) ، وإن رجلا واحداً قد يستولى على ألف رجل . اغسلوا أنفسكم بماء قربانه ، وقبلوا الأرض أمام محياه ، وقولوا له امنحنا سواء السبيل حتى نستطيع أن نحارب، تحت ظل سيفك القوى . أما الشبان الذين أرسلتهم فإن النصر سيكتب لهم وسيروع الكثيرون منهم » .

وبطبيعة الحال قابل رجال الجيش هذه النصائح بالثناء العاطر على الملك وعلى شجاعته وقالوا له : «إنه لا يتغلب جيش يكون قائده مخنث » .

وبعد ذلك سار الجيش من « طيبة » منحدراً فى النهر ولكنهم رأوا جيش العدو فى أسطول عظيم معد بالرجال والعتاد الاقاة جيش « بيعنخى » وقد نشبت بين الفريقين مذبحة عظيمة كانت الغلبة فيها للكوشيين إذ استولوا على جنود أعدائهم وسفنهم وساقوا الأسرى إلى جلالته فى « نباتا » مقر ملكه .

وبعد هذا النصر زحف الجيش الكوشى حتى وصل إلى مشارف « أهناسية المدينة » يريد منازلة العدو الذى كان قد حشد جموعه هناك وكان « تفنخت » كاهن الإلهة « نيت » وحاكم مدينة « سايس » والكاهن الأعظم للاله « بتاح » على رأس حلف يتألف من أمراء الشمال وهم الملك « نمروت » السالف الذكر الذى انضم إليه مؤخراً ثم الملك «أو بوت » ورئيس «مى» حاكم «بوصير» ورئيس «مى» العظيم المسمى

« زد أمون أوف عنخ » حاكم « منديس » (« تل الربع » الحالية مركز السنبلاوين) ومعه بكر أولاده الذى كان قائدا لجيش « برتحوتى — وب — رحوى » (أى مسكن الإله تحوت الحكم بين الرجلين أى بين « حور » و « ست ») ، وهذه المدينة هى العاصمة المقدسة للمقاطعة الخامسة عشرة من الوجه البحرى وقد وحدها « دارسى » « بتل البقلية » الواقع جنوبى « المنصورة »[1] وجيش الأمير الوراثى « باكنفى » ومعه بكر أولاد رئيس «مى» المسمى « نس — ناعاى » فى مقاطعة « حسب » أى فى المقاطعة الحادية عشرة من مقاطعات الوجه البحرى وعاصمتها « الشباسية » الحالية القريبة من « هربيط »[2] ، هذا إلى كل رئيس يحمل الريشة من الذين كانوا يحكمون فى أرض الشمال . والمقصود بذلك هم الأمراء اللوبيون الذين كانوا مسيطرين على البلاد فى تلك الفترة على غرار المماليك قبل عهد محمد على مباشرة ، هذا إلى الملك « أوسركون » الذى كان يحكم الآن فى « بوبسطه » وإقليم « نفررع » القريب من « تل بسطة » ، ويحتمل أنه هو « أوسركون الرابع » . يضاف إلى هؤلاء كل الأمراء والحكام الذين كانوا يسيطرون على مدن مسورة ، أى كان لهم جيوش فى شرقى الدلتا وغربيها ووسطها . وقد كانوا يداً واحدة لملاقاة عدوهم « بيعنخى » الذى كان يريد أن يستولى على بلادهم ويحرمهم استقلالهم . وقد نشبت المعركة بين الفريقين قبالة « أهناسية المدينة » وحدثت مذبحة عظيمة مات فيها كثيرون كما يقول المتن الكوشى بعدد لم يعرف له مثيل من قبل ، واستولى الكوشيون على سفن الحلف التى كانت فى النهر وقد عبر فلول الجيش المصرى النهر وأقاموا معسكرهم هناك على الشاطئ الأيمن بالقرب من بلدة تدعى « بريج » وقد وحدت هذه البلدة بقرية « البكى » أو « البكا » التى تقع فى الشمال الغربى من « الفشن » . وفى اليوم التالى لذلك عبر جيش « بيعنخى » النهر والتحم بالعدو وقتل من رجاله كثيرين وخيلا لا يحصى عددها وقد فر فلول الجيش مرة أخرى نحو الشمال بسبب

---

(١) راجع D. G., II p. 141

(٢) راجع أقسام مصر الجغرافية ص ٩١

ما أصابهم من خسائر . والظاهر أن القتلى بينهم كانوا كثيرين فقد عملت بهم قائمة غير أن الحفار ترك مكان الأرقام خالياً .

وقد هرب « نمروت » بعد هزيمة جيشه صاعداً فى النيل عند ما قيل له إن « الأشمونين » قد أصبحت فى وسط جيش الأعداء فدخلها فى أثناء أن كان جيش « بيعنخى » راسياً فى ميناء مقاطعة « الأرنب » (المقاطعة الخامسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى أى « الأشمونين ») وعندما سمع قواد « بيعنخى » بذلك حاصروا المدينة من جوانبها الأربعة فلم يسمحوا لأحد بالدخول فيها أو الخروج منها . ثم أرسل القواد إلى « بيعنخى » عن المواقع التى نشبت بينهم وبين العدو وعن الانتصارات التى أحرزوها . وعند ما سمع « بيعنخى » بأنهم لم يقضوا على فلول جيش العدو وأنهم رجعوا ثانية لمحاصرة « الأشمونين » غضب غضباً شديداً وهاج كأنه فهد الجنوب فى ثورته وبخاصة أن جيش الأعداء قد أفلت منهم وعاد إلى الدلتا وقد كان ذلك فى نهاية السنة الواحدة والعشرين وهو الوقت الذى عقد فيه العزم « بيعنخى » على أن يسير بنفسه إلى « طيبة » بعد الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة فى « نباتا » ، وفى « طيبة » نفسها أقيم عيد « إبت » للاله « آمون » (عيد « الأقصر ») فى الشهر الثالث ثم قاد الحملة بنفسه على « تفنخت » وحلفائه فى الشمال . ويجب أن نشير هنا إلى أن الإله « آمون » كان هو أكبر معبود عند الكوشيين ولا غرابة فى ذلك فإن ما لدينا من آثار يدل دلالة واضحة على أن هذا الإله كان يعبد فى « نباتا » منذ الأسرة الثامنة عشرة وأن كهنته على ما يظهر قد توارثوا وظائفهم فى معبد « نباتا » حتى العهد الكوشى ، فالرابطة الدينية إذاً بين البلدين كانت قوية وبخاصة بين « طيبة » و « نباتا » ؛ وليس هناك ما يدهش أن نرى الأحفال التى كانت تقام « لآمون » فى « نباتا » هى نفس الأحفال التى كانت تقام له فى « طيبة » ، وربما كانت هذه الرابطة الدينية من الأمور التى سهلت « لبيعنخى » احتلال البلاد دون كبير عناء وبخاصة أنه كان ملكا متديناً صالحاً رحيماً .

وفى خلال تلك الفترة التى عزم فيها « بيعنخى » على قيادة الجيش بنفسه كان قواده يضاعفون هممهم لمد نفوذ مليكهم فى أنحاء البلاد وبخاصة بعد ما علموا بغضبه عليهم ، ومن أجل ذلك انقضوا على بلدة «البهنسا» بجيوشهم كالطوفان واستولوا عليها وأرسلوا إلى « بيعنخى » ليخبروه بهذا النصر ، ولكنه لم يرض بذلك . فضاعف الجيش همته كرة أخرى وزحف على بلدة « طهنا » (مركز المنيا) وقد وجد قواد « بيعنخى » أنها محتشدة بالجنود الشجعان الأشداء من أجناد الشمال وقد قاومتهم المدينة فرموها بالمنجنيق حتى هدمت جدرانها ثم وقعت مذبحة قتل فيها عدد عظيم من رجال « تفنخت » وحلفائه وكان من بين القتلى ابن رئيس مى « تفنخت » ، وفى النهاية استولوا عليها وأرسلوا إلى « بيعنخى » يبشرونه بهذا الانتصار ولكن ذلك لم يشف غلته أيضاً . فاندفعوا إلى «حت بنو » (زاوية الميتين الحالية) عاصمة المقاطعة السادسة عشرة من مقاطعات الوجه القبلى وتقع على مقربة من بلدة « شارونة »[1] فدخلها جيش « بيعنخى » وأخبروا الملك بذلك غير أن هذا النصر لم يشف له غلة أيضاً .

وفى الشهر الأول من فصل الفيضان اليوم التاسع من الشهر دخل « بيعنخى » طيبة واحتفل بعيد «أبت» (عيد الأقصر) ثم زحف بجيشه شمالا إلى «الأشمونين» ، وعندما وصل إلى هذه البلدة التى كانت محاصرة خرج من حجرة سفينته وكانت عربته فى انتظاره وعند ما ركبها دب الرعب فى قلوب الأعداء فى كل البلاد حتى وصل هذا الخوف إلى بلاد آسيا نفسها (كما يقول المتن) وكان كل قلب ينوء تحت عبء من الذعر . وعند ما اجتمع بجيشه فى ساحة الوغى أخذ ينهال عليهم بالتوبيخ ويكيل لهم اللوم والتأنيب وهو فى ثورة غضبه فقال لهم : «هل معنى ثباتكم فى الحروب هو التراخى فيما أمرت به ؟ هل بلغ العام نهايته عند ما كان الخوف منى نفذ إلى أرض الشمال ؟ لا عليكم سأضربهم ضربة مؤلمة جبارة»[2] . وعلى أثر ذلك ضرب لنفسه معسكراً فى

(١) راجع أقسام مصر الجغرافية ص ٦٣

(٢) هذا التوبيخ يذكر بما جاء على لسان رعمسيس الثانى فى موقعة قادش عندما أخذ يقرع جنوده الذين خذلوه وفروا منه (راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٥٦ الخ) .

الجنوب الغربى من « الأشمونين » وحاصرها يوميا . ثم أخذ فى إقامة جسر ليحيط بجدران المدينة حتى لا يخرج منها أحد ، وبنى برجا ليضع فيه الرماة ليتسع لهم المجال عند ما يفوقون سهامهم على العدو فى داخل المدينة ، وكذلك ليتمكن الضاربون بالمقلاع من الإصابة عند ما يرجمون الأهالى فى الداخل بالحجارة .

وقد نتج عن ذلك أن مات كثيرون يوميا . ولم تمض مدة طويلة على هذا الحصار القوى حتى طلب أهل المدينة الأمان واستسلموا ، غير أن « بيعنخى » بقى متعنتا . والواقع أن الحصار الذى أقامه « بيعنخى » قد تسبب فى موت أناس كثيرين دون أن يدفنوا فأنتنت «الأشمونين» وتصاعدت منها روائح كريهة ، فلم يسع الأهلون أمام هذا العذاب والخراب إلا أن يسجدوا أمام « بيعنخى » طالبين منه العفو ، وخرج الرسل إلى « بيعنخى » يستغفرونه حاملين إليه كل ما طاب وغلا ثمنه فى المدينة من ذهب وأحجار فاخرة ثمينة وملابس وضعت فى صناديق وحتى التاج الذى كان على رأس « نمروت » أمير المدينة قدم هدية له ، وقد استمروا على ذلك أياما طالبين العفو ومقدمين فدية لذلك تاج الملك نفسه ، ولكن كل ذلك لم يجد نفعا ، ولما أعيتهم الحيل أرسلوا زوج الملك « نمروت » وابنته تطلبان التوسط عند زوج الملك فى طلب العفو عن « نمروت » ثم قدم له « نمروت » هدايا ، وجاء هو بنفسه بعد ذلك فنهره الملك قائلا له : « من أتى بك إلى هنا » وكرر هذه العبارة عدة مرات ثم أخذ يوبخه .

وبعد فراغ الملك من هذا اللوم ، سجد « نمروت » أمامه على الأرض وأخذ يتقرب إليه زلفى بعبارات تدل على الذلة والمسكنة وقال له إنه واحد من عبيده مستعد لتقديم الجزية ، وأنه فى الوقت نفسه أحضر له كثيراً من الذهب والفضة واللازورد والفيروز وغير ذلك من الأشياء التى ملأ بها خزانته ، ثم أحضر جواداً فى يده اليمنى وصناجة فى يده اليسرى من الذهب — كما يشاهد ذلك فى المنظر الذى رسم فى أعلى اللوحة التى نحن بصددها الآن — وبعد أن تم الصلح بين الفريقين دخل

« بيعنخى » « الأشمونين » فزار معبد الإله «تحوت» أعظم آلهة هذه المدينة وقدم له القربان من كل نوع كما قدم لآلهة « الأشمونين » الثمانية فى معبدها ، وقد رحب الأهلون بالملك أيما ترحيب ، ثم زار «بيعنخى» بعد ذلك قصر « نمروت» ودخل كل حجرة فيه كما زار بيت ماله ومخازن غلاله ، ثم أمر أن تمثل أمامه زوجات «نمروت» وبناته وصافحهن جلالته على طريقة النساء ، ولكن جلالته لم ينظر لواحدة منهن(١) وجهاً لوجه تعففاً واستحياء وصلاحا . وهذا ما لم نسمع به من قبل فى النقوش المصرية القديمة .

وبعد أن فرغ من زيارة القصر وبيت المال ولى وجهه شطر حظائر الخيل والمهارى غير أنه عندما رأى الجياد نحيلة الجسم هزيلة المنظر تألم أشد الألم لأن هذا الهزال نتيجة ما أصابها من الجوع وقال « لنمروت » إن تألمى لهذه الجياد كان أشد من تألمى لأى شئ آخر عملته لتنفيذ غرضك(٢) . ثم أخذ يوبخه على ذلك بقوله ألم تعلم أن ظل الله فوقى وأن حظى لن يولى بسببه ؟ ثم أخذ يفهمه أن الله هو الذى يوجهه فى كل أعماله وفعاله . ولا غرابة أن ترى هنا « بيعنخى » يتألم لجوع الخيل وهزالها فإنا سنرى بعد أنه كان هو وملوك أسرته يعنون بالخيل عناية كبيرة ويقيمون لها المقابر الفخمة المجهزة بالأثاث الثمين وبجوار مقابرهم أنفسهم .

وبعد أن فرغ « بيعنخى » من كل هذه الزيارات وزع متاع « نمروت » فأعطيت أملاكه للخزانة العامة وحبست غلاله على القربات المقدسة « لآمون » « بالكرنك » .

وعلى أثر هذه الانتصارات جاء ملك « اهناسيا المدينة » «بفنفدبباست(٣) » إلى « بيعنخى » يقدم له خضوعه واستسلامه دون قيد ولا شرط ، وتدل شواهد الأحوال

(١) ترجم مكادم هذه العبارة بصورة أخرى فقال : وهن (أى نساء نمروت) سلمن على جلالته على طريقة النساء ولم يقل جلالته لهن لا ، وهذا يقارب المعنى الذى أوردناه فى الترجمة الأصلية . راجع Macadam Kawa I, Text VI. P. 40

(٢) وقد فات « بيعنخى » أن سبب هزال الخيل كان راجعاً لطول الحصار وعدم إمكان تقديم العلف لها من خارج المدينة .

(٣) راجع ما كتب عن هذا الملك فى الجزء التاسع من « مصر القديمة » ص ٣٤٩ — ٣٥٠ ، ٤٢٥ — ٤٢٦

على أنه كان من الخارجين على « تفنخت » والموالين « لبيعنخى » ولذلك حضر إليه بهدايا عظيمة من الذهب والفضة وكل أنواع الأحجار الكريمة وجياد من خير ما فى حظيرته .

والظاهر أن تربية الخيل والاعتناء بها كانت شائعة فى هذا الوقت كما تدل على ذلك الوثائق ، ولا غرابة فى أن تكون الفروسية شائعة فى ذلك الوقت عند حكام الاقطاع إذ كانوا يعتمدون على الحروب لحفظ كيانهم وهذا نفس ما نلحظه عند المماليك فى العهد الذى سبق عصر « محمد على » إذ كانت الخيل وتربيتها وشن الحروب بوساطتها من أهم مقومات حياة هؤلاء الفرسان فكانت الغلبة لمن له جيش أقوى من المدربين على ركوب الجياد فى ساحة القتال .

وتدل الألفاظ التى نطق بها صاحب «اهناسيا المدينة» عندما سجد أمام«بيعنخى» على أنه قد كشف عنه غمة وأنه وجد فيه صديقا يحميه لأنه قد أذهب عنه ظلام الاستعباد وقد قبل أن يكدح و يعمل مع رعايا هذا الفاتح وأن تدفع «اهناسيا المدينة» الضرائب إلى الخزانة العامة وبذلك لم ترق نقطة دم واحدة فى « اهناسيا المدينة » .

و بعد ذلك ترك « بيعنخى » هذه المدينة وانحدر فى النهر بجيشه نحو مدينة « برسخم — خبررع » الواقعة بجوار « اللاهون » الحالية فوجد جدرانها مهدمة وحصنها مغلقا وحشد فيه عدد عظيم من الجنود الشجعان من أهل الدلتا فأرسل إلى حامية الحصن وخيرهم بين أمرين : إما التسليم وإما الموت المحتوم ، وإنه ليؤلمه أن يموتوا حربا وطلب اليهم ألا يغلقوا أبواب حياتهم وبذلك يكون مضطرا إلى سوقهم إلى المقصلة . وقد كان لهذا الإنذار أثر فعال فى نفوسهم إذ أرسلوا إليه يعترفون بماله من قوة مستمدة من عند الإله وأنه قد أخذ قوته عن ابن الالهة « نوت » أى الإله « ست » إله الحرب والقوة ، ولذلك فإن بلدهم هى حصن هذا الإله وليفعل بها ما يريد وطلبوا اليه أن يفك عنها الحصار ، وقد فك « بيعنخى » عنها الحصار فعلا وعندئذ خرج أهلها مع ابن رئيس مى « تفنخت » ودخلها جيش الملك دون إراقة

نقطة دم واحدة وسلم كل ما فيها لبيت المـال ، أما مخازن الغلال فحبست قربانا على الإله «آمون رع» رب «طيبة» وإله «بيعنخى» الأعظم .

ولم يمض بعد ذلك مدة طويلة حتى انحدر «بيعنخى» فى النهر ثانية شمـالا نحو «ميدوم» وهى بيت الإله «سكر» رب «سحز»(1) وكانت محصنة ، ولمـا هاجمها «بيعنخى» دب الرعب فى قلوب الأهلين ، ولكن «بيعنخى» على عادته أرسل اليهم يخبرهم إما أن يفتحوا أبواب المدينة وبذلك تكتب لهم الحياة وإما أن يغلقوا أبوابهـا وبذلك يجلبون لأنفسهم الموت والدمار ، وعلى أثر ذلك سلمت الحامية ودخل الملك المدينة وجعل بيت مالهـا لخزانة الدولة ومخازن غلالهـا قربانا «لآمون» صاحب «الكرنك» .

وبعد ذلك اندفع «بيعنخى» نحو «اللشت» تلك المدينة القديمة التى اتخذها ملوك الأسرة الثانية عشرة فيما مضى عاصمة لملكهم فوجد سورها مغلقا وأنهـا تزخر بالجنود من أرض الدلتا الشجعان ؛ ولكن فضل قائدهم التسليم ففتح الحصن دون حرب ودخلها الملك وقدم قربانا للآلهة القاطنين فى هذه المدينة من ثيران وعجول ودجاج ثم أعطيت ثروتها للخزانة كما قدمت مخازن غلالهـا قربانا مقدسة «لآمون» .

وأخيراً انحدر إلى «منف» عاصمة البلاد القديمة، وقبل أن يصل اليها أرسل إلى القائمين على أمورها وخاطبهم فى شخص المدينة قائلا : لا تغلقى أبوابك ولا تحاربى يا مأوى الإله «شو» بن «رع» . ثم أخذ يخاطب أولى الشأن بقوله لهم أن يدعوا من يريد الدخول الى المدينة يدخلها ، ومن أراد أن يخرج منها فليغادرها ، أى أنه لن يحاصرها بل على العكس سيقدم للاله «بتاح» القاطن فى جنوبيها القربان ، وكذلك للاله «سكر» فى مكانه السرى ، ثم حذرهم من المقاومة وقال لهم : «إنه ملك رحيم

---

(1) و «سحز» هذه يحتمل أنها تمثل اقليم «الفيوم» وما حوله مباشرة .

ولا أدل على ذلك مما حدث فى المقاطعات الجنوبية وأهلها فإنه لم يسفك دم واحد من أهلها إلا الذين لعنوا الآلهة فقد جزت رءوسهم بوصفهم ثائرين .

وعلى الرغم من هذا التحذير فإن الأهالى أوصدوا أبواب « منف » وجمعوا جيشاً من العمال والبنائين والبحارة لمقاومة فئة صغيرة من جنود « بيعنخى » . وفى تلك الأثناء تسلل « تفنخت » ليلا إلى المدينة وأخذ يحمس أهل المدينة على مقاومة «بيعنخى» . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان ينتظر محاصرة العدو لهذه المدينة فأعدها بكل ما يلزم من زاد وأسلحة ورجال كما قوى سورها بجدار ضخم لا يمكن لجيش العدو أن ينفذ منه بسهولة . فاستمع إليه وهو يخاطب مشاته و بحارته وخيرة جيشه الذين كان يبلغ عددهم ثمانية آلاف مقاتل : « تأملوا ، إن « منف » قد اكتظت بالجنود من خيرة من فى الأرض الشمالية ، ومخازنها كانت تفيض بالشعير والبر و بكل أنواع الحبوب و بكل أنواع الأسلحة كما أنها كانت محصنة بجدار ، وقد أقيمت شرفة عظيمة بنيت بطريقة ماهرة ، والنهر يجرى حول جانبها الشرقى ، وليس هناك فرصة للهجوم من الشرق . هذا و يوجد فيها حظائر الماشية مملوءة بالثيران ، والخزانة تزخر بكل شئ نفيس من الذهب والفضة والنحاس والملابس والبخور والشهد والزيت » . وهذا الوصف يدل على ما كانت عليه المدينة من استعداد وما كان عليه « تفنخت » من يقظة وحسن تدبير لمقاومة العدو . هذا ولم يمكث « تفنخت » فى المدينة لمحاربة العدو بل عمل حسابا للمستقبل وذهب ليعد العدة فى المعاقل الأخرى على أن يعود ثانية لمواصلة مقاومة العدو فى « منف » حصنه الحصين . وبعد يوم أو بعض يوم كان « بيعنخى » قد وصل بجيشه إلى « منف» فى أسطوله وأرسى سفنه فى شمالها ، وكان ذلك فى فصل الفيضان فكان الماء عالياً لدرجة أنه قد اقترب من الجدران وبذلك أصبحت السفن ترسو عند جدران « منف » نفسها . وقد دهش « بيعنخى» عند ما رأى أن « منف » محصنة تحصينا منيعاً ، ولا غرابة فإن كل المدن التى فتحها قبل ذلك بما فى ذلك « الأشموزين » كان يتضاءل تحصينها أمام ما كانت

عليه عاصمة الملك القديمة من تحصينات يرجع عهدها إلى أزمان قديمة ، يضاف إلى ذلك أن « تفنخت » قد أضاف إلى سورها تعلية أخرى جديدة مما قواها وجعلها منيعة مستعصية على من يهاجمها . وقد بدت الحيرة عليه وعلى ضباطه عندما رأوا مناعة المدينة ، والظاهر أنهم عقدوا مجلساً حربياً كالذى عقده «تحتمس الثالث» قبل موقعة « مجدو »[1] . وفى هذا المجلس أخذ كل قائد من قواد « بيعنخى » يبدى رأيه فاقترح واحد منهم حصار المدينة إلى أن تسلم وحجته فى ذلك أن الجنود الذين كانوا يحمونها عديدون ، واقترح آخر إقامة طريق توصل إليها وذلك بعد تعلية الأرض حتى تصل إلى جدرانها العالية ، وقال آخر « فلنقم صرحاً يوصل إليها ثم نضع قنطرة من الخشب تصل إلى المدينة وبهذه الكيفية نقسمها من كل جانب من جوانبها بوساطة الأرض العالية التى تصل إلى نهاية جدرانها ، ومن ثم نجد طريقاً للرور إلى داخلها » . غير أن الملك « بيعنخى » لم يأخذ برأى من هذه الآراء وصمم على أخطر رأى (كما فعل « تحتمس الثالث » من قبله) وهو الاستيلاء على المدينة بالهجوم . وفى ذلك يقول المتن : « وعندئذ استولى غضب جلالته عليها كأنه الفهد وقال : إنى أقسم بحب « آمون رع » لى وبحظوة والدى « آمون » الذى أوجدنى أن ذلك لابد أن يصيبها على حسب ما أمر به « آمون » ، وهذا ما سيقوله الناس بعد ، إن الأرض الشمالية ومقاطعات الجنوب قد فتحت له أبوابها من بعيد لأنهم لم يضعوا « آمون » فى قلوبهم ولم يعرفوا ما الذى أمر به فإن « آمون » قد جعله يظهر شهرته كما جعله يرى جبروته وسأستولى عليها كالفيضان وقد أمرت . . . . . » .

وعلى أثر ذلك أخذ « بيعنخى » يستعد للاستيلاء على المدينة . ومما تجدر ملاحظته هنا أن جدران المدينة العالية الواقعة فى الجهة الغربية كانت قد زيد فى ارتفاعها حديثاً على يد « تفنخت » استعداداً للحصار الذى كان يتوقعه ، وكان من البدهى أن الجانب الشرقى كان محمياً على ما يظهر برفع المياه اصطناعياً (؟) ولذلك أهمل

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣٩٨

تحصينه . وقد أرسل « بيعنخى » أسطوله وجيشه لمهاجمة الميناء التى كانت على الجانب الشرقى وقد أحضر إلى هذه الجهة كل ما لديه من سفن شحن وسفن نقل وغيرها وربطت حبال مقدمتها بين بيوت المدينة . والظاهر أن جنوده لم يصابوا بأى أذى ، وبعد ذلك أتى الملك بنفسه لينظم الهجوم ويضع كل سفينة فى المكان اللائق بها ، وبعد أن تم له ذلك أمر جنوده أن يقوموا بالهجوم وأن يتسلقوا الجدران ويقتحموا البيوت التى على النهر ونصحهم ألا يدعوا واحداً منهم عندما يصل إلى قمة الجدار أن يقف أمامه حتى لا يرمى بسهام العدو من داخل المدينة ، ثم حمس جنوده بقوله : « انه لمن العار أن توصد الجنوب فى وجه العدو ثم نضطر بعد ذلك إلى أن نحاصر هذه المدينة التى تعد الفاصل بين الوجهين القبلى والبحرى (الجنوب والشمال) ونقف أمامها دون الاستيلاء عليها » . ولم يمض طويل زمن حتى استولى « بيعنخى » على «منف» بجيش كالفيضان بعد أن قتل منها خلقاً كثيرين واستولى على أسرى عديدين . وبعد أن تم له النصر أرسل بعثاً من قبله لحماية معابد المدينة وآلهتها وبخاصة الإله « بتاح » وتاسوع المدينة ثم طهرت بالنطرون والبخور . وبعد ذلك سار الملك إلى بيت « بتاح » وأدى فيه شعيرة التطهير فى حجرة الصباح التى يظهر فيها الملك كل صباح على حسب التقاليد التى كانت تعمل للملوك على غرار ما كان يعمل للاله « رع » عندما كان يحكم على الأرض ، ثم دخل المعبد وقدم قربانا لوالده « بتاح » القاطن جنوبى جداره (أى معبده) وعندما سمعت الأقاليم المجاورة « لمنف » بسقوطها سلمت بدورها . والظاهر أنها كانت أماكن محصنة ولكنها فتحت أبراجها وولى أهلها هاربين هائمين على وجوههم وهذه المدن أو الأقاليم هى « حرى بدمى » . (ويحتمل أنها « حرى » المدينة) ومدينة « ينى — نا أوع » وبرج « بيو » وواحة « بيت » . وكل هذه الأماكن لم يحدد موقعها بعد لأنها لم تذكر كلها إلا فى هذا المتن . وعلى أية حال فانها كانت على مقربة من « منف » . وعلى أثر ذلك النصر العظيم الذى أحرزه « بيعنخى » فى « منف » وما جاورها حضر إليه صغار ملوك الدلتا ليقدموا له الولاء والخضوع ، وفى الوقت نفسه كانوا يحملون له الجزية ونخص بالذكر

منهم الملك « أوبوت » ورئيس « مى » المسمى « اكانش » وهو اسم أجنبى والأمير الوراثى « بدى إزيس »[1] .

وقبل أن يغادر « بيعنخى » « منف » منح ثروتها للاله « آمون » ولآلهة المدينة أيضاً ، أى للاله « بتاح » وتاسوع « منف » القاطن فى حتكبتاح[2] .

وبعد أن فرغ من ذلك زحف « بيعنخى » إلى « خرعحا » (مصر عتيقة الحالية) فقد توجه شرقاً فى الصباح المبكر وقرب قرباناً « لآتوم » فى « خرعحا » وكذلك للتاسوع المقدس وكهف الآلهة القاطنين فيه[3] ، وذلك تقربا منه إلى هذه الآلهة . وبعد ذلك سار إلى « عين شمس » الواقعة على تل « خرعحا » ، وقد طهر الملك نفسه فى البركة المقدسة وغسل وجهه فى نهر « نون » الذى غسل فيه « رع » وجهه . وهذه العبارة تشير إلى الخرافة القائلة بأن الملك هو ابن الإله « رع » الذى اتخذ مكانه فى بادئ الأمر فى مدينة « عين شمس » ومن ثم كانت تقام له الأحفال التى كانت تقام له فيما بعد فى السماء ، وعلى ذلك فإن ابن « رع » كان يتمثل بوالده فى كل الأحفال . وبعد ذلك سار إلى تل الرمال فى « عين شمس » وقرب قرباناً للاله « رع » عند طلوعه وتل الرمال هذا يرمز للتل الأزلى الذى ظهر فى مياه المحيط الأزلى « نون » . والواقع أن أهم جزء فى المعبد هو قدس الأقداس وكانت فكرته المثالية هى أنه يعد بمثابة التل الأزلى ، أى أول رقعة من أديم الأرض ظهرت فى مياه العدم فى يوم خلق العالم ، ولما كانت الكائنات كلها قد ذرأت من هذه البقعة على يد « بتاح » فإنها عدت مصدر قوة لا حد لها صالحة لظهور الإله فيها[4] .

---

(١) بدى « أزيس » = عطية « أزيس » .

(٢) ومعناها قصر روح الإله « بتاح » وهو اسم معبد الإله « بتاح » فى « منف » عاصمة المقاطعة الأولى من مقاطعات الوجه القبلى ويستعمل غالبا بوصفه اسما مقدسا لمدينة « منف » وهى التى كانت تعد مدينة الإله « بتاح » بوجه خاص وهى بالبابلية كانت تسمى « حيكوبتاح » ومن المحتمل جدا أن من هذا الاسم أخذ الاسم الاغريقى « اجبتوس » Dic. Geogr. T. 4, p. 137-8 .

(٣) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ١٥٢ — ١٥٥

(٤) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٦٠٨ الخ .

وقد دعا « بيعنخى » رئيس كهنة « رع » والموتاين أن يصدوا الثوار عنه . وبعد ذلك زار قاعة الصباح فى المعبد وهى المكان الذى كان مفروضاً أن يغتسل فيه « رع » ويطهر نفسه ويلبس ملابسه الجديدة كل صباح وينشر فيها عبير البخور . وهناك قدمت للملك أكاليل لأجل بيت الهرم الصغير « بن بن » وهو المكان الذى يوضع فيه الهرم الصغير وهو رمز التل الأزلى الذى كان يجثم عليه الإله « رع » فى صورة الطائر « بنو » وهو فى شكل الطائر « مالك الحزين » ويتقمص روح الإله « رع » فى صورة صقر . وبعد ذلك صعد الملك فى السلم إلى النافذة العظيمة ليشاهد « رع » فى بيت « بن بن » هذا . وهناك وقف الملك نفسه منفرداً[1] أمام باب « بن بن » ثم كسر خاتم المزلاج وفتح الباب على مصراعيه وشاهد الوالد « رع » فى بيت « بن بن » الفاخر وكذلك شاهد سفينة الصباح الخاصة بالإله « رع » التى يسبح فيها فى أثناء النهار فى السماء من الشرق إلى الغرب كما شاهد سفينة المساء التى يسبح فيها الإله « أتوم » فى السماء السفلى من الغرب إلى الشرق وهكذا كل يوم ، ومن ثم نفهم أن إله الشمس كان يسمى فى خلال النهار الإله « رع » وفى خلال الليل الإله « آتوم » . وبعد ذلك أوصد المصراعين ووضع عليهما الطين وختمهما بخاتم الملك ثم أمر الكهنة بألا يسمحوا لأحد من الملوك الذين سيأتون بعده بفتحه فسجدوا أمامه سمعاً وطاعة . وبعد ذلك زار معبد « آتوم » فى هذه الجهة أيضاً .

ولما سمع الملك « أوسركون »[2] الذى كان مقره فى « بوبسطة » بإيغال « بيعنخى » فى الدلتا أسرع بتقديم ولائه له . وبعد ذلك توجه « بيعنخى » إلى زيارة « أتريب » (بنها الحالية) فرست سفينته فى الميناء على الشاطئ الغربى وضرب خيامه بالقرب من « قها » الحالية الواقعة فى شرقى مقاطعة « أتريب » ، وعند ما سمع بذلك الملوك والأمراء الشماليون وكل الرؤساء اللوبيين (وهم الذين كانوا يميزون بلبس الريشة

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٩٣ — ٥٩٩

(٢) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٢٨ — ٤٢٩

على رءوسهم) هذا إلى كل وزير ورئيس وسمير ملك من غربى الدلتا وشرقيها ومن الجزائر الواقعة فى وسطها ، هرعوا ليشاهدوا بهاء طلعته ويقدموا له الطاعة ويكفوا أنفسهم شر القتال ، وقد سجد أمامه الأمير الوراثى «بدى أزيس» راجيا إياه أن يزور بلده « أتريب » ابرى إلهها العظيم « خنتى خاتى » (الذى كان يمثل فى صورة صقر)، وليتعبد للالهة « خويت » معبودة هذه البلدة . وليقدم قربانا « لحور » (أى حور خنتى خاتى) فى معبده ، وكذلك ليزور بيت ماله ، وقد وضع ما فيه تحت تصرفه وكذلك أملاكه التى ورثها من والده ، هذا إلى أنه كان مستعداً ليقدم له ذهباً بقدر ما يحب وكذلك الفيروز الذى كان مكدساً عنده . وفوق كل هذا عرض عليه جياداً عدة من أحسن ما فى حظائره . وقد قبل « بيعنخى » زيارة « أتريب » ، وقد كان أول ما زار فيها معبد الإله « حور خنتى خاتى » وهناك قرب له قرباناً فتقبل منه . وبعد ذلك دخل قصر هذا الأمير وتسلم منه الهدايا من فضة وذهب ولازورد وفيروز بمقادير عظيمة من كل صنف ، هذا إلى ملابس من الكتان الجميل والعطور والمسوح وأوان أنيقة وجياد أصيلة ذكوراً وإناثاً من أحسن ما فى حظيرته . وبعد ذلك طهر « بدى أزيس » نفسه بأن أقسم يميناً مقدساً أمام كل هؤلاء الملوك والرؤساء حكام الشمال العظام وقال لهم : « إن كل واحد منهم سيموت ميتة والده إذا أخفى جياده وخبأ التزاماته وليقع على مثل هذا العقاب إذا كنت قد أخفيت أى شئ من جلالته من كل متاع والدى من الذهب والفضة والأحجار الكريمة ومن كل أنواع الأوانى الثمينة ومن أسوار الذهب والقلائد والأطواق المرصعة بالأحجار الكريمة والتعاويذ التى توضع على كل عضو من أعضاء الجسم وأكاليل الرأس والخواتم والأقراط وكل زينة خاصة بالملك ، وكل هذه الأشياء قد قدمتها أمام جلالته ، وأعنى ملابس من الكتان الملكى بالآلاف من أحسن ما فى قصرى ومما أعرف أنك ستسر بها » وفى النهاية خاطبه قائلا : « اذهب إلى حظيرة الجياد وخذ ماطاب لك » وقد فعل الملك ذلك . ويلاحظ أن الهدية التى كانت تلفت النظر من بين الهدايا التى كان

يقدمها كل الأمراء هى الخيل ، والظاهر كما قلنا أن تربيتها فى مصر واستعمالها كان له منزلة عالية ملحوظة .

وبعد أن رأى الأمراء الهدايا العظيمة التى قدمها « بدى أزيس » صاحب « أتريب » طلبوا إلى « بيعنخى » أن يصرفهم كل إلى مدينته حتى يفتحوا خزانات ماليتهم ليضعوا ما فيها تحت تصرف جلالته ليأخذ منها ما يشاء وكذلك ليحضروا له خيرة جياد حظائرهم فسمح لهم بالانصراف وكان عددهم خمسة عشر ما بين ملك وأمير ورئيس من قوم اللوبيين وكاهن ، وهاك أسماءهم وألقابهم :

(١) الملك « أوسركون » ملك « بوبسطة » وأقليم « نفررع » المجاور « لبوبسطة » .

(٢) الملك « أوبوت » حاكم « تنترمو » و « تاعان »[١] .

(٣) الأمير الوراثى « زد أمنف عنخ » فى مخزن غلال « رع » حاكم « منديس »[٢] .

(٤) وأكبر أولاده قائد الجيش فى بلدة « تحوت بررحوى » ، ويدعى « عنخ حور » . وبلدة « تحوت بررحوى » هى التى قام على أنقاضها بلدة « تل البقلية » القريبة من « المنصورة » .

(٥) الأمير « أكانش » فى « سمنود » (تب نتر = العجل المقدس) وفى « بهبيت » وفى « سما بحدت » والاسم الأخير يطلق على المقاطعة الثامنة عشرة من مقاطعات الوجه البحرى وعاصمتها تسمى بهذا الاسم ، وكذلك تسمى العاصمة « با أوآمون » (أى بحيرة « آمون ») . وقد بقى لنا الاسم فى « تل البليمون » الحالى مركز شربين[٣] .

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٣٤

(٢) وهو الاسم المقدس لعاصمة المقاطعة السادسة عشرة من الوجه البحرى وقد وحدنا هذا المكان « بشونة يوسف » الواقعة على مسافة عشرة كيلو مترات من « تل تمى » على وجه التقريب ولكن على أغلب الظن أنه يقابل « تل الربع » الحالية .

(٣) راجع أقسام مصر الجغرافية ص ١٠٠

(٦) الأمير رئيس مى (المسمى) « باثنف » فى « برسبد » (أى « صفط الحنا » الحالية) وفى « شنوت انبوحز » (أى مخزن غلال الجدار الأبيض أى « منف ») وتقع على ما يظن فى المقاطعة العشرين من مقاطعات الوجه البحرى وعاصمتها « صفط الحنا » الواقعة فى مديرية الشرقية مركز الزقازيق .

(٧) الأمير رئيس مى « بمبو » حاكم « برأوزير » رب « دد » وهذا هو الاسم الكامل لعاصمة المقاطعة التاسعة من مقاطعات الوجه البحرى وهى « بوصير » وغالبا ما تسمى باختصار « برأوزير » وهى الآن « أبوصيربنا » مديرية الغربية مركز « المحلة الكبرى »[1] .

(٨) الأمير رئيس مى المسمى « نس ناقدى » حاكم مقاطعة « حسب » وهى المقاطعة العاشرة والعاصمة الدينية لها ويحتمل أنها تقع على أنقاض بلدة « الحبيش » التى تبعد مسافة أربعة كيلومترات من « هربيط » مركز « كفر صقر »[2] .

(٩) الأمير رئيس مى المسمى « نخت حرنا — شنو » حاكم « برجرر » (مسكن الضفدعة) إحدى عواصم المقاطعة الثامنة ويقول عنها « دارسى » إنها تقع فى « كوم الشقافة » فى الجنوب من « التل الكبير »[3] ويقول « برستد » إنها تقع فى الإقليم الواقع فى النهاية الشمالية لخليج « السويس »[4] .

(١٠) رئيس مى المسمى « بنتاور » .

(١١) ورئيس مى المسمى « نبتى بخنت » .

(١٢) كاهن « حور » رب « ليتوبوليس » المسمى « بادى حرسماتوى » .

(١٣) الأمير الوراثى « حور أباس » حاكم « برسخمت نب سا » (أى مسكن

---

(١) راجع أقسام مصر الجغرافية ص ٨٧ ، D.G. Tom. II. p. 69-70 .

(٢) راجع أقسام مصر الجغرافية ص ٩١

(٣) راجع D.G. II p. 138-9

(٤) راجع Br., A.R., IV § 878 note H

الإلهة « سخمت » ربة « سايس ») . وهذا اسم محراب للآلهة « سخمت » فى بلدة « سايس » أى « صا الحجر » الحالية[1] . وكذلك حاكم « برسخمت نب رحساوى » وهو محراب للالهة « سخمت » سيدة « رحساوى » وهى مدينة لم تعرف بعد من المقاطعة الثانية من مقاطعات الوجه البحرى ويحتمل أنها بالقرب من « أوسيم » الحالية[2] .

(١٤) الأمير الوراثى « زدخيو » فى « خنت نفر » وقد وحد الأستاذ «حمزة» « خنت نفر » ببلدة « قنتير » الحالية[3] . ويقول « بروكش » إنها مدينة بالقرب من « ليتو بوليس» (أوسيم)[4] .

(١٥) الأمير « باباس » حاكم « خرعحا » و « برحعبى » وقد شرحنا موقع هاتين المدينتين فيما سبق .

وكل هؤلاء الملوك والأمراء قد عادوا حاملين للملك جزيتهم من ذهب وفضة ومتكآت منمقة بالكتان الجميل وكذلك العطور فى جرار ، هذا إلى جياد مما كان مغرماً بها « بيعنخى » .

وعلى الرغم من خضوع كل هؤلاء الحكام وامتثالهم لأوامر « بيعنخى » فإنه لم تمض إلا عدة أيام على تقدمهم بهذه الهدايا حتى أتى رسول للملك يخبره أنه قد قامت ثورة فى بلدة « مسد » التى تدل شواهد الأحوال على أنها كانت تقع على حدود مقاطعة « تفنخت » فى الدلتا الغربية فأرسل « بيعنخى » جيشاً من جنود « بدى أزيس » ليستطلع جلية الأمر هناك وليخمدوا الثورة إذا كانت قد أشعلت نارها حقاً ، ولم تمض مدة طويلة حتى أتى إلى الملك رسول يخبره بإخماد الثورة وأن

---

(١) راجع D.G. II, p. 130 .
(٢) راجع D.G., II, p. 130 .
(٣) راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٩
(٤) راجع Brugsch, D.G., p. 660 .

الثوار قتلوا عن آخرهم ، وقد أهدى « بيعنخى » هذا البلد إلى الأمير «بدى أز يس» وأخيراً لما سمع «تفنخت» بإخماد هذه الثورة — والظاهر أنه كان هو المحرك لها — لم ير بداً من إرسال رسول للملك يستأذنه فى الحضور للمثول بين يديه . والواقع أنها كانت رسالة استعطاف واعتراف بقوة « بيعنخى » وطلب العفو عما بدر منه من سيئات ، وفى الوقت نفسه يصف له فيها ما وصلت إليه حالته خلال تلك الحروب الطاحنة من جوع وعرى وتشريد ، حتى أنه كان أحياناً يضطر إلى أكل أيبس خبز من أيدى عامة الناس خلال دفاعه عن وطنه فى حملة من الحملات التى قام بها على « بيعنخى »[1] فاستمع إليه وهو يقول فى رسالته لهذا الملك العظيم : « فليهنأ بالك ! إنى لم أر وجهك خجلا وخزياً وليس فى مقدورى أن أقف أمام لهيبك الذى (ينفث من حولك) كما أنى أرتعد فرقا أمام جبروتك . حقاً إنك الإله « ست » (نوبتى) المسيطر على الأراضى الجنوبية وفى آن واحد « منتو » ذلك الثور صاحب الساعد القوى (فى حومة الوغى) وأنت الذى عندما كنت تولى وجهك نحو أية مدينة لم تجدنى فيها إذ أكون قد وليت الأدبار إلى أن بلغت فى فرارى جزر البحر خائفا مرتعداً أمام بطشك مردداً : إن لهيبه يناصبنى العداء . ألم يهدأ لب جلالتك بعد بهذه الأشياء التى عملتها لى إذ الواقع أنى قد أصبحت رجلا يائسا تعسا ولا ينبغى لك أن تعاقبنى على ما اقترفت من جريمة فتزن خطاياى بالقسطاس المستقيم وبالحبة والدانق لقد ضاعفت فى الحق هذه الخطايا ثلاثة أضعاف فليتك تترك البذرة لأجل أن تجدها فى الوقت المناسب ، ولا تجتث الشجرة من أصلها . وبحقك ان الفزع منك يسرى فى جسمى والخوف منك دب فى أعضائى . على أنى لم أجلس فى حانة جعة ولم آله بالضرب على العود فى حضرتى ، بل على العكس لقد أكلت الخبز اليابس جوعاً وشربت الماء عطشاً منذ ذلك اليوم الذى سمعت فيه اسمى ، (أى منذ أن نشبت الحرب بيننا)، ولقد ألم المرض بعظامى وسرت حاسر الرأس وارتديت الخرق إلى أن رضيت عنى

(١) راجع Diodorus, I, 45 .

الإلهة « نيت » ربة « سايس » ولقد كان الشوط الذى جلبته على فى محاربتك طويلا وما العمل والغضب فى وجهك باد ضدى والسنون قد حلت جسمى فطهرنى من خطيئتى ولتكفر عنى ممتلكاتى بتسليمها إلى بيت المال بما فيها من ذهب وأحجار ثمينة من كل صنف وماتحتويه حظائرى من خيرة الجياد لتكون دية عن كل ما اقترفته فأرسل لى رسولا على وجه السرعة حتى ينقشع عن قلبى الخوف ؛ ودعنى أخرج أمامه إلى المعبد حتى أطهر نفسى بأخذ ميثاق مقدس على نفسى » . وعلى أثر ما جاء فى هذه الرسالة أرسل جلالة الملك « بيعنخى » إلى « تفنخت » الكاهن رئيس المرتلين المسمى « بدى أمن نستاوى » وبصحبته قائد الجيش « بورما » فأهدى إلى الملك فضة وذهباً وملابس وأحجاراً ثمينة فاخرة من كل الأنواع ثم سار « تفنخت » مع رسولى الملك إلى المعبد وصلى للاله وطهر نفسه بميثاق مقدس قائلا : « أقسم بأنى لن أتعدى أمر الملك ولن أتخطى ما يقوله الملك ولن أناصب أميراً العداء دون علمك وإنى سأفعل على حسب ما يقول الفرعون ولن أتعدى ما أمر به » .

وعندئذ رضى الملك بهذا القسم العظيم . وفى الحق إنه لقسم وثيق العرا إذ نفهم من كلماته أنه لن يقوم بأى عمل عدائى على بيعنخى فلا يحرض أميراً على العصيان ولن يقوم بأى عمل على غير رغبة الفرعون ، وفى هذا كل الخضوع والطاعة لأمير كان الفوز منه والتغلب على كل مصر وتأسيس امبراطورية ضخمة قاب قوسين أو أدنى .

والواقع أن ما قام به « تفنخت » من مقاومة وما أبداه من شجاعة وإقدام فى مقاومة « بيعنخى » فى بلاد كانت تسودها الفوضى والانقسام لمما يدل على ما كان عليه من ذكاء وحسن قيادة ولو أتيحت لهذا البطل الفرص كما أتيحت لأحمس الأول لكوّن امبراطورية لاتقل فى عظمتها وقوتها عن امبراطوريته . ثم بعد ذلك يتساءل الإنسان هل قدم تفنخت حقا خضوعه على هذه الصورة المشينة ؟ إنا نشك فى ذلك كثيراً والواقع أنها مبالغات !

وبعد أن فرغ «بيعنخى» من إخضاع أكبر مناهض له فى مصر وهو «تفنخت»

لم يبق له فى طول البلاد وعرضها مناهض ، وقد كان آخر من سلم بالخضوع والإذعان بالطاعة له « الفيوم » التى كانت قد خضعت « لتفنخت » ثم « أطفيح » ، هذا بالإضافة إلى البقية الباقية من ملوك الدلتا ، وقد جاء ذلك نتيجة لهزيمة رئيسهم الأكبر « تفنخت » فقد أتى إلى هذا الفاتح رسول يقول له : « إن معبد « سبك » أى « الفيوم » قد فتحت حصنها وكذلك « متنو » أى « أطفيح » عاصمة المقاطعة الثانية والعشرين من مقاطعات الوجه القبلى قد سجدت له ولم تبق مقاطعة فى جنوب البلاد أو شمالها أو شرقها أو غربها وحتى الجزر التى فى وسط الدلتا إلا سجدت خوفاً منه وقد جعل أصحابها كل ممتلكاتهم تقدم إلى الملك فى المكان الذى يريده بوصفهم رعايا قصره » . وقد حضر فى الصباح المبكر كل من الملك « نمروت » وملك « أطفيح » على ما يظن وهما من حكام الجنوب والشمال ليقبلا الأرض بين يدى جلالته . هذا وفى الوقت نفسه فإن ملوك الدلتا وأمراءها الذين لم يكونوا قد خضعوا بعد ، وهم الذين قد أتوا ليشاهدوا بهاء جلالته ، كانت أرجلهم كأرجل النسوة طراوة .

وهؤلاء الأمراء لم يسمح لهم بدخول بيت الفرعون لأنهم كانوا أنجاسا أى أنهم لم يختنوا[1] وكذلك لأنهم من أكلة السمك الذى كان يعد فى نظر رجال القصر لعنة[2] ؛ ولكن نجد أن الملك « نمروت » قد دخل بيت الملك لأنه كان طاهراً أى مختوناً ولم يكن من آكلى السمك ، وقد كان بباب الملك ثلاثة من هؤلاء الملوك ولكن لم يدخل قصر الملك إلا واحد وهو « نمروت » .

بعد أن انتهى « بيعنخى » من فتحه العظيم وإخضاع كل البلاد المصرية وتوحيدها مع بلاد كوش شحن سفناً بالفضة والذهب والنحاس والملابس وكل شئ يرغب فيه من بلاد الشمال وما تصبو إليه نفسه من محاصيل سوريا وكل الأخشاب

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء السابع ص ٥٧

(٢) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٢٢٧

الحلوة المجلوبة من أرض الإله أى من بلاد « بنت » ، وفى ذلك إشارة إلى اتصال التجارة فى ذلك الوقت بين مصر والبلاد المجاورة لها وبخاصة بلاد سوريا وبلاد « بنت » الواقعة على ساحل البحر الأحمر .

وبعد ذلك أقلع « بيعنخى » إلى الجنوب بقلب منشرح وكانت الناس على كلا شاطئ النهر ترحب به وتهلل لطلعته . وكان القوم القاطنون فى غربى النهر وشرقيه يقيمون الأفراح فى حضرة جلالته ويغنون ويصفقون وهم يقولون : « يأيها الحاكم الجبار يا « بيعنخى » أيها الحاكم صاحب البطش إنك تعود وقد أحرزت السلطان على الأرض الشمالية ، فأنت الذى تجعل من الثيران نسوة ، فما أسعد قلب المرأة التى حملتك والرجل الذى أنجبك ، فسكان الوادى يقدمون الثناء إلى البقرة التى حملت ثوراً وإنك ستبقى مخلداً وقوتك سرمدية يأيها الحاكم محبوب طيبة » .

تلك هى قصة « بيعنخى » وما قام به من أعمال عظيمة كما رواها هو عن نفسه فى لوحته التى أقامها فى بلاده . حقا أنها تحدثنا عنه كما يرغب هو لا كما يرغب المؤرخ المحايد أن يسمع القصة من الجانبين المتخاصمين ثم يدلى بحكمه ، ولا نزاع فى أنها قصة فيها تحيز ولن يمكن الحكم على صحة كل ما جاء فيها إلا إذا جادت علينا تربة مصر بقصة « تفنخت » الذى ناضل عن بلاده حتى آخر سهم فى كنانته ، ومع ذلك فإنا نجد فى رواية « بيعنخى » نواحى كثيرة إنسانية ، لم نجدها على وجه عام فيما تركه الفاتحون المصريون العظام وأقل ما يقال عنه إنه كان لا يميل كثيراً إلى سفك الدماء وكان لا يأتى هذا العمل الفظيع إلا مضطرا وناهيك بشفقته على الحيوان وتقاه وصلاحه واعتماده على إلهه حتى فى ساحة الوغى وفى توجيهاته الحربية وهذا على الرغم من مهارته فى فنون الحرب والقيادة . والواقع أن أقرب فرعون يشبهه فى أخلاقه وصفاته هو « تحتمس الثالث » الذى كان لا يميل إلى سفك الدماء كثيراً إذا ما قرن بأسلافه وخلفائه من فراعنة الأسرة الثامنة عشرة كما أنه فى تقاه وتمسكه بمساعدة « آمون » له يشبه الفاتح العظيم « رعمسيس الثانى » وبخاصة فى موقعة « قادش » العظيمة عند ما كان

يناجى إلهـــه « آمون » للأخذ بناصره فى ساحة الوغى ولا يعتمد على أحد سواه .

ويطيب لنا أن نذكر هنا أن من الظواهر التى تسترعى النظر فى لوحة « بيعنخى » بل وفى العهد الكوشى بعامة كما سنرى بعد التمسك الواضح بأهداب الدين وتحمس ملوكه لآلهتهم، وبخاصة إذا وازناهم بملوك مصر فى تلك الفترة، فقد كانوا فعلا فى عصر انحلال دينى ظاهر . فلوك كوش يمكن أن نشبههم فى تلك الفترة بملوك الوهابيين فى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فى حماسهم الدينى والتمسك بأهداب العقائد القديمة . والواقع أن لوحة « بيعنخى » قد أوضحت لنا تمـاماً كيف كان ملوك كوش يتبعون بكل دقة شعائر الدين المصرى فقد عمل كل ما فى وسعه ليظهر تمسكه بالعقيدة الشمسية القديمة فى هليوبوليس كما وجدناه فى مشهد آخر يرفض التسليم التام لأولئك الأمراء المصريين الأنجاس بسبب أكلهم للسمك[1] .

هذا وقد كان تمسكهم بعبادة آمون وتقديسه من أبرز صفاتهم ، وهذا يذكرنا بمـا كان عليه ملوك الدولة الحديثة وبخاصة الأسرة الثامنة عشرة من تمسك بعبادة آمون والعمل على نشرها فى كل أنحاء الامبراطورية وبخاصة فى بلاد كوش ، ولا يبعد إذاً أن تأثير عبادة آمون كان لهـا مفعول كبير على ملوك كوش فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين فقد وجدناهم بخأة فى مصر معتنقين هذه العقيدة ، ولذلك يميل الإنسان إلى الاعتقاد أن كهنة معبد جبل برقل الذين كانوا من عباد آمون لهم ضلع كبير فى تأسيس الأسرة الخامسة والعشرين إن لم يكونوا هم المؤسسين لهـا بعد أن مكثوا فى كوش مدة طويلة نشروا فيها عقيدتهم فى أرجاء تلك البلاد الى أن حانت فرصة تدهور البلاد المصرية فى أواخر الأسرة الثانية والعشرين فانقضوا عليها بدمهم الفتى وأسسوا الأسرة الخامسة والعشرين .

---

(١) راجع J.N.E.S., XII, No. 1, p.63

مقبرة بيعنخى[1] :

كشف عن مقبرة الملك « بيعنخى » فى جبانة « الكورو » ضمن المقابر الملكية التى وجدت هناك ، وقد وجدت فى حالة تهدم وتخريب تامين ويحتمل (مما تبقى من وضعها) أن البناء الذى كان يعلو حجرة الدفن هرمى الشكل . وقد عثر على حجر واحد من مدماك الأساس . وسور هذه المقبرة أقيم من الحجر الرملى . أما مقصورة المقبرة أو بعبارة أخرى مزارها فقد خرب تماما . ولم يعثر على شئ من ودائع الأساس قط . ويحتوى السلم المؤدى إلى حجرة الدفن على تسع عشرة درجة مؤدية مباشرة إلى الباب الذى أقيم فى الجهة الشرقية ، أما حجرة الدفن نفسها فقد نهبت محتوياتها تماما . ومع ذلك وجد فيها بعض قطع مهشمة تدل على أنها كانت تحتوى على أثاث جنازى ثمين نخص بالذكر منه قطعا من الخزف المطلى وتعاويذ[2] ، وكذلك قطعا من اللازورد وعينين سليمتين ، وتعويذة من عقد « منات » (وهذا العقد كانت تلبسه الراقصات أو الراقصون أمام الإلهة « حتحور ») نقش عليها طغراء الملك « بيعنخى » على الظهر ، وكذلك أربعة أغطية أوانى أحشاء وإناءا احشاء وتماثيل مجيبة من الخزف عليها صورة « بيعنخى » واسمه[3] . هذا إلى مائدة قربان عليها أقداح ماء من البرنز عثر عليها فى السلم المؤدى إلى حجرة الدفن وهى محفوظة الآن بمتحف « بوستون » بمدينة « نيويورك »[4] ووجدت أوان من الفخار لها قيمتها الأثرية[5] .

ويوجد فى المتحف البريطانى قطعة نسيج من الكتان كتب عليها بالمداد طغراءات الملك « بيعنخى »[6] ويقال إن « ولكنسن » قد أحضرها من « طيبة »[7]

---

(١) راجع El Kurru, 17 (2) Fig. 22 A, Pl. XXI, XXII a.

(٢) راجع Ibid, Pl. LXXII a

(٣) راجع Ibid, Pl. XLIV

(٤) راجع Ibid Pl. XL

(٥) راجع Ibid, p. 65-6

(٦) راجع British Museum No. 6640

(٧) راجع Wilkinson, M. Ms. IX, 137

والمتن الذى كتب على هذا النسيج نشره « جرين »[1] على أن القول بأن هذا النسيج يمكن أن يكون قد أتى من حجرة دفن « بيعنخى » فإنه قول بعيد الاحتمال ، وذلك لأن مقبرة هذا الملك كما قلنا قد نهبت نهباً تاماً فى العصور القديمة أو على أقل تقدير فى العصر المروى ، هذا إلى أن بقاء مثل هذا النسيج معرضا مدة تزيد على ألف وخمسمائة سنة يكاد يكون من ضروب المستحيل ، ولكن المرجح فى أمر هذا النسيج أنه قد كشف عنه فى العصور الحديثة وأنه كان هدية من الفرعون إلى أحد المعابد أو لمقبرة أحد اتباعه[2] .

آثار « بيعنخى » فى أنحاء مصر والسودان :

وجد لهذا الفرعون بعض آثار تدل على امتداد نفوذه نخص بالذكر منها ما يأتى :

(١) جزء من مسلة مصنوعة من الجرانيت عليها سطر من النقوش على كل وجه من أوجهها الأربعة وهو محفوظ الآن بمتحف الخرطوم رقم ٤٦٢[3]

(٢) قطعة فضة نقش عليها اسم الملك « نمروت » وهى على ما يظهر من خرائب « هرموبوليس » أى « الأشمونين » والظاهر أن « بيعنخى » قد أحضرها معه عند عودته من مصر إلى بلاده وهى محفوظة الآن فى « أكسفورد » بمتحف « أشموليان » .

وقد عثر على هذه القطعة فى خزانة معبد صنم الواقعة على مسافة خمسمائة متر شرقى هذا المعبد[4] .

---

(١) راجع J.B. Green, Fouilles Executés à Thebes en 1885, Pl. VIII, 383 a; British Museum Guide to the Fourth, Fifth & Sixth Egyptian Rooms, p. 224 (13)

(٢) راجع El Kurru, p. 66

(٣) راجع Porter & Moss, VII, 192

(٤) راجع Ibid. p. 202

(٣) ومن المحتمل أن المعبد (B. 900) قد وضع أساسه فى الأصل الملك « بيعنخى » ثم أعاد بناءه الملك « حرسيوتف » (؟) فى العهد المروى[١] .

(٤) وكذلك يحتمل أنه هو أو والده « كشتا » قد بنى المعبد رقم (B. 800)[٢] .

(٥) ووجد فى معبد « صنم » الجزء الأسفل من تمثال مصنوع من البازلت جالساً ورسم على أحد جانبى العرش علامة توحيد الأرضين . وهذا التمثال على ما يظهر قد اغتصبه « بيعنخى » ، هذا ووجد عرش تمثال من الحجر الرملى منقوش عليه اسمه[٣] .

(٦) ولوحة « بيعنخى » العظيمة التى أسهبنا القول فى محتوياتها عثر عليها فى معبد جبل « برقل » الذى يحمل اسم (B. 500) وهذا المعبد يعد أكبر وأجمل المعابد التى أقيمت فى جبل « برقل » غير أنه مما يؤسف له جد الأسف لم يبق منه إلا بقايا مهدمة ، ويقع عند سفح جبل « برقل » فى الجهة الشمالية الغربية ويحتل مساحة كبيرة ويبلغ طوله حوالى ٥٠٠ قدم وهو فى حجمه وعظمته يحتل المكانة الثانية بعد معبد « صلب » . والظاهر أنه قد وضع أساسه فى عهد الأسرة الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة فى حكم « رعمسيس الثانى » ثم أعاد بناءه « بيعنخى » وبنى مرة أخرى فى عهد الملك « ناتا كامانى » (خبر كارع)[٤] .

ويبلغ طول معبد « بيعنخى » هذا حوالى ٥٠٠ قدم وعرضه فى أوسع ردهاته حوالى ١٣٥ قدما . وهذه الردهة كان يصل إليها الإنسان بوساطة بوابة لا يمكن تقدير حجمها على وجه التأكيد . وأبراج هذه البوابة لم تهدم بل أزيلت أحجارها واستعملت فى أغراض أخرى ، وعلى كلا جانبى البوابة كان يوجد ستة تماثيل لكباش

(١) راجع Ibid, 213.

(٢) راجع Ibid, 212

(٣) راجع Porter and Moss, Ibid, p. 201

(٤) Porter and Moss, Ibid, p. 211

من الجرانيت كل منها يقبض أمامه على تمثال للملك « أمنحتب الثالث » أحضرها « بيعنخى » من معبد « صلب » ولا يزال منها اثنان فى مكانهما الأصلى .

وحول الجهات الأربع للردهة الخارجية أقيم ممر كان مدعما من الجهة الشمالية بصفين من العمد ، وهذه الردهة يبلغ طولها ١٥٠ قدما تقريبا وقطر كل عمود حوالى ست أقدام وترتكز على قواعد قطرها حوالى ٧½ من الأقدام . وأهم ما كان يشاهد على جدران هذه الردهة سواس خيل « بيعنخى » يقودون الخيل . وكذلك وجدت لوحة من الحجر الرملى الأحمر للملك « بيعنخى » وقد هشم الجزء الأسفل منها وبها منظر يشاهد فيه الملك يتسلم التاج من « آمون رع » تتبعه الإلهة « موت » والإله « خنسو » وقد عثر عليها أمام قاعدتها الأصلية وهى الآن بمتحف مروى Khartoum, N. 1851 [1] هذا إلى لوحات الجرانيت التى نقلت فى عام ١٨٦٢ كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

والردهة الثانية طولها ١٢٥ قدما وعرضها ١٠٢ من الأقدام ويصل اليها الإنسان كذلك بوساطة بوابة عمقها حوالى ٢٨ قدما ، وفى الجانب الشرقى كان يوجد أربعة صفوف من العمد كل منها يحتوى على ستة عمد ثلاثة على كل جانب من الباب ، هذا إلى صفوف مزدوجة من العمد أقيمت على كل من جانبى الممر الذى كان يبلغ عرضه حوالى ٧ أقدام من بوابة إلى بوابة ، وقد أقيم على مدخل بوابة هذه الردهة أربعة تماثيل لكباش كل منها يقبض أمامه على تمثال صغير للملك « امنحتب الثالث » أحضرها « بيعنخى » من معبد « صلب » . ويوجد بقايا منظر يشاهد فيه الملك يذبح الأعداء على جدران البوابة ، أما على الجدران داخل الردهة فقد مثل عليها منظر للملك وأسرى خلف عربته .

والردهة الثالثة أصغر بكثير من سابقتيها إذ يبلغ طولها حوالى ٥١ قدما وعرضها ٥٦ قدما وتحتوى على عشرة عمد خمسة على كل من جانبى الطريق ، وقد كان

(١) راجع A. Z., XVI Pl. V, VI, pp. 89-100; and Sudan Notes IV, pp. 72-3

لها بوابة . وعلى جدران هذه الردهة فى الجهة اليمنى كان يوجد بابان يؤدى كل منهما إلى مقصورة يمر الإنسان منها الى الممر المؤدى الى المحراب . وقد كان مقسما ثلاثة أجزاء بجدارين ممتدين على طول الممر ، ففى الجدار الذى على اليمين باب يؤدى الى حجرة طويلة ضيقة فيها أربعة أعمدة محاريب وخلف ذلك مقصورة صغيرة تحتوى على عمودين ومقصورة . وإذا عدنا أدراجنا ومررنا بالجدران التى فى الداخل والخارج دخلنا مقصورة أخرى تحتوى على أربعة أعمدة ، وفى نهاية هذه الحجرة مائدة قربان جميلة من الجرانيت نقش عليها «تهرقا» اسمه ، ورسم عليها آلهة النيل يعقدون علامة ضم القطرين على واجهة المائدة وخلفها ، هذا إلى أربع صور « لتهرقا » ترفع السماء على الجانبين وهى لا تزال فى مكانها الأصلى . وهذا يدل على أن « تهرقا » قد أضاف مقصورة فى معبد « بيعنخى » ، وخلف هذه المقصورة حجرة طويلة لها باب على اليسار .

وأخيراً ينتهى المبنى بالمحراب ويمكن تتبع تصميمه بسهولة ، فنجد صورة الإله « آمون » موضوعة على نهايته بالقرب من المائدة الضخمة المصنوعة من الحجر ولا يزال عليها اسم صانعها « بيعنخى » وعلى اليمين توجد مقصورة صغيرة يمكن الدخول إليها من نهاية المحراب ومن المحتمل أنها كانت لحفظ ملابس الإله والكهنة وحليهم (١) .

(٧) قاعدة مائدة قربان من الجرانيت الأسود باسم « بيعنخى » لا تزال موجودة فى مكانها الأصلى (٢) . وجاء على هذه القاعدة النقش التالى : (يتكلم) «آمون رع» ملك رب « برقل » وهذه الآلهة : إنى معروف عند هذا الطفل وإنى أنا أعرفه قبل أن يولد وقبل أن يأتى إلى العالم وإنى أعطيته أشياء ملكى ، وإنى أقضى له على كل الأعداء ، وأنه هو الذى يسر قلبى لأنه أقام أماكنى العظيمة وهو ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « بيعنخى » (٣) .

(١) راجع Porter and Moss, VII p. 215 ; and Budge, Egyptian Sudan, I, p. 144 ff.

(٢) راجع L. D. V, 14 h-k ; of Texte V pp. 269 ; A. Z. LXVI, p. 81 [23]

(٣) راجع Schafer, A. Z. pp. 65-6

(٨) ويوجد «لبيعنخى» منظر «بالكرنك» فى معبد الإلهة «موت» ربة «أشرو» ويشاهد على أحد أحجار هذا المنظر الذى نجده فى حجرة هذا المعبد اسم «بيعنخى» ويمثل المنظر رحلة نهرية قام بها هذا الملك، إما عند عودته من الشمال بعد فتح الدلتا وإخضاع صغار ملوكها وإما حملة سلمية قام بها فى جنوب بلاد كوش لأجل أن يحضر لمصر المحاصيل النادرة التى تنتجها هذه البلاد النائية[١]. هذا ما قاله بعض المؤرخين عن هذا المعبد والواقع أنه لا يمت له بصلة بل دل البحث على أن هذا المنظر تابع لرحلة «نيتوكريس» كما سنرى بعد.

لوحة الملك «بيعنخى» المصنوعة من الحجر الرملى :

كشف الأثرى «ريزنر» عن لوحة من الحجر الرملى يظن أنها فى الأغلب للملك بيعنخى وقد وجد عليها صورة ملك وأسماء مكشوطة، وقد وضعت فيما بعد صورة بيعنخى واسمه، كما يلاحظ أن اسم آمون لم يكشط. وقد عثر عليها فى جبل برقل فى قاعة العمد (B. 501) ملقاة على وجهها أمام عقب باب كانت مثبتة فيه.

ويقول ريزنر إن بيعنخى أقام هذه القاعة بعد حملته على مصر.

ويبلغ عرض هذه اللوحة الآن ١٢٣ سنتيمترا وطولها ١٣٠ سنتيمترا، ولكن تدل الأحوال على أنها كانت أعلى من ذلك لأن الجزء الأسفل منها قد كسر ولم يعثر عليه بعد. والمظنون أنها كانت فى الأصل منصوبة أمام البوابة الثانية قبل أن تبنى القاعة (B 501).

والمنظر الأعلى للوحة يعلوه قرص الشمس المجنح يتدلى منه صلان، أما فى وسط اللوحة فيشاهد الإله آمون برأس كبش قاعداً على عرش وممسكا تاج الوجه البحرى فى يده اليسرى يقدمه للملك، وفى يده اليمنى تقية ويقف خلف هذا الإله الآلهة موت على رأسها التاج المزدوج وتربت آمون بيدها اليمنى، وفى يدها اليسرى علامة الحياة.

---

(١) راجع Benson Gourlay, The Temple of Mut in Asher, p. 257-259

وخلف هذه الآلهة يقف الإله « خنسو » . ويشاهد أمام آمون الآن ملك كوش واقفاً وعلى رأسه التاج الكوشى المعتاد وفى يديه قلادتان (واحدة منهما صدرية) يقدمها لآمون . وتدل صورة اللوحة على أنها فى الأصل ترجع لعهد بعد زمن أخناتون لأن اسم آمون لم يكشط . وتحتوى هذه اللوحة على ثمانية وعشرين سطراً . وهاك الترجمة : (١) كلام آمون سيد عروش الأرضين ، الذى ينصب والطاهر (٢) لابنه محبوبه « بيعنخى » ، إنى أقول لك (عندما كنت) فى (٣) بطن أمك أنك ستكون حاكما على مصر (٤) وأنى أعرفك فى البذرة عندما كنت (٥) فى البيضة أنك ستكون (٦) سيداً وقد جعلتك تتسلم التاج المزدوج (ورت المخصص بصلين وهذه خاصية لملوك كوش) الذى أمر رع أن يظهر (٧) فى الزمن الأولى الطيب . والوالد يجعل (٨) ابنه ممتازاً . وإنى أنا الذى قد أمرت (بالملكية) لك . من الذى سيشاركك فيها ؟ (٩) إنى رب السماء وأن ما أعطيته رع فإنه يعطيه (١٠) أولاده بين الآلهة أو (١١) الناس . وإنى أنا الذى أمنحك المرسوم . فمن الذى (١٢) سيشاركك (فيه) ؟ ليس هناك ملك آخر قد استولى عليه (١٣) ، وإنى أنا الذى يمنح الملكية [(؟) لمن أريد . (١٤) كلام موت سيدة السماء : لقد تسلمت التيجان من آمون وإنه يقول لك . . . (١٥) كلام الإله خنسو مديس : خذ الصلين من والدك آمون .

الأسطر من ١٦ إلى ٢٤ هى كلمات الملك . ويلحظ أن السطر ١٦ قد كشط ويحتمل أنه جاء فيه : كلام ابن رع سيد التيجان . . . (١٧) يقول : آمون صاحب نباتا جعلنى (١٨) حاكم كل أرضى ، والذى أقول له : أنت ملك فإنه سيكون ملكا والذى (١٩) أقول له : أنت لست ملكا فإنه لن يكون ملكا . وقد جعلنى آمون صاحب طيبة حاكما على مصر ، وأن الذى (٢٠) أقول له أقم حفلا (بوصفك ملكا) فإنه سيقيم حفلا (بوصفه ملكا) . والذى أقول له : لا تقم حفلا فإنه لن يقيم حفلا (للتتويج) وكل واحد (٢١) أحبه لن تخرب مدينته إلا (٢٢) إذا كان بيدى . الآلهة تصنع ملكا ، والناس يصنعون ملكا (٢٣) ولكن آمون صنعنى . فمن من هؤلاء الحكام لا يقدم هدايا لى وررت حكاو (٢٤) .

وإذا نظرنا بعين فاحصة فى هذه العبارات وجدنا أنها مطابقة للمتاعب التى صادفها «بيعنخى» فى أثناء حكمه وهى التى أدت للحملة التى سار على رأسها لفتح مصر أو تلك الصعاب والحروب التى نتجت عن غزو الأشوريين فى عهد كل من «تهرقا» و«تانوتآمون» كما سنرى بعد.

(٢٥) يعيش حور الثور القوى الذى يظهر فى نباتا؛ السيدتان، الممكن الملك مثل رع فى السماء؛

حور الذهبى جميل التيجان، شديد القوة، وكل واحد يعيش برؤيته مثل أختى،

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين (الطغراء مكشوط) ابن رع سيد التيجان (٢٦) . . . (الطغراء مكشوط).

الإله الطيب ملك الملوك وحاكم الحكام، والملك الذى يقبض على كل البلاد، عظيم القوة، وتاجه «آتف» على رأسه؛ والذى يصد بقوته، جميل الصورة مثل رع فى السماء، والظاهر (؟) مثل أختى عندما (؟) يعطى . . .

(٢٧) (نصف سطر غير مفهوم) وحده (؟) والذى يوسع كوش، والخوف منه قد جعله سيد الأراضى . . .

وما تبقى من الأسطر من ٢٨ — ٣٠ يظهر أنه عقود مدح للملك ولكن المتن مهشم فلا يمكن استخلاص شئ مؤكد منه.

وعلى أية حال نجد مما كتبه الأستاذ ريزنر أنه استنبط بعد فحص طويل لهذه اللوحة أنها من عمل الملك بيعنخى فى الجزء الأول من حكمه قبل سفرته إلى مصر. ويحتمل أنه أقامها أمام البوابة الثالثة للمعبد (B. 500) ويجوز أنه نصبها فى القاعة (B. 501) بنفسه. (أما الكشط) الذى حل بها فقد يجوز أنه من عمل بسمتيك الثانى وأن إصلاحها باسمه ثانية قد حدث بعد ارتداد المصريين عن تلك المنطقة؛ وبعد ذلك بمضى الزمن عندما هجر هذا المعبد سقطت

اللوحة على رقعة القاعة وبقيت كذلك حتى كشف عنها « ريزنر » عام ١٩٢٠ ميلادية[1]

جبانة الخيل فى « الكورو » :

عثر فى جبانة « الكورو » على مدافن أربعة وعشرين جوادا Kurru 201 to 224 هذا إلى قبرين صغيرين مستديرين Kurru 225 and 226 واحد منهما وجد فيه هيكل عظمى لكلب . ومقابر الخيل تقع فى أربعة صفوف من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى كما يأتى : ٢٢١ — ٢٢٤ (أربعة قبور) ومن ٢٠١ إلى ٢٠٨ (ثمانية قبور) ومن ٢٠٩ — ٢١٦ (ثمانية قبور) ومن ٢١٧ — ٢٢١ (أربعة قبور) ، ونجد فى معظم هذه الصفوف من المقابر أن المقابر تكاد تكون كلها من طراز واحد ، ولكن كل صف يظهر فيه بعض اختلاف عن الصفوف الأخرى . فالمقابر التى فى الصف الجنوبى الغربى قد صنعت بعناية ولها ثقوب عميقة لتوضع فيها الأرجل الأمامية والخلفية للخيل ، وكذلك فيها أماكن عالية لتستند عليها بطون الخيل ورقابها . ومقابر الصف التالى نجدها عملت بعناية أقل فهى ليست عميقة وتنقصها (إلا فى حالة واحدة) السنادة التى تتكأ عليها رقبة الجواد . وهذا الصف قد أرخ بنقوش على آثار من عهد الملك « شبكا » .

ومقابر الصف الثالث على الرغم من أنها عميقة ومنظمة فإن كل السنادات الداخلية لأجل البطن أو الرقبة لا وجود لها وقد أرخت بأشياء منقوشة من عهد الملك « شبتاكا » ، وأما المقابر التى فى الصف الشمالى الشرقى فعلى الرغم من أنها تشبه مقابر صف خيل « شبتاكا » لكنها بيضية الشكل وأقل إتقاناً فى نحتها .

وعلى الرغم من أن مقابر الصفين الجنوبى الغربى والشمالى الشرقى لم يوجد فيها أشياء منقوشة (وذلك لأنها قد نهبت أكثر من الصفين المتوسطين) . فإنه مما لاشك فيه (على حسب ما نجده من انحطاط متزايد فى الشكل) أن ترتيب التأريخ هو من الجنوب

---

(١) راجع A. Z., 66, p. 90-100

الغربي إلى الشمال الشرقي وأنه لدينا هنا مقابر لخيل عربات « بيعنخي » و « شبكا » و «شبتاكا» و «تانوتآمون» وهم الملوك الرئيسيون الذين دفنوا في جبانة «الكورو» .

ويلحظ أنه في كل حالة نجد فيها بقايا هياكل خيل وأشياء محفوظة معها بصورة مرتبة كان يتضح لنا من ذلك أن الخيل كانت مدفونة واقفة برأسها إلى الشمال الشرقي وأن الأشياء كانت محصورة عند رأس الحصان ورقبته . ومما يدعو إلى الدهشة أنه لم يوجد في أية حالة من حالات الدفن جمجمة الحيوان كما أنه لم توجد في أية حالة كذلك آثار للجم أو السرج أو أي عدة خيل من نوع عملي ، فمن المؤكد إذن أن الخيل كانت تقطع رءوسها قبل الدفن .

وقد أرسلت بعض الهياكل الأكثر حفظاً عن غيرها إلى متحف الحيوان المقارن (Museum of Comparative Zoology at Harvard) لفحصها وقد دل الفحص على أن أجسام هذه الخيل تشبه الحيوانات التي تعيش الآن في أوروبا وأمريكا إلا أن هيئتها كانت أدق بقليل إذ كانت أقل ببضع ملليمترات في طول عظمة الساق الطويلة وهذا الكشف يظهر أنها تتفق مع الرأي الذي نشره الأستاذ « ريزنر » في مجلة « السودان »[1] حيث يقول في ص ٢٥٣ إن الحصان كان بكل وضوح من نوع قصير بالنسبة للحصان العربي .

جواد « بيعنخي »[2] :

قبر هذا الجواد مستطيل الشكل ورأسه متجه إلى الشمال الشرقي وله حفرة عميقة لأجل الساقين الخلفيتين أما الساقان الأماميتان فقد صنع لكل واحدة منهما حجر خاص وكذلك توجد سنادة للبطن وسنادة صغيرة جداً للرقبة . وقد وجد هذا القبر منهوباً تماما ولم يوجد فيه أي أثر .

---

(١) راجع Sudan Notes and Records II, p. 104

(٢) راجع Ku., 221 (2) Fig. 43, Horse of Piankhy

جواد « بيعنخى »[1] :

قبر هذا الجواد مستطيل الشكل وفيه ثقوب عميقة لتوضع فيها أرجل الحصان الأمامية والخلفية وسنادة للبطن وأخرى للرقبة . والرأس يتجه نحو الشمال الشرقى وقد وجد هيكل الجواد محفوظا بعض الشئ غير أنه زحزح من مكانه . أما الأشياء التى وجدت معه فهى أجزاء من حبل من الليف المجدول وأجزاء من حصير وبعض نسيج وآثار نسيج دقيق الصنع وعدد كبير من الخرز المصنوع من الخزف المطلى على هيئة حلقات وخرزتان مفرغتان من الفضة المذهبة ، كما وجد بقايا قطع من عين سليمة (وزات) من الفضة المذهبة .

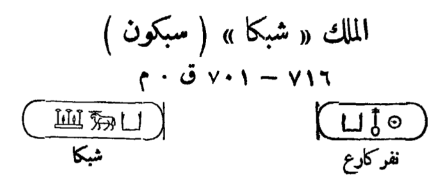
هذا وقد جاء اسم « بيعنخى » على آثار عدة جمعها الأثرى لكلان[2] .

(١) راجع Ku. 222 (2) Fig. 44 a, Horse of Piankhy

(٢) راجع Leclant, Revue D'Egyptologie Tom. 8, p. 215 ff.

الملك « شبكا » (سبكون)

٧١٦ – ٧٠١ ق . م



تولى الحكم بعد الملك « بيعنخى » أخوه الأصغر « شبكا » بن « كشتا » .

وذكر « مانيتون » أنه حكم اثنتى عشرة سنة[1] .

ويعده « مانيتون » أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ، ولعل ذلك لأن الملكين السابقين لم يتخذا مقر حكمهما فى مصر بل كانا يحكمان من بلدة « نباتا » ، وقد يعضد هذا الزعم أنهما لم يدوّنا مقاييس للنيل فى عهديهما . وكان أول من دوّن هذه المقاييس هو « شبكا » كما سنرى بعد .

وتدل الآثار الباقية على أن « شبكا » حكم على أقل تقدير حوالى خمس عشرة سنة وذلك على حسب ما ذكر على تمثال محفوظ بالمتحف البريطانى[2] .

وقد نقل نقوشه الأثرى « بدج » وجاء فيها : السنة الخامسة عشرة ، اليوم الحادى عشر (يجئ بعد ذلك اسم الملك « شبكا ») وعلى ذلك يكون الرقم الذى أعطاه مانيتون لحكم شبكا خاطئا هذا إذا اعتمدنا على النسخة التى نقلها « بدج » عن الأصل .

وقد ترك لنا ملوك الأسرة الخامسة والعشرين سجلات لمقاييس النيل منقوشة على جدران مرسى الكرنك على غرار ما تركته الأسرة السالفة[3] .

---

(١) راجع Ungar, Chronologie des Manetho, p. 246 and 247-249

(٢) راجع Budge, Book of Kings II, p. 10

(٣) راجع Legrain, A. Z. 1896, p. 114

(١) السنة الثانية من عهد جلالة « حور سبكتو » (= سبكتاوى) محبوب الإلهتين (المسمى) « سبكتو » حور الذهبى (المسمى) « سبكتو » ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) « نفر — كا — رع » ابن رع . (شبكا) العائش أبدياً محبوب « آمون رع » رب طيبة ومحبوب « منتو رع » رب طيبة .

إن النيل والد الآلهة كان ارتفاعه عشرين ذراعاً وشبراً وأصبعاً واحدة .

(٢) (النيل) السنة . . . (فى عهد) جلالة الملك « شبكا » .

(٣) (السنة) . . . (فى عهد) جلالة الملك « شبكا » .

ويلحظ هنا أن الملك « شبكا » هو أول ملك بعد « باديباست » الأول من الأسرة الثالثة والعشرين دوّن مقاييس للنيل فى مرسى الكرنك . وكما نرى لم يبق من المقاييس التى تركها لنا إلا تاريخ واحد أما التاريخان الآخران فقد محيا تقريبا .

هذا ويوجد لهذا الملك عدّة آثار أخرى فى مصر وبلاد « كوش » نذكر ما كشف عنها حتى الآن ، ففى طيبة عملت بعض إصلاحات فى البوابة الرابعة بالكرنك التى وجدها تحتاج إلى ترميم ، وهذا الإصلاح عمل على الجانب الشمالى للبوابة الرابعة لمعبد الكرنك العظيم[1] .

وهاك النص : [الملك « شبكا » لقد عمله بمثابة أثره لوالده « آمون] رع » رب طيبة المشرف على الكرنك ، فأصلح الباب العظيم الفاخر (يقصد هنا الباب الرئيسى للبوابة الكبرى الرابعة التى عليها هذا النقش) المسمى « آمون رع عظيم فى القوّة » فعمل لها طبقة عظيمة من الذهب اللطيف الذى أحضره جلالة الملك « شبكا » العائش أبدياً من الانتصارات التى كتبها له والده آمون .

---

(١) راجع L. D. Text. V. 1, b ; Br., A. R., IV, § 889

وقد غطيت القاعة العظمى بالذهب اللطيف والعمود الجنوبى والعمود الشمالى غشيا بالذهب والشفتان السفليان عملتا من الفضة الخالصة (لابد أن المقصود هنا بالعمودين الجنوبى والشمالى هما العمودان الجيلان اللذان أقامهما تحتمس الثالث وهما إلى الخلف بقليل أمام المحراب بالضبط . أما المقصود بالشفتين السفليين فيحتمل أنه القاعدتان) .

وفى بلدة « الكوة » يوجد فى المعبد B المهدى لآمون عمود عليه إهداء للملك « شبكا »[1] . وفى متحف الخرطوم يوجد خاتم آخر من البرنز (لكى البهائم) نقش عليه طغراء الملك شبكا[2] . وفى متحف برلين خاتم آخر باسم « شبكا » ، والمحتمل أنه عثر عليه فى بيت مال معبد « صنم » الذى يقع على مسافة خمسمائة متر شرقى المعبد[3] . وعثر له على جعران من حجر استايتيت (حجر الطلق) فى مكان مأهول عند حافة الماء على الشاطئ الغربى للنيل الأزرق أسفل الخزان ، وهو الآن بمتحف الخرطوم[4] . وفى الواحة البحرية عثر على أحجار عليها اسم هذا الفرعون[5] . وقد وجد لهذا الفرعون فى خارج مصر والسودان آثار نذكر منها :

(١) لوحة من الطين عليها طغراؤه وجدت فى قبر قرطاجنى من القرن الرابع الميلادى وهى الآن فى « تونس » . وقد وجدت فى أرض الخرايب على مقربة من قرطاجنة[6] . وفى فلسطين وجد خاتم جرة فى تل المتسلم نقش عليه اسمه[7] . هذا وقد عثر على جعران لأحد أتباع شبكا يدعى منكرع فى تل الفرعه[8] . وآخر له كذلك

(١) راجع Porter and Moss, VIII. p. 184

(٢) راجع Khartoum Museum no. 5458

(٣) راجع Porter and Moss, Ibid, p. 20 2

(٤) راجع Varia Sudanica. J. E. A. Vol, XXXVI. p. 4

(٥) راجع Porter and Moss, Ibid, p. 311

(٦) راجع Vercoutter, Les Objets Egyptien du mobélier funeraire Carthaginois Pl. XXIV [8 77] and p. p. 262-3

(٧) راجع Porter and Moss, Ibid. p. 381

(٨) راجع Ibid. p. 370

باسم هذا التابع فى تل الحصن (بيسان) عليه اسم هذا الفرعون[١] . وأخيراً وجد له خاتم من طين مثل عليه وهو يضرب العدو فى كوتييك وهى نينوة عاصمة المملكة الأشورية القديمة الواقعة قبالة الموصل[٢] .

مقبرة الملك شبكا[٣] :

يدل ما بقى من مقبرة الملك شبكا على أن الجزء العلوى منها كان هرمى الشكل وكان يحيطها سور مقام من الحجر الرملى وقد حفظت لنا بعض أجزائه . أما معبدها الجنازى أو المزار فقد وجد مهدما وقد بقى الخندق الذى أقيم فيه الأساس هذا ولم تكشف أعمال الحفر عن ودائع أساس لهذا الهرم . أما جزء القبر الذى تحت الهرم فلم يبق منه إلا السلم الذى أمام المزار وباب بسيط مستدير ويحتوى القبر على حجرتين الأولى دهليز له سقف مقبب وسبع درجات مائلة إلى جهة الغرب وطوله ٤,٣٠ من الأمتار ومدخله يؤدى إلى حجرة بوساطة باب مستدير أعلاه وهذه الحجرة مساحتها ٦,٣٥ × ٤,٦٠ متراً ولها سقف مقبب عال وفى وسطها تابوت على شكل طوار له كوات لأجل أرجل السرير . وقد وجدت حجرة الدفن منهوبة تماما .

والأشياء التى عثر عليها فى هذا القبر وجد على بعضها طغراء هذا الفرعون ، كما وجد كذلك بينها طغراء «بيعنخى» . وأهم ماوجد باسم «شبكا» ما يأتى :

(١) مائدة قربان من الجرانيت الرمادى حفرت لترصع بالخزف المطلى وقد نقش عليها متن هيرغليفى على الجزء الأعلى والجزء الأسفل ويتضمن المتن طغراء شبكا[٤] ووجدت قطع كثيرة من العاج المحفور بالحفر الغائر والبارز تحتوى على مناظر وكتابات هيرغليفية منها صورة إله النيل الراكع ، وطغراء شبكا معه صورة تقدم

---

(١) راجع Ibid. p. 379

(٢) راجع British Museum, 84884; Layard Discoveries in the Ruins of Neneveh: & Babylon. P. 156; A Guide to the Babylonian and Assyrian Antiq. (1922) p. 211 [32]

(٣)

(٤) راجع El Kurru, 15. Fig. 20 e Pl. XXX. B

قربانا ، وقطعة من منظر العيد الثلاثيني ومعها طغراء شبكا ، وقطع نقوش من التى تزين بها المناظر ، وأخيراً قطع من منظرى موكب يحتمل أنها من جانبين طويلين لصندوق فنشاهد متجها نحو اليمين شجر نخيل ورجلا معه نعامة ، ونشاهد متجها نحو اليسار برديا ، ورجلا معه حزمة بردى على ظهره وحيوانات وطيور[١] . هذا وقد وجدت تعاويذ عدة وتماثيل عجيبة وقطع من أوان مختلفة من أحجار متنوعة مما يدل على أن المقبرة كانت غنية وبخاصة ما وجد فيها مبعثراً من حبات الذهب وقطع اللازورد والتعاويذ المصنوعة من الأحجار النادرة ، هذا إلى مرآة من البرنز عثر عليها فى حجرة الدفن ولهذه المرآة مقبض مذهب على هيئة عمود فى صورة شجرة النخيل رسم عليه أربعة آلهة بالحفر البارز[٢] .

وكل هذه الأشياء التى بقيت فى هذا القبر الملكى تدل من حيث الصناعة والفن على الاتصال الوثيق بمصر ، هذا فضلا عن أن الحياة الدينية كانت واحدة من كل الوجوه فى كلا البلدين ولذلك لم يكن هناك من الأسباب ما يدعو لفصل هاتين المدنيتين إحداهما عن الأخرى فى أية ناحية من نواحى الحياة فى هذا العصر بوجه خاص إلا فى الشكل الهرمى الذى كان يميل اليه ملوك كوش فى هذا العهد وتنسيق مقابرهم على صورة خاصة بهم .

النهضة فى العهد الكوشى — الدراما المنفية أو تمثيلية بدء الخليقة[٣] :

تدل الأحوال على أن عصر النهضة الذى ينتسب عادة للأسرة السادسة والعشرين كما سنرى بعد كان قد بدأ فعلا فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين ، وأن المبتدعين لهذه النهضة هم ملوك كوش الذين أدخلوا على البلاد قوة جديدة من حيث الفنون الحربية والفنية والأدبية والدينية بل والفلسفة الحقيقية التى لم نرها ممثلة فى مصر

---

(١) راجع El Kurru, 5. p. 58 and Fig. 20. G.

(٢) راجع Ibid. p. 56, and Pl. LXII A—E

(٣) راجع ما كتب فى هذا الموضوع فى كتاب الأدب المصرى القديم جزء ٢ ص ٧ — ١٦

القديمة حتى هذا العهد ، وقد رأينا فيا سبق كيف أن بيعنخى قد وضع خططا جديدة فى فنون القيادة الحربية لم نسمع بمثلها من قبل وكيف أنه دوّن لنا لوحة عن حروبه فى لغة سهلة بسيطة تذكرنا بلغة الدولة الوسطى التى يعد عصرها أعظم عصر ازدهرت فيه اللغة ، وكيف أنه قد أظهر فى نقوشه من التقى والصلاح والإيمان ما جعله يتكل فى كل أعماله وأفعاله على خالقه وأنه زار كل المعابد المصرية التى صادفها فى رحلته من أول نباتا حتى أطراف الدلتا . وقد أعطى لكل إله عناية خاصة وقدم له القربان ثم يلفت النظر أنه حط رحاله فى منف وزار معبد الإله بتاح وقام بشعائر تتويج نفسه هناك بوصفه الإله الأعظم على الرغم من أن ميول هذا الملك كانت موجهة لإلهه الأعظم آمون رع . وعلى أى حال نلحظ فى كل أعمال هذا الملك الميل إلى القيام بنهضة جديدة فى كل مرافق الحياة المصرية ، على أن ما جعل لهذه النهضة قيمتها العظيمة هو أن الملوك الذين خلفوه قد ساروا بها سيراً حثيثا بقدر ما سمحت لهم به الأحوال العالمية التى كانت تحيط بهم ،ولا نزاع فى أن أخاه الأصغر « شبكا » قد شجع هذه النهضة تشجيعاً محساً . ولا أدل على ذلك مما تركه لنا من آثار عظيمة تدل على ميله لإحياء ما كان لمصر من مجد عريق فى الدين والفلسفة .

والواقع أنه قد وصل إلينا من عهده المتن الحقيق لوثيقة يقال إنها دوّنت فى عهد بداية الاتحاد الثانى لمصر أى من عهد مينا ، ولدينا منها نسخة منقوشة على حجر أسود محفوظ الآن بالمتحف البريطانى وكان من أمر هذا الحجر أنه استعمله أخيراً القرويون المصريون قاعدة لطاحون تطحن عليه غلالهم ، وقد وصل إلينا بصورة ناقصة لتآكل ما عليه من كتابة [1] . ومن يقرأ السطر المنقوش على قمته يعرف شيئاً عن أصله إذ يوجد فيه اسم الملك « شبكا » الكوشى الذى حكم مصر فى نهاية القرن الثامن قبل الميلاد ويلى اسم هذا الفرعون نقوش تقول إن جلالته (يعنى شبكا) نقل تلك الكتابات من جديد فى بيت والده بتاح القاطن جنوبى جداره (أى منف) وقد وجدها جلالته

(١) راجع Sethe, Dramatische Texte. pp. 12—22

بمثابة تأليف للأجداد قد أكلها الدود حتى أصبح لا يمكن قراءتها من البداية حتى النهاية ؛ وإذ ذاك قام جلالته بكتابتها من جديد حتى أصبحت أكثر جمالا مما كانت عليه من قبل . ومن ثم نفهم أن ملك مصر الكوشى كان مهتما بالمحافظة على الكتابات القديمة التى كتبها الأجداد وإحيائها من جديد وهذا ما يوسم به عصر النهضة الذى يقال إنه بدأ فى عهد الأسرة السادسة والعشرين . ولا نزاع فى أن هذا المتن كان مدوناً على بردية وإلا لما استطاع الدود أن يأكله . ويلحظ أن هذا المتن قد سماه شبكا الكوشى « تأليف الأجداد » ، وهذا التعبير منهم يوحى إلينا بأن كتّاب هذا الملك فاتهم أن الكتابة التى ينسخونها كان عمرها إذ ذاك يزيد على ٢٥٠٠ سنة لأن لغة الوثيقة تحتوى على اصطلاحات تدل على أنها قديمة جداً كما أن المتن يكشف لنا عن موقف تاريخى يدل داهة على أن وقوعه لا يمكن أن يكون إلا فى بداية الاتحاد الثانى ، أى فى العهد الذى أسس فيه مينا الأسرة الأولى حوالى ٣٤٠٠ ق . م . ومعنى ذلك أنه قد أظهر لنا أقدم أفكار وصلت إلينا مدونة فى تاريخ العالم لأقدم أقوام . ولكن من جهة أخرى لا نجد فى ذلك إبهاما ولا غموضا لأنه على ما يظهر كان غرض النهضة الجديدة التى قام بها ملوك كوش هو إحياء مجد مصر القديم والعودة إلى تقليد كل ما هو مصرى يدل على مجد البلاد وعظمتها ، فلا غرابة إذاً أن نجد أن ملوك كوش هم أول من قاموا بهذه النهضة لأنهم ينتسبون إلى السلالة الحامية التى نشأ منها المصريون وعلى ذلك لن ندهش من قول « شبكا » عن هذا المتن إنه من « تأليف الأجداد » أى أنه ينسب إلى قوم مصر وأنه هو من نسلهم فحقه فى ملك مصر طبعى ، والوثيقة تشبه كل الشبه — بحالة تجذب النظر — القصص المقدسة التى مثلت فى المسرحيات الرمزية فى القرون الوسطى . والمسرحية المنفية التى نحن بصددها تعد أقدم سلف لها وقد وجدنا أن بتاح إله منف يقوم فى كل من الجزء المسرحى والجزء الفلسفى بدور إله الشمس الذى يعد إله مصر الأعلى وذلك يفسر لنا العادة التى كان يسعى بها هذا الإله المحلى للحصول على عظمة إله الشمس وبهائه ، وذلك بأن يتقلد سلطته ويستولى على الدور الذى لعبه فى تاريخ مصر الخرافى .

وتدل بوضوح سيادة « بتاح » فى تلك المسرحية على تزعمه « منف » مدينته الأصلية تزعماً سياسياً ، وتلك الزعامة ترجع فى هذه الحالة إلى انتصار «مينا» مؤسس الأسرة الأولى ، وذلك الملك هو الذى أسس « منف » لتكون عاصمته ومقر ملكه وهذا هو ما حدا بالملك « بيعنخى » لزيارة « منف » و إقامة الشعائر بتولى الملك فيها وعلى الرغم من وجود أصل تلك المسرحية المنفية فإن المنبع الأصلى لمحتوياتها العجيبة كان بلا شك بلدة « هليوبوليس » (مما دعا بيعنخى لزيارتها وتقديم القربان للاله رع فيها) وبذلك نجد فيها أصل لاهوت كهنة « عين شمس » الفلسفى كما تطور فى عهد الاتحاد[1] الأول أى عندما وصل إلى المرحلة التى نجد فيها كهنة « منف » يخصون به إلههم « بتاح » ، فهذه المسرحية تبرز لنا إذن إله الطبيعة القديم وهو إله الشمس رع متحولا تماما إلى قاض يحكم فى شئون البشر (بمقتضى قانون أطلق عليه اسم ماعت وهو يعنى الحق والصدق والعدالة والحكم الصالح) .

ويمكن تلخيص محتويات هذه المسرحية بأنها محاولة لتفسير الأشياء على حسب نظرية كهنة « منف » ، ويدخل فى ذلك نظام العالم الخلق ، وكذلك تدل على أن أصلها يرجع إلى « بتاح » إله « منف » ؛ أما كل العوامل التى ساعدت على خلق العالم أو المخلوقات التى كان لها نصيب فى ذلك فلم تكن إلا مجرد صور أو مظاهر لبتاح إله « منف » المحلى المسيطر على أصحاب الحرف والصناعات والذى يعد إله كل حرفة (يقصد أنه كان الإله الأحد الفرد الصمد) .

ولم يكن فتح «مينا» لمصر واتخاذ «منف» الواقعة بين الوجه القبلى والوجه البحرى عاصمة ومقرا لملكه إلا خطوة نحو الاعتقاد بأن « بتاح » هو الصانع الأعظم الذى خلق العالم . على أن المجهود الذى بذل لينال الإله « بتاح » هذه المكانة قد ساعده مساعدة جدية فى الاستيلاء على السلطة والسيادة الفريدة التى كان يتمتع بها الإله « رع »

(١) أن موضوع الاتحاد الثانى فيه شك .

الذى كان يتزعم فى « منف » آماداً طويلة آلهة مصر بما كان له من المكانة الممتازة فى « هليو بوليس » .

وعلى أية حال فإن اللاهوت المنفى الذى نقرؤه فى هذه الوثيقة يقدم لنا التعاليم الدينية الخاصة بعاصمة « مينا » الجديدة . وهذا اللاهوت يجمع بين آراء نفهم منها أنها جديدة ، وذلك لأنها خاصة بالتأسيس الجديد للدولة المصرية وبين آراء أخرى نشك فى أنها جديدة لأنها لا تتفق مع المعتقدات المصرية السائدة ، ولم يكن فى الاستطاعة الاعتراف بها إذ لم تكن جزءاً من الحركة العظيمة التى قامت فى فجر التاريخ — هذا وتوجد بعض عقائد أخرى يظهر أنها متأصلة فى التقاليد المصرية بل توجد فى التقاليد الافريقية وترجع إلى آماد بعيدة جدا فى القدم . والواقع أن هذا المتن كما أشرنا خاص بنظام الكون فهو يصف نظام الخليقة ويجعل من مصر كما نظمها « مينا » جزءا لا تنفصم عراه عن هذا النظام ، ولكن بتاح الإله المحلى الذى أقيم له معبد جنوبى جدار منف قد أعلن بأنه خالق الكل كما جمع بحجة غاية فى الجسارة والعمق الفوائد العقلية للتوحيد ، هذا مع تنوع الآلهة المصريين المعترف بهم وقتئذ . غير أن هذه التأملات الهامة التى يحتويها هذا المتن لا تؤلف إلا الجزء الخامس الذى اشتهر من أجله هذا المتن وهو عبارة عن مقال يبحث فى موضوع المجتمع الطبعى ؛ وأنه لمن الغريب أن نرى رأى المصرى عن الملكية قد وضح فى مثل هذا السياق من الكلام .

ويمكن تقسيم المتن بحالته الراهنة ستة أقسام . وهذا التقسيم لا يعتمد على أصل بل وضع لسهولة الفهم ، والقسم الأول قد هشم تهشيما مريعا غير أن موضوعاته الرئيسية يمكن التعرف عليها . فمن جهة نجد أن أرض مصر قد أعلن أن وجودها فى الإله الخالق « بتاح » « تاتن » ، أى بتاح هو الأرض التى رفعت ومن جهة أخرى قد أشير إلى ظهور مملكة موحدة تحت حكم ملك واحد وما بقى من الجزء الأول هذا هو :

. . . « بتاح » أى هذه الأرض المسماة بالاسم العظيم للاله تاتن . . .

وإن الذى وحد هذه (الأرض) قد « ظهر ملكا للوجه القبلى وملكا للوجه البحرى » ؛ والجمل التى تتلو ذلك تذكر أن «آتوم » وهو إله الشمس الخالق للمعتقدات المصرية العامة ، قد اعترف بأن « بتاح » قد برأه وكذلك خلق كل الآلهة الآخرين وسنفهم معنى ذلك فيا بعد .

والإشارات المختلفة التى تشير فى المتن إلى كلمة أرض (تا) يجب أن تفهم بشئ من التقدير للمعانى الصوتية المختلفة (أى التورية) التى يحبها المصريون ويميلون إليها ، فالكلمة تعنى المملكة أى مصر بكل معانيها وكذلك تعنى التربة الخصبة وبهذا المعنى الأخير تصبح موحدة باسم الخالق بتاح « تاتن » (أى الأرض المرتفعة) ، والأرض المرتفعة من جهة أخرى لها معان شتى منها أنها ترمز إلى الاعتقاد المصرى فى العالم القائل بأن الخليقة ابتدأت بظهور تل وهو التل الأزلى الذى ظهر فوق ماء العدم أو المحيط الأزلى . ومعلوم أن بتاح أى الأرض المثمرة موحد بهذا التل وهو نقطة البداية لكل موجود وحتى للحياة نفسها ، ولكن « التل الأزلى » يرمز كذلك فى الوقت نفسه إلى الأرض التى قد جففها الملك مينا من مياه المستنقعات لأجل أن يقيم عليها مدينة « منف » ومعبد الإله بتاح ، وفضلا عن ذلك يرمز هذا التل إلى « الأرض العظيمة » وأعنى بذلك إقليم ثنى (طينة القريبة من العرابة) وسنرى بعد أن هذا التل له أهمية فى اللاهوت الجديد .

والقسم الثانى من المتن يعالج موضوعا حدث قبل تمكين النظام فى كل من الكون والدولة المصرية . وتفسير ذلك أن كلا من الإلهين « حور » و « ست » كان يتشاجر مع صاحبه على حكم مصر وقد فصل بينهما فى هذا الأمر الإله « جب » (إله الأرض) فقسم البلاد بينهما ، غير أنه ندم على القرار الذى اتخذه فى هذا الشأن ورجع فيه وأعطى كل البلاد حور . ومن ثم قيل إن تاجى الوجه القبلى والوجه البحرى ينموان من رأس حور . ثم يظهر « حور » يلعب دور الملك « مينا » . (وهذا الدور

يقوم به كل ملك لمصر عند تتويجه) موحداً الأرضين فى حكمه المنفرد ، يضاف إلى ذلك أن التاسوع أو تسعة الآلهة الذين كانوا يساعدونه يفسرون العلاقة التى بين الملك والآلهة . ومما يؤسف له أن المتن وجد مهشما فى بداية هذا القسم من المتن . وهاك ما تبقى منه :

. . . واجتمع إليه التاسوع (أى إلى جب) وفصل بين حور وست . . . ومنعهما عن الشجار . ونصب « ست » ملكا على الوجه القبلى فى الجنوب فى المكان الذى ولد فيه أى فى بلدة « سو » (وتقع بالقرب من مدينة هيراكليوبوليس وهى الكاب الحالية) ؛ ثم نصب « جب » حور ملكا مصريا للدلتا فى الوجه البحرى فى المكان الذى غرق فيه والده (أوزير) عند « منتصف الأرضين » (يحتمل أن ذلك المكان كان بالقرب من منف) وعلى أثر ذلك وجد « حور » فى مكانه و « ست » فى مكانه ، واتفقا معاً فيما يخص الأرضين فى عيان (مكان قبالة القاهرة) وهو الحد أو الفاصل للأرضين . . . غير أنه كان كريها لقلب جب أن يكون نصيب « حور » مثل نصيب « ست » وعلى ذلك منح جب كل إرثه إلى حور أى إلى ابن ابنه البكر (والمعنى الحرفى فى المتن المصرى إلى أول من فتح جسمه) . وقد سمى « جب » « حور » فاتح الجسم إشارة إلى أنه أول مولود لابنه أوزير . ومن ثم نجد أن « حور » أصبح يوحد بالإله الذى كان يصور فى صورة ذئب وهو « وبوات » ومعنى اسمه فاتح الطرق ويرتبط كل من صورته ورمزه بالفرعون ارتباطا تاماً فى كل الأحفال العظيمة كما سنراه بعد .

ويلفت النظر فى هذا المتن معالجة موضوع « حور » . فنجد عند التقسيم الأول للبلاد أن « ست » كان قد ذهب إلى المكان الذى ولد فيه ولكن « حور » ذهب إلى المكان الذى غرق فيه والده ومن ثم نفهم أن « حور » على عكس « ست » لم يعين ملكا بحق مباشر على ما يظهر بل كان يعتبر الخلف الشرعى لوالده أوزير — وثانيا نجد أن « جب » عندما غير فكره وأعطى كل البلاد « حور » قد برر عمله بإعلان « حور »

فى ابتهاج وسرور أنه هو بكر والده أوزير — وقد تولى حور الملك على الأرضين لا بوصفه فاتحاً مظفراً ؛ بل بوصفه الوارث الشرعى لأبيه أوزير الذى كان حاكما على الأرضين قبل مماته .

وإذا تذكرنا أن هذا المتن كان قد ألف فى عهد الملك « مينا » وهو يعد ملكا فى صورة « حور » وأنه كان قد انتهى من فتح مصر كلها وتوحيدها تحت سلطانه فإنه يمكننا أن نقدر الأهمية النسبية فى العقل المصرى لهذا الحادث من حيث الحقائق التاريخية واللاهوتية .

وإنه لمن المهم أن نرى الإله «جب» يقوم فى هذا الموضوع بدور الحكم، ولا نزاع فى أنه كان له الحق فى أن يقوم بهذا الدور بوصفه والد أوزير وبكونه آله الأرض ، ففى الحالة الأولى كان يعمل بوصفه رأس الأسرة بماله من سلطان بدائى ، معترف به فى كل العالم ، أما فى الحالة الثانية فكان بطبيعة الحال يقوم بقسمة أرض مصر لأنه إله الأرض .

ويلحظ أن قراريه المتتاليين يمثلان بوضوح الأسطورة التى يمكن أن يوضح بها كل الآراء المركبة الخاصة بملكية مينا الثنائية ، وأعنى بذلك الرأى الأساسى الذى يعبر عن عالم ممثل فى توازن ثابت لا يتحرك بين قوتين متضادتين وهما « حور » و « ست » وبعبارة أخرى ملك الوجه القبلى والوجه البحرى بوصفه صورة سياسية لما نشب بينهما من شجار يضاف إلى ذلك قيام حكومة ممثلة فى شخص واحد فى نهاية الأمر .

ثم يستمر المتن بعد ذلك مؤكدا من جديد صلة الأرض بالإله « بتاح » وهى الصلة التى كانت موضوع القسم الأول من هذا المتن فيقول :

« وقف حور بوصفه ملكا على الأرض وبذلك أصبحت هذه البلاد موحدة وسميت باسمها العظيم تاتن الذى فى جنوب جداره (كلمة الجدار هنا تعنى بلدة منف) رب الأبدية . . » .

« وقد نما من رأسه العظيان فى السحر (أى التاجان) وعلى ذلك حدث أن « حور » ظهر ملكا على الوجه القبلى وملكا على الوجه البحرى ضاما الأرضين فى أقليم الجدار الأبيض عند المكان الذى ضمت فيه الأرضان » ويتلو ذلك شعيرة دينية كان المقصود منها ظهور رضاء قسمى مصر بالاتحاد ، فقد وضع كل من البنائين الذين يمثلان الوجه القبلى والوجه البحرى عند مدخل معبد الإله «بتاح» وهاك النص :

« وحدث أن البشنين والبردى قد وضعا على البوابتين الخارجيتين لمعبد بتاح ويعنى ذلك : أن « حور » و « ست » حملا سويا وضما للتآخى معا وبذلك انتهى شجارهما فى أى مكان يكونان فيه وقد ضما فى معبد « بتاح » وهو ميزان الأرضين الذى وزن فيه الوجه القبلى والوجه البحرى » .

القسم الثالث (وجد مهشما جدا) والظاهر مما بقى من هذا المتن أنه بعد أن قررت وراثة « حور » للملك بوصفه الوارث الشرعى يعود الآن إلى سلفه أوزير ويفسر علاقة هذا الإله بالإله « بتاح » وبالعاصمة الجديدة ، غير أن الجزء المفقود من المتن كبير جدا مما يجعل من الصعب الحكم على هذه العلاقة بصفة قاطعة . ويقال إن بلدة « منف » قد استقت أهميتها من كونها مخزن غلال مصر وذلك يرجع إلى أن الإله أوزير قد دفن هناك وهذه الحقيقة ذكرت ثانية فى القسم الخامس من هذا المتن حيث وجدنا المتن أكثر حفظاً هناك كما سنرى بعد .

والقسم الرابع من هذا المتن يعالج موضوع إقامة القلعة الملكية فى « منف » وهى التى ذكرت من قبل بأنها المكان الذى دفن فيه أوزير ، وهى هامة كذلك بوصفها مقر الحكومة لكل مصر التى أسسها ووحدها « مينا » والمتن فى حالته التى وجد عليها لا يحتمل تعليقا أكثر من ذلك لتهشمه .

والقسم الخامس وهو البيان المشهور الذى فاه به « بتاح » بوصفه الخالق

الأحد وهو برهان لاهوتى معقول نفهم منه أن آلهة مصر ليست إلا مظاهر من صور الإله « بتاح » ويمكن تلخيصه فيما يأتى :

دل البحث على أن كل شئ موجود يرجع أصله إلى أفكار عقل « بتاح » (وكلمة عقل هنا عبر عنها بالمصرية القلب) وهى التى قد جسمت فنطقها بلسانه وبوساطتها أوجد « بتاح » العالم المرئى وغير المرئى وكل المخلوقات الحية وكذلك العدالة والفنون الخ. وهذا البيان يقدم لنا فى الوقت نفسه صورة نظام مقرر صالح لكل زمان فى عالمنا الواقعى فالمدن والمعابد المصرية ليست فى الواقع إلا جزءاً من هذا النظام . والجملة الأخيرة من هذا القسم تختم بالدائرة التى يتألف منها هذا الجزء من المتن ، ففى حين نجدها قد ابتدأت بالقول أن الآلهة قد خرجوا من الإله « بتاح » بوصفهم أفكاراً واقعية لعقله فإنها تختم بجعل هؤلاء الآلهة يدخلون فى أجسامهم (أى تماثيلهم) من كل نوع من المواد كالحجر والمعدن والخشب الذى قد نمى من « الأرض » أى من الإله « بتاح » .

ويلاحظ أن المتن يبتدئ بسلسلة معادلات إلهية عددها ثمان نرى فيها تعدد الآلهة فى مصر (وبهذه الطريقة لخلق برأ « بتاح » الآلهة الواحد تلو الآخر) ، غير أنه قد أضيف إليها الفكرة الجديدة القائلة فى النهاية بوحدانية الله فقد أعلن أن الآلهة ليسوا إلا مظاهر للاله « بتاح » ، وقد اختير ثمانية الآلهة دفاعا عن رأى شائع الانتشار خاص بالخلق يعترف فيه بأن إله الشمس هو الخالق ، ولكن فى الوقت نفسه يدل هذا الرأى على أن الشمس قد انبثقت أو خلقت من مياه العدم بوساطة ثمانية آلهة غريبين لم يكونوا بدورهم إلا ممثلين لمياه العدم كما يدل على ذلك أسماؤهم وهم :

« نون » هو ماء العدم أو المحيط الأزلى .

« نونت » هى زوجه وكانت تمثل السماء التى فوقه ، وبعضهم يفضل القول أن نون هو المادة غير المنتظمة الأولية ، ونونت هى الفضاء الأولى وقد صارت

« نونت » فى العالم المخلوق أى المقابل للسماء وهى تمثل محنية على العالم السفلى وتقابل نون وتشبهها كما أن « نون » قد أصبح الأقيانوس الذى يحيط بالأرض و يسندها .

« كوك » و « كوكت » و يمثلان غير المحدود أو اللانهاية .

« هوه » و « هوهت » و يمثلان الظلام والعتمة .

« آمون » و « أمونت » و يمثلان الخفى والمستتر[١] .

ومن ثم توجد نقطة هنا يمكن للاهوتى المنفى أن يتخذها أساساً يدعى بها أن « بتاح » هو الخالق إذ نجد فى المتن آلهة أقدم من إله الشمس هذا ويؤكد المتن الذى فى أيدينا أنه حتى هؤلاء الآلهة أو بعبارة أخرى العدم كانوا هم مادة « بتاح » أى مظهراً من كينونته لم يكونوا قد وجدوا بعد ، ومن ثم نجد أن المعادلة الثانية من المعادلات الثمانية السالفة الذكر تقرأ هكذا :

« بتاح — نون » الوالد الذى أنجب « آتوم » ونعرف أن « نون » هو المحيط الأزلى الذى خرج منه « آتوم » أى الشمس الخالقة ولكن نعرف أن « بتاح » يظهر فى كل إله ، وعلى ذلك يظهر فى الإله « آتوم » و « بتاح » الواحد العظيم هو قلب التاسوع ولسانه .

ومن ثم نفهم أن الواحد العظيم يعادل « آتوم » الذى خلق تاسوع « عين شمس » وهو الذى يسمى قلبه ولسانه وذلك لأن هذين العضوين هما عضوا التكوين على حسب اللاهوت المنفى ونعت « الواحد العظيم » قد ذكر هنا لأنه يبرز أمامنا بصورة واضحة القوة الفريدة للاله « بتاح » أى أن « آتوم » الذى كان يعبد بوجه عام بوصفه الخالق للآلهة والعالم ليس إلا منبثقا من « بتاح » أو بعبارة أخرى خرج منه .

والمعادلات الثمانية التى ذكرناها فيما سبق ظهرت بالعنوان التالى : الآلهة الذين

---

(١) راجع .Kingship and The Gods, p. 154

خرجوا من « بتاح » (أى نبعوا منه) . والواقع أنهم يقدمون كل الآلهة الذين فى المتن بمثابة صيغة متفق عليها ، ولكن هذه النظرية تذكر بعد ذلك مرة أخرى فى صورة قصة خلق العالم ، وهنا يمكننا أن نلحظ كيف أن اللغة المصرية القديمة بوصفها أداة للتعبير العقلى كانت تميل إلى الأشياء المحسة ولم تكن على استعداد للتعبير عن آراء معنوية . وقد استعملت هنا أداة للتعبير عن بعض معنويات تدعو إلى الدهشة . والواقع أن مؤلف هذا المتن قد عبر بوضوح عن الاعتقاد بأن أسس الوجود روحية ، وهى آراء تصورها الخالق وجسمها بأقواله أى بقلبه ولسانه . والواقع أن المتن يعبر عن هذا بأن القلب واللسان هما عضوا التكوين ، وهذان اللفظان محسان بدرجة كافية ، غير أننا نكون قد أخطأنا قراءة المتن إذا فهمناهما بمعناهما الظاهر فنحن نعرف من متون أخرى عدة أن « القلب » يعبر عن العقل أو الفهم أو حتى عن الروح . واللسان هو الذى ينفذ الفكر فهو يترجم الآراء إلى حقيقة بواسطة « حو » الذى معناه النطق والأمر أى النطق الآمر ، وعلى ذلك يجب علينا أن نقرأ هذه الفقرات بوصفها الحقيق الذى يقابله ما جاء فى إنجيل « يوحنا » وهو : فى البدء كان الكلمة والكلمة عند الله وكان الكلمة الله (إنجيل يوحنا الإصحاح الأول سطر واحد) .

وهاك النص المصرى لهذا المتن : لقد أوجد فى قلب الإله « بتاح » وعلى لسانه (شئ) فى صورة « آتوم » . إن « بتاح » الذى ورث قوته كل الآلهة والأرواح عظيم ورفيع بوساطة قلبه وعلى لسانه . . . واتفق أن القلب واللسان قد تغلبا على كل الأعضاء الأخرى باعتبار أنه (أى الإله بتاح) قلب فى كل جسم ولسان فى كل فم لكل الآلهة والناس والحيوان والزواحف وكل شئ آخر يعيش فى حين أنه يفكر بمثابة قلب ويأمر بوصفه لساناً بكل شئ يرغب فيه ، وكل كلمة مقدسة قد صارت فى حيز الوجود بوساطة ما فكر فيه القلب وأمر به اللسان .

وعلى ذلك برأت الأرواح (كاو) وخلقت « حمسوت » (مؤنث كلمة كاو) وهم الذين يصنعون كل المؤن وكل الطعام بهذا الكلام (الذى فكر فيه بالقلب ونطق به

لسانه) وعلى ذلك يقضى بالحق لمن يفعل ما يحب ، ويقضى بالشر على من يفعل ما هو ممقوت وعلى ذلك تمنح الحياة للسالم والموت للجرم .

وعلى ذلك ينجز كل عمل وكل صناعة وكذلك ينجز عمل الذراعين ومشى الساقين وحركة كل الأعضاء على حسب هذا الأمر الذى فكر فيه القلب وخرج من اللسان وهو الذى ينظم أهمية كل الأشياء . ولا نزاع فى أننا نجد هنا إيضاحاً بطريقة فيها شذوذ عن بيان يعلن وحدة الله وصفته الروحانية وانتشاره فى الطبيعة الحية .

وقد حذفنا هنا برهانا لاهوتيا يقرر مرة أخرى أن فكرة « بتاح » ونطقه هما أساس عمل « آتوم » فى تكوين الخليقة ولدينا تأكيد آخر لهذا مماثل يأتى بعد الأسطر التى اقتبسناها هنا فنقرأ ما يأتى :

وهكذا ارتاح « بتاح » بعد أن خلق كل الأشياء وكل الكلمات المقدسة وقد برهنا من قبل على أن هذه الكلمات المقدسة تعنى فى الحقيقة الأمر الإلهى الذى وجدت فيه كل الأشياء أماكنها اللائقة بها .

وعلى أية حال فإنه مما لا شك فيه أن المتن يصف لنا كيف أن « بتاح » قد قرر أمراً معيناً وما اقتبسناه هنا قد فسر لنا أن الآلهة والمخلوقات الأخرى وكذلك نفس حياتها وسر حياتها قد اشتقت من عمل « بتاح » بوصفه فاطر الخلق ثم يستمر المتن ناسباً للاله « بتاح » وضع نظام دينى للأرض وهو العبادات المحلية وكل خصائصها حتى نفس أشكال الآلهة التى كانت تعبد ، وذلك لأن تماثيلها كان قد صنعها « بتاح » من مادة تنمو على جسمه بوصفه إله الأرض . وهاك المتن :

لقد خلق الآلهة (المحلية) وصنع المدن وأسس الأقسام الاقليمية ووضع الآلهة فى أماكن عبادتهم وجدد قربانهم وأقام محاريبهم وجعل أجسامهم تنطبق على ما يشرح صدورهم (أى الأشكال التى يريدون أن يظهروا فيها) وهكذا دخلت الآلهة فى أجسامهم من كل نوع من الخشب ومن كل نوع من الحجر ومن كل نوع

من الطين ومن كل نوع من شئ ينمو عليه مما مثلوا فيه ، وهكذا فإن كل الآلهة وأرواحهم كانت فى اتحاد معه راضية وموحدة مع رب الأرضين » ومن ذلك نفهم أن كل العبادات المختلفة قد ظهرت هنا بوصفها من ابتكار إله البلاد الموحدة .

القسم السادس :

والقسم السادس والأخير من هذا المتن يستمر فى تنسيق العلاقات الوثيقة بين الإله وأرض مصر ، وذلك بالتحدث عن « منف » وهى موقع معبد الإله « بتاح » وعاصمة البلاد الجديدة . وذلك أن «منف» يقال عنها إنها ذات أهمية خاصة فى تموين مصر ، وهذه حقيقة يفسرها ما قيل عن وجود جسم « أوزير » مدفوناً فى تربتها . ويعترف المتن أن « أوزير » لم يكن دائما مرتبطاً بمنف ، أى أنه لم يكن قد نبت فيها بل وصل إليها بماء النيل ، ويحدث إلينا المتن على نسخ الأسطورة التى نسبت إليه فيابعد وهى القائلة بأن «أوزير» الغريق هو الذى أخرج جسمه بعد ذلك إلى الشاطئ بواسطة كل من « إزيس » « ونفتيس » غير أن كلمة الغريق هنا تحمل فى طياتها معانى بالنسبة لهذا الإله لا يمكن أن تدل على الترجمة الحرفية للكلمة والواقع أن التناقض فى قصة «أوزير» ينحصر بالضبط فى أن هذا الإله يصبح مركزه فى الموت قوة إحياء ومن ثم نجد أن النيل وبخاصة فيضان النيل (« حعبى » أى الفيضان أو إله الفيضان) يعد مظهرا من مظاهر أوزير وعلى ذلك فإن علاقة « أوزير » بالنهر لا يمكن التعبير عنها تماما بالقول إنه قد أهلك بالماء أى أغرق ، فالإله «أوزير» كان فى المياه . وقد ترجم الفعل ، (أو يجب على الأقل أن يترجم هنا الفعل الدال على ذلك بلفظة عام لاغرق) ، والفكرة هنا أن الإله هو القوة الفعالة والتأثير المفيد للفيضان ، وعلى ذلك يمكن التعبير هنا فقط بدقة فى هذه الأسطورة بوصف صورة «أوزير» التى فى هيئة إنسان بأنها كانت عائمة أو مغموسة فى ماء النهر ، أما العثور على « أوزير» الذى يصفه المتن هنا بانتشال جسمه بواسطة إزيس و « نفتيس » فقد مثل فى الشعائر الدينية فى صورة رفع جسمه من ماء النيل العذب .

أما القول بأن « أوزير » قد دفن فى العاصمة الجديدة فإن ذلك يعد إعلانا عنها بأنها المركز الذى تنتشر منه القوى المحيية ، ومن ثم يمكن أن نطلق على « منف » مخزن الغلال . . . . حيث يعنى بالمؤن اللازمة للأرضين .

ولما كان المتن هنا يعترف صراحة بأن « أوزير » لم يكن فى «منف» فى موطنه الأصلى فإنه يمكن أن يتساءل الإنسان من أين جاء « أوزير » إلى هذه المدينة . والواقع أن « العرابة المدفونة » قد ادعت أنه من أهلها ولذلك يمكن الإنسان أن يتساءل هنا لماذا ينسب هذا الإله للعاصمة التى أسسها « مينا » عند نهاية الدلتا . والظاهر أن « أوزير » كان جد أسرة الملوك الذين منهم « مينا » ولا يخفى أن أهمية الملوك المتوفين فى مصر القديمة كما هى الحال فى أفريقيا (الحديثة) كانت عظيمة لدرجة أنه لا يمكن للانسان أن يرمق بالعناية الإلهية نقل المقر الملكى من مقاطعة « طينة » التى فيها العرابة المدفونة إلا إذا نقلت إليها صورة « أوزير » جد الأسرة لتكون على اتصال أكيد بالعاصمة الجديدة وهذا الاتصال قد أوجده النيل الذى ظهر فيه «أوزير» ومثله ، وهو الذى كان يمر بمنف كما كان يمر بالعرابة وقد فسر ذلك أسطوريا فى قصة خلاص جسم « أوزير» من المياه، وينسب خلاص «أوزير» الفعلى فى اللاهوت المنفى وفى أسطورته إلى الإلهتين « إزيس » و « نفتيس » غير أن اللاهوت على عكس الأسطورة يؤكد أن الإلهتين قد عملتا بأوامر من «حور» بن « أوزير» ويتفق اللاهوت مع متون الأهرام فى ذلك حيث نجد أن « حور » الملك العائش يظهر بوصفه الحاث على كل الأعمال المفيدة لأوزير سلفه ووالده .

ويستمر المتن فى وصف مصير « أوزير » بعد دفنه ، وهنا نجد مصير « أوزير » كان مزدوجا فمن جهة نجده ينضم إلى إله الشمس فى دورته اليومية من الشرق إلى الغرب ومن جهة أخرى ينضم إلى بلاط « بتاح تاتن » ورجال حاشيته الذين كان لزاما عليهم أن يسكنوا حيث كان الإله « بتاح » فى بطن الأرض . والواقع أنه صار أرضاً ، وهذه العبارة هى المحك فى هذا القسم من المتن وذلك لأنها تفسر

كما رأينا فى القسم الثالث الخصوبة الفائقة الحد لإقليم « منف » حيث دفن « أوزير » وعلى أثر دفن « أوزير » مباشرة يذكر أن الإله « حور » قد اعتلى عرش الملك وبذلك ينتهى المتن .

وهاك نص هذا القسم : « إن مخزن غلال الإله « بتاح تاتنن » كان العرش العظيم (أى منف) الذى يشرح قلوب الآلهة الذين فى معبد بتاح سيدة الحياة (لقب للمعبد) حيث يعنى بمؤن الأرضين لأن « أوزير » سبح فى مياهه (النيل) ، وقد لحظه كل من « إزيس » و « نفتيس » وقد رأتاه وذهلتا ولكن « حور » أمر كلا من « إزيس » و « نفتيس » أن تمسك بأوزير بدون تأخير وتمنعاه السباحة بعيداً وأدارتا رأسيهما فى الوقت المناسب وجعلتاه يصل إلى اليابسة .

ودخل البوابات السرية (فى العالم السفلى) وكان فخار أرباب الأبدية (أى الأموات) ، وكانوا يسيرون مع الذى يضئ فى الأفق (الشمس) على طريق « رع » وفى العرش العظيم (أى منف) . وقد دخل البلاد (أى أوزير) وتآخى مع الإلهين « تاتنن » و « بتاح » رب السنين .

وبذلك صار «أوزير» أرضا فى القصر الملكى على الجانب الأيسر لهذه الأرض التى وصل إليها ، وقد ظهر ابنه « حور » ملكا للوجه القبلى وملكا للوجه البحرى بين ذراعى والده « أوزير » فى حضرة الآلهة الذين كانوا أمامه والذين كانوا من خلفه » .

وإذا فحصنا الآن اللاهوت المنفى فى مجموعه فإن أهم ما يتسم به — غير الوجهة الروحية التى تتصل بخلق العالم — أنه هو الكيفية التى اختلطت فيها الحقيقة بالخرافة . حقاً إن كل الشخصيات التى ذكرت فى المتن آلهة ، غير أننا نعلم أن الفن المصرى يقدم لنا الفرعون بوصفه إلها وقد رأينا فى القسم الثانى من هذه الوثيقة أن الإلهين « حور » و « ست » كانا يتخاصمان غير أن موضوع خصامهما كان من أجل التسلط على ملك مصر . ونعلم من جهة أخرى أن الملك كان يدعى أحيانا

بعبارة « حور » و « ست » ليدل على أن حكمه يعلن نهاية الخلاف الذى وقع بين هذين الإلهين ، ولا يفوتنا أنه ذكر فى القسم الخامس من هذه الوثيقة قصة خلق العالم وذلك بمنح الخالق اللقب الملكى « رب الأرضين » فى حين أن القسم السادس وهو النهائى كان خاصا صراحة بالعاصمة « منف » وبأسطورة « أوزير » . ولا نزاع فى أن المكان الذى حدثت فيه القصة حقيقى لا خرافى فقد حدثت فى « منف » وبعبارة أدق فى القصر الملكى ، وهو المقر الذى أسس حديثا للملكة المتحدة والمكان الذى دفن فيه « أوزير » ويلحظ أن صورة « أوزير » ليست إطلاقا فى موطنها من الوجهة الأسطورية ، وذلك لأن كل ملك عند موته كان يصير « أوزير » كما أن كل ملك على قيد الحياة متربع على عرش مصر كان يدعى « حور » ومن ثم نفهم أن كل ملك يكون « حور » .

فمن الجائز أن « حور » الذى يظهر فى نهاية المتن بوصفه ملك مصر بين ذراعى والده « أوزير » على الرغم من أن الأخير قد مات ودفن لم يكن الإله فحسب بل الملك أيضا . والواقع أن التوارث الملكى كما يظهر لنا كان فى مستوى فوق مستوى البشر الذى يشار إليه هنا . أما كون « حور » و « أوزير » هنا هما إلهان أو ملكان فإن ذلك لا معنى له فى نظر المصريين ، إذ الواقع أن هذين الملكين هما الملك المتوفى وخليفته على العرش وهذان الملكان هما هذان الإلهان . ولدينا البرهان الذى يثبت حقيقة ذلك وهو أن تعانق « حور » و « أوزير » المتوفى الذى ذكر فى العبارة التى ينتهى بها المتن نجده ممثلا فى شعيرة من شعائر دراما التتويج (راجع كتاب الأدب المصرى القديم الجزء الثانى ص ١٦) ففى هذا المنظر نجد أن الملك الجديد يقوم بنفسه بتأدية شعيرة دفن والده صورياً . فالتعانق هو اتصال الروحين حقا ، وهو يتضمن الحاكم الفعلى وسلفه المتوفى فى شعيرة تؤدى عند تولى كل ملك جديد العرش . وتظهر هذه الشعيرة بنفس الطريقة دون تحديد الوقت فى اللاهوت المنفى متضمنة الإلهين « حور » و « أوزير » وهما يتعانقان وهذا التعانق يبرز لنا صفة بينة أخرى للملكية

المصرية تؤكد لنا أكثر من أى صفة أخرى أن الملكية كان قد فكر فيها كحقيقة فى عالم الآلهة كما فكر فيها فى عالم الناس ، ولهذا السبب نجد أن نظرية الملكية قد ضمنت فى متن دنيوى . والواقع أن الطبيعة نفسها لا يمكن تصورها دون وجود ملك لمصر ، وهذا ما يظهره لاهوت منف بوجه خاص إذ يبرهن على أن المملكة الثنائية (أى الوجه القبلى والوجه البحرى) التى اتخذت مركزها « منف » قد حققت تصميما إلهياً . هذا إلى أن نظام المجتمع كما وضعه « مينا » قد مثل بمثابة جزء من النظام العالمى .

والآن يجب علينا أن نفحص ما تحتويه النظرية المصرية عن الملك فلدينا رأى ذكرناه من قبل وهو أن الملك مقدس والرأى الآخر وهو أكثر أهمية يشير بوضوح إلى أن الملكية قد صورت فى أعمق صورة لها (أى فى مستوى الآلهة) بأنها تتضمن جيلين (أى الملك السابق وخلفه على العرش) .

وقد رأينا عند التعليق على الجزء الثانى من هذا المتن الخاص باللاهوت أن « حور » قد اعترف به الآلهة مجتمعين بوساطة « جب » إله الأرض لا لأنه يملك سلطة أعظم من سلطة « الإله ست » ولكن فقط لأنه بكر أولاد « أوزير » والوارث الشرعى له . وقد رأينا فى الجمل الأخيرة من هذا المتن مرة ثانية أن كلا من « حور » و « أوزير » لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر حتى فى اللحظة التى يظهر فيها « حور » ملكا بعد دفن والده فقد مثل وهو يعانقه ، ومن ثم يظهر أن الاعتلاء الفعلى للعرش يولد اندماج قوى الملك المتوفى فى قوى خليفته على العرش .

وهذا الرأى بوجه خاص مصرى الصبغة ، وإن كان مرتبطاً بالعقيدة الكثيرة الانتشار فى العالم المصرى وهى القائلة بأن الملك إلهى ، ولذلك فإنه من المهم أن نحدد العلاقة بين الرأيين اللذين تتألف منهما نظرية الملكية المصرية .

والرأى الأساسى هو أن الحكم يتضمن أشياء خاصة محرمة على الرجل العادى ، وهذا رأى تقليدى . فنجد مثلا فى الجماعات البدائية ومن بينها عدد كبير يقطن شرق

أفريقيا أن الرئيس فوق منصب الرياسة يكون رجل الطب أو السحر وبعبارة أخرى يعتقد فيه قومه أنه يتمتع باتصال وثيق بقوى الطبيعة أكثر من أناس كثيرين غيره . فالملك الأفريقى صانع المطر يعد مثالا معروفاً جيداً من هذا الطراز من الحكام . فيقال فى قبيلة « دنكا » : إن صانع مطر قد دفن فى حظيرة الماشية التى استمرت تستعمل (وهذا على غرار القصر الملكى فى منف حيث دفن أوزير) ، وقد قيل عن هذا الملك أنه يأخذ طعام الجماعة معه إلى القبر إلى أن يحل الفصل التالى فيحفر ثقب فى جانب الحظيرة ليخرج منه الطعام ثانية[1] . وكذلك قيل عن « كومدى » أن صحة (شونجو) ومصلحة كل الجماعة مرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً[2] . هذا وكون « شونجو » (= الرئيس) فى صحة وقوة يعنى أرضاً تؤتى أكلها ، أى أن المطر يأتى اليها فى ميعاده وأن الشر يبعد عنها وعلى مسافة من هذه القبيلة من جهة الغرب نجد القوم يخاطبون ملك « جوكون » هكذا : « قمحنا الأصفر اللون وبندق أرضنا وفولنا » . ومن ذلك نرى أن الملك « جوكون »[3] كان فى مقدوره أن يسيطر على المطر والرياح ، وإذا اتفق تتابع سنى قحط أو محصول ردئ فإن ذلك ينسب إلى إهماله أو اضمحلال قوته ، وعلى ذلك كان يخنق سراً . وغرضنا من التحدث عن هذا النوع من الملكية فى أفريقيا هو أننا نريد أن نشير إلى المقدمات التى ارتكز عليها « مينا » فى موقفه . فمن المعلوم أن الملك المصرى « عقرب » الذى يحتمل أنه حكم قبل « مينا » كان يعد متقمصاً للاله « حور » ومن ثم يمكننا أن نزعم أنه حتى عهد ما قبل الأسرات كان الاعتقاد أن الرؤساء يحملون فى نفوسهم قوة الإله . وقد زاد اتحاد الأرضين فى أهمية الملكية ولم يقض على مظهر من مظاهرها فالارتباطات التى كانت خارقة للطاقة البشرية بقيت قوية والخدمات غير المؤكدة التى كان يقدمها رجل الطب للجماعة قد

---

(١) راجع Seligman, Egypt and Negro Africa, a Study in Divine Kingship (London 1934) p. 22

(٢) راجع Ibid, 28

(٣) راجع Ibid, p. 38

أصبحت مقررة ، وظلت الملكية فى مصر هى المجرى الذى تنساب فيه قوى الطبيعة فى جسم السياسة لتجعل المجهود البشرى مثمراً .

ولكن نجد أن هذا الرأى أو الفكرة عن الملكية يتطلب فضلا عن ذلك جيلين من الزمن ، فإذا كان الحاكم العائش هو الوسيط بين الناس والطبيعة فإن قوته تستمر مفيدة للمجتمع حتى بعد موته وهذا الاعتقاد شائع أيضاً ؛ إذ نجد حكام يوغنده يستمرون بعد مماتهم يعقدون المجالس ويقدّمون النصائح لقومهم بوساطة الوحى ، كما نجد قبائل أخرى كذلك يطلبون النصيحة عند قبور حكامهم الأموات فى وقت الشدة ولا يدفنونهم إلا بعد أن ينظموا من يخلفهم[1] . هذا وتشاهد قبيلة « كيزيو » روح ملك قديم يحكم الآن الأموات على الرغم من أن أهلها يعترفون بوجود إله سام . وكذلك نعلم أن « نيا كانج » حاكم قبيلة الشلوك المتوفى يلعب دوراً عظيما فى حياتهم الدينية أعظم من الدور الذى يلعبه إلههم الأكبر « جوك » ؛ فهو الذى يرسل لهم الغيث والحصاد[2] .

هذا وقد رأينا فيما سبق أن صانع المطر لقبيلة « الدنكا » كان المفروض فيه أن يأخذ معه طعام القوم عند مماته . وفى مصر نجد أن قوة الملك المدفون كانت تشق الأرض التى تسكن فيها وتخرج منها ، أى أن النباتات التى تنبت من الأرض ، وماء النيل الذى يفيض على الشاطئين ، والقمر والجوزاء اللذين يطلعان فى الأفق ، كانت كلها مظاهر تدل على قوته الحية ، ولكن ينبغى علينا أن نقف عند هذه النقطة تاركين دائرة الفكر البدائية العالمية وننتقل إلى التصورات المصرية العجيبة فى بابها ، ففى أرض الكنانة نجد أن الملوك الأموات كانوا يمثلون بصورة إلهية واحدة . إذ الواقع أن كل ملك منهم بعد الموت يصير إله العالم السفلى مثل « أوزير » ويتجلى فى الظواهر الطبيعية المختلفة

---

(١) راجع P.M. Kustors, Das Grab der Afrikaner, Anthropos XVI—XVII (1921-22) p. 919

(٢) راجع Fraser, The Golden Bough, Part IV, Vol. II, p. 166—174

التى تخرج من الأرض بعد الموت الظاهرى ، ومن ثم نجد أن تعاقب الحكام الدنيويين كان يأخذ شكلا خرافياً ثابتاً .

ومن ثم نرى أن « حور » كان يخلف « أوزير » عند كل خلافة جديدة للملك إلى الأبد ، ويلحظ أن الميل إلى تفسير تغييرات فى التعابير الأسطورية الثابتة كان قوياً فى مصر . ونرى ذلك فى موضوع الإلهين المتخاصمين أى « حور » و « ست » وهما اللذان يمثلان كل ما يدل على مخاصمة فى الطبيعة والدولة . وفى هذا الخصام يظهر الإله حور منتصرا . والواقع أن المصريين كانوا ينظرون إلى العالم على أنه فى الأصل كان هامداً لا يتحرك ، وعلى ذلك كانت حوادث التاريخ تحتاج إلى وجود حقيقة نهائية . ولا ريب فى أن الملوك كانوا يموتون وأن الحاكم كان يخلفه آخر ، غير أن ذلك كان يبرهن للمصرى على أن الصفة الأصلية للملكية لا يمكن أن يعبر عنها إلا بصيغة المضارع فقط فيقال : « هذا الملك يحكم ، ولكن كان لا بد أن يعبر عنها بصيغة الماضى القريب فيقال هذا الملك اعتلى عرش الملك أو يعبر عنها بالتعبير الأسطورى : « حور خلف أوزير » . هذا ونجد فى كل التاريخ المصرى أن المتون التى بقيت لدينا تردد حالة غريبة عما تم حديثاً وهى : ان الأرض قد اتحدت والخلاف قد انتهى والملك قد اعتلى العرش وقد وضع الصدق مكان الكذب » .

والواقع أن اللاهوت المنفى ينتهى بهذه النغمة وذلك أن الجمل الختامية فيه تظهر حور يعانق والده على الرغم من أن الأخير قد دفن وصار أرضاً ، تبرهن على أن الموت لم يقض على الملوك قضاء تاماً إذ كان يوجد اتصال خفى بين الوالد والابن عند لحظة تولى الخلافة وذلك يعد اتحاداً واستمراراً لقوة إلهية توحى بوجود تيار جار يأتى فيه ويذهب أفراد الحكام كالموج .

هذه لمحة عن محتويات هذه الوثيقة التى أنقذها الملك « شبكا » كما يقول هو من الضياع وهى تدل على ما كان يرمى إليه هو وأفراد أسرته من تجديد فى الروح المصرى

القديم بالرجوع للقديم وإحيائه بعد أن كان قد اندثر وعفت عليه الأيام . ولا شك فى أن ما أوردناه هنا من تحليل لهذه الوثيقة الفذة فيه نقص كبير لتهشيم المتن وغموضه، هذا بالإضافه إلى أن ما استنبطناه أحيانا قد لا يصيب الحقيقة التى كان يعنيها المصرى القديم .

أسرة الملك « شبكا »

تحدثنا عن أسرة الملك « شبكا » فيما سبق وقلنا إنه أنجب ولداً يدعى «حورمأخت» وابنة تدعى « استمخب » . ولا نعرف عن « استمخب » هذه إلا أنها دفنت فى العرابة المدفونة حيث عثر لها على تمثال عجيب .

حورمأخت : أما ابنه «حور مأخت» فقد كان له شأن آخر إذ كان يحمل لقب الكاهن الأكبر لآمون وعثر له على تمثالين ، واحد منهما سليم وجد فى خبيئة الكرنك[1] والآخر[2] وجدت بعض أجزاء منه فى معبد آمون بالكرنك . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان ممثلا ماشياً يحمل فى يديه شيئا قد يكون تمثالا صغيراً لإله أو محرابا . وعلى الرغم من أن بقايا هذا التمثال الأخير لا تدل على أنه كان من القطع الفنية كتمثاله الأول الذى سنتحدث عنه فيما بعد ، فإن النقوش التى عليه لها أهمية تاريخية لابد من كشف النقاب عنها . وهاك ما بقى على الجانب الأيسر منه :

« الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب . . والابن الأكبر للملك من جسده وحبيبه . والكاهن الأكبر لآمون « حورمأخت » يقول : أيها الأحياء (الذين على الأرض (. . . .) ان بيتكم (سيخلد بعدكم)

---

(١) راجع A. S., VII, p. 188

(٢) راجع A. S., 25 p. 26 ff.

إذا قلتم : قربانا يقدمه الملك عندما تروحون وتجيئون إلى المعبد وتقدمون أزهاراً (للا لهة ؟) والدته لأجل روح رئيس طائفة الكهنة « حورمأخت » .

والمتن التالى من الجهة اليسرى على الفاصل هو :

(. . . .) كاهنة حتحور سيدة أطفيح وكاهنة حتحور سيدة دندرة وكاهنة الآلهة « نيت » التى تسكن الكهف سيدة كل الناس المسماة « تابا كن — أمن » (والدة ؟) الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب ورئيس كل الناس ، وكاتم أسرار الملك فى كل أماكنه ورئيس المراقبين فى الجنوب والشمال (. . . المستشار) الممتاز عند الملك ومن له الدخول مع كبار الموظفين فى حجرات الملك ، ومن رفعه الملك فى دائرة رجال البلاط بوصفه الكاهن المشرف على كهنة آمون فى مقاطعة طيبة والابن الأكبر من جسده والكاهن الأول لآمون والذى يرى آمون فى صورته الفاخرة (أى فى قدس الأقداس) « حورمأخت » .

على الجهة اليمنى : (يأيها . . . .) كل كاهن مرتل وكل كاهن خادم الإله وكل كاهن مطهر وكل رجل سيدخل هذا المعبد (. . . .) سيحبوكم (. . . .) والموت سيتجاهلكم إذا قلتم : قربانا يقدمه الملك إلى « موت » العظيمة ربة السماء . . . (. . . .) الف رغيف من الخبز ومن الجعة والثيران والأوز ، والملابس والبخور والعطور وكل ما يخرج من مائدته . . . (. . . لأجل روح ؟) بنت الملك وزوج الفرعون وأخت الملك المقربة من حتحور «تابا كن أمن» المرحومة.

ونقش على عمود التمثال ما يأتى : (. . . .) هذه التى تملأ المحراب بعبير نداها ومن تقرر كل شئ وينجز لها زوج الملك (. . . .) . . . زوج الملك « شبتا كا » والابنة الملكية « بيعنخ أرتى » .

ونفهم من هذه النقوش بصفة قاطعة أن هذا التمثال كان للكاهن الأكبر لآمون المسمى « حورمأخت » . وقد عرفنا فضلا عن ذلك من نقوشه اسم الملكة

« تاباكن — أمن » ابنة الملك « بيعنخى » وزوج الملك « تهرقا » والملكة « بيعنخ أرتى » أخت الملك « تانوتأمون » وزوجه ، وهاتان الملكتان لم يعثر على قبريهما فى جبانة « الكورو » .

التمثال الآخر للكاهن الأول حورمأخت :

عثر على هذا التمثال فى خبيئة الكرنك كما قلنا من قبل ، وهو من الحجر الرملى الأحمر ويبلغ ارتفاعه ستة وستين سنتيمترا ويمثل « حورمأخت » فى طراز غريب لا يتفق مع الطرز المصرية الأصيلة ورأسه حليق وقد مثل ماشياً بذراعين مبسوطتين على جانبيه ويرتدى قميصاً ذا ثنيات ويتدلى من نحره رمز الحياة . والتمثال محفوظ حفظاً جيداً وأسلوبه مرن ورشيق ويعد من القطع الفنية الجميلة بين تماثيل العهد الكوشى وقد تحدثنا عن هذه التماثيل فيما سبق والمتون الأربعة التى نقشت على هذا التمثال تؤكد لنا أنه من العهد الكوشى .

والواقع أن ما جاء فى المتون الأول والثانى والرابع تحدثنا عن ألقاب « حورمأخت » ومنها نعلم أنه كان شخصية غير معروفة لنا من قبل .

فقد جاء فى هذه المتون الألقاب التالية : الكاهن الأول « لآمون رع » ملك الآلهة وفى رواية أخرى الكاهن الأول « لآمون » فى الكرنك ، وفاتح باب السماء (قدس الأقداس) وكاهن « خنسو الطفل » وقريب الملك الحقيقى ومحبوبه وابن الملك من جسده .

والمتن المنقوش على الجانب الأيسر للعمود الذى يرتكز عليه التمثال يقدم لنا معلومات هامة جداً وهو :

« الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب والابن الملكى لشبكا المرحوم الذى يحبه والسمير الوحيد ومدير قصر ملك الوجه القبلى

والوجه البحرى « تانوتأمون » العائش أبديا وعينا ملك الوجه القبلى وأذنا ملك الوجه البحرى الكاهن الأول لآمون صاحب الكرنك وكاهن خنسو الطفل والمقرب من والده « حورمأخت » يقول : إن أى شخص يدخل لعمل تضحية فى هذا المعبد إذا أحنى نحوى ذراعه عند قراءة صيغة القربان الجنازى فإن هذا (الشخص) سيكون محمياً من آمون ، ولكن سيكون اللوم عليه عظيما من جانب هذا الإله لمن لا يعمل هكذا » .

ومن هذا المتن نفهم أن الكاهن الأكبر لآمون المسمى « حورمأخت » كان ابن الملك شبكا وأنه عاش مطوقا عنقه بألقاب الشرف والفخار حتى عهد الملك « تانوتأمون » آخر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين .

وهكذا نرى أن وظيفة الكاهن الأكبر لم تلغ فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين كما قال « مسبرو »[1] بل إن وجود هذين التمثالين يعد دليلا قاطعاً على وجود هذه الوظيفة فى العهد الكوشى غير أن مركز الكاهن الأكبر لم يكن يتمتع بتلك المكانة الرفيعة التى كان يتمتع بها فى عهود الأسر الواحدة والعشرين والثانية والعشرين والثالثة والعشرين كما سنرى بعد .

مقابر خيل الملك « شبكا » :

وجد قبران لجوادين للملك شبكا فى جبانة خاصة للخيل فى الكورو .

المقبرة الأولى (راجع El Kurru, 201 (3) fig. 37a.)

وهذه المقبرة مستطيلة الشكل ويلحظ أن رأس الجواد يتجه نحو الشمال الشرقى . وجدت المقبرة منهوبة ولم يترك اللصوص إلا بعض عظام مبعثرة فى أنحائها وأسنان حصان .

والأشياء التى عثر عليها وجدت فى الردم عند نهاية القبر من جهة الرأس . وأهمها

(١) راجع Maspero, Les Momies Royales, p. 747

بعض خرزات فى هيئة حلقات من الخزف الأزرق المطلى وقد أعيد نظامه (راجع El Kurru Pl. LXVII c) كما وجدت خمس عشرة زهرة من الخزف الأزرق وست أزهار صفراء من الخزف وخمس أزهار من الفضة وثلاث وأربعون كرة من الخزف الأزرق والأصفر والأحمر (راجع Ibid) ؛ هذا إلى حلية فى هيئة رأس حتحور من الفضة وقطع مهمة (راجع Ibid Pl. LXIXB) .

وعثر على طغراءين مصنوعتين من الخزف المطلى باسم « شبكا » (راجع Ibid Pl. LXII c) ، هذا إلى حوالى خمسة وعشرين رأس حتحور من الخزف الأزرق (Ibid Pl. LXII c) ، وقطع من خرزة من الفضة على شكل برميل مجوف (راجع Ibid Fig 37 b) .

ويظن الأستاذ ريزنر أن الحلية التى نظمها ثانية (Ibid Pl. LXVIIc) من هذه الأشياء التى وجدت فى القبر تشبه طراز الحلية التى وضعت مع الجواد فى القبر وقد كان رائده فى إعادة نظمها موقع الخرز كما وجد فى القبر وقوله هذا مجرد اقتراح .

المقبرة الأخرى (راجع El Kurru, 2o3 (3). Fig. 38a).

شكل هذه المقبرة مستطيل وقد وضع فيها أحجار للساقين الأماميتين والخلفيتين كما وضعت سنادة يرتكز عليها بطن الجواد وأخرى منخفضة للرقبة (راجع Ibid Pl. XXVIII A) وحجرة الدفن وجدت منهوبة ولم توجد فيها إلا بعض قطع من العظام وأشياء أخرى ، أما الأشياء التى وجدت فى الحجرة فكانت كلها عند نهاية رأس الجواد نذكر منها أكثر من مائة رأس حتحور صغيرة كالتى وجدت فى المقبرة السابقة (راجع Ibid LXIX B) ، وكذلك حلقات من الخزف الأزرق والأبيض والأحمر (راجع Pl. LXIX B) ، هذا إلى اثنى عشر رأس حتحور من الفضة وثلاث محارات من الفضة (Ibid) وغير ذلك من الخرز الذى كان يستعمل حلية فى زينة سرج الخيل وعرباتها .

حالة البلاد السياسية

قبل تولى « شبكا » الملك وما بعد ذلك

مقدمة :

عاد « بيعنخى » إلى مقر ملكه فى « نباتا » بعد أن قضى على آخر مقاومة حاول القيام بها « تفنخت » غير أن القائد أو النائب الذى تركه « بيعنخى » وراءه لإدارة البلاد لم يمض عليه طويل زمن فى تصريف الأمور حتى أحس أن مهمته أصبحت شاقة غريبة لا قبل له بتحملها وأنه ليس فى استطاعته المحافظة على بقاء البلاد المصرية خاضعة راضية بالحكم الكوشى، وسبب ذلك أن سلطان بلاد آشور الفتية كان فى تلك الفترة قد امتد على كل دولة إسرائيل بعد الاستيلاء على « السامرة » وقد حدث ذلك قبل قيام « بيعنخى » بحملته على مصر بسنة واحدة . وكان « سرجون » عاهل آشور وقتئذ قد تقدم فى زحفه فى بلاد الشرق الأوسط حتى أصبح على أبواب مصر . وعلى الرغم من أن معلوماتنا ليست محددة جلية عن تاريخ هذه الفترة من الوجهة المصرية لانعدام المصادر الأثرية فإنه من الجائز أن القائد الأعظم الذى كان على رأس الجيش المصرى (مومرى) الذى يفتخر « سرجون » بأنه هزمه هزيمة منكرة حوالى عام ٧٢٠ ق.م فى موقعة « رفح » أى عند حدود مصر نفسها ، إما أن يكون القائد النوبى الذى تركه « بيعنخى » على رأس جيشه فى شمالى مصر، وإما أن يكون قد نصب على هذا الجيش « شبكا » الذى خلف « بيعنخى » على عرش مصر بعد وفاة الأخير ، والرأى الأخير هو الأرجح .

وقد كان من جراء هزيمة « شبكا » على يد الآشوريين أن ارتد إلى الجنوب وبذلك تخلصت الدلتا من الكوشيين . وعلى أثر ذلك قفز « تفنخت » من مكمنه وجمع حوله حكام مقاطعات الدلتا وأصبح ثانية ملكا على مصر . وتدل شواهد

الأحوال على أنه هو الذى كان فرعوناً على البلاد وقتئذ لا الملك « أوسركون الرابع » الذى كان قد اختفى مؤقتا . ويقال إن « تفنخت » هو الملك الذى صالح «سرجون» ملك « آشور » واسترضاه بالهدايا ، وقد عد الآشوريون هذه الهدايا جزية تأتى إليهم من مصر . وسنفصل القول فى ذلك فى باب خاص عن الفتح الآشورى لمصر والبلاد المجاورة لهـا فى الشرق الأوسط .

ومما تقدم نرى أن « تفنخت » بعد هزيمته على يد « بيعنخى » قد عاد ثانية إلى التربع على عرش ملك مصر ثانية حوالى ٧٢٠ ق . م .

بوكاريس (بكنرف) : وقد خلفه ابنه بكنرف أو كما يسميه الاغريق « بوكاريس » على عرش الكنانة واتخذ لنفسه لقب « واح — اب — رع » وقد نطق الاغريق هذا اللقب «فوهكرس» ؛ ولما كنا نعرف من الآثار أنه قد ذكرت السنة الثامنة من عهد الملك « تفنخت » فإنه لا بد كان قد أرّخ عهده على أحدث تقدير بحوالى ٧٢٥ ق . م . وهى آخر سنة من حكم « شيشنق الرابع » .

ويعد كل من « تنفختوس » (تفنخت) وبوكاريس (بكنرف) من بين طليعة الملوك الذين حفظت لنا الكتابات الاغريقية أشياء عن حياتهم غير أنهـا فى معظمها أساطير الأولين .

وقد أخذت المدنية الاغريقية تظهر من عالم الظلمـات فى العهد الذى جاء على أعقاب الكارثة التى حلت بعصر البرنز المنوى والثقافة الكفتية (أى ثقافة كريت) التى كانت معروفة فى مصر فى خلال عهد الأسرة الثامنة عشرة (راجع مصر القديمة الجزء الخامس صفحة ٣٤٤ الخ) فقد كان العصر الجديد لتوسيع التجارة والاستعمار سائراً فى طريقه وكان التجار يختلفون على موانى النيل وكان فم النيل الغربى الذى عرف وقتئذ بفرع كانوب هو الذى يرتادونه كثيرا جداً وذلك لأنه كان يهيئ مكانا مباشراً للاجئين أو طريقا على الساحل لبلاد لوبيا لا يزاحمهم فيه كثيراً الفينيقيون .

وقد أصبح الفرع الكانوبى للنيل بالنسبة لتجارة الاغريق ذا أهمية أعظم من الفرع البيلوزى وهو الذى كان فى عهد الرعامسة ودولة اللوبيين من بعدهم الممر التجارى للفينيقيين ، وقد كان التاجر الصورى المحنك يرى على أية حال عند مطلع الشمس السفن اليونانية تبرز فى الأفق ماخرة عرض البحار ، وبذلك أصبح أهل جزر اليونان مسيطرين على تجارتها كما غذوا الشواطئ المصرية بما كانت تحمله سفنهم من زيت وخمر وتين وغير ذلك من منتجات بلادهم وكانت بلدة سايس (صا الحجر الواقعة بالقرب من كفر الزيات) تقع على الفرع الكنوبى وتسيطر على الطريق المؤدية إلى «منف» . والواقع أن كل بلاد الدلتا كانت ضيعة لأسياد بلدة « سايس » ، ولا نزاع فى أن الثروة التى ساعدت ملك هذه البلدة على أن يصبح أول حكام مقاطعات الدلتا ويستولى على « منف » كانت تأتى إليه من الضرائب وما كان يجبيه من جزية يحصلها من التجارة الجديدة التى كانت قائمة بين مصر وبلاد الإغريق وبخاصة من توريد الزيت والخمر من بلاد الإغريق ، ومن تصدير القمح والشعير إلى بلاد اليونان ، وكذلك من أغنام بلاد « لوبيا » التى كان صوفها لا فائدة منه لأهل مصر الذين لا يلبسون إلا الكتان ولكنه كان يصدّر إلى بلاد الاغريق الذين ينتفعون به تماما .

وقد أقام الميليزيون بالقرب من « سايس » مؤسسة عظيمة لتخزين سلعهم وهذه المؤسسة أصبحت فيما بعد تدعى « نقراش » وسنتحدث عن ذلك فى حينه . وقد كانت كل من « منف » و « سايس » معروفة للاغريق من قبل بوصفها المدن الرئيسية المصرية .

وكان « بوكاريس » مشهوراً فى التقاليد التى حفظها لنا « ديودور » الكاتب اليونانى بأنه صاحب غنى كما كان مشهوراً بحكمته ، كما كان والده « تفنخت » مشهوراً بشجاعته الحربية العظيمة ، وقد قيل عن « بوكاريس » إنه حدّد قانون العقود أكثر من ذى قبل ؛ إذ أصبح بعد الإصلاح الذى أدخله كل من تعاقد على دين

دون اتفاق مكتوب وأنكر المدين هذا الدين بعد حلف اليمين يكون معفى منه[١] .

وكان « بوكاريس » فى الواقع ملك أعمال ، وقد قفت أثره نقمة العدالة كما كانت تقفو أثر كل محب للثراء إذ يقال أن « شبكا » قبض عليه كما حدثنا بذلك «مانيتون» وحرقه حياً ، ويقال إنه فى حكمه على حسب ماجاء فى التقاليد المصرية المحفوظة فى الكتابات الديموطيقية أن خروفاً صغيراً تكلم متنبئاً بالفتح الآشورى واستعباد مصر ونقل آلهتها إلى نينوى عاصمة مملكة آشور . ولا شك فى أنه هو الفرعون الذى أرسل للملك « سرجون » عاهل « آشور » جزية عام ٧١٥ ق . م عندما ثارت بلدة أشدد بقيادة المخاطر الاغريق « ياونى » القبرصى وذلك ليزيل عن نفسه كل شبهة قد تو ى بأنه اشترك مع الأخير فى مناهضة آشور . ويقال إن « بوكاريس » قد عزل وقتل على يد شبكا عام ٧١٢ ق . م وعلى ذلك فإنه من الجائز أن تكون هذه الرواية صحيحة فى جملتها . وبموت هذا الملك انقرض آخر ملوك الأسرة الرابعة والعشرين على رأى بعض المؤرخين .

وقد مات « بوكاريس » بعد حكم ملىء بالمتاعب دام سبعة أعوام[٢] .

والواقع أننا لا نعلم شيئا عن أخلاقه الحقيقية لأن المصادر الأصلية تعوزنا فى هذه الناحية ، ولكنه قد ترك أثراً عميقا فى ذكريات القوم فكان طبعياً أن نستخلص أنه أظهر أحيانا قدرة ونشاطا فى خلال حكمه ، ومن ثم نجد أنه قد انتشرت بعد موته أساطير عدة لعبت فيها العناصر الخرافية التى تفوق حد المألوف شوطاً بعيداً مما جعلها تجرى على ألسنة القوم وتتناقلها الأجيال باستمرار ، فقد كان على حسب هذه الأساطير رجلا ضعيف الجسم ليس فى منظره ما يلفت النظر[٣] ، غير أنه كان فى مقابل ذلك ذا عقل

---

(١) راجع Diodorus I., p. 79, Translated by G. H. Oldfather

(٢) راجع The Passing of Empires (Maspero) p. 244, Note. 6

(٣) راجع Diodorus Siculus I, 65, &94, Translated by G.H. Oldfather.

قدير ورأى سديد ، كما كان يمتاز ببساطة طرائقه فى الحياة[١] وكان مشهورا بمكانته فى التشريع ، إذ كان يعد من أعلام المشرعين الستة العظام الذين أنجبتهم مصر ، فقد نسب إليه كما قلنا من قبل قانون الدين والأرباح . هذا وكان مشهوراً بعدالة أحكامه التى كانت تعزى إلى إلهام إلهى إذ قد منحته « إزيس » ثعبانا[٢] لف نفسه حول رأسه عندما كان يقعد إلى القضاء ، فكان يغطيه بظله ويحذره ألا ينسى لحظة مبادئ العدالة والصدق التى لا تلين[٣] ، وقد بقيت لنا فى كتابات العهد الاغريقى الرومانى بعض الأحكام التى أصدرها فى قضايا شهيرة وقد اقتبست لنا منها قصة مطولة وذلك أنه قد حكم على عاهرة أن تتسلم ظل كيس نقود بمثابة أجر لظل حظوة قد تفضلت بها فى حلم على محبها[٤] .

وقد صاغ أحد شعراء الاسكندرية الذى يدعى « بانكراتس » هذه القرارات الحكيمة من أحكامه فى مجموعة من الشعر ، وهذا الشاعر قد عاش فى عهد الامبراطور « هدريان »[٥] .

وقد أخذ المفتنون فى العهد الامبراطورى الرومانى يضعون عن هذه الأقاصيص صوراً زينوا بها جدران المبانى الأثرية ، فقد صوروا هذا الملك وهو ينطق بحكم بين والدتين ادعت كل منهما بنوة طفل ، وبين متسولين ، ادعى كل منهما ملكية عباءة بعينها ، وبين ثلاثة رجال ادعى كل منهم ملكية حقيبة مليئة بالطعام . وقد كشف عن جزء كبير من هذا الرسوم على جدران « بومبى » وروما فى سلسلة مناظر تعرف عليها بعض العلماء على أنها للفرعون « بوكاريس » . وقصة النزاع بين الأمين

(١) راجع Alexis, Frag. 3 in Muller-Didot. Fragments Historicum Graecorum Vol. IV. p. 299.

(٢) هذا الثعبان هو الصل الذى يوضع فى تاج الفرعون .

(٣) راجع Plutarch on False Shame § 3

(٤) راجع Clement of Alexandira Stromateis IV, 18

(٥) راجع Atheneus Deipnosophistae, p. 677

تذكرنا بطبيعة الحال بقصة سليمان وحكمه بين الأمين فى أمر طفل[١] .

على أنه من جهة أخرى نجد تقاليد غير ما ذكرنا تمثل « بوكاريس » فى صورة لا تشرفه ، فقد مثل فى صورة ملك دنس كافر[٢] إذ قيل عنه أنه فكر فى رغبة دنسة تنحصر فى قيام مناطحة بين ثور عادى و بين الثور « منفيس » الذى كان يقدس فى عين شمس[٣] . وقد غضب الآلهة بطبيعة الحال من إتيانهم مثل هذا العمل ، وقيل إنهم وجدوا على حين غفلة خروفا صغيراً يمشى على ثمانى أرجل ينطق متنبئاً بأن الوجه القبلى والوجه البحرى سيلحقهما الخزى فيحكمهما أجنبى[٤] .

ومن المحتمل أن « شبكا » كان مشتركا مع « بيعنخى » فى حكم مصر حوالى عام ٧١٥ ق . م ثم تولى الحكم بعده مباشرة ، وتدلنا الآثار الآشورية على أنه أول ملك اشتبك مع الآشوريين فى حرب مباشرة كما سنفصل ذلك فيما بعد فى فصل خاص يبحث فى تاريخ الآشوريين وفتحهم لمصر .

---

(١) راجع Maspero, The Passing of Empires p. 245-6 Note 2

(٢) راجع Diodorus Seculus I, 65. 94.

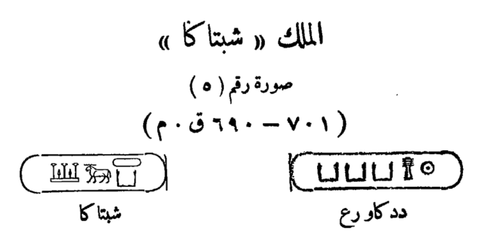
(٣) راجع Aelian, Hist. Animal XI, II

(٤) راجع Ibid XII, 3

الملك « شبتا كا »

صورة رقم (٥)

(٧٠١ — ٦٩٠ ق . م)



لم نعرف على وجه التأكيد إذا كان « شبتا كا » الذى خلف الملك « شبكا » قد حكم اثنتى عشرة سنة أو أربع عشرة سنة وذلك لتضارب المصادر المنقولة عن ماتيتون [١] .

و« شبتا كا » هذا هو ابن الملك « بيعنخى » ووالد الملك « تانوت آمون » الذى تولى عرش الملك بعد « تهرقا » ، وقد ذكر لنا « تهرقا » أخو « شبتا كا » أنه ذهب إلى مصر وهو فى سن العشرين لينضم إلى أخيه « شبتا كا » فى طيبة ويقال إنه اشترك معه فى الملك كما سنرى بعد ، وقد ترك لنا « شبتا كا » بعض آثار له فى جهات متفرقة فى وادى النيل نتحدث عنها فيما يأتى :

(١) لم يترك لنا « شبتا كا » أثراً مؤرخا من عهده إلا مقياس النيل الذى دوّنه على مرسى الكرنك وقد أرّخ « بالسنة الثالثة » الشهر الأول من الفصل الثالث اليوم الخامس من الشهر فى عهد جلالة الملك « شبتا كا » . وعندما تولى جلالته بوصفه ملكا فى معبد « آمون » منحه البهاء فى ظهوره باعتباره محبوب الآلهتين مثل « حور » على عرش « رع » والفيضان الذى منحه والده آمون العظيم « حعبى » عظيم ، العظيم فى فيضاناته ، أعطاه إياه فى زمنه : هو عشرون ذراعا وشبران » (راجع Br. A. R. VI § 887.) ويعترف « بترى » بأن « شبتا كا » حكم اثنتى عشرة سنة [٢] . غير أنه يظن أن « شبتا كا » ينبغى أن يكون قد امتطى عرش الملك وهو

---

(١) راجع Ungar, Chronologie des Manetho, p. 246.

(٢) راجع Petrie, History of Egypt, Vol. III, p. 287.

فى العشرين من عمره تقريبا ومات بعد أن جاوز الثلاثين بقليل ، هذا ويجعل مكان حكمه فى مصر الوسطى والوجه البحرى ، غير أن هذه النظرية لاتتفق كثيراً مع مانعرفه عن آثاره ، فقد أقام « شبتاكا » آثاراً فى طيبة ، ويظن الأثرى « بدج »[١] أن أحد المعابد الصغيرة المخربة الآن فى جبل « برقل » كان من عمله وهذا ليس ببعيد قط ، وبخاصة بعدما كشف عن قبره فى جبانة « الكورو » وهذا الرأى الذى عبر عنه « بدج » يخالف ما ذكره الأثرى « جوتيه » إذ اعتقد أن رأى « بدج » مجرد نظرية لأن هذا الملك لم يوجد له أية آثار فى بلاد النوبة أو السودان[٢] . والواقع أنه قد وجد له بعض آثار فى الحفائر التى عملت فى صنم ([1 et 6] A. A. A. , 10; (1923) Pl. 43 (cf. p. 113

(٢) ويوجد لهذا الفرعون مقصورة محفوظة الآن بمتحف برلين وكانت من قبل مقامة بمعبد الكرنك بالقرب من البحيرة المقدسة[٣] ، والظاهر أن هذه المقصورة كانت قد أقيمت على بقايا مقصورة « لرعمسيس الثالث » وتحتوى على معظم ما كان معروفا عن هذا الملك .

(٣) ويوجد له تمثال بدون رأس مثله جالسا عثر عليه فى « منف » فى معبد الإله « بتاح » وهو محفوظ الآن بالمتحف المصرى[٤] . وقد أخطأ « ماسبرو » فى نسبة هذا التمثال لكل من « شبتاكا » و « تهرقا » .

وقد قيل إن هذا التمثال فيه ملامح من تماثيل الملك خفرع مما أوحى بأنه من تماثيل هذا الملك الأخير وأنه أصلح من جانبى العرش غير أن البحث قد أثبت عكس ذلك لأن أمثال هذا التمثال المنسوب لخفرع يعد رأياً خاطئاً ومن جهة أخرى

---

(١) راجع Budge, The Egyptian Sudan Vol. II., p. 33

(٢) راجع Gauthier, L. R. III p. 2 8 note 5

(٣) راجع L. D., V, 3 a—b, 3 a—c = L.D. Texte, III p. 40—42

(٤) راجع Mariette, Monuments Divers, Pl. 29 e, 1,2 et 3; Maspero, Guide Ed. 1912, p. 172 no. 678

فإن تقليد تمـاثيل خفرع يعد من الأمور التى تثبت أن عصر النهضة فى الفن وغيره أخذ يتطور منذ الأسرة الخامسة والعشرين ، ثم بلغ قمته فى عهد الأسرة السادسة والعشرين .

(٤) ويوجد فى الكرنك منظر نحته « شبتاكا » على واجهة معبد « أوزير » مثل فيه وهو يتسلم السيف من الإله آمون[١] .

(٥) وفى المتحف البريطانى يوجد محراب صغير من البرنز للاله « آمون رع » عليه اسم هذا الفرعون[٢] .

(٦) نقش اسمه على قطعة من إناء من الحجر الجيرى محفوظة بمجموعة « بترى »[٣] هذا وقد وجد له عدة جعارين وتعاويذ فى جهات مختلفة نقش عليها اسمه[٤] .

وفى متحف الخرطوم توجد قطعة من الخزف المطلى عليها طغراء هذا الفرعون[٥] .

مقبرة « شبتاكا » :

دفن « شبتاكا » فى المقبرة رقم ١٨ بجبانة الكورو[٦] .

ويحتمل أن البناء الذى أقيم فوق قبره كان هرمى الشكل وبنى بالحجر الرملى ولم يبق إلا الخندق الدال على مكان البناء ، وتدل الظواهر كذلك على أن السور الذى كان حول القبر قد بنى من الحجر الرملى أيضاً ، وقد وجد الخندق الدال عليه كما وجدت

(١) راجع Rec. Trav. XXII, p. 125

(٢) راجع Brit. Mus. Guide to the 3 rd & 4th Egyptian Rooms (1904) p. 160; The Egyptian Sudan II, p. 32

(٣) راجع Petrie, Ibid p. 287

(٤) راجع L. R. III. p. 30

(٥) راجع Macadam, Kawa I, Pl. 35 [XXX] p. 87, ii, Pl. C ii [b] no 4 27. Khartum Mus. n. 2749

(٦) راجع El Kurru, No. 18, (48). Fig. 23 a Pl. XXIII A.

بعض قطع من المبانى فى الجهة الجنوبية والجنوبية الشرقية وشكل المبانى كان بسيطا ومزار القبر قد هدم تماما ولم يعثر على ودائع أساس لهذا الملك .

أما الجزء السفلى من المقبرة ، أى المبنى تحت الأرض ، فيصل إليه الانسان بوساطة سلم ينحدر أولا تسع درجات إلى الجنوب ثم يلتفت إلى الغرب وينحدر ثمانى عشرة درجة أخرى . ويدل تحول السلم هذا على أن المقبرة رقم ٨ التى أقيمت قبل هذا القبر كانت قد أعاقت انحدار السلم فى خط مستقيم وينتهى هذا السلم بباب أعلاه مستدير ويحتوى القبر نفسه على حجرتين[١] :

الأولى مساحتها ٦ × ٣ من الأمتار ، أما الأخرى وهى أقل من الأولى انخفاضا فمساحتها ٦,٤٠ × ١٠,٥ من الأمتار وقد نصب فى وسطها تابوت .

ولم يوجد فى حجرة الدفن أى أثاث جنازى . وتدل حالتها على أنها كانت قد استعملت كرة أخرى للدفن فى عهد متأخر .

ووجدت فى حجرتى الدفن قطع كثيرة من العاج المحفور منها قطع تصور منظر لوبيين وزنوج أسرى وبلاد مقهورة وهذه القطع تشبه التى وجدت فى مقبرة « الكورو » رقم ١٥ أى مقبرة « شبكا » كما وجدت قطع من مناظر موكب كالتى وجدت فى مقبرة « شبكا » أيضاً ، هذا إلى قطع أخرى منوعة نقش عليها اسم « شبتاكا » الحورى وطغراؤه[٢] .

ووجد له كذلك تماثيل مجيبة كالتى وجدت « لشبكا » .

وأهم شئ وجد فى قبر « شبتاكا » هو قطع جمجمته ولكنها كانت هشة للغاية عندما سلمت للفحص ، ومع ذلك فإنه لحسن الحظ قد أمكن جمع كل هذه القطع

---

(١) راجع El, Kurru, Pl .XXIII, A-B

(٢) راجع El Kurru, p. 69

الصغيرة بعناية فائقة أسفرت عن إعادة تركيب الجمجمة وأخذ مقاييس لها والواقع أنها كانت صغيرة ولم تكن ذات تفاصيل عضلية بارزة وكان من المحتمل أن يشك الإنسان فى سلالتها إذا لم يكن لدينا أدلة على شخصية صاحبها .

هذا مجمل ما عثر عليه لهذا الملك من آثار فى مصر وبلاد كوش وكما هو ظاهر لا نعرف منها عن قيام أية حروب وقعت بينه وبين بلاد «آشور» التى كانت قد بدأت توجه مطامعها بنوع خاص نحو البلاد الواقعة فى غربى ممتلكاتها وأعنى بذلك البلاد الواقعة على البحر الأبيض المتوسط فى آسيا ثم إلى مصر فى إفريقيا . وسنرى بعد من النقوش الآشورية أنه كلف «تهرقا» ابن أخيه بالقيام بحملة على الآشوريين لطردهم من حدود مصر وما جاورها من البلدان . ومن الغريب أنه ليس لدينا مصدر واحد يدل على قيام حرب بين مصر وبلاد آشور فى الآثار المصرية التى وصلت إلينا حتى الآن ، ولعل سبب ذلك أن ملوك مصر لم يوفقوا فى هذه الحروب ، وأن النصر كان عدواً لهم فى كل أطوارها ، ولذلك لم يكن من ديدنهم أن يدونوا وصف أية حروب كانت الغلبة فيها عليهم .

قبور جياد «شبتاكا» :

القبر الأول[1] : هذا القبر مستطيل الشكل بعيد الغور وليس فيه سنادات داخلية كما فى مقابر الجياد الأخرى وقد وجد هيكل الجواد سليما تقريبا ولا ينقصه إلا الرأس[2] والأشياء التى كانت معه وجدت عند نهاية الرأس[3] وقد وجد معه على أقل تقدير خمس قلائد أو عقود ، الأولى منها تحتوى على أربع عشرة طغراءات للملك «شبتاكا» نقش عليها بالتوالى لقبا الملك وهما : «زد — كاو — رع» «من خبر رع»

---

(١) راجع El Kurru, p. 113, No. 209 (4) Fig .39

(٢) راجع Ibid, Pl. XXVIII B

(٣) راجع Ibid, Pl. XXVIII c-d

والثانية قلادة من الخزف مؤلفة من تعاويذ تمثل العين السليمة (وزا) وأصداف محار فى موضعها الأصلى[(١)] ، والقلادة الثالثة تتألف من ثمان وعشرين زهرة مصنوعة من الخزف الأزرق مدلاة بين مجاميع مؤلفة من حلقات من الخرز فى موضعها الأصلى[(٢)] ، والقلادة الرابعة تتألف من ست وثلاثين عيناً سليمة (وزا) من الخزف الأزرق ومعها كرة من الخزف المطلى محلاة بنقط ودوائر فى كل طرف منها وقد وجدت بنظامها الأصلى[(٣)] .

هذا وقد وجدت كمية كبيرة من خرز خزفى فى هيئة حلقات موضوعة على الأرض تظهر كأنها شبكة من الخرز[(٤)] .

ووجدت كذلك عين سليمة من الفضة المذهبة مفرغة وقطع من شريط طوق من الفضة له ثقوب على إحدى حافتيه لربط الشبكة[(٥)] وكذلك كرتان من الخرز الأزرق نظم معهما على التوالى العين السليمة وعلامة الحياة باللون الأسود ؛ هذا بالإضافة إلى كرات من الخرز المصنوعة من الذهب المفرغ والخزف المطلى[(٦)] .

وأخيراً وجدت قلادة مؤلفة من اثنتى عشرة كرة من البرنز كانت منظومة فى الأصل على مسافات فى خيط سميك[(٧)] . وكذلك كرتان من الخرز الأزرق محلاتان على التوالى بالعين السليمة وعلامة الحياة باللون الأسود[(٨)] . يضاف إلى ذلك كرات من الخزف الخرز من الذهب المفروغ والخزف المطلى[(٩)] .

---

(١) راجع El Kurru, Pl. LXVIII A 2

(٢) راجع Ibid, LXVIII. B. 1

(٣) راجع Ibid, Pl. IXVIII. A. 3

(٤) راجع Ibid, LXVIII. B. 2

(٥) راجع Ibid, Pl. LXVIII. B.6

(٦) راجع Ibid, Pl. LXXI. E

(٧) راجع Ibid, Pl. LXVIII, A, 1

(٨) راجع Ibid, Pl. LXXVIII b, 4/ 1-2

(٩) راجع Ibid, Pl. LXVIII 3/1-2, 5/ 1-2

(٢) مدفن لجواد ثان للملك « شبتاكا »[١] :

قبر هذا الجواد يشبه قبر الجواد السابق[٢] وقد وجد جسمه فى مكانه الأصلى كما فى القبر السابق[٣] .

والأشياء التى وجدت معه هى :

سمط منظوم من الأعين السليمة المصنوعة من الخزف الأزرق كالتى فى القبر السابق[٤] وكذلك سمط من العيون السليمة المصنوعة من الخزف الأزرق والمحار كما فى القبر السابق ، وكمية كبيرة من حلقات الخرز كما فى القبر السابق أيضاً وهكذا نجد تشابهاً عظيما بين محتويات هذين القبرين .

(٣) مدفن لجواد ثالث للملك « شبتاكا »[٥] :

قبر هذا الجواد يشبه القبر رقم ٢٠٩ من كل الوجوه تقريباً هذا إلى سمط نظم من الطغراءات المصنوعة من الخزف نقش عليها اسم هذا الملك .

(٤) مدفن لجواد رابع للملك « شبتاكا » :

يشبه هذا القبر فى شكله ومحتوياته القبر ٢٠٩[٦]

---

(١) راجع El Kurru, 210 [4]

(٢) راجع Ibid, No. 209

(٣) راجع Ibid, Pl. XXIX-A

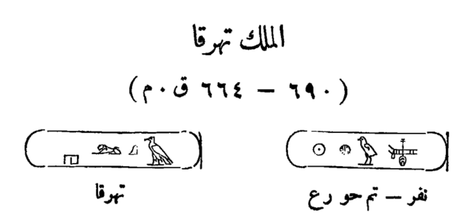
(٤) راجع El Kurru, 209

(٥) راجع El Kurru, 211 (4)

(٦) راجع Ibid, Pl. XXIX, LXIX A. 2, LXIX A. 4, Pl. XXIXD, PlLXIX. A. 3, XXIXD Pl. LXIX A 1, Pl. XXIXc-d

الملك تهرقا

(٦٩٠ — ٦٦٤ ق٠م)



مقدمة :

لم تحدثنا النقوش بشئ من التفصيل عن موت الملك « شبتاكا » بل جاء ذكر موته عرضا فى إحدى الوثائق التى تركها لنا خلفه « تهرقا » وتدل ظواهر الأحوال على أن « تهرقا » كان وقت أن طار الصقر إلى السماء فى أرض الكنانة . ومن الجائز جداً أن الاتفاق كان تاما على أن يخلفه « تهرقا » على عرش مصر وكوش إذا أخذنا بنظرية الأثرى (ماكأدم) وصدقنا ما رواه «تهرقا» لنا عن حب «شبتاكا» له أكثر من إخوته وأولاده ، ولا نزاع فى أن « تهرقا » من أعظم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية وقد جاء ذكر اسمه فى التوراه بلفظة « ترهاقة » ، وقد سماه الإغريق « تاركوس » (ταρκος) وجعلوا منه فاتحا عظيما كما سنرى بعد، وقد اختلفت الروايات التى نقلت عن «مانيتون»[١] حول مدة حكمه . فقد ذكر بعض المؤرخين أنه حكم ثمانى عشرة سنة ، وجاء فى مصدر آخر أنه حكم عشرين سنة . أما الآثار الباقية لنا من عهده فترفع مدة حكمه على أقل تقدير إلى أكثر من ست وعشرين سنة[٢] .

ويعتقد بعض المؤرخين الأحداث أن « تهرقا » كان مشتركا مع الملك

---

(١) راجع Ungar, Chronologie des Manetho, p. 246

(٢) راجع L.R.,IV. p. 31 No .3

« شبتاكا » فى حكم بلاد وادى النيل وأنه ظل يحكم معه مدة خمس سنين ثم انفرد بعد وفاته مباشرة بالحكم ، غير أنه لم يأت ذكر ذلك فى النقوش التى فى متناولنا عن هذا العهد صراحة ، ولذلك فان البت فى هذا الموضوع لا يزال يحتاج إلى ما يدعمه بصورة قاطعة وسنفصل القول فى ذلك فيما بعد .

والواقع أن كل ما نعرفه عن هذا الاشتراك فى الحكم ينحصر فى أن « تهرقا » قد ظل فى مصر حوالى ستة أعوام بجوار « شبتاكا » وبعد ذلك أعلن ملكا على البلاد . وقد كان عند وفوده على مصر من « نباتا » مع إخوته فى العشرين من عمره .

وعهد « تهرقا » كان مليئا بالأحداث الجسام فى داخل البلاد وخارجها . فإصلاحاته ومبانيه فى مصر و بلاد كوش تشهد له بأنه كان من أمجد الملوك الذين خلدوا ذكراهم فى وادى النيل ؛ هذا وقد ترك لنا وثائق عدة تشهد له بالفوقان فى هذا المضمار ، وأنه لا يقل عن أعاظم ملوك مصر فى عز سطوتها وسلطانها . أما عن سياسته الخارجية وما قامت بينه و بين ملوك دولة آشور المترامية الأطراف وقتئذ من حروب ، فقد سكت عنها سكوتا تاما ، ولكن لحسن الحظ أسعفتنا الوثائق الآشورية ببعض الأخبار . وعلى الرغم من أن الأخيرة لم تشف غلة إلا أنها أوضحت الموقف بعض الشئ . ولا غرابة فى ذلك فإن فراعنة مصر طوال تاريخهم قاطبة قد أغفلوا الحوادث التى يشتم منها رائحة هزيمتهم ، ولعمرى تلك سليقة نعرفها ونلمحها فى دول الشرق القديم عامة فكلها تغفل المزائم وتتحدث عن الانتصارات وحسب . فنرى هنا أن ملوك آشور الأقوياء قد تحدثوا لنا عن الحروب التى شنوها على مصر بعد سيطرتهم على كل بلاد شاطئ البحر الأبيض المتوسط فى سوريا وفلسطين وفنيقيا وما جاورها . وقد كانت نتيجة هذه الحروب أن خضعت مصر مدة من الزمان للحكم الآشورى . ومع كل ذلك فإن الغموض يحيط بأيام « تهرقا » الأخيرة لقلة المصادر المصرية .

وسنحاول هنا أولا أن نستعرض آثار الملك « تهرقا » على ضوء الكشوف الحديثة التي ظهرت في شق الوادي ثم نستخلص منها بقدر المستطاع ما يمكن من حقائق تاريخية خاصة بهذه الأسرة الكوشية وعلاقتها بمصر من الوجهة السياسية والدينية والاجتماعية . أما العلاقات الخارجية فسنفرد لها فصلا خاصا نستعرض فيه بشيء من الاختصار تاريخ بلاد « آشور » وما كان لها من سلطان في عهد الأسرة الخامسة والعشرين ثم نتناول علاقتها مع دويلات شرق البحر الأبيض المتوسط بشيء من التفصيل بقدر ما تسعفنا به الوثائق الأصلية الآشورية وبخاصة منذ أن أخذت آشور تحوّل أنظارها للاستيلاء على هذه الأقاليم الواقعة غربي حدودها .

أعمال « تهرقا » في بلاد كوش ومصر :

لا يزال جوف بلاد وادي النيل مليئا بالآثار التي تطالعنا بها الكشوف كلما ضرب الحفار الأرض بمعوله . ولسنا مبالغين إذا قلنا إن ما كشف عنه من آثار هو عشر معشار ما هو دفين في بطن الأرض . وبلاد كوش لا تزال فيها أماكن بكر تنتظر الكشف عنها لتنير لنا الطريق المظلم الذي نتخبط في ديجوره عند التحدث عن تاريخ هذه البلاد . ومن أهم المواقع التي كشف عنها حديثا الموقع الذي تقوم على أنقاضه قرية « الكوة » الحديثة . والواقع أن ما عثر عليه فيها من آثار يقدم لنا صفحة مجيدة عن تاريخ الملك « تهرقا » بما أصلحه فيها من معابد وما أقامه هو بنفسه من مبان دينية فاخرة وقد ظل الملوك الذين أتوا بعده يرعون هذه الآثار ويضيفون إليها مبان خاصة بهم حتى أصبحت مباني تلك البقعة بمثابة سجل دوّن عليه كثير من ملوك السودان أسماءهم ومفاخرهم . من ذلك لا نكون قد تجاوزنا موضوعنا إذا رسمنا هنا للقارئ صورة عن تاريخ هذه البلدة الغنية بآثارها من أول أمرها بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا إلى أن دمرت ، وبخاصة أن تهرقا كان يعد أكبر ملك قام فيها بإصلاحات وأنشأ بها معبداً يعد من أفخر المعابد التي أقيمت على ضفاف وادي النيل في تلك الفترة من تاريخ الفراعنة .

موقع « الكوة »

لما كان موقع قرية « الكوة » الحالية فى الأزمان القديمة يحتل مكانة هامة فى التاريخ المصرى الكوشى بسبب ما جدّ فيه من بقايا آثار ضخمة فقد آثرنا أن نورد هنا لمحة عن التقلبات والأحداث التى مرت بهذه البقعة وبخاصة قبل عهد تهرقا وفى زمنه وزمن أخلافه من ملوك دولة نباتا الأولى وما بعدها بقدر ماتسمح به معلوماتنا الحالية (أنظر خريطة رقم ٦) .

ويدل مالدينا من معلومات حتى الآن على أن أقدم إشارة جاء فيها ذكر « الكوة » فى الأزمان الحديثة ما ورد فى كتاب السودان الانجليزى المصرى [١] حيث يقول المؤلف : « على مسافه ستة أو سبعة أميال جنوبى « دنقلة » يوجد على الضفة اليمنى للنيل معبد مصرى صغير عند مكان يدعى « الكوة » وهو فى حالة حفظ جيدة ولكن تاريخه مجهول . وقد عثر عليه وحفره جزئيا الكولونيل « كولبورن » سنة ١٨٨٥ ميلادية » .

وقرية « الكوة » تقع على الشاطئ الشرقى للنيل على مسافة $٢\frac{٣}{٤}$ ميل جنوبى « دنقلة » (الجديدة) وهى تتألف من ثلاثة أو أربعة مبانى مقامة باللبنات وهى الآن تعتبر جزئيا مهجورة وفى حالة خربة ، وبها عدد قليل من النخيل ، ويلحظ هنا أن شاطئ النيل فى هذه البقعة منحدر ولكنه فى العادة مدرج بدرجات ضيقة صالحة للزراعة . ويشاهد أن شجر السنط ينمو فيه على مسافات متقاربة ، ولكن الصحراء الرملية تمتد من هذه البقعة على مسافة بضعة أميال شرقا الى المنخفض المعروف باسم حوض « كرمه » وهو الذى يغمر بمياه النيل سنويا ، ثم تمتد الى النيل ثانية عند الجزء الشمالى للمنحنى العظيم الواقع بين الشلالين الخامس والرابع ومن ثم الى تلال البحر الأحمر النائية . وتوجد خلف « الكوة » لمسافة حوالى ميل جنوبا قطع فخار ودمن مساكن ، وفى النهاية الجنوبية توجد أكوام مرتفعة مؤلفة من جدران من

---

(1) Count Gleichen, The Anglo-Egyptian Sudan, Vol. I. p. 313

اللبنات الساذجة ، هذا بالاضافة الى بوابتين من الحجر . ومما له أهمية هنا أنه توجد تحت طبقة الرمل طبقة غرين أسود تذهب الى عمق كبير فى جوف الأرض .

ولا نزاع فى أن قرية «الكوة» هذه هى بقايا مدينة عظيمة كانت تقوم على الشاطئ الشرقى للنيل فى الأزمان القديمة وكانت تمدها بالخيرات المزارع التى كانت تحيط بها من جهاتها الثلاث . وتاريخ «الكوة» ومعابدها بعد الحفر الذى قام به الكولونيل كولبورن محزن ، وذلك لأن السباخين قد استمروا فى تخريب هذا الموقع ونهبه، هذا الى أن بعض الضباط كانوا أحيانا فى أوقات فراغهم يبحثون فيه عن الكنوز الأثرية . والظاهر أن المعبد المعروف بحرف (ا) (A) كان يجذب اليه الأنظار لما فيه من آثار ، فقد قام فيه الكولونيل « هوث جاكسون » بحفريات ضيقة النطاق أسفرت عن نتائج مغرية لدرجة أنه لما قامت الحفائر العلمية فيه فيما بعد ثم زار الموقع دهش كثيراً عندما رأى أن الجدران المقامة من اللبنات التى كشف عنها هو قد ذهبت عنها المناظر الملونة التى كانت مرسومة عليها عندما كشف عنها لأول مرة . وقد وصلت بعض التحف الصغيرة والكبيرة الى مجموعة القائد «جاكسون» فى « مروى » من بينها تمثال بدون رأس للاله « بتاح » على ظهره نقش : إهداء لبتاح[1] رب « جماتون »، وقد قال عنه هذا القائد إنه جاء به من « الكوة » . أما التحف الصغيرة التى كشف عنها هناك فقد أخذها « كتشنر » سنة ١٩١٣ ، وقد وضعت التحف الكبيرة فى متحف « مروى » الحكومى .

وعلى الرغم من صدور الأوامر المشددة بالمحافظة على جدران هذا المعبد فإن الأحجار المنحوتة فيه قد نهبت على مر السنين لتستعمل فى المبانى الحديثة ، وقد ترك الأهالى أحجار العمد المستديرة لأنها لم تكن ذات فائدة لهم فى مبانيهم .

---

(١) وهذا التمثال موجود الآن بمتحف « مروى » وقد ركب فيه رأسه الذى عثر عليه فيما بعد . راجع Merowe Museum No. 28, [492]

وفى أواخر عام ١٩٢٨ أمضى المستر « أديسون » أمين الآثار السودانية بضع ساعات فى حفر معبد « تهرقا » بنجاح منقطع النظير ، وقد رسم جزءاً من تصميمه وتعرّف على اسم بانيه واسم الإله « آمون » واسم المدينة « جمآتون » وهى التى قامت على أنقاضها الكوة الحالية .

وفى الشتاء التالى عملت حفائر تمهيدية لمدة تسعة أيام أسفرت عن نتائج مشجعة ، فقد كشف أولا عن عمود فى المكان الذى سمى فيما بعد معبد (ا) = A ونقش عليه طغراءات الملكين « رعمسيس الثانى » و « رعمسيس السادس » هذا بالإضافة إلى أشياء أخرى .

وبعد ذلك اتخذت الاستعدادات للعام التالى (١٩٣٠ — ١٩٣١) . وقد أسفرت أعمال الحفر فى موسم هذا العام عن كشف معبد آخر أطلق عليه معبد « ب » = B محاذيا لمعبد ا (A) ، ولكنه من عصر متأخر عن سابقه . وبعد ذلك عمل مجس طويل كشف عن واجهتى المعبدين ، وبعد الانتهاء من ذلك نظفت قاعة العمد وقدس الأقداس لمعبد ا (A) وما يحيط به من حجرات ؛ وفى هذه الأماكن عثر على آثار ثمينة محفوظة . وبعد ذلك كشف عن مبان واقعة فى الجهة الشرقية من معبد « تهرقا » ، غير أنها ترجع إلى العصرين المروى والرومانى ، وقد أطلق عليها مؤقتا القصر الشرقى ، ومن ثم أخذت الكشوف تترى حتى انتهت أعمال الحفر فى شهر مارس .

وقبل أن نتحدث عن تاريخ معبدى « الكوة » وما أقيم فيها من مبان فى عهود مختلفة يجدر بنا أن نذكر كلمة عن آخر نقطة وصلت إليها الفتوح المصرية فى أعلى النيل فى الأزمان الغابرة لنربط حوادث التاريخ بعضها ببعض فى تلك البقعة من وادى النيل .

والمعلوم الآن أن الشلال الرابع وما فى اجتيازه من مخاطر قد وضع حداً لأطماع الفاتحين المصريين القدامى ، على أن أى شك قد يحوم حول هذا الرأى قد يعضده

ما فاجأ به الدكتور « ريزنر » علماء الآثار عندما كشف عن قلعة يرجع تاريخها إلى الأسرة السادسة عند « كرمة » الواقعة خلف الشلال الثالث ؛ وعلى ذلك فإنه من المحتمل أن نفاجأ بشئ آخر من هذا النوع خلف الشلال الرابع مما يدل على أن المصريين قد تخطوا فى فتوحهم هذه النقطة . والواقع أنه فى الأزمان القديمة كانت طريقة الارتياد العادية لأعالى النيل هى السياحة بالقوارب ، ولكن قبل عمل السكة الحديدية فى السودان كان المتبع منذ قرون مضت هو أن يترك الانسان ركوب متن النيل عند « كرسكو » ويخترق الصحراء إلى أن يلتقى بالنيل ثانية عند بلدة « أبو حمد » ، وبذلك كان المسافر يتفادى انحناء عظيما غربياً فى النيل تعترضه شلالات صعبة وصخور وعرة ومنخفضات رملية وتيارات معاكسة ورياح شديدة ، ولكن الصحراء كانت من جهة أخرى هنا قاحلة لا ماء فيها قط ، وعلى ذلك فإن السير فى طريق « كرسكو » كان يستغرق أسبوعين دون انقطاع ، وعلى أية حال فإن هذه الطريق كانت تخطى الشلال الثالث . وإذا كانت هذه الطريق تجتاز فى الأزمان الحديثة بسهولة نسبياً فإنه من الجائز جداً أنها كانت مطروقة فى عهد قدماء المصريين . ومن المحتمل جداً أنها كانت فى عهدهم أقل جدبا عما هى عليه الآن .

والظاهر أنه لدينا برهانان على أن طريق « كرسكو » كان مستعملا فى عهد قدماء المصريين غير أنهما ليسا مؤكدان تماما . فقد ذكر مستر « أديسون » أنه رأى طغراء فرعون غير واضح المعالم منقوشا على صخرة على مقربة من السكة الحديدية وعلى مسافة قريبة من بلدة « أبو حمد » ، غير أنه على الرغم من وجود هذه الطغراء فإنه من الجائز ألا تكون لملك مصرى بل من المحتمل أن تكون لملك « كوشى » أو « مروى » . هذا ونجد من هذا الصنف من الطغراءات أمثلة كثيرة فيما وراء « أبو حمد » . والبرهان الثانى هو أنه يوجد فى النهاية الشمالية للطريق نقش مصرى قديم . وذلك أنه فى عام ١٨٧٥ ميلادية نقل صديق للأثرى العظيم « هنرى بركش » نقشاً من صخرة

تقع فى البقعة التى يبدأ فيها الطريق الصحراوى عند « كرسكو » وهذا النقش مؤرخ بالسنة التاسعة والعشرين من عهد الملك «أمنمحات الأول» مؤسس الأسرة الثانية عشرة، والظاهر أن هذا الملك كان قد نقشه وهو فى طريقه إلى فتح بلاد كوش . ومما يؤسف له جدّ الأسف أن هذا النقش لم يعثر عليه ثانية لدرجة أن الانسان أصبح يشك فى وجوده فعلاً [١] . ولكن يمكن الانسان أن يستخلص منه ومن تاريخ أمنمحات الذى جاء بعد ذلك أنه أخفق فى فتح كوش لاختياره طريق الصحراء ؛ ومن المحتمل أنه قد لقى حتفه فى [٢] هذه الصحراء القاحلة فى حين أن ابنه « سنوسرت الأول » قد أصاب نجاحا عظيما فى حملة قام بها فى أعالى النهر .

والرأى المتبع الآن أن الشلال الرابع يعتبر نهاية امتداد الامبراطورية المصرية فى الجنوب إذ تقع قبل الشلال الرابع تقريبا القلعة والمعبد والمدينة المعروفة باسم « نباتا » . وتدل الوثائق التى فى متناولنا على أن وجود هذه المؤسسة يرجع الى عهد تحتمس الثالث الذى وجد له لوحة هناك كشف عنها الدكتور « ريزنر » [٣] . ولكن لا يوجد لدينا البراهين التى نستطيع بها إثبات عدم قيام هذه المؤسسة قبل عصر الأسرة الثامنة عشرة . والواقع أنه يوجد فى إقليم « نباتا » بين الأحجار المنقوشة المبنية فى الجدار الشمالى لسور القصر الخاص بمدينة « مروى » القديمة ، (وهى التى كان يسكنها الحكام الأتراك فى خلال الحكم المصرى قبل عهد المهدى) حجر مذكور عليه « مقر امنمحات » . (والظاهر أن هذا الاسم غير اسم الجدار الموجود فى « كرمة ») . وليس من المؤكد قط أن مقر « أمنمحات » هذا كان تابعاً للمكان المجاور له ، ولكن على أية حال يوحى بفكرة قد تشجع الرواد فى المستقبل على المضى فى الكشف عن أشياء جديدة تنير السبيل فى هذا الصدد . وعلى أية حال فإنه خلافا لما ذكرنا

(١) راجع Brugsch, Thesaurus 1213 (upper)

(٢) ولكن شواهد الأحوال تدل على أنه قتل فى عقر داره فى السنة التالية بسبب مؤامرة (راجع J. E. A., 27 p. 2ff) وكذلك الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ١٩٨ الخ .

(٣) راجع A.Z., 69, p. 24 L. 33 وكذلك مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٨٧ — ٤٩٢

بالإضافة إلى بعض جعارين فإنا لم نصادف نقوشا للأسرة الثانية عشرة خلف بلدة « كرمه » وجزيرة « أرقو » حيث ترك سنوسرت الأول مائدة قربان محفوظة الآن بمتحف « مروى » .

وعندما نلتفت إلى « الكوة » الواقعة على مسافة عشرين ميلا جنوبى « أرقو » فإنا نتساءل هل كان يحتلها المصريون قبل عهد الدولة الحديثة الزاهر ؟ . والواقع أنه وجدت فى الصحراء عند « صنم »(١) و « وادى أبو دوم » آلات خشنة من الحجر يرجع تاريخ بعضها إلى العصور الحجرية المتأخرة .

وكذلك عثر على عينات من الظران فى وادى لتى ولاجيا ارمان وتؤرخ كذلك بهذا العصر . وهذه هى أقدم ما صنعه الانسان وكشف عنه حتى الآن فى مركز دنقلة . أما حوالى « الكوة » فلم يوجد شئ من هذا القبيل ، ولكن وجدت فى معبد الملك « تهرقا » بين الأشياء المهداة للاله « آمون » أنواع هامة من الآلات التى من عهد ما قبل التاريخ أو أوائل العصر التاريخى تشبه التى وجدت فى المقابر المصرية . ومن الجائز أن هذه كانت خاصة بمؤسسة بدائية لمستعمرين مصريين فى « الكوة » .

وأقدم أثر منقوش كشف عنه فى « الكوة » هو تمثال صغير من الاردواز عثر عليه بين الأشياء التى تركها اللصوص فى الحجرات المبنية من اللبنات الواقعة فى الجانب الشرقى لمحراب « توت عنخ آمون » فى المعبد (A) . ويمثل هذا التمثال رجلا يدعى « سنو » ويلقب « المشرف على مائدة الملك » وهو لقب خاص بالدولة الوسطى . وقد يجسر الإنسان على الجهر بالقول إن هذا التمثال يحملنا على القول صراحة أن مؤسسة « الكوة » ترجع تاريخها بوصفها مؤسسة مصرية إلى ما قبل الدولة الحديثة . أما النقش المؤرخ الذى وجد بعد السابق فهو قطعة من قاعدة من الجرانيت وربما كانت لكبش عثر عليها أمام البرج الشمالى لبوابة المعبد T وعليها طغراء الملك

---

(١) راجع Ann. Arch. Anth., 9, 76

« أمنحتب الثالث » . ومثل هذه الآثار نجد منها تسعة بين كل عشرة للملك أمنحتب الثالث ، و يؤكد هذا الزعم إلى حد ما العثور على طغراء أمنحتب الثالث على جعران يظن أنه كان ضمن ودائع أساس المعبد ب (B) .

و يخيل إلى أن مجرى التاريخ هنا كان كالآتى: بعد أن تقدم تحتمس الثالث بحدود الامبراطورية إلى التخوم القديمة عند الشلال الرابع ، وعندما جاء أمنحتب الثالث بعد ذلك بجيلين من الناس وجد مستعمرة مصرية قديمة مخربة ومهجورة ، ومن ثم أخذ فى تأسيسها من جديد فأقام معبداً صغيراً للاله آمون صاحب « جمأتون » ولإله الشمس « آتوم » صاحب عين شمس وهو الذى جاء ذكره على جعران الأساس السالف الذكر . ومن الغريب أنه لم يوجد أى أثر منسوب لخلفه « إخناتون » ، ولكن من الجائز أن معبد أمنحتب الثالث كان قد هدم بأمر منه . وقد وجد الفرعون « توت عنخ آمون » هذا المعبد مخرباً ومهملا فأصلح جزءاً منه فى صورة محراب صغير مع أربعة أعمدة فى الردهة ونقش كل الجزء الذى أصلحه كما زينه بالمناظر وأهداه ثانية للاله « آمون رع » صاحب « جمأتون » و « لآتوم » والإله « حور أختى » . هذا ويلحظ أن ابن الملك « حوى » الذى كان النائب العظيم لتوت عنخ آمون فى بلاد النوبة — وهو صاحب القبر الفاخر المقام فى جبانة طيبة ونقوشه تعد وثيقة أصلية يعتمد عليها فى معرفة واجبات نائب كوش وإدارته — لم يأت اسمه فى نقوش « الكوة » . هذا إذا لم يكن هو أمنحتب (وهو اسم ثان له) الذى جاء ذكره على عمود فى المعبد A (أ) ، ولكن على أية حال لدينا بعض المعلومات عن الادارة نتعرف عليها من النقوش ، فيوجد أمام ردهة الأعمدة لمعبد توت عنخ آمون قطعة من الحجر نقش عليها : « مملوك حجرة التنشئة الملكية ، والمشرف على الأراضى الجنوبية وحامل المروحة على يمين الملك والمربى لآتون ؟ « خعى » وهو يقدم ثوراً سمينا ، هذا و يرتكز على عارضة باب الدخول فى الردهة الثانية للمعبد ا (A) لوحة أهداها كاتب المعبد فى « بر رع » (المسمى) «تانخت»

وفضلا عن ذلك كان يوجد فى معبد « تهرقا » مجموعة من تماثيل مصنوعة من الجرانيت تمثل حامل المروحة على يمين الملك . . . ورئيس الأحفال «خمموای» وقد أهدتها سيدة وجد تمثالها مع تمثاله فى نفس الأثر وقد وصفت بأنها رئيسة الحريم للملك « نب خبرو رع » (واسمها) « تمواچسى » وهى معروفة لدينا من قبل إذ قد ذكرت مع نائب الملك « حوى » وموظفين آخرين فى نقوش « فرص » فى بلاد النوبة السفلى . ويمكن أن نصل من لقبها وآثارها إلى أنها كانت أهم نساء عصرها فى الحياة الاجتماعية والحكومية فى بلاد النوبة المصرية[1] .

وفى عهد الأسرة التاسعة عشرة نشاهد « رعمسيس الثانى » قد اغتصب طغراءات « توت عنخ آمون » التى على أعمدة فى المعبد (A) ، وفى عهد الأسرة العشرين نلحظ أن موظفا يدعى « نب ماعت رع نخت » وضع اسم «رعمسيس السادس» على نفس الأعمدة .

وكذلك وجدنا من عهد الأسرة العشرين طغراء مهشمة بعض الشئ على تمثال مجيب فى مكان لم يكن منتظرا أن يوجد فيه — وأعنى فى القصر الشرقى المروى — « للملك رعمسيس السابع » . على أن تفسير وجود مثل هذا التمثال المجيب لا يمكن البت فيه بصفة قاطعة . فمن الجائز مثلا أنه نقل إلى هذا المكان كما يحدث ذلك كثيراً فى تاريخ الآثار المصرية .

(١) راجع Kawa, I, p. 4

مختصر تاريخى

لمعابد الكوة والمبانى التى وجدت فيها حتى الآن

إن من يطلع على تصميم المعبدين ا و ب (A & B) (انظر الشكل ٧) يجد أن الجزء القديم منهما وهو المعبد ا A يقع بالقرب من النهر بمحوره محاذيا له ، فى حين أن الجزء المتأخر وهو المعبد ب B يقع على جانب الأخير ، فنجد أن الجدار الغربى للعبد ب B والجدار الشرقى للمعبد ا A يكادان يتماسان على الرغم من أن كلاً منهما منفصل عن الآخر ؛ ويوجد لكل من هذين المعبدين ردهتان مقامتان من اللبنات وباباهما مكسوان بالحجر ويؤديان إلى محراب مصنوع من الحجر .

ومما لا شك فيه أنه لا يمكن تحديد أقدم تاريخ لمعبدى « الكوة » الآن إلا بعد عمل حفائر تكميلية للتى عملت فى عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ ميلادية وعلى أية حال فإنه قد أصبح من المؤكد أنه لم تكن توجد ودائع أساس لها إلا فى الجهة الشمالية الشرقية من ركن معبد ا A ، وكل ما وجد هناك هو بعض قطع عظام .

على أن البحث لإمكان الوقوف على ودائع أساس من جهة أخرى قد أسفر عن وجود جعران كبير للملك « أمنحتب الثالث » ، وقد وجد على عمق متر تحت مستوى رقعة المعبد ا A عند الركن الشمالى الغربى الخارجى لمحراب هذا المعبد المقام من الحجر ، ويرجع تاريخه إلى العهد المروى القديم ؛ والظاهر أنه وجدت هنا طبقتان من البلاط يفصلهما ردم ، ومن ثم كان بدهيا وجود أساس قديم تحت المعبد ب B ، غير أنه من المشكوك فيه أن يكون هذا الجعران حقاً جزءاً من ودائع الأساس لهذا المعبد .

ومما لا يحتاج إلى دليل أن اسم « الكوة » (جم آتون = آتون مبصر)

كان قد أطلق أولا على المدينة فى خلال العهد القصير الذى كانت قد بدأت فيه عبادة آتون فعلا .

وتدل شواهد الأحوال على أن هذه العبادة قد بدأت فى عهد « أمنحتب الثالث »[1] ثم نشطت بما أظهره «إخناتون» من غيرة على تعاليمها ، ولكنها لفظت فى عهد خلفه « توت عنخ آمون » عندما ضغط عليه كهنة « آمون رع » ، إله الدولة ، ولم يكن فى مقدور هذا الشاب مقاومتهم .

وعندما أعيدت عبادة آمون وجدنا أن كل أثر لعبادة « آتون » فى مصر قد قضى عليها بسرعة وكان المنتظر بطبيعة الحال أن تتبع نفس الطريقة فى خارج مصر ، والواقع أنه لم توجد أية قطعة حجر أو لبنة يمكن نسبتها للملك « إخناتون » فى « الكوة » ، ومع ذلك نجد من المدهش أن اسم المدينة « جم آتون » قد بقى على مر الأيام .

وليس ببعيد أنه كانت توجد بلدة فى موقع « الكوة » قبل الفرعون « أمنحتب الثالث » كما ذكرنا من قبل. هذا وقد عثر فى موسم حفائر ١٩٣٥ — ١٩٣٦ ميلادية على بعض جدران مقامة من الآجر الأحمر تحت معبد « تهرقا » وقد عثر على منسوب أعلى من ذلك على أساس بوابة من الحجر تحت حدائق المعبد وذلك على بعض مسافة تحت البقعة التى وجدت فيها قطعة الجرانيت (رقم ١٨) المنقوش عليها اسم « أمنحتب الثالث » عثر عليها « جرفث » . وإذا حكمنا بالعمق الكبير الذى وجدت فيه هذه المبانى فإنه لا يبعد أن تكون من الدولة الوسطى والدولة الحديثة .

وأقدم جزء فى مبنى المعبدين ا و ب (A و B) لا يزال قائما وهو الجزء الداخلى المقام من الحجر الرملى للمعبد ا (A) ويحتوى على حجرتين صغيرتين (قاعة عمد ومحراب) هذا بالإضافة إلى أربعة عمد ذات قنوات فى الردهة الثانية من نفس المعبد

(١) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٢٦٦ الخ .

وهى من صنع الملك «توت عنخ آمون». وعلى الرغم من أن المبانى المقامة بالحجر تدل فعلا على تغييرات ظاهرة فإنها فى مجموعها يظهر عليها أنهـا من عمل نفس هذا الفرعون وحده. والواقع أننا لا نجد طغراءات من شكل طغراءات «توت عنخ آمون» فى أى مكان، كما أننا لا نجد تغيراً بإحلال اسم «آتون» بدلا من «آمون». وتدل الظواهر على أن الجدار الشمالى لقاعة العمد الصغيرة التى قبل المحراب كان فى الأصل جداراً جانبياً، أما الباب الذى فيه فقد عمل فيما بعد كما تشير إلى ذلك اتجاهات الصور التى مثلت فى النقوش (Pls. IIc, IIIa).

وقد كان المفروض أنه يوجد باب فى الجدار الغربى غير أنه قد سد، وقد نقش كل الجدار بوساطة «توت عنخ آمون». والظاهر أن مثل هذه التغيرات التى عملت فى ترتيب هذا المعبد لابد أن سببها كان يرجع إلى تغير فى تصميم المبانى، ولا يتحتم أنها تنسب إلى إعادة «توت عنخ آمون» تشييد مبنى قام به أحد أسلافه. والأعمدة الأربعة المنسوبة «لتوت عنخ آمون» نقش على كل منها سطر عمودى على الجانب الأقرب لمحور المعبد الأوسط كما هو الآن. وعلى الرغم من عدم وجود براهين معمارية تدل على أن «توت عنخ آمون» قد أصلح معبداً قديمـا فإنه لا يمكن أن نتغاضى بسهولة عن ادعائه لذلك، فقد نقش على أربعة أعمدة أنه أقام ما كان قد تداعى بعمل خالد من الحجر الرملى الجيد.

ومن جهة أخرى قد استنبط الأستاذ «جرفث» أن «أمنحتب الثالث» أسس أو أعاد تأسيس معبد هدمه فيما بعد «إخناتون»، وأن «توت عنخ آمون» قد أعاد بناء جزء منه وذلك ببناء المعبد ا (A). ولكن كيف يفسر التغير الظاهر فى تصميم المعبد ا (A)؟ فهل ابتدأ «توت عنخ آمون» بناء معبد «لآتون» ثم حوله إلى معبد «لآمون» قبل أن يتقدم كثيراً فى بنائه؟ فإذا كان الأمر كذلك فإنه من المحتمل أن «إخناتون» لم يكن له أية علاقة «بالكوة»، وأن هناك معبداً أقامه «أمنحتب الثالث» قد خرب بعامل آخر. والواقع أن النتيجة التى يمكن استنباطها

معقدة ، على أنه قد يجوز أن يفصح عنها إذا عملت حفائر أخرى تحت المعبد ب (B). وخلاصة القول أن كل ما يمكن أن يقال الآن ، دون الوقوع فى خطأ ، هو أنه من المحتمل أن « أمنحتب الثالث » قد أقام مبانى فى « الكوة » ، ولكن لا نعرف إذا كانت أسس معبده تقع تحت المعبد ب (B) أم لا . أما «توت عنخ آمون» الذى يحتمل أنه أصلح معبداً قديما فقد غير تصميم بنائه فى أثناء إقامته له . ولا يوجد لدينا برهان على عبادة « آتون » أو على ما يشعر بنشاط بنائى للملك « إخناتون » فى هذه البقعة . وكل ما يدل على أثره هنا هو اسم « جمأتون » ولكن من الجائز أن هذا كان قد وضعه أولا أمنحتب الثالث أو إخناتون نفسه . ويدل بقاء هذا الاسم دون كشط على أنه فى كوش البعيدة لم يكن يوجد إلا عدد ضئيل من الموظفين المصريين — إذا استثنينا «نباتا» — يهتمون بالتقلبات التى كانت تحدث فى البلاط المصرى ، ولذلك لم يكن هناك ضرورة لاتخاذ إجراءات للقضاء على عبادة « آتون » ، وذلك لأن فكرة عبادته لم تستول قط على نفوس القوم هناك . على أن ذلك ليس إلا مجرد رأى قد يظهر يوما ما ينقضه .

هذا ونعلم أن طغراءات الملك « توت عنخ آمون » كانت منقوشة على أربعة عمد قد اغتصبها رعمسيس الثانى فيما بعد ، وقد وضع « رعمسيس السادس » طغراءاته عليها بوساطة موظف من موظفى نائب كوش وهو المشرف على البلاد الأجنبية الجنوبية وحامل المروحة على يمين الملك المسمى « نب ماعت رع نخت » ، يضاف إلى ذلك أن قائد الحامية « رعمسيس نخت » أضاف طغراءات أخرى قد يجوز أنها « لرعمسيس السادس » . وأخيراً وجد جزء من تمثال مجيب للملك رعمسيس السابع (0302) فى القصر الشرقى المروى . وبعد ذلك لا نجد شيئاً قط يدل على مجرى التاريخ فى هذه البلدة ، بل كان هناك صمت تام لمدة أربعة قرون حتى جاءت الأسرة الكوشية (أو ما تسمى الأسرة الأثيوبية خطأ) . وتدل شواهد الأحوال على أنه فى خلال تلك الفترة كان المعبد ا (A) قد دفن تقريباً تحت الرمال التى كانت تغزو هذه الجهة .

وأول دليل لدينا على إقامة مبان فى هذه البقعة مؤرخة ما نشاهده فى الجهة الشرقية من موقع المعبدين ا ، ب A—B حيث يوجد المعبد ب B (كما وجد عند حفره) الذى لم يكن قد أقيم بعد . والظاهر أنه كان يوجد هنا معبد أو محراب فى صورة ما أقامه الملك « شبكا » على شرف الإلهة « عنقت » (أنوكيس) ويلحظ هنا أن أحد الأعمدة التى أقيمت فيما بعد فى المعبد ب B كان مؤلفاً من قطع من مبنى الملك شبكا، وهذه القطع قد جىء بها من عمودين فقط . ومن المحتمل أن معبد الإلهة « عنقت » هذا كان قد أقيم فى هذا المكان، وكذلك قد وجدت قطعة مشابهة من عمود على مسافة فى أثناء حفر الموقع (١) فى سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٦ ، وكذلك عثر على اسم « شبكا » على خرزة فى شكل برميل ويحتمل أنها خاتم . أما اسم « شبتاكا » فلم يوجد إلا على تعويذة [0427] .

وقد بدأت أعمال البناء الجدية عند ما تولى « تهرقا » الملك فقد كان له ميل خاص لمدينة « الكوة » وأراد أن يسبغ عليها قوة شبابه وما فى نفسه من طموح لإقامة المبانى الفاخرة . وقد ذكر لنا « تهرقا » أنه عندما غادر بلاد النوبة وهو فى العشرين من عمره ليلحق بالملك « شبتاكا » فى مصر وقف موكبه عند « جمأتون » وقد استولى على قلبه الحزن (١) هناك عند ما رأى حالة المعبد الذى وجده مخرباً هناك ويقول إنه كان مقاماً من اللبنات وكان مدفوناً فى الرمال حتى سقفه ، هذا فضلا عن أنه كان مغطى بالتراب على ما يظهر لأجل أن يحفظ من الأمطار أو ماء الفيضان .

والمفهوم عادة أن المتون التى تتغنى بنشاط بنائى يستعمل فيها تعابير مثل « أقيم من حجر جيد صلب بعمل خالد » . وذلك أنه عندما كان الملك المقيم للمبنى يريد أن يؤكد فخامة ما تم على يديه من إعادة مبان دينية أقامها أسلافه يقول عنها إن المبنى كان « مصنوعا من اللبنات » وذلك للدلالة على أن المبنى كان عاديا .

---

(١) هذه الحادثة تذكرنا بحادثتين مماثلتين لها ، أولاهما للملك تحتمس الرابع عندما زار بولهول ورأى الرمال تغمره ولم يكن بعد مليكا على البلاد . والأخرى للملك أمنحتب الثانى عندما زار الأهرام قبل تولى عرش الملك ووعد بإقامة لوحة تذكارية لزيارته عند اعتلاء عرش الملك كما سنشرح ذلك بعد .

وقد رأينا أن كل ما بقى من معبد ا (A) من تلك الأزمان الغابرة كان من الحجر ، ولكن من المحتمل أن أية إضافات فى مثل هذه المبانى يجوز أنها عملت فى العصور المظلمة التى كانت تقام فيها المبانى باللبنات فكانت نسبياً من صنف رخيص .

وفضلا عن ذلك يجوز أن الأجزاء التى أضيفت باللبنات للمعبد ا (A) كانت لاتزال ظاهرة عندما زار «تهرقا» جمأتون . ومن ثم لم يظهر عليها أنها قد أقيمت من الحجر . ومن جهة أخرى يجوز أن تهرقا لم يكن يشير وقتئذ إلى المعبد ا (A) قط بل كان يشير إلى معبد أقدم منه كان قائماً على مستوى أقل انخفاضا بكثير عن الموقع الذى اختير للمعبد (T) الذى يقع غرباً بعض الشئ .

وعلى أية حال فان « تهرقا » استأنف سيره ليلحق بأخيه « شبتا كا » فى طيبة ، ومن المحتمل أنه اشترك معه فى الحكم على عرش البلاد على أثر وصوله ولكن فى هذا شك كبير . وعندما توفى « شبتاكا » بعد ذلك بخمس سنين تولى « تهرقا » عرش البلاد رسمياً وأعلن ملكا فى « منف » حيث تصادف أنه كان فيها وقتئذ . ولا بد أن العمل كان قد بدىء فى اصلاح المعبد ا (A) بعد إعلان « تهرقا » ملكا بمدة قصيرة وذلك لأن الأعطية التى منحها للمعبد بدأت فى السنة الثانية كما جاء فى النقش الثالث الذى وضعه لهذا الغرض (Inscr. III) . وعلى أثر اعتلاء « تهرقا » عرش الملك مباشرة نجد أنه قد ابتدأ فى بناء معبد جديد لنفسه وهو المعروف بمعبد(T) . وقد أرسل لهذا الغرض جماعات من أصحاب الحرف والصناعات من « منف » لإقامته ولتزيينه بالنقوش التى كانت تقليداً لأكبر حد فى تفاصيلها لنماذج آثار الدولة القديمة القائمة فى « أبوصير » و« سقارة » وقد صفحت عمد المعبد الجديد بالذهب وصنعت الأبواب من خشب الأرز ومزاليجها صيغت من البرنز ، وزرعت الحدائق فى الأراضى المجاورة بالنباتات والأشجار وسقيت بوساطة بحيرات أو برك ، كما زرعت الكروم التى كان يقوم على رعايتها رجال مختصون جلبوا من قبيلة أجنبية يعرف أهلها باسم « منتيو آسيا » .

وقد قيل إن نبيذ هذه الكروم كان ألذ من نبيذ الواحة البحرية وهى مكان مشهور بزراعة الكروم وعصرها . وحدائق المعبد بما فى ذلك جزء من شارع الموكب المؤدى إلى مدخله يكتنفه كباش من الجرانيت ، كانت محاطة بسور مقدس ضخم مصنوع من اللبنات .

وفى الركن الشمالى الشرقى كان يوجد مصنع طوب له مخزن غلال خاص ومستودعات ، كما وضعت لوحات فى الردهة الخارجية للعبد T وقد دوّن عليها معظم هذه الحوادث وأحدث هذه اللوحات تحمل تاريخ الانتهاء من العمل ، وبعد ذلك سكن الآله « آمون » فى بيته الجديد وقد أرخت اللوحة بالسنة العاشرة من حكم « تهرقا » حوالى عام ٦٨٠ ق . م .

وتصميم المعبد T يطابق تماماً تصميم معبد « صنم » ويقع تقريباً قبالة بلدة « نباتا » وهو الذى حفره بعث اكسفورد سنة ١٩١٣ ميلادية . ومعبد صنم المعروف فى الأزمان القديمة بمعبد « آمون رع ثور أرض القوس (النوبة) » يبلغ طوله ٩٨,٥ متراً وقد خرب حتى مستوى الصحراء المحيطة به وهو يظهر على ذلك أنه شئ صغير — كما هو الواقع — إذا ما قورن ببعض المعابد المصرية الضخمة . ومعبد آمون صاحب « جمأتون » أقيم فى نفس امتداد معبد صنم ولكنه ينحرف فى اتجاهه عن معبد صنم بعض درجات . وعلى أية حال فإنه لما كانت جدران معبد « الكوة » لا تزال قائمة فى بعض أجزائه وتصل إلى ارتفاع حوالى أربعة أمتار فإن المعبد يظهر كبيراً ومهيباً .

وقد أضاف الملك « تهرقا » فيما بعد فى قاعة عمد المعبد T محراباً صغيراً بهجاً من الحجر الرملى مثبتا بين العمد الأربعة الواقعة فى الشمال الشرقى من القاعة بنفس الطريقة التى نراها فى معبد صنم . وعلى أية حال فإنه يلحظ فى « الكوة » أن المحراب ليس محاطاً كلية بالعمد ولكنه يبرز من جهة خارجا عنها . والظاهر أن المحراب لم يكن جزءاً من المعبد عند التصميم الأصلى ولكنه فكر فيه فيما بعد ، وعلى أية حال

فإنه لم ين متأخراً قبل الانتهاء من سائر المعبد ، وذلك لأن العمود الذى يحيط به جداره الشمالى لم ينقش قط كما نقشت العمد الأخرى التى فى القاعة بأسماء وألقاب « تهرقا » . ولو كان قد نقش لكان الجزء العلوى من الكتابة قد أصبح ظاهراً للعيان على العمود عندما انتزع المحراب فى عام ١٩٣٥ — ١٩٣٦ من مكانه لينقل إلى متحف اشموليان بأكسفورد . ومحراب « صنم » الذى يعد من وجهة العمارة أكثر خشونة من محراب « تهرقا » فى الكوة كان محاطاً بأربعة عمد ، وعلى ذلك كان يعد جزءاً من التصميم الأصلى لهذا المعبد وهذا يوحى بأن معبد صنم كان قد بنى بعد إتمام بناء معبد « الكوة » مباشرة أى بعد السنة العاشرة من حكم « تهرقا » .

والواقع أن الإنسان يميل إلى الظن أن مهندس العمارة الذى أشرف على إقامة المحرابين كان واحداً وأنه أفاد فى « صنم » بما كسبه من تجاربه فى « الكوة » .

ولا تزال ترى أوجه نشاط « تهرقا » فى « جمأتون » فقد وجد فضلا عن معبد T نفسه كبشان من الجرانيت فى مكانهما الأصلى خارج مدخل المعبد ، كما وجد اثنان آخران عند مدخل قاعة العمد . وعثر فى الطريق على مائدة قربان كبيرة كان قد أعيد بناؤها فى الأزمان التالية ، غير أنها على ما يظهر كانت فى الأصل من عمل « تهرقا » وذلك لأنها مقامة من نفس الحجر الرملى الذى أقيم منه المعبد T ، هذا فضلا عن أن القطعة السفلى من عقب الباب المصنوعة من البرنز مكتوب عليها اسم « تهرقا » ؛ وقد عثر عليها على مقربة منه . هذا ويلحظ أن أبواب المعبد ا (A) المصنوعة من الحجر كانت بدورها تحمل اسم « تهرقا » وتوحى أن جدران الردهات المقامة من اللبنات الملاصقه لهذه الأبواب كانت من صنع هذا الفرعون . أما عن الحدائق فقد وجدت سلسلة من الحفر التى كانت تزرع فيها الأشجار ، وكانت فى الأصل مبطنة بالحجر ولكنها فيما بعد قد زيد فى ارتفاعها تدريجيا باللبنات ، كما وجدت بئر كانت فى الأصل مبطنة بالحجر يحفها كتل من الخشب . ويدل الكشف عن معصرة للنبيذ فى الموقع رقم ٢ يرجع تاريخها إلى القرن الثانى بعد الميلاد ، على أن إنتاج النبيذ الذى وضع

أساسه «تهرقا» كان لا يزال موضع عناية واهتمام بعد انقضاء ثمانية قرون مضت على تأسيس هذه الصناعة . ولا نزاع فى أن بحيرات الرى الخاصة بذلك لا تزال موجودة تحت التراب المتراكم فى هذه الجهة وتنتظر معول الحفار للكشف عنها .

والواقع أن قصة مدينة «جمأتون» هى قصة صراع طويل بينها وبين الرمال السافية التى كانت تهب عليها وقد انتهت بهزيمتها وطمرها ، وذلك أنه بعد ان اختفى «تهرقا» أخذ البلد يحط تدريجاً ، ولم يصل قط فى يوم من الأيام إلى مستوى الأبهة الذى وصل اليه فى عهده ، حقاً إنه من الجائز أن «أمن — نتى بريكى» قد أشعلت فى قلبه نار الحماس الدينى الذى كان يتأجج فى صدر «تهرقا» إذ قد جعل جيشه يعمل على إزاحة الرمال من طريق المعبد ، وبعد ذلك انتحل لنفسه نعت «جميل الآثار فى جمأتون» . على أن تهدم المعبد يمكن أن يكون بسبب سقوط السقف على قاعة عمد المعبد T وذلك لأن أعمدته كانت صغيرة جداً لا تقدر على حمل كتل السقف الكبيرة نسبياً . ولا نزاع فى أن المسافة اللازمة لحمل هذه الكتل كانت فى الواقع قد قيست ؛ ولكن من الواضح أن الكتل التى استعملت لم تكن ذات سمك كاف ، ولا بد أنها كانت قد سقطت بعد مضى بعض مئات السنين على إقامتها .

وقد زار الملك «انلامانى» «الكوة» وخلف وراءه هناك لوحة جميلة [499 0] لتضاف إلى سلسلة اللوحات التى تركها لنا «تهرقا» . أما الملك «اسبلتا» فقد أقام كما هى الحال فى «صنم» محرابا باستعمال جدار وعمود كانا هناك وثبت فيهما باباً وجداراً من أحجار رقيقة ، والمحراب الذى فى «الكوة» مقام من الحجر الرملى وقد وجد تقريبا كاملا ، وقد سمحت الحكومة السودانية بنقل هذا الجدار وكذلك القشرة الخارجية التى كان منقوشا عليها مناظر محراب «تهرقا» وقد نصبت الآن فى أماكنها متناسبة الوضع فى متحف «أشموليان» باكسفورد . وهذان الأثران لهما أهمية عظمى ، وذلك لأن الآثار المنقوشة من هذا العهد قليلة فى حين أن النقوش التى على محراب «تهرقا» قد مثل فيها شكلان من أشكال الإله «عنقت» وهذا

ما لا يوجد له نظير حتى الآن . ومن حسن الحظ أن هذه الآثار قد بقيت حتى الآن إذا علمنا أنه قد حدث حريق هائل فى قاعة العمد هذه فى الأيام الأخيرة من تاريخ « الكوة » .

ومن المبانى التى يظهر أنها قد أقيمت فى « جماتون » حوالى هذا العصر الكشك الشرقى ويقع خلف الجانب الشرقى من تل البلد وهو تقريبا فى مستوى الصحراء ومحوره يقع تقريبا من الشمال إلى الجنوب ، وعلى ذلك فإنه كان على ما يظن يقع فى الطريق الخاصة بالأحفال وهى التى يعتقد أنها كانت تدور حول البلد أو جزء منه . ويحتوى هذا الكشك على بقايا مناظر وعلامات هيرغليفية جميلة الصنع وهى بلا شك لا يبعد تاريخها عن العصر النباتى المبكر ، ولا يمكن أن يكون قد وضع الكشك فى هذا المكان المكشوف خارج سور المعبد إلا فى وقت مزدهر أى عندما كانت الهجمات التى كثرت فى الأزمان المتأخرة غير منتظرة الوقوع .

وفى خلال العصر النباتى المتوسط كان نشاط العمارة فى « الكوة » قليلا . فمن المعتقد أنه قد حدثت إصلاحات وإضافات فى مخازن « تهرقا » الواقعة فى الشمال الشرقى لمنطقة حرم المعبد فى تلك الفترة ؛ وكذلك بدئ بإقامة مبان على طول الجانب الواقع جنوبى المعبد (T) حيث أقيمت مخازن غلال ومستودعات وكانت مفصولة عن جدران المعبد بطريق ضيقة . ومن بين أسماء ملوك العصر النباتى المتوسط التى وجدت هنا اسم الملك « مالىناقن » فقد ذكر اسمه على عدة لوحات صغيرة من القاشانى فى الحجرة الواقعة غربى محراب المعبد ا (A) وكذلك عثر على لوحة باسم الملك « أسبلتا » وأخرى من نوع مختلف بأسماء « تهرقا » فى نفس المكان . وإذا كانت هذه الألواح فى الأصل من التى زين بها الجدار فإنه من المحتمل أن الحجرات المقامة من اللبنات فى هذه المنطقة كانت تؤلف جزءاً من الإصلاحات التى قام بها « تهرقا » فى المعبد ا (A) .

والملك الذى جاء ذكره فى « الكوة » بعد « أمن — نتى يريكى » الذى سبقت الإشارة إليه هو الملك « حرسيوتف » من العصر النباتى المتأخر (وكانت نباتا هى العاصمة الدينية وقتئذ فى حين كانت العاصمة السياسية هى « مروى ») . وقد جاء اسمه على عمودين فى الردهة الثانية للمعبد ب (B) هذا بالإضافة إلى صورة رسمت على صخر للملك فى حجرة القربان (E) فى المعبد (T) ويلاحظ أن الأسماء التى على العمد باهتة وحفرت بصورة بحجة كالتى نقشت فى العصر النباتى المتأخر . ومن الجائز أن هناك عموداً آخر كان قد نقش . وإذا كان الأمر كذلك فإن كل معالم نقوشه قد ذهبت واختفت . والعمود الرابع الموجود فى هذه الردهة هو الذى أقيم من قطع عمود للملك « شبكا » كما سبقت الإشارة إلى ذلك . ومن الجائز حينئذ أن يكون الملك « حرسيوتف » هو الذى أقام العمد وكذلك الجدران المصنوعة من اللبنات التى فى الردهات الخارجية للمعبد .

ونقوش « حرسيوتف » المشهورة التى عثر عليها فى جبل « برقل » (Urk. III, 113 ff.) تدل على أنه كان ميالا لإصلاح المعابد وزخرفتها بدرجة عظيمة . وقد لا يكون من الحكمة أن ينسب إليه نشاط كبير فى « الكوة » وذلك لأن النقش الذى تركه فى « نباتا » وهو فى معظمه خاص بقائمة من مثل هذه الأشياء ، لم تذكر لنا أى شئ من هذا القبيل فى « الكوة » .

وفى خلال حكم الملوك المتأخرين من عصر « نباتا » لابد أن « جماتون » كانت عرضة لهجوم من الخارج . والواقع أنه حتى فيما يخص الإقليم الواقع بين « نباتا » و « مروى » كانت غزوات أقوام البدو من الصحراء تقع باستمرار . فقد كان الملك « أمن — نتى يريك » فى حاجة إلى إرسال جيش لإخلاء الطريق أمامه قبل أن يترك « مروى » وهو فى رحلته إلى « نباتا » والجزء الشمالى من مملكته . وقد اشتبك فى قتال مع قوم المجا فى الإقليم الواقع جنوبى « الكوة » . وقد تصادم

كل من « حرسيوتف » و « نستاسن » مرات عدة مع أقوام هذه الصحراء . وعلى الرغم من أن اسم « نستاسن » لم يوجد فى آثار « جمأتون » فإن لوحته التى عثر عليها فى جبل « برقل » تقص علينا أنه فى وقته قد زحف قوم « المجا » فى غزوهم حتى « الكوة » حيث نهبوا المعبد وأحدثوا ارتباكا فى أملاك الإله « آمون » وقد قام هذا الملك بإعادة ما نهبوه .

ويعد بداية القرن الثالث قبل الميلاد على حسب رأى الدكتور « ريزنر » العصر الذى قسم فيه السودان مملكتين : المملكة الشمالية وعاصمتها « نباتا » ، والمملكة الجنوبية ومقر حكمها «مروى» ، وقد كانت هناك أحياناً منافسات ومناوشات فيما بينهما . وأهرام ملوك « نباتا » كانت عارية من النقوش ولكن أسلوبها كان على ما يقال يتفق مع أسلوب الأهرام المعاصرة لها فى « مروى » الواقعة بعيداً عنها فى أعلى النيل وهذا العصر قد أطلق عليه الدكتور « ريزنر » المملكة المروية الأولى لنباتا .

وقد عرفنا من « الكوة » أسماء جديدة لملوك ، أربعة منهم على الأقل لا بد من وضعهم بطريقة ملائمة فى قائمة الملوك الكوشيين . والواقع أن « ريزنر » قد أفلح فى الكشف عن كل أسماء ملوك « نباتا » من أول « تهرقا » حتى « نستاسن » وهؤلاء هم الذين دفنوا فى جبانة « نورى » الملكية ، وكل أهرام « نورى » قد عرف أصحابها ، ولكن هرماً واحداً فى جبانة « الكورو » التى تعد أقدم من جبانة «نورى» قد ترك دون أن يحقق اسم صاحبه ، وهذا الهرم تدل الظواهر على أنه معاصر لسلسلة أهرام «نورى» المتأخرة. وقد نسب إليه اسم «بيعنخى آلارا» وهذا هو اسم ملك ذكره «نستاسن» بالقرب جداً من اسم «حرسيوتف» الذى يظن أن «بيعنخى آلارا» قد خلفه . وعلى أية حال فإن نقوش « الكوة » قد قدمت لنا ملكا اسمه « آلارا » وهو جد للملك « تهرقا » . وقد ذكرنا فى غير هذا المكان البراهين الدالة على أنه من الجائز أن يكون أخاً للملك « كشتا » أى أنه جد مبكر للأسرة النباتية ، وقد كان محترماً

ويجوز أن الملوك الذين أتوا بعده قد ألهوه . كما يجوز أن « آلارا» هو نفس « بيعنخى آلارا » الذى جاء ذكره فى نقوش الملك « نستاسن » وأن كلمة « بيعنخى» التى وضعت فى أول الاسم هنا قد أخذت من اسم الفاتح العظيم « بيعنخى » مستعملة كاستعمال كلمة قيصر عند الرومان . فإذا كان هذا الاستنباط صحيحاً فإن هذا الاسم لا يمكن أن يكون هو بانى هرم « الكورو » الأول الذى بقى حتى الآن مجهول الاسم .

أما الأسماء الأخرى التى نقرؤها أحياناً بشئ من الشك أو وجدت مهشمة فهى (١) بيعنخى — يريك — قا ، (٢) أمان . . . سبراك — (؟) (ومن الجائز يقرأ سبراكا — مرى آمون) (٣) كشت . . . ير (ومن الجائز مع شك كبير أن يقرأ كشتا — يريك) (٤) « أرنخ — مرى آمون » أو « أرنخ أمانى» و(٥) « إرى — مرى آمون ، أمانرى » أو « أريأمانى » . والاسمان الأولان من هذه الأسماء يوجدان فى النقش (XIII) وقد حكما على التوالى ، وقد قيل مع الشك إنهما صاحبا الهرمين ١٨ و ٧ فى برقل (See Vol. I, p. 75) واسم التتويج الخاص بالثانى هو « خعمنابى » أى المضئ فى « نباتا » . ويلحظ أن النقش الذى جاء فيه ذكر هذين الملكين يتبع الأسلوب والتعبير الخاص بالنقوش النباتية المتأخرة ، ولا يكاد يكون هناك شك فى أنهما جاءا بعد الملك « نستاسن » بسرعة .

ومما تجدر الإشارة اليه هنا أن الملوك المتأخرين من سلسلة ملوك « نباتا » ، على الرغم من أنهم قد أتوا إلى الشمال ليدفنوا بالقرب من « نباتا » عاصمة البلاد القديمة فإنهم بلا شك حكموا البلاد من « مروى » وكذلك كانوا يأتون إلى « نباتا » ليتوجوا فيها ، وعلى ذلك فإن الاسم « خعمنابى » لا يعنى أنه ملك قد حكم فقط فى « نباتا » ، بل من الجائز أن أهرام « برقل » (نباتا) الخاصة بهذا العهد هى فى الواقع لهؤلاء الملوك والملكات الذين أقاموا — كما كانت الحال

فى الماضى — فى مروى ولكنهم فى الوقت ذاته اجتهدوا أن يستمروا فى اتباع التقاليد القديمة فى بناء أهرامهم فى « نباتا » ، وذلك لأن الفكرة القائلة إن الحكام يجب أن يدفنوا فى « مروى » كانت فكرة جديدة وأن هذه العملية قد أتت شيئاً فشيئاً . ولكن هذا الرأى يمكن أن يثير عقبات من جهة التاريخ ، وذلك لأنه يوجد عدد عظيم من مدد حكم ملوك يتطلب أن يوضع فى الزمن المخصص له إذا قبل هذا الاقتراح ، ولكن من جهة أخرى لا يوجد لدينا روابط محددة ما بين عهد الملك «تانو تأمون» (عام ٦٦٣ ق. م) إلى عهد الملك « ارجامنيز » (سنة ٢٢٥ ق. م) يمكن الارتكاز عليها ، والظاهر أنه من الصواب أن نشك فى وجود مملكة مروية لنباتا منفصلة بذاتها .

والاسم الثالث من هؤلاء الملوك قد ظهر على قطعة ورق من الذهب(O 211) انتزعها اللصوص من صندوق مذهب وجد فى الحجرة المقامة من اللبنات ، وتقع فى شرق محراب المعبد ا (A) ولكن قراءة الاسم يلعب فيها الحدس والتخمين دوره ؛ وإذا كان اسم « بيعنخى — يريك — قا » مشتق من « بيعنخى » ويعنى المولود من « بيعنخى » (المؤله) (١) فإن هذا الاسم يمكن أن يكون مشتقاً من « كشتا » . والواقع أن النعت « مرى آمون » ووصف الاسم هما فقط اللذان يقدمان أى حل لتأريخ هذا الملك . ومن المحتمل أن لقب « مرى آمون » هو خاصية لأسماء ملوك العصر الذى نناقشه كما سنرى بعد .

والاسم الرابع منقوش على رأس جميل من البرنز [OO 21/1] عثر عليه فى الردهة التى قبل محراب المعبد ا (A) ، ويحتمل أنها من قارب الأحفال ، وهجاء الاسم مشكوك فيه على الرغم من أن الحروف ظاهرة ولكن الصعوبة هى : ماذا تقابل هذه الحروف فى الحروف الأبجدية الشائعة الاستعمال فى هجاء الأسماء النباتية (Cf. Inscr. XLIV)

(١) راجع Ibid, Vol. I, p. p. 53, 73

ولقب هذا الملك هو « خبر كارع » وهو اختيار محبب[1] لأنه لقب الملك « سنوسرت الأول » ، هذا على أن ظهور النعت « مرى آمون » فى هذا الاسم والأسماء السابقة واللاحقة يعد أمراً هاما جداً . فنحن نعلم أن هذا النعت كان عاديا فى عهد الرعامسة وفى الأسر اللوبية ثم نجده يظهر بعد ذلك مع « بيعنخى » ولكنه يختفى تماما من كل أسماء ملوك العصر النباتى المبكر ثم يظهر مرة أخرى فى اسم « أمانيسلو » الذى يأتى خلال العصر الأول للملكة المروية النباتية . وهذا العصر نجد فيه عدداً من الأهرام لا أسماء لها وهذه الحقيقة بالإضافة إلى أسلوب رأسه البطلمى الطراز يعتبران البرهانين اللذين يمكن أن نقدمهما عن التاريخ الذى يجوز أن يرجع إليه عهد هذا الملك .

والاسم الخامس وهو « إرى » أو «إريأمانى » عثر عليه على لوحة غريبة (Kawa XV) وجدت فى رقعة الردهة الخارجية للمعبد ا (A) وهى تشبه كثيراً النقوش التى على جدران البوابة الحجرية ومحراب معبد ب (B) ، وعلى ذلك فإنه من الصعب ألا نستنبط أنه كان البانى لها ، وذلك لأن كلا من البوابة والحجرة التى تودى إليها يمكن قرنهما من حيث الحجم والأسلوب بالبوابات والردهات الأمامية الخاصة بالأهرام المروية المقامة فى « نباتا » و « مروى » .

ويلحظ أن الترهل وضخامة الأعجاز البارزة التى نشاهدهما فى صور العصرين المروى المتوسط والمتأخر قد اختفت هنا بوضوح ؛ وعلى العكس نرى أن الأشكال هنا نحيفة بعض الشىء بالنسبة لارتفاعها فهى تشبه فى ذلك الأشكال التى نشاهدها فى النقوش البطلمية المصرية ، ويلحظ فيها نفس الأعجاز الضيقة المدببة . وعلى الرغم من أن الجزء الأعلى من ثوب الملك غريب فى مظهره وليس له نظير فإن طرفه الأدنى المكدس من الأمام بهدابات ونطاق يذكرنا بالملابس الملكية الخاصة بالدولة

---

(١) راجع J.E.A., Vol. 9, 72

الحديثة ، وبخاصة أنه يشبه تماماً الملبس الذى كان يلبسه « رعمسيس الثالث » فى منظر من مناظر مدينة « هابو »[١] . وشكل نفس هذا الملبس الخاص بالدولة الحديثة نشاهد كرة أخرى فى لوحة « أريامانى » (Aryamani)[٢] . وهذا الملك قد قرن فعلا بعصر الرعامسة ، وذلك لأنه كان يستعمل الاسم « وسرماعت رع ستبن رع » والنعت « مرى آمن » وهما من خواص نعوت ملوك أسرة الرعامسة وعلى نفس هذه اللوحة نشاهد كذلك الشكل النحيف والالتيين المدببتين ؛ وهذا بالإضافة إلى أشياء أخرى تحملنا على أن ننسب إقامة محراب وبوابة المعبد ب (B) إلى الملك « أريامانى » وعلى ذلك يكون هذا الملك منسوباً إلى العصر المروى المبكر الذى يتبع أسلوب بنائه فى العصر أيضاً . هذا ويمكن أن نلحظ بصورة عابرة الميل الضعيف إلى اتباع الذوق البطلمى والرعمسى فى الوقت نفسه فى عصر الانتقال هذا من العهد النباتى إلى العهد المروى من حيث الثقافة .

ونشاهد آثار كسوة من الحجر فى خارج محراب معبد ب (B) ومن الجائز أن هذه الكسوة هى من بقايا محراب أقدم من هذا . وهذا المحراب نفسه قد هدم ونقل ليقام فى الخرطوم . والواقع أن نقل هذا المحراب سيخلى الرقعة التى أقيم عليها مما يسهل عمل حفائر فيها قد تلقى ضوءاً أكثر على تاريخ ملحقات المعبد المتأخرة بل على تاريخ « الكوة » نفسها فى عهد الدولة الحديثة .

هذا ولا نعرف حتى أواخر القرن الأول أى ملك فى مروى — حتى ولا الملك « أمانيسلو » أو الملك « إرجامنيز » — كان له علاقة بالجزء الشمالى من السودان قد ترك أى سجل فى « الكوة » . ولا نزاع فى أن المعابد كانت لاتزال معمورة . أما عن سير الحوادث فى المنطقة المقدسة التى تحيط بالمعبد فقد رأينا أن المنازل التى فى الموقع

---

(١) راجع Medinet Habu, Pl. 208

(٢) راجع Kawa, Vol. I, Pl. 33

رقم واحد قد هجرت وغزتها الرمال . والظاهر أن معظم سور المنطقة المقدسة قد اختفى أما فى الموقع رقم ٢ فنجد أن المنازل كانت لا تزال مسكونة .

ننتقل الآن بعد ذلك إلى العهد الصعب الذى يبتدئ حوالى نهاية القرن الأول وهو الذى امتاز بغزو الأثيوبيين لمصر العليا وما تلاه من حملات تأديبية قام بها الحاكم الرومانى « جايوس بترونيوس » (Gaius Petronius) عام ٢٣ ق . م . وأطول قصة تسرد لنا هذه الحوادث التى وردت فى جغرافية « سترابون »[١] قد ترجمها الأستاذ « جرفث »[٢] حيث نجده يعزز الرأى الذى أدلى به الأستاذ « سايس »[٣] وهو القائل إن « كانداس » التى كانت موجودة فى وقت الحملة الرومانية على بلاد مصر هى نفس الملكة « أمانيرتاس » صاحبة اللوحة الموجودة الآن بالمتحف البريطانى وهى التى عثر عليها فى معبد صغير على مسافة صغيرة جنوبى « مروى »[٤] .

والواقع أن رأى الأستاذ « سايس » يظهر أنه على أساس مكين وذلك لأنه لدينا فى هذه اللوحة أثر عن « كانداس » التاريخية التى غزت جنودها معاقل حدود أغسطس الرومانية فى عام ٢٣ ق.م أو حوالى ذلك التاريخ وقد دوّن لنا « سترابون » بياناً حقيقياً من الوجهة الرومانية عن هذه الغارة وما نتج عنها من عقاب حل بالسودانيين وقد كان هذا الكاتب مع أليوس جالوس (Aelius Gallus) فى السنة السابعة لغزوة مصر العليا[٥] فيقول :

لقد شجع الأثيوبيين ، أخذ جزء من الجنود الذين فى مصر لمصاحبة « جالوس أليوس » فى حروبه مع العرب ، فهاجموا إقليم طيبة وحامية سينى (أسوان) المؤلفة

(١) راجع Strabo, Geography, XVII, No. 54

(٢) راجع J.E.A., 4, p. 160

(٣) راجع Ann. Arch. Studies, 7, 15—24

(٤) راجع Griffith, The Great Stela of Prince Akinizaz, J.E.A., Ibid

(٥) راجع Strabo, XVII, 816

من ثلاث فرق . وقد استولوا بهجوم خاطف مفاجئ على «سيني» و «الفنتين» و «فيلة» وجعلوا كل الأهالى هناك عبيداً لهم وهشموا تماثيل قيصر ، وكان عندئذ « بترونيوس » قد وصل بجيش أقل من عشرة آلاف مقاتل وثمانمائة خيال لمنازلة ثلاثين ألفاً من الأعداء وقد اضطرهم أن يتقهقروا حتى « بسلكيس » وهى مدينة أثيوبية (الدكة) وأرسل اليهم رسلا طالبا إعادة الغنائم كما طلب اليهم السبب الذى من أجله بدءوا الحرب ، و قد أكدوا له أنهم قد عوملوا معاملة مجحفة على يد ملوكهم . وقد جاوبهم « بترونيوس » على ذلك بقوله إن قيصر لا الملوك هو الذى يحكم البلاد . وبعد ذلك طلبوا اليه هدنة مدة ثلاثة أيام ليفكروا فيها ، ولـكن لمـا لم يفعلوا شيئا ممـا تدعو اليه الحاجة هاجمهم « بترونيوس » ممـا اضطرهم للخروج فى معركة ولم يلبثوا أن ولوا الأدبار ، وذلك لأن نظامهم كان سيئا ، وكانت أسلحتهم رديئة (كانت دروعهم ذات حجم كبير وطويلة ومصنوعة من الجلود غير المدبوغة ، وكانت أسلحتهم هى البلط أو العمد أو أحيانا السيوف) . وقد احتمى بعضهم فى المدينة وفر آخرون إلى الصحراء وكما لجأ جزء منهم إلى جزيرة قريبة ملقين بأنفسهم فى المـاء وقطعوا البوغاز سبحاً (لأن التمـاسيح هنا لم تكن عديدة بسبب التيار) . ومن بين هؤلاء الأخيرين قواد « كانداس » التى كانت تحكم أثيوبيا فى أيامنا ، وهى امرأة مسترجلة فقدت بصر إحدى عينيها . وقد استولى « بترونيوس » على كل هؤلاء أسرى حرب ، فقد وصل إلى الجزيرة على عوامات وقوارب وساقهم فى الحال إلى الاسكندرية وبعد ذلك هاجم « بسلكيس » واستولى عليها . وإذا أضفنا عدد هؤلاء الذين سقطوا فى الموقعة إلى أولئك الذين أسروا كانت البقية الباقية التى هربت ضئيلة جداً وقد وصل « بترونيوس » من « الدكة » إلى مدينة برمنيس (ابريم) المحصنة ماراً بتلك الـكثبان الرملية التى غمر فيها جيش « قمبيز » فى عاصفة ريح هوجاء . وقد هاجم « بترونيوس » القلعة واستولى عليها ومن ثم سار إلى « نباتا » . و «نباتا» هذه كانت عاصمة « كانداس » وكان ابنها هنا كما كانت هى نفسها فى مكان قريب .

وقد أرسلت هذه الملكة رسلا طالبة إعادة العلاقات الودية وإعادة الأسرى الذين أخذوا فى سينى والتماثيل ، ولكن « بترونيوس » زحف على « نباتا » واستولى عليها (وقد هرب منها الصبى) وخربها ، وبعد أن استعبد السكان قفل عائداً إلى موطنه محملا بالغنائم وذلك بعد أن علم أن الأراضى التى خلف ذلك من الصعب اختراقها ، وبعد أن قوى فى طريقه تحصينات برمنيس (إبريم) ووضع فيها حامية ومئونة سنتين تكفى لأربعمائة رجل ، غادرها إلى الاسكندرية . وقد باع بعض الأسرى وأرسل منهم ألفاً إلى قيصر (الذى كان قد وصل مؤخرا من كانتاباريا Cantabaria) وقد مات بعضهم من المرض . وفى تلك الأثناء زحفت « كانداس » على القلعة بقوة يبلغ عددها عشرات الآلاف من الجنود ، ولكن « بترونيوس » أرسل جيشا لنجدتها ، وكان هو أول من دخل القلعة بعد أن قواها تماما ، وعندما أرسل الأثيوبيون للمفاوضة فى الصلح أمرهم بأن يوفدوا رسلهم إلى قيصر . وقد اعترفوا على أية حال أنهم لا يعرفون من هو قيصر ولا من أى طريق يصلون إليه ، وعلى ذلك أعطاهم مرشدين وصلوا بوساطتهم إلى جزيرة « ساموس » ، وهنا كان قيصر يجهز لإرسال « تيبريوس » إلى « أرمينيا » فى حين أنه كان فى طريقه إلى « فارس » . وقد منحهم قيصر كل ما طلبوه بل أعفاهم من الضرائب التى فرضت عليهم (١) .

ومن جهة أخرى اعتقد « ريزنر » أن البلاد فى هذا الوقت قسمت ثانية مملكتين وأنه لما كانت مملكة « نباتا » هى التى وصل إليها « بترونيوس » وخربها ، فإن ملكة « مروى » لابد كانت « أمانيرناس » التى وجدت نقوشها منتشرة من « مروى » حتى « الدكة » وعلى ذلك يمكن القول إنها حكمت كل المملكة من « مروى » . وقد قرر « ريزنر » أن الملكة العوراء التى وقفت فى وجه الرومان لابد كانت آخر حاكمة لهذه الأسرة النباتية ، وهى التى أقامت الهرم الصغير العاشر

---

(١) راجع Strabo, XVII, 820; Milne, History of Egypt Under Roman Rule, p.p. 21—23

(٢) راجع J.E.A., 9, 73

« برقل » ، ولم يذكر على أية حال « أمانيرناس » التى أغفلها ، وعلى أية حال فإن « ريزنر » ذكر نقطة هامة وهى أن الموازنة بين أشكال الطراز تظهر أن الملكة « أمانيشاختى » المروية والملكة النباتية المدفونة فى هرم برقل رقم ١٠ لا بد كانتا متعاصرتين ولو لمدة قصيرة من حكمهما[1] ولدينا برهان من « الكوة » يمكن ذكره هنا قد يجوز أن يوضح الموضوع.

وذلك أن أسماء حكام « مروى » قد وجدت غالبا حوالى هذا الوقت فى مجموعات فمثلا فى معبد السبع فى النجع نجد اسم الملك « ناتاكامانى » والملكة أمنيتير (Aminetère) مع اسم الأمير اريكاخاتانى (Arikakhatani) ، فى حين نجد فى العمارة أن مكان الأخير قد أخذه « شيراكارر » (Shérakarèr) . وكذلك نجد اسم الملكة « أمانيرناس » (Amanirenas) فى « الدكة » وعلى لوحة صغيرة من « مروى » مع اسم الملك « تريتقاس » (Teriteqas) والأمير « أكينيداد » (أو أكيداد أو أكيدد لأن الهجاء يختلف) ونجد كذلك اسم « أكينيداد » يظهر مع اسم « أمانيرناس » على مايسمى بلوحة « أكينيزاز » المذكورة فيما سبق وعلى محراب من البرنز من « الكوة » .

هذا وقد وجدت بجانب الباب الجنوبى للردهة الأولى لمعبد (T) قطع من الحجر الرملى عليها طغراءات الملكين « أكينيداد » و « أمانيشاختى » . وطرازهما واحد ويمكن الفرض أنهما يؤلفان جزءاً من إضافة عملت فى المعبد وإن « أكينيداد » الذى عاصر الملكة « أمانيرناس » مدة كان كذلك معاصراً لعهد الملكة « أمانيشاختى » ونحن نعلم أن « ريزنر » قد اعتبر الملكة « أمانيشاختى » معاصرة لملكة برقل رقم ١٠ ، هذا ومما تجدر الاشارة إليه هنا أن اسم « أمانيخبال » هو حاكم آخر مدفون فى مروى قد وجد اسمه على قطعة من البرنز فى الكوة وقد وضعه « ريزنر » بعد اسم الملكة « أمانيشاختى » بقليل ، ومن ثم يعتبر فى نظره لم يحكم نباتا .

---

(١) راجع Ibid, p 68, 74

وعلى ذلك ليس لدينا إلا نتيجة واحدة من هذه الحقائق ، وهى أن الكوة والبلاد التى فى شمالها حتى الدكة على الأقل لم تكن ضمن حدود مملكة نباتا بل ضمن أملاك مروى .

وتدل شواهد الأحوال على أن مملكة نباتا — إذا كان هناك مملكة بهذا الاسم وقتئذ — كانت تشمل مساحة صغيرة لا تزيد رقعتها عن نباتا نفسها . وهذه النظرية لا تعارضها الحقائق وعلى أية حال يمكن اعتبارها حلا مؤقتاً ليقابل وجود المملكة المروية الأولى النباتية ، أى أن ملكا مفروضا فيه أنه يحكم فى عاصمة واحدة فقط قد خلف اسمه فى عاصمة أخرى ولم تكن قوة السلاح وحدها هى التى حتمت حدوث ذلك . والملك المعنى هنا هو الملك تانيدامانى (Tanyidamni) . وقد ترك لنا ككل من الملكة «أمانيرناس» والملك «أكينيداد» نقشا فى مروى(Meroe, Pl .1 Insc. No.5) على لوحة عثر عليها فى معبد السبع . وقد أقام فى نباتا لوحة عظيمة من الجرانيت منقوشة من جهاتها الأربع فى معبد أمون (Great Temple of Amon, B500)وقد وجد بالمقارنة أن لوحته تشبه لوحتى الملكين أمانيرناس وأكينيداد اللتين عثر عليهما فى مروى . ولم يكن فى مقدور الدكتور « ريزنر » أن يضع هؤلاء الملوك الثلاثة فى تصميمه التأريخى وذلك بسبب أنه لم يتحقق من شخصية مقابرهم ، ولكن قد ذكرنا من قبل الأسباب التى تدعو إلى وضع « أمانيرناس » «وأكينيداد» قبل الملكة «أمانيشاختى» مباشرة . وعلى الرغم من أنه ليس لدينا براهين قاطعة فإن «تانيدامانى» على ما يظهر قد عاش على حسب رأى « ريزنر » عند ما كانت كوش قد قسمت مملكتين . ولما كانت أهرام برقل صغيرة وعارية من النقوش فإنه من المحتمل أنه قد دفن فى « مروى » وعلى أية حال فإن ظهوره فى كلا العاصمتين وقربه من حيث الزمن للملوك « أمانيرناس » و«أكينيداد » وأما نيشاختى مما يدعو إلى الشك الذى يحملنا على إعادة النظر فى الترتيب التأريخى لهذا العصر .

والسؤال المحير فى تاريخ « الكوة » هو الوقوف على ما حدث فيها عند زحف

« بترونيوس » نحو « نباتا » وقد أكد الأستاذ جرفث فى عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ أن هذه البلدة كانت قد دمرت على يد « بترونيوس » ثم هجرت، فقد وجدت فى وسط قاعة العمد بمعبد T عدة أشياء من الحجر والقاشانى والفخار اللازمة للمعبد، هذا بالاضافة الى مصابيح من الفخار وأشياء من البرنز قد أكلتها النار مما يدل على أنه قد أشعل حريق فى هذا المكان عن قصد ، غير أن البحوث التى أتت بعد قد دلت على أن هذا الاستنباط ليس مؤكدا تماما ، فقد وصل الأثرى كروان الى أن الحريق لم يقتصر على داخل المعبد T بل شمل كل مواقع الكوة القديمة الثلاثة وهى التى يرمز لها بالموقع ١ و ٢ و ٣ وهى التى تميز لنا عصور تاريخ هذه البلدة إذ الواقع أنه وجدت آثار واسعة النطاق للنار فى كل أنحاء المنطقة التى حفرت حتى الآن، وقد لوحظ فى عدة نقط أن نفس الحريق الذى حدث فى الحجرات المقامة باللبنات فى المعبد T والجدران المجاورة له والأعمدة قد حدثت فى أماكن أخرى وتدل شواهد الأحوال إذا على أن الحريق العظيم قد وقع آخر شىء فى تاريخ هذه البلدة . ولاشك فى أن العهد المحدد الذى وقع فيه هذا الحريق لايخرج عن دائرة الحدس والتخمين . فقد يكون قوم البلميين أو الأكسوميين هم الذين ارتكبوا هذه الفعلة غير أنه ليس لدينا برهان مباشر على أن قوم الاكسوميين قد زحفوا شمالا الى هذا الحد . ومن جهة أخرى قد وصل الأثرى « كيروان » الى أن من الجائز أن النوبيين السود البشرة الذين أخرجوا من بلادهم فى الجنوب وقت أن هجم عليهم الاكسوميون هم الغزاة المتوحشون الذين قضوا القضاء المبرم على أرزاق الكوة ومجدها الذى يرجع الى عهد بعيد .

هذه نظرة خاطفة عن تاريخ « جمأتون » أو قرية الكوة الحالية من أول نشأتها كما وصل الينا حتى الآن الى أن قضى عليها نهائيا ومحيت من التاريخ بالحرق والنهب ، وسنحاول بعد ذلك أن نتحدث عن المعبد الذى أقامه الفرعون تهرقا وخلف لنا فيه لوحات كشفت لنا عن صفحة جديدة من تاريخه وتاريخ امبراطوريته التى كانت تشمل مصر و « كوش » كما كانت تبسط نفوذها على ما جاورها من البلاد الافريقية والأسيوية مما سنشير اليه فيما بعد .

الطريق إلى معبد تهرقا بالكوة

يصل الإنسان إلى معبد جمأتون الذى أقامه الملك تهرقا — وهو المعروف عند الأثريين باسم معبد T — بوساطة طريق احتفالى خاص ، وقد أطلق عليه « طريق (ميت) هذا الإله (آمون رع صاحب جمأتون) » . ويحدثنا أحد الملوك الذين أتوا بعد تهرقا وهو الملك « أمن — نتى — يريك » أنه فى عهده أى منذ أكثر من قرنين من الزمان مضيا على تأسيس معبد تهرقا ، كانت الطريق قد دفنت تحت الرمل لمدة أربعين سنة « والإله لم يسر على طريقه التى . . . هذه المقاطعة . وقد حفر هذا الملك تلك الطريق حاملا الرمال بيديه ، وبعد ذلك احتفل بالكشف عنها من الصحراء وذلك بحفل ليلى بوساطة المشاعل حمل فيه الإله حول المدينة » وهذا يوحى بأن هذه الطريق الاحتفالى لم يوصل من المعبد T إلى النهر وحسب بل كان يطوف حول محيط المدينة أو جزء منها على الأقل ، ويؤكد هذا الظن موقع الكشك الشرقى الذى أقيم على مسافة حوالى أربعين مترا خلف الجزء الشرقى لجدار الحرم المقدس الذى أقامه « تهرقا » ، وعلى ذلك كان خارج حدود المعبد . ولا بد أن هذا الكشك كان يعتبر محطاً يقف عنده المارون بالموكب الإلهى . وعلى هذا الزعم سنأخذ فى وصف المبانى المختلفة القائمة على هذه الطريق على حسب ترتيبها مبتدئين بالكشك الشرقى وسائرين إلى الكشك الغربى ثم إلى مائدة القربان فحديقة المعبد فالكباش وأخيراً المعبد T نفسه .

الكشك الشرقى

أقيم الكشك الشرقى من نفس الحجر الرملى الأصفر القاتم الذى بنى منه المعبد T وهذا الكشك قد خرب الآن حتى رقعته ولم يبق منه إلا مدماكان ، ولا بد أن هذا الكشك كما ذكرنا من قبل كان محطاً يقف عنده تمثال الإله والسفينة المقدسة عندما كان الحفل يطوف حول المدينة . ولا بد أن هذا الكشك كان يقع فى نهاية الحدود

الشرقية للمدينة فى العهد النباتى المبكر . ويلاحظ هنا أن الجدارين الشرقى والغربى لهذا الكشك يعدان بمثابة ستائر للعمد التى أقيمت فيهما وعددها ثمانية والكتابة التى كانت على الجدران أصبحت باهتة وتصعب قراءتها ، وقد وجد فى هذا الكشك بعض آثار قليلة .

الكشك الغربى

تدل شواهد الأحوال على أن هذا الكشك قد أقيم فى عهد الملك المروى المسمى « أمانيخبال » (Amanikhbabale) الذى وجد اسمه على مخروط من البرنز عثر عليه فى جنوبى الكشك . ويلحظ أن الجهة الشرقية من هذا الكشك كانت رقعة الطريق الاحتفالى مرصوفة بقطع من الحصا .

وقد وجدت فى الطريق الاحتفالى بين الكشك الغربى ومائدة القربان ذراع من البرنز الجميل له يد .

مائدة القربان

وجدت مائدة قربان مقامة من الحجر الرملى كالذى أقيم منه معبد « تهرقا » (T) وتقع فى الاتجاه منحرف بعض الشئ بين الكشك الغربى والكباش التى عند مدخل المعبد (T) . وهذه المائدة أو المذبح موضوع فوق مبنى يصل إليه الإنسان بسلم عدد درجاته ثلاث عشرة ، ثم يصعد بعدها الإنسان درجة أخرى إلى قمة هذا المذبح وقد عثر فى خزانة مقامة تحت هذا السلم على نقش جاء فيه اسم الملك « تهرقا » ، وقد يكون هذا دليلا على أنه هو الذى وضع أساسه ، ومن الجائز أن هذا المبنى فى الأصل كان سدة وضع فوقها عرش الملك . ولا غرابة فى ذلك فقد جاء فى الأزمان النباتية المتأخرة ذكر عرش من الذهب أو سلم فى الكوة ، وقيل إن الملك « نستاسن » كان يعلوه (Kawa II, p. 51) ويقعد عليه فى الأحفال الرسمية .

وإذا كان عرشه قد وضع على الطوار الذى سمى هنا مذبحاً فإنه لا بد كان يشغل

مكاناً أرقى وأفخم من السدة التى وجدت فى القاعة E بالمعبد T كما سنرى بعد . وعلى ذلك يحتمل أنه لهذا السبب قد أظهر الملك نفسه للعيان على المذبح وعلى ذلك فإنه من الجائز جداً أن كلا من الطوارين كان يحمل تماثيل للاله آمون . وعلى أية حال فإن تاريخ هذا المذبح أو السدة لا يزال يحوم حوله الشك .

حدائق المعبد T

دلت أعمال الحفر الأخيرة فى الكوة على أنه كانت توجد حدائق فى حرم معبد « تهرقا » خاصة به فقد جاء فى لوحة الكوة رقم ٤ سطر ٢٤ إشارة لمعبد T ما يأتى : « وأشجاره العدة قد غرست فى الأرض ، وبحيراته قد حفرت » وكذلك جاء فى لوحة الكوة رقم ٦ سطر ١٩ الخ إشارة لمعبد (T) : ومستودعه كان مفعما ، وموائد قربانه ممونة ، وقد ملأها (أى تهرقا) موائد قربان للشراب من الفضة والذهب ، والبرنز الأسيوى وكل نوع من الحجر الثمين الحقيق الذى يخطئه العد . وملأه بخدم عديدين ، وعين له خادمات من زوجات زعماء الوجه البحرى . وكانت الخمر تعصر من كروم هذه المدينة وكانت أغزر من خمرة جس جس (الواحة البحرية) وعين لها بستانيين مهرة من « منتيو أسيا » (أى بدو أسيا) وبدهى مما سبق أن المعبد كان له ضيعة من نوع ما يحصل منها على ما يمده ويحفظ كيانه ، وعبارة « كروم هذه المدينة » التى ذكرت هنا تدل على أن المعبد كان له حدائقه الخاصة فى « الكوة » . هذا ولا نعلم إلى أى حد كانت تمتد هذه الحدائق ولكن مما لا شك فيه أن أجزاء حرم المعبد التى كانت خالية من المبانى كانت تزرع . هذا فضلا عن أن مساحات صالحة للزرع كان يمكن أن تكون على الشاطئ الغربى وهو الآن مزدهر بالنباتات إذا ما قرن بالشاطىء الشرقى القاحل الذى أقيم عليه المعبد . يضاف إلى ذلك أن الأراضى المنخفضة التى فى شرقى « جماتون » ، وحوض كرمة كانت تزرع فى الأزمان القديمة .

وفى داخل السور الذى يحيط بحرم المعبد كان المنتظر أن يجد الانسان أشجار نخيل ولبخ لأن كلا منها له صلة بالإله « آمون » وقد جاء ذكرها بمناسبة الأشكال المصنوعة من الذهب فى قائمة أعطيات الملك « تهرقا » للعبد (Kawa III, 12-13) . ففى السنة الثانية من حكم هذا الفرعون منح المعبد ١٢٠٠ حبة سرو (؟) (= عونت) وشجرة بخور فى حين أنه فى السنة الثامنة نجد إشارة لكل نوع من الخشب : السنط (شنز) والأرز (عش) واللبخ (شواب) . (راجع Kawa III, 21) وفى السنة التاسعة أشير كذلك إلى منح ألف حبة من السرو (؟) (راجع Kawa VI, 10) .

هذا وقد وجد صف حفر أشجار مبطنة بالطوب ، لا تزال جذورها باقية فى مكانها الأصلى ، وفى نهاية هذا الصف كانت توجد بئر للرى ، وفى الجهة الشرقية وجدت حفرة شجرة محفوفة بالحجر وفيها جذور محفوظة تدل على أنها من نفس فصيلة اللبخ. هذا وتدل الأحوال على أن البئر وحفر الأشجار التى كشف منها فى منطقة الموقع الثانى يرجع عهدها إلى العصر النباتى وعلى ذلك تكون بقايا من حديقة « تهرقا » . ومن ثم يمكن الإنسان أن يؤكد عن ثقة أن حدائق معبد الملك « تهرقا » قد امتدت على الجانب الجنوبى للمعبد (T) وغربا حتى بوابته تقريبا . ولما كان الملك « تهرقا » قد أصلح المعبد (A) وأضاف قوائم الباب باسمه ، فإنه من المحتمل أن المدخل لهذا المعبد كذلك كان داخل حدود حرم المعبد الرئيسى .

هذا ولم يعثر على أثر للبحيرات الأصلية للمعبد (T) . ولا بد أنها تقع فى الجزء الذى لم يكشف عنه بعد ، أما عن مصانع المعبد فلم يوجد لمبانيها الأصلية أثر ، ومن المحتمل أنها كانت فى الركن الشمالى الشرقى للسور حيث نجد مبنى مستطيلا يؤرخ بالعصر النباتى ، وهو يوازى جدار حرم المعبد . هذا ويوجد عبر دهليز على جانبه الجنوبى مخازن الغلال .

هذا وقد وجدت قطعة من قاعدة تمثال من الجرانيت أمام البرج الشمالى لبوابة

المعبد (T̈) والمظنون أنهـا كانت مقامة أمام بوابة المعبد القديم الذى أقيم على أنقاضه المعبد (T) .

الـكباش

يوجد على مقربة من غربى بوابة المعبد أربع قواعد لـكباش اثنتان على كل جانب من البوابة ولا يزال يوجد كبشان من الجرانيت الرمادى فى حالة حفظ جيدة ويوجد أحدهما الآن فى متحف «مروى» بالسودان (No. 50) (Khartoum No. 2682) ويوجد الآخر فى المتحف البريطانى (No. 1779) .

ويلاحظ أن كلا منهما يجثم على قاعدة من الجرانيت ويحيط بمخالبه الأمامية تمثال صغير واقف للملك « تهرقا » ويشاهد فى رأسه ثقب ليوضع فيه سيخ ليحمل لباس الرأس ، ويحتمل أن ذلك كان قرص الشمس وقرنين ملويين .

وقد نقشت أسمـاء الملك «تهرقا» حول قاعدة كل منهما ، وكذلك يوجد كبشان آخران من نفس الطراز [0473] ، [0497] نصبا فى الردهة الأولى للمعبد على جانبى مدخل قاعة العمد ولا يختلف الواحد منهما عن الآخر إلا قليلا .

معبد « تهرقا » فى جمأتون (الـكوة)

إن معبد الفرعون « تهرقا » المعروف عند الأثريين بمعبد (T) و يطلق عليه بالمصرية القديمة « بر — أمن — جم — آتن » (= بيت آمون صاحب جمأتون) يبلغ طوله ٦٨,٥ متراً وعرضه ٣٨,٧ متراً أو ١٣٠ ذراعا × ٧٤ ذراعا . وقد أقيم من حجر رملى أصفر داكن وطوله هو نفس طول معبد « تهرقا » الذى أقام قواعده فى صنم أبو دوم وأطلق عليه اسم « آمون رع ثور أرض القوس » . والمعبدان بينهما وجه شبه كبير جداً من حيث التصميم . والفرق الرئيسى بينهما هو أن معبد صنم له بوابتان ومعبد « الكوة » له بوابة واحدة ، كما أن سلالم المعبدين تختلف فى موضعها ، هذا إلى أنه فى حين نشاهد محراب « تهرقا » فى قاعة العمد فى صنم قد أقيم بين أربعة عمد فى الممر الشمالى وتسدها تمـاما ، نجد أنها فى معبد « الكوة » تبرز خلف العمد نحو الشرق ونحو الغرب . والظاهر أن معبد « صنم » قد بنى فى زمن متأخر عن معبد « الكوة » إذ أنه فى الواقع صورة منه أدخل عليها تحسينات وتنسيقات .

وقد قرر « تهرقا » أن يقيم هذا المعبد فى السنة السادسة من حكمه (٦٨٤ ق . م) وأرسل صناعا مهرة مع مهندسى عمارة لهذا الغرض من « منف » ، وكانت النتيجة أن أقيم معبد مصرى خالص بنقوش حفرت بعناية بأسلوب نمـاذج مناظر الدولة القديمة دون أن يشوبهـا شائبة من شوائب جنون التقتيل والوحشية السودانية التى كانت قد نسبت إلى عمله فى « نباتا » (١) .

ومـا يطيب ذكره هنا أن ما لدينا من مناظر أثرية محفورة من عهد الأسرة الخامسة والعشرين قليل جداً ، كما أن عدد ما نشر منها قلة أيضاً ، ولذلك فإن سلسلة المناظر التى فى هذا المعبد تعتبر ذات قيمة أثرية على الرغم ممـا أصابها من التهشيم

(١) راجع Maspero, Art in Egypt, English Ed., pp. 219-20

والتدمير . وأهم هذه المناظر بلا نزاع تمثيل الملك فى صورة بوطول يدوس بأقدامه اللوبيين وهى كالتى عثر عليها فى معبد الوادى للملك « سحو رع » وغيرها ، وكذلك موكب خدام المعبد والمغنين الذين صوروا على الجدارين الجنوبى والغربى لقاعة العمد[١].

هذا وقد بقيت لنا فى هذا المعبد صورة كاملة أقل أهمية وأصغر حجما على عوارض مدخل الأبواب وفى نقوش محراب الملك « تهرقا » .

ويلحظ أن بوابة المعبد مهشمة من كل جوانبها الأربعة ويوجد فى واجهتها الغربية مكان أربع قنوات كان يوضع فى كل جانب منها علمان . وكان النقش الذى على هذه الواجهة يتألف من خمسة صفوف من المناظر ، غير أنه لم يبق منها إلا صف وبعض صف ، فيشاهد على قائمة البوابة اليسرى الملك «تهرقا» يؤدى شعيرة قربان يقدمه الملك أمام الآله آمون رع صاحب « جمأتون » ، والمناظر التى على الجهة اليمنى من البوابة تشبه السابقة التى على الواجهة اليسرى فنشاهد فى الصف الأسفل الملك « تهرقا » لابسا تاج الوجه البحرى ويؤدى شعيرة القربان إلى « آمون رع » صاحب « جمأتون » برأس كبش . وفى الصف الذى فوق ذلك يشاهد « تهرقا » يقدم صورة العدالة لوالده لأجل أن يمنح الحياة مثل رع أبديا . والآله هنا هو آمون صاحب « نباتا » لابسا قرص الشمس والصلّين وريشا طويلا . وفى الصف الثالث يشاهد «تهرقا» يقدم للاله بتاح المحنط القاطن جنوبى جداره ورب «عنخ تاوى» (منف) قربانا وهو واقف على قاعدة .

وعندما يمر الإنسان من البوابة يدخل ردهة مكشوفة ، وكان سقفها فى الأصل حول حافتها مستندا على ستة عمد على صورة جريد النخيل فى الجهتين الشمالية والجنوبية ، هذا بالاضافة إلى عمود فى كل من النهايتين لترتكز عليهما الخارجة عبر بابى الردهة وبذلك يكون فى الردهة ١٦ عمودا .

---

(١) راجع Kawa II, Pls. XIVB, XVb .

ويشاهد على كل من النصف الشمالى والجنوبى للجدار الغربى للردهة الأولى صورة هائلة للملك فى هيئة بولهول يدوس الأعداء الأجانب بأرجله . ويلفت النظر فى هذا المنظر وجه الشبه الكبير لما نجده من أمثاله منقوشا فى عهد الدولة القديمة فى معابد الوادى للملوك « سحو رع » فى « أبوصير » و « بيبى الثانى » فى سقارة [١] وفى هذا دليل كاف يوحى بأن الصناع الذين كانوا يعملون فى معبد «السكوة» قد أحضروا من « منف » . والواقع أنه توجد تفاصيل لا تزال يمكن رؤيتها فى صور الدولة القديمة ، ولكنها لا ترى فى معبد « السكوة » هنا ، غير أنه توجد غالبا آثار تدل على أنها كانت موجودة وقريبة الشبه ، فمن تلك ما نشاهده فى الصورة التى على الجانب الشمالى للبوابة (Pl. IX a) وفى مناظر الملك « نوسر رع » . وأقل من ذلك تقاربا فى الشبه ما نشاهده فى المنظر الذى على الجانب الجنوبى (Pl. IX b) فى نقوش « سحو رع » . فالنقوش التى على الجانب الجنوبى تمثل الملك بوصفه بولهول وهو ضخم يرتدى شعرا مستعارا وصلا ولحية وطوقا . أما فى «سحورع» فنلحظ أن جسم بولهول مزيج من أسد وصقر ولما كان رأس الشكل مفقودا فإنه ليس لدينا ما يؤكد إذا كان بولهول هنا برأس صقر أو برأس انسان . ويلحظ هنا كذلك أن الجسم هو لأسد فقط والرأس لآدمى .

ويدوس بولهول تحت أرجله ثلاثة أجانب وهؤلاء قد وضحوا من حروبهم فى الدولة القديمة بأنهم لوبى وأسيوى وبنتى (من بلاد بنت) . وقد ميز اللوبى بكيس عضو التذكير والمتن الذى يفسر المنظر هو « دوس كل الممالك الأجنبية » . وأمام الأسير اللوبى قيل عن بولهول الملكى : إنه أخذ أسرى كل قطعانهم وماشيتهم . وفوق هذه الكلمات ثلاثة ثيران وهى آخر صف من سلسلة صفوف من الحيوانات التى استولى عليها مرتبة فى صفوف ، ويمكن مشاهدة نفس ذلك فى منظر معبد الملك « سحورع »

(١) راجع Borchadt, Das Grabdenkmal des Konigs Sa—hu-re, II. Pls. 1 and 8; Das Grabenkmal des Konigs Ne-user-re, Pls. 8, 9. 11.

غير أنه فى هذه الحـالة يظهر أكثر اتقانا . ومن المحتمل أنه كان هناك متسع لصورة الإلهة « سشات[١] » تدون عدد الأسرى كما هى الحـال فى مناظر الملك « سحورع » .

ويأتى بعد ذلك عمود من النقوش . . قد (هشم) البلاد الأجنبية التى ثارت وجعلهم شبه الكلاب (أى إما إنهم كانوا يمشون مطيعين عند كعبى سيدهم أو أنهم كانوا يتسللون خوفاً) ؛ ونجد نفس هذا المتن فى صورة أتم على باب قاعة العمد (Pl. XI, a, b) وهاك ما بقى منه : « لقد ذبح التمحو ، وصد الأسيويين وفتت الممالك الأجنبية التى ثارت وجعلهم يمشون مشية الكلاب وسكان الرمال يأتون والانسان لا يعرف مكانهم خائفين من وحشية الملك » . ومن ثم فإن هذه العبارة الأخيرة تذكرنا بأخرى جاءت فى تعاليم « أمنمحات[٢] الأول » : « لقد جعلت الأسيويين يمشون مشية الكلاب » وهى بلا شك اقتباس استعمل هنا لبلاغته . ومهما يكن من أمر فإن العثور على كلمـات من هذا القبيل فى متون « الكوة » يؤكد لنا احتمال أن هذه التعاليم كانت شائعة الاستعمال فى العهد الكوشى . وبعبارة أخرى كان العهد الكوشى عهد نهضة جديدة ترمى إلى الرجوع لأحياء القديم . وهذا نلحظه فى وجوه كثيرة من وجوه الحياة المصرية فى العهد الكوشى .

ونجد فضلا عن ذلك فى الجهة اليمنى من هذا المنظر صفين من المناظر (Pl. IX B) ففى الصف الأعلى تقف إلهة الغرب وعلى رأسها علامتها الخاصة بهـا . ونجد ذلك فى « سحورع » مع بعض الاختلاف البسيط . ويصحب إلهة الغرب صورة إله فى هيئة تمساح ويقابل ذلك فى نقوش « سحورع » الإله « عاش » سيد « تحنو » برأس إنسان . ويشاهد فى الصف الأسفل ثلاثة من اللوبيين واقفين : شابان وامرأة يحملون الأسمـاء الآتية بالتوالى « وسا » ، « ونى » ، و « خوت — اتس » ومما يلفت النظر هنا بصورة خاصة أن هذه الأسمـاء نفسها قد ظهرت فى نقوش

---

(١) إلهة الكتابة والحساب .

(٢) راجع الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٢٠٥

« سحو رع » و « ببي الثانى » وكذلك يلحظ فى منظر الدولة القديمة كما هى الحال هنا (Pl. IX a) أن الذكرين قد رسما أصغر من الأنثى .

وهذا المنظر قد كرر ثانية على الواجهة الشرقية من الجناح الشمالى للبوابة ، غير أنه يختلف بعض الشئ وكذلك فى معبد الملك « نوسر رع » كان ترتيب الأشخاص مماثلا لذلك إلا فى بعض التفاصيل .

ويشاهد الملك فى مناظر النهاية الغربية للجدار الشمالى مغادراً القصر يسبقه أربعة أعلام ويواجهه الكاهن « إيون موتف » (عمود أمه) وعلى يمين هذا المنظر يشاهد الملك يطهره « حور » و « ست » أو « حور » و « تحوت » .

نصل بعد ذلك إلى الباب الشمالى للردهة ، ويحيط به نقوش من الجانبين فالنقوش التى على الجانب الأيمن (Pl. XII, a left) . . . (رب) الأرضين السيد الذى ينجز ابن رع « تهرقا » لقد بنى معبد والده « آمون رع » (صاحب جمأتون) . . . لقد جعل الإله يأوى داخل بيته فى مكانه الجميل الأبدى ، لأجل أن يمنح (أى تهرقا) الحياة مثل « رع » سرمديا . وعلى الجانب الأيسر للباب نجد مثل هذا النقش مع اختلاف بسيط .

وعلى يمين الباب الشمالى يوجد جزء من منظر يشاهد فيه يد للملك فى يد الإله (Pl. XII, a) . والنقوش التى على الأوجه الغربية للنصفين الشمالى والجنوبى من الجدار الشرقى للردهة الأولى (Pl. XI b, & XI a) موحدة تقريبا وتمثل الملك يضرب أمام الإله جماعة من الأمراء الأجانب الذين أخذوا أسرى .

والجدار الجنوبى للردهة فيه باب فى الوسط ، والنقوش والمناظر التى على جانبيه مهشمة ولكنها تحدث عن أعمال «تهرقا» فى تأسيس المعبد فى جمأتون . وعلى ذلك فإن « آمون رع » يعطيه مكافأة على عمله هذا بلاد الدلتا والوجه القبلى مثل « رع » أبديا .

وفى الجهة الغربية من الباب يشاهد الملك ماشياً تسبقه صورة أنثى بذراعيها ممتدتين إلى الخلف وبيديها عصوان ، ويواجه الملك إلهـا وألهة . والظاهر أن هذا المنظر له علاقة بوضع أساس المعبد ، ويشاهد خلف الملك صفان من الرموز الواقية التى تشاهد عادة فى احتفال وضع أساس المعابد وأعياد «حب سد» (العيد الثلاثينى) .

وفى الجهة الشمالية من الجانب الأيسر لمدخل البوابة توجد لوحة كبيرة من الجرانيت (Insc. VII) للملك « تهرقا » وتحتوى على قصة افتتاح « تهرقا » لمعبده فى السنة العاشرة من حكمه وقد عثر عليها مسندة على الجدار وبجانبها من الشمال كانت توجد لوحة أخرى (Inscr. III) دون عليها هبات « تهرقا » لمعبد جمأتون من السنة الثانية من حكمه حتى السنة الثامنة وكذلك يتحدث فيها عن تمكين المعبد . وكذلك وجدت لوحتان أخريان مسندتان على الجدار المقابل (الجدار الشرقى النصف الشمالى) فاللوحة التى كانت فى الشمال (Insc. VIII) خاصة بالملك « أتلامانى » وهى من صناعة لا تكاد تقل عن صناعة لوحات «تهرقا» من حيث الجودة ولكن كسر منها جزء كبير . وعلى يسارها لوحة أخرى من الجرانيت (Insc. V) يرجع تاريخها إلى السنة السادسة من حكم « تهرقا » وقد دلت نقوشها على أنها صورة من لوحة « تانيس » ولوحتى « قفط » و « المطاعنة » الخاصتين بالفيضان العظيم الذى حدث فى عهد « تهرقا » . وكذلك وجدت مسندة على النصف الجنوبى للجدار الشرقى للردهة لوحة فاخرة من الجرانيت (Insc. IV) عن نفس السنة السادسة من حكم « تهرقا » ، وتقص علينا بناء المعبد . وهذا المتن قد ظهر كذلك أن له أهمية تاريخية إذ أوضح لنا صلة « تهرقا » بأخيه «شبتا كا» . وقدم لنا اسم ملك لم يكن معروفاً من قبل وهو الزعيم « الارا » الذى كان جداً للملك « تهرقا » ، ويحتمل أنه كان أخاً للملك « كشتا » وزوجا للعمة الثانية للملك « تهرقا » .

وكان يرتكز على النصف الجنوبى من الجدار الغربى للردهة لوحة أخرى من الجرانيت (Insc. VI) دون عليها أعطيه أخرى قدمها « تهرقا » فى السنين الثامنة والتاسعة

والعاشرة من حكمه ولكنها وجدت ملقاة على الأرض ولحسن الحظ لم يفقد من المتن إلا اليسير . هذا وتدل قطع من الجرانيت (أنظر 0476) وجدت فى الركن الجنوبى الشرقى على أن سلسلة من النقوش الأثرية استمر وضعها هنا بوساطة الملك « أسبلتا » .

وقد وجد زوج من الكباش مصنوع من الجرانيت على قاعدة عالية على جانبى مدخل قاعة العمد . ويوجد واحد منها الآن فى متحف « أشموليان » وهو مهشم بعض الشئ والآخر وهو سليم تقريباً محفوظ فى متحف « مروى » بالسودان .

ويلحظ أنه قد أقيم بين العمد فى الردهة عدة حجرات من اللبنات وكلها من عصر متأخر بطبيعة الحال .

وقد وجدت فى أنحاء الردهة قطع عدة من جدران المعبد ملقاة على الأرض ومعظمها من مبانى تهرقا الأصلية ولكن وجدت قطع أخرى من العصر المروى وعليها طغراءات للملك أكنيداد (Akinidad) (Insc. 105 Vol. I Pl. 58) والملك أمانيشاختى (Amanishakhte) (Insc 106 Vol. I Pl. 35) ومن القطع التى عليها نقوش من عهد تهرقا (0796) منظر يمثل خيالا محفوراً حفراً غائراً (Pl. I) يقوده فردان واحد منهما يقود الجواد والآخر يحمل لفة حبال ؛ ويلحظ أن الجواد يلبس قبعة تقيه حر الشمس وفى هذا دليل آخر على عناية الكوشيين بالخيل والرفق بها ويشاهد الفرعون يؤدى شعيرة قربان يقدمه الملك على الوجهين الغربيين لعارضتى باب مدخل قاعة العمد ويلبس على الجانب الشمالى تاجاً يجمع بين تاج أتف والتاج الأحمر ، وعلى الجانب الجنوبى يلبس التاج الأحمر فقط وقد كتب بين ساقيه الكلمات التالية « كل فرد يدخل المعبد يجب أن يكون مطهراً » .

وعند ما يدخل الزائر قاعة العمـد يشاهد نقوشاً للملك أمان . . . سابراك على الوجه الجنوبى لعارضة الباب الشمالية وأسفل من هذه نقشان للملك أمان — تى —

بريك ؛ (Nos. X, XI) هذا بالإضافة إلى كبش آمون بنقوش فائرة .

وكذلك نجد على الوجه الشمالى للعارضة الجنوبية (Vol. I, Pl. 20) نقشا للملك « أمان — نتى — يريك » .

وفى الداخل على الجدار الغربى لقاعة العمد يشاهد أن باب الدخول قد حدد من الشمال والجنوب بشريط عليه سطران من النقوش جاء فيهما إطراء للآلهة آمون وتهرقا . . . الذى برأ الأرض وصنع المـاء والذى أوجد الفيضان وأنشأ المدن وفتح المقاطعات والذى صنع . . . للآلهة والذى صنع ما يرغبون فيه والذى أنجز الأعمال لهم بدون (انقطاع ؟) لأجل أن يمنح الحياة .

وقاعة العمد هذه كانت مسقوفة وتحتوى على ثمانية عمد تيجانها على هيئة جريد النخيل فى الجهة الشمالية وثمانية عمد أخرى فى الجهة الجنوبية (Pls. LI, LII) ، وجدران هذه القاعة الشمالية والغربية والجنوبية قد مثل عليها سير الاحتفال بسفينة الإله . وهذا الاحتفال قد قسم أربعة أقسام ويبتدئ القسم الأول من الاحتفال عند الجدار الشمالى (Pl. XIV a) من نقطة تقع غربى جدار الملك « اسبلتا » وينتهى الجزء الرابع منه عند مدخل قاعة العمد فى الجهة الجنوبية من الردهة الأولى . والصور فى هذا الجزء تسير إلى اليسار وعند ما وجدت كانت سليمة تماما . وهذا الجدار يحتوى على المنظر الفريد الذى يمثل فرقة المعبد التى تحتوى على نفاخين فى الأبواق وطبالين وضاربين على الأعواد ومغنين وعندما كشف عنها أطلق عليها جدار الموسيقارين .

ولمـا كان الجزء الرابع من الموكب أى الذى على الجدار الذى مثل عليه الموسيقارون هو أكمل جزء فى هذا الاحتفال فإنه من المستطاب أن نصفه أولا . ويبتدئ بمنظر على الجدار الجنوبى للردهة مثل فيه الملك بصورة ضخمة (Pl XV b.) مرتديا قميصا طويلا وشريطا يتدلى منه خيطان ينتهيان بهدابات ، وينتعل حذاء ماسكيا وجلد فهد

ويحمل فى يده عصا طويلة ويتبع الملك كاهن يتقلد عقد منات وقميصه يصل إلى ركبتيه وهذا الكاهن هو رئيس المرتلين ويحمل فى يده لوحته . وعند هذه النقطة يعترض المنظر الباب الجنوبى للقاعة الذى يكتنفه عمود على كلا الجانبين وسطر من الكتابة جاء فيه : « الأله الطيب رب الأرضين السيد الذى ينجز ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خو رع نفر تم » بن رع ليته يعيش أبديا » ، ويأتى بعد ذلك على يمين الباب (Pl. XVc.) أربعة كهنة يحملون مواقد مشعلة ويلبس كل واحد منهم قميصا قصيرا . ويلحظ أن الأول يحمل موقدا واحدا قصيرا أما الثلاثة الباقون فيحمل كل واحد موقدين طويلين .

ينتقل الموكب الآن إلى الجدار الذى مثل عليه الموسيقارون (Pl. XIVb) ونجد مصوراً عليه كاهناً آخر مماثلا للسابقين ثم يأتى بعد ذلك أثنان من النافخين فى الأبواق (٨ ، ٩) ويحمل كل منهما بوقين والأول منهما وضع أحد البوقين على فيه والثانى يحمل بوقا فى فيه إلى أعلى وآخر إلى أسفل ، ويأتى بعد ذلك طبال يطبل على شكل البرميل وهو يشبه الطبول التى نشاهدها حاليا فى ريف مصر وبلاد النوبة ، وكثيراً ما نشاهد فى الرقص الزنجى ، ويوجد فى متحف « مروى » طبل من هذا الصنف .

ويعقب ذلك مغنّ حافى القدمين يضع يده على أذنه كما هى الحال الآن عند قراء القرآن والمغنين فى الأرياف ويلبس جلبابا طويلا ويقبض على وسط الطبال الذى أمامه بيده ويحتمل أن ذلك لأنه أعمى ونقش معه العبارة التالية : «مغنى العود» ويأتى بعده طبال آخر ، ثم نشاهد بعد ذلك الضارب الأول على العود وفى يده عود ذو سبعة أوتار يضرب عليه بأصابع اليدين . يتبع ذلك مغنّ ثان فضارب على العود يضرب عليه بيده اليمنى فقط . وفى خلف الموكب يأتى ثلاثة من خدم المعبد يلبسون أحذية وبذلك يميزون عن الموسيقارين الحفاة الذين مثلوا أمامهم ، وهؤلاء يحملون على ما يظن أبواقا أو قرونا للنفخ فيها .

والموكب الثالث حفظ لنا منه جزء يبتدئ على الجدار الجنوبى للردهة (Pl. XVa) ويشاهد فى اللوحة بعد صورة ممحوة ستة أشخاص سائرين أولهما يلبس زناراً طويلا له هدابات والظاهر أن هؤلاء كانوا يحملون القارب المقدس ، ويأتى خلف هؤلاء كاهن ذو رتبة عالية يلبس جلد الفهد ثم يعقبه حامل مروحة أو علم يتبعه خمسة يحملون مؤخر القارب ثم كاهن يلبس جلد فهد وآخر ينتهى به الموكب الثالث .

والموكب الأول يحتوى على موسيقارين يشبهون أولئك الذين شهدناهم فى الموكب الرابع هذا مع العلم أن معظم الصور هنا لم يبق منها إلا جزء بسيط من أسفل ، أى أن الجزء الأعلى معظمه قد ضاع .

والموكب الثانى ويوجد فى الركن الشمالى الشرقى للقاعة وهو يقابل الموكب الثالث ولم يبق من صوره إلا أرجل المشتركين فيه [(١)] .

هذا ويلحظ أن أجزاء من هذه المناظر قد وجدت بحجم أصغر مع اختلاف بسيط فى معبد « صنم أبو دوم » الذى يعد صورة من المعبد الذى نتحدث عنه هنا .

---

(١) يوجد بعض توافق بين مناظر هذا الموكب والمناظر العظيمة الممثلة على جدران معبد الأقصر الخاصة بمواكب القارب المقدس (راجع Kawa II, Text, p. 245) .

محراب الملك « تهرقا » Pl . 16, see. Pls. 41a and LVc

أقيم هذا المحراب فى النهاية الشرقية للنصف الشمالى من قاعة العمد بين العمد ٣ ، ٤ و ٧ ، ٨ وكان سقفه عند الكشف عنه فى داخل هذا المعبد لا يزال فى مكانه . وأوجهه الأربعة كانت محلاة بالنقوش تمثل الملك « تهرقا » أمام آلهة مختلفين . وقد عثر فى معبد « صنم أبو دوم » على محراب للملك « تهرقا » بنفس وضع هذا المحراب ولكن المحراب فى « صنم أبو دوم » لم يبق منه إلا المداميك السفلية هذا بالإضافة إلى أنه قد وضع بصورة منتظمة داخل العمد الأربعة بخلاف محراب معبد « الكوة » فإنه يبرز منها . وتدل شواهد الأحوال على أن معبد « الكوة » قد أقيم أولا وذلك لأن أوقاف معبد « جمأتون » كانت قد بدأت بعد توليه الملك فى مصر ومن هناك أرسل الصناع من منف ، ولا نزاع فى أن معبد « الكوة » قد أقيم على ما يظهر فى أوج سلطان « تهرقا » كما يظهر ذلك من مبانيه ومافيها من اتقان ونقوش خلابة من إنتاج أيد مصرية مدربة فى حين أن معبد « صنم » لا بد قد أقيم فى زمن كان فيه ضغط الآشوريين شديداً على مصر ، فكانت البلاد فى حالة اضطراب ومن أجل ذلك كان من المحتمل أن الأيدى التى أقامته غير الأيدى المصرية المدربة .

هذا وتدل الظواهر على أن هذا المحراب كان قد أضيف بعد إقامة قاعة العمد فى حين أنه فى معبد « صنم » كان جزءاً من التصميم الأصلى للمعبد وهذا دليل آخر على قدم معبد « الكوة » عن معبد « صنم أبو دوم » . وباب هذا المعبد ضيق ويقع فى الجهة الجنوبية بين العمودين السابع والثامن من قاعة العمد .

وقد انتزعت نقوش محراب معبد « جمأتون » بالكوة وأقيمت فى متحف اشموليان بأكسفورد ، وقد سهل ذلك على ما يقال درس كيفية بناء هذا المحراب . وداخل المحراب كان مكسواً بالأحجار ولكنه عار من النقوش والمناظر .

وحول كرنيش المحراب افريز من النقوش البارزة تبتدئ بعلامة الحياة فوق وسط الباب فى الجنوب وتنتهى عند وسط الجدار الشمالى : وقد جاء فيها : يعيش حور (المسمى) قا — خعو ، والسيدتان (المسمى) قا — خعو ، وحور الذهبى (المسمى) «خوتاوى» ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) خورع نفرتم ، ابن رع «تهرقا» ليته يعيش أبديا ابن «آمون صاحب جمأتون» الذى أنجبه والذى ولدته موت سيدة السماء . إن والده «آمون رع» سيد عروش الأرضين قد اختاره من بين ملايين الرجال بوصفه انساناً رغبته هى بناء معبد و إصلاح المقاصير ، والمكافأة التى عملها على هذه الأشياء هى منحه كل الحياة والثبات والسعادة لنفسه والصحة لنفسه والسرور لنفسه والظهور على عرش «حور» «مثل رع أبديا» . هذا ولدينا نقش آخر مماثل ولكنه أصغر منه على الجدار الجنوبى الخ . وتدل بعض المبانى هنا على أن «اسبلتا» قد عمل اصلاحات فى هذا الافريز .

ويشاهد «تهرقا» على الجانب الغربى من باب المحراب (Pl. XVIIa) يعانقه الإله «حور أختى» برأس صقر . وعلى الجانب الشرقى من الباب يشاهد الملك يعانقه الإله «آتوم» لابساً التاج المزدوج . ويرى على الجدار الغربى (Pl. XVIIe) الملك «تهرقا» يقدم صورة العدالة لوالده «آمون» لأجل أن يمنحه الحياة وهذا الاحتفال كان رمزياً ويقصد به الملك أنه سيحافظ على نشر العدالة . وقد كتب معه : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين والسيد الذى ينجز «تهرقا» ليته يعيش أبديا و«آمون رع صاحب جمأتون» : أنه يمنح كل الحياة وكل السعادة» . هذا ويوجد مع الإله «آمون» فى هذا المنظر الإلهة «ساتيس» والإلهة «أنوكيس» (عنقت صاحبة جزيرة سهيل) وهذا يدل على توحيده مع الإله «خنوم» الذى يمثل فى صورة كبش ويعد الإله الحارس لاقليم الشلال الأول وهاتان الإلهتان هما زوجتاه . وقد كان الإله «خنوم» منذ زمن بعيد الإله الحارس للمستعمرات المصرية التى فى أقصى الجنوب .

وتدل النعوت الحربية التى وصف بها مثل « المقاوم للأقواس » و « الضارب لسكان الرمال » (Temple of Samnah, Urk. IV, 194) على أنه كان الحامى للقوات الحربية المصرية فى تقدمها جنوباً لفتح بلاد النوبة . وتدل نقوش معبد « سمنه » على أنه فى عهد « سنوسرت الثالث » كان الإله « خنوم » قد ذهب معهم إلى ما وراء الشلال الثانى وأنه كان قد وضع هناك على قدم المساواة مع إله « واوات » المحلى « ددون » ومن المحتمل أنه كان قد وصل فعلا إلى الشلال الثالث مع المصريين الذين أسسوا المستودع التجارى فى « كرمة »(L.D., III,74a-56 b).

وعندما امتدت الفتوح المصرية حتى الشلال الرابع فى أوائل الأسرة الثامنة عشرة كان الإله المسيطر على القوات المصرية وقتئذ الإله « آمون » الذى تقمص صورة كبش كما كان قد اعترف به وقتئذ بأنه إله الدولة المصرية . ومن ثم فأنه عندما كانت تؤسس بلدة جديدة فى بلاد النوبة ومعها معبدها من أول مدينة « نباتا » إلى أسفل كان «آمون» يصبح الإله المحلى لها والمسيطر عليها ، وعلى ذلك نجد أن صفة الإله الذى فى صورة كبش قد امتزجت بالإله « آمون » ، غير أن كيانه الأصلى نلحظه فى وجود زوجتيه «ساتيس وأنوكيس» كما هى الحال فى المنظر الذى وصفناه هنا . ولكن يلحظ هنا أن الثالوث المعتاد فى هذه الحالة قد زيد فيه وذلك أن الإلهة أنوكيس « عنقت » قد قسمت شخصيتين إحداهما تسمى « أنوكيس ثى » والأخرى تسمى « أنوكيس با » وهذه ظاهرة منقطعة القرين فى الآثار المصرية على ما أعلم . ولذلك تحتاج إلى تفكير طويل وبحث عميق .

ويشاهد « تهرقا » مصوراً على النصف الغربى للجدار الشمالى (Pl XVII*c*) مرتديا نفس الملابس التى يلبسها على الجدار الغربى وهو ينفث فى رموز الحياة والنبات والأبدية من صولجان الإله « نفرتوم حور أخثى » الذى أمامه بملابس الرأس الخاصة به وهى زهرة البشنين والريشتان وشعره المستعار الطويل الخ ، ويتبع هذا الإله الإلهة « سخمت » التى مثلت برأس لبؤة وتلقب « سخمت العظيمة (؟) محبوبة بتاح »

هذا إلى مواقف أخرى يظهر فيها « تهرقا » أمام الإله « آمون » وثالوثه .

محراب اسبلتا :

ويلحظ خلف وشمالى محراب الملك « تهرقا » أن المساحة التى بينه وبين الجدار الشمالى للردهة قد حولت إلى محراب ثان للملك « اسبلتا » وذلك بإضافة جدار رفيع (Pl. LVII) يحتوى على باب يمتد شمالا من العمود الثالث حتى جدار الردهة وكرنيشه أقل ارتفاعا من محراب « تهرقا » . وهذا الجدار الذى أقامه « اسبلتا » من الحجر الرملى الأحمر قد اتضح عند فكه لنقله إلى أكسفورد أنه هش . وقد أقام « اسبلتا » فى «صنم» محرابا مشابها لذلك . ويشاهد فى الكوة منظر على الجدار الغربى فى جنوب المدخل (Pl. XVIII a) نقش بالحفر البارز مثل فيه الملك « اسبلتا » يقدم رمز العدالة لوالده « آمون » ليمنحه الحياة .

ويرتدى « اسبلتا » لباس الرأس النوبى برباط مسبل له ذيلان على الظهر ويعلوه صلان ورأس كل منهما يرتدى تاجى الوجه القبلى والوجه البحرى ويلبس فى الأذن وحول الرقبة تعاويذ صغيرة فى هيئة رأس كبش ، وذراع الملك اليمنى تمتد إلى الأمام وتحيط بها أسورة ، والذراع اليسرى خارجة من تحت جلد الفهد تقبض فى اليد صورة الإلهة « ماءت » جالسة فى إناء وقد وجد معها نقش مهشم . وقد مثل أمام الفرعون الإله « آمون رع » قاعدا على عرشه وتقف خلفه الإلهة «أنوكيس ثى» . وقد خاطب آمون الملك فى هذا المنظر بالكلمات التالية : كلام آمون رع الكبش على البلاد الجنوبية والذى فى « جمأتون » : يا بنى المحبوب اسبلتا إنى أمنحك القوة فى يوم الموقعة ، وانى أوحد لك الأرضين فى سلام لك ، وانى أمنحك الحياة حتى عنان السماء وعرض الأرض مثل « رع » .

ونطقت « أنوكيس » (عنقت) بالكلمات الآتية : « إنى أمنحك كل السرور» .

وقد حدد باب محراب « اسبلتا » من اليمين ومن الشمال باعمدة من الكتابة

لم يبق منها إلا الجزء الأسفل الذى تمكن قراءته . . . . « مر — كا — رع » (اسم العرش) « محبوب آمون » معطى الحياة مثل « رع أبديا » . هذا ويشاهد « اسبلتا » على يسار الباب يلبس ريشا وصلا مزدوجا ، ويحتمل أنه يقوم بشعيرة « قربان يقدمه الملك » .

وعلى ظهر الجدار (Pl. XVIIIb) مثل الملك « اسبلتا » لابسا الملابس التى كان يلبسها فى الوجه الآخر من الجدار ، هذا بالإضافة إلى أنه يحمل « قرنى كبش » رمزاً إلى أنه من نسل « آمون » ويقبض فى يده اليمنى على علامة الحياة ويتسلم بيده اليسرى علامتى الحياة والثبات مجتمعتين ، كما يتسلم الصلين اللذين يرمزان للملكية . وهذه كانت تقدم له من على طرف صولجان الإله « آمون » . أما « آمون » فكان يرتدى قرص الشمس والريش الطويل والمتن الذى يصحب ذلك هو : « ملك الوجه القبلى و (الوجه البحرى) مر — كا — رع بن رع ، « اسبلتا محبوب آمون » معطى الحياة . كلام « آمون رع » سيد عرش الأرضين يا بنى المحبوب « اسبلتا » إنى أمنحك أن تنفق ؟ ملايين السنين وإنى أمكن (؟) رأسك أبديا » ويلحظ فى هذا المنظر أن « آمون رع » كانت تتبعه الآلهة موت وقد سميت موت عين رع معطية الحياة وقد خاطبت الملك بقولها : « إنى أمنحك عرش رع ووظيفة الإله خبرى ومملكة أتوم والحياة . . . القوة . . . . والصدق مثل رع أبديا » .

وتدل شواهد الأحوال على أنه قد حدث حريق فى هذه البقعة من المعبد وقد وجد الحفارون الأحداث كمية هائلة من البرنز فى أنقاضها والظاهر أن هذا الحريق حدث بعد عهد بترونيوس القائد الرومانى حوالى عام ٢٣ ق . م .

ننتقل بعد زيارة محراب « اسبلتا » إلى القاعة التى تسبق قدس الأقداس أى قاعة العمد الثانية . والأوجه الغربية لقوائم باب هذه القاعة (بروناوس أو قاعة العمد الثانية) (Pl LIX) رسم عليها « تهرقا » يؤدى شعيرة تقديم القربان

أمام « آمون رع » صاحب جمأتون برأس كبش (Pl. XVIc, d) ويلبس الملك فى هذا المنظر التاج الأحمر مع التاج اتف محلى بالصل المزدوج فى حين أن « آمون رع » يلبس قرص الشمس وصلا واحداً ، ونقش أمام الملك : كل فرد يدخل المعبد يجب أن يكون مطهرا . وكان يكتنف البـاب من الداخل أعمدة من النقوش غير أن معظمها قد محى . وتحتوى هذه القاعة على أربعة عمد وكل النقوش التى على الجدران باستثناء المناظر التى على الجدار الشرقى تمثل الملك يقدم لآلهة مختلفة .

وتحتوى هذه القاعة على حجرات صغيرة جانبية وهى الحجرة J والحجرة H وتفتح على الحجرات T و F و G فى الجهة الشمالية وعلى الحجرتين D و E التى تفتح على الحجرة A فى الجهة الجنوبية وجدران هذه الحجرات قد مثل عليها مناظر عادية للملك وهو يقدم القربان . ويلحظ أن الحجرة D تحتوى على أربعة عمد تيجانها على هيئة النخلة . والحجرة A الواقعة خلف المحراب ضيقة ومهدمة ولم يبق من نقوشها إلا القليل جداً .

قدس الأقداس : يشاهد على واجهتى قائمتى باب المحراب من جهة الغرب (Pls. XXVII b, d) منظر يمثل الملك تهرقا يؤدى شعيرة تقديم القربان الملكى للإله آمون . ويلحظ أن هذا المنظر قد مثل على أبواب المعبدين A و T المحورية ويلفت النظر هنا أن معظم نقوش هذا المحراب قد محيت أو هدمت .

المناظر التى على جدران المعبد الخارجية : مما يؤسف له أن معظم ما بقى من الجدران الخارجية للمعبد مهدم ويحتوى على مناظر ناقصة ومتون مشوهة وهذه المناظر تمثل فى جملتها الملك يقدم البخور للإله آمون أو يقدم القربان لآلهة مختلفين الواحد تلو الآخر كما يشاهد ذلك على الجدارين الشمالى والجنوبى .

هذا وقد وجدت بعض قطع من ودائع الأساس فى جوانب هذا المعبد غير أنها كما يظهر قد عبث بها من قبل .

وقبل أن نتحدث عن اللوحات الدينية والتاريخية التى خلفها لنا الملك تهرقا فى معبد الكوة (جمأتون) يجدر بنا أن نتحدث أولا عن معبد صنم الذى أقامه هذا الفرعون فى بلدة « صنم أبو دوم » وذلك لأنه يكاد يكون صورة طبق الأصل من معبد جمأتون وإن كان قد أقيم بعده بمدة كما تدل على ذلك مبانيه ونقوشه .

معبـــد صنم

مقدمة :

قامت جامعة أكسفورد بحفائر فى بلاد النوبة فى أوائل القرن العشرين وقد كان من أهم ما كشف عنه معبد صنم الذى أقامه الملك « تهرقا » وتقع بلدة صنم فى مركز وسط على الشاطئ الأيسر للنيل على مسافة سبعة أميال ونصف من طرفى زوما وبلال . وقد أسفرت نتائج الحفر عن أن معبد « صنم » كان كبير الحجم نسبيا ويحتوى على ردهة أمامية يحيط بها عمد يصل إليها الإنسان من بوابة ضخمة ، كما يحتوى على قاعة عمد يصل إليها الإنسان من بوابه ثانية ، وخلف هذه القاعة قاعة عمد أخرى ومحراب يحيط به حجرات منوعة . وكل هذه المبانى أقامها تهرقا ، هذا وقد أقام كذلك مقصورة صغيرة فى النصف الشمالى من قاعة العمد الصغرى التى قبل المحراب مباشرة . وتدل شواهد الأحوال على أن المعبد قد احتله بعد فترة قصيرة صناع تماثيل مجيبين وتماثيل صغيرة أخرى وحليات من الخزف المطلى يدل على ذلك ما وجد من قوالب فى هذا المكان ، هذا إلى بعض الأشكال التى وجدت مبعثرة فيه وحوله ، ومن المحتمل أنه من أجل ذلك قد أقيمت جدران ساذجة من اللبنات عفو الخاطر فى داخل المعبد لتسد المنافذ لتهيئ مكانا لصناعة هذه التحف الصغيرة ، وقد سدت المداخل الجانبية فى الجهتين الشمالية والجنوبية بدقة بأحجار ثم أضيف لها جدران من اللبنات ويحتمل أن ذلك قد حدث قبل وقوع الكارثة التى حلت بالمعبد . هذا ولدينا آثار مبانى جدران باللبنات أقيمت بعد التخريب الذى وقع ، وقد وجد فيه اسم ملك كوش من العصر المتأخر كما وجدت نقوش من العصر المروى المتأخر .

ويقع هذا المعبد على الحافة الجنوبية الشرقية لخرائب بلدة صنم . هذا ويقع على الحافة الجنوبية الغربية من البلدة فى منحدر النهر وعلى مسافة نصف كيلو متر من جنوبى المعبد جبانة كبيرة نظف معظمها وقد عثر فيها على ١٥٠٠ مقبرة كهفية الشكل

ومقابر مبطنة باللبنات ومدافن فى الرمل ، وتدل محتوياتها على أنها بدأت منذ عهد بيعنخى واستمرت إلى زمن طويل بعد عهد تهرقا بوجه عام .

وقد كشفت البعثة عن موقع ثالث شمالى الجبانة السالفة الذكر وعلى نفس المسافة من النهر وقد كشف هنا عن سلسلة حجرات غريبة ذات عمد تدل شواهد الأحوال على أنها كانت مستودعات ملكية أو خزانة من عهد الأسرة الكوشية .

ويدل ظاهر جدران هذه المبانى على أنها قد حرقت وهدمت ولم يبق منها إلا جزء قائم صغير جدا من الجدران . وقد وجدت قبالة الطرف الغربى بقايا كثيرة من مبان باللبنات وبعض آثار عمد من الأحجار يحتمل أنها كانت تابعة للقصر الملكى وهذه الآثار قد ربطت الخزانة بالمدينة .

وتدل بقايا سطح مواقع المدينة على أن معظمها من نفس عهد المعبد والجبانة . والعصر المزهر لكل هذه الآثار يمكن أن يمتد بوجه عام من أول عصر بيعنخى حتى عهد الملك « اسبلتا » ، ويقدر بحوالى مائتى سنة وهو يقابل فى التاريخ المصرى من الأسرة الثالثة والعشرين إلى الأسرة السادسة والعشرين .

وصف معبد « صنم »

يقع محور معبد « صنم » (١١٠ درجة) فى زاوية مستقيمة تقريباً للنيل الذى يجرى هنا جنوباً بغرب على مسافة ٤٧٠ متراً من البوابة الأولى للعبد . وكان طول المعبد فى الأصل ٦٨½ متراً . وعرض البوابة الأمامية كان ½ ٤١ متراً .

ويتألف المعبد من مبنيين مستطيلين ، فالبناء الخارجى يتألف من ردهة ذات عمد يصل الإنسان إليها بوساطة البوابة الأولى الضخمة . والبناء الثانى وهو الداخلى يصل إليه الإنسان من البوابة الثانية ويتألف أولا من قاعة عمد وخلفها المحراب ، هذا إلى حجرات تابعة حوله . وقد دل الفحص على أن أساس المعبد كان مقاما

على رمل وقد بنى حول المعبد جدار من اللبنات لحفظه من التداعى .

وقد كان أول ما بحث عنه الحفارون هو ودائع الأساس عند زوايا الجدار الحامى للمعبد ، ففى الركن الجنوبى الشرقى عثر على ستة ألواح من البرنز والقصدير (؟) والحجر البلورى والفلدسبار الأخضر واللازورد والخزف المطلى على التوالى باسم تهرقا وفى وسطها لوح رقيق من الفضة يضاف إلى ذلك أشياء أخرى خشنة الصنع وكمية من الخرز المثقوب فوق كومة من نماذج أوان فخارية من خمسة طرز . وفوق كل هذه الأشياء وجدت قطع من جمجمة ومقدمة عجل . وكانت ودائع الركن الشمالى الشرقى مماثلة للسابقة غير أن الألواح كانت هنا من الذهب والبرنز والبلور الصخرى واليشب الأحمر والفلدسبار الأخضر والخزف المطلى الأخضر . والنقوش التى على الألواح تسمى « تهرقا » محبوب « آمون رع ثور أرض القوس (أى النوبة) » . و يلحظ على أية حال أن الكتابة التى على اللوحين المصنوعين من الخزف المطلى هى « حور حامى والده » . والإله الأول أى « آمون رع » هو الإله الرئيسى للمعبد ومعه الإلهة « موت » وابنهما « خنسو » ، ولكن « حور » لم يوجد فى النقوش التى عثر عليها فى المعبد .

وكان يبلغ عرض البوابة الأمامية عند القاعدة حوالى أربعين متراً ، ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم تبق لنا عناصر معمارية من هذه البوابة .

والأبعاد الخارجية لقاعة العمد هى ٢٩ متراً عرضا و ½ ٢٠ عمقا وكانت تحتوى على عشرة أعمدة فى الجهة اليسرى ومثلها فى الجهة اليمنى . وكانت تحتوى على باب فى الجدار الشمالى وآخر فى الجدار الجنوبى والأخير كان مسدوداً بقطع من الحجارة المربعة الشكل . وكانت الردهة معمورة بالسكان بعد مضى أجيال قليلة من بناء المعبد .

ويبلغ عرض البوابة الثانية للمعبد ثلاثين متراً وسمكها أربعة أمتار بين الردهتين .

وكان يوجد فى الركن الجنوبى الشرقى من قاعة العمد سلم يؤدى إلى أعلى البوابة ولم يبق منه الآن إلا ست درجات .

والمبنى المسمى حصن كتشنر كان مقاما معظمه على دمن قاعة العمد والبوابة الثانية .

وكان باقى المعبد يؤلف مستطيلا عرضه ٢٥,٧٥ متراً و ٣٧ متراً من الخلف إلى الأمام ويحتمل أنه كان كله مسقوفا . وكانت قاعة العمد تشغل أكثر من ثلثه وكل عرضه وتحتوى على ستة عشر عمودا اسطوانى الشكل موزعة فى أربعة صفوف

وقد أقام « تهرقا » بين داخل أربعة الأعمدة التى فى الجانب الشمالى للقاعة محراباً صغيراً أو مقصورة للاله « آمون » ، وقد أحاط الملك « اسبلتا » الركن الجنوبى الشرقى من القاعة ببعض ألواح من الحجر ليكون بمثابة مقصورة أخرى له وخلافا لهاتين المقصورتين توجد الجدران العادية الدخيلة التى من العهد المتأخر .

والجزء الباقى من هذا المستطيل معقد التركيب فليس له مداخل جانبية . والمدخل المحورى فيه قد ضيق حتى أصبح ٣٦٠ سنتيمتراً وهو يؤدى إلى قاعة عمد أخرى صغيرة كان يرتكز سقفها على أربعة عمد، وعلى اليسار توجد حجرة صغيرة «ى»(J) يصل إليها الانسان بوساطة درجة سلم، وفى الأمام يوجد المحراب «ب» (B) وله باب كباب قاعة العمد الثانية فى سعته ، والحجرات التى حول المحراب يصل إليها الإنسان من حجرة « ج » (C) فقط . وأهم هذه الحجرات الاثنتان اللتان على اليمين « د ، هـ » (D & E) وهما على شكل حرف « ل » (L) وتصلان إلى جدار المعبد الشرقى بوساطة صف من العمد الاسطوانية عددها أربعة يستند عليها السقف فى جزئه العريض .

ويشغل النهاية الغربية للحجرة « هـ » (E) طوار مرتفع حوالى خمسين سنتيمتراً عن رقعة المعبد .

وفى وسط هذا الطوار كان يوجد بناء مرتفع تدل شواهد الأحوال على أنه

إما عرش كانت توضع عليه مجموعة تماثيل للملك وآلهة أو فى الأغاب كانت مائدة قربان .

ولم يحفظ بوجه عام من جدران هذا المعبد إلا مدماك أو أكثر فوق رقعة الحجرات ، ولكن فى مبانى البوابة حفظت أحيانا عدة مداميك ، غير أن المحفوظ لنا منها عدد كاف يمكننا من معرفة ارتفاع الجدران الحقيق .

والظاهر أن المؤسس والمنفذ لفكرة المعبد هو الملك « تهرقا » وهو الذى تنسب إليه المقصورة الصغيرة التى فى قاعة العمد وقد أقام الملك « اسبلتا » مقصورته فى الجنوب الشرقى من نفس القاعة . ولابد أن الملك « سنكامنسكن » كان قد أقام بعض مبنى فى هذا المعبد بقيت لنا فيه قطع باسمه عند مدخل البوابة وكذلك ترك لنا ملكان اسميهما على قطع أحجار فى الحجرة « ج » (C). هذا وقد وجد فى المعبد تماثيل وآثار أخرى يدل واحد منها على أنه من المحتمل أقدم من عهد « تهرقا » وعلى ذلك فإنه من الجائز تماما أنه كان يوجد معبد آخر بالقرب من هذا الموقع كما كانت الحال فى « الكوة » .

وتدل الأحوال على أن هذا المعبد قد خرب فى الأزمان المتأخرة ، ولكن من جهة أخرى تدل الدلائل على أن جزءا منه كان يأوى إليه بعض الصالحين أو المشعوذين حتى نهاية الوثنية فى القرن السادس .

الآثار التى عثر عليها فى المعبد : عثر على بعض الآثار المنحوتة والنقوش التى كانت على الجدران ملقاة فى داخل المعبد وحوله ، هذا فضلا عن الآثار التى وجدت فى ودائع الأساس ونخص بالذكر من هذه ما يأتى :

(١) وجد فى قاعة العمد قاعدة كانت توضع عليها السفينة المقدسة وهى من الجرانيت الأسود (؟) كما وجد فى نفس القاعة رأس أسد يحتمل أنه رأس الإلهة « سخمت » وتمثال بوهول صغير متآكل .

(٢) وجد فى النصف الجنوبى لقاعة العمد الثانية قاعدة فى صورة سلم كان على قمتها بلا شك صورة محنطة للاله « خنسو » .

(٣) وفى القاعة « ح » (H) وجد رأس تمثال صغير للاله آمون جميل الصنع من حجر السربنتين الأصفر (Pl. XIII 1,2) وعلى ظهره وجد اللقب الحورى لملك غير معروف .

(٤) وجدت قوالب تماثيل عجيبة وتعاويذ (Pl. XVII) تكشف عن إحدى الصناعات التى كانت قائمة فى المعبد ويلحظ أنه لم يوجد أى تمثال عجيب من التى وجدت فى هذا المعبد ، كالتى عثر عليها « ريزنر » فى اهرام « نورى » .

مناظر معبد صنم وما تبقى منها :

دلت أعمال الحفر على أن جدران معبد صنم قد خربت إلى أدنى مداميكها وحتى القطع المنحوتة التى بقيت فى مكانها الأصلى قد شوهت بوجه عام ، غير أن كثيراً من الأحجار المنقوشة قد سقطت من الجدران و بقيت محفوظة فى الرديم حتى كشف عنها معول الحفار حوالى جوانب المعبد وفى داخله وخارجه .

ويلفت النظر أن النقوش التى بقيت من جدران خارج المعبد كانت بحجم صغير إلا ما كان منها على البوابتين والمداخل فإنها كانت ضخمة . ولا نزاع فى أن هذه النقوش كانت من صنع الملك « تهرقا » وهو الذى تنسب إليه المناظر المنحوتة الضخمة ومواكب المقاطعات التى مثلت على الجدار الخلفى للمعبد .

البوابة الأولى : أهم ما يلفت النظر فيما بقى من آثار البوابة الأولى طغراءات الأسرى التى تذكر لنا ممالك أو أماكن خاصة من التى استولى عليها الفرعون ولكن بكل أسف قد وجدت مهشمة فلم يمكن تحقيقها ومن بينها لفظة واحة كتبت بهجاء غريب وتلفظ بالمصرية القديمة « واحة » .

قاعة العمد الأولى : وجد فيما بقى من مناظر جدران هذه القاعة بعض بقايا مناظر موكب وجد منه مقدمة سفينة و بغال ورا كبوها و بقايا عربات .

النقش الطويل الذى فى قاعة العمد[1] (راجع A. A. A., XI, p. 101 & XXXIII-XL) .

و يبتدئ هذا النقش المهشم عند النهاية الشرقية للجدار الجنوبى عند بداية السلم الذى فى البوابة الداخلية ويستمر على كل امتداد هذا الجدار حتى نهايته الغربية و ينتهى على ظهر البوابة .

وهذا النقش يفهم مما بقى منه بداهة أنه فى مجموعه خاص ببناء المعبد واهدائه والأوقاف التى حبست عليه . وقد وجد فيه طغراء الملك (؟) « موكسوفيس مرنرع » (Methosuphis) على قطعة حجر وهذا يشير بلا شك للملك الرابع من ملوك الأسرة السادسة « هذا لقب للملك مرنرع (محتى — ام — ساف = Methesuphis) » . وهذا الملك كما هو معلوم قد جاء اليه أمراء بلاد النوبة السفلى عند الفنتين فى أثناء رحلته إلى الحدود المصرية مظهرين ولاءهم وخضوعهم ، وهو الذى فى عهده قام « حرخوف » برحلته المليئة بالأحداث الهامة . ومما يؤسف له أن طغراء هذا الملك قد وجد على قطعة صغيرة جداً من الحجر والمتن الذى معه قد فقد كلية ، ولم يسبقه أى لقب ملكى . ويجوز أن الحرفين اللذين قبل الطغراء كانا خاصين باسم جغرافى ، وعلى ذلك يمكن أن يكون اسماً فى بلاد النوبة نفسها مثل « مقر امنحات » الذى وجد منقوشاً على قطعة حجر من صنع كوش فى قلعة مروى القديمة الواقعة على الضفة اليمنى للنيل . ونحن نعلم من جانبنا أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين كانوا معجبين بمفاخر الدولة القديمة فكانوا يفخرون بحفظ أو إحياء مثل هذه الأماكن النوبية وهذه القطعة محفوظة الآن بمتحف « اشموليان » .

(١) راجع مصر القديمة الجزء العاشر ص ٢١

وقد جاء ذكر مكان يدعى (شايس Shais) مرتين فى الأسطر الأولى من هذا المتن غير انه مجهول لنا . هذا وقد أشير إلى « منف » فى هذا المتن ، وتدل النقوش التى وجدت باسم هذا الملك فى معبد « الكوة » على أن العمال الذين رفعوا بنيانه كانوا من « منف » فمن الجائز أن صناعاً من « منف » قد أقاموا معبد « صنم » ، ولا سيما أنه صورة مطابقة لمعبد « الكوة » الذى أنجز بأيدى صناع مصريين .

وعلى أية حال تدل شواهد الأحوال على أن هذا المعبد لم يقم فى عز سلطان الملك « تهرقا » بل من المحتمل أنه قد أقيم بعد أن أوقع به الأشوريون الهزيمة والعار وقد يعزز هذا الرأى العبارة التى جاءت فى المتن وهى « فلتلعن أسماؤهم » فى السطر ١٥٥

وعلى ذلك فإن هذا النقش كان له أهمية تاريخية على ما يظهر غير أنه فقد معظمه . هذا وقد وجد حجر فى النصف الجنوبى من الردهة نقش عليه « . . . . ومعابدهم على ضياعهم (؟) . . مملوءة بالعبيد من الرجال والنساء . . التحنو الخ » . وفى هذا دليل آخر على أنه بنى على غرار معبد « الكوة » وأنه جهز مثله بكل ما يلزم من خدم وحشم وقربان .

الخزانة :

إن بقايا هذا المبنى الغريب تشغل مساحة كبيرة بقيت أكثر من ألفى سنة على ما يظن مورداً لقنص الآثار فقد كان يرتاده الأهالى والزوار للحصول على الخرز والتعاويذ وقطع الحلى الصغيرة وهذا المكان بعينه كان المصدر الذى استخرج منه معظم الآثار الصغيرة التى أهديت لكتشنر عام ١٩١٢؛ وقد برهنت الحفائر التى قامت بها جامعة اكسفورد على أن مساحته تبلغ ٢٥٦ متراً طولا وعرضه ٤٥ متراً وهو يقف منفرداً فى الصحراء إلا فى نهاية الجهة الغربية . وربما كان يجاوره قصر ملكى ،

والأشياء التى وجدت فى هذا المبنى نقش على بعضها أسماء الملوك «بيعنخى» و«شبكا» و « اتلانرسا » و « سنكامانسكن » و « اسپلتا ».

فقد وجد خاتم جميل مهشم كثيراً ونقش عليه « (ليت آمون رب) عروش الأرضين فى الجبل المقدس (يمنح) سنة طيبة لابن الشمس « بيعنخى » A. A. A., 9. p. 123 No. 11 ، وقد ذكر كذلك اسم « سنكامانسكن » فى ص ١٢٣ و «اتلانرسا» فى ص ١٢٣ أيضاً .

الوثائق التى خلفها الملك تهرقا فى المعبد الذى أقامه فى « الكوة » :

لقد كان من حسن حظ التاريخ الكوشى أن يترك لنا الملك تهرقا مجموعة من اللوحات الأثرية فى معبده الذى أقامه فى جمأتون (الكوة الحالية) وقد بقيت هذه اللوحات سليمة إلى أن كشف عنها معول الحفار وعلى الرغم من أن معظمها خاص بالمعبد وتأسيسه والقيام على خدمته فإنها مع ذلك تكشف لنا عن نواحى عدة من تاريخ البلاد النوبية وما كانت عليه فى تلك الفترة من رخاء وسؤدد وعزة . وسنتناول كل لوحة بالشرح والترجمة ثم التعليق وفى النهاية نستخلص نتيجة عامة عما جاء فيها .

اللوحة رقم ٣

(١) لوحة الملك تهرقا الخاصة بالقربان من السنة الثانية من حكمه حتى الثامنة [١] :

وجدت هذه اللوحة فى المعبد T مرتكزة على النصف الشمالى من الجدار الغربى للردهة الأولى من المعبد وهذه اللوحة محفوظة الآن بمتحف مدينة كوبنهاجن [٢] .

وتبلغ مساحة هذه اللوحة ١,٣٠ × ٠,٧١ × ٠,٢٩ مترا . وهى مصنوعة من الجرانيت الرمادى ونقشت من وجه واحد ، وتحتوى على خمسة عشر سطرا .

(١) راجع The Temple of Kawa, I, Insc. III, Pl. 4

(٢) راجع Ny Carlsberg Glyptotek Copenhagen

وعلى الرغم من بعض التهشيم الذى أصابها فإنها فى مجموعها تعد سليمة بالنسبة لغيرها . والجزء الأعلى من هذه اللوحة مستدير ومحدد بالعلامة التى يرمز بها للسماء ، وأسفل من ذلك تشاهد صورة الشمس المجنحة التى ينتهى كل من طرفيها بسطر معناه « صاحب بحدت » ، (أى حور رب إدفو) . وقد مثلت فى أسفل قرص الشمس من الجهة اليسرى الإلهة « عنقت » (أنوكيس) صاحبة سهيل (أى جزيرة سهيل بأسوان) وباحدى يديها علامة الحياة وتقدم بالأخرى علامة حياة أخرى للصقر الملكى الذى يلبس التاج المزدوج ويجثم على رموز الاسم الحورى للفرعون تهرقا وهو : « قا — خعو » . ونشاهد فى نفس الاتجاه الآلهة « وازيت » سيدة الوجه البحرى تقدم الدائرة الدالة على الأبدية لاسم ملك الوجه البحرى « خو رع نفر تم » محبوب التاسوع ورب الأرضين « تهرقا » معطى الحياة والثبات والسلطان مثل رع أبديا . وتقرأ أسفل صورة الإلهة « وازيت » العبارة التالية : « إنها تعطى الحياة والسلطان » .

وعلى الجهة اليمنى من أعلى اللوحة نشاهد نفس الترتيب الذى على الجهة اليسرى فى اتجاه مضاد ، ولكن نجد هنا بدلا من الإلهة « عنقت » الإله آمون رع صاحب جمأتون ممثلا برأس كبش وبدلا من الإلهة وازيت تشاهد الآلهة نخبيت سيدة الوجه القبلى .

وأسفل هذا المنظر يأتى المتن الرئيسى ويتألف من خمسة وعشرين سطرا ، وهو سجل الهدايا التى قدمها الملك «تهرقا» لمعبد « جمأتون » الذى أقامه هو ، ويشمل ما وهبه هذا الفرعون لهذا المعبد من السنة الثانية من حكمه حتى السنة الثامنة . ومما يلفت النظر هنا بصفة خاصة أن كل عمود فى كل قسم لسنة قد ميز بالعلامة المصرية القديمة الدالة على لفظ سنة . وهى ممتدة إلى أسفل وتشير إلى عدد السنين ، ومن ثم كانت الأعمدة من واحد إلى أربعة تشير إلى ما تم فى السنة الثانية ، والعمودان الخامس والسادس يشيران إلى ما تم فى السنة الثالثة ، والعمودان السابع والثامن يشيران إلى ما تم فى السنة الرابعة والعمود التاسع يشير إلى ما تم فى السنة الخامسة

والعمود العاشر يشير إلى ما تم فى السنة السادسة ، والأعمدة من أحد عشر إلى أربعة عشر تشير إلى ما تم فى السنة السابعة والأعمدة من خمسة عشر إلى واحد وعشرين تشير إلى ما تم فى السنة الثامنة . أما بقية الأعمدة فيمكن أن تشير إلى أى سنين أو إلى السنين كلها .

وهاك ترجمة النص حرفيا :

السنة (الثانية) حور (المسمى) « قا — خعو » ؛ السيدتان (المسمى) « قا — خعو » ؛ حور الذهبى (المسمى) « خو — تاوى » ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) « خو — رع — نفو — تم » (رع حافظ نفر — تم) ، ابن « رع » (المسمى تهرقا) ليته يعيش سرمديا . لقد عمله بمثابة أثره لوالده « آمون رع » رب « بحأتون » .

العدد		الوزن بالدبن	القدت
١	مائدة قربان من الفضة وزنها (٢)	٢٢	
١	مبخرة من الذهب »	١٠	
١	آنية نمست من الذهب »	١٠	٥
١	آنية « ونح » من الذهب »	١	٢
٧	أوانى « شام » من البرنز		
٥٠	لفة كتان باقت		
٣٨	(لفة) كتان شنزت		
١٢ (٣)	لفة من نسيج روز		
٢٠	لفة نسيج منخت		
١٢٠	المجموع		
١	صورة الإلهة ماعت من اللازورد		
١٢٠٠	حبة من السرو (عونت)		

١ شجرة بخو (كندر)
١ طبله
(٤) ١ عود

لأجل أن يمنح كل الحياة وكل الصحة وكل الثبات وكل السعادة وأحفال ملايين السنين للأعياد الثلاثينية العديدة جداً . فقد ظهر بوصفه ملك الوجه القبلي والوجه البحري على عرش حور مثل رع أبديا .

(٥) السنة الثالثة : ملك الوجه القبلي والوجه البحري « تهرقا » ليته يعيش أبديا لقد عمل بمثابة أثره لوالده « آمون رع » سيد « جماتون » ما يأتي :

العدد
١ إناء خاوت واحد من الفضة[١]
١ غطاء إناء خاوت
٥٠ آنية نمست بوجه كبش
٢٠ آنية شو من البرنز
٢٠ آنية خاوت
(٦) ٣٠ آنية دنيت من البرنز
١٤ آنية « يشنى » من البرنز (نوع من الأواني لم يعرف بعد)
٣ قواعد من البرنز
١ آنية دنيت من البرنز . . . . (؟)
١ برنز . . . . . . (؟)
١ (آنية) طات من البرنز . . . (؟)

---

(١) يلحظ هنا أن نوع الأواني في هذا المتن وغيره من هذا العصر لم يعرف بعد بوجه الدقة وبعضها جديد لم يذكر في قاموس اللغة ولذلك فقد كتبت أسماؤها بالمصرية وحسب ، وكذلك كتبت أسماء الأشياء الأخرى التي لم يعرف معناها بالمصرية وحسب .

العدد	
٥٠	دبنا من الشمع
٢٠	دبنا من القطران
٧	أرغفه من البخور
٥	أرغفه من اللادن (بالمصرية لدنو)
٤	كهنة الساعة (منجمون)
٢	آلتان للرصد

(٧) السنة الرابعة : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تهرقا » ليته يعيش سرمديا ، لقد عمل بمثابة أثر لوالده آمون رع سيد « جمأتون » :

العدد		دبن	قدت
١٠٠	ماية دبن من الذهب		
٥	خمس أوانى نمست من الفضة بوجه كبش قيمته	٨	
١	إناء نمست من الفضة	١٥	
١	إناء حست من الذهب بوجه كبش قيمته	٧	
١	إناء نمست بوجه كبش قيمتها	٣	٥
٧	قاعدة من البرنز		
٣	ثلاث زهريات بشنين من البرنز لأجل أوانى خاوت		
٣	حلقات (قواعد) من البرنز قيمتها	٩ دبنات	٥ قدات
٣	مصابيح		

وذلك لأجل أن يمنح (الملك) كل الحياة والثبات والسلطان وكل الصحة وكل السعادة أبديا .

(٩) السنة الخامسة : ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « تهرقا » ليته يعيش أبديا ، عمل بمثابة أثره لوالده آمون رع سيد جمأتون :

العدد		
١	قلادة بيت قيمتها	٢١ دبنا ٦ قدات
١٥	دبنات من اللازورد وقدت واحد[1]	
٥٦	دبنا من الصفيح الأصلى	
٦١	دبنا من الفيروز	
١٠	لفات من الكتان	
٥	(لفات) من كتان شنزت	
٥	(لفات) من نسيج روز	
٢٠	(لفة) من نسيج هرت (؟)	
٤٠	المجموع (أربعون)	

(١٠) السنة السادسة : ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « تهرقا » ليته يعيش سرمديا . لقد عمل بمثابة أثره لوالده آمون رع رب جمأتون .

١ غطاء من الذهب بصورة الملك مرسومة عليه قيمته ٥ دبنات وقدت واحد
١ خاتم من الفضة والذهب للختم به (أو ليلبس فى الأصبع) .

وذلك لأجل أن يمنح كل الحياة والثبات والفلاح وكل الصحة وكل السعادة مثل رع أبديا .

(١١) السنة السابعة : ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « تهرقا » ليته يعيش أبديا لقد عمل بمثابة أثره لوالده آمون رع سيد جمأتون .

---

(١) راجع عن تصحيح بعض الأخطاء التى جاءت فى هذا الكشف والتى فى اللوحة رقم ٦ .
J. Clere, Bibliotheca Orientalis Jaargang VIII No. 5 sep. 1951 p. 174 ff.

١ مبخرة من الذهب فى هيئة مقدمة سبع .

١ صقر من الذهب مع صورة ملك أمامه وهما معاً على جريدة نخل .

١ تمثال بولهول بوجه كبش ومعه صورة نسر وهما يقفان على (١٢) علامة السنة .

١ تمثال صغير من الذهب يمثل الإله خنسو محمولا على علامة السنة .

١ صورة من الذهب لآمون رع رب جماتون ومعه شجرتا لبخ على نهايتها وصورة الملك أمامها .

(١٣) ١ طبق « مسوت » من الذهب (موت نوع من القمح ومن الجائز أن هذا الطبق كان يوضع فيه هذا النوع من القمح) .

٣ رءوس كباش من الذهب على نخلة (أى كل واحد منها على نخلة) .

١ تمثال صغير من الذهب لأمون رع سيد جماتون على شجرة نخيل .

١ صورة « إزيس » من الذهب قيمتها (١٤) ١١ دبنا و ٣½ قدات .

٢ شريطان من الكتان (؟) .

وهى (أى الأشياء السابقة) التى أهداها ابن رع «تهرقا» لوالده آمون رع سيد جماتون ليمنح كل الحياة وكل الفلاح وكل السعادة مثل رع سرمدياً .

(١٥) السنة الثامنة : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى تهرقا : ليته يعيش سرمديا لقد عمل بمثابة أثره لوالده آمون رع سيد « جماتون » :

١ تمثال من البرنز للملك وهو يضرب ممالك أجنبية وملابسها الستة .

(١٦) ٨ ثمانى جرار من الذهب و الفضة للمطور .

معدات المعبد الجديد الذى بناه جلالته [(١)]

١ مكنسة من الذهب .

١ إناء حست من الذهب .

(١) الاشارة هنا طبيعة الحال للعبد الذى رمز له بحرف T

١ إناء نمست من الذهب .

٢ آنيتان عبش من الذهب (عبش = أبريق للنبيذ) .

١ بوق (١٧) من الذهب (هذا البوق غريب فى شكله) .

١ مكيال بخور من الذهب .

١ (إناء ؟) شفد من الذهب (= ملعقة من الذهب للبخور) .

١ مائدة مستديرة من الفضة .

١ تمثال الملك بوجه من الذهب (تمثال من الذهب للملك (الذى) عليها أى على المائدة السالفة الذكر) .

١ تمثال من الذهب لإله الفيضان الذى عليها (أى المائدة) .

(١٨) ١٠ المجموع ١٠ أدوات من الذهب يبلغ وزنها ٥١ دبنا و ٤ قدات .

١ مائدة قربان من الفضة .

١٥ آنية خاوت من الفضة .

١ آنية خاوت مستديرة من الفضة .

١ مبخرة من الفضة .

١ آنية حست من الفضة .

١ مكيال بخور من الفضة .

١ إناء شفد (١٩) من الفضة (= ملعقة) .

١ بوق من الفضة .

١ إناء مسوت من الفضة .

١ إناء عبش من الفضة .

١ إناء قبى من الفضة .

٢ إناءان همت من الفضة (كلمة جديدة) .

٤ أوان « وشم » من الفضة .

١ قدح من الفضة (؟)

١ إناء بشنى من الفضة (؟) .

١ إناء ودح من الفضة (أو مائدة قربان) .

١ صندوق من الفضة خاص بشعيرة فتح الفم ومحتوياته هى :

٤ أوانى دشرت (حمراء) من الفضة

٢ مشعلان من الفضة

٢ اناءان « عرف » من الفضة (لا بد أن يكون هذان الإناءان من الأكياس التى كان يوضع فيها الكحل ولكنها حولت هنا إلى أوان من الفضة) .

٤ أوعية ررم من الفضة (أوان يوضع فيها بخور المر) .

٤ صولجانات « أمس » (يحملها الملك غالبا فى يده) .

(٢٠) ١٧ أداة (وهذا المجموع يحتوى الصندوق نفسه) .

١ مقصورة حز يبلغ وزنها ١٨٩١ دبنا ١ قدت

٣٥ ورقة من الذهب الرفيع للحفر (؟) .

وكل نوع من خشب السنط والأرز واللبخ .

وقد ثبت دخل الإله (٢٢) ومدت موائده وموّن مستودعه بالرجال والخادمات وحتى أولاد زعماء (الأسرى) من التحنو (أى اللوبيين) (٢٣) . وقد أمدّ هذا المعبد الذى بناه له من جديد وحشد بمغنيات عديدات وبأيديهن صناجات ليلعبن بها أمام وجهه الجميل (أى آمون) (٢٤) وذلك ليعوضه عن ذلك بمكافأته بكل الحياة من نفسه وكل الثبات من نفسه وكل الفلاح من نفسه وكل الصحة من نفسه وكل (٢٥) السعادة من نفسه وليحتفل آلاف آلاف المرات بالأعياد الثلاثينية كثيرا جدا ، وهو مشرف على عرش حور الأحياء ، وليكون سعيدا مع روحه مثل رع أبد الآبدين » .

التعليق :

تعدد لنا هذه اللوحة الهدايا التى قدمها الملك « تهرقا » من السنة الثانية حتى السنة الثامنة لتجهيز المعبد الجديد الذى أقامه خصيصا لوالده آمون رع فى مدينة جماتون فقد جهزه بأدوات إقامة الشعائر والمواد اللازمة لتزين هذا الأثر وتنظيم الموظفين وما تحتاج اليه القربان من خدمات .

ونستخلص من المتون التى وجدت فى هذا المعبد أنه فى السنة الاولى من حكم تهرقا قبل تتويجه ملكا على البلاد قد لاحظ أن المعبد كان خربا ولذلك أرسل العمال فيما بعد من منف إلى الكوة ليبدءوا أعمال الاصلاح وإقامة المعبد الجديد وبحلول السنة السادسة من حكمه كان قد فرغ من اتمام المعبد الجديد والحدائق التابعة له ثم حمل الإله إلى مقره الجديد . ويلحظ أن هذه الهدايا والمعدات التى ذكرت فى هذه اللوحة وهى الخاصة بالمعبد الجديد كانت على أية حال حتى المتن الذى نحن بصدده فى السنة الثامنة فى حين أن الافتتاح الرسمى لهذا المبنى لم يحدث حتى السنة العاشرة وهذا دليل على أن البيانات التى ذكرت هنا كانت سابقة لأوانها أو انها كانت استعدادات لافتتاح المعبد . وسنرى بعد أنه بعد هذا العهد بمدة طويلة وجد أحد الملوك الذين أتوا بعد تهرقا وهو الملك « أمان — نتى — يريكى » أنه من الضرورى تنظيف مدخل هذا المعبد من الرمال (Kawa IX p. 70) ، هذا ولما كان السجل الحالى الخاص بالهبات التى قدمها « تهرقا » يقف عند السنة الثامنة حيث يبتدئ السجل الثانى (Kawa VI) فإن السنة الثامنة تكون هى السنة التى أقيمت فيها هذه اللوحة ويدل ذلك دلالة واضحة على أن الملك « تهرقا » كان يقوم بأعمال البناء والتأثيث فى آن واحد .

وإذا نظرنا نظرة عامة فى قائمة الهدايا هذه التى قدمها الفرعون « تهرقا » لهذا المعبد وكذلك فى القائمة الأخرى التى أهداها بعد ذلك كما سنرى بعد نجد أن ما وهبه لهذا المعبد قد زاد فى معلوماتنا الفنية فى الصناعات المصرية فى ذلك العهد فهى تؤكد

بصورة واضحة وجود نماذج معدنية ذات أشكال نباتية كالقطع الزخرفية أو المنذورة مثل أزهار البشنين المصنوعة من البرنز ، وأزهار البشنين من الذهب أو الفضة (Kawa VI, 933) ومكنسة من الذهب ، وآلات الرصد المصنوعة من الفضة على هيئة جريد النخل (K. VI, 9) وكذلك يلفت النظر الأكياس والأوانى الحمراء المصنوعة من المعدن الثمين ، يضاف إلى ذلك أن مجموعة الأوعية قد أصبحت غنية بزيادة اسماء جديدة لم تكن شائعة بعد ، و يلفت النظر من بين هذه الأوانى تلك التى لهـا رأس كبش وذلك يتفق مع متاع الإله آمون وهى أشياء قد عرفت من قبل فى آثار أكثر قدما من هذه .

ولا يفوتنا كذلك التماثيل الإلهية أو الملكية و بخاصة تمثالا من البرنز للملك يضرب الممالك الهمجية بملابسها الستة ، وكذلك الآلات الموسيقية العديدة مثل الطبول والأبواق والصناجات ، وكل هذه كانت تستخدم فى الأحفال التى كانت تقام فى هذا المعبد وقد رأيناها على جدرانه كما نشاهدها كذلك فى معبـــد « صنم » (راجع A. A. A., 9 Pl. 29) الذى أقامه بعد هذا المعبد بمدة قصيرة .

ولسنا فى حاجة إلى القول بأن متن هذه اللوحة يكاد يكون من المتون الفريدة فى بابها فهو فضلا عن أنه يعدد لنا أولا الهدايا والأدوات التى قدمها الفرعون «تهرقا» العظيم إلى معبده الجديد الذى أقامه خصيصاً فى « جمأتون » لعبادة «آمون» معبود الدولة الأعظم فإنه يدل على ما كانت تتمتع به البلاد من ثروة طائلة فالأوانى التى قدّمت للعبد كان معظمها من الذهب ، وهذا برهان على استغلال مناجم الذهب فى تلك الفترة من تاريخ البلاد ، هذا فضلا عن أن الأدوات الكثيرة المصنوعة من الفضة وكذلك من الصفيح قد دل على ارتبـاطها تجاريا مع جاراتها وكذلك مع بلاد آشور نفسها و بخاصة فى جلب الصفيح منها . هذا و يدل تعدد أنواع الأنسجة والكتان على تقدم صناعة الغزل فى البلاد، ولكن أهم من كل ذلك من الوجهة الدينية انه فضلا

عما نشاهده فى هذا المتن من ذكر الأدوات والآلات المختلفة التى كانت تستعمل فى إقامة الشعائر الدينية فإنه يضع أمامنا فضلا عن أسماء الأشياء الجديدة التى وردت فيه ، صورة جديدة عملية عن هذه الأدوات ، فقد شاهدنا معظم بل كل ما جاء من معدات فى هذه القائمة مصوراً أمامنا فى أحفال المعبد وأعياده ومتعلقاته . ولا نزاع فى أن هذه المعدات والتماثيل والتعاويذ الفنية الدقيقة توحى إلينا بأنها لم تخرج إلا من أيدى مفتنين على جانب عظيم من المهارة وحسن الذوق . وهذا برهان آخر على ازدهار الفنون فى تلك الفترة من تاريخ وادى النيل .

وقد ذكر لنا « تهرقا » نفسه أنه كان يستعين على إنجاز بناء المعبد بمهندسين مصريين وكذلك بمفتنين وأصحاب حرف من « منف » وفى هذا دليل قاطع على ما كان بين القطرين من ارتباطات فنية عظيمة ، وأن مصر كان لها قصب السبق فى ذلك والمكانة الأولى .

ويحدثنا « تهرقا » فوق ذلك أنه بعد اتمام بناء المعبد وتجهيزه بكل ما يلزم من معدات أمده كذلك بخدام وخادمات وكان من بين هؤلاء نفر من أبناء الرؤساء اللوبيين ، كما خصص له مغنيات وكاهنات يقمن بأداء الشعائر اليومية وشعائر الأعياد التى كانت تؤدى للاله والملك . ويلاحظ أن العنصر النسوى كان سائداً فى هذه الأحفال .

ولا غرابة فى ذلك فإن الكاهنات كن يعملن فى معبد « آمون » فى كل عصور مجده ، وقد بلغ العنصر النسائى فى معابده ان انتهت اليه السيادة العظمى وأصبحت الكهانة العظمى فى يد الجنس اللطيف لفترة طويلة من الزمن بدلاً من الكاهن الأكبر كما لاحظنا ذلك من قبل .

وخلاصة القول أنه على الرغم من أن هذه اللوحة فى ظاهرها لم تقدم لنا إلا قائمة

جافة من أسماء الأدوات والمواد والموظفين اللازمين لشعائر المعبد وخدمته فإنها فى الواقع تحتوى بين سطورها على مقدار ما كان للملك «تهرقا» فى هذه الفترة من تاريخ وادى النيل وبخاصة من الوجهة السياسية من نفوذ وسلطان ، إذ نفهم من بين ثنايا هذا المتن أن تجارة مصر كانت متصلة مع البلاد المجاورة ، كما أن حالة البلاد الاقتصادية كانت على جانب عظيم من الرخاء والفلاح ، وأنه كان هو المسيطر على الموقف فى شطرى الوادى فى أول حكمه ويرجع السبب فى ذلك إلى اتخاذه سياسة حازمة فى جمع شمل البلاد تحت لواء الإله «آمون رع» الذى كان يعد المعبود المحبب فى القطرين ، هذا بالإضافة إلى أنه راعى شعور الكوشيين بتمجيد الإلهة «عنقت» (أنوكيس) بصفة خاصة وصورها جنباً لجنب مع الإله «آمون» وقدم لها القربان . وسياسة «تهرقا» هذه فى أول حكمه تذكرنا بسياسة الفاتح العظيم «تحتمس الثالث» مؤسس أول امبراطورية مصرية .

اللوحة رقم ٤

لوحة الملك «تهرقا» التى نقشها فى السنة السادسة من حكمه فى معبد الكوة [1]

وجدت هذه اللوحة فى المعبد الجديد الذى أسسه «تهرقا» فى «جمأتون» (الكوة) فى الردهة الأولى وكانت مرتكزة على النصف الجنوبى من الجدار الشرقى . وهى الآن محفوظة بمتحف «مروى» [2] وهذه اللوحة لم تكن فى مكانها الأصلى عند الكشف عنها .

وأبعاد هذه اللوحة هى ٢,٠٨ × ٠,٨٠ × ١,٣٥ متراً . وهى لوحة جميلة من الجرانيت الرمادى وجزؤها العلوى مستدير ، وهى فى حالة حفظ تام ، ويلحظ

(١) راجع Macadam, The Temple of Kawa, 1, p. 14 K Pls. 7,8.

(٢) راجع Merowe Museum No. 52

أن ظهرها محدودب بعض الشئ ونقشت من الوجه فقط بنقوش جميلة والمتن الرئيسى فيها يتألف من سبعة وعشرين سطراً محفورة .

ويشاهد فى الجزء الأعلى المستدير منها العلامة التى يرمز بها للسماء مرتكزة على العلامة الدالة على الصولجان من الجانبين ، وفى أسفل من ذلك قرص الشمس المجنح ، ونقش فى أسفل الجناحين المتن التالى : « بحدتى الإله العظيم رب السماء » وفى أسفل هذا نشاهد المنظرين التاليين اللذين يفصل أحدهما عن الآخر عمودان من النقوش . فعلى الجانب الأيسر نقش المتن التالى : الإله الطيب رب الأرضين والسيد الذى يحجز « تهرقا » معطى الحياة مثل رع . وفى أسفل هذه الكتابة مثل « تهرقا » لابسا التاج الأبيض ومقدما رغيفا أبيض لوالده « آمون » لأجل أن يمنحه الحياة وخلف الملك نقشت رواية أخرى من الصيغة العادية : « ليت كل الحماية والحياة تكون حوله كما (هى حول) رع أبدياً » ، وقد مثل أمام الملك الإله « آمون رع » برأس كبش وقد نقش فوقه : « آمون رع » صاحب « جمأتون » الإله العظيم رب السماء ، وبيد « آمون » علامتا السلطة والحياة ويقول للملك : إنى أمنحك كل الحياة والثبات ، ويشاهد خلف الإله « آمون رع » الإلهة « عنقت » (أنوكيس) لابسة لباس رأسها الخاص الطويل وتربت بيدها اليمنى على كتف « آمون رع » ، وفى يدها اليسرى علامة الحياة . ونقش خلفها المتن التالى : « إنى أمنحك كل الحياة والسلطان وكل الصحة وكل السعادة مثل رع أبدياً » . وعلى الجانب الأيمن من أعلى اللوحة يشاهد « تهرقا » مرتديا كوفية وقد وصف بنفس الأوصاف التى ذكرت على الجانب الأيسر مع إضافة الجملة التالية : « معطى الحياة والثبات والسلطان مثل رع أبد الآبدين . وفى هذا المنظر نجد الملك يقدم إناءين من النبيذ لوالده آمون لأجل أن يمنحه الحياة . ويلفت النظر هنا أن الإلهة « عنقت » تلبس تاج مصر المزدوج .

وهاك ترجمة المتن حرفيا : السنة السادسة فى عهد جلالة حور (المسمى) « قاخعو » ، السيدتان (المسمى) « قا — خعو » ، وحور الذهبى (المسمى) « خوتاوى » ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) « خو رع نفرتم » (= رع حامى « نفرتم ») ابن رع (المسمى) « تهرقا » ، ليته يعيش أبديا ، المحبوب حقاً من ماعت (= العدالة) ومن منحه « آمون » العدالة ، ليته يعيش سرمديا . والآن فإن جلالته سيد الشباب والبطل الشجاع المنقطع القرين والمغوار والملك المقوى الذى لا مثيل له ، وهو يحكم مثل « آتوم » وحبه (٣) يسود العالم مثل حب رع عندما يضئ فى السماء وابن رع مثل «أونوريس» (انحور) وملكه آلاف آلاف السنين مثل (ملك) « تاتنن » (صورة من صور الإله « بتاح » الذى خلق الكون فى البداية) والسريع الخطا و (٤) العريض النعلين ليدوس بهما الأعداء والمفوّق سهمه ليهزم القوى ، والذى يطأ التلال فى طلب (٥) أعدائه ليحاربهم بسيفه البتار ، ذابحاً مئات الآلاف ، ومن عند مشاهدته ينبهر كل وجه ، ومن عندما يظهر (٦) والحرب فى قلبه يوميا يفرح كل الناس ، وهو لا يتوانى لأن صناعته هى الاستعداد للقيام بالحرب واسمه يسود الأرض المنخفضة وكل (٧) الهضاب بقوة سيفه البتار . والآن كان جلالته فى بلاد النوبة وهو شاب فتى (أى محارب فتى ؟) (بوصفه) أخا الملك[1] ، حلو الحب ، وقد سار شمالا (٨) إلى طيبة فى صحبة الشباب الطيبيين الذين كان قد أرسل فى طلبهم جلالة الملك « شبتاكا »[2] من بلاد النوبة وعندما وجدوا (٩) هناك معه فضله على كل أخوته . وعندما مر بمقاطعة آمون صاحب « جمأتون » ليقدم الطاعة عند باب المعبد مع (١٠) جيش

---

(١) « أخو الملك » كان لقبا عاديا جدا بين الألقاب الملكية الكوشية والظاهر أن وراثة العرش كان ينتخب لها دائما من بين أخوة الملك ، وذلك غير ما كان يحدث فى مصر فقد كان ينتخب الملك من بين أولاد الفرعون وهذا يدل على أن وراثة الملك فى الأسرة الكوشية كانت عادة من الأخ للأخ لا من الأب للابن .

(٢) يجوز أن ذلك كان قد حدث بسبب حرب وقعت فى مصر وأراد الملك أن يقضى عليها فأرسل إلى أخوته ليشتركوا فيها وهناك تعرف على تهرقا أخيه ولحظ فطنته وميزاته على أخوته فأحبه وقربه منه .

جلالته الذى سار معه شمالا ، وجد أن هذا المعبد كان قد أقيم باللبنات ولكن (١١) تلال رماله (التى تغمره) قد وصلت إلى سقفه ، وكان قد غطى بالتراب فى وقت من السنة عندما كان يخاف الإنسان هطول الأمطار . وقد أخذ الحزن يستولى(١٢) على قلب جلالته من أجله (أى من أجل المعبد) إلى أن طلع جلالته ملكا متوجا للوجه القبلى والوجه البحرى . وعندما ثبت التاج المزدوج على رأسه وأصبح اسمه « خو رع » سامى التاجين تذكر (١٣) هذا المعبد الذى كان قد شاهده وهو شاب فى السنة الأولى من حكمه ، وعندئذ قال جلالته لرجال حاشيته تأملوا أنى أرغب فى أن أعيد بناء معبد (١٤) والدى « آمون رع » صاحب « جمأتون » لأنه كان قد بنى باللبنات فقط وغطى بالتراب وهذا ليس بالشئ المستطاب (١٥) فى رأى الناس ، وكان الإله فى هذا المكان ؛ ومع ذلك لم يعرف ما فعله المطر (لأن المعبد كان غير مستعمل وكان مهجورا) ، ولكنه هو الذى حفظ هذا المعبد إلى أن حدث أنى توجت ملكا (١٦) ولأنه (أى الإله) عرف أن ابنه (أى الملك) الذى أنجبه كان قد أقام أثراً له[1] ، ولأن أمهات والدتى قد وكل (١٧) أمرهن إليه بوساطة أخيهن الزعيم ابن رع (المسمى) « آلارا » المرحوم بالكلمات التالية : أنت يأيها الإله الذى يعرف من هو موال لك يا سريع الخطا و يا من تأتى لمن يدعوك (١٨) ارعهن فى فرج . . . (؟) ثبت أولادهن على الأرض ، واعمل لهم كما عملت لى واجعلهم يصلون إلى الفلاح . فأصغى لما قاله بالنسبة لنا (أى أن آمون أصغى لما قاله « آلارا » بالنسبة لنسل أخت « آلارا » أو أخواته) ، ونصبنى ملكا كما قال له . فما أجمله من شئ أن يعمل الإنسان لمن يعمل : (٢٠) لأن قلب من يعمل لمن يعمل يكون راضيا . وقالوا لجلالته[2] إن كل كلماتك هى الصدق نفسه

---

(١) لابد أن هذه الفقرة تشير إلى مبانى وإصلاحات تهرقا التى عملها فى مصر لأنه لم يعد إلى بلاد النوبة بعد أن غادرها أول مرة حوالى عام ٦٨٨ ق.م أما عن آثار تهرقا فى مصر فلا يمكن تأريخ واحد منها ، غير أنه من المعروف أنه بدأها مبكرا كما يدل على ذلك لوحة مدينة هابو التى جاء عليها ذكر إصلاحات له هناك فى السنة الثالثة من حكمه (راجع A. S, IV. P. 179)

(٢) يقصد رجال الحاشية الذين يوجه اليهم تهرقا الكلام .

لأنك ابنه المصلح لآثاره » . وجعل جلالته جيشه (٢١) يذهب إلى « جمأتون » ومعه طوائف عدة من العمال ومهرة الصناع الذين لا يحصى عددهم ، وكان هناك مهندس عمارة معهم (٢٢) ليدير العمل فى هذا المعبد فى حين كان جلالته فى « منف » وبعد ذلك أقيم المعبد من الحجر الرملى الأبيض الممتاز (٢٣) الصلب الذى نحت بصناعة متينة ووجهه (أوجه المعبد) نحو الغرب ، وهو من الذهب (أى عليه قشرة من الذهب) وعمده من الذهب ، والترصيع الذى فيه من الفضة ، وبرجاه رفعا وأبوابه أقيمت ونقش عليه الاسم العظيم لجلالته وغرست أشجاره العدة (٢٥) فى التربة وحفرت بحيراته ، وكذلك بيت نطرونه (للتطهير) وملئ بالأدوات من الفضة والذهب (٢٦) والبرنز التى لا يحصى عددها . وقد جعل هذا الإله يأوى فيه (المعبد) لامعاً نخماً أبدياً وقد كانت المكافأة على ذلك (للملك) هى الحياة والفلاح والظهور على عرش حور أبدياً .

تعليق : هذا المتن المؤرخ بالسنة السادسة من حكم (الملك) تهرقا يبتدئ بذكر ألقاب هذا الفرعون كما جرت العادة فى اللوحات التاريخية وهذه ألقاب موحده بالألقاب التى وردت فى اللوحة الخامسة ويتلو ذلك عقود مدح يعقبها مقدمة للدخول فى الموضوع الذى من أجله أقيمت اللوحة فذكر كيف أن تهرقا الشاب الذى ذهب الى مصر مع الجيش قد لحظ تخريبا شاملا فى معبد « جمأتون » . وعندما أصبح ملكا على البلاد أعلن تهرقا ارادته لبناء معبد ليظهر اعترافه بالجميل للاله آمون صاحب « جمأتون » وعندما جعله الإله آمون على عرش الملك فانه كان يوفى أمنية كان قد طلبها الملك « ألارا » فيما سبق وهو الذى كان قد نذر أخواته للاله وكان قد تضرع اليه أن يجعل نسلهن على عرش الملك ويقص علينا الجزء النهائى من المتن الأعمال الخاصة باقامة المعبد مثل البناء والزخرفة وغرس الأشجار وحفر بركة ، وقد تم ذلك بأيدى رجال الجيش والصناع الذين أرسلوا من « منف » وبعد تقديم الهبات له لأجل إقامة الشعائر وتقديم القربان كان مستعدا لإيواء الإله .

غير أن الأثرى مكأدم قد فهم الفقرة التى جاءت فى السطرين الثانى عشر والثالث عشر بصورة غير التى أوردناها هنا مما قلب الحقائق التاريخية رأسا على عقب، وسنورد هنا ترجمته لهذه الفقرة وتعليقه عليها استعدادا لنقدها فى مكانها :

(١) وعندما ثبت التاج المزدوج على رأسه . . . تذكر هذا المعبد الذى كان قد رآه وهو شاب فى السنة الأولى من حكمه .

(٢) وعندما ثبت التاج المزدوج على رأسه . . . تذكر هذا المعبد (الذى كان قد شاهده وهو شاب) فى السنة الأولى من حكمه .

ثم يقول « مكأدم » واذا قبلنا الترجمة الأولى فعلى ذلك يكون تهرقا قد حسب سنى حكمه من الوقت الذى اشترك فيه مع شبتاكا وهو فى العشرين من عمره (راجع Kawa IV, 17) وعلى ذلك تكون بداية أعماله البنائية فى الكوة لم تكن قد بدأت قبل السنة السادسة من حكمه ، لأنه لابد أن نلحظ أنه لا يوجد سجل لبناء المعبد قبل هذه السنة وزيارة أم « تهرقا » التى دونت فى لوحة « تانيس » قد دونت فى لوحة « الكوة » رقم ٥ وتؤرخ كذلك بالسنة السادسة . فهل كانت هذه السنة هى تاريخ موت « شبتاكا » ، وسنة تتويج « تهرقا » وزيارة الملكة الوالدة أبار ، وتأسيس معبد (T) بالكوة وكذلك سنة الفيضان العالى المدهش ؟ . ولدينا فقرة فى اللوحة الخامسة حذفت فى كل من رواية متن قفط ورواية متن المطاعنة جاء فيها (سطر ١٠) : « وقال جلالته إن والدى آمون رب عروش الأرضين قد أنجز لى هذه المعجزات الطيبة الأربع فى مدى سنة واحدة وهى السنة السادسة من حكمى » ! ولكن حتى هذه الفقرة من المتن لم تصف إلا معجزتين وهما الفيضان العظيم والسيل الذى حدث فى النوبة . والوصف ، بعد العودة الى النيل الحسن وتأثيره الطيب ، يأخذ فى التحدث عن تتويج « تهرقا » وزيارة الملكة الوالدة « آبار » ، ولا يسع الإنسان إلا أن يفرض أن هذه الأشياء هى المعجزتان الأخريان وقد كدت واحدة

منهما فى اللوحة السادسة فى السطرين ٢٣ — ٢٤ ، حيث نجد جد « تهرقا » (المسمى) « ألارا » يشير الى تتويجه هو بمثابة معجزة لم تكن فى الحسبان ، وفى اللوحة السادسة سطر ٢٢ نجد أن وضع « آبار » لالك « تهرقا » قد وصف بأنه معجزة ، لأنه كان مقدراً له أن يصبح ملكا . وعلى ذلك فإن اعتلاء « تهرقا » العرش قد فكر فيه بأنه أعجوبة واضحة ، على أن كون السيل الذى حدث فى النوبة كان من الأسباب التى ساعدت على فيضان عال لم تعق الكاتب عن وصف كلا الحادثين بأن كلا منهما أعجوبة قائمة بذاتها ، وعلى ذلك ليس هناك من سبب يمنع أن تسمى زيارة « آبار » التى سببها تتويج « تهرقا » أعجوبة أيضاً .

وليس لدينا نتيجة أخرى يؤدى اليها التفسير الأول . فقد رأينا أن « تهرقا » قد لاحظ فعلا الحالة الخربة التى كان عليها معبد « جمأتون » وهو الذى تراكمت عليه الرمال وغطته الأتربة لمنع اختراق المطر لسقفه . ولن يتصور الإنسان أن سكان « الكوة » كان لديهم من بعد النظر بحيث يقدمون على هذا العمل قبل أن يكون قد حدث ضرر للمعبد من المطر . وبدهى أن المطر كان قد دخل قبل أن تتخذ هذه الخطوات لدرئه . ولنفكر الآن فيما عساه أن قد يحدث بعد مضى خمس سنوات على ذلك عندما كان المطر ينهمر انهماراً عظيما فى النوبة لدرجة أن « جعل كل التلال تلمع (V,a) » . وبدهى أن هذه التحصينات الواهية كانت قد اكتسحت وأن الخشب والجص قد سقطا ، والجدران المقامة من اللبنات قد تداعت . وكان « تهرقا » فى هذا الوقت فى مصر ولكنه كان قد وقف فى طريقه سابقاً فى « الكوة » ليظهر تقاه عند المعبد . ولا نزاع فى أن ذلك كانت قد عملته الملكة الوالدة « أبار » عندما ذهبت لمصر ؛ ويحس الإنسان أنها لا بد هى التى كانت قد قوت عزيمة « تهرقا » ليرى هذا المعبد مرة أخرى وهو فى حالة نظام حسنة .

ولنلخص الآن المواد التأريخية التى يمكن أن نحصل عليها من هذا التفسير .

لقد كان المتفق عليه حتى الآن أن نضع السنة الأولى لحكم «تهرقا» فى عام ٦٨٨ ق.م (السنة الفلكية ٦٨٧ ق م) وذلك ارتكازاً على لوحة عجل من عجول أبيس (Br., A. R. § 959) ونفهم مما جاء عليها أن أبيساً كان قد ولد فى السنة السادسة والعشرين من عهد «تهرقا» ونصب فى نفس السنة (فى السنة الأولى) من حكم «بسمتيك الأول» وهى السنة ٦٦٣ ق.م وقد أفضت بحوث الأثرى «بورخارت» الأخيرة به فى هذا الموضوع أن يضع السنة الأولى من حكم «تهرقا» فى عام ٦٨٩ ق.م (Mittel. p. 65). وإذا كان «تهرقا» كان قد أصبح حاكما منفرداً فى السنة السادسة من حكمه فإن ذلك يجعل موت «شبتا كا» فى عام ٦٨٣ ق م. ولدينا مقياس نيل فى مرسى الكرنك نعلم منه أن «شبتا كا» كان قد توج فى السنة الثالثة. وهذا لا يعنى إلا أنه كان مشتركا مع شبكا منذ سنتين مضت وهذا يحبذ نظريتنا القائلة أن «شبتا كا» كذلك أشرك معه «تهرقا» على عرش البلاد. وهذا التاريخ قد وضعه بورخارت فى عام ٦٩٦ ق م، ومن ثم يكون التاريخ ٦٩٨ ق م هو تاريخ الاشتراك، وأعلى سنة مسجلة لحكم «شبكا» هى الثانية عشرة وعلى ذلك فإن أول سنة لحكمه لا بد أن تكون حوالى عام ٧٠٧ ق م. وأخيراً لما كان «تهرقا» فى العشرين من عمره عند اشتراكه فى الحكم فى عام ٦٨٨ فإنه يكون قد ولد فى عام ٧٠٨ ق م. وهذه الاستنباطات يمكن وضعها فى القائمة التالية:

ولادة «تهرقا»	٧٠٨ (٧٠٩ ق م)
تولى أو اشتراك «شبكا»	٧٠٧ (٧٠٨ ق م)
اشتراك «شبتا كا»	٦٨٩ (٦٩٩ ق م)
موت «شبكا» و «شبتا كا» يصبح ملكا منفرداً	٦٩٦ (٦٩٧ ق م)
اشتراك «تهرقا» فى الملك	٦٨٨ (٦٨٩ ق م)
موت «شبتا كا» وتولى «تهرقا» ملكا منفرداً، زيارة «آبار»، نيل عال خلاف العادة وإقامة معبد T «بالكوه»	٦٨٣ (٦٨٤ ق م)

الافتتاح الرسمى لمعبد T ٦٧٩ (٦٨٠ قم)

وعلى هذا الزعم نجد أن البيان الذى ورد فى كتاب الملوك الثانى الاصحاح ١٩ السطر ٩ وهو القائل إن عدو سنخرب فى « التاقا » فى عام ٧٠١ ق م كان « تهرقا » هو بلا نزاع غلطة ، إذ كان فى ذلك الوقت فى الثامنة فقط من عمره ، وتحدثنا اللوحة رقم ٥ بأنه لم يترك والدته فى بلاد النوبة إلى أن بلغ العشرين من عمره (Kawa I, V, 16-17) .

والتفسير الأخير للجملة التى نبحثها ليس فيه ما يحبذه ، غير أنه من الوجهة النحوية مقبول . وعلى حسب هذا التفسير نجد أن السنة الأولى من حكم « تهرقا » تتفق مع سنة تتويجه ، غير أنه لا بد من وجود بعض السبب لتفسير تأخر مدة خمس سنوات قبل تسجيل بناء معبد « الكوه » ، ومرور مدة سنتين (K.I, V, 17-18) قبل وصول الوالدة الملكة لتأخذ مكانتها الشرعية بجانب «تهرقا» فى مصر . وعلى أية حال فإن شك « بورخارت » فى مقياس النيل وارتفاعه فى عهد الملك « شبتاكا » تقلل كثيراً من قيمة هذا التفسير وعلى ذلك فإن التفسير الأول هو الذى اتبع .

والأرقام التى ذكرت أعلاه هنا تخصص خمس عشرة سنة لحكم « شبتاكا » ولكن من جهة أخرى نرى أن كلا من « سينسلس » (Syncillus) و « يوزيب » (Eusebius) ويخصص له اثنتى عشرة سنة ويعطيه « أفريكانوس » أربع عشرة سنة وهى أرقام تقرب من الرقم الصحيح أكثر من التى خصصت لحكم « تهرقا » . هذا ولا يمكننا أن نصدق البيان الذى أدلى به « مانيتون » وهو القائل إن « تهرقا » قد قاد جيشاً من « كوش » وذبح « شبتاكا » واستولى على التاج ، وذلك لأن أمر اشتراكه مع « شبتاكا » على عرش الملك يظهر أنه أمر قد تقرر ولأن « شبتاكا » كما يقال قد أحب « تهرقا » أكثر من كل أخوته ومن كل أولاده (IV, 9, V, 14) . (راجع Kawa I, Inscriptions Text IV. p. 18 note 30) .

اللوحة رقم ٥

لوحة الفيضان (المؤرخة بالسنة السادسة من حكم الملك تهرقا)

عثر على هذه اللوحة بجوار اللوحات السابقة فى الردهة الأولى بالمعبد المعروف باسم T فى الكوة (جماتون) وكانت مرتكزة على النصف الشمالى للجدار الشرقى على الجانب الجنوبى وهى موجودة الآن بمتحف « نى كالزبرج جلبتوتيك » بمدينة كوبنهاجن [(١)] .

وتبلغ مساحة هذه اللوحة ١,٠٢ × ١,٢٢ × ٣٣ و٠ متراً وهى مصنوعة من الجرانيت الرمادى ونقشت من الوجه فقط ويتألف المتن الذى عليها من اثنين وعشرين سطراً . والمناظر التى فى الجزء الأعلى منها المستدير محفورة حفراً غائراً . وعندما عثر على هذه اللوحة كانت فى حالة سليمة إلا النهاية اليسرى من منظر الجزء الأعلى ، وكذلك نهايات الثلاثة العشر سطرا الأولى من المتن . ومما يؤسف له أنها عندما شحنت هشمت قطعاً . ويحد أعلاها وجانباها بعلامة السماء وصوبجانين على التوالى. ويشاهد أسفل علامة السماء قرص الشمس المجنح محلى بصلين وفى أسفل الجناحين نقش : صاحب بحدتى الإله العظيم سيد السماء . ونقش على اليمين وعلى الشمال وفى الوسط : رب السماء .

وفى أسفل هذا يشاهد المنظران التاليان يفصلهما سطران من النقوش .

فالمنظر الذى على الجانب الأيسر نقرأ فيه : الإله الطيب رب الأرضين « خو — رع نفرتم » بن رع من جسده « تهرقا » معطى الحياة مثل رع أبديا . وأسفل هذا يشاهد « تهرقا » يقدم رغيفاً أبيض هرمى الشكل لوالده « آمون » لأجل أن يمنحه الحياة . وأمامه آمون رع رب جماتون يقبض على صوبجان « واس »

---

(١) راجع Ny Karlsberg Glyptotek, Copenhagen. The Temple of Kawa I, The Inscriptions Text. p. 22 Pls. 9, 10.

وعلى رمز الحياة (عنخ) وخلفه الكلمات التى فاه بها وهى : « إنى أمنحك كل الحياة والفلاح وكل الصحة وكل السعادة مثل رع أبديا ، وتقف خلف تهرقا أمه التى تدعى « أبار » مرتدية جلبابا طويلا شفيفا مسبلا على الكتف حتى الكعب و يتدلى منه قطعة من الخلف تشبه الذيل . ويلاحظ أنها تلعب بالصناجة لوالدها آمون لأجل أن تمنح الحياة ، وهى كذلك ترفع يدها اليسرى فى هيئة تعبد .

وعلى الجانب الأيمن نشاهد « تهرقا » كما وصف على الجهة اليسرى واقفا يقدم إناءين من النبيذ لآمون رع الممثل برأس إنسان ونقش معه : آمون رع رب عروش الأرضين ورب السماء ويقبض بإحدى يديه على الصولجان وفى الأخرى رمز الحياة ، ونقش معه المتن التالى : تقديم النبيذ لوالده آمون ليمنح الحياة . وأمامه آمون رع برأس انسان ونقش معه : آمون رع رب عروش الأرضين ورب السماء و بيده علامتا الصولجان والحياة وخلفه المتن التالى : ما قيل : إنى أمنحك كل الحياة والفلاح وكل الثبات وكل السعادة مثل رع أبديا . وتظهر « أبار » والدة « تهرقا » واقفة خلفه ونقش معها اللقب والصيغة على الجانب الأيسر و يلاحظ هنا أن ثوبها يحتوى على ثنية مدلاة من كتفها اليسرى .

المتن الرئيسى لهذه اللوحة : هذا المتن يختلف عن المتون الأخرى التى عثر عليها فى هذا المعبد . وقد نشره من قبل الأستاذ جرفث[1] فهو لا يتحدث عن التاريخ المحلى . وقد عثر معه على عدة روايات أخرى واحدة فى « قفط » وأخرى فى « المطاعنة »[2] وثالثة فى « تانيس »[3] ومتن الفيضان الذى عثر عليه فى الكوة وهو المعروف بالمتن الخامس على حسب ترتيب وجود المتون فى المعبد يتألف بعد التاريخ

(١) راجع Griffith, Melanges Maspero I, 423—430

(٢) Vikintiev. La haute crue du Nil et l'averse de l'an 6 de Taharqa, La Caire 1930.

(٣) راجع Kawa I : Kuenz. Mel. Maspero I. 430-432, Leclant et Yoyotte, Kemi, 10, 28-37 Pl 2-3,

والألقاب الملكية من (ا) سرد قصة طويلة خاصة بسعادة البلاد وفيضان عال للنيل حدث معه مطو غزير جارف ، (ب) ويتلو ذلك فى المتن خطاب يشير فيه الفرعون « تهرقا » إلى حدوث أربع عجائب حدثت فى السنة السادسة وتذكر بسوابقها والأحوال التى توج فيها فى مصر (وهذه القصة نجد شبيهها فى المتن السابق) كما يحدثنا الفرعون عن وصول والدته « أبار » التى كانت حتى هذا الوقت فى بلاد النوبة ، (ج) وأخيراً يحدثنا عن وصف العواطف والأحاسيس التى أظهرتها هذه الأميرة ، (د) وكذلك شعور القوم بعد مقابلة الملك بأمه ، (ه) وإذا قرنا الروايات التى وصلت الينا من هذا المتن نلحظ أن كلا من متن « قفط » و « المطاعنة » لا يحتوى إلا على القصة (ب) ، ولكن يشتملان فى الألقاب الملكية على سلسلة نعوت لا نجدها فى متن الكوة (ا) . أما متن تانيس فيحتوى على العناصر ا ، ب ، ج ، د ، ه وبعبارة أخرى يقدم لنا هذا المتن أتم رواية معروفة عن هذا المتن حتى الآن . وقبل أن نتحدث عن كنه هذا المتن وما ينطوى عليه من معلومات هامة سنورد ترجمته الحرفية على حسب ما جاء فى روايات لوحات الكوة وقفط والمطاعنة وتانيس .

السنة السادسة فى عهد جلالة حور (المسمى) قا — خعو ، السيدتان (المسمى) « قا — خعو » ، حور الذهبى المسمى « خو — تاوى » ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (المسمى) « خو — رع — نفر — تم » [1] { الإله الطيب بن آمون رع ، والرمز الفاخر لآتوم ، والبذرة الطاهرة التى خرجت منه ، ومن خلق جماله فى جنوبى جداره ، ومن حملته « موت » سيدة السماء ، والفرد الوحيد المقدس الذى خرج من جسد الإله ، وهو ملك للوجه القبلى والوجه البحرى لم يأت الوجود مثيله (سابقاً) ومن لأجل أن ينشأ ويرفع ويسر اجتمع تاسوع الآلهة معاً ، وأنه هو الذى قبض على الممالك وأخضع الأقواس التسعة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى

---

(١) المتن الذى بين القوسين } { لا يوجد فى متن الكوة ولكنه وجد فى متنى قفط والمطاعنة .

« حور » القوى الساعد رب الأرضين وسيد العمل العظيم } ابن رع « تهرقا »[(١)] ليته يعيش أبديا المحبوب حقاً من « ماعت » وممن أعطاه « امون » الحق ، ليته يعيش أبدياً .

والآن فإن جلالته محب للاله (٢) وأنه يصرف النهار ويمضى الليل باحثا عن مصلحة الآلهة مقيما معابدهم (التى كانت قد آلت) للخراب ، وناقشا صورهم كما كانت فى البداية ، ومقيما مستودعاتهم ومموناً (٣) موائد قربانهم ، ومخصصا لهم دخلا من كل نوع ، وصائغاً موائد قربانهم من الذهب الجميل والبرنز . وفضلا عن ذلك فإن قلب جلالته فرح بعمل خيرات لهم كل يوم . وهذه الأرض كانت فى فيض (٤) فى زمنه كما كانت معتادة أن تكون فى أيام سيد الكون ، فكل إنسان ينام حتى نور النهار دون أية رغبة لم تجب ، لأن العدالة قد أدخلت فى كل البلدان ، والظلم سُمِّر فى الأرض (أى أصبح مشلولا) .

(٥) وحدثت معجزات فى زمن جلالته فى السنة السادسة من حكمه ولم تر مثلها منذ زمن أولئك الذين غبروا ، لأن والده « آمون رع » قد أحبه كثيراً . وقد كان جلالته (٦) يصلى من أجل فيضان من والده آمون رع رب تيجان الأرضين ليمنع حدوث قحط فى زمنه . والواقع أن كل شئ كان يخرج من شفتى جلالته كان والده « آمون » يجعله يظهر للوجود ، وعندما أتى الفصل الخاص بارتفاع (٧) الفيضان ، فإنه استمر يفيض على الأرض بكثرة كل يوم ، ومضت أيام كثيرة يعلو بنسبة ذراع يوميا ، وقد اخترق تلال الوجه القبلى وغمر تلال الوجه البحرى ، وأصبحت الأرض محيطا أزليا أى رقعة راكدة ، ولم يكن هناك مميزا (٨) للأرض من النهر ؛ وقد فاض الى ارتفاع إحدى وعشرين ذراعا وشبرا وأصبعين ونصف أصبع

(١) نجد بدلا من الكلمات ما بين (ا ، ب) فى متن المطاعنة محبوب الإله « حن » سيد « حفات » ولكن نجد فى قفط كسرا يمكن أن يصلح بما يأتى : محبوب (مين رب قفط)

عند مرسى طيبة[1] . وجعل جلالته تحضر له تواريخ الأجداد ليرى نوع الفيضان الذى حدث فى أزمانهم ، ولكن لم يوجد مثيله هناك ، (٩) وفضلا عن ذلك أمطرت السماء فى بلاد النوبة وجعلت كل التلال تلمع (بالماء) وكل انسان فى النوبة كان لديه رخاء فى كل شئ ، وكانت مصر فى عيد سعيد ، وحمدوا جلالته وكان قلب جلالته سعيدا للغاية من عمل والده (١٠) « آمون » لفائدته ، وأمره بعمل قربان لكل الآلهة ، وكان قلبه منشرحاً مما عمله والده لمنفعته لأجل أن يعطى كل الحياة والثبات والفلاح والظهور على عرش « حور » مثل « رع » سرمديا . وقال جلالته : إن والدى « آمون رع » رب عروش الأرضين قد عمل لى أربع معجزات[2] حسنة فى مدة سنة واحدة وهى السنة السادسة من حكمى ، (١١) ومثل ذلك لم ير منذ عهد أولئك الذين كانوا فى الأزمان الغابرة ، فإن الفيضان قد أتى كلص الماشية ففاض على هذه الأرض ، ولم يوجد مثله مكتوباً فى زمن الأجداد ، ولم يقل أحد : لقد سمعت من والدى (مثل ذلك) فقد جعل الزراعة (١٢) كلها حسنة من أجلى ، وقتل الفيران والأفاعى

(١) عمل فنتر باشا (Ventre Pasha) على حساب ان الذراع فى مقياس النيل هو ٠,٥٢٧ من المتر عندما كان يتحدث عن المقاييس التى ذكرها الأثرى بلجران (A. Z., 34 p. 100--1) عن منسوب النيل الذى حسب به ارتفاع النيل فى عهد كل من الملوك « شبكا » و « شبتاكا » وبسمتيك الأول فى مناسيب النيل التى سجلت على مرسى الكرنك ، وقد وجد أن هذا المنسوب هو ٦٣,٩ مترا عن سطح البحر فى عهد الملكين الأولين و ٦٣,٨ مترا فى عهد الملك بسمتيك ، هذا ولا يمكن عمل إحصاءات للقراءة صفر لعلامات المناسيب الأخرى للنيل لأن هذه لم تكن مصحوبة بمقاييس معبرعنها بالأذرع والأشبار والأصابع على حسب النظام القديم . وكان ارتفاع النيل للسنة السادسة من عهد « تهرقا » عند مرسى الكرنك قد دون مرتين بارتفاعات تقابل على حسب رأى فنتر باشا ٧٥,٠٢ مترا و ٧٥,٠٢ مترا والرقم الأخير هو أعلى رقم سجل على المرسى ، وكذلك أعلى رقم عرف فى الأزمان القديمة ولحسن الحظ أمدنا متن اللوحة التى نحن بصددها بالمقاييس المفقودة للنسوب العلوى بالأذرع والأشبار والأصابع وعلى أساس نفس هذا الذراع كالذى استعمله فنتر باشا فانه يقدر لنا قراءته من صفر تبلغ ٦٣,٩ مترا وهذه القراءة تقدم لنا ضابطا مفيدا وعلى ذلك فانه من المؤكد أن القراءة التى أوردناها هنا هى التى أخذت عند الكرنك ودونت على المرسى .

(٢) ترجم ماكادم : عمل له هذه المعجزات الأربع وهذا ما لا يفهم من سياق المتن كما سنرى بعد فى التعليق على هذا المتن .

التى كانت فى وسطها ، وأقصى عنها نهم الجراد ، ومنع رياح الجنوب من حصدها ، (١٣) ولكنى حصدت المحصول فى مخازن لا حصر لها أى شعير الوجه القبلى وشعير الوجه البحرى ، وكل غلة تنمو على سطح الأرض . وقد أتيت من النوبة فى صحبة إخوة الملك الذين طلبهم . ولما كنت موجوداً مع جلالته فإنه فضلنى على كل إخوته وعلى كل أولاده حتى أنى ميزت عليهم من جلالته وقد كسبت قلب الناس وبعثت الحب عند كل الناس ،(١٥) وقد توجت فى «منف» بعد أن طار الصقر إلى السماء (أى مات الملك) . وأمرنى والدى آمون أن أضع أرض كل إقليم تحت قدمى جنوبا حتى « رتحو — قابت » وشمالا حتى (١٦) « قبح حور » (الحدود الشمالية للدولة المصرية) وشرقا حتى شروق الشمس وغربا حتى غروبها .

(والحالة هذه) كانت (أمى) فى بلاد النوبة أعنى أخت الملك ، حلوة الحب ، والأم الملكية (المسماه) « أبار » ليتها تعيش ، وكنت (١٧) قد افترقت عنها وأنا شاب فى العشرين من عمرى عندما أتيت مع جلالته الى مصر السفلى ، وعلى ذلك حضرت شمالا لترانى بعد فترة (١٨) من السنين ، وقد وجدتنى متوجاً على عرش حور ، وتسلمت تيجان رع ، والصلان وضعا على رأسى ، وكانت كل الآلهة تحمى جسمى ، وقد فرحت للغاية (١٩) بعد أن شاهدت جمال جلالته كما شاهدت « ازيس » ابنها « حور » متوجا على عرش والده بعد أن كان شابا فى عش إخميس[1] (= المكان الذى نشأ فيه حور فى الدلتا) ، وقد انحنى حتى الأرض الوجه القبلى (٢٠) والوجه البحرى وكل مملكة أجنبية أمام هذه الأم الملكية ، وفرح جداً مسنوهم ومعهم شبانهم وهللوا لهذه الأم الملكية (٢١) قائلين : إن « ازيس » عندما استقبلها « حور » كانت مثل الأم الملكية الآن عندما انضمت ثانية إلى إبنها . أنت يا ملك الوجه

(١) المكان الذى ولد فيه حور وترعرع وخميس هذه يظهر أنها كانت فى الموقع الذى تقوم عليه قرية كوم الخبيزة الحالية فى شمال الدلتا .

القبلى والوجه البحرى « تهرقا » (ليتك تعيش أبدياً !) محبوب الالهة أنك ستعيش مخلداً بأمر والدك آمون (٢٢) الإله الممتاز الذى يحب من يحبه ويعترف بمن هو موال له ، والذى جعل والدتك تنضم لك ثانية فى سلام حتى يمكن أن تشاهد جمالك الذى أوجده لك يأيها الملك القوى ليتك تعيش وليتك تكون فى صحة كما عاش «حور» لوالدته « إزيس » . وأنك ستظهر على عرش « حور » أبد الآبدين .

تعليق : إن من ينظر فى هذا المتن بعين فاحصة لا يتردد فى أنه خطاب رسمى يمكن أن يطلق عليه اسم المتن الكبير لاسنة السادسة من حكم « تهرقا » فهو إذاً بهذا الوصف موجه لكل أنحاء الامبراطورية المصرية ولا سيما أنه قد وجد منشوراً فى فى كل أرجائها . وتدل شواهد الأحوال على أنه متعدد النواحى . فهو يحدثنا عن فيضان معجز كما يتحدث عن وفود الملكة « أبار » أم الملك « تهرقا » وقد أحدث مجيئها هذا من بلاد النوبة إلى أرض الكنانة هزة فرح وابتهاج .

والواقع أن تحليل هذا المتن بهذه الكيفية يقف حجر عثرة فى سبيل فهم هذا المتن كما فهمه مكادم عندما أخطأ على ما أظن فى إضافة كلمة « هذه » لعبارة معجزات أربع فى السطر العاشر من أسطر هذه اللوحة (١) . وعلى أية حال فإننا إذا سلمنا بذلك لا نجد إلا معجزتين فى الجزء (ب) من المتن الكبير .

هذا ونجد من جهة أخرى أن الأثرى مكادم قد طلع علينا فى شرحه للوحتين الرابعة والخامسة بنظرية جديدة اقترح فيها أن « تهرقا » كان مشتركا مع « شبتاكا » فى الحكم مدة ست سنوات قبل موت الأخير . ويترتب على الأخذ بهذه النظرية مجموعة أمور خاصة بمصائر الشاب « تهرقا » (١) وتاريخ إعادة بناء معابد « الكوة » (٢) وتفسير للمعجزات التى حدثت فى السنة السادسة (٣) ؛ وهذه الأمور تظهر على الأقل أنه يمكن مناقشتها ! فلا نجد أولا فى المتن الأصلى ما يوحى بتقديم تاريخ

(١) راجع Macadam, Kawa I text, p. 29 line 10

بداية حكم « تهرقا » الأصلى بأية حال من الأحوال ، هذا فضلا عن أن ذلك لا يتفق مع بعض الحقائق التاريخية الكوشية . وإذا فحصنا ما جاء فى اللوحتين الرابعة والخامسة بخصوص مجئ « تهرقا » واعتلائه عرش الملك فإنا لا نجد فيهما ما يوحى بتتويج « تهرقا » مرتين قط وعلى ذلك فإنه لا محل هناك لاشتراك « تهرقا » مع « شبتاكا » على عرش الملك . وبهذه الأوضاع يكون تاريخ نشاط تهرقا فى «الكوة» كما يأتى على حسب المتون التى تناولناها أو سنتناولها فيما بعد .

(١) فى السنة الأولى من حكمه اهتم الملك « تهرقا » بالمعبد الذى شاهده فى حالة خربة كما جاء فى الأسطر ١٢ — ١٣ من اللوحة الرابعة .

(٢) فى السنين من ٢ — ٥ عمل الملك « تهرقا » هبات (المتن ٣ من سطر ١ — ٩) .

(٣) فى السنة السادسة اتخذ الملك قراراً لإقامة معبد جديد (اللوحة ٤ سطر ١٤ الخ) .

(٤) فى السنتين من ٦ — ٧ منح هبات متنوعة (اللوحة ٣ الأسطر ١٠ — ١٣) .

(٥) فى السنين من ٦ — ١٠ انتهى العمل فى المعبد بوجه عام : إذ فى السنين من السادسة إلى الثامنة تمت الأعمال الكبيرة وفى السنة الثامنة ابتدأ استعمال المعبد : فقد أهدى المعبد أدوات شعائر هامة (٣ سطر ١٦ — ٢١) وكميات هائلة من الغلال (٤ سطر ١ — ١٦) ، وفى نفس هذه السنة ألف المتن رقم ٣ وهو الخاص بقوائم السنين من ٢ — ٨ ؛ وتم فى السنين من الثامنة إلى العاشرة عمل الزخرفة (المتن ٤ سطر ٢٣ والمتن ٦ سطر ١٧ — ١٨) .

وفى السنة العاشرة كان الافتتاح الرسمى للمعبد كما جاء فى المتن السابع .

أما من حيث المتن الكبير والمعجزات الأربع الخاصة بالسنة السادسة من عهد

« تهرقا » فإن المتن بعد أن قص علينا قصة فيضان هائل حدث بسبب الأمطار الجارفة يقول : إن والدى « آمون رع » رب عروش الأرضين قد صنع لى أربع معجزات حسنة فى سنة واحدة وهى السنة السادسة من تتويجى ملكا . . . وعند ما أتى بفيضان ليحمل المواشى وليعرف كل البلاد قاطبة . . . فإنه منحنى حصاداً حسناً فى كل امتداده ، وقد أهلك الفيران والزواحف التى كانت توجد فيه ، وقد صدّ تخريب الجراد ولم يسمح لرياح الجنوب بحصده (أى المحصول) . وقد كان فى مقدورى إذاً أن أحصد لمخزن الغلال المزدوج كمية لا تحصى . . . » .

ويرى الأثرى « مكادم » أن هذه المعجزات الأربع الحسنة التى حدثت فى سنة واحدة وهى السنة السادسة من حكمه هى : (١) فيضان النيل ، (٢) الأمطار الغزيرة ، (٣) تتويج تهرقا عند موت سلفه ، (٤) ومجئ الملكة الوالدة لمصر . وينتج عن هذا التفسير أن موت « شبتاكا » وتتويج آخر للملك « تهرقا » قد وقعا فى السنة السادسة من حكم الأخير .

وهذا يعنى أنه كان هناك اشتراك فى الملك بين هذين الملكين لمدة ست سنوات . وهذا الوضع على ما يظهر فيه عقبات خطيرة إذ يظهر من جهة أنه من الصعب البحث عن معجزتين من المعجزات الأربع فى المتن الأصلى الخاص بالفيضان ، كما يجد القارئ فى الترجمة التى أوردناها هنا ، بل الواقع أنه إذا طبقنا كلمة معجزات على تقويم الحياة الزراعية فإن ذلك يفسر بصورة أحسن أن السنة السادسة من حكم هذا الفرعون قد ميزت بمحصول وفير سببه فيضان ومطر هائلان (وهما نفسهما قد عدا معجزتين) أتيا كما يظن بعد عدة سنين كان النيل فيها منخفضاً ، وإذا كان ذلك الفيضان الهائل لم يسبب أية أضرار كان منتظراً حدوثها كما هى العادة عند حدوث فيضان عال جداً فإنه يمكننا مع كل تحفظ أن نورد هنا التفسير التالى لما قاله الفرعون عن السنة السادسة من حكمه بخصوص المعجزات الأربع : علم « تهرقا » أنه بفضل حماية رباعية على يد « آمون » كانت مقومات

الحياة العامة مضمونة بكرم ، يضاف إلى ذلك الخبر السار وهو زيارة أمه ، وعلى ذلك فإنه بهذه الكيفية يكون موضوع اعتلائه العرش ليس إلا مقدمة لهذا الحادث الأخير ، ولا يشير هنا بأية حال من الأحوال إلى تتويج ثان للفرعون . وعلى ذلك فإن نظرية مكأدم على ما أعتقد لا ترتكز على برهان قاطع ومن ثم فإنه ليس من الحكمة الأخذ بها بصفة قاطعة .

وعلى حسب نظرية مكأدم يكون تواريخ الأسرة الخامسة والعشرين كما يأتى « شبكا » ٧٠٨ — ٦٩٧ ق . م ، « شبتاكا » من ٦٩٩ — ٦٨٤ ق . م و « تهرقا » ٦٨٩ — ٦٦٤ ق . م .

ولأجل أن يحفظ تاريخ مكأدم تماسكه الداخلى لابد أن نعترف بجانب اشتراك « شبكا » و « شبتاكا » فى الحكم واشتراك « شبتاكا » و « تهرقا » ، اشتراك « بيعنخى » و « شبكا » ، وهذه نظرية لا يمكن الانسان أن يرفضها بصفة قاطعة وبخاصة عندما نعلم أن « بيعنخى » قد جاء ذكره على تمثال فى المتحف البريطانى (Brit. Mus. 2442 and C.A.H.III, 277 Note 1) بوصفه عاش أبديا . وقد تساءل الأثرى « هول » : هل ذلك يعنى أن « بيعنخى » كان لا يزال على قيد الحياة فى السنة الخامسة عشرة من حكم « شبكا » . وإذا تذكر الإنسان أن تانوتأمون نفسه كان على ما يظهر قد توج فى حياة « تهرقا » (راجع H.V Zeissl. Athiopen. and Assyrer, p. 48) فإنه يلوح فى الواقع أنه من المحتمل جداً أن ملوك « كوش » كان من مبادئهم أن يشركوا خلفهم معهم على عرش الملك . ولكن إذا أخذنا مع ذلك كل ملك منهم على حدة من حيث هذا الاشتراك على عرش الملك المزعوم فإننا لا نجد ما يدعمه من البراهين القاطعة ، وهذا ما يجعل نظرية الأثرى مكأدم فيما يخص اشتراك « تهرقا » مع « شبتاكا » فى عرش الملك واهية الأساس .

هذا ويلحظ أن إعادة نظر مكأدم فى تاريخ ملوك « كوش » قد حدا به إلى جعل « شبتاكا » يحكم مدة خمس عشرة سنة . على أن آخر تاريخ معروف له هو السنة الثالثة ،

والواقع أنه حتى لو قبلنا أنه فى عهده عاق النشاط الفنى عقبات سياسية واقتصادية فإن العدد المحدود نسبياً للآثار الملكية الضخمة والصغيرة منها إذا ما قرنت بسلسلة الآثار الهامة التى أنجزها كل من « شبكا » و « تهرقا » تجعل حكمه أقصر مما فرضه مكأدم ، والواقع أن جهلنا الفعلى بمدة حكم هذا الملك تجعل موضوع التأريخ المطلق للعهد الكوشى أمراً مبهما .

والواقع أن العناصر التى فى متناولنا من جهة أخرى لأجل تقرير هذا التأريخ هى بلا نزاع غير كافية أبداً :

فنجد أولا أن المدد التى حصلنا عليها مما نقله إلينا « مانيتون » (راجع Manethon ed. Waddel 167–169) خاطئة جداً فيما يخص « شبكا » فقد ذكر اثنتى عشرة سنة بدلا من خمس عشرة سنة على الأقل وذكر أن «تهرقا» حكم عشرة سنين بدلا من ست وعشرين سنة ؛ وكذلك نجد ما لا يعقل فيما يخص « شبتاكا » فقد ذكر كل من « سنسيلاس » « ويوزيب » أنه حكم اثنتى عشرة سنة ، وذكر إفريكانوس أنه حكم أربع عشرة سنة .

وإذا رجعنا إلى التأريخ الذى جاء فى التوراة فإنه قد حاد عن الصواب فنجد أنه من المتفق عليه غالبا أن نأخذ بما جاء فى كتاب الملوك الثانى الاصحاح ١٩ سطر ٩ وعلى حسبه نجد أن « ترهاقا » ملك « كوش » قد صعد على « سنخرب » فى السنة الرابعة عشرة من عهد (Ezechias) حزقيا (٧٠١ ق . م .) وذلك على فرض أن « تهرقا » قبل أن يكون ملكا بطبيعة الحال كان يقود جيوش «شبكا» وهو الذى تحت حكمه قد اعترف أنه قد نزل إلى مصر ، وذلك على حسب متن « تانيس » المهشم الذى كان وقتئذ المتن الوحيد المعروف . ونحن نعلم الآن من رواية متن « الكوة » الخاص بالفيضان وكذلك من اللوحة رقم ٤ سطر ٨ وهما اللتان نعرف منهما أن « تهرقا » قد أتى إلى مصر فى عهد « شبتاكا » ، أن مثل هذا التفسير الذى نجده فى التوراة يقرر الآن أن خلف « شبكا » قد حكم فعلا فى عام ٧٠١ ق . م . غير أنه

من الأمور المضللة أن نبنى تأريخ الأسرة الخامسة والعشرين على تفسير معاد لمتن لا يعكس علينا إلا ضوء رواية محرّفة .

ولدينا لوحة هبة عثر عليها فى هربيط ومؤرخة بالسنة الثانية من عهد الملك «شبكا» (Louvre E.10571, cf. G. L. R, 4,13, II) يظهر أنها تبرهن على أنه فى هذه السنة كان خلف بيعنخى قد فتح الدلتا فعلا بانتصاره على «بوكاريس» . ولما كانت متون سرجون تسمح بوضع هذا الفتح بعد السنة ٧١٥ ق . م ، أو على أكثر تقدير عام ٧١١ ق . م (راجع Meyer, Gesch des Altert. III, [ed. 1938], 41) فإنه يمكننا أن نعترف أن السنة الثانية من عهد « شبكا » تقع بين تاريخين محددين وهما السنة ٧١٤ (ويكون الفتح قد حدث فى خلال السنة الثانية من حكمه) والسنة ٧١١ (ويكون فى هذه الحالة قد حدث فى السنة الأولى من حكمه) .

هذا وقد جاء فى رواية عن « هردوت » (Herod. II, 137) على حسب رأى « كافنياك » أن سيادة الكوشيين على مصر قد حددت بنحو خمسين سنة أو بعبارة أدق على أرض الدلتا . هذا ولما كنا نعلم أن تسلط « بسمتيك الأول » على « منف » قد حدد بعام ٦٦٤ ق . م فإنه من المستطاع تحديد مجىء « شبكا » إلى مصر حوالى ٧١٤ ق . م وهى حادثة على حسب ما جاء فى لوحة الهبة كان يمكن أن توضع فى سنة من السنتين الأوليين لحكم هذا الملك .

وعلى أية حال سواء أكان هناك اشتراك فى الحكم أم لا فإنه يمكن أن نضع مع التحفظ القائمة التالية عن تواريخ ملوك « كوش » وهى قريبة جداً من القوائم الأخرى : حكم «شبكا» من ٧١٥ — ٧٠١ ق م ، «شبتا كا» من ٧٠١ — ٦٨٩ ق م و « تهرقا » من ٦٨٩ — ٦٦٤ ق م . (راجع Bull.Inst.F. Tom LI,p.27) . وهذا لا يختلف كثيراً عما أوردناه فى الجزء الأول من تاريخ السودان (راجع مصر القديمة الجزء العاشر ص ٤٦٨) .

اللوحة رقم ٦ [1]

الخاصة بالملك تهرقا من السنة الثامنة إلى العاشرة من حكمه

وجدت هذه اللوحة فى المعبد T بالردهة الأولى ملقاة على الأرض بوجهها إلى أعلى فى الجنوب الغربى للعمود التاسع وبرأسها فى الشمال الشرقى . وهى الآن بمتحف « مروى » وتحمل رقم ٥٣

وأبعاد هذه اللوحة هى ١,٨٢ × ٠,٨٥ × ٠,٣٠ مترا . وهى منحوتة فى الجرانيت الرمادى وحجمها ضخم ، وقد كسر جزؤها الأعلى المستدير كما كسر جزء من أسفلها . ويشمل المتن الرئيسى خمسة وعشرين سطرا . مثل فى الجزء الأعلى منها منظران . ففى الجهة اليسرى منظر يمثل الملك « تهرقا » ولم يبق منه إلا القدمان وذيل الحيوان الذى كان يلبسه ، والظاهر أنه كان يقدم بعض قربان للإله آمون رع رب جمأتون ، وخلف آمون رع نقش : إنى أمنحك كل الحياة والفلاح والثبات وكل السعادة أبديا .

وفى الجهة اليمنى نشاهد صورة تهرقا مكسورا رأسها وكذلك كسر الجزء الذى كان فيه الوصف الذى كان معها إلا كلمة واحدة من عبارة « مثل (رع أبديا) » . وقد مثل يقدم رغيفا أبيض لوالده آمون ليمنحه الحياة ، وأمامه آمون رع صاحب الجبل المقدس [2] برأس كبش وأمامه خط أعلاه معوج ثم ينحنى إلى الخلف فوق صورة آمون رع وجزؤه الأسفل عمودى . وهذا الخط يمثل جزءاً من الجبل المقدس أى جبل « برقل » والإله القاطن فى داخله ، ولم يبق من لقبه « آمون رع القاطن فى جبله المقدس »

---

(١) راجع Macadam, The Temple of Kawa, I, Insc. Text VI, p, 32

(٢) يجب أن نذكر هنا أن المعبد B 300 فى « نباتا » هو معبد آمون رع ويحتوى على محراب مقطوع فعلا فى قاعدة جبل « برقل » وقد أقامه « تهرقا » .

إلا كلمة « مقدس » . أما الباقى فقد هشم ، وخلفه نقش : « إنى أمنحك كل الحياة والفلاح والصحة مثل رع أبديا » .

المتن الرئيسى : يعد متن هذه اللوحة تكملة لسجل الهدايا التى بدئ بذكرها على لوحة « الكوة » الثالثة السالفة الذكر وقد اتبعت فيها نفس طريقة التأريخ ، فالسنون فيها معلمة بعلامات السنة ، وهذه العلامات يوجد على سيقانها عدد من الشرط يقابل عدد السنين فالأعمدة من ١ — ٧ تشير إلى السنة العاشرة وهى السنة التى أقيمت فيها هذه اللوحة ، ومن السطر العاشر حتى نهاية النقش يكرر فقط التفاصيل الدالة على قدرة « تهرقا » على تموين المعبد بالخدم والبلدة بالنبيذ الخ ، كما هى الحال فى الجزء الختامى من اللوحة الثالثة السالفة الذكر .

ترجمة المتن : السنة الثامنة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خو — رع نفر — تم » ابن رع « تهرقا » ليته يعيش أبدياً . لقد عمل بمثابة أثره لوالده « آمون رع » سيد « جماتون » .

١ مائدة قربان من البرنز .

١١ (؟) إحدى عشرة آنية كا — حر — كا (؟) كل منهما تحمل قردين .

١٠ . . . .

(٢) ٥٤ . . . .

٥٠ خمسون آنية « ألف سنة » من البرنز (اسم جديد لم يعرف بعد) .

١٥ خمس عشرة آنية دنيت من البرنز .

٥٠ خمسون سكينة من البرنز .

٥ خمس أوانى عش من البرنز (عش = إناء جعة) .

١ آنية عش طويلة من البرنز .

٤ أربع أوانى « قبى » كبيرة من البرنز .

١٠ عشر أوانى « إرس » من البرنز (هذا النوع من الأوانى لم يذكر

فى قاموس اللغة) .

١ صناجة واحدة من البرنز .
١ آنية . . . (٣) من البرنز .
٣ ثلاث أوانى «شفد» من البرنز .
٣ ثلاثة أزواج مناقيش من البرنز .
٧ سبع أوانى « حست » من البرنز .
١ آنية واحدة « زازات» من البرنز .
٥ خمس أوانى « جاش » من البرنز .
(٤) ١ عمود قاعدة موقد .
١ موقد لصهر البرنز .
٥ خمسة مصابيح من البرنز .
٣ ثلاث أوانى «خاوت» من البرنز .
١ آنية واحدة (؟) « نحت » من البرنز .
١ حلقة قاعدة من البرنز .
١ آنية « عا » من البرنز .
١ حلقة قاعدة لمائدة من البرنز .
(٥) ١ آلة من النحاس للقطع .
١ فأس من البرنز يبلغ زنتها ٢٨١ دبنا من البرنز .

٧٨١٥ دبنا (المجموع) .

٨ ثمانية حزم « خرد » من النسيج .
٥٧ سبع وخمسون حزمة من نسيج « زات » .
٢ حزمتان من نسيج « ثتف » (هذه الكلمة لم تذكر فى القاموس) .
١٥ (٦) خمس عشرة سارية من خشب النخيل .

٤ أربع حزم من نسيج « إفد » (كتان فتلته مؤلفة من أربعة خيوط) .
١٠٤ مائة وأربعة خيوط غزل .
٥٦ خمسون وستة قضبان من خشب الزيزفون (عناب ؟) .
١٥ خمسة عشر . . . رتنج مجفف .
١ ذراع واحد من الفضة لأجل أداء شعيرة رش الماء .
٢ آنيتان « ست — منت » من البرنز فيكون المجموع (٧) هو : ١٥١٥ دبنا .

٥٥٠ دبنا من مادة حمراء (سم الفار) وهى التى أهداها ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تهرقا » ليته يعيش أبديا لوالده « آمون رع » سيد « جمأتون » لأجل أن يمنح كل الحياة وكل الثبات والفلاح وكل الصحة وكل السعادة مثل « رع » أبد الآبدين .

(١٨) السنة التاسعة : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تهرقا » ليته يعيش أبدياً . لقد عمل بمثابة أثره لوالده آمون رع رب « جمأتون » :

٦٥١ واحد وخمسون وستمائة دبن من الذهب .
١ مروحة (؟) من الذهب تبلغ زنتها ٩ دبنات من الذهب .
٣٢٠٠ مائتان وثلاثة آلاف دبن من الفضة .
١ مقبض مروحة (؟) من الفضة (؟) .
٢ آنيتان « شو » بحافات من الذهب (مكيال جعة ؟) .
١ حليه « تف » مشغولة بالذهب .
٢ مصباحان من الفضة .
١ منظار نجوم من الذهب من خشب النخيل (لأجل رصد النجوم) .
١ (١٠) مروحة من الفضة والذهب .
١ آنية « شو » من البرنز .

١ آنية « قبي » من البرنز .

١٠ عشر موائد قربان من البرنز .

١ آنية ماء .

١٠٠٠ ألف حبة من السرو .

١٣٤٥٦ ستة وخمسون وأربعمائة وثلاثة عشر ألف دبن (١١) من البرنز .

٢ أوزتان من الفضة يبلغ ثمنهما مائتى دبن من الفضة و ٤ ½ قدات .

١٠ عشر أوانى خاوت من البرنز .

١ آنية لوتيس (أى محلاة بزهرة اللوتيس) .

١٤٧ سبع وأربعون ومائة آنية « هنو » لأجل أن يمنح الحياة والثبات والفلاح مثل رع أبديا .

(١٢) السنة العاشرة : ملك الوجه القبلي والوجه البحرى « تهرقا » ليته يعيش سرمديا لقد عمل بمثابة أثره لوالده آمون رع رب « بجأتون » :

١٥ خمسة عشر دبنا من الذهب .

٥٠٠ خمسمائة دبن من وشب (= خرز) .

١٠٦ ست ومائة دبن من « قمنيت » (معدن يستعمل لصنع لون أصفر) .

٢٠٠٠ ألفا دبن من حجر أزرق للتلوين .

٥٠٠ خمسمائة (١٣) دبن من الشمع .

١٠٠ مائة دبن « سنخ » .

١٠ عشر أوان من القاشانى .

١٠٠ مائة رداء من نسيج « انسى » .

٢٠٠ مائتا رداء من نسيج « إدمى » .

٣٥ خمسة وثلاثون رداء مجدولا بحواف مزركشة (؟) .

٥ (١٤) خمسة أرغفة من اللادن .

٦٠ ستون ورقة من الذهب للحفر (أى لتغطية المسطحات المحفورة) .

٣٠٠ ثلاثمائة دبن من الذهب من بلاده (أى من بلاد الذهب) (هذا التعبير يشبه ما يقال الآن « وارد بلاده ») ، وكل خشب كثير لا يحصى من الأرز والعرعر والسنط . وقد أصبحت كل مدينة تلمع (١٥) بكل أنواع الشجر ، وقد عين له (أى للمعبد) بستانيون من أحسن من فى الواحة البحرية ومثلهم من أهالى الوجه البحرى . ولما كان معبده قد تداعى إلى الخراب فقد أقيم (١٦) بأحجار صلبة جميلة ، وذلك بعد أن وجد جلالته أنه كان مقاماً باللبنات ، وأن الرمال السافية قد وصلت إلى سقفه ، فأقامه بالحجر بصناعة ممتازة (١٧) لم ير مثلها منذ زمن الآلهة حتى هذا اليوم .

وقد أقامه من حجر ممتاز جميل صلب ، وقد رفعت العمد وغشيت بالذهب الجميل ، وطعمت بالفضة و بوابته أقيمت (١٨) بصنعة جميلة ، وركبت أبوابه من خشب ارز حقيق وعملت المزاليج من نحاس أسيوى وحفر اسم جلالته العظيم بكل الكتاب أصحاب الأصابع الماهرة ، ونقشت بصناع (١٩) حاذقين فاقوا ما صنعه الأقدمون ، ومون مستودعه ، وزودت موائدقربانه وملئت بموائد للشراب من الفضة والذهب والنحاس الأسيوى ، وكل أنواع الأحجار الثمينة الحقيقية التى لا تحصى . وملأه بخدم عديدين وعين له خادمات[1] (كاهنات) من أزواج زعماء الوجه البحرى .[2] وعصر نبيذ كروم هذه المدينة (يقصد مدينة جماتون = الكوة الحالية)

(١) وكان الكهنة كذلك يجندون من قوم التحنو وقد سموا فى اللوحة السادسة سطر ٢١ الرجال الذين يعرفون تعاويذهم وهم أبناء عظماء من كل أرض . والواقع أن تعيين أولاد الأقوام المقهورين فى وظائف فى مصر هو صدى لسياسة عظماء الفاتحين خلال الدولة الحديثة وقد كانوا بطبيعة الحال هنا قد تلقنوا تربية مصرية عندما عينوا فى وظائفهم .

(٢) كان صغار ملوك الدلتا أعداء بيعنخى وكانوا بلا نزاع أعداء لأسرته كذلك ، وذلك على الرغم من أن تهرقا كان فى حاجة لمساعدتهم على « اسر حدون » كما سنرى بعد .

وأنه أغزر من نبيذ چس چس[١]، وعين بستانيين له ماهرين (٢١) من «منتيو» أسيا[٢]، وملأ هذا المعبد بالكهنة وهم رجال كانوا يعرفون تعاويذهم وهم أبناء العظماء من كل بلد وحشد بيته بمغنيات ليغنوا أمام وجهه الجميل .

(٢٢) وقد عمل جلالته هذا لأنه كان يحب والده آمون رع سيد جمأتون حبا جما ، ولأنه قد عرف أنه كان ممتازاً فى رأيه سريع الخطا ؛ فهو الذى قد أتى لمن دعاه بسبب المعجزة التى عملها لوالدته وهو فى الفرج قبل أن تضعه ، وذلك لأن أم أمه كانت قد وكلت إليه بوساطة أخيها الزعيم «ألارا» (٢٣) المرحوم بالكلمات التالية : «يأيها الإله الممتاز السريع الخطا، يامن تأتى لمن يدعوك ارع من أجلى أختى فإنها امرأة ولدت معى من فرج واحد . اعمل لها كما عملت لمن عمل لك بمثابة معجزة لم تكن فى الحسبان ولم يدبرها مدبر، لأنك جعلت من يدبر لى السوء يبوء بالفشل (٢٤) ونصبتنى ملكا . فافعل لأختى مثل ذلك ، أشهر أولادها فى هذه الأرض وامنحهم الوصول إلى الفلاح والظهور ملوكا كما فعلت لى » .

وقد أصغى لكل ما قلت ولم يدر أذنه بعيداً عن أية كلمة من كلماتى ، فنُصب ابن رع «تهرقا» (ليته يعيش سرمديا) ملكا (٢٥) . . . . . وليخلد اسمه ويصلح آثاره ويحفظ تماثيله سليمة ، ولينقش اسمه على المعبد ولينطق أسماء جداته ، وليؤسس قرابين جنازية لهن ، وليمنحهن كهنة أرواح كثيرين أغنياء فى كل شئ ليته يمنح الحياة مثل «رع» سرمديا .

تعليق : لا نزاع فى أن محتويات هذه اللوحة تقدم لنا صورة واضحة عن ثراء

(١) چس چس هى بلا نزاع الواحة البحرية وكانت مشهورة بنبيذها . ومما يطيب ذكره هنا أن «آمون» «چس چس» قد مثل فى عهد الاسرة السادسة والعشرين برأس كبش مثل آمون بلاد النوبة .

(٢) وهؤلاء ليسوا بطبيعة الحال من أهل الصحراء بل الواقع أن هذا تعبير يطلق على كل الآسيويين أعداء مصر (راجع Max Müller, Asien & Europa 17—18) .

مصر وبلاد النوبة فى هذه الفترة من تاريخ وادى النيل كما تضع أمامنا صورة عن الأدوات والمعدات التى كانت تقدم للمعابد العظيمة فى ذلك العهد لإقامة الشعائر .

وتدل الأحوال على أن الملوك وقتئذ كانوا يجهزون المعابد بكل ما تحتاج اليه من مواد أولية كانت تزرع فى حقول خاصة وحدائق غنية بجوار المعبد نفسه ولذلك كان الملوك على ما يظهر ينتخبون مواقع هذه المعابد بجوار الأرض الخصبة ولا أدل على ذلك أكثر مما نحن بصدده الآن فإن معبد الكوة قد أقيم فى بقعة خصبة بجوار النيل العظيم .

ولكن أهم ما يلفت النظر فى هذه اللوحة ما تحدث به « تهرقا » عن الأسباب التى أدت إلى اعتلائه عرش الملك بعد «شبتاكا» ، فالأساطير التى وردت لنا نقلا عن كتاب الإغريق هو أنه قتل شبتاكا وتولى بعده الملك . ولكن تهرقا يحدثنا فى لوحاته أنه كان محبباً لقلب أخيه « شبتاكا » أكثر من كل أخوته الذين وفدوا معه من بلاد النوبة بدعوة منه وربما كانت هذه الدعوة للاشتراك فى إخماد نار ثورة قامت فى بلاد الدلتا التى كانت مصدر قلاقل لملوك كوش منذ أن استولوا عليها . فالأحوال إذن كانت مضطربة فى مصر عندما وفد اليها « تهرقا » وهو فى العشرين من عمره . وقد غالى « تهرقا » فى وصف محبة شبتاكا فقال إنه كان يحبه كذلك أكثر من أولاده . وكأنه كان بذلك يهيئ نفسه لتولى عرش الملك بعد وفاة « شبتاكا » فى أعين الشعب وفى عين التاريخ .

كل هذا يشعر بأنه كان هناك شئ خفى جعل تهرقا يحدثنا عن نفسه بهذه الصورة المريبة ثم أنه لم يكتف بذلك بل حدثنا بحديث آخر عن العرش ووراثته فيقص علينا أن الزعيم الارا — وهو شخصية لم يكن قد كشفت عنها النقوش بعد — كان على ما يظهر أول من تولى عرش ملك بلاد كوش وقد أراد أن يستمر الملك فى نسل أولاد أخته فطلب إلى الاله آمون أن يستمع إلى ندائه ويجيب رغبته وقد أصغى اليه آمون وأجاب دعاءه فولى تهرقا عرش الملك وهو من نسل هذه الملكة وقد كان ذلك حافزاً

لتهرقا على بناء معبد له وتجهيزه بكل أثاث فاخر . فماذا يا ترى سبب كل هذه البراهين والبينات التى قدمها لنا تهرقا عن توليه عرش الملك .

لا نزاع فى أن فى الأمر شيئاً جد خطير . فنحن نعلم أنه كان على ما يظهر أصغر أخوته عندما ذهب إلى مصر ليكون مع أخيه شبتاكا ونحن نعلم كذلك فيما بعد أن تولى عرش الملك لم يكن من الأب للابن بل كان ينتقل من الأخ لأخيه وإذا كان الأمر بالسن فى هذه الحالة فإن تهرقا لم يكن هو الوارث الشرعى بل كان هناك من هو أحق منه بالخلافة وإذا كان هذا التقليد لم يكن شائعا بعد فإن الملك كان لا بد أن يكون لأحد أبناء شبتاكا وقد أخبرنا تهرقا فى نقوشه أن شبتاكا كان له أولاد ولكن كان يحب تهرقا أكثر منهم أيضا .

ومن كل ذلك نرى أن « تهرقا » قد أحكم تدبيره للظهور أمام الشعب بأنه هو الوارث الشرعى المفضل من كل الوجوه كما شرحنا . ولكن هل هذه هى الحقيقة الناصعة ؟ فى الواقع تدل شواهد الأحوال على أن « تهرقا » لم يتسلم مقاليد الأمور فى سهولة ويسر بل أنه بعد تولى عرش الملك أخذ يبرر موقفه وليست هذه هى المرة الأولى فى تاريخ وادى النيل بل نجد أن كل ملك اغتصب الملك كان يعمل جاهداً بعد توليه العرش واستتباب الأحوال له على أن ينشر على الناس ما طاب له من البيانات ، وليس هناك من يعارضه ما دام ينشرها على لسان الإله الذى آزره وعززه . وقد نوه « تهرقا » بذلك عندما خاطب فى اللوحة السابعة الإله « آمون » قائلا له « لأنك جعلت من يدبر لى السوء يبوء بالفشل ونصبتنى ملكا » . هذا وقصة تولى ملوك الأسرة الخامسة عرش الملك وهم من الكهنة قصة مختلقة[1] ، وقصة تولى « حتشبسوت » عرش الملك قصة موضوعة لأنها كانت امرأة وأرادت أن تبرر اعتلاءها العرش[2] ؛ وكذلك قصة تولى « تحتمس الثالث » الملك قد ألفها هو بعد تولى

---

(١) راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ٣٢٨ الخ .

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٣١٣ الخ .

عرش الملك بسنين[1] وأخيراً قصة اعتلاء « تحتمس الرابع[2] » ملك أرض الكنانة والحلم الذى رآه فى منامه ومساعدة « بولهول » له على تولى العرش قد ألفها هو بعد توليه العرش و بعد أن قضى على أخوته الذين كانوا حجر عثرة فى سبيل توليه الملك . ونحن لا نشك فى أن « تهرقا » قد لعب دوراً هاماً مثل الدور الذى لعبه « تحتمس الرابع » ولا يبعد إذا أن موضوع قتله « شبتاكا » الذى كان يحبه كما ذكرنا أكثر من كل إخوته وأولاده فيه شئ من الصحة ، غير أن هذا موضوع غامض ، وعلى أية حال يعزز نظريتنا فى هذا الاغتيال ما جاء فى قصة « تحتمس الرابع » عندما كان فى صيده بجوار « بولهول » مع رفقائه والحلم الذى رآه وهو لا يزال أميراً بعيداً من الملك وما جاء فى قصة « تهرقا » عندما كان فى طريقه إلى مصر ماراً بمعبد « جمأتون » وشاهد ما كان عليه المعبد من سوء حال فقد طغت عليه الرمال وغطى بالطين وهكذا كانت الحالة مع « بولهول » فقد كانت الرمال غطت معظمه ، ومن ثم كان على « تهرقا » أن يختلق حيلة لتبرير اعتلائه العرش كالتى اختلقها « تحتمس الرابع » ونحن نرجح كما ذكرنا فى غير هذا المكان أن « تحتمس الرابع » قضى على إخوته الذين كانوا يحولون بينه و بين الملك .

اللوحة رقم ٧

الخاصة بافتتاح المعبد الذى أقامه تهرقا فى جمأتون فى السنة العاشرة من حكمه

وجدت هذه اللوحة فى المعبد T فى الردهة الأولى وقد وجدت مرتكزة على النصف الشمالى من الجدار الغربى على الجانب الجنوبى ، وهى الآن بمتحف « نى كارلسبرج جليبتوتك » بمدينة كوبنهاجن[3] .

وأبعاد هذه اللوحة هى ١,٩٢٥ × ٠,٨٣٩ × ٠,٢٦٣ متراً وقد نحتت

(١) راجع مصر القديمة الجزء الربع ص ٣٩٠ الخ .
(٢) راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ٥ الخ .
(٣) راجع Macadam, The Templs of Kawa I, The Inscriptions Pls. 13, 14. Text. p. 41

من الجرانيت الرمادى ونقشت من وجه واحد فقط ، وتحتوى على سطر واحد أفق وأربعة عشر سطراً عمودياً . وكتبت بحروف كبيرة منحوتة نحتاً جميلا ؛ ولكن مما يؤسف له جد الأسف أن جزءها الأعلى المستدير قد أصبح أسود بفعل النار كما محى جزء كبير منها ، والواقع أن المحفوظ من هذه اللوحة هو الجزء الأعلى المستدير والمنظر والمتن من الجهة اليمنى .

يحد الجزء الأعلى من اللوحة بعلامة السماء وفى أسفل هذه العلامة يشاهد قرص الشمس المجنح والصل ، ونقش تحت قرص الشمس : « صاحب بحدت (أى حور) الإله الطيب » . ويشاهد أسفل هذا منظران يفصلهما عمود من النقوش جاء فيه : « الذى يعطى الحياة والثبات والفلاح والسعادة مثل رع » .

وعلى الجانب الأيسر يشاهد الإله الطيب والسيد المنجز « تهرقا » معطى الحياة واقفاً يقدم رغيفاً أبيض لوالده « آمون رع » صاحب جماتون ممثلا برأس كبش واقفاً وممسكا بيده علامتى السلطة والحياة ومرتديا قرص الشمس والصل .

ويشاهد على الجانب الأيمن الملك « تهرقا » واقفا يقدم رغيف شعت لوالده (أى الآله آمون برأس انسان) رب تيجان الأرضين ، وباحدى يديه علامة الحياة عنخ وبالأخرى علامة السلطة واس ، ويرتدى على رأسه الريشتين ، ونقش خلف الملك : حمايتى والحياة تكونان حوله مثلما هى حول رع » . ثم يشاهد خلف ذلك السطر ، عمود من الرموز الهيرغليفية الخاصة بتأسيس المعبد عادة .

والمتن الرئيسى الذى يأتى بعد ذلك يتلخص فى أنه سجل رسمى للاحتفال بافتتاح معبد «تهرقا» الذى أقامه فى جماتون فى السنة العاشرة من حكمه حوالى عام ٦٧٩ ق . م فى يوم عيد رأس السنة المصرية . وتدل شواهد الأحوال على أن ما جاء ذكره فى النقوش السابقة الخاصة بهذا الفرعون (أى ما جاء فى اللوحات التى تحمل هنا الأرقام ٣ ، ٤ ، ٦ من نقوش الكوة) توحى على ما يظهر بأن المعبد كان قد تم

فى خلال السنين التى أقيمت فيها هذه اللوحات ، غير أن ذلك لا يعنى فى الحقيقة أكثر من أن الأعمال كانت سائرة فى مجراها فى التقدم فى إنجاز المعبد ، وقد بدئ العمل فى هذا المعبد فى السنة السادسة ، وعلى ذلك كان لا بد لإتمامه من أربعة أعوام .

ترجمة ما تبقى من متن هذه اللوحة :

السنة العاشرة الشهر الأول من فصل الفيضان اليوم الأول من[1] عهد جلالة حور المسمى « قا — خعو » والسيدتان (المسمى) قا — خعو ، وحور الذهبى (المسمى) خو — تاوى ، ملك الوجه القبلى والوجه البحرى المسمى خو — رع — نفرتم ، ابن رع (المسمى) تهرقا معطى الحياة ، مثل رع أبديا .

(٢) إقامة وش وتقديم بيت لصاحبه[2] ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تهرقا » ليته يعيش سرمديا . لقد عمل بمثابة أثره معبد والده آمون العظيم الذى فى جمأتون . وقد أقيم من (٣) الحجر بوصفه أثراً باقيا . وقد أقيمت الجدران ورفعت العمد ممكنة ومستمره أبديا . وفضلا عن ذلك أمر (٤) جلالته بإحضار خشب الأرز اللبنانى الحقيق جنوباً لأجل أن تنصب أشجاره (يقصد هنا عمد الأعلام) فى هذا

---

(١) التاريخ هو ٩ فبراير حسب تأريخ جوليان ، سنة ٦٨٠ ق.م. . ويلاحظ هنا أن هذا هو التاريخ الوحيد فى متون تهرقا الذى جاء فيه ذكر اليوم بالتحديد . وتدل شواهد الأحوال على أن اليوم الأول من السنة الجديدة المصرية هو اليوم التقليدى الذى كان يحتفل فيه بالشعائر أو على الأقل آخر واحدة منها .

(٢) لدينا فى هذا المتن ثلاثة اصطلاحات خاصة بشعائر ترتبط بافتتاح معبد جديد وهى (ا) إقامة المعبد (ب) رش المعبد بالنطرون ، وهذا الاحتفال الأخير كان يصحبه موكب يسير حول المعبد وكان يمثل فيه الملك وهو يرمى حبات النطرون على نموذج صغير لمبنى المعبد . وهذا الاحتفال كان لا يعمل إلا بعد الانتهاء من بناء المعبد لا قبله كما ذكر ذلك الأستاذ موريه (راجع Roy. Phar, 137. Fig 30) (ج) والاحتفال الثالث هو تقديم البيت أو المعبد لصاحبه وفى هذا الاحتفال يظهر الملك وهو يقدم نموذجا صغيرا للمعبد الذى أقامه للاله ويحتمل أنه نفس النموذج الذى استعمل فى الاحتفال السابق ، وقد بقى جزء منه فى مناظر معبد تهرقا على الجدار الشرقى لقاعة العمد .

المعبد الذى أقامه جلالته لوالده « آمون » . وقد أضيفت إلى بوابات المعبد (أى الأشجار التى تعنى بها عمد الأعلام) التى عملها جلالته (٥) وإنه هو الذى حفر (الأرض) لأجل الماء البارد الخاص بموائد القربان التى ترضى قلب « آمون » العظيم ، وعمل مخزناً لدخل المعبد الذى أهداه جلالته لوالده .

(٦) والآن فإن جلالته ملك شجاع نصائحه طيبة وأعماله سعيدة . وقد أنجبه والده آمون . . . . وعندما (٧) عرف أن رغبته فى بناء بيت للاله . وفى إصلاح المعبد ، وآنذاك كان جلالته فى البلد (؟) . . . . . . رجال بلاطه . أما من جهة (٨) ما يعرفه جلالته عن معبد والدى « آمون رع » صاحب « جماتون » . . . . أن جلالته قد أقام (٩) ثانية بيت والدى آمون العظيم المكانة من حجر صلب باق طيب (؟) . . . . فى عهد جلالته سيبقى (١٠) ويستمر المحبوب من « بتاح » سوف (؟) . . . . هم ليعملوا مثل (١١) كما بدأ جلالته . . . . . . ذهب . . . . . وقد جعل الإله يثوى فيه (١٢) . . . . . أبديا من اللبنات (١٣) . . . . وهو بجانب ما كان باللبنات . . . . . . (١٤) . . . . . ابن يحمى والده ، وقد عمل لأجل من عمل له (١٥) . . . . . وقد ظهر ملكا على الوجه القبلى والوجه البحرى على عرش حور سرمدياً » .

وبهذه اللوحة تختتم المتون التى عثر عليها فى الكوة « جماتون » للملك « تهرقا » .

والظاهر أن معبد « الكوة » هذا مما جاء من تلميحات فى هذا المتن أنه كان قد أقيم على أنقاض معبد آخر لم يتبق لنا منه شئ .

هذا وليس لدينا من اللوحات التاريخية التى لها اتصال مباشر بعصر الملك « تهرقا » إلا لوحة واحدة وهى اللوحة التى عثر عليها مريت فى مدفن السرابيوم « بمنف » وسنتكلم عنها هنا قبل أن نتكلم عن آثاره الأخرى فى بلاد النوبة ثم فى أرض الكنانة نفسها .

لوحات الكوة وما تلقيه من ضوء على تاريخ « تهرقا » العام وعصره

لا نزاع فى أن متون لوحات معبد « جم أتون » التى من عهد الملك « تهرقا » تلقى أضواء هامة على تاريخ وادى النيل وما جاوره من البلدان . من ذلك ما يلحظ من نقل سكان إلى « الكوة » كما جاء فى اللوحة السادسة (السطر ١٥) ، وكذلك نقل أميرات من الوجه البحرى كما جاء فى نفس اللوحة فى السطر العشرين ، وهذا يجعلنا نظن أنه فى خلال السنين الأولى من القرن السابع قبل الميلاد قد وقعت حروب بين ملك « كوش » وولايات الدلتا المستقلة ، ويتساءل الإنسان هل كان سبب ذلك التدخل فى شئون الدلتا واستعباد أهلها راجعاً فى الأصل إلى هجوم قام به « شبتاكا » على هذه البلاد ؟ هذا ما جاء ذكره فى المتن الكبير الخاص بالفيضان فى السنة السادسة (سطر ١٧) وعلى ذلك يمكن أن نتساءل مرة أخرى أليست تهدئة الأحوال بإخماد نار الفتن فى الدلتا وإعادة الرخاء فى السنة السادسة من حكم « تهرقا » تضع أمامنا صفحة جديدة فى تاريخ التسلط الكوشى على مصر ؟

ومن أجل ذلك كان قد قرر « تهرقا » مجئ والدته إلى الديار المصرية كما كان قد أمر ببناء المعبد T بعد أن أصبح الجو صافياً له . ويلفت النظر كذلك هنا أهمية مدينة «منف» فى عهد الملك «تهرقا» فقد توج فيها ، وعلى ذلك لايبعد أنه قد اتخذها بعد ذلك مقراً لحكمه .

وليس ذلك بغريب فإن لقب «تهرقا» « رع — حافظ نفرتم » يجوز أن يكون له اتصال بمنف . والإله « نفرتم » كما هو معلوم هو أحد أفراد ثالوث « منف » وهم « بتاح » والإله «سخمت» زوجه ثم « نفرتم » ابنه ، يضاف إلى ذلك ان اسم « تهرقا » « محبوب بتاح » كان شائعاً فى نقوشه .

ولا يفوتنا أنه كان يقلد فى ذلك الملك « شبكا » الذى قيل عنه إنه هو الذى عثر على المتن الأصلى الخاص باللاهوت المنفى الذى تحدثنا عنه فيما سبق فقد كان يدعى

كذلك « محبوب بتاح » (Bull. Inst., LI, p. 28 No.3) .

هذا وتشير كذلك متون هذه اللوحات إلى امتداد مملكة كوش نحو الغرب فقد جاء ذكر نقل أمراء التحنو إلى بلاد النوبة فى اللوحة رقم ٣ سطر ٢٢ هذا بالإضافة إلى متن مماثل عثر عليه فى « صنم أبو دوم » (راجع (8) ,A.A.A, 9. Pl 26) ، وأخيراً وجد اسم « التحنو » فى قائمة أصلها فى الواقع قديمة خاصة بالبلاد المقهورة (Ibid Pl. 41,1) .

وليس من شك فى أن الإشارة هنا إلى اوبى مرمريقا (برقة) الذين كان قد استخدمهم « تفنخت » لمحاربة بيعنخى (Urk., III, 8, 1. 11) ، يضاف إلى ذلك وجود إشارة إلى أهالى الواحة البحرية كما جاء فى متن اللوحة رقم ٦ سطر ٢٠ عن نبيذ الواحة البحرية . ولدينا قائمة أسماء جغرافية عن البلاد التى غزاها « تهرقا » وقد جاء فيها ذكر الواحة (راجع A.A.A. 9, Pl. 23, a) . وهذا يسمح لنا أن نظن أن الكوشيين منذ الأسرة الأولى كانوا قد مدوا سلطانهم على الواحات ، وقد يؤكد ذلك الكشف حديثاً عن قطعة حجر عليها اسم « شبكا » فى الواحة البحرية (راجع له Fakhry,A.S., 39., p.64;& Bahria Oasis, II p. 730) . ولدينا حقائق كثيرة ، بغض النظر عما شاهده « هردوت » (راجع Herodot, II, 42) عن وجود مستعمرة كوشية أقامها الأمونيون — قد تكون إلى حد ما محبذة للفكرة التى اعتنقها علماء مختلفون وهم الذين ظنوا أن وحى سيوة يرجع إلى أصل كوشى : منها على رأى « ستيندورف » احتلال هذه الواحة بالملك « تهرقا » (راجع (Steindorff, Durch dic Libysche Wuste zur Amonoasis, p. 69—70 ، هذا وقد ذكر مكأدم أن « آمون » صاحب واحة جص جص (أى الواحة البحرية) قد مثل فى عهد الأسرة السادسة والعشرين برأس كبش مثل « آمون » بلاد النوبة (Macadam, Texts, p. 39 No.53) .

أما نشاط ملوك كوش الحربى على حدود فلسطين فله علاقة بعمال (منتيواسيا)

الذين كانوا يعملون فى كروم (بمأتون) كما جاء ذكر ذلك فى لوحة الفيضان الكبرى هذا بالإضافة إلى أن استعمال اللازورد (اللوحة ٣ سطر ٩) والفيروز (اللوحة ٣ سطر ٩) والبرنز (اللوحة ٦ الأسطر ١٨ ، ١٩) وخشب عشى وخشب مرو (اللوحة ٣ سطر ٢١ ، واللوحة ٦ سطر ١٤ ، ١٨ ، واللوحة ٧ الأسطر ٣ ، ٤) يدل على وجود علاقات اقتصادية بين وادى النيل وآسيا فى تلك الفترة .

لوحة السرابيوم[1] ونهاية عصر « تهرقا »

يوجد الآن بمتحف «اللوفر» لوحة نشرها الأثرى « مريت[2] » وغيره ، وقد سجل على هذه اللوحة دفن عجل أبيس فى « منف » فى السنة الرابعة والعشرين من حكم الملك « تهرقا » وهى مهمة لأنه من نقوشها نعرف أنه فى عام ٦٦٤ ق . م قد عد كهنة « منف » أن الملك تهرقا لا يزال يحكم هناك على الرغم من أنه كان قد طرده أشور بانيبال على ما يظهر فى عام ٦٦٧ أو ٦٦٦ ق . م .

وسنورد هنا الترجمة أولا ثم نعلق عليها :

« السنة الرابعة والعشرون الشهر الرابع من الفصل الثانى اليوم الثالث . لقد اقتيد الإله فى سلام إلى الغرب الجميل (أى إلى مكان الدفن) بوساطة الأمير الوراثى والكاهن سم (أى كاهن الإله بتاح) رئيس كل الملابس (الملكية) وكاهن بتاح ووالد الإله (المسمى) « سنيفر » ابن والد الإله المنسوب إلى « سخت رع » ، « عنخ وننفر » الذى وضعته « ناءا — تايس نهتت » . وأخوه والد الإله المنسوب إلى « سخت رع » « بتاح حتب » .

التعليق : ولا نزاع فى أنه لدينا فى نقوش هذه اللوحة مثال بدهى ، إذا كان تسلسل تاريخ نهاية حكم الملك تهرقا أكثر تأكداً مما نعرفه . والواقع أنه فى السنة

---

(١) راجع Louvre, No. 121

(٢) راجع Le Serapeum de Memphis III, Pl. 35 ; Rev. Egyptologique, VII, p. 136; Chassinat, Rec. Trav., 22, p. 18

الرابعة والعشرين من حكم « تهرقا » دفن عجل أبيس فى السربيوم بمنف والتاريخ المصرى يظهر وطيداً لحد ما ليؤكد لنا أن هذا التاريخ يقابل السنة ٦٦٦ ق . م . تقريبا . وقد اعتقد الأستاذ[١] « برستد » أن « تهرقا » فى هذه اللحظة لم يكن يحكم بعد فى « منف » بل كان قد طرده أشور بانيبال منها ، هذا ويرى فى طريقة تاريخ هذه اللوحة التى كانت قد أخفيت فى جوف دهليز تحت الأرض إثباتاً خفياً لولاء الكهنة للملك «تهرقا» على الرغم من أنه لم يكن يحكم البلاد فعلا . وقد يكون لدينا هنا مثل مؤكد عن جهل المؤرخين المتأخرين بالوثائق الخاصة بالفتح الأشورى لمصر . وقد زاد الطين بلة أن تاريخ حملة أشور بانيبال على مصر غير مؤكد حتى الآن فيضعه بعض المؤرخين على حسب الوثائق المسمارية فى عام[٢] ٦٦٧ ق . م ، ويضعه بعضهم الآخر ، على ما يظن على حسب لوحة السربيوم فى عام ٦٦٦[٣] ، ومما يؤسف له جد الأسف أن أشور بانيبال لم يترك لنا حوليات بالمعنى الصحيح ولكن ترك لنا متونا خاصة بمبانيه مسبوقة بمقدمة طويلة واصفة حملاته ، ولكن لم تكن بالترتيب التاريخى . هذا ونجد فى الطبعة الأخيرة لهذه المتون أنه قد عدّد على التوالى حملتين على مصر وحملة على صور ، وحملة على بلاد « ميديا » ، وحملة على « عيلام » ، وحملة على بلاد « بابل » ، وحملتين أخريين على « عيلام » ، وحملة على بلاد العرب[٤] . فإذا كانت هذه الحملات قد وقعت متتابعة سنة فسنة فإن الحملتين الأولى والثانية على مصر تقعان فى السنتين ٦٦٨ و ٦٦٧ ق . م ، والرابعة تقع فى السنة ٦٦٥ ق . م ، والسادسة فى السنة ٦٦٣ ق . م ، والتاسعة فى السنة ٦٦٠ ق . م .

---

(١) راجع Br., A.R. IV. § 917 ويؤرخ برستد السنة ٢٤ من حكم تهرقا بالسنة ٦٦٤ والحملة الثانية التى قام بها اشور بانيبال على مصر بالسنة ٦٦٨ ق . م .

(٢) راجع Weissbach, Assurpanpli, Reallexikon der Assyriologie. I, (Leipzig 1932), p. 203; L. Delaporte, Le Proche Orient Asiatique (Paris 1938) p. 259

(٣) راجع A Moret, Histoire de l'Orient, II, (Paris 1936) p. 694

(٤) راجع Chronique D'Egypte (1947), No. 241 note 3

والواقع أننا نعلم أن الحملة الرابعة على أكثر تقدير قد وقعت فى عام ٦٦٩ ق.م، إذا لم تكن قد وقعت فى عام ٦٦٨ ق.م[١]، وأن الحملة السادسة وقعت فى سنة ٦٤٨ ق.م[٢]، والحملة التاسعة معاصرة للحملة السادسة أو قبلها[٣]، وعلى ذلك فليس لدينا ما يبرهن على أن الحملتين الأولى والثانية قد وقعتا فى العامين ٦٦٨ ق.م و٦٦٧ ق.م، بل على العكس نعلم أن أشوربانيبال كان يحارب فى الحملة الثانية الملك تانوتأمون خلف «تهرقا» وقد امتطى عرش الملك عام ٦٦٤ ق.م، فالحملة الثانية كانت تؤرخ إذاً بهذه السنة، والحملة الثالثة قد وقعت بعدها على أكثر تقدير فى السنة ٦٦٣ ق.م وذلك لأن آشوربانيبال يتحدث فيها عن الثورة التى قام بها عليه الملك بسمتيك الأول[٤] الذى أرخ أول حكمه بهذه السنة[٥].

بعد كل ذلك نعود إلى الحملة التى قادها آشور بانيبال على «تهرقا» فإذا علمنا أنه فى عام ٦٦٨ ق.م لم يقم الأشوريون بأية حملة إلا التى قاموا بها على بلاد «ميديا» وأنه فى عام ٦٦٤ ق.م قد تولى «تانوتأمون» عرش ملك مصر خلفاً لتهرقا فإنه يكون لدينا الخيار بين السنين ٦٦٧، ٦٦٦، و٦٦٥ ق.م ليكون تاريخاً لهذه الحملة. وعلى أية حال فإن الحل لهذه المسألة سيكون بالكشف عن متن لحوليات بابلية لهذا العصر. وذلك لأنه يوجد الآن فى التاريخ البابلى ثغرة من ٦٦٨ إلى ٦٥٢ ق.م. وكذلك نلحظ أن ما لدينا من تاريخ من ٦٥٢ إلى ٦٤٨ ق.م مختصر لدرجة أن هذه الثغرة تمتد حتى ٦١٦ ق.م[٦].

ومن الجائز أنه بتاريخ دفن العجل أبيس الذى مات فى السنة الرابعة والعشرين

---

(١) راجع Ibid p. 241 note 5

(٢) راجع Ibid note 6

(٣) راجع Ibid note 7

(٤) راجع Cylindre,A.. II, 114—115

(٥) راجع J. Vandier et E. Drioton, L'Egypte, p. 542

(٦) راجع Fr. Delitzsch, Die Babylonische Chronik (Berlin 1906); S. Smith, Babylonian Texts (London, 1924); C. Gadd, The Fall of Nineveh (London 1923).

من حكم تهرقا قد أكد كهنة السربيوم ولاءهم للملك الذى طرده الغزاة الفاتحون الأجانب غير أن هذا شئ ليس مؤكداً ، ولكنه من البدهى أن الآشوريين لم يعترف بهم ملوكا على مصر . وعلى أية حال فإن ملوك آشور لم يفرضوا أنفسهم على المصريين بوصفهم فراعنة على وادى النيل . هذا ولدينا لوحة بمتحف اللوفر نعلم من نقوشها أن عجلا من عجول أبيس قد مات وعمره إحدى وعشرون سنة فى عام ٦٤٣ ق .م ، وهذه السنة تقابل العشرين من حكم الملك بسمتيك الأول . وهذا العجل كان قد ولد فى السنة السادسة والعشرين من حكم الملك « تهرقا » أى فى السنة ٦٦٤ ق . م[1] . ويستنبط من عرض هذه التواريخ أنه من وجهة ترتيب التواريخ ترتيباً متتابعاً على حسب الحوادث المصرية لا يوجد للفتح الآشورى أى مكان فى القوائم التى خلفها لنا الأقدمون . والواقع أن ما استنبطه كل من فنديه ودريوتون (Ibid, p. 529) من أن تهرقا كان لا يزال معترفا به فى منف عام ٦٦٤ ق . م ليس بالأمر الواضح تماما ، هذا وقد ذهبا كذلك إلى أن تهرقا كان معترفا به فى طيبة ، هذا إذا كانت صورة تهرقا التى نراها مشرفة على النقش الكبير الذى تركه لنا « منتومحات » تعد معاصرة لهذا المتن ؛ غير أن التاريخ الذى نسب إلى متن منتومحات لا يرتكز إلا على بعض تلميحات فى المتن مهشمة تشير إلى عصر مضطرب أراد بعض المؤرخين أن يستنبط منه تخريب مدينة طيبة على يد الآشوريين كما سنرى بعد .

(١) راجع Louvre No. 190; Mariette; Le Serapeum de Memphis Paris 1857, Pl. 36; Chassinat, Rec. Trav. XXII. p. 19

آثار «تهرقا» الأخرى ومخلفاته
فى بلاد النوبة

خلف الفرعون «تهرقا» آثاراً كثيرة أخرى غير التى ذكرناها فيما سبق فى بلاد النوبة عامة ولا نزاع فى أنه يعد حتى الآن فى طليعة الملوك الذين تركوا لنا آثاراً عدة فى هذا الشق من وادى النيل . وهاك أهم ما عثر عليه حتى الآن .

(١) خور حنوشية : عثر للملك «تهرقا» على متن مكتوب على الصخر فى خور حنوشية التى تقع بين كلابشه وبيت الوالى وقد أرخ بالسنة التاسعة عشرة . ويلحظ أن هذا المتن قد هشم من اليسار وذكر عليه السنة التاسعة عشرة[1] الشهر الثالث من فصل الفيضان ، ثم ذكر بعد ذلك اسم الفرعون وألقابه الفرعونية المعروفة . ويقول ويجول : إنه على ما يظهر قد دوّن هذا النقش وهو فى طريقه إلى عاصمة ملكه فى الجنوب بعد أن هزمه «أسرحدون» ملك آشور . هذا ولدينا نقش آخر على صخر كذلك على مسافة كيلومتر من إفريقى طيفة مؤرخ بنفس السنة والفصل .

ويقول ويجول كذلك إنه كتب تخليداً لسير «تهرقا» متقهقراً إلى السودان حوالى عام ٦٦٩ — ٦٦٨ ق. م ، وذلك عندما دخل «أسرحدون» مصر من الشمال. والواقع أن هذا النقش يدل على محاولة «تهرقا» أن يظهر ما كان عليه من شجاعة وإقدام ودخوله بلاده دخول الملك المظفر على الرغم من أن النقش يعد سجلا دوّن فيه لحظة سيطر فيها «تهرقا» على جيشه وقاده بنظام فى ساعة عصيبة من جراء هزيمته المنكرة التى هزم فيها على يد «أسرحدون»[2] ولا غرابة فى ذلك فإن «تهرقا» لم يذكر لنا شيئا قط عن حروبه مع «آشور» .

---

(١) راجع Roeder, Dabod bis Kalabsha, Pls, 94, 127 [a], pp, 215—16; Weigall, A Report on the Antiquities of Lower Nubia, Pl. XXVII [4] of XXII [4] and p. 68

(٢) راجع A.S., IX. p. 105—16

(٢) ووجد كذلك للملك « تهرقا » جزء من لوحة مصنوعة من الطين عليها طغراؤه[١]، ويحتمل أنه وجد بالقرب من الكنيسة القبطية الواقعة قبالة « أبريم » .

(٣) قصر أبريم[٢] : وكذلك وجد فى معبد قصر أبريم قطعة حجر عليها اسم « تهرقا » مثبتة بالجدار .

(٤) بهين : وجد فى معبد بهين الجنوبى صورة للملك « تهرقا » (؟) على سمك باب المحراب وقد مثل وهو داخل كما وجدت كذلك صورته على قطعة من مقصورة راكعاً وفى يده إناء نبيذ وهو يتقبل علامة الحياة من الإله[٣] .

سمنة — معبد تهرقا :

كشف الأثرى بدج عن معبد للملك « تهرقا » فى أوائل القرن العشرين فى سمنة، ويقع هذا المعبد جنوبى معبد الفرعون « تحتمس الثالث » الذى أقامه فى هذه الجهة . ومعبد « تهرقا » مقامة جدرانه من اللبنات . وقد أقيم تكريماً للملك سنوسرت الثالث فاتح السودان والذى كان يعد ضمن آلهة هذه البلاد ، ولا نزاع فى أن « تهرقا » كان يؤله « سنوسرت » تشبها بالفاتح العظيم « تحتمس الثالث » الذى أله « سنوسرت » من قبله ومثل وهو يقدم له القربان ، ومن ثم كان « تهرقا » يعد نفسه من عظماء الفاتحين ويتشبه بهم ، ولا غرابة إذاً أن نجد سترابون قد وضعه فى مصاف الفاتحين فى العالم (راجع Strabon XV, 1, 16 & Ibid I, 3 : 21) .

وتدل شواهد الأحوال على ما يظن على أن هذا المعبد كان موجوداً من قبل وأن « تهرقا » قد جدده فقد وجد فى داخله تمثال لأحد ملوك الأسرة الثالثة عشرة يدعى « خوتاوى رع » .

---

(١) راجع Emery and Kirwan, The Excavation and Survey between Wadi es Sebua and Adindan 1929—1931, Pl. 58 [34] cf. p. 532

(٢) راجع Porter & Moss VII, p. 94; L.D., V, Text p. 129.

(٣) راجع Maciver, Buhen Pl. 24, cf. pp. 66 [90], 17; Porter & Moss, VII, p. 137.

وقد وجد معبد «تهرقا» عند الكشف عنه سليما ويبلغ طوله حوالى ثلاثة وعشرين مترا وعرضه حوالى عشرين مترا ونصف متر، وكان يحتوى على ردهة أمامية مقام فيها ستة عمد وعلى حجرة فى داخلها محراب مستطيل طوله خمسة أمتار وثمانية وأربعون سنتيمترا والمسافة بينها وبين المحراب ١,٩٥ من الأمتار. وتوجد فى المحراب مائدة قربان نقش عليها طغراء «تهرقا» وكذلك طغراء سنوسرت الثالث. والنقش بأكمله هو: ملك الوجه القبلى والوجه البحرى «تهرقا» العائش سرمديا عمله بمثابة أثره لوالده الإله الطيب «خع — كاو — رع» محبوبه؛ من هذا نفهم أن «تهرقا» قد أقام هذا المعبد ووهبه للملك المؤله «سنوسرت الثالث» وقد اعتبره بمثابة والده، وهذا النقش له أهمية ملحوظة لا تقتصر على أن «تهرقا» قد أقام معبداً فى ممنة وحسب بل لأنه قد عد «سنوسرت الثالث» وهو أول ملك استولى على السودان فعلا بمثابة جد الحى وفى هذا ما يدل على أن ملوك الأسرة الخامسة والعشرين يعدون أنفسهم من أصل مصرى. ومما يلفت النظر هنا أن «تهرقا» قدس على ملوك مصر العظام أمثال «تحتمس الثالث» الذين أقاموا معابد فى بلاد «كوش» واختار أول فاتح مصرى لوطنه وإلهه[1].

جبل برقل: نحت الفرعون «تهرقا» معبداً للإله «آمون» فى الصخر فى جبل برقل إلى عمق حوالى خمسين قدماً، ويرى فى خرائبه بقايا نقوش على جدران حجراته التى كانت فيما سبق فى الجبل.

وعلى رأى «كايو» (Caillaud) كان هذا المعبد يحتوى على قاعة صغيرة تشمل أربعة أعمدة وحجرة صغيرة تشمل عمودين ومحراباً. وتدل الظواهر على أنه كان لهذا المعبد ردهة أمامية مقامه على ستة أعمدة لا تزال بقاياه مبعثرة حتى الآن.

---

(١) راجع Budge, The Egyptian Sudan I, pp. 481—8; II, pp. 42. 45, Plan, id, ib.; I, Fig on p. 489

هذا ولا تزال بقايا بوابته ظاهرة وهـذا المعبد يعرف عند الأثريين بالمعبد رقم B 200 [1].

معبد جبل برقل الـكبير رقم B 300 [2]:

وعلى مسافة قريبة من المعبد السابق معبد كبير سماه ريزنر المعبد رقم B 300 أقامه الملك « تهرقا » أو « ترهاقا » كما جاء ذكره فى التوراة . وهذا المعبد كان فى الأصل قد أقيم للآله « آمون » ولكن سماه كل من الرحالين « كايو » و « هسكنز » خطأ معبد « تيفون » وذلك لأنهما وجدا صورة الإله « بس » التى حفرت على بعض أعمدة المعبد بالإله « تيفون » أى الإله ست إله الشر والخبث . وعلى أية حال فإن كلا من الإلهين « تيفون » و « بس » كان له صفات خاصة به تختلف عن صفات الإله الآخر .

ويواجه باب معبد « تهرقا » هذا نقطة البوصلة ١٤٣ للشمال الحقيق . ويبلغ طول المعبد حوالى ١١٥ قدماً وعرضه حوالى خمسين قدماً . وكان عمق بوابته حوالى إحدى عشرة قدماً وعرضها حوالى قدمين ونصف القدم . ومن المحتمل أنه كان يوجد أمام البوابة بعض مبان خارجة عن البناء الأصلى ترتكز على أربعة أعمدة . وتوجد خلف البوابة ردهة نقش على إفريزها هذا المتن بمثابة اهداء المعبد : « تهرقا » العائش سرمديا ، لقد عمله (أى المعبد) أثرا له لأمه «موت» صاحبة « نباتا » ، فقد أقام لها معبداً من جديد من الحجر الرملى الأبيض الجميل وكان جلالته قد وجد أن هذا المعبد قد أقامه الأجداد من الحجر بصورة رخيصة ، فأمر جلالته بأن يقام هذا المعبد بمبان ممتازة سرمديا [3] ونقش فى نفس الردهة متن كالسابق وهو : لقد عمله بمثابة أثره

---

(١) راجع The Egyptian Sudan (Budge) Vol. I. p. 132, Fig., p. 131; Porter & Moss, VII ,208

(٢) راجع Porter & Moss, VII. p,. 208 f.; Budge, The Egyptian Sudan, Vol. I, p. 132 *ff.*

(٣) تدل شواهد الأحوال على أنه من المحتمل أن هذا المعبد قد أقيم على أنقاض معبد للملك رعمسيس الثانى (راجع Porter & Moss VII, p. 208 & L.D.,V. p. 5

لوالدته «موت» سيدة السماء وملكة النوبة ، وقد أقام بيتها وزاد في معبدها من جديد بالحجر الرملي الأبيض[1] . وتحتوى هذه الردهة على ستة عشر عمودا منظمة فى صفوف مزدوجة ، ويقع كل صف مزدوج على جانب الممر .

وخلف الردهة السابقة ردهة أخرى تحتوى على ثمانية عمد فى صفين مزدوجين ، ويرى الأثرى « هسكنز » أن هاتين تؤلفان خارجة طولها ٥٩ قدما وعرضها ٥٠ قدما ؛ وقد عثر كل من « كايو » و « لبسيوس » على آثار للجدار الذى يفصل الردهتين . وهذه الآثار لا تزال ظاهرة والعمد التى أقيمت على كل من جانبى الممر كانت مستطيلة الشكل كما كانت مزينة بصور الإله « بس » (إله الفرح والسرور) الذى يلبس ريشا عاليا ويبلغ طول كل عمود سبع عشرة قدما وثلاث بوصات . والعمد التى نصبت بين عمد الإله « بس » كانت أعلى قليلا ولكن محيط العمود كان ثلاث أقدام وست بوصات فقط ، وقد أقيمت على قواعد مستديرة بدلا من مربعة وكل عمود محلى بتاج على هيئة رأس البقرة حتحور . ومما يجدر بنا ملاحظته هنا أن أوجه البقرة حتحور كانت تتجه نحو جدران المعبد ، فإذا كانت أوجه حتحور قد اتجهت إلى الشمال والجنوب من جوانب العمد فإن صورها كان يغطى عليها العمد التى رسمت عليها صور إله بس وهى العمد التى كانت مقامة أمامها .

نصل بعد الردهة الثانية إلى حجرة صغيرة منحوتة فى الصخر الاصم ، وعلى جانبى الممر أقيم عمود مستطيل محلى بصورة الإله « بس » نقش عليه اسم الملك « تهرقا » وألقابه . ويرى حتى يومنا هذا على أجزاء الكرنيش الباقية نقش ذكر فيه تقديس الملك للإله آمون الممثل برأس كبش والإلهة موت سيدة « تاستى » وألقاب كثيرة للملك كما يشاهد على جدران المعبد بقايا نقوش وصور مثل فيها الملك يتعبد ويقدم القربان لإله الجبل المقدس أى جبل « برقل » وبخاصة يقدم البخور للإله انحور (أونوريس

---

(١) راجع L.D.,V, p. 7 a

إله الحرب والنصر) ونشاهد فى إحدى هذه المناظر الملكة « تكاهاتامانى » زوج «تهرقا» ترتل بالصناجات أمام الإله آمون ، هذا ونجد فى نقوش هذا المعبد ما يشير إلى أن الملك يقوم بتجديد المعبد أى أنه لم يكن المؤسس الحقيقى له . ومن البدهى أن بقايا الألوان التى لا تزال ثابتة على الأحجار فيه تدل على أن هذا الجزء من المعبد الذى فيه الألوان كان ملونا . وعلى الرغم من أنها تكشف عن سذاجة بالنسبة للذوق الحديث إلا أنها كانت من غير شك تروق فى أعين أهل العصر الذى عملت فيه . والممر الأخير يوصل إلى المحراب الذى يبلغ طوله حوالى ثلاث وعشرين قدما وعرضه ثلاث عشرة قدما . وجدران هذا المحراب مزينة بسلسلة من المناظر يشاهد فيها الملك « تهرقا » يقدم قربانا إلى عدة آلهة والهات ، وبعض الآلهة يتبع مجموعة «آمون رع» وهو الإله الذى أهدت له الآلهة هذا المعبد كما ذكرنا آنفا ، ويوجد على اليسار حجرة فى حجم المحراب غير أنها أقل منه بقليل جداً ويشاهد على جدرانها الملك «تهرقا» يقدم قربانا للالهة ومن بينهم الإله « ددون » إله بلاد النوبة . ويوجد على يمين المحراب حجرتان إحداهما خلف الأخرى والأولى طولها سبع عشرة قدما وعرضها سبع أقدام وسبع بوصات ، والأخرى طولها خمس أقدام وعرضها سبع أقدام . ويلحظ فى الحجرة الكبيرة أن المناظر فيها تمثل الملك يقدم قربانا لإلهة آخرين ، أما الحجرة الصغيرة فليس فيها نقوش ، والظاهر أنها لم تكن قد تمت بعد .

والواقع أن أهم منظر يلفت الأبصار فى هذا المعبد هو المنظر الذى ظهر فيه الإله « ددون » إله بلاد النوبة الأصلى ، وتدل الأحوال على أن هذا الإله قد بقى خامل الذكر فى النقوش المصرية القديمة منذ عهد الملك سيتى الأول فى بلاد النوبة حتى عهد الملك «تهرقا» ، فقد وجدناه مذكوراً بين آلهة معبد جبل « برقل » الذى نحن بصدده الآن ، ففى الحجرة الغربية التابعة للمحراب أى التى على يسار المحراب نرى « تهرقا » يقدم رغيفاً من الخبز للإله « ددون » سيد بلاد النوبة . ومما يؤسف له أنه لم يبق من صورة الإله نفسه إلا تاجه وهو يتألف من قرنى « كبش » فى وسطهما قرص

الشمس تكنفه ريشتان عاليتان من ريش النعام . وهذه أول مرة ترى فيها الإله « ددون » ممثل بلباس رأس غير الكوفية التي كان يرى بها عادة . وعلى ذلك لا يجوز لنا أن نستنبط من هذا التجديد في تصويره أنه في خلال هذه المدة الطويلة التي اختفى فيها من الآثار قد وحد مع إله آخر مصرى المنبت كان يلبس التاج الخاص به ، غير أن هذا الموضوع يستلزم البحث والتدقيق ، وإن كان في الواقع لا غرابة فيه لأن بلاد السودان ومصر كادت تكون موحدة في كثير من مظاهر الحياة وبخاصة في الدين والعادات والنظم الاجتماعية . فنجد مثلا أن « تهرقا » الكوشى الأصل قد أقام في الكرنك بالقرب من معبد « آمون » بالكرنك — ولكن خارج أسواره — معبداً صغيراً تخليداً لتتويجه في طيبة . وهذا المعبد كان مهدى للإله « أوزير بتاح »[1] ، ويوجد في أحد مناظره أربعة آلهة محمولين في موكب يقف كل واحد منهم على حامل خاص ، ويمسك كل واحد منهم بذراعيه المرفوعتين كاهناً وأميرة . ويلقب الكاهن هنا بلقب « فاتح مصراعى باب السماء » وهو من أهم الشخصيات مقاماً في وظائف الكهنة في الكرنك واسمه « حور محب » ؛ وتقوم الأميرة هنا بوظيفة الزوجة الإلهية والمتعبدة الإلهية لآمون ، وتدعى « ابارا » أما أربعة الآلهة المحمولين باحتفال فهم على حسب ما يمكن استخلاصه من المتون المهشمة ما يأتى : الإله « ددون » والإله « سبد » (إله الشرق أى آسيا) ، والإله « سبك » في صورة تمساح (وهو إله الغرب أى « التحنو » أى الليبيون) والإله « حور » محبوب والدته وقد مثل في صورة صقر . والإله « ددون » قد مثل هنا بلباس رأس بسيط وهو كوفية وله لحية طويلة مستعارة ، ويزين رقبته قلادة كبيرة ويغطى جسمه قميص ضيق يفصل أجزاء جسمه له حمالتان ويتدلى من حزامه ذيل الحيوان المعروف الذى يلبسه الملوك والآلهة . والمتن الذى يتبع هذا الإله مهشم ولكن يمكن أن نقرأ منه اسم هذا الإله ولقبه وهو «ددون» الذى على رأس بلاد النوبة .

(١) راجع E. De Rougé, Melanges Egypt. T. I, p. 14 ff. ; Budge, The Egyptian Sudan, Vol. II, p. 41—42

هذا وقد نقش تحت كل من هؤلاء الآلهة سطر عمودى جاء فيه : نطق : أن « ددون » قد نصب فوق حامله لأجل أن يعمل . . .

ومعنى هذا المتن أن إلهـا من هؤلاء الآلهة الأربعة كان يمثل الملك نفسه . وإذا كان « تهرقا » قد ظهر فى صورة كل من الإله « ددون » والالهة « سبد » والإله « سبك » والإله « حور محبوب والدته » فإن ذلك يرجع إلى أن هؤلاء الالهة يمثلون الجهات الأربع الأصلية ، أى الجنوب والشرق والغرب والشمال . وكان الملك يقصد من ذلك أنه سيحكم أركان العالم الأربعة .

وهذا الحفل يرجع تاريخه إلى عهد ذكريات تتويج « حور » بعد موت والده « أوزير » ، ومن ثم نفهم أن « ددون » كان يمثل الجنوب أى أعالى النيل فى حين أن « سبد » كان يمثل الشرق أى الصحراء الغربية وسيناء وسواحل البحر الأحمر ويمثل « سبك » الغرب أى الصحراء اللوبية والواحات ولوبيا ، ويمثل « حور محبوب والدته » الشمال أى مصر نفسها . ومن ذلك نفهم أن الآلهة الأربعة كانوا يقدمون بكل تقديس للملك « تهرقا » فى مناسبة عيد تتويجه فى طيبة سيادتهم على الأقاليم التى يسيطرون عليهـا ، هذا إلى أن أهل طيبة كانوا يعبرون فى حضرة إلههم « آمون رع » عن قبولهم الأمير الذى يقدمه لهم آلهة أركان العالم الأربعة ملكا عليهم .

ولا نزاع فى أن معنى هذا المنظر مفهوم من تلقاء نفسه ، ومع ذلك فقد أكده لنا منظر آخر فى نفس المعبد حيث نجد الملكة « آبار » تشد قوسها وتفوق سهامها إلى الجنوب والشمال والغرب والشرق على الأعداء الذين سلمهم لهـا الإله «آمون» . ويلحظ هنا أن كلا من الأقاليم الأربعة قد خصص بالعلامة الهيرغليفية الدالة على البلد ، وأن كلا منها قد أصيب بسهم . والواقع أننا هنا أمام الشعيرة التى كانت تصحب منظر إطلاق طيور فى الجهات الأربعة للأفق فى يوم تتويج الفرعون أو يوم الاحتفال

بعيد تتويجه . ولدينا مثلان غير ما ذكرنا واحد بالكرنك ويرجع لعهد الملك «تحتمس الثالث»[١] ، والآخر فى نقوش ادفو من عهد أحد ملوك البطالمة[٢] .

نعود الآن بعد هذا الشرح المفصل إلى معبد جبل « برقل » فنقول إن المناظر والمتون التى على جدران المعبد لا تحدثنا بشئ عن تاريخ « تهرقا » وحكمه ولكن نفهم أن المبنى من أوله إلى آخره يكاد يكون نسخة (طبق الأصل) من المعابد الجنازية فى مصر . ومن المدهش أن « تهرقا » لم يقلد عظماء ملوك مصر فى نقش جدران معبده الخارجية بتدوين انتصاراته عليها كما فعل « رعمسيس الثانى » مثلا ، ومن المحتمل أنه لم يجد لنفسه انتصارات يدونها على هذه الجدران على الرغم من أنه كان يعد فى نظر الإغريق قائماً كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد .

ويقول الأثرى بدج[٣] : ومن الخاصيات التى تلفت النظر فى هذا المعبد العمد المرسوم عليها صور الإله « بس » ، ونجد نظائرها فى « نجع » وفى أماكن أخرى فى السودان وهذا يحدو بنا إلى الاعتقاد بأن الإله « بس » كان إلها محليا . والمعتقد أنه هو إله مصرى ، ومن الجائز أن اسم « بس » قد أطلق على هذا الإله لأنه يرتدى جلد الحيوان « بس » الذى وحد بالحيوان (Filis Cyrailurus) . وتمثيل هذا الإله لابساً لباس رأس بريش يدل على أنه حيوان برى أو شبه برى وأن خواصه افريقية الأصل أكثر منها أسيوية . وصورة « بس » توحى بأن موطنه هو موطن الأقزام ، هذا إلى أن علاقة اسم هذا الإله ببلاد « بنت » وأرض الأرواح تشير إلى وجود اعتقاد بأن عبادته كانت من إنتاج أقوام الجزء الشرقى من وسط افريقيا . يضاف إلى ذلك أن الإله « بس » كان يعد إله الفرح والسرور والمرح وهذه كلها سجايا يتصف بها أهل أواسط افريقيا وبلاد السودان .

---

(١) راجع Moret, Du Caractere Religieux de la Royauté Pharaonique, p. 106

(٢) راجع L. D., III, 36 b = Moret, Ibid. p. 105. Fig 21

(٣) راجع Budge, The Egyptian Sudan, I. p. 138

آثار «تهرقا» فى القطر المصرى

(١) فى معبد الفيلة : عثر فى معبد الفيلة على قاعدة يجوز أنها كانت للسفينة المقدسة وقد وجدت فى نهاية قاعة العمد فى الركن الجنوبى الشرقى من الردهة بين البوابة الأولى والثانية[١]. وكرنيش هذه القاعدة بسيط ؛ ولكن وجد فى مربع أحد أوجه هذه القاعدة نقش للملك «تهرقا» جاء فيه : «محبوب آمون» صاحب «تاكبس» ابن رع «تهرقا» معطى الحياة مثل رع ؛ ملك الوجه القبلى والبحرى «خورع نفرتم» «محبوب آمون تاكبس» معطى الحياة . ومن البدهى أن «آمون» كان هو الإله الرئيسى الذى يعبده «تهرقا» ، غير أنه على ما يظهر لم يوجد أى أثر فى «فيلة» يدل على عبادة هذا الإله أو على تقى «تهرقا» وورعه . وإذا كانت هذه القاعدة تابعة لمعبد «فيلة» حقاً فلا بد أنها كانت قد أهديت لآمون قبل بناء معبد «إزيس» . ومما تجدر ملاحظته هنا وجود اسم «تاكبس» الذى يحيى نظرية الأستاذ «زيتة» القائلة بأن جزيرة «تاكبس» التى جاء ذكرها فى هردوت هى فيلة[٢] ، ومن المحتمل إذن أن فيلة فى عهد «تهرقا» كانت تسمى «تاكبس» .

(٢) معبد الكرنك :

مقياس النيل : كان الملك «تهرقا» ضمن الملوك الذين دونوا مقاييس النيل على مرسى الكرنك[٣] .

وهاك النص على حسب ما جاء فى برستد[٤] :

(١) راجع B. I. F. A., Tom. XXX, p. 128 ; Weigall Report, p. 49

(٢) راجع Herodot II, 29

(٣) راجع A. Z., 34, p. 116

(٤) راجع Br., A. R., IV, § 888

٥ — (٣٤) السنة السادسة من عهد الملك « تهرقا » محبوب آمون العظيم .

٦ — (٣٥) النيل : السنة السادسة فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « خو رع — نفر تم » ابن رع « تهرقا » العائش أبديا محبوب « نون » العظيم آمون العظيم ، النيل والد الآلهة ، والتاسوع (المقدس) على الفيضان (يحتمل أن كل هذه الأسماء اسم إله مركب) (النيل) الذى أعطاه إياه والده « آمون » لأجل أن يصير زمنه سعيداً .

٧ — (٣٦) النيل : السنة السابعة فى عهد جلالة الملك «تهرقا» العائش أبديا ، محبوب « نون » العظيم ، آمون العظيم ، النيل والد الآلهة ، والتاسوع المقدس فوق الفيضان (النيل) الذى أعطاه إياه والده آمون لأجل أن يصير زمنه سعيداً .

٨ — (٣٧) النيل : السنة السابعة (هكذا)[١] فى عهد جلالة الملك « تهرقا » . . . . . (مثل رقم سبعة عدا الارتفاع فإنه يختلف . والسنة بلا شك هى خطأ ، يجب أن تكون الثامنة وذلك لأنها سبقت بالسنة السابعة وتبعت بالسنة التاسعة).

٩ — (٣٨) النيل : السنة التاسعة (وجاء بعدها السنة العاشرة) من عهد الملك « تهرقا » العائش أبديا محبوب « نون » العظيم ، وآمون العظيم .

(٣) قاعات العمد التى أقامها تهرقا فى « الكرنك » :

دلت الكشوف الحديثة على أن الفرعون « تهرقا » قد أقام قاعات عمد فى جهات معبد الكرنك العظيم الأربع ، فإذا اخترق الإنسان السور العظيم لمعبد الكرنك من البوابة الضخمة الواقعة فى الشرق (وهى المسماة بوابة نختنيف « نقطانب») ثم اتجه فى سيره من هذه البوابة مقتفياً المحور الرئيسى[٢] نحو المحراب الشرقى[٣] فإنه يصادف

(١) راجع مثلا رقم ٣٦ A.Z., 34, p. 116

(٢) راجع A. S., L, p. 128

(٣) راجع Ibid, p. 137-172 & Pl. 41

قاعة عمد الملك «تهرقا» ، وذلك قبل أن يصل إلى معبد «رعمسيس الثانى» ، والمكان الذى كانت قد أقيمت فيه مسلة اللتران[١] الوحيدة الموجودة الآن بمدينة روما . وهذا الجزء الشرقى من السور الشرقى لمعبد الكرنك كان مجهولا إلى أن كشفت عنه الحفائر الحديثة . وقد كان أول من كشف النقاب بعض الشئ عن قاعة عمد « تهرقا » هذه هو الأثرى العظيم « شمبليون »[٢] ثم « لبسيوس »[٣] . وأخيراً قام بالكشف عنها جزئيا وبسرعة الأثرى لجران عام ١٩٠٦ — ١٩٠٧ . ومع كل ذلك فقد كانت كل الزاوية الشمالية القريبة من قاعة العمد هذه مطمورة تحت الأرض إلى أن كشف عنها المهندس شفرييه ونصب بعض عمدها ثانية .

وقاعة العمد هذه تحتوى على أربعة صفوف من العمد منحوتة فى الحجر الرملى الردئ وقد زينت بصور بارزة بعض الشئ ، ويلاحظ أن بعض تفاصيل هذه الصور قد أهمل صنعها ، وأسلوب رسمها ثقيل الظل ومع ذلك فإننا نجد أن رسم عضلات الأشخاص فيها وهى المصورة على العمد قد أبرزت على حسب الأسلوب الشائع فى هذا العهد بقوة وبخاصة فى السيقان ، يضاف إلى ذلك أن ملامح وجه الفرعون قد مثلت بصورة واضحة تدل على أنه قد أتى من بلاد الجنوب .

هذا وقد كشفت أعمال الحفر التى قام بها المعهد الفرنسى فى الجزء الشمالى من معبد الكرنك أى بين خرائب معبد « آمون رع منتو » وبوابة البطالمة الشمالية عن بقايا قاعة عمد أخرى تشبه فى شكلها القاعة السالفة وتشغل المساحة التى بين بوابة «أمنحتب الثالث» وواجهة المعبد الأصلية وهذا المبنى يعد من مميزات العهد الأثيوبى .

هذا ولدينا بقايا قاعة عمد ثالثة تقع بين معبد الإله « خنسو » وبوابة بطليموس « إفرجت » فى الجهة الجنوبية من معبد الكرنك[٤] .

(١) راجع Ibid, p. 269-80

(٢) راجع Champolion, Notices Descriptives, II, p. 254-262

(٣) راجع L. D., Text, III. p. 36-39

(٤) راجع Bulletin De L'Institut Fr. D' Archeoleogie Orientale, Tome LIII. p. 114 ff

وأخيراً أقام « تهرقا » قاعة عمده الضخمة الذائعة الصيت فى الردهة الأولى لمعبد الكرنك فى الغرب من الكرنك وعمدها تشبه عمد القاعات الأخرى التى أقامها هذا الفرعون ، ولكنها تمتاز بضخامة عمدها . ولم يبق من عمد هذه القاعة إلا عمود واحد . وقد عثر بجوار هذا العمود حديثا على قائمة مدن استولى عليها « تهرقا » ؛ وهذه القائمة كانت منقوشة على بوابة له . وهذه الأسماء يحتمل أنها نقلت عن قوائم قديمة . وبهذه المناسبة نذكر أنه يوجد على واجهة البوابة الثانية لمعبد قبالة « نباتا » نقشان منحوتان فى الصخر مثل فيهما « تهرقا » يذبح الأسرى أمام الإله [١]؛ وعلى البرج الجنوبى للبوابة لا يزال هذا المنظر محفوظا ويحتوى على قائمة طوبوغرافية تشمل اثنى عشر اسما (وهم من الإفريقيين والأقواس التسعة) ، ولكن المنظر الذى على البرج الشمالى وهو الذى كان من المحتمل أن يحتوى على قائمة أسماء أسيوية لم يبق منه إلا قطعة واحدة عليها اسم واحد [٢].

والواقع أن القائمة الطوبوغرافية الوحيدة للملك « تهرقا » التى وجدت سليمة عن غربى « آسيا » هى التى عثر عليها فى معبد الإلهة « موت » بالكرنك على قاعدة تمثال صغير كان ارتفاعه الأصلى حوالى خمسين سنتيمترا ، ولم يبق من هذا التمثال إلا قاعدته كما ذكرت من قبل وهى محفوظة بالمتحف المصرى [٣]. وقد كتبت هذه القائمة بالشكل العادى فى حلقات ، ولكن بدون صور أسرى أو كتابة فوقها ، وقد نقش اسم « تهرقا » على قمة القاعدة . ويلحظ أن القائمة منقوشة حول جوانب القاعدة الأربعة ، ولكن لم يكن من بينهم أسيويون إلا الذين على الجانب الأيمن أى أنه وجد اسمان على واجهة القاعدة وتسعة على الجهة اليمنى وثلاثة على الظهر ، وقد نقل « مريت » القائمة الأسيوية [٤].

(١) راجع Griffith, Annals of Archeology & Anthropology Liverpool 9, (1922) Pl. 41

(٢) راجع Mariette, Karnak Etudes p. 66.

(٣) راجع Borchardt, Statuen und Statuetten, III, p. 80-2. No. 770

(٤) راجع Mariette, Karnak Atlas ; J. de Rouge, Inscr. Hierog. etc. Pl. 299

والقائمة كلها لا تخرج عن أنهــا نسخة لأربعة عشر اسما من قائمة الملك « حور محب » التى على الجانب الشرقى لتمثاله الضخم المنصوب أمام البوابة العاشرة بالكرنك ، غير أنها أكثر حفظاً وبواسطتها يمكن أن تملأ بعض الفجوات فى الأصل ، وإن كانت كتابة بعض الأسمــاء قد غيرت أحيانا فى قائمة « تهرقا » عن قصد وهاك القائمة :

(١) سنجار (٢ — ٣) الأقواس التسعة (٤) نهرين (٥) الأقواس التسعة (٦) شاس (٧) خيتا (٨) زرث (٩) أسسور (= اشور) (١٠) قادش (١١) قدن (١٢) اكريت = أوجاريت (١٣) تونب (١٤) « قادش » .
والواقع أن هذه القائمة إذا صدقنا حوادث التاريخ التى فى متناولنا حتى الآن تكشف لنا عن مقــدار ما فيها من مبالغة وبخاصة عندما نعلم أن « تهرقا » لم يغز هذه البلاد . وبخاصة آشور التى نعلم أن ملوكها هزموه شر هزيمة واستولوا على بلاده وتحتوى القائمة الخاصة بأهل الشمال على بلاد إفريقية مثل التحو وأكيتا وإبهت[1] .

وممــا تجدر ملاحظته هنا أن التمــاثيل التى عثر عليها فى قصر نينوه للملك « تهرقا » قد جاء عليها ذكر بلدة أسيوية تدعى « دجل » ممــا يدل على اتصال هذا الفرعون ببلاد سوريا وأنه كان بينه وبين أمرائها ود ومصافاة وستتحدث عن نقوش هذه التمــاثيل فيما بعد .

(٤) ويوجد مبنى يقع فى الشمال الغربى من البحيرة المقدسة أقامه « تهرقا » بأحجار من مبنى للملك « شبكا » وهذا المبنى قد اغتصبه « بسمتيك الثانى » بدوره ونسبه لنفسه فيما بعد[2] .

---

(١) راجع J. Simons, Egyptian Topographical Lists Relating to Western Asia, p. 103, & p. 187

(٢) راجع Bull. Instit. Fr. Ar. Tom. XLIX, p. 192.

(٥) مقصورة أوزير رب الجبانة

كشف الأثرى لجران عن هذه المقصورة عام ١٩٠٠[١] وكانت مغطاة بالأتربة فى قاعة العمد الكبرى بالكرنك وهى تتألف من حجرتين صغيرتين : ارتفاع الحجرة الأولى منهما ٢,٢٦ متراً وعرضها ٢,١١ متراً وباب هذه الحجرة يؤدى إلى الحجرة الأخرى التى يبلغ ارتفاعها ١,٢٤ من المتر وأغلب الظن أن هذه المقصورة تعد أصغر أثر دينى فى مصر . ولا شك فى أن صغر حجمه قد جعله يضيع وسط معبد الكرنك الهائل . وتقع هذه المقصورة فى شمالى قاعة العمد المذكورة على مسافة اثنى عشر متراً شمالى مقصورة « أحمس » . وتدل شواهد الأحوال على أن أحجار هذه المقصورة قد انتزعت من المبانى المحيطة بها شأن معظم ملوك مصر فى إقامة مبانيهم الموجودة فى وسط مبانى ضخمة عفى عليها الدهر .

الواجهة : نقش فى وسط عتب باب الحجرة الأولى طغراء الاله أوزير ، وهو « أوزير رب الجبانة » يعلوه تاج مؤلف من ريشتين فى وسطهما قرص الشمس ، وفى الجهة اليسرى نشاهد أولا « تهرقا بن رع معطى الحياة مثل رع » يقدم النبيذ للاله أوزير ورفيقته : « إعطاء النبيذ لوالده الذى انجبه ، معطى الحياة » . ونقش أمام وزير : نطق : « إنى أعطيك الحياة والسلطان » . ويلحظ أن الملك يلبس التاج المزدوج .

والمنظر الثانى نشاهد الإله الطيب تهرقا معطى الحياة يعانقه « حور » بن « ازيس » العظيمة ويقول له : « إنى أعطيك كل الحياة والسلطان وكل انشراح القلب مثل رع سرمديا » ويشاهد هنا أن « حور » بن « أزيس » قد مثل بجسم إنسان ورأس صقر كما مثل « تهرقا » مرتديا ملابس الرأس الكوشية وبيده مقمعة والعصا الخاصة بوضع الأساس .

---

(١) راجع Rec. Trav., XXIV, p. 208

الجزء الأيمن من المنظر الأول وجد فى أوله تهشيم . . . بيعنخى . . . « شبنوبت » العائشة تقدم اللبن للاله « بتاح » رب طيبة وإلى « حتحور » اللذين منحاه الحياة والسلطة ثم يلى ذلك متن قربان : إعطاء اللبن لوالدها ليعطيها الحياة . وترتدى « شبنوبت » على رأسها تاج حتحور بريشتين وقرنين فى وسطها قرص الشمس .

المنظر الثانى : نشاهد فى هذا المنظر الإلهة حتحور سيدة دندرة تعانق المتعبدة الإله « امنردس » وبيدها عقد منات (وهو عقد ذو تأثير سحرى) وتقول : إنى أعطيك كل الحياة والسلطان والصحة وكل انشراح القلب مثل رع أبديا . هذا ونقرأ خلف امنردس . . . . المتعبدة الإلهية « امنردس » المرحومة المهيمنة على كل الأرواح العائشة عند ما تظهر على عرش « وازيت » (= إلهة الوجه البحرى) .

على عارضة الباب اليسرى : المنظر السفلى : يشاهد فى هذه الصورة إله النيل يحمل فوق رأسه نبات بردى ومعه المتن التالى : « إنى أمنحك كل قرابين الغذاء » ومع هذا منظر الخبز والماء والجعة .

المنظر العلوى : نقرأ أولا فى نقوشه ما يأتى : ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تهرقا » بن « رع » محبوبه من جده « خو — رع — نفرتم » يعانقه أوزير . . ويلبس « تهرقا » هنا التاج المزدوج ويقبض بيده على مقمعة ومعه كذلك عصا وضع الأساس .

ونشاهد فى هذا المنظر كذلك الإلهة « نخبيت » تحلق فوق الملك قابضة على خاتم الأبدية .

عارضة الباب اليسرى : المنظر الأسفل : يشاهد فى هذا المنظر إله النيل يحمل الهدايا وفى المنظر العلوى نرى المتعبدة الإلهية وزوج الإله ومحبوبة الإله (المسماة) « شبنوبت » ومعها أمها التى تبنتها يد الإله « أمنردس » المرحومة تعانقها « إزيس »

العظيمة محبوبة الأم المقدسة . وترتدى هنا « شبنوبت » تاج « حنحور » وتقدم ومن الحياة إلى المتعبدة الإلهية « أمنردس » .

الحجرة الأولى :

نشاهد فوق الباب فى الوسط صورتين لإلهى النيل راكعين يربطان علامة الضم (أو بعبارة أخرى توحيد الوجه القبلى والوجه البحرى) تحت طغراءى الملك « بينوزم الأول » مما يدل على أن هذه المقصورة كانت أقدم من عهد الملك تهرقا .

وتحتوى سائر مناظر هذه الحجرة على صور تمثل « شبنوبت » و « تهرقا » يقدمان القربان للاله « أوزير » ومناظر أخرى تمثل شعائر دينية خاصة بالإله « أوزير » رب هذه المقصورة .

الحجرة الثانية :

هذه الحجرة صغيرة جداً وكذلك الباب الذى يؤدى إلى داخلها إذ يبلغ طوله ١,٣٢ متراً وعرضه ٠,٧٥ متراً ويشاهد على أحد جدرانها المتعبدة الإلهية « شبنوبت » تقدم البخور والماء للاله « أوزير » .

معبد أوزير «نب زت»

(= رب الأبدية)

كشف عن هذا المعبد الأثرى «بجران» عام ١٩٠٢، وقد عثر عليه عن طريق السباخين الذين وجدوا فيه آثاراً باعوها لمحمد محسب شيخ تجار الآثار آنئذ فى الأقصر ويقع هذا المعبد على مسافة خمسة وعشرين متراً غربى بوابة تحتمس الثالث ويلاصق كذلك السور الواقع غربى بوابة الإله «منتو» بالكرنك. ويصل الإنسان إلى هذا المعبد بسلم يتألف من ست درجات، وصدغا بابه مصنوعان من الحجر الرملى. والمعبد صغير الحجم جداً، ومقام باللبنات وسقف الحجرة الأولى يستند على عمودين؛ هذا وكان أمام مصراعى الباب قاعدتان لتمثالين صغيرين. وتدل شواهد الأحوال على أنه كان يوجد لهذا المعبد محراب. والمعبد أقيم «لأوزير» معطى الحياة أو «أوزير رب الأبدية».

ويرجع عهد إقامة هذا المعبد إلى الحكم المشترك لكل من الإله الطيب «خو رع نفرتم» رب الأرضين «تهرقا»، والزوجة الإلهية بنت الملك رب الأرضين بيعنخى المرحوم والمتعبدة الإلهية «شبنوبت»، وأمها المتعبدة الإلهية «أمنردس». وتدل الظواهر على أن المعبد كما وجده بجران كان قديما ولكنه أصلح فى عهد الملك «تهرقا» كما يدل على ذلك النقوش التى فيه (١). وقد وجد فى هذا المعبد تمثال صغير محروق جداً يبلغ طوله حوالى أربعين سنتيمتراً. ويلحظ هنا أن جسمه كان موشى فى كل أجزائه بصورة الإله أوزير، وكذلك نقش عليه متون تحدثنا عن وظائفه فنعلم منها أنه كان يحمل لقب المدير العظيم للبيت، ورئيس التحنيط لأنوب فى بيت التحنيط لسيدته الزوجة المقدسة «شبنوبت» المرحومة (المسمى) «حور».

---

(١) راجع A.S., IV, p. 182

وكذلك وجدت بعض قطع من تمثال من الجرانيت سرقت أجزاؤه الأخرى وهو يمثل رجلا يدعى « بس — شو — بر » راكعاً وممسكا بيده لوحة ، ويشاهد في اللوحة ما يأتي : رجلان راكعان فالذى على اليمين يتعبد لأوزير « بدى عنخ » (= أوزير معطى الحياة) ، والذى على اليسار هو القاضى للتعبدة الإلهية (المسمى) « بس — شو — بر » وقد مثل راكعاً يقدم صورة المعبد لآمون المسمى « آمون يا عشوت — نفر » . وتقص علينا اللوحة بناء معبد من الحجر الأبيض ، ولكن ليس لدينا من المتن إلا نهاية أربعة أسطر . والظاهر من النقوش التي على التمثالين أنفسهما أنهما كانا على القاعدتين السالفتى الذكر أمام مصراعى الباب . وقد أهدى « بس — شو — بر » المعبد لأوزير معطى الحياة ، ونقش اسم كل من « تهرقا » « وشبنوبت » عليه ، وذلك على غرار ما فعل المدير العظيم للبيت المسمى « بدى نيت » عندما أهدى مقصورة أخرى في الكرنك لكل من الملك « بسمتيك الثالث » وللأميرة «عنخ — نس — نفر أب رع » المتعبدة الإلهية ، وكما أهدى «شيشنق» بن «بدى نيت» مقصورة أخرى لنفس الأميرة كما سيأتى بعد .

و « بس — شو — بر » هذا معروف لدينا من نقوش علبة فاخرة ذات لويحات فاخرة محفوظة بمتحف اللوفر كان قد اشتراها الأثرى « بنديت » ونشر محتوياتها منذ بضع سنين ومن المحتمل أنها كانت ضمن أثاث معبد « أوزير عنخ » (= معطى الحياة) هذا ويضاف إلى ذلك أنه أقام بناء كبيراً ملاصقاً للجدار الجنوبي لمعبد «آمون» بالقرب من البحيرة المقدسة ، وقد نقش عليه مناظر طريفة للعيد الثلاثيني ، وهو كما ذكرنا من قبل عيد تتويج الملك « تهرقا » ؛ وقد مثل فيه موكب الأعلام كما هى الحال في كل الأعياد الثلاثينية ، وكذلك مثل أربعة الآلهة بهذا الحفل أو حكام أركان العالم الأربعة وهم « ددون » رب الجنوب ، و« سبد » رب الشرق و« سبك » رب الغرب ، و« حور » رب مصر . وهؤلاء الآلهة قد حملهم عالياً كاهن كل إله وكاهنته . وهذا يدل على أن الجنوب كان مركز التفكير . وقد ظهر

« تهرقا » بوصفه الزعيم الوراثى للملكة : الواحد العظيم وشيخ الجنوب . وبعد ذلك يظهر « تهرقا » وهو يرمى بأقواس من جديد فى جهات العالم الأربع فى حين أن زوجه المقدسة كانت تفوق سهامها إلى أهداف تمثل أقسام العالم الأربعة الخ . وقد تحدثنا عن هذا المنظر باسهاب فيما مضى .

معبد أوزير بتاح :

يقع هذا المعبد فى الجنوب الشرقى من البوابة العاشرة وهو فى الواقع عبارة عن مقصورة صغيرة « لأوزير بتاح » ، ولا بد أنها كانت قد أقيمت فى نهاية عهد الفرعون « تهرقا » لأن جزءاً صغيراً منها من صنعه أما الجزء الأكبر فمن صنع الملك « تانوتأمون » خلفه . وقد مثل «تهرقا» فى الحجرة الغربية منه فى منظرين وهو يتعبد للآله « بتاح » ولا غرابة فى ذلك عندما نعلم أن « تهرقا » كان قد توج فى «منف» وكانت له صلاة وثيقة بثالوثها وهو : « بتاح وسخمت ونفرتم » [1] .

مدينة « هابو » : عثر فى مدينة « هابو » على لوحة باسم الملك « تهرقا » عام ١٩٠٢ وهى من الحجر الجيرى [2] باسم الملك تهرقا ويبلغ ارتفاعها ستين سنتيمترا وعرضها ٣٦ سنتيمترا وجزؤها الأعلى مستدير صور عليه منظر يمثل الملك يقدم قربانا للآله « آمون رع » قاعدا على عرشه ، والإلهة « موت » واقفة خلفه وفوق هذا المنظر صورة السماء المقببة ترتكز على صوبجانين ويتدلى من قرص الشمس الذى أسفل السماء الصلان الملكيان وفى أسفل هذا المنظر ستة أسطر أفقية .

ومتن هذه اللوحة يعد وثيقة هامة عن مبانى مدينة « هابو » الدينية ، إذ تحدثنا أنه فى السنة الثالثه من حكم « تهرقا » أقام أثرا لنفسه لآبائه وهم الآلهة الستة أسياد

---

(١) راجع Porter & Moss, II, p. 95 ; Mariette, Mon. Divers, Pl. 79-87, Plan id. ib. Pl. 79 ; Jequier, L'Architecture, II, Pl. 76 [2-3].

(٢) راجع A.S., IV, p. 178-180

« آت تموت » (= مدينة هابو) بجدد الجدار الذى كان مقاما باللبنات ببناء من الحجر الصلب الرمادى وذلك لأن جلالته كان قد وجد هذا الجدار آيلا إلى الدمار لدرجة أن الإنسان كان يخرج ويدخل هذا المكان المقدس من جهته الشمالية ، فقد أعاد قداسة المكان المقدس لسيده لأجل أن يمنحه الحياة أبديا .

والواقع أن الجهة الشمالية للسور المقام من اللبنات كانت قد خربت فى خلال الحروب الكوشية فأمر تهرقا بإقامتها ولا يزال جزء منها باقيا حتى الآن ولدينا منظر فى مدينة « هابو » نشاهد فيه هذا الملك يضرب طائفة من القبائل من بينها « تبا » و « دشرت » وكوش الخاسئة وهذا المنظر قد انتحله الملك « نقطانب » أحد ملوك الأسرة الثلاثين . وعلى أية حال فإن هذا المنظر كان منقولا عن قائمة قديمة إذ لا يعقل أن يصف « تهرقا » كوش بالخاسئة وهو نفسه كوشى الأصل[1] .

هذا وقد وجد اسم « تهرقا » فى مدينة « هابو » على الجانب الداخلى للبوابة بجانب اسم « تحتمس الثالث » فى واجهة المبنى[2] .

وكذلك نجد اسم هذا الفرعون على عتب بوابة الملك « شبكا » بمدينة « هابو » ونقشا جاء فيه : يحيا ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تهرقا » محبوب « آمون رع » رب تيجان الأرضين معطى الحياة[3] .

وفى الدير البحرى وجدت له بعض إصلاحات[4] .

وفى طيبه وجد مخروط « لرعمسيس » عليه اسم الفرعون « تهرقا »[5] .

---

(١) راجع L. D., V., Pl. IC ; Maspero, The Passing of the Empires, p. 362. note 6.

(٢) راجع Transaction of the Society of Biblical Archeology Vol. VII p. 203

(٣) راجع L. D., Text, III, p- 153

(٤) راجع Ebers, Oberagypten, p. 237.

(٥) راجع Mission Archeologique Francaise, VIII, p. 273, 2

ويوجد فى شرقى معبد الإلهة « موت » بالكرنك[1] حجرة صغيرة يفتح بابها غربا وقد أقامها « تهرقا » لنفسه وسنتحدث عن المتون التى على جدرانها وهى خاصة بحياة الأمير « منتومحات » الذى يعد أعظم شخصية ظهرت فى العهد الكوشى بعد ملوكها .

قفط : ووجدت فى قفط لوحة من الجرانيت مثل عليها « تهرقا » واقفا أمام الإله « مين » والإلهة « إزيس » وتحتوى على متن خاص بالفيضان فى السنة السادسة من حكم « تهرقا » وقد تحدثنا عنه فيا سبق .

المطاعنة : وفى المطاعنة عثر كذلك على لوحة خاصة بالفيضان وهى من الجرانيت الأحمر وعليها منظر مزدوج . نشاهد فيه « تهرقا » يقدم رمز الحقل للاله « همن » إله الصحراء[2] وتحتوى على متن مؤرخ بالسنة السادسة من حكم تهرقا خاص بالفيضان كذلك وهى صورة طبق الأصل من لوحة « قفط » وقد تحدثنا عنها فيا سبق .

الحمامات : وجد اسم الملك تهرقا على صخور محاجر الحمامات مما يدل على نشاط جديد فى هذه المحاجر[3] .

السرابيوم : عثر على لوحتين خاصتين بدفن عجلين من عجول أبيس فى منطقة منف الأولى مؤرخة بالسنه العاشرة من عهد تهرقا وهى مكتوبة بالمداد الأسود . دونها رجل يدعى « حتب حو آمن » . أما الثانية فقد دوّن عليها : دفن عجل أبيس فى السنة الرابعة والعشرين من حكم تهرقا وقد تحدثنا عنها فيا سبق .

منف : وجد لهذا الفرعون موازين من الجرانيت عليها طغراؤه وهى محفوظة الآن بالمتحف المصرى[4] .

---

(١) راجع Rec. Trav., XXXVI. p. 57.

(٢) الاله « همن » هو إله قديم فى صورة صقر . راجع Bonnet, Reallexekon der Aegyptischen Religionsgeschichte, p. 285

(٣) راجع Gollenicheff, Hammamt IV, 2

(٤) راجع Maspero, Guide To the Egyptian Museum Translated by quibel. p. 327

تانيس : أقام الملك « تهرقا » لوحة فى « تانيس » تخليدا لذكرى مجئ والدته من نباتا لزيارته وعن فيضان النيل وقد تحدثنا عنها فيما سبق .

آثار أخرى للفرعون تهرقا فى متاحف العالم والمتحف المصرى

(١) المتحف البريطانى[١] : يوجد فى المتحف البريطانى لوحتان من البرنز نقش عليهما متن يحتوى على ألقاب الفرعون « تهرقا » بوصفه ملك الوجهين القبلى والبحرى « خو رع نفر تم » بن رع محبوب الآلهة « مسخنت » نزيلة العرابة (= جبانة العرابة المدفونة) معطى الحياة مثل رع ، وهاتان اللوحتان تدلان على أن تهرقا كان صاحب هبات فى معبد العرابة . ومن المحتمل أنه قد عثر عليهما فى هذا المكان .

(٢) وأشار الأثرى « روزالينى » إلى وجود تابوت سيدة كانت مرضعة ابنة الملك تهرقا وهذا التابوت محفوظ بمتحف فلورنسا[٢] .

(٣) متحف اللوفر : توجد عدة وثائق ديموطيقية مكتوبة على البردى من عهد الملك « تهرقا » محفوظة بمتحف اللوفر ومتحف القاهرة وبعضها مؤرخ بالسنة الثالثة وبعضها مؤرخ بالسنين الخامسة والسادسة والسادسة عشرة[٣] .

وقبل أن نضع أمام القارئ ترجمة بعض هذه النصوص الديموطيقية يطيب لنا أن نضع أمام القارئ فكرة عن أصل نشأة هذه الكتابة وتطورها وبخاصة فى العهد الكوشى الذى ظهرت فيه .

---

(١) راجع Transactions of The Society of Biblical Archaeology Vol. VII. p. 203

(٢) راجع Ibid. p 203

(٣) راجع Revillout, Quelques Textes Demotiques, p. 230-255; Deveria, Catalogues des Manuscrits Egyptiens 8 Paris 1875, p. 206; Griffith, Catalogue of the Demotic Papyri in the John Rylands Library, Manchester, Vol. III., p. 15, ff & 57

بداية ظهور الكتابة الديموطيقية

فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين

أشرنا فى الجزء الأول من هذه الموسوعة إلى وجود نوع من الكتابة يدعى الكتابة الديموطيقية ، أى لغة الناس (راجع مصر القديمة الجزء الأول ص ١٢٧) غير أننا لم نبحث فى أصل نشأتها وزمن انتشارها . والواقع أن هذا النوع من الكتابة ليس إلا تطورا طبعيا من الكتابة المصرية القديمة ظهرت بوادره فى أوائل الأسرة الخامسة والعشرين ، أى فى عهد قيام الأسرة الكوشية فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، ولم تكن هذه الكتابة بالديموطيقية البحتة بل كانت مزيجاً من الخط الهيراطيق والخط الديموطيق كما سنبين ذلك هنا .

ويرجع أول ذكر للخط الديموطيق إلى المؤرخ « هردوت » الذى عاش فى منتصف القرن الخامس ق . م . فقد قال إن المصريين استعملوا نوعين من الكتابة أحدهما يدعى الكتابة المقدسة والثانى يدعى الكتابة العامية[1] . وقد استعمل نفس التعبير الكاتب « هليودوروس »[2] الذى عاش فى القرن الرابع . ومن ثم أخذ التعبير « ديموطيق » للدلالة على الكتابة العامية المتداولة بين أفراد الشعب . وتدل الأحوال على حسب معلوماتنا أن الوثائق الديموطيقية قد أخذت تظهر بصورة واضحة حوالى عام ٦٥٠ ق . م ، ولا بد أنها قد سقطت من الاستعمال بسقوط الوثنية فى خلال القرن الرابع بعد الميلاد ، وذلك على الرغم من أن الأثرى « بركش » واضع أصول اللغة الديموطيقية قد صادف بعض كتابات على الصخور فى معبد الفيلة بالخط الديموطيق .

---

(١) راجع Herodot, II, 36

(٢) راجع Heliodorus, IV, 8

وأقدم نقوش نعرفها فى مصرهى الإشارات الهيرغليفيه وهى التى توضح بالصور ، وهذه الإشارات منذ ظهورها فى الأسرة الأولى المصرية كانت قد بدأت تكتب باختصار ، وعندما كانت تكتب بقلم من البوص مبرى على الحجر كانت تأخذ الشكل المبسط الذى يعرف فى عرفنا بالخط الهيراطيقى أو كتابة الكهنة وكانت الكتابة منتشرة تماماً منذ الأسرة السادسة . أما فى عهد الدولة الوسطى فلدينا كل أنواع الخطوط المصرية فلدينا الخط الهيرغليفى الفاخر المنمق الذى نقش على الآثار الضخمة كما لدينا فى الوقت ذاته الخط الهيراطيقى المختصر الذى اختفت منه كل آثار الصور الأصلية التى تمثلها فى الأصل أى المأخوذ عنها . وهذه الكتابات المتنوعة قد بقيت مستعملة فى خلال الدولتين الوسطى والحديثة ، غير أن الكتابة الخطية لكل عصر كانت تميز عن الأخرى بخواص ظاهرة يمكن بها معرفتها بسرعة . وقد كانت الكتابة الخطية العادية فى هاتين الدولتين هى التى تعرف باسم الهيراطيقية ، ولكن هذا الاسم لم يطلق عليها إلا فيما بعد ، على أن الكتابة الهيراطيقية التى كتبت باختصار بسيط قد خصصت لنسخ الكتب المقدسة وما شابهها وعدت أنها صورة من الكتابة الهيرغليفية فى حين أن صورها المختصرة جداً قد تطورت إلى كتابة أخرى مميزة أى الكتابة الديموطيقية واستعملت للأغراض العادية اليومية وبخاصة فى كتابات العقود على أن ذلك لا يعنى أن المصرى لم يستعمل الكتابة المختصرة فى كتابة عقوده إذ الواقع أننا نجد أنها قد كتبت كذلك منذ الدولة الوسطى حوالى ٢٠٠٠ ق م بل ونجد أمثلة قليلة كتبت فى عهد الدوله القديمة ، ولكن لم يكشف حتى الآن عن مجموعة وثائق قانونية حتى الآن ترجع إلى هذه العهود المصرية القديمة إلا ما تحدثنا عنه فى تاريخ الأسرة العشرين وأسهبنا فيه القول حتى العهد الكوشى الذى نحن بصدده الآن فقد بدأت تظهر فيه الأوراق البردية القانونية فى مجاميع محسة تخللتها فترات كانت تختفى فيها هذه الوثائق ، غير أنها مع ذلك قد ألفت سلسلة متصلة الحلقات من الوثائق الديموطيقية والآرامية (من العصر الفارسى) والاغريقية والقبطية والعربية وقد ظلت الحال كذلك حتى بطل استعمال الورق البردى فى القرن التاسع بعد الميلاد .

على أن هذا التضاد البين لا بد أن يدل على بعض تغير قانونى أو تجارى فى هذا الوقت الذى نحن بصدده . وعلى أية حال يمكننا أن نعترف بأن كل قرن فى حياة بردية ما يسبب خطرا فى تلفها حتى عندما تنجو من الأخطار الطبيعية التى ربما تلحق بها كالرطوبة والعثة والنار وهذه عوامل قد سببت القضاء على ملايين من البرديات فى كل ورقة نجت منها ، غير أن عظم قدم هذه البرديات وحده لا يمكن أن يفسر قلة وجود الوثائق القانونية من العصور الأولى وذلك لأنه يوجد لدينا عدد عظيم من البرديات التى تبحث فى مواد أخرى غير القانونية .

ومن المحتمل أنه توجد عدة أسباب يمكن أن ندلل بها على كثرة الوثائق القانونية لجاءة فى الأسرة الخامسة والعشرين . من ذلك أن ازدياد التجارة البحرية والبرية فى الألف الأولى قبل الميلاد قد أوجدت حتما طائفة جديدة من التجار الأثرياء مما سبب تبادل الملكية من كل نوع بين أيد عديدة ، فى حين أن الاتصال بالفينيقيين المهرة أصحاب الأعمال وغيرهم من الساميين قد فتح أعين المصريين إلى ضرورة الدقة فى معاملاتهم .

وهذه المؤثرات يمكن أن تحس على أغلب الظن فى بلاد دلتا النيل ، أما فى الوجه القبلى فإن تأثير ذلك كان ثانويا . ومن المحتمل أن ديدور الصقلى لم يكن بعيداً عن الصواب عندما يحدثنا عن « بوكوريس » وهو الضحية التعسة التى وقعت فى يدى « شبكا » كما يقال . وهو الذى تذكره لنا التقاليد على الرغم من حكمه القصير بأنه كان مشرعا وقاضيا وصاحب فطنة منقطعة النظير بما أدخله من دقة فى موضوع العقود . فاستمع لما يقوله ديدور[1] « ويقولون إن الملك «بوكوريس» كان مشرعا رائعا ، وهو رجل حكيم وبارز بسبب مهارته وقد وضع كل القواعد التى حكمت الملوك بها . وأضفى دقة على القوانين الخاصة بالعقود ، وقد بلغ من الحكمة فى قراراته القانونية

---

(١) راجع Diodorus, I, 94. 5

شأنا عظيما لدرجة أن كثيراً من أحكامه تذكر لامتيازها حتى يومنا ». وفى موضع آخر يقول ديدور[1] « إنهم يقولون إن القوانين الخاصة بالعقود هى « لبوكوريس » ، وهذه تأمر بأن الأشخاص الذين اقترضوا دينا دون اتفاق مكتوب ، وينكرون أنهم استدانوه بعد حلف اليمين يصبحون معفين من هذا الدين » . ونحن نعلم أن الملك « بوكوريس » كان من بلدة « سايس » ، وسواء أكان حكمه قاصرا على الوجه البحرى أم لا ، فإنه قد كسب تجاربه هناك . ومن المحتمل أن أقدم هذه العقود المتأخرة الباقية لنا يرجع تاريخها إلى عهد الملك « شبكا » وقد عثر عليه فى طيبة . والواقع أن الأوراق التى من الوجه البحرى نادرة جداً وذلك لعدم ملاءمة الجو لحفظها ، وإلا لكان من الطبعى أن نرى الوجه البحرى هو المصدر الغزير لهذه الوثائق . وتدل الأحوال على أن المشرع الأصلى لهذه القوانين لم يكن كوشيا ، ولكن على الرغم من ذلك لابد أن نعترف أن نظاما جديداً للكتابة قد اخترع فى كوش أو لأجلها بعد بضعة قرون فيما بعد .

وإذا رفضنا جدلا بيان « ديدور » عن هذه القوانين واعتبرناه لا قيمة له ، فإنه يمكن أن نقبل الملحوظة التى يقدمها لنا متنه هنا وذلك لأنها تتفق مع الحقائق المعلومة لدينا فإذا تركنا التفاصيل جانباً فإنه يمكن أن نعترف بأنه حوالى ٧٢٠ ق. م كان عدم الدقة فى طريقة تسجيل المعاملات القانونية عاديا ، وفى الوجه البحرى كانت الاعترافات الرسمية والأيمان أمام الشهود والجمعيات وبخاصة أمام أعضاء المجالس المدنية والقروية والموظفين حتى هذا العهد هى الأداة الرئيسية للعقود القانونية ونقل الملكية ، ومن ذلك العهد قد أصبح التسجيل كتابة يمثل مكانة أبرز ولا غنى عنه .

وهكذا نجد أن كثرة الوثائق القانونية نسبياً فى خلال الأسرة الخامسة والعشرين

---

(١) راجع Ibid, Cap. 79, 1-3

وما بعدها قد أصبح مفهوماً سببه وذلك لزيادة عدد المعاملات وعظم الحاجة للسجلات المدونة .

والآن نعود لبحث. موضوع عمر الكتابة الديموطيقية ولا يمكننا أن نحدد على وجه التأكيد عمر هذه الكتابة أو اللغة .

والواقع أن هذه الكتابة ليست إلا النمو الطبعى للخط الهيراطيقى المختصر (الذى يعد بدوره اختصاراً للخط الهيرغليفى الذى يكتب بالقلم) . وقد أخذ شيئاً فشيئاً يستقل عن الكتابة الهيرغليفية الأصلية ، وأخيراً تبلور فى مجموعة رموز جديدة . فنجد فى بعض الوثائق القانونية التى عثر عليها فى « طيبه » ويرجع عهدها إلى الأسرة العشرين ، فقرات كتبت بخط مختصر يظهر فيه بعض خصائص الخط الديموطيقى . هذا ونشاهد أن كلا من الكتابة واللغة المكتوبة قد استمرت فى التغير حتى الأسرة الواحدة والعشرين ، وذلك على الرغم من أن الأكثرية من المتون الباقية وهى ذات طابع دينى أو رسمى ، كانت تحفظ اللغة القديمة والخط الهيرغليفى أو الخط الهيراطيقى الخشن . وأوراق البردى المكتوبة بحرية من الأسرة الواحدة والعشرين نادرة جداً . هذا ولا نجد أوراقاً بردية فيما عثر عليه تمثل العصر الذى يلى الأسرة السابقة الذكر .

وفى بداية العهد الكوشى ، أى فى نهاية القرن الثامن ق . م ، نجد الكتابة العادية على البردى قد أخذت تظهر مع الوثائق القانونية الخاصة بالأسرة الخامسة والعشرين ، ومن هذا الوقت أصبح يطلق على مثل هذه الأوراق تسهيلا للأمور « ديموطيقية » فى العرف الحديث ، وذلك على الرغم من وجود صيغ ديموطيقية وأخرى هيراطيقية فى وثيقة واحدة بعينها لمدة نحو خمسين سنة . والواقع أن أوراق البردى الطيبية حتى عهد الملك « أحمس الثانى » قد سارت على أسلوب خاص ، ومع أنه لايكاد يكون هيراطيقياً ، فإنه مع ذلك يتبع طريقاً مختلفاً فى تطوره عن الخط الديموطيقى ، ولا يمتزج مع الأخير إلا شيئاً فشيئاً . وهذا الأسلوب فى الكتابة

قد أطلق عليه اسم « الهيراطيق الشاذ » ، والخط الديموطيقى الحقيقى لابد أنه كان قد نمـا واكتمل فى مصر الوسطى والوجه البحرى .

والواقع أن كل المتون التى كتبت بالخط الهيراطيقى الشاذ يمكن البرهنة على أنها من أصل طيبى وذلك من نفس صلب المتون ، ومن معرفة المكان الذى أتت منه . وليس لدينا براهين تدل على أنهـا أتت من أماكن أخرى . والواقع أن طيبة هى المصدر الوحيد للعقود حتى العصر البطلمى . وليس لدينا متن واحد ممـا نشر من طيبة ويرجع عهده إلى أقدم من عهد أحمس الثانى قد كتب بالخط العادى . ومن جهة أخرى نلحظ أن كل المتون التى عثر عليها فى « الحيبة » بمصر الوسطى حتى السنة العشرين من عهد بسمتيك الأول قد كتبت بالـكتابة العادية ، وذلك على الرغم من أن الـكتابة هيراطيقية كانت موجودة فعلا ، وعلى ذلك فإنه من الواضح أن الـكتابة « الهيراطيقية الشاذة » سواء أكانت طيبية أم لا فى أصلها فإنها متناسلة من هيراطيق الأسرة الثانية والعشرين ، وأنها قد استمرت طويلا فى أقليم طيبة المحافظ ، فى حين أن الاسلوب العادى كان يشق طريقه جنوبا ، ويحتمل أن قد أتى من الوجه البحرى ، وأنه كان قد حل محله فى الاقليم الطيبى الخط الأخير فى خلال حكم أحمس الثانى الطويل.

وهاك نص بعض الوثائق الديموطيقية التى من عهد « تهرقا » :

(١) عقد بيع عبد [1] :

السنة الثالثة فى العاشر (؟) من شهر طوبة من عهد الفرعون « تهرقا » بن « إزيس » محبوب آمون له الصحة والسلطان والعافية أبديا مثل رع (؟) .

هذا اليوم : أعلن « باسمنآمون » بن « ستامنكو » وكذلك « ثبس » أخته أعلنت إلى مغنية آمون المسماة « تنسيحبس » ابنة « إتوروز » (بمـا يأتى) :

---

(١) راجع Catalogue of The Demotic Papyri in the John Rylands Library, Vol. III, p. 57

لقد أعطيناك يا « وزحور » (؟) يا رجل البلاد الشمالية لتدفن بوساطته (؟) « ستامنكو » وكذلك « حتب أسي » زوجه وهما والدتنا ووالدنا .

وقد دفعنا لك دبنين وأربعة قدات من فضة خزانة (معبد) الأله حرشف مقابل ثمنه ، لأجل أن يدفن بها (؟) « ستامنكو » وكذلك « حتب أسي » : وليس لى أى مدع (؟) لفضة أو أى مدع لحنطة أو لأخ أو لأخت أو لابن أو لابنة أو لسيد أو لسيدة أو أى رجل فى كل الأرض يخص «ستامنكو» يكون له أى ادعاء على «وزحور» بأية حالة ما .

وقد أعلنوا بحياة آمون ! وبحياة الفرعون ما دام فى صحة وآمون يمنحه النصر ! والمتعبده الإلهية لآمون سيدتى تعيش وعمرها طويل ، فإنه لن يكون فى استطاعتى أن أسحب الوثيقة التى عملت أعلاه .

الـكاتب الشاهد : أنو . . .

فى حضرة « بتأمنؤبى » بن « حربس » : للاعتراف بكل كتابة أعلاه : فى السنة الثالثة عشرة (؟) « طوبة » ويلى ذلك ستة شهود يعترف كل منهم بصحة هذا العقد مع اقتباس الفاظه على وجه عام .

ويلحظ فى هذه الوثائق المكتوبة بالديموطيقية أن عبيد الشمال يمكن أن يكونوا من اتباع الملك « بوكوريس » وكان قد استولى عليهم الملك شبكا واشتراهم فى الحال أفرادا من أهل طيبة الذى كان ضلعهم مع الـكوشيين فى مناهضة أهل الوجه البحرى .

ويلحظ كذلك فى هذه الوثيقة أن خزانة الإله « حرشف » كانت عملتها بطبيعة الحال تعد معيارا لنقاء الفضة وكان هو المتبع فى التعامل .

وقد جاء ذكر ذلك فى برديات أخرى مؤرخة بالسنة ١٦ من حكم نفس هذا الملك وبالسنتين ٣٠ و ٤٥ من حكم « بسمتيك الأول » .

هذا ونجد فى بعض الأوراق بدلا من معيار خزانة «حرشف» معيار خزانة « نى » أى طيبة . أما فى الأوراق التى من عهد الملك « دارا » فنجد معيار فضتها معلمة بفضة خزانة « بتاح » . ومن ثم نعرف أنه فى عهد الملك « دارا » كان المعيار للفضة هو المعيار المنفى فى خزانة « بتاح » . وقد ذكر أن « أرياندس » شطربة[1] مصر وهو الذى نصبه قمبيز فى وظيفته هذه كان قد قتله « دارا » لأنه حاول أن يناهض معياره الجديد الذى عمله من الذهب الخاص بدرجة عظيمة بآخر من الفضة على درجة عظيمة من النقاء فى مصر حتى أنه فى عهد « هردوت » لم تكن توجد فضة تعادل فضة « إرياندس » فى نقائها (راجع Herod, II. 166) ومن المحتمل أن الفضة فى أيامه كانت تضرب مثل الذهب .

(٢) عقد مخالصة[2] : السنة الخامسة فى ١٩ أبيب : يقرر « بدى خنوم » ابن « أنحورى » إلى « بدى باستى » (؟) بن « بدى أمنؤبى » زميله بالنزول عن ثلاث إماء وعبد كانوا ملك « ستامنكو » و « حتبئيسى » وذلك فى مقابل توريد حاجيات الدفن لهذين الشخصين هذا مع رضائه عن كل ما عملوه . وقد أسهم هو نفسه بمبلغ دبن و (؟) عبد لأجل الدفن . وليس له أى حق على « بدى باستى » فيما يخص المصاريف ، وأنه يجد أن « بدى باستى » قد أسهم بمبلغ سبع قدات من جيبه الخاص . ثم يلى ذلك اليمين واسم الكاتب وشهادة الشهود .

(٣) عقد مخالصة[3] : السنة السادسة الخامس من بؤنة . (المضمون) كان « بدى خنوم » فى نزاع مع زوجته الأولى على دبنين من الفضة وهما جزء من ستة دبنات ادعاها « بدى خنوم » وأخته « حتبئيسى » بسبب عبد صانع من الشمال بيع له فى السنة السابعة من حكم « شبكا » وقد طلب إلى المحكمة العليا فى « نى »

---

(١) شطربه حاكم فارسى لمقاطعة أو مديرية من مديريات امبراطورية فارس .

(٢) راجع Ibid, p. 15

(٣) راجع Ibid, p. 15

أى طيبة هو والمشرف على السجلات لأجل أن يعطى « بدى مين » خلاصة مكتوبة .
وقد أعطى « بدى ختوم » الخلاصة بمبلغ ستة دبنات وجعل تسعة أشخاص مسهمين
فى الموضوع بما فيهم هو وزوجه الأولى وزوجه الأخيرة دون دخول أخته يحلفون
أمام « آمون » بأن الدبنين قد دفعا عند ما كانت زوجه الأولى فى « طيبه » .
ويلى ذلك اسم الكاتب وستة شهود . ومن المحتمل أن ما جاء فى هذه الوثيقة عن المحكمة
العليا التى كانت ذات شهرة عظيمة فى عهد الدولة الحديثة هو أحدث إشارة لاجتماعها .
وقد كان زوجتا « بدى خنوم » على قيد الحياة غير أنه من المحتمل أن واحدة منهما
كانت مطلقة .

(٣) عقد بيع خيوط نسيج[١] :

السنة السادسة عشرة من شهر بشنس (بدون ذكر اسم ملك) . ومضمون العقد
أن امرأة تطالب سقاء بمبلغ ½ قدات من الفضة من خزانة «حرشف» ثمناً لخيط
بيع له لأجل نسجه ، وتعلن أنها ليس لها حق عليه ثم تذيل الوثيقة باليمين المعتاد
بل نجد اسم الكاتب . أما الشهود فقد فقدت أسماؤهم .

ويلحظ هنا أن السقائين كانوا تابعين للقبور والجبانات وكانوا فى الوقت نفسه
عادة مكلفين بحمل محاريب الآلهة فى المعابد المجاورة . ويمكن أن نتصور على وجه
التأكيد ما كانوا يقومون به من واجبات فى خدمة الآلهة غير أن ما نعرفه عنهم ضئيل
وكان أولئك الذين يتبعون المقابر يتقاضون أجورهم من الأراضى التى كانت محبوسة
على هذه المقابر ، وذلك بالاضافة إلى المكافآت والقربات التى كانوا يعطونها .

متحف القاهرة : ويوجد فى متحف القاهرة رأس تمثال للملك « تهرقا »
اشترى من الأقصر[٢] وكذلك عثر على رأس آخر من الجرانيت الأحمر لهذا الملك محفوظ
كذلك بالمتحف المصرى[٣] .

---

(١) راجع Ibid, p. 16

(٢) راجع A. Z., XXXIII, Pl. VII.

(٣) راجع Maspero, Guide, p. 183.

برمنجهام : يوجد تمثال صغير من البرنز فى مجموعة « ماك جريجور » فى « نام ورث » فى « برمنجهام » . وهذا التمثال ارتفاعه ١٤ سنتيمتراً وهو يمثل الملك « تهرقا » راكعاً يقدم قربانا والظاهر أنه كان فى يده آنية قربان أو صورة إله ، والشئ الذى يلفت النظر فى هذا التمثال هو القلادة التى حول رقبته إذ تتألف من حلقة حول الرقبة يحليها رأس كبش يحمل قرص الشمس وصلان ونجد لذلك نظائر فى صورة الملوك التى عثر عليها فى معبد « برقل » . ووجه التمثال قد تآكل بعض الشئ غير أن ما تبقى منه يثبت أنه كان مستدير الوجه ومن ثم يختلف عن الوجه المصرى العادى ، والواقع أنه يذكرنا بوجه رأس التمثال الذى ذكرناه آنفا وهو محفوظ بالمتحف المصرى ويمثل وجه الملك تهرقا[١] يضاف إلى ذلك أن اسم « تهرقا » قد وجد منقوشا على الجزء الأوسط من حزامه[٢] .

باريس : وأخيراً يوجد « لتهرقا » تمثال فى هيئة بوالهول محفوظ بمتحف باريس[٣] .

جعارين تهرقا : وجد « لتهرقا » جعارين قليلة جداً[٤] .

« بالميرا » : وجد للملك « تهرقا » طابع خاتم بيضى الشكل فى « بالميرا » والظاهر من الكتابة التى على هذا الطابع : « لآمون «تهرقا» أنه أعطاك الحياة أبديا » . ولما كان هذا الأثر قد وجد مع أشياء أخرى فإنه من الصعب التكهن بكيفية وصوله إلى هذا المكان . والطابع محفوظ الآن بالمتحف البريطانى[٥] .

هرم « تهرقا » : تحدثنا فيما سبق عن مدافن ملوك كوش الواقعة فى بلدة

---

(١) راجع A. Z., XXXIII, Pls. VII, VIII

(٢) راجع Ibid, p. 115

(٣) راجع Pierret, Catalogue, Salle Historique, p. 266

(٤) راجع Petrie, History, Vol. III, p. 295

(٥) راجع (T.S.B.A , VIII, p. 208)

« الكورو » غير أنه لم يعثر بين مقابر جبانة « الكورو » على قبر الملك « تهرقا » ، وقد كشف عنه الدكتور « ريزنر » فى بلدة « نورى » . والواقع أن المدافن الملكية الكوشية فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين كانت كلها تتجمع حول عاصمة الملك وقتئذ وأعنى بذلك مدينة « نباتا » .

ولا نزاع فى أن مدينة « نباتا » كانت تقع على ضفتى النيل ، غير أن حدود المساحة التى كانت آهلة بالسكان قد انكمشت من عصر لعصر ولذلك لا يمكن حصرها على وجه التأكيد . ومن المحتمل أن المركز الدينى والسياسى كان بالقرب من جبل « برقل » أو الجبل المقدس ، وتدل المعابد التى هناك على أنه كان آهلا بالسكان منذ عهد الدولة الحديثة حتى العصر المروى .

ويلحظ أن الجبانات الملكية التى فى « نورى » و « تنجاس » و « زوما » و « الكورو » كانت بعيدة عن هذا الموقع بل يحتمل أنها كانت مراكز تحمل أسماء مستقلة ، ومع ذلك فإن نباتا لابد كانت عاصمة الملك لكل هؤلاء الملوك الذين دفنوا فى هذه الأماكن الأربعة وكذلك الذين ثووا فى « نباتا » نفسها .

وتقع مجموعة أهرام « نورى » أو « بلال » (كما كانت تسمى أحياناً) فى أقصى الشمال من خمس مجاميع الأهرام التابعة لنباتا . وتقع « نورى » نفسها على مسافة حوالى خمسة أميال فى أعلى النهر من بلدة « برقل » ، ولكن على الشاطئ المقابل ، أو بعبارة أخرى على الشاطئ الأيسر للنيل . وفى هذه البلدة تقع مجموعة الأهرام التى دفن فيها بعض ملوك كوش ومن بينهم تهرقا .

وقد قام الدكتور « ريزنر » بعمل حفائر فى منطقة أهرام « نورى » وكشف عن محتويات عدد عظيم منها وحقق معظم أسماء أصحابها . غير أنه مما يؤسف له جد الأسف أن معظم الأهرام كانت قد نهبت فى الأزمان القديمة والحديثة أيضاً ، كما أن بعضها كان قد نظف تماما على يد اللصوص فلم يتركوا فيها شيئاً قط . هذا

إلى أن المعابد الجنازية التابعة لهذه الأهرام قد انتزعت أحجارها من أماكنها ووجدت إما ملقاة على الأرض أو مستعملة فى إقامة مبان حديثة . وقد أمكن الأستاذ « ريزنر » تحقيق أصحاب هذه الأهرام من الآثار التى وجدت داخل حجرة الدفن أو من الآثار الثقيلة الوزن التى لم يمكن حملها بسهولة إلى أماكن بعيدة عن مكانها الأصلى .

ففى الهرم رقم واحد وهو الذى دفن فيه « تهرقا » عثر فى داخل الهرم وحوله على أكثر من سمائة تمثال مجيب كتب عليها « أوزير » الملك « تهرقا » . ويلحظ أن هذه التماثيل كانت ترتدى لباس الرأس الملكى ونحتت فى الحجر وهى فى أشكالها كالتماثيل المجيبة المصرية ، وكذلك وجدت فى قبره آنيتان من أوانى الأحشاء باسم هذا الفرعون ، وكذلك نقش عليها الصيغة المعتادة التى كانت من طراز الأسرتين الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين وهى : « حماية أوزير الملك « تهرقا » المرحوم : « إن حابى يحمى « أوزير » « تهرقا » المرحوم بأنه « حابى » الذى يقول . . . » « لنفتيس » .

وقد أظهرت عمليات الحفر فى منطقة « نورى » أن الأهرام الملكية هناك كانت من طراز واحد وتمتاز بخواص ثلاث وهى : أولا : الهرم نفسه الذى يتبعه مقصورة خارجية بنيت فى جهة منه . ثانياً : كان لكل هرم سور يحيط به وبالمقصورة . ثالثا : كان لحجرة الدفن سلم مفتوح ينحدر من الغرب ويؤدى إلى سلسلة حجرات مؤلفة إما من حجرتين أو ثلاث حجرات للدفن .

وكان جدار الهرم عالياً وينحدر حوالى ٦٩ درجة وارتفاعه حوالى سبعة وأربعين متراً وكسوته من الحجر الرمادى المحلى . أما أحجاره الأصلية فمن الحجر الأسمر المائل للصفرة وتبلغ مساحة هذا الهرم حوالى ٥١٦٩ متراً مربعاً .

وكان المعبد الجنازى أو المقصورة تتوسط الجدار الغربى للهرم وتلاصقه ، وتحتوى على حجرة واحدة بابها فى الجهة الغربية وفيها كوة فى الجهة الشرقية مقابلة للباب ،

(١) Reisner Preliminary Report on the Harvard Excavations at Nuri : The Kings of Ethiopia After Tirhaqa, p.37

وكانت فى العادة تحتوى على لوحة من الجرانيت ؛ أما الأشياء التى كانت توضع فى هذه المقصورة فتتألف من مائدة قربان مرتكزة على عمود قصير موضوع فى وسط الحجرة وعلى قاعدتين للقربان مجوفتين تكتنفان مائدة القربان واللوحة .

أما الحجر التى تحت الأرض ، وهى كما قلنا المخصصة للدفن ، فكانت مرتبة الواحدة خلف الأخرى فى محور الهرم ، وقد كان عدد الحجرات فى الأهرام التى بنيت فى العهد المبكر اثنتين ثم زيدت فيما بعد إلى ثلاث . وكانت المومية توضع فى الحجرة الثالثة ، أما الحجرتان الأولى والثانية فكانتا مخصصتين للأثاث الجنازى .

وتدل شواهد الأحوال على أن أول ملك معروف لنا أقام هرمه فى هذه الجهة هو « تهرقا » وقد جاء بعده ملكا على البلاد « تانوتأمون » كما سنرى بعد[1] .

أسرة الملك « تهرقا » :

ذكرنا من قبل أن الملك « تهرقا » هو ابن الفرعون « بيعنخى » وأمه هى الملكة « أبار » ولم يعرف المكان الذى دفنت فيه على وجه التأكيد وقد ذهب الأستاذ « ريزنر » إلى أنها دفنت مع ابنها فى جبانة « نورى » فى القبر رقم ٣٥ غير أنه لم يوجد فى هذا القبر إلا تماثيل مجيبة منوعة ولكنها ليست من الصناعة الكوشية المبكرة كتماثيل « تهرقا » المجيبة ، وكذلك فيها أوانى أحشاء عارية عن الكتابة[2] . وقد جاء ذكر هذه الملكة على لوحة « الكوة » رقم ٥ وكذلك جاء ذكرها فى معبد جبل « برقل » رقم ٣٠٠ (B. 300) .

زوجاته : تزوج « تهرقا » من عدة نساء نذكر منهن :

(١) الملكة اتخباسكن : (Atakhebasken) . ودفنت فى هرمها بجبانة « نورى » فى القبر رقم ٣٦ ، وقد عثر لها على خمسة تماثيل مجيبة مكتوب عليها

(١) راجع .Ibid, p. 46

(٢) راجع .Ibid, p. 13 No. XXXV

اسمها بالمداد كما وجد لها آنيتان للأحشاء محفوظتان بمتحف بوسطون ولها كذلك مائدة قربان فى متحف « مروى »[١] .

(٢) الملكة تابكنأمون : (Tabekenamon) . لم يعرف قبرها بعد وهى ابنة الملك « بيعنخى » ويحتمل أنها تزوجت « تهرقا »[٢] .

(٣) الملكة نابارى (Naparye) . وهى ابنة « بيعنخى » وأخت «تهرقا» وزوجه ، دفنت فى « الكورو » فى المقبرة رقم ٣ ؛ وقد وجد هرمها مهشما ؛ وعثر فى قبرها على مائدة قربان نقش على حافتها اسم نابارى وألقابها[٣] . وهذه المائدة محفوظة الآن بمتحف الخرطوم[٤] .

الملكة تكاهاتامانى : (Tekahatamani) . لم يعرف قبرها بعد على وجه التأكيد ويظن « ريزنر »[٥] أنها دفنت فى المقبرة رقم ٢١ فى « نورى » وقد جاء اسمها فى نقوش معبد جبل « برقل »[٦] ومقبرة « نورى » التى دفنت فيها قد أرخت من الوجهة الأثرية بعهد الملك سنكامانيسكن (Senkamnisken) وهذا يحتم أن هذه الملكة كان عمرها عند الوفاة سبعين عاماً إذا كان هذا القبر هو قبرها الحقيقى[٧] .

(٥) ولدينا اسم ملكة لم يبق منه إلا جزء صغير « سالكا . . . . » ويقال إنها تزوجت الملك « تهرقا » وأنجبت منه ابنه الملك « أتلانرسا » . وقبرها لم يعرف بعد . وقد وجد طغراء هذه الملكة مهشما على بوابة معبد « برقل » (B. 700)[٨] .

(١) راجع Reisner, Ibid, p. 13 ; J. E.A., Vol. 35, p. 143; L. R., Tom. IV. p. 61

(٢) راجع A.S.,25, p. 25 ff.

(٣) راجع El Kurru, No. 3, p. 28 and Pl. XXXI. B.

(٤) راجع Khartum Museum, No. 1911,

(٥) راجع Reisner, Ibid, p. 11 No. XXI.

(٦) راجع L. R., IV, p. 41 No. XLII

(٧) راجع J.E.A., Vol. 35, p. 147

(٨) راجع J. E. A., Vol. 15, Pl. 5

أولاد « تهرقا » :

(١) أتلانرسا : حكم هذا الملك بلاد « كوش » فقط بعد أن طرد الآشوريون ملوك « كوش » من مصر ويحتمل أنه دفن فى « نورى » فى الهرم رقم ٢٠ وهو ابن « تهرقا » وقد وجد اسمه على لوحة فى « نورى » وهى محفوظة الآن بمتحف « بوستون »[١] وسنتحدث عنه فيما بعد .

(٢) « اسانهورت » : (Esanhuret) ابن « تهرقا » البكر وقبره لم يعرف بعد ويعرف باسم « أوشاناخودو »[٢] .

« بنات » تهرقا :

(١) يتورو : ابنة « تهرقا » وأخت الملك « أتلانرسا » وزوجه ودفنت فى جبانة «نورى» فى المقبرة رقم ٥٣ وقد صورت على جدران حجرة دفنها ووجد لها جعران قلب فى « نورى » وكذلك نقش اسمها على بوابة معبد « برقل »(B. 700)[٣] .

(٢) « يلتاسن » : يحتمل أن هذه المرأة كانت ابنة الملك « تهرقا » وأخت الملك « أتلانرسا » وقبرها لم يعرف وقد وجد اسمها على بوابة معبد برقل (B700)[٤] .

(٣) أمنردس الثانية : وهى ابنة « تهرقا » وكانت تحمل لقب المتعبدة الإلهية[٥] . وقد تحدثنا عنها فيما سبق وسنتحدث عنها بعد .

---

(١) راجع J.E.A., Vol. 4, Pl.45 ; J.E.A., Vol. 35, p. 143; L.R., IV, p.53

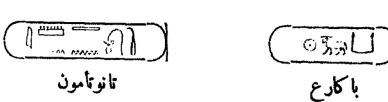
(٢) راجع Macadam, The Temple of Kawa. I, p. 124

(٣) راجع J. E. A., Vol. 35, p. 148 ; J.E.A., Vol. 15, Pl. 5 and Ibid, 32, 62

(٤) راجع J. E. A., Vol. 15, Pl. 5

(٥) راجع L. R. IV, p. 42; J.E.A. Vol. 35, p. 147

الملك « تانوتأمون »



باكارع   تانوتأمون

لم يذكر المؤرخ « مانيتون » الملك « تانوتأمون » فى قائمة أسماء ملوك الأسرة الخامسة والعشرين بل ختم ملوك هذه الأسرة بالملك « تهرقا » ، ولكن من جهة أخرى نعترف بأن اسم هذا الملك قد حفظ لنا فى الوثائق الأشورية باسم « تانداماني »[1] وفى رواية أخرى « أوردامانى »[2] .

وهو ابن الملك « شبتاكا » كما ذكرنا ذلك من قبل .

وقد دلت أعمال الحفر الحديثة حتى الآن على أن آخر سنة معروفة لحكم هذا الملك هى السنة الثامنة ، غير أنه من الصعب التوفيق بين هذا التاريخ وبين ما جاء فى لوحة « السربيوم » الخاصة بموت العجل أبيس فى السنة العشرين من حكم الملك بسمتيك الأول[3] ، ومن هذه اللوحة نفهم أن « بسمتيك » قد عد سنى حكمه من أول السنة التى مات فيها «تهرقا » . وعلى أية حال يجب علينا أن نعترف بأن «تانوتأمون » و « بسمتيك » قد حكما سويا مدة حوالى سبع سنوات . ولا غرابة فى ذلك لأنه عندما طرد الآشوريون الفاتحون ملك كوش « تانو تأمون » تقهقر من الدلتا نحو الجنوب فى حين أن « آشور بانيبال » قد نصب « بسمتيك » الساوى الأصل على عرش والده « نكاو » على شرط أن يعمل على صد هجمات الملك المهزوم وأن يخبره بأية محاولة يقوم بها ملك كوش لاسترجاع ملكه فى الدلتا . وتدل شواهد الأحوال على أن « تانو تأمون » قد تراجع من الدلتا إما إلى عاصمة ملكه « نباتا » أو يحتمل أنه آوى

---

(١) راجع Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Bablyonia Vol. II § 775

(٢) راجع James & Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, p. 297

(٣) راجع Mariette Serapeum Pl. 36

إلى « طيبة » والواقع أنه ليس لدينا أى أثر للملك « بسمتيك الأول » فى « طيبة » قبل السنة العاشرة من حكمه وهو التاريخ الذى يحتمل أن « تانوتأمون » مات فيه ، ومن ثم يمكننا أن نفهم السبب الذى من أجله تجاهل « ماتيتون » وجود الملك « تانو تأمون » بين ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الذين حكموا مصر والسودان معا . وقد اشترك « تانو تأمون » فى حكم البلاد مع « تهرقا » فى نهاية حكمه كما سنرى بعد . ومن الغريب أن هذا الفرعون لم يشر لا من قريب ولا من بعيد إلى حروبه مع ملك « آشور » المسمى « آشور بانيبال » ، وكما قلت إن كل ما نعرفه عن هذه الحروب كان من المتون الآشورية . وأهم آثار هذا الفرعون ما يأتى :

اللوحة المسماة لوحة الحلم :

هذه اللوحة مصنوعة من الجرانيت الرمادى وأعلاها مستدير ، عثر عليها مع لوحة « بيعنخى » التى تحدثنا عنها . وهذه اللوحة محفوظة الآن بالمتحف المصرى . ويبلغ ارتفاعها ١,٣٢ من المتر وعرضها ٧٢ سنتيمترا . وقد نشر متنها عدة مرات أدقها المتن الذى نشره الأستاذ « شيفر » الألمانى[1] . ومحتويات هذه اللوحة تشمل نهاية تاريخ العصر الكوشى فى مصر . فقد كان الوجه القبلى فى هذه الفترة فى يد حكام معينين من قبل ملك « آشور » وذلك بعد أن هزم « تهرقا » على يد الملك « آشور بنيبال » أى بعد تولية « تهرقا » بقليل عام ٦٦٨ ق . م ، وقد كشف أتباع « آشور بانيبال » فى الدلتا أن المصريين كانوا يتآمرون مع « تهرقا » على الملك « آشور بانيبال » ، غير أن مؤامراتهم كشف أمرها . وبعد أن أرسل « نكاو » أحد ملوك الدلتا إلى « نينوه » أسيراً عفا عنه وأعيد إلى مقر حكمه فى « سايس » وكذلك نصب ابنه ملكا على « أتريب » تابعاً « لآشور » وفى هذه الفترة من حكم « آشور بانيبال » مات « تهرقا » .

ولوحة « تانوتأمون » التى نحن بصددها تقص علينا سير الأحوال السياسية

(١) راجع Urkenden Der Alteren Athiopen Konige, p. 57

فى مصر العليا خلال المدة الأخيرة من حكم « تهرقا » وخلال حكم « تانوتأمون » القصير .

وقد ظهر أن « تانوتأمون » كان مشتركا فى حكم البلاد مع « تهرقا » فى السنة الأخيرة من حكمه حوالى عام ٦٦٣ ق.م ، وهى السنة الأولى من حكم « تانوتأمون » حيث توج فيها ملكا على البلاد مصرها وسودانها منفرداً . وقد ادعى فى رؤيا رآها فى أثناء نومه قبل أن يذهب إلى « نباتا » أنه سيستولى كذلك على الأرض الشمالية (الدلتا) التى كانت وقتئذ فى يد « الآشوريين » . وبعد أن عاد من « نباتا » أخذ فى استرجاع بلاد الدلتا فاستولى على « منف » ومن المحتمل أنه ذبح « نكاو » أمير «سايس» فى ساحة القتال ، وقد جاء ذكر هذه الموقعة فى لوحة « تانوتأمون » ولكن لم يأت فيها ذكر ذبح « نكاو » ، غير أن هذا محتمل على حسب ملحوظة جاءت فى «هردوت» وقد كان أول من فطن إلى معناها المؤرخ « أدوردمير » (1) وهى أن « نكاو » قد ذبحه ملك كوش ، ولكن « هردوت » ظنه الملك « شبكا » لا « تانوتأمون » . غير أنه على حسب ما جاء فى «مانيتون» نفهم أن موت « نكاو » لابد كان قد حدث فى عام ٦٦٣ ق.م أى فى السنة التى قام فيها « تانوتأمون » بحملة على منف . وعلى الرغم من أنه لم يكن فى مقدور « تانوتأمون » أن يخضع ملوك الدلتا فقد ادعى أنهم خضعوا له وقدموا بأنفسهم فروض الطاعة ؛ ثم حكم بعد ذلك فى منف بوصفه ملكا اسميا على كل مصر ، وعند هذه النقطة تختم قصة اللوحة . ومن الغريب أن وجود الآشوريين فى البلاد قد تجوهل فى متن اللوحة كلها ثم انه لم يعثر فيه كذلك على النهاية المحزنه لحكم « تانوتأمون » فى مصر عندما قام « آشور بنيبال » بحملته الثانية عام ٦٦١ ق.م وضرب طيبة تماما كما سنتحدث عند ذلك بالتفصيل .

وصف اللوحة وترجمتها : نشاهد فى الجزء الأعلى من اللوحة منظراً منحوتاً مثل فى أعلاه قرص الشمس المجنح يحيط به صلان ، وفى أسفله نشاهد على اليمين آلها

---

(1) راجع Ed. Meyer, Geschichte des Alten Agyptens, p. 353

برأس كبش على رأسه قرص وريشتان ويقبض بيديه على سيف وهذا الإله هو « آمون رع » رب تيجان الأرضين فى الجبل المقدس (أى جبل برقل) وهو يقول : « إنى أعطيك كل الحياة والسلطة » ؛ ويقف أمام الإله الملك « تانو تأمون » مرتديا قميصا ومعلقا فى حزامه ذيلا طويلا من جهة اليسار وينتعل حذاء ويقدم تعويذة فى صورة صدرية لوالده آمون وخلفه تقف زوجه الأخت الملكية سيدة « تاسىّ » « قلهاتا » . وهى تلعب بالصناجة بيدها اليمنى وتصب القربان بيدها اليسرى .

وعلى اليسار يشاهد إله فى صورة إنسان على رأسه قرص الشمس وريشتان ويقبض بإحدى يديه على الصولجان وبالأخرى على رمز الحياة . وهو يلبس كالإله الآخر قميصا يصل إلى ركبتيه ومعلق فى حزامه ذيلا طويلا ، وهذا الإله هو « آمون رع » رب تيجان الأرضين القاطن فى الكرنك يقول للملك « إنى أمنحك كل الحياة والسلطة » وأمامه يقف « تانو تأمون » يقدم رمز العدالة لوالده آمون خالقه ومعطى الحياة ، وخلفه تقف أخته وزوجه ملكة مصر « بيعنخى ارتى » التى تصب القربان بيدها اليمنى وتلعب بالصناجة بيدها اليسرى .

وبين المنظرين السالفين سطر عمودى من النقوش وتقرأ فى السطر الذى يتبع المنظر الأيمن ما يأتى : نطق : إنى أمنحك أن تظهر ملكا للوجهين القبلى والبحرى على عرش « حور » الأحياء مثل « رع » ابديا .

وفى السطر الذى على الجهة اليسرى نقرأ : نطق : إنى أعطيك كل الأراضى وكل البلاد الأجنبية وأقوام الأقواس التسعة مجتمعة تحت قدميك أبديا .

الترجمة : (١) إنه الإله الطيب (= الملك) فى اليوم الذى ولد فيه وإنه الإله « آتوم » للشعب ، رب القوتين ، وحاكم الأحياء ، والأمير القابض على كل أرض ، المظفر بالقوة فى يوم المعركة والذى يواجه المقدمة فى يوم الطعان ورب الشجاعة مثل « منتو » العظيم القوة مثل الأسد المفترس العينين ، العادل القلب ، مثل « حمرت »

(تحوت) ومن يعبر البحر فى طلب قرنه ومطارداً مؤخرة عدوه (؟) . لقد استولى على هذه الأرض ولا أحد يحار به ولا أحد يقف مواجهاً له ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « با كارع » ابن الشمس « تانوتأمون » محبوب آمون صاحب « نباتا » .

الحلم : فى السنة الأولى التى توج فيها ملكا . . . (٤) . رأى جلالته حلما ليلا (فرأى) ثعبانين : واحد على يمينه والآخر على يساره .

تفسير الحلم : واستيقظ بعد ذلك جلالته ولم يجدهما ، فقال جلالته من أين حدث لى هذا (؟) ، وعندئذ أجابوه قائلين : إن أرض الجنوب ستكون لك وستستولى على أرض الشمال ، والإلهتان تضيئان على جبينك (أى الإلهة « نخبت » والإله « وازيت ») وتعطى الأرض طولا وعرضاً ولا يقاسمك إياها آخر .

الحلم يحقق : وعندما توج جلالته على عرش « حور » فى السنة الأولى خرج جلالته من المكان الذى كان فيه كما خرج « حور » من بلدة « خب » أو خميس (وهى مكان كوم الخبيزة الحالية الواقعة فى شمال الدلتا وهو المكان الذى يقال إن « أزيس » ولدت فيه « حور ») ، وذهب من . . . . . فى حين أنه (٧) أتى إليه ملايين ومئات الآلاف خلفه ، فقال جلالته تأمل إن الحلم صحيح إنه (أى الحلم) مفيد لمن يضعه فى قلبه وشر لمن لا يفهمه .

تأكيد تفسير الحلم على يد آمون « نباتا » : ثم وصل جلالته إلى «نباتا» فى حين لم يقف أمامه أحد (معارضاً له) ووصل جلالته إلى معبد « آمون » صاحب « نباتا » القاطن فى الجبل المقدس ، وكان قلب جلالته فرحاً عندما رأى والده « آمون رع » رب طيبه القاطن فى الجبل المقدس (برقل) وأُحضرت الأكاليل لهذا الإله الطيب .

عيد « آمون » صاحب « نباتا » : بعد ذلك أظهر بهاء جلالته « آمون »

صاحب «نباتا» ، وعمل له قربات عظيمة ، وأسس له وقفاً يتألف من ستة وثلاثين ثوراً وأربعين آنية من جعة (عش) ومائة ريشة .

السفر إلى مصر : ثم انحدر جلالته فى النيل إلى أرض الشمال ليرى « آمون » الذى أخفى اسمه من الآلهة ووصل جلالته إلى « الفنتين » (أسوان) ثم عبر جلالته « الفنتين » ووصل إلى معبد «خنوم رع » رب الشمال وأقام له قربات عظيمة فقدم خبزاً وجعة لإلهة الكهفين (اللذين ينبع منهما النيل) وأرضى « نون » (أى النيل ؟) فى كهفه .

إقامته فى « طيبه » : ثم انحدر جلالته فى النيل إلى « طيبه» وساح جلالته إلى داخل « طيبه » ودخل جلالته معبد « آمون رع » رب تيجان الأرضين ، ثم أتى إلى جلالته الكاهن العظيم للتصميات ، والكهنة غير الرسميين لمعبد « آمون رع » رب تيجان الأرضين وحملوا له أكاليل « لآمون » الخفى الاسم . وكان قلب جلالته منشرحاً عندما رأى هذا المعبد وطلع « آمون رع رب طيبه » ببهاء وأقيم له عيد عظيم فى كل الأرض .

السفر إلى « منف » : ثم انحدر جلالته نحو الشمال ، وكانت الابتهالات على اليمين وعلى الشمال (تبعث) من الشعب قائلين : مرحباً بمقدمك ، مرحباً ان حضرتك فى سلام لتحيي الأرضين ولتقيم المعابد التى تهدمت ولتنصب تماثيلها فى محاريبها ولتقدم قرباناً للآلهة والإلهات وقربات جنازية للنعمين (المتوفين) . ولتضع الكاهن المطهر فى مكانه ، ولتعطى كل شئ من القربان المقدس ، والذين فى قلوبهم حرب قد صاروا فى سرور .

الاستيلاء على « منف » : وعندما وصل جلالته إلى «منف» خرج عليه هناك أولاد الثورة ليحاربوا جلالته ، وعندئذ أوقع مذبحة عظيمة بينهم وعدد قتلاها

لايحصى ، واستولى جلالته على منف ودخل معبد « بتاح » (القاطن) جنوبى جداره ، وقدم قرباناً « لبتاح سكر » ، وأرضى الآلهة « سخمت » العظيمة التى تحبه .

إقامة مبان « لآمون » فى « نباتا » شكر على النصر الذى أحرزه :

وكان قلب جلالته فرحاً ليقيم آثاراً لوالده « آمون » صاحب « نباتا » . وأصدر جلالته أمراً خاصاً بذلك إلى النوبة ليقام له قاعة جديدة لم يُبْن (مثلها) فى عهد الأجداد . وأمر جلالته أن تقام بالأحجار المغشاة بالذهب ، وألواحها من خشب الأرز ومعطرة بمر بلاد « بنت » ، ومصراعا بابها من السام ، وضبتها (مزلاجها) من القصدير ، وأقام لنفسه قاعة أخرى فى المخرج الخلفى لجمع لبن حيواناته التى تعد بعشرات الآلاف والآلاف والمئات والعشرات ولم يعرف عدد العجول الصغيرة التى مع أمهاتها .

الذهاب إلى الدلتا ومقاومة مدنها :

والآن بعد هذه الأشياء ساح جلالته شمالا ليحارب رؤساء أهل الشمال ، وعندئذ دخلوا معاقلهم مثلما تزحف الحيوانات إلى أجحارها ، ومضى جلالته عدة أيام أمامهم ولكن لم يخرج واحد منهم لمحاربة جلالته .

الملك يعود إلى « منف » : والآن انحدر جلالته فى النهر نحو البيت الأبيض (منف) وجلس فى قصره يتشاور مع قلبه كيف يجعل جيشه يحيط بهم .

ثم قال جيشه إن واحدا أتى ليخبره قائلا : « إن هؤلاء العظماء قد أتوا إلى المكان الذى فيه جلالته (وقالوا) يا مليكنا فقال جلالته : هل أتوا ليحاربوا ؟ أو هل أتوا ليخضعوا ؛ وإذن سيعيشون من هذه الساعة ، فقالوا لجلالته : لقد أتوا ليخضعوا للملك سيدنا . فقال جلالته : أما عن سيدى هذا الإله الفاخر « آمون رع رب تيجان الأرضين » القاطن فى الجبل المقدس الإله العظيم الفاخر ، ومن اسمه معروف ، فإنه ساهر على من يحبه ويعطى القوة لمن يواليه ، ومن يحمل مشاريعه (آراءه) لا يضل ،

ومن يرشده لا يخطئ . تأمل لقد أخبرنى بها ليلا ورأيتها نهارا . وقال جلالته أين هم فى هذه الساعة فقالوا لجلالته إنهم هنا منتظرون فى القاعة .

الملك يقابل الأمراء على باب القصر :

وبعد ذلك خرج جلالته من قصره كما يضئ رع فى مسكنه اللامع فوجدهم منبطحين على بطونهم يقبلون الأرض أمام جلالته . وقال جلالته : تأمل إنه حق ما نطق به وهو كلمة تدبيره . تأمل أنه يعلم ما سيحدث . إنه قرار الإله وعلى ذلك وقع . وإنى أقسم بقدر حب الإله « رع » لى ، وبقدر إكرام « آمون » لى فى بيته ، تأمل لقد رأيت هذا الإله الفاخر صاحب « نباتا » يقطن فى الجبل المقدس وعندما كان واقفا بجانبى قال لى : إنى قائدك فى كل طريق ويمكن ألا تقول : ليت كان عندى . . . . (يلحظ هنا أن خاتمة كلام « تانوتأمون » ممزقة وغامضة إلى حد بعيد وماتبقى من كلامه فيه ما يكفى للدلالة على أنه كان لايحتوى إلا على جمل تدل على النصر وليس لها أهمية تاريخية ، ومن الواضح أنه يحدث الرؤساء الخاضعين لسلطانه بأن خضوعهم ماهو إلا إنجاز لوعد «آمون» له) . . . . (٣٥) . . . . وبعد ذلك أجابوه قائلين تأمل إن هذا الإله قد كشف لك البداية وقد أنجز لك النهاية فى سعادة . تأمل لا تفعل . . . . ما يخرج من فمه يأيها الملك ياسيدنا . وبعد ذلك قال الأمير الوراثى وحاكم « سبد » (صفط الحناء) العظيم « بكرور » : إنك تذبح من تريد وتدع من تريد يعيش (. . . . .) وقد أجابوه فى نفس واحد أعطنا النفس يارب الحياة ومن بدونه لا حياة . دعنا نخدمك مثل العبيد الذين هم رعايا لك كما تقول فى الأول فى اليوم الذى توجت فيه ملكا . وقد انشرح قلب جلالته عندما سمع هذه الكلمة وأعطاهم خبزا وجعة وكل شئ طيب .

صرف حكام الدلتا :

وبعدمضى بضعة أيام بعد هذه الحوادث ومنح كل شئ بكثرة . . . . قالوا لماذا

لا نزال هنا يأيها الملك ياسيدنا ؟ فقال جلالته : إلى أين ؟ فقالوا لجلالته : دعنا نذهب إلى مدننا حتى نأمر عبيدنا لتحضر جزيتنا إلى البلاط . فسمح لهم جلالته بالذهاب إلى مدنهم وأصبحوا رعاياه .

حكمه القصير فى منف : وقد ذهب الجنوبيون إلى الشمال وذهب الشماليون إلى الجنوب إلى المكان الذى كان فيه جلالته ، حاملين كل شئ طيب من أرض الجنوب ، وكل مؤن أرض الشمال لإشباع قلب جلالته ، وذلك عندما ظهر ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « با كا رع » ابن «رع» « تانوتأمون » له الحياة والسلطة والصحة ، على عرش « حور » سرمديا » .

وهكذا ترى من محتويات هذه اللوحة أنها لاتشير إلى أى حرب قامت بين مصر و « آشور » بل لا نجد فى غيرها من نقوش هذا العصر فى المتون المصرية ما يشير من قريب أو من بعيد إلى نشوب حرب بين « آشور » ومصر . ولا غرابة فى ذلك فإن ملوك مصر لم يتحدثوا قط عن أية حروب هزموا فيها قط فى كل أطوار تاريخهم ولم يشذ بطبيعة الحال « تانوتأمون » وأسلافه ، وكل ما نعرفه عن الغزو الآشورى لمصر وصل الينا من المتون الآشورية وسنفرد لذلك باباً خاصا كما ذكرنا من قبل .

(٢) ولدينا متن من عهد هذا الملك مؤرخ بالسنة الثالثة اليوم الثانى من أيام النسئ لكاهن يدعى « بدى خنسو » يتحدث فيه عن دخوله فى زمرة كهنة «آمون» وهذا الرجل كان يشغل وظائف كهانة أخرى فكان كاهنا للاله « خنسو » والإلهة « موت » والإله « منتو » وهو من أسرة عريقة فى الكهانة إذ نجد أفرادها منذ سبعة عشر جيلا يشغلون وظيفة الكهانة . وهذا المتن عثر عليه فى الأقصر فى مبنى الكنيسة القبطية القديمة وقد نزع الحجر من مبنى الكنيسة ونقل إلى متحف برلين وأهميته كما قلنا تنحصر فى أنه مؤرخ بالسنة الثالثة من عهد الفرعون « تانوتأمون » . وهو من الحجر الجيرى الأبيض . وهاك النص الذى جاء عليه :

(١) السنة الثالثة اليوم الثانى من أيام النسئ ملك الوجه القبلى والوجه البحرى (با كا رع) ابن رع « تانوتأمون » معطى الحياة أبديا وسرمديا . (٢) فى هذا اليوم عين (فى وظيفته) للاله « أمون » صاحب الأقصر الثور صاحب الساعد المرفوع (٣) منجب الآلهة الكاهن والد الإله والكاهن سماتى (الذى يقوم بتحضير العقاقير للاحتفال بدفن الإله وإحيائه) وثور أمه وكاهن الشهر لمعبد « آمون » الأقصر للطائفة الأولى (٤) والطائفة الرابعة من الكهنة وكاهن الشهر لبيت الإلهة «موت » العظيمة ربة « أشرو » للطائفة الرابعة . وكاهن (٥) الشهر لمعبد الإله « منتو » رب مدينة « أرمنت » للطائفة الثانية ولمعبد « خنسو » التابع لامون الأقصر لأجل الطائفة الرابعة المسمى « بدى خنسو ورسنب » ابن الكاهن والد الإله . . . وكاتم سر (٧) بيت «موت » العظيمة ربة « آشرو » لأجل مدة أربعة أشهر ، وكاهن الشهر لهذا المعبد لأجل الطائفة الرابعة (٨) « بدى خنسو موت » المرحوم ، ثم يأتى ذكر سلسلة أفراد يجب أن تقرأ من أسفل إلى أعلى :

(١) ابن مثيله (فى الألقاب) مين مس المرحوم صاحب التبجيل .

(٢) ابن مثيله « ونتفر » المرحوم .

(٣) ابن مثيله « عش خت » المرحوم .

(٤) ابن مثيله « حور » المرحوم .

(٥) ابن كاهن «آمون» الكرنك وكاهن «خنسو » باشرى أمن مس المرحوم .

(٦) ابن مثيله « نس حرعن » المرحوم .

(٧) ابن مثيله « زت موت أوف عنخ » المرحوم .

(٨) ابن مثيله « عنخ موت » المرحوم .

(٩) ابن مثيله « حور » المرحوم .

(١٠) ابن مثيله خادم بيت آمون « زت موت أوف عنخ » المرحوم .

(١١) ابن كاهن «منتو» رب طيبة وكاهن «موت» ربة السماء «حور» المرحوم .

(١٢) ابن مثيله « بادى موت » المرحوم .

(١٣) ابن مثيله « نسر با حر عن » المرحوم .

(١٤) ابن « بدى موت » المرحوم (ذكرت ألقابه فيما سبق) .

(١٥) « بدى خنسو ورسنب » (ذكرت ألقابه) .

وسلسلة النسب هذه تؤكد لنا أن ما قاله « هردوت » عن توارث الوظائف فى الأسرات صحيح ويرجع إلى أزمان سحيقة إلى أن أصبحت تلك الوظائف حقاً مكتسباً يتوارثها الابن عن الأب[1]. وسلسلة نسب هذا المكان ترجع به إلى الدولة الوسطى.

(٣) ويوجد بالمتحف المصرى لوحة اشتراها « بلجران » من أحد تجار الآثار بالأقصر عثر عليها إما فى الكرنك أو فى مدينة « هابو » فى أثناء البحث عن السباخ كما فى العادة .

وهذه اللوحة مصنوعة من الحجر الرملى الردئ النوع ويبلغ ارتفاعها أربعين سنتيمتراً وعرضها اثنين وثلاثين سنتيمتراً وهى مستديرة فى أعلاها والجزء الأسفل منها فقد ويشمل ما تبقى منها أحد عشر سطراً وتنحصر أهمية اللوحة فى أنها مؤرخة بالسنة الثامنة من عهد الملك « تانوتأمون » وهو آخر تاريخ معروف لنا عن حكمه .

وقد جاء فى هذا المتن أن مغنية آمون المسماه « عنخنساتفس » ابنة الساعى « بدى إزيس » قد سلمت عشرة أرورات من الأرض العالية من أملاك أناس فقراء من إقليم آمون ، إلى الكاتب وتشريفاتى المتعبدة الإلهية المسمى « نى أمن تكنف نفو » ابن « قم — أمن » الذى يعلن أنه تسلم الثمن ، وهذا العقد قد كتبه فرد يدعى « خنسو » بن نوتى سفينة آمون (المسمى) « اريت حور رو » بن « بدو أوبت » . والظاهر أن هذا المتن ينتهى باللعنة على كل من يخل بشروط هذا العقد[2] .

(١) راجع Thesaurus, II, p. 1452-1454

(٢) راجع A.S.T., VII. p. 226

(٤) ومن أهم الآثار التي خلفها ورراءه الجزء الذي أكمله في مقصورة معبد « أوزيرپتاح » بالكرنك فقد وجد اسمه مرات عدة على جدران هذه المقصورة[1] .

(٥) ولدينا لوحة غريبة في بابها اشتريت من الأقصر[2] باسم الملك «تانوتأمون»، وهذه اللوحة قطعة من الحجر الرملي طولها ٥٦ سنتيمتراً وعرضها ٣٦ سنتيمتراً وقد مثل فيها الملك «تانوتأمون» يضمه إلى صدره الإله «أوزيرپتاح» وخلف الإله عمود من الرموز الكبيرة وهذه الرموز تشغل كل الجزء الأيمن من اللوحة ومن ثم كان لها أهمية خاصة، ومثل هذه الرموز نشاهدها على آثار أخرى ويكون حجمها دائماً أكبر من الإشارات الهيرغليفية المعتادة . والواقع أنها ليست متناً بل تؤلف جزءاً من المنظر المرسوم نفسه لا تفسير له ، وهذه الرموز لم نصادفها في المناظر الدينية للدولة القديمة ولكن نجد أنها قد بدأت تظهر في عهد الدولة الوسطى في المناظر ، ومنذ الأسرة الثامنة عشرة نجد سلسلة منها في المناظر ثم بقيت مستعملة حتى العهد الروماني وهي رموز ، فنجد في كل هذه الآثار صور هذه الرموز في عمود كامل من النقوش على وجه عام مرسوم خلف الملك وذلك في لحظة تؤدي فيها شعيرة اللف حول المحراب عند (تدشين) المعبد (تأسيس المعبد)؛ على أن هذه الرموز لم تكن مخصصة فقط لهذا الغرض بل توجد على وجه عام في المتون السحرية . وقد درس هذه الرموز الأستاذ « جكييه[3] » واستخلص منها أنها تمثل السائل السحري الذي يحيط به الملك المعبد الجديد عند تأسيسه .

(٦) ووجد لهذا لفرعون في معبد آمون بجبل « برقل » (B.500) في الشمال من البوابة الأولى تمثالان واحد منهما في متحف « بوستون » والثاني في متحف مروي[4] .

---

(١) راجع De Rouge, Melange D. Archeologie Egyptienne, T. I, p. 14 ff.

(٢) راجع Rec. Trav., XXVII, p. 170-1 ; Ibid , XXIX, p. 5-6

(٣) راجع Ibid.,

(٤) راجع Reisner, J.E.A., Vol. VI. p. 251 ; A Z., LXVI, p. 82.

مقبرة الملك « تانوتأمون » : [١]

عثر على مقبرة الملك «تانوتأمون» بن الملك « شبتاكا » فى جبانة « الكورو » .

ويحتمل أن المبنى الذى كان فوق حجرات الدفن هرمى الشكل ، إذ فى الواقع لم يوجد من آثار هذا البناء العلوى إلا خندق الأساس وتبلغ مساحته حوالى ٨,٢٥ من الأمتار المربعة .

أما السور الذى كان حول هذا القبر فكان مقاما من الحجر الرملى ولم يبق منه إلا بعض أحجار من الجدار الجنوبى . كذلك بقى من المقصورة أو المعبد الجنازى التابع لهذا الهرم بعض قطع من الحجر الرملى من الجدار الشمالى ، ومن المحتمل أن شكلها كان بسيطا ولم يعثر على أية ودائع أساس لهذه المقبرة .

أما حجرات الدفن السفلية فكان يصل إليها الانسان بوساطة سلم أمام المقصورة ويبلغ عدد درجاته أربعا وثلاثين درجة وقد وجد على كل درج فى المتوسط تعويذتان (منات) فى مكانها الأصلى وتعويذة منات كانت تنظم فى عقد تلبسه الكاهنة فى أثناء رقصها أمام الآلهة حتحور ؛ وينتهى السلم إلى مكان مسطح يؤدى إلى باب بسيط مستدير أعلاه وجد أمامه الحجر الذى سد به [٢] ، وقد أزال منه اللصوص الحجر الأعلى . وهذا الباب يؤدى إلى حجرتين أولاهما مساحتها ٤ × ٣ مترا وسقفها مسطح تقريبا ويصل إليها الإنسان بدرجة واحدة من المدخل وجدرانها ملونة ومنقوشة بكتابات [٣] ورسوم جنازية .

أما الحجرة الثانية فمساحتها ٦ × ٤,١٥ مترا وسقفها مقبب بعض الشئ ويصل إليها بالنزول درجتين من باب الدخول ولم يوجد فيها طوار لتابوت أو كوة ، ويلحظ أن جدران هذه الحجرة قد وضعت عليها طبقة من الملاط لونت ورسم عليها مناظر

(١) راجع El Kurru, No. 16, p. 60

(٢) راجع Ibid, Pl. XVII B.

(٣) راجع Ibid, Pl. XX.

ونقوش ، فعلى الجدار الشرقى[١] نشاهد السماء بنجومها وفيها قوص الشمس تتعبد إليه القردة وأولاد آوى وهى فى سفينتها فى رحلتها فى أثناء النهار من الشرق إلى الغرب .

وعلى الجدار الغربى نشاهد نفس المنظر للشمس فى رحلتها فى أثناء الليل وفى أسفل من هذا مناظر ونقوش خاصة بالروح والحساب على ما يظن ، وعلى[٢] الجدار الشمالى[٣] ، متون الحماية المتوفى على لسان « أوزير » و « أزيس » وفى أسفل من هذا مناظر من عالم الآخرة .

وعلى الجدار الجنوبى[٤] نشاهد فى أعلاه متونا خاصة بإحياء المتوفى واستعادة أجزاء جسمه إليه وفى أسفل هذا نشاهد جعرانا كان يطلب إليه المتوفى ألا يشهد عليه يوم الحساب . وهذا المتن كان يكتب عادة على ظهر الجعران ويوضع فى القبر على صدر المومية .

ومكان الدفن الأصلى وجد منهوبا ؛ وفيا بعد دفنت فيه امرأة ومعها ثلاث أوان من الفخار وقد وجدت عدة أشياء صغيرة من الذهب تركها اللصوص ، وكذلك بعض أشياء نقش عليها اسم الملك « تانو تأمون » نذكر منها ما يأتى :

(١) ثلاثة نقوش على قطع من أوانى الأحشاء[٥] ، وغطاء إناء أحشاء برأس قرد[٦] وآخر برأس صقر[٧] وثالث برأس إنسان[٨] .

---

(١) راجع Ibid, Pl. XVIIIA

(٢) راجع Ibid, Pl. XV III B

(٣) راجع Ibid, Pl. XIX

(٤) راجع Ibid, XX

(٥) راجع Ibid, Fig. 21 e

(٦) راجع Ibid, Pl. XXXVII E, 3

(٧) راجع Ibid, Pl. XXXII E. 1

(٨) راجع Ibid, Pl. XXXVII E. 2

وكذلك وجدت تماثيل مجيبة من طرازين[١] . بعضها مكتوب و البعض الآخر بدون كتابة . وقد وجد منها ما لا يقل عن ٣١٨ من الصنف الذى مثل فى اللوحه[٢] .

هذا وقد وجدت ثلاث قطع من الفخار المطلى من مائدة قربان نقش على حافاتها متن هيرغليفى ونقش فيها كذلك طغراء « تانوتأمون[٣] » . هذا إلى أشياء أخرى كثيرة وجدت مبعثرة فى أنحاء القبر مما تركه اللصوص[٤] ومن كل هذا نرى أن الدفن كان على الطريقة المصرية البحتة وليس هناك فرق إلا فى بناء المقابر الذى كان يختلف بعض الشئ .

جبانة خيل الملك « تانوتأمون » :

وجد فى جبانة «الكورو» الخاصة بالخيل مقبرتان لجوادين من جياد « تانوتأمون» .

جواد « تانوتأمون[٥] » (١) :

قبر هذا الجواد حفر فى الجبل والصخر وحفوته نهاياتها مستديرة وقد وجد رأس الجواد متجهاً نحو الشمال الشرقى ولم توجد سنادات داخلية لتحمى الجسم وقد وجد هيكل الحصان بدون رأس ومزحزحا من مكانه الأصلى . وقد وجدت معه بعض أشياء بالقرب من مكان رأسه وهى عين « وازيت » (أى تعويذة العين السليمة من الفخار الأزرق) هذا إلى خرزة كرية من الفخار الأزرق وكذلك إلى بقايا حامل ريشة من الذهب فى صورة رأس صقر[٦] .

---

(١) راجع Ibid, Pls. XLV, C; XLV, D

(٢) راجع Ibid, XLV , D

(٣) راجع Ibid, Pl. XXXII, B

(٤) راجع Ibid, p. 61-62

(٥) راجع El Kurru, 219 (6) Fig. 41

(٦) راجع Ibid, Fig, 41 b, p. 115

جواد تانوتأمون[1] (٢) :

تشبه الحفرة التى دفن فيها هذا الجواد حفرة الجواد السابق رقم ٢١٩ وقد وجد فيها عظام جواد مبعثرة عند مكان الرأس .

أما الأشياء التى وجدت فى الحفرة فتنحصر فى عين سليمة (وازيت) من الخزف المطلى الأزرق وفى بضع خرزات على هيئة حلقات من الخزف الأزرق كذلك ثم محارة للزينة مما نراه يستعمل ليزين حتى الآن سروج الخيل الحديثة عند العرب .

أسرة « تانوتأمون » :

الملك « تانوتأمون » هو ابن الملك « شبتا كا » كما ذكرنا من قبل وأمه « قلهاتا » .

قلهاتا : دفنت هذه الملكة فى جبانة « الكورو » رقم ٥ وقبرها كومى الشكل وقد وجد اسمها على جدران حجرة الدفن كما وجد على تمثال مجيب والمظنون أنها أخت « شبتا كا » وزوجه وأم (؟) « تانوتأمون[2] » .

زوجاته :

(١) « بيعنخى ارتى » : وقبرها لم يعرف بعد وهى أخت « تانوتأمون » وزوجه . ومن المحتمل أن اسم « ارتى » هو نفس اسم « بيعنخى ارتى » وإذا كان الأمر كذلك فإن « إرتى » هذه تكون أخت « شبتا كا » وزوجه وقد تزوجت بعد موته ابن أخيها « تانوتأمون » .

« مالاتاى » : يحتمل أنها زوج « تانوتأمون » وقد دفنت فى جبانة « نورى » فى المقبرة رقم ٥٩ و يوجد لها جعران قلب فى متحف « بوستون » الآن[3] .

---

(١) راجع El Kurru, 220 (6) Fig. 42

(٢) راجع J, E. A., Vol. 35, p. 144, No. 63

(٣) راجع Ibid, p. 14 4, No, 391

وبنهاية حكم « تانوتأمون » انتهى عصر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في مصر إذفى عهده استولى الآشوريون على مصر السفلى ومصر العليا مما اضطر « تانوتأمون » إلى التقهقر إلى « نباتا » عاصمة ملكه القديمة . والواقع أننا نجد آثاراً لملوك العهد «الساوى» أى الأسرة السادسة والعشرين على حسب ترتيب «مانيتون» بعيدة جداً فى الجنوب حتى الشلال الأول . ومع ذلك بقى ملوك كوش يدعون أنفسهم بلقب ملك الوجه القبلى والوجه البحرى فترة طويلة من الزمن على نقوشهم التى تركوها فى بلادهم .

الشخصيات البارزة

فى عهد حكم الكوشيين لمصر

منتومحات :

تحدثنا فى نهاية الجزء التاسع من مصر القديمة عن المتعبدات الإلهيات والدور الذى قمن به فى تاريخ عهد الحكم الكوشى للبلاد المصرية فى إقليم طيبة كما تحدثنا عن مديرى البيت لهؤلاء المتعبدات أمثال « حاروا » و « آخامون رو »[1] وهؤلاء المديرون للبيت كانوا فى الواقع هم الحكام الإداريون لإقليم « طيبة » الذى كانت تسيطر عليه المتعبدة الإلهية بوصفها ملكة مستقلة فى إقليمها ، وكان يقوى ظهرها فى إقليمها أنها كانت تنتخب دائماً من الأسرة المالكة دون استثناء . وبذلك كانت لا تخاف على ضياع ملكها قط إلا إذا حدث انقلاب مفاجئ فى أساس حكم البلاد . وقد أدى بها طمأنينتها إلى أنها كانت دائماً تترك مقاليد الإدارة لمديربيتها الذى كان دائماً على ما يظهر ينتخب من بين أكفاء رجال الدولة ، غير أننا نرى أن أبرز شخصية تولت حكومة إقليم طيبة عرفها التاريخ فى العهد الكوشى هو « منتومحات » الذى كان يعد ملكا تقريباً . وقد عاصر فى العهد الكوشى الملكين « تهرقا » و « تانوت آمون » كما عاش فى عهد الملك « بسمتيك الأول » حتى السنة التاسعة من حكمه ولم نعثر بين ألقابه على ما يفيد أنه كان يلقب المدير العظيم للبيت للتعبدة الإلهية . وعلى الرغم من أن ملامحه فى تماثيله التى خلفها لنا تدل على أنه كان نوبيا إلا أنه فى الواقع كان مصرى المنبت . وقد شاءت الأقدار أن يلعب « منتومحات » دوراً هاما فى تاريخ مصر وبلاد كوش قاطبة فى تلك الفترة العصيبة من تاريخ وادى النيل ، وذلك أنه عاش فى فترة كانت مصر هدفا لغارات الأشوريين الذين انتهى بهم الأمر إلى الاستيلاء

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٥٠٨ الخ و ٥٢٤ الخ

عليها فترة وجيزة من الزمن . وقد قام « منتومحات » فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ أرض الكنانة بدور دقيق دل على فطنته وطول باعه فى السياسة والإدارة . والواقع أن البلاد كانت تتنازعها فى زمنه ثلاث سلطات مجتمعة . فالمصريون كانوا يريدون أن تبقى بلادهم حرة فى أيديهم، والكوشيون كانوا يريدون السيطرة على مصر و يؤلفون منها مع بلاد كوش مملكة واحدة ، والآشوريون كانوا يعملون على طرد الكوشيين من مصر والاستيلاء عليها لتكون جزءاً متمماً لامبراطوريتهم التى أنشئوها فى سوريا وفلسطين و بذلك لا تهددهم فى ممتلكاتهم . وسنرى أن « منتومحات » الذى كان يعد حاكم إقليم طيبة ومصر العليا قاطبة فى تلك الفترة قد قام بما أوتيه من مهارة وحسن سياسة بإرضاء هذه السلطات الثلاث كل فى حينه على حسب الأحوال لدرجة أنه كان أحياناً يعد خائناً لبلاده ، ولكنا نرى أنه فى النهاية قد خرج بالبلاد سالمة من بين تلك الدوامات المهلكة وسار بها إلى بر السلام حاملة لواء الاستقلال فترة شيخوخته الشائخة أى فى عهد منقذها من الأشوريين وأعنى بذلك الملك «بسمتيك الأول» الذى عدّه الإغريق من بين عظماء الفاتحين فى العالم . ولا غرابة فى ذلك فقد دلت الكشوف الحديثة التى لا تزال تترى على أن « منتومحات » هذا ومعه أسرته قد لعبوا جميعا دوراً عظيما فى تاريخ البلاد فى تلك الفترة . وسنحاول فيما يلى أن نضع سلسلة نسبه — فى ذلك العصر الذى كان يهتم القوم فيه بتدوين أنسابهم — ومكانة كل فرد من أفراد أسرته الذين كانوا يشغلون أهم الوظائف فى الدولة قبل نبوغه و بعده ثم نستخلص بعد ذلك موجزاً عن حياة هذا البطل العظيم وما قام به هو وأفراد أسرته فى إعلاء مكانة مصر .

أسرة منتومحات

الوثيقة الأولى

كان أول شخص عرف لنا من أسرة منتومحات هو جده « خامحور » فقد وجد « لمنتومحات » هذا تمثال فى خبيئة الكرنك عام ١٩٠٤ م ، وهذا التمثال منحوت

فى الجرانيت الرمادى ويبلغ طوله متراً وخمسة وخمسين سنتيمتراً . وهو يمثله ماشيا ، وتقاسيم وجهه ناطقة وتشبه تقاسيم السودانيين الحاليين بصورة تلفت النظر . ويرتدى شعراً مستعاراً مموجا ومقسما خصلات مضفورة ضفائر صغيرة أيضا . ومن النقوش الكثيرة التى على التمثال وعلى قاعدته نعرف اسم والده واسم جده ، كما نعرف منها كذلك الوظائف التى كان يشغلها [1] .

وتتلخص نقوش هذا التمثال فيما يأتى :

عدد لنا أولا « منتومحات » وظائفه ومناقبه الكثيرة التى كان يحملها . وهاك ترجمة بعض نقوش هذا التمثال كما نشرها الأثرى لجوان [2] :

(b) الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد والعظيم الحظوة والعظيم المحبة والذى يبعد الشر عن بيت الملك ، والذى يدخل بقبول حسن فى المكان الذى فيه الملك ، والفم الذى يهدى فى المدن والمقاطعات ، والذى يسر حور (الملك) فى بيته ، والذى يرى المستقبل ويعرف حدود (الزمن) والحارس الفريد لسيده فى بيته والعليم بكل أماكنه ، والذى ينبغى أن يصعد إلى الإله ، والممتاز فيما يخص عمل أصابعه (= أى الذى يديرها بامتياز) والكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة (= طيبة) « منتومحات » المبرأ .

كلام : لقد انعشت الجائعين فى مقاطعتى ، ونجيت الذى ينام جوعا وأعطيت الخبز للجائع والماء للغرثان والملابس للعريان . يا كل كاهن مطهر أعطين ذراعك الماء والبخور عندما ترى تمثالى ، لا تفتر منى ولا تذهب بعيدا عنى ، وان الماء وهواء الفم (أى الدعاء للتوفى) أفيد لى من ملايين الأشياء الأخرى . وأنها مكسب لك فى المستقبل . . . . . . (غير مفهوم) . والإنسان يفكر فى مستقبله عندما يكون الميزان هنا (أى يحاسب فى الآخرة) .

---

(١) راجع Legrain, Catalogue General des Antiquites, Egyptiennes Statues et Statuettes De Rois et de Particuliés, Tome III. p. 85 No. 42236 & 42237.

(٢) راجع Rec. Trav., 28, p. 181

قربان يقدمه الملك ويعطيه أوزير « خنتي أمنتي » الإله العظيم رب العرابة .

قربان من الثيران والطيور ومن كل شئ طيب وطاهر مما يأتى أمام الإله العظيم لأجل روح الكاهن الرابع لآمون المبرأ يقول يا كهنة الساعة لمعبد آمون وكل مواطن لكل مدينة الذى سيمر بهذا التمثال ليت آمون يكون عطوفا عليك وليت حبك يكون عظيما لدى الملك إذا قلت الفاً من الخبز والجعة والفاً من كل شئ طيب لأجل روح الكاهن الرابع لآمون ، « منتومحات » .

(h) انه يقول يأيها الكهنة وكل الكتاب الذين يمسكون المحبرة والمدربون فى كلمات الإله ، ليت إله مدينتكم يكون عطوفا عليكم ، وليت قلوبكم تكون مرتاحة مدة حياتكم فى عطف مليككم عندما تقولون قربانا يقدمه الملك ويعطيه آمون — رع رب عرش الأرضين من كل شئ فى كل عيد للسماء والأرض ، وليتك تتبع يوميا الإله وترى « آمون رع » فى بهائه ومديحك يكون فى فم الأحياء إلى أن تصل الى التبجيل فى سلام (الكلام هنا لا معنى له لأن منتومحات كان قد مات وقتئذ) وليت الإنسان يناديك لتأخذ القربان فى المعبد .

(i) الكاهن الرابع وكاتب قربان معبد آمون « منتومحات » يقول : أنتم أيها الأحياء على الأرض اللذين سيمرون على هذا التمثال قولوا قربانا ملكيا يعطيه « منتو » رب طيبة ليته يجعل تمثال هذا الكاهن الرابع « منتومحات » يبقى ، وليته يمنح رأسه لعظامه وعلى ذلك فقد قربت له وليت اسمى يذكر حسنا فى المعبد فإن ذلك هو الحظوة من إله مدينته (أى الحظوة التى يلاقيها كل مرة الناس من إله المدينة) . وهذا الإله يفعل الطيب لمن يفعله ، وإنى أعرف أن مدحه هو الصدق وإنى فعلت ما هو مفيد للاله والطيب للناس .

التمثال رقم ٤٢٢٣٧ : وهو للكاهن « منتومحات » كذلك وهاك بعض ما جاء فى نقوشه :

الكاهن الرابع لآمون وحاكم الجنوب « منتومحات » : مرحبا بك يا آمون الذى خلق الكل والإله الذى برأ كل الكائنات والملك الممتاز وبداية الأرضين والذى يعرف الأبدية التى أوجدها والعظيم القوة والعظيم الرهبة ، ومن تماثيله متعددة أكثر من الآلهة الآخرين ، والعظيم البطش والذى يطرد الشر ، ومن قرنه ينطح المذنب ، وإنى أتكل على اسمك فإنه لى الطبيب الذى يطرد المرض من أعضائى والذى يبعد عنى الألم المحرق ، . . . وانه جعل حبى فى قلوب الناس وعلى ذلك فإن كل إنسان مال إلى ، ومنحنى وقتاً طيباً فى جبانة بلدى التى فى قبضته ، وجعل اسمى يبقى مثل نجوم السماء ، وجعل تمثالى يبقى كأحد أتباعه ، وروحى ستذكر فى معبده نهاراً وليلا وشبابى سيجدد مثل القمر ، واسمى لن يحذف بعد سنين أبد الآبدين بوصفى الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة « منتومحات » المنعم .

ومن نقوش هذين التمثالين أمكننا أن نعرف اسم والد « منتومحات » وجده : فهو « منتومحات » بن « نسبتاح » بن « خامحور » .

وكان والده « نسبتاح » يحمل الألقاب التالية : كاهن أمون وعمدة المدينة (طيبة) .

أما جده « خامحور » فكان يلقب كاهن آمون وعمدة المدينة والوزير . وهاتان الوثيقتان كما سنرى تقدمان لنا ألقاب « منتومحات » كما تضعان أمامنا اسمى والده وجده وألقابهما ، ويلحظ هنا أن لقب الوزير الذى كان يحمله « خامحور » جد « منتومحات » لم يظهر أمامنا فى أى وثيقة أخرى بصفة مؤكدة منسوباً إليه . وعلى ذلك يجمل بنا أن نفحص الآثار الأخرى التى نقش عليها اسم هذا الوزير « خامحور » حتى يمكن التعرف على أسماء أجداده . ولأجل الوصول إلى هذا الغرض لا بد أن نعرف أولا أن اللقب « كاهن آمون » وحده كان لقباً عادياً جداً ؛ ولكن من جهة أخرى نعرف أن اللقب « عمدة المدينة » « والوزير » كان لقباً نادراً جداً

بالنسبة للقب «كاهن آمون» . وهذا يخول لنا إيجاد علاقات مؤكدة تقريباً عند تتبعه مثل العلاقة بين ألقاب الكاهن الأول والثانى والثالث والرابع لآمون .

وكذلك بين بعض الألقاب المدنية والدينية بالنسبة لحامليها وصلة بعضهم ببعض عند تتبع سلسلة نسب حامليها .

الوثيقة الثانية (٢)

تمثال الوزير « خامحور » :

لدينا تمثال لكاهن آمون والوزير « خامحور » جد « منتومحات » السالف الذكر . عثر على هذا التمثال فى خبيئة الكرنك[1] . وكان بطبيعة الحال منصوبا فى معبد الكرنك كغيره من التماثيل التى وجدت فى هذه الخبيئة ، وهو مصنوع من الجرانيت الرمادى ويبلغ ارتفاعه خمسة وثلاثين سنتيمتراً . وقد مثل قاعداً القرفصاء . وقد ذكر لنا « خامحور » هذا اسم والده « حورسا إزيس » .

ويحمل « خامحور » الألقاب التالية : كاهن آمون ، وعمدة المدينة والوزير .

ويلقب « حورسا إزيس » والده بالألقاب التالية : كاهن آمون والكاهن الملقب أعظم الخمسة أى الكاهن الأعظم للاله « تحوت » رب الأشمونين ، والكاهن الملقب ابنه محبوبه وهو لقب يطلق على الكاهن الأكبر للاله « حرى شف » (حرسفيس) إله أهناسية المدينة[2] . وهذان اللقبان النادران اللذان يحملهما « حورسا إزيس » والد « خامحور » يخولان لنا أن نقرر أن « حورسا إزيس » هذا هو صاحب التمثال رقم ٣٠٨ الذى عثر عليه فى خبيئة الكرنك جنباً لجنب مع تمثال « خامحور » (رقم ٣٠٧) فى ٨ مايو سنة ١٩٠٤[3]

---

(١) راجع Legrain, Ibid, p. 102 No. 42234

(٢) راجع عن هذا الإله مصر القديمة الجزء التاسع ص ٤٤٤ — ٤٤٦

(٣) راجع Rec. Trav., Ibid, p. 183

الوثيقة الثالثة (٣)[1]

تمثال « حورسا إزيس » :

هذا التمثال مصنوع من الجرانيت الأسود وارتفاعه ٥٠٥ مليمترات . وقد مثل قاعدا القرفصاء ويقدم لنا المعلومات التالية : كان يحمل لقب كاهن آمون والكاهن الأكبر للاله « تحوت » والكاهن الأكبر للاله « حرى شف » رب أهناسية المدينة وكاهن آمون فى الكرنك ، أما والده المسمى « بدى است » فكان يلقب كاهن آمون فى الكرنك .

ويمكننا من الوثائق السابقة أن نضع سلسلة أجداد « منتومحات » بعد أن تأكدنا من كل فرد منهم ومن ألقابه البارزة أو النادرة :

منتومحات
|
نسبتاح
|
خامحور
|
حورسا إزيس
|
بدى است

الوثيقتان الرابعة والخامسة (٤) ، (٥)

تمثالا « خامحور الثانى »[2] و « رع ماخرو »[3] :

وجدت بعض هذه الأسماء السابقة على آثار أخرى ونخص بالذكر هنا التمثالين

(١) راجع Legrain, Ibid, p. 81, No. 42233, Pl. XLII

(٢) راجع Legrain, Ibid, p. 102 No. 42250, Pl. LIII

(٣) راجع Legrain, Ibid, p. 101 No, 42249. Pl. LII

السابقين فنجد فى نقوش التمثال الأول أسمـاء « خامحور » و « حورسا إزيس » و « بدى است » وفى نقوش التمثال الثانى اسمى « خامحور » و « حورسا إزيس » .

الوثيقة الرابعة (٤)

(٤) وتمثال « خامحور » الثانى ابن « رع ماخرو » :

مصنوع من الجرانيت الرمادى وارتفاعه خمسة وثلاثون سنتيمتراً ومثل قاعدا القرفصاء ونستخلص من نقوشه سلسلة النسب والألقاب التالية :

« خامحور » الثانى[1]

كاوكاو (أمه)

«رع ماخرو» (٢) = كاهن منتو رب «طيبه» (والده)

« بهرر » (٣) = كاهن « آمون » وعمدة المدينة والوزير

« خامحور » الأول (٤) = كاهن « آمون » وعمدة المدينة والوزير

«حورسا إزيس» (٥) = كاهن « آمون » وكاهن «تحوت» الاعظم وكاهن الاله « حرى شف » رب «أهناسية المدينة» والوزير

«بدى إست» (٦) = كاهن « آمون » ابن مثيله (فى الوظائف)

«عنخ ونفر» (٧) = مثيله (أى مثيل السابق فى الألقاب)

---

(١) هذا التمثال يرجع تاريخه إلى الأسرة السادسة والعشرين Legrain, Ibid, p. 103

الوثيقة الخامسة (٥)

(٥) تمثال « رع ماخرو » :

مصنوع من الجرانيت الأسود وارتفاعه ٢٦٥ مليمترا وقد مثل قاعدا القرفصاء ومن نقوشه نستخلص سلسلة النسب والألقاب التالية :

خامحور الثانى (١) = الكاهن سما (محضر العقاقير للاله مين فى طيبة ؟)

|

رع ماخرو (٢) = خادم النور ، كاتب معبد آمون وأوزير وعمدة المدينة وكاهن « منتو » رب طيبة .

|

بهسور (٣) = كاهن آمون وعمدة المدينة والوزير .

|

خامحور الأول (٤) = كاهن آمون وعمدة المدينة والوزير .

|

حورسا إزيس (٥) = كاهن آمون وعمدة المدينة والكاهن الأعظم للاله تحوت والكاهن الأكبر للاله حرى شف رب أهناسية المدينة .

ونستخلص من الوثيقتين السالفتين أى الرابعة والخامسة المعلومات التالية :

(١) نلحظ : أولا من نقوش تمثال خامحور الثانى وهو الوثيقة الرابعة أن سلسلة النسب «خامحور» — «حور سا ازيس» — «بدى است» قد أضيف إليها اسم جديد وهو « عنخ ونفر » . ولما كان التمثالان الرابع والخامس قد صنعا بعد عهد « حورسا ازيس » بأربعة أجيال فإنه من المفهوم أن « خامحور » الذى صنعهما قد أضاف إلى ألقاب « حورسا ازيس » لقب الوزير . وهذا اللقب لم يكن موجوداً بين ألقابه فى الوثيقتين الثانية والثالثة وهما اللتان يحتمل أنهما معاصرتان له . وسنرى

فى خلال بحثنا هذا ظهور بدعة منح المتوفين ألقابا لم يكونوا يحملونها فى مدة حياتهم الدنيوية ، ولكن ذلك كان فى بعض وثائق من نوع خاص وحسب ، وكانت تمنح لهم تمجيداً وتفاخراً من الأحياء وتلك عادة لاتزال موجودة فى بلادنا حتى يومنا هذا .

والواقع أن ما جاء فى الوثيقتين الرابعة والخامسة يشير صراحة الى سلسلة نسب فرعية لكل من «بهرر» و «رع ماخرو» و «خامحور الثانى» . وسنفصل القول فى هذا الفرع فى فصل خاص هنا .

(٢) يلحظ أن الألقاب التى يحملها الجدان « بدى است » « وعنخ ونفر » مبهمة جداً مما لا يجعل أمامنا مجالا لأن ننسب إليهما قرابة ما لأشخاص آخرين .

وكذلك الحال مع « حورسا ازيس » .

ولكن لدينا لوحة من الخشب بالمتحف المصرى لامرأة تدعى « تاباتات » (وهى الوثيقة رقم ٦٩ فى هذا البحث) نجد فى نقوشها أن الوزير « نسمين » كان والده يحمل اسم « حورسا ازيس » ويلقب كاهن آمون رع ملك الإلهة وعمدة المدينة والوزير . ومن المحتمل أنه هو نفس والد « خامحور » . وعلى ذلك يكون الوزير « خامحور الثانى » بمثابة أخ للوزير « نسمين » بن « حورسا ازيس » غير أنه لايجب أن نخلط بينه وبين الوزير « نسمين الثانى » الذى يعد ابن « خامحور الأول » الأصلى .

« أولاد خامحور الأول » بن « حورسا ازيس »

جاء فى الوثائق الأولى والرابعة والخامسة السالفة ذكر « منتومحات » ، كما ذكر أن «بهرر» كان ابنا « لخامحور الأول » ومن جهة أخرى سنجد أن الوثائق الثامنة والعاشرة والحادية عشرة فى هذا البحث تنسب إليه « نسمين الثانى » الذى كان يحمل لقبى عمدة المدينة والوزير ، فى حين أن الوثيقتين ٦٤ و ٦٦ فى هذا البحث تنسب إليه كاهن الإله « منتو » المسمى « بدى أمن »وسنحاول فى الفصول التى خصصت هنا لدرس

الأسرة التي كونها كل واحد منهم أن نضع البراهين التي حدت بنا إلى الاعتراف بأن أولاد « خامحور الاول » الأربعة جميعا كانوا حقاً أولاده وسنذكر مع كل زوجه وأولاده .

وزيادة فى الايضاح يجب علينا قبل أن نبتدئ درس كل فرع من فروع الأسر التي أنشأها أولاد « خامحور الأول » أن نضع هنا قائمة مقارنة بالألقاب التي كان يحملها كل من هؤلاء الأربعة وهذه القائمة ستجعل من السهل على الانسان أن يعرف الوظائف والمكانة التي كان يحتلها كل منهم. فنلحظ لأول وهلة أن كلا من «بهرر» « ونسمين » قد شغل بالتوالى على ما يظن وظيفة وزير . وكذلك شغل كل منهما أعلى الوظائف التي كان يشغلها أفراد هذه الأسرة . أما « نسبتاح » الذى سنرى أنه والد « منتومحات » فإنه يجئ بعدهم فى المرتبة بوصفه عمدة المدينة (طيبة) ، وأخيراً انخرط فى سلك كهانة الإله « منتو » الذى لم يكن له على الأقل فى هذه الفترة نفوذ كبير بالنسبة للاله « آمون رع » .

هذه هى المعلومات المبهمة التي أسست عليها الفصول الأربعة الخاصة بهذا البحث المتعلق بالأسرة التي يؤلف منها جزءاً بطلنا « منتومحات » صاحب النفوذ العظيم فى مصر فى العهد الكوشى الذى نحن بصدده ، ولكن يجب علينا أن نعترف هنا أنه ليس فى استطاعتنا أن نقول على وجه التأكيد أى هؤلاء الأفراد الأربعة كان بكر « خامحور الأول » بن « حورسا ازيس » ومن الذى جاء بعده من أولاده من حيث السن .

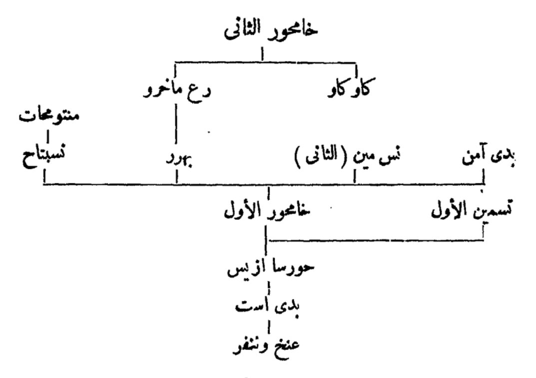
وهاك القائمة الخاصة بأولاد « خامحور » ، الأربعة وألقاب كل منهم :

(١) «بهرر » كاهن آمون وعمدة المدينة والوزير ، والأمير الوراثى والحاكم وكاهن آمون بالكرنك وعمدة المدينة والوزير والقاضى وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب .

(٢) نسمين : كاهن آمون ، كاهن « آمون رع » ملك الآلهة ، والأمير الوراثى وحامل خاتم ملك الوجه البحرى ، والسمير الوحيد ، ومدير كل الملابس ، وعمدة المدينة والوزير ، وكاتب الجيش ، والنائب العظيم الذى يدخل المدينة (؟) ابن مثيله .

نسبتاح : (ا) كاهن آمون وعمدة المدينة ، وكاتب قربان معبد آمون .. محبوبه والنائب العظيم (ب) والأمير الوراثى والحاكم ، وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد ، وكاهن الاله منتو رب طيبة ، والنائب العظيم الذى يدخل المدينة .

بدى آمن : (ا) كاهن الاله « منتو » رب طيبة ، وكاتب أوقاف بيت آمون ، والشاب ؟ وهاك سلسلة نسب الأسرة التى يؤلف منها « منتوحات » عضواً .



« الجزء الثانى » من البحث : أولاد خامحور

الفصل الأول

فرع « بهرر » : عرفنا من الوثائق الأولى والرابعة والخامسة أن كلا من

« منتوحات » و « بهرر » و « رع ماخرو » وخامحور الثانى كانوا من أصل واحد ؛ ولكن من فروع مختلفة ترجع للوزير « خامحور » الأول .

فنجد « بهرر » ومن بعده أخاه « نسمين » الثانى قد ورث كل منهما وظيفة « وزير » التى كان يشغلها « خامحور الأول » ؛ غير أن نسل هذين الفرعين قد أخذ فى النقصان شيئا فشيئا حتى اختفى ، فى حين نجد أن نسل فرع « نسبتاح » كان فى بداية نشأته أكثر تواضعا ثم أخذ فى الظهور وفى زيادة السلطان حتى أصبح فى عهد « منتوحات » و « نسبتاح الثانى » عظيم السلطان ويتمتع بجاه كجاه الملك تقريبا . أما أسرة « بهرر » فلا نعرف لها آثاراً خلافا لتمثالى « رع ماخرو » وخامحور الثانى — وهما يمثلانهما قاعدين القرفصاء ؛ إلا تابوتا لأحد أولاد « بهرر » ؛ هذا بالإضافة إلى غطاء تابوت وهما ينسبان لخامحور الثانى صاحب التمثال الذى عثر عليه فى الكرنك وهو يؤلف الوثيقة الرابعة فى بحثنا هذا .

الوثيقة السادسة (٦)

تابوت باشرى — من (١)

نجد اسم وألقاب « بهرر » وهى : كاهن آمون وعمدة المدينة والوزير وقد صادفناه فى نقوش الوثيقتين الرابعة والخامسة ؛ على تابوت «باشرى — من» المحفوظ الآن بالمتحف المصرى ونستخلص من نقوشه القائمة التالية :

باشرى — من = كاهن آمون

زدموت ايوف عنخ

بهرر = كاهن آمون وعمدة المدينة والوزير

(١) راجع Rec. Trav., 33, p. 189

الوثيقة السابعة (٧)

دل درس متون الأنساب التي دونت على الآثار الجنازية الملونة وبخاصة التوابيت واللوحات المصنوعة من الخشب من عهد الأسر من الثانية والعشرين حتى السادسة والعشرين ، على أن المعلومات التي تقدمها لنا غالباً تكون خاطئة ولو جزئيا بالنسبة للمعلومات التي نجدها على التماثيل واللوحات المنحوتة في الحجر . وهذه الظاهرة تفسر لنا دون عناء ما كان عليه ملون هذه التوابيت من سرعة وإهمال وحرية لإرضاء غرور أهل أصحاب التوابيت ، فقد كان أقل تقيداً من الحفار الذى كان عليه أن يعمل فى مادة أكثر صلابة ، كما كان عليه أن يخرج عملا لم يكن مصيره أن يختفى فى أعماق القبر بل على العكس كان مآله أن يعرض فى معبد أو فى مكان عام فيراه كل الناس .

وغطاء تابوت « خامحور الثانى » يقدم لنا مثالا حسنا للأغلاط التى كان يرتكبها الملون الذى كان يلون الأثاث الجنازى .

تابوت « خامحور الثانى » (بالمتحف المصرى)

خامحور (١)

كاكايو (٥)	رع ماخرو (٢)
حورسا ازيس (٦)	حورسا ازيس (٣)
	خامحور (٤)

وهاك ألقاب كل منهم على حسب ترتيبهم على هذا التابوت .

(١) خامحور : الأمير الوراثى والحاكم وكاهن « منتو » رب طيبة والمعروف لدى الملك حقيقيا ، والكاهن الباحث عن العين السليمة للالهة موت[1] ربة السماء والكاهن سمسا (؟) فى طيبه (وهو الكاهن الخاص بتحضير العقاقير كما يقول مونتيه

(١) هذا اللقب ينطق بالمصرية « حيت وزات » وينطقه آخرون « سخن وزات » ومعناه غامض (راجع Leclant, Enquetes, p. 24) .

لأجل "دليك الاله لإحيائه ثانية) (راجع J. N.E.S., Vol. IX, p. 22 ff)
والنائب العظيم الذى يدخل المدينة والكاهن والد الإله المحبوب ابن مثيله .

(٢) رع ماحرو : مثل سابقه (فى ألقابه) كاهن « منتو » رب طيبة ، والحاكم ، والأمير الوراثى والحاكم ، والكاهن المطهر العظيم الذى يعرف واجباته ، والكاهن والد الإله محبوبه (؟) ، والكاهن الذى يصب الماء ، والكاهن الباحث عن العين السليمة للآلهة « موت » .

(٣) حورسا إزيس : الأمير الوراثى والحاكم وكاهن آمون فى الكرنك ، وعمدة المدينة والوزير ، وصاحب الستار والمحترم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب .

(٤) خامحور الأول : الأمير الوراثى والحاكم وكاهن آمون بالكرنك وحاكم المدينة وصاحب[1] الستار المحترم وعمدة المدينة والوزير .

(٥) كاكايو : ربة البيت المحترمة المقربة من زوجها .

(٦) حورسا إزيس : كاهن « آمون رع » ملك الآلهة .

والآن نعود لفحص الوثائق الرابعة والخامسة وغطاء تابوت « خامحور » الثانى وهو الذى يؤلف الوثيقة السابعة . وعند ما نقرن قائمة سلسلة النسب التى نستخلصها من نقوش غطاء تابوت « خامحور » الثانى (أى الوثيقة السابعة) بسلسلتى النسب اللتين استخلصناهما من نقوش تمثالى الوثيقتين الرابعة والخامسة ، نجد خلافا بينهما فى نقطة هامة . إذ نشاهد فى الوثيقتين الرابعة والخامسة أن « بهرر » بوصفه جد « خامحور » الثانى قد وضع ترتيبه الثالث فى هاتين الوثيقتين ، أما فى الوثيقة السابعة فقد وضع مكانه « حورسا إزيس » . ومع ذلك فإن توحيد « خامحور » الذى جاء ذكره فى الوثيقتين الرابعة والخامسة « بخامحور » الذى جاء ذكره فى الوثيقة السابعة

(١) صاحب الستار لقب من الألقاب الوزير .

لا شك فيه، يضاف إلى ذلك أن السيدة « كا كايو » التي جاء ذكرها في الوثيقة السابعة هي نفس « كاوكاو » التي جاء ذكرها في الوثيقة الرابعة . على أنه كان يكفي أن يذكر في القائمة السابعة اسم كل من والد خامحور الثاني ووالدته لنتأكد من توحيد هاتين الشخصيتين مع اللتين ذكرتا في الوثيقة الرابعة، يضاف إلى ذلك أن اسم « رع ماخرو » هو اسم نادر، وأن هذه الحقيقة تتخذ حجة كذلك في توحيد هذين الاسمين، وفضلا عن ذلك يبرز ثانية الوزير « خامحور الأول » بوصفه جداً بعيداً « لخامحور الثاني » في الوثيقة السابعة كما هي الحال في الوثيقتين الرابعة والخامسة .

وأخيراً نجد أن فحص الألقاب يدلنا على شئ قد يساعدنا في بحثنا هذا . ففي الوثيقتين الرابعة والخامسة نجد أن « بهرر » و « خامحور الأول » و « حورسا إزيس » يحملون لقب الوزير بعد لقب كاهن آمون ، ومن جهة أخرى نجد أن كلا من « رع ماخرو » و « خامحور الثاني » لا يحمل هذين اللقبين بل يحمل لقب كاهن « منتو » . والواقع أنه يوجد في قائمة غطاء التابوت أي في الوثيقة السابعة أن كلا من « خامحور الأول » و « حورسا إزيس » فقط يحمل اللقبين كاهن آمون والوزير .

وهذه الحقائق السابقة كلها تدفعنا إلى الاعتقاد بتوحيد القوائم الثلاثة أي القوائم الرابعة والخامسة والسابعة ، وأنه يجب علينا أن نبحث فيما إذا كان اسم « حورسا إزيس » يوجد بطريق الخطأ في مكان « بهرر » أو هو موحد معه.[1]

وأول فكرة تخطر على البال في هذا الموضوع هي أن « بهرر » هذا هو اسم ثان كان يدعى به « حورسا إزيس » وقد ذكرنا أمثلة على ذلك في مواضع مختلفة (راجع مصر القديمة الجزء الخامس ص ١٦٨) .

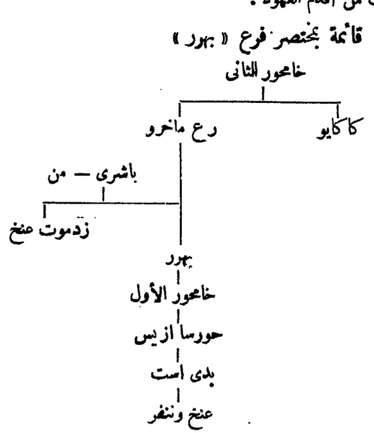
ومن الجائز كذلك أن كاتب قائمة غطاء التابوت قد خلط بين أجداد « خامحور

(١) يعتقد الدكتور كيس أن حورسا إزيس يحمل اسما آخر وهو « بهرر »

الثانى » فوضع « حورسا إزيس » الذى كان يجب أن يحتل الدرجة الرابعة فى القائمة بين الأجداد فاحتل المكانة الثانية أى مكان « بهرر » .

على أنه من المحتمل أن هذا لم يكن له إلا أهمية نسبية ، وأن ما كان قد طلبه نسلهم من الرسام الذى لوّن التابوت أو وضع شجرة النسب عليه ، هو أن يعظم المتوفى وأجداده بألقاب نخمة عديدة أكثر من التى كانوا يحملونها فى مدة حياتهم فعلا ؛ ولا شك فى أن من يقرن القوائم الثلاث التى استخلصت من الوثائق الرابعة والخامسة والسابعة ، يجد أن مؤلف متن غطاء تابوت « خامحور الثانى » قد قام بأداء ما طلب إليه خير قيام . ولا غرابة فى ذلك إذ أننا نجد فى عهدنا الحالى هذا الاتجاه فنجد حتى عند إعلان وفاة فرد على صفحات الجرائد أن أهله يضفون عليه ألقاباً لم يكن يتمتع بها فى مدة حياته ، فكم من مرة يعلن على صفحات الجرائد وفاة فلان بك وهو لا يحمل هذا اللقب رسمياً . وقد جاءت الجمهورية وأبطلت كل الألقاب فأبطلت هذه العادة المتأصلة فى نفوس الشعب من أقدم العهود .

قائمة بمختصر فرع « بهرر »



« الجزء الثانى »

أولاد « خامحور »[1]

فرع « نسمين الثانى » ابن خامحور الأول .

قبل الخوض فى هذا الموضوع تجب الإشارة إلى أن النتائج التى وصلنا إليها فى هذا الفصل وفى الفصل الخاص بفرع « نسبتاح » لا تشبه النتائج التى استخلصها كل من «مسبرو» و « بييه » (Baillet) فى بحثهما عن أخلاف « منتومحات »[2] وذلك لأن هذين الأثريين كانا يظنان أن « نسمين الثانى » ابن « خامحور » ، هو والد منتومحات و « أمنردس » وبيبو[3] . والآثار التى استعان بها هذان الأثريان لتقرير هذه الأبوة مستقاة من قاموس الأعلام الذى وضعه الأثرى ليبلين (راجع Lieblein Dictionnaire de Noms Hieroglyphiques No. 1094 1105, 1119, 1120, 1121, 1189. غير أنه ليس من بين هذه الوثائق واحدة تدل على أن «منتومحات» كان ابن «نسمين» الثانى والظاهر أن هذه النسبة يرجع أصلها إلى الأثرى « دى روجيه » (راجع E. De Rouge, Etude Sur les Monuments de Régne de Taharka dans les Melanges I, p. 17 note 4 et p. 20 Note 1).

والواقع أن « بيبو » كانت فعلا ابنة لوزير يدعى « نسمين » ولكنه الوزير « نسمين » الأول ابن الوزير « حورسا أزيس » الذى ذكر فى الوثيقتين الأولى والثانية وليس ابن الوزير « خامحور » الأول قط[4] . وأخيراً لم يكن اسم الأم ولا اسم الجد من جهة الأب للسيدة « أمنردس » معروفا ، ولذلك لا يسع الإنسان إلا أن يتردد فى الاعتراف بأن والدها هو «نسمين الثانى » ابن« خامحور الأول» . أو أنه « نسمين الأول » . وسنضع مؤقتاً « أمنردس » فى فرع « نسمين الثانى » ، ونضع « بيبو » فى فرع « بدى — أمن » ونضع « منتومحات » فى فرع « نسبتاح » .

(١) راجع Rec. Trav., 34, p. 97 etc.

(٢) راجع Maspero, Les Momies Royales de Deir-el Bahri, p. 762, 763

(٣) راجع Aug Baillet, Une Famille Sacerdotale et Rec. Trav. XXVII, p. 192

(٤) راجع Lieplein, Ibid No. 1094

الوثيقـــة الثامنة (٨)

تابوت « نسأمنأبت »

وجد على بعض الآثار ذكر كاهن « آمون » والوزير « خامحور » . فمن هذه الآثار تابوت جنازى لفرد يدعى « نسأمنأبت » محفوظ بالمتحف المصرى ويمدنا بالمعلومات التالية عن فرع جديد لنسل « خامحور الأول » : ونستخلص من الوثيقة سلسلة النسب التالية :

(١) « نسأمنأبت » = كاهن « منتو رب طيبة » ، والكاهن سما الطيبى (سبق شرحه) .

(٢) ابن « نسمين الثانى » = كاهن « آمون » وعمدة المدينة والوزير .

(٣) ابن « خامحور » = كاهن « آمون » وكاهن الإله « منتو » فى طيبة وعمدة المدينة والوزير .

وهنا يلحظ أن «خامحور » كان يحمل لقب كاهن «منتو» رب طيبة ونرى أن هذه الشخصية تحمل هذا اللقب فى كتابات تابوت « استنخب » (الوثيقة ٢١) وهذا يؤكد ما يظهر النظرية القائلة إن « استنخب » كانت بحق أم « منتومحات » .

الوثيقة التاسعة (٩)

صندوق نسأمنأبت بن « نسمين »[(١)]

ونستخلص منها سلسلة النسب التالية :

(١) « نسأمنأبت » = كاهن الإله « منتو » سيد طيبة .

ابن نسمين الثانى = كاهن « آمون » » والكاهن سما الطيبى وعمدة المدينة (؟)

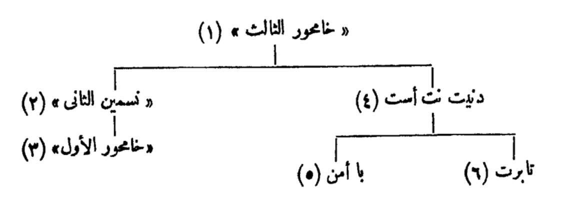
---

(١) راجع Ancien Catalogue Maspero No. 1562; No. 1457

الوثيقة العاشرة (١٠)

تابوت « خامحور » الثالث[1]

عرفنا من تابوت « نسأمنابت » أن « نسمين الثانى » هو ابن « خامحور الأول » وهاك ما استخلصناه من نقوش « خامحور الثالث » أخى « نسأمنابت » الذى يكمل قائمة هذه الأسرة من جهة الأم .



(١) « خامحور الثالث » = كاهن « منتو » سيد طيبة ، والكاهن فاتح بابى السماء فى الكرنك (أى بابى قدس الأقداس) ، والكاهن الباحث عن العين السليمة للآلهة موت ربة السماء ، والكاهن والد الآله محبوبه .

(٢) ابن نسمين الثانى = كاهن آمون وكاهن آمون رع ملك الآلهة ، والأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد وعمدة المدينة والوزير وكاتب الجيش والنائب العظيم الذى يدخل المدن .

(٣) ابن خامحور الأول : مثيله فى الألقاب .

(٤) « دنيت نت است » : اللاعبة بالصناجة لآمون رع .

---

(١) راجع Rec. Trav., 34. p. 98 ff.

الوثيقـــة الحادية عشرة (١١)

التابوت الثانى لخامحور الثالث

سنلحظ أن الألقاب التى نجدها على هذا التابوت فيها بعض روايات مختلفة عمـا جاء فى التابوت السابق .

خامحور الثالث (١)

دنيت است (٤)

نسمين الثانى (٢)

خامحور الأول (٣)

(١) خامحور الثالث :

(١) الـكاهن والد الإله وكاهن « منتو » سيد مقاطعة طيبة ، والـكاهن فاتح باب السماء فى الـكرنك والـكاهن الباحث عن عين حور السليمة للآلهة موت ربة السماء .

(٢) نسمين الثانى : الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد وكاتب الجندين ومدير الملابس جميعا ، والوزير .

(٣) خامحور الأول = الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد ومدير كل الملابس وصاحب الستائر (الوزير) والوزير المحترم .

(٤) دنيت است = ربة البيت واللاعبة بالصناجة لآمون رع[١] .

---

(١) راجع Lieblein, Dictionnaire de noms Hieroglyphiques, 1102

الوثيقة الثانية عشرة (١٢)

تابوت تاحور (= خامحور وقد كتب الاسم فى الأصل خطأ)

يوجد فى المتحف المصرى تابوت جاء فيه الوثيقة التالية :

تاحور (= خامحور) (١)

حر است (= دنيت است) (٣)   نسمين الثانى (٢)

وهاك ألقاب كل من أفراد هذه الأسرة :

(١) تاحور = كاهن منتو رب طيبة .

(٢) نسمين = كاهن آمون رع وعمدة المدينة والوزير .

(٣) حراست = ربة البيت المبجلة .

يلحظ أنه يوجد شخصان باسم « نسمين » ويحمل كل منهما لقبى كاهن آمون ووزير ، أولهما هو ابن « حورسا إزيس » (الوثيقة ٦٩) ، والثانى ابن « خامحور » (الوثيقة رقم ٨) وعلى ذلك فإنه من الصعب علينا أن نعرف أيهما كان والد « تاحور » ، غير أننا نلحظ أن لفظة « تا » فى اسم « تاحور » تدل على المؤنث وعلى ذلك تكون النتيجة أن مؤلف متن التابوت قد أخطأ وكتب « تاحور » بدلا من « خامحور » وذلك لتشابه الحرفين الأولين فى الكتابة المصرية ، وهكذا حدث نفس الخطأ فى كتابة « دنيت است » فكتب بدلها « حر است » لتشابه الحرفين الأولين أيضا وعلى ذلك يكون هذا التابوت واحدا من تابوتى « خامحور الثانى » ابن « نسمين الثانى » الذى ظهر فى الوثيقة التالية .

الوثيقة الثالثة عشرة (١٣)

تابوت خامحور بن نسمين

خامحور (١)

نسمين (٢)	دنيت نت إست (٣)

(١) خامحور = كاهن « منتو رع » رب طيبة ، والكاهن الباحث عن العين السليمة لموت والكاهن فاتح باب السماء فى كل الأماكن الرطبة فى « بننت » (= معبد الإله خنسو بالكرنك) .

(٢) نسمين = كاهن امون رع ملك الآلهة وعمدة المدينة والنائب العظيم الذى يدخل المدينة وكاتب الجندين والوزير .

(٣) دنيت نت إست = ربة البيت .

الوثيقة الرابعة عشرة (١٤)

تابوت « دنيت نت است »[1]

يوجد فى المتحف المصرى بين سلسلة توابيت « خامحور » و « نسمين » صندوق جنازى ، وتابوت برأس إنسان من نفس الطراز وهو لامرأة تدعى « دنيت نت است » والظاهر أنها كانت نساجة وهى زوج « نسمين » الذى تقرب ألقابه كثيراً من ألقاب « نسمين الثانى » . وهذه المرأة كانت ابنة رجل يدعى « أمنحتب » . فهل هى نفس والدة « خامحور الثالث » المسماه « دنيت نت إست » زوج « نسمين »

---

(١) راجع Lieblein, Ibid, No. 1131

وابنة « با أمن » وتابرت ؟ هذا جائز ، ولكن هذه الوثيقة لم ننشرها هنا إلا مع كل تحفظ والغرض من ذلك أن هذا البحث يكون مستوفيا بقدر الإمكان .

وهاك سلسلة النسب :

(١) نسمين = دنيت نت إست (٢)
|
أمنحتب (٣)

(١) نسمين : الكاهن والد الإله ومحبوبه ، وكاتب معبد آمون لما يتسلمه من الفرعون والوزير والقاضي صاحب الستار ، وكاهن آمون ، والأمير الوراثي والحاكم والسمير الوحيد .

(٢) « دنيت نت إست » : نساجة « نسمين » وربة البيت .

(٣) أمنحتب : الكاهن المطهر لآمون .

الوثيقة الخامسة عشرة (١٥)

تابوت « دنيت نت إست »

نجد في متون هذا التابوت الجميل للسيدة « دنيت نت إست » اللقب التالي : نساجة الكاهن والد الإله ومحبوبه في الكرنك والوزير « نسمين » . ويلاحظ أنه لم يذكر في متن التابوت اسم الوالدين .

الوثائق الخاصة بمغنية آمون « أمنردس » :

ذكر كل من الأثريين « دى روجيه » و « مسبرو » و « بييه » أن مغنية آمون « أمنردس » هي ابنة « نسمين » بن « خامحور الأول » . ويظهر أن هذا رأى محتمل ، ولكن نلاحظ مرة أخرى أنه يوجد فردان باسم « نسمين » يحمل كل منهما

لقبى كاهن آمون ووزير ، وأحدهما هو ابن « خامحور » والآخر ابن «حورسا إزيس» ولكن لما كان جد « أمنردس » واسم أمها لم يذكرا فى الوثائق التالية فإنه ليس من المستطاع أن نعرف إذا كانت ابنة الوزير « نسمين » بن « حورسا إزيس » أو ابنة الوزير « نسمين » بن « خامحور » .

الوثيقة السادسة عشرة (١٦)

الصندوق الجنازى الخاص « بأمنردس »

أمنردس (١)
|
نسمين (٢)

(١) « أمنردس » : مغنية آمون .

(٢) نسمين : الكاهن ، وكاهن آمون ، وعمدة المدينة والوزير .

الوثيقة السابعة عشرة (١٧)

نفس البنوة السابقه

(١) أمنردس : مغنية آمون .

(٢) نسمين : كاهن آمون وعمدة المدينة والوزير .

الوثيقة الثامنة عشرة (١٨)

التابوت الصغير لنفس السيدة

جاء عليه :

(١) أمنردس : مغنية آمون .

نسمين : عمدة المدينة والوزير (1)

الوثيقة التاسعة عشرة (١٩)

صندوق أمنردس ابنة نسمين

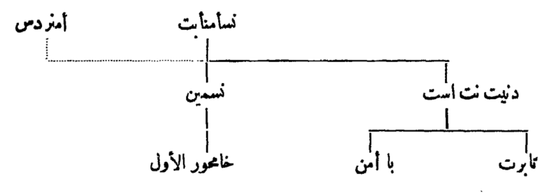
جاء فيه :

(١) أمنردس : مغنية آمون.

(٢) نسمين : كاهن آمون والوزير (2) .

قائمة مختصرة لفرع نسمين بن « خامحور الأول »

« خامحور الثالث »



أولاد « خامحور » (فرع نسبتاح)

عرفنا من نقوش الوثيقة الأولى فى هذا البحث أن والد « نسبتاح » وهو « خامحور الأول » كان يحمل الألقاب : كاهن « آمون » وعمدة المدينة والوزير .

---

(١) راجع Lieblein, Dictionnaire de Noms Hierog. No. 1119, 1120, 1121; et Etudes Egyptologiques IX, 50.

(٢) هذا الصندوق يحمل الأرقام : ٣٩٤ ، ١٦٧٧ ، وفى دليل المتحف المصرى العام ١٩٠٦ الرقم ٧٩٢

ويلاحظ فى قائمة أولاد « خامور » التى تشمل ألقابهم أن مركز « نسبتاح » كان أقل من أخوته « بهرو » ونسمين الثانى ، ويحتمل كذلك من مركز أخيه « بدى أمن » من حيث الشهرة . ولم نجد فى خبيئة الكرنك إلا تمثالا واحداً صغيراً من الحجر الجيرى : أهداه « منتومحات » إلى أبيه « نسبتاح » (الوثيقة رقم ٢٠) ، هذا ولم يرد ذكر « نسبتاح » كتابة على غير هذا التمثال إلا فى مقصورة منتومحات التى أقامها فى معبد « موت » بالكرنك حيث نجده هناك يتبع الملك «تهرقا» ويتقدم ابنه «منتومحات» وحفيده « نسبتاح الثانى » .

وسنرى فى الوثائق التى سنفحصها هنا أنه كان له ابنان وهما « حورسا أزيس » و « منتومحات » . هذا ولا تدع أية وثيقة من بينها مجالا للشك فى أن « نسبتاح » قد أنجب «منتومحات» لا « نسمين الثانى » . وقد حقق هذه النقطة بالذات الأثرى « دارسى »[1] . هذا وفى اعتقادنا أنه من الممكن نسبة ابنة إلى « نسبتاح » وتدعى « ديت إست حب » .

الوثيقة العشرون (٢٠)

تمثال « نسبتاح » الذى أهداه له منتومحات[2]

وجد فى خبيئة الكرنك تمثال صغير لعمدة المدنية «نسبتاح» ولم يبق منه إلا بعض أجزاء . وهو مصنوع من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعه عشرين سنتيمتراً وهو يمثل صاحبه قاعداً القرفصاء وذراعاه متقاطعتان وفى جيده عقد مزين برمز العدالة (راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٣٥٩) . والمتن الذى تبقى هو : عمله ابنه ليحيي اسمه . . . . « منتومحات » . ويحمل « نسبتاح » لقب كاهن « آمون » وعمدة

---

(١) راجع Daressy, Recueil du Cones Funeraires, p. 311, No. 174

(٢) راجع Legrain, Cat. Gen. III, p. 84

المدينة . . . وكاهن « آمون » وكاتب مائدة قربان بيت « آمون » . . . محبوبه والنائب العظيم وعمدة المدينة .

الوثيقة الواحدة والعشرون (٢١)

تابوت استنخب

نجد فى نقوش الوثيقة رقم واحد من هذا البحث أن جد « منتومحات » هو « خامحور » الأول . هذا ونجد أن سلسلة أسرة « نسبتاح » الأول ابن « خامحور » الأول، قد وجدت ثانية على تابوت « استنخب » المحفوظ بالمتحف المصرى .

وستبرهن لنا الوثائق ٢٧ و ٤١ و ٦٠ التى سنوردها فى هذا البحث على أن « منتومحات » كان ابن السيدة « استنخب » ، وعلى ذلك فإن المتحف المصرى يملك تابوت والدة « منتومحات » .

ويطيب لنا أن نذكر هنا أن ألقاب « نسبتاح » التى على هذا التابوت قد دوّنت بالألوان بصورة أرفع من الألقاب التى نقشت على الآثار ، وفضلا عن ذلك نجد أن « خامحور » الأول كان يلقب كاهن « منتو » سيد « طيبة » على هذا التابوت المكتوب بالمداد . وهذا اللقب لم نجده له على الآثار المحفورة فى الحجر . ونفس اللقب كما ذكرنا من قبل كان يحمله على تابوت « نسأمنأبت » (الوثيقة ٨) ، وهذا يدل على أنه يجب علينا أن نستعمل كتابات الآثار المكتوبة بالمداد بحذر وحيطة .

سلسلة النسب :

(١) استنخب = (٢) نسبتاح

(٣) خامحور

(١) استنخب ربة البيت المعظمة المبجلة بجانب زوجها ، زوج نسبتاح .

(٢) « نسبتاح » الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد وكاهن « منتو » سيد طيبة والنائب العظيم الداخل (فى) المدينة .

(٣) « خامحور » كاهن « منتو » سيد طيبة وعمدة المدينة والوزير .

فرع نسبتاح

« حورسا أزيس » الثانى بن نسبتاح الأوّل وأخو منتومحات

يمكننا أن نميز بين « نسبتاح الأول » ابن « خامحور » و « نسبتاح الثانى » ابن « منتومحات » من الألقاب التى يحملها كل منهما .

فالألقاب التى يحملها «نسبتاح » الأول هى : كاهن آمون وعمدة المدينة وكاتب مائدة قربان بيت آمون ، أما الألقاب التى يحملها «نسبتاح» الثانى فهى أرفع بكثير ، والألقاب الرئيسية منها هى : الأمير الوراثى والحاكم والمشرف على الجنوب (أو إقليم طيبة وقتئذ). وعلى ذلك فإنه من الصعب الخلط بين الشخصيتين ، ولذلك قد عرف نسبتاح الأول بوصفه والد « حورسا أزيس الثانى » من الوثائق ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ وهذه تماثيل عثر عليها فى خبيئة الكرنك[١]

وعلى ذلك كان حورسا أزيس الثانى أخا لمنتومحات ، ولكنه لم يقم بأى دور هام تقريباً فى الحياة المصرية ؛ إذ لم يشغل إلا وظيفة كاهن «منتو» هذا بالإضافة إلى وظيفة والده التى ورثها عنه وهى كاتب مائدة قربان بيت آمون ، وكان يلقب خادم النور أيضاً .

وتمثاله الصغير الجميل الذى يحمل رقم ١٨١ يكاد يعد من آيات الفن إذ هو صورة ناطقة . أما التمثالان الآخران فهما صغيران وليس لهما أهمية تذكر . وفى مدة حياة ابن «حورسا أزيس » المسمى «إنأمن ناف نبو» نصل إلى عهد الملك بسمتيك الأول مؤسس الأسرة الساوية (الأسرة السادسة والعشرون) .

---

(١) راجع Legrain, Cat. Gen. III, p. 96—100

الوثيقة الثانية والعشرون[1] (٢٢)

تمثال حورسا أزيس بن نسبتاح . وهاك الألقاب التى وجدت عليه :

(١) حورسا أزيس : كاهن حور . . . . وكاتب مائدة القربان لبيت آمون والقاضى .

(٢) نسبتاح = كاهن آمون بالكرنك وعمدة المدينة .

الوثيقة الثالثة والعشرون (٢٣)

تمثال حورسا أزيس الثانى : هذا التمثال مصنوع من الجرانيت الأحمر الجميل ويبلغ ارتفاعه ٤٨ سنتيمتراً ، عثر عليه فى خبيئة الكرنك وهو يمثل صاحبه فى صورة رجل مسن راكع ويحمل بين يديه محراباً صغيراً فيه صورة الإله أوزير وشعره المستعار مستدير تبرز منه الأذنان ويلبس قميصاً مخططاً والتمثال مصنوع صنعاً جميلا ويعد من أحسن ما أخرجه المفتن فى عصر النهضة ، فالرأس يمثل قوة الحياة إذ قد مثله لنا النحات بصورة عجوز منهك أثقلته السنون ، هذا إلى أنه أظهر بمهارة الغدة الصماء التى سببها كبر السن فى الرقبة ، والواقع أن هذا التمثال يعد صورة ممتازة لرجل طاعن فى السن ومن نقوش هذا التمثال نستخلص سلسلة النسب التالية :

إنأمن ناف نبو (١)
|
حورسا أزيس (٢)
|
نسبتاح الأول (٣)

---

(١) راجع: Legrain, Cat. Gen. III, No. 42245, p. 96 Pl. LI; Journal de Fouilles No. 136: Journal D'entree du Musée du Caire, No. 37015.

(٢) راجع Legrain, Ibid No. 42244

(١) « انأمن ناف نبو » : ويلقب خادم النور وكاهن « منتو » رب طيبة وكاتب مائدة قربان بيت آمون .

(٢) حورسا أزيس : ويلقب خادم النور وكاهن « منتو » رب طيبة وكاتب قربان مائدة بيت آمون .

(٣) نسبتاح : ويلقب كاهن آمون وعمدة المدينة والمعروف للملك حقيقة .

الوثيقة الرابعة والعشرون (٢٤)

تمثال حورسا أزيس الثانى (١)

هذا التمثال وجد مهشما رأسه وكتفه وذراعه اليمنى وكذلك محيط القاعدة ، وهو مصنوع من الحجر الجيرى ويبلغ ارتفاعه ١٧ سنتيمترا وعثر عليه فى خبيئة الكرنك .

ونستخلص من نقوشه سلسلة النسب والألقاب التالية :

« إنأمن ناف نبو » (١)
|
حورسا أزيس (٢)
|
نسبتاح الأول (٣)

(١) إنأمن ناف نبو = كاهن منتو رب طيبة .

(٢) حورسا أزيس = كاهن منتو رب طيبة وكاتب مائدة قربان بيت آمون .

(٣) نسبتاح = كاهن امون وعمدة المدينة وكاتب مائدة قربان بيت آمون .

---

(١) راجع Legrain, Ibid, p. 99 No. 42247

فرع « نسبتاح »

« ديت است[1] حب سد » ابنة « نسبتاح » الأول

يوجد فى معبد الكرنك الكبير شمالى معبد « آمون » غربى معبد « أوزير » حاكم الأبدية ، معبد صغير مؤلف من حجرتين مخربتين جزئياً . وهذا المعبد كان قد أقيم فى عهد حكم كل من المتعبدة الإلهية «أمنردس» الأولى والمتعبدة الإلهية «شبنوبت» الثانية .

ويلحظ فى الصور التى تزين الحجرة الأولى خلف كل من « شبنوبت » الثانية والإلهة « موت » صورة امرأة تدعى « ديت ـ است ـ حب ـ سد » ووجود هذه الصور كما تدل شواهد الأحوال توحى بأنها هى المؤسسة لهذا المعبد الصغير ، وقد مثلت « ديت ـ است ـ حب ـ سد » فى أربعة أماكن على جدران المعبد .

ففى الحجرة الأولى على الجدار الغربى نشاهد « ديت است حب سد » واقفة خلف « شبنوبت » الثانية التى تقدم بدورها إناءين من النبيذ إلى « أوزير » « ونتقر » الساكن فى شجرة البرسا (اللبخ) ، وقد مثلت «ديت ـ است ـ حب ـ سد» بحجم صغير ونقرأ تحت صورتها ما يأتى : مغنية معبد آمون ابنة كاهن آمون بالكرنك وكاتب مائدة قربان فى معبد آمون (المسمى) « نسبتاح » . وعلى الجدار الشرقى من نفس الحجرة نشاهد « شبنوبت » تقدم أربعة ثيران مذبوحة لآمون وللإلهة « موت » وخلف « موت » نشاهد صورة صغيرة للمرأة «ديت ـ است ـ حب ـ سد » رافعة يديها تعبداً وفوقها المتن التالى : مغنية معبد آمون « ديت ـ است ـ حب ـ سد » المرحومة .

وعلى الجدار الجنوبى من نفس الحجرة نشاهد « شبنوبت » تقدم مائدة قربان

---

(١) يعنى اذيس تمنح أعيادا ثلاثينية .

لآمون و « موت » وقد مثلت هنا « ديت ـ است ـ حب ـ سد » بصورة صغيرة وفوقها المتن التالى :

« مغنية معبد آمون » .

وخلف « شبنوبت » نقش متن ولكنه مهشم وهو يشبه الأول مع زيادة : عمدة المدينة . . .

ونشاهد على الجدار الجنوبى من الحجرة الثانية صورة « ديت ـ است ـ حب ـ سد » بشكل أكبر عن الصورة السابقة التى مثلت بها ولكنها مع ذلك أقل من نصف صورة الإله أوزير الذى تتعبد إليه . وقد مثلت واقفة ورافعة يديها ونقرأ أمامها : . . .

المرحومة ابنة الأمير الوراثى والحاكم وكاهن . . . فى الكرنك وكاتب . . .

ومن هذه المتون الأربعة السالفة نستخلص النسب التالى :

الوثيقة الخامسة والعشرون (٢٥)

ديت — است — حب — سد (١)

|

نسبتاح (٢)

(١) ديت ـ است ـ حب ـ سد : مغنية آمون (راهبة) .

(٢) نسبتاح : الأمير الوراثى وعمدة المدينة وكاهن آمون بالكرنك وكاتب مائدة قربان بيت « آمون » .

ونلحظ هنا أن كل الألقاب التى يحملها نسبتاح والد « ديت ـ است ـ حب ـ سد » هى نفس الألقاب التى يحملها نسبتاح الأول . وقد يكون توحيد هذه الألقاب أكثر بداهة إذا كانت قراءة عمدة المدينة ممكنة من الجزء المهشم فى المتن الأخير الذى أوردناه هنا . ونستطيع أن نجد هذا اللقب (عمدة المدينة) على أثر آخر محفوظ

بالمتحف المصرى وأعنى بذلك قاعدة تمثال باسم « ديت ـ است ـ حب ـ سد »[1] .
وهو يؤلف الوثيقة السادسة والعشرين (٢٦) والمتن الذى على هذه القاعدة المصنوعة من الجرانيت يحتوى على دعاء لآمون رب عروش الأرضين الذى يعيش فى الأقصر لأجل « ديت ـ است ـ حب ـ سد » ابنة . . . . (ويحتمل أن فى هذا التكسير اسم « نسبتاح » الذى يحمل لقبى كاهن آمون وعمدة المدينة) .

هذا ونعرف مغنيتين لآمون باسم « ديت ـ است ـ حب ـ سد » الأولى ابنة « نسبتاح » والأخرى تسمى « ديت ـ است ـ حب ـ سد » مغنية بيت آمون وابنة حاكم المقاطعة عنخ حور ، وألقابه لا تتفق مع الألقاب التى يحملها والد « ديت ـ است ـ حب ـ سد » التى على قاعدة تمثالها ، هذا بالإضافة إلى أنه لم يوجد أى أثر لاسم « عنخ حور » فى الكسر الذى على هذه القاعدة ، بل على العكس نجد آثاراً لاسم نسبتاح . وعلى أية حال فإنه فى هذه الحالة — كما هى الحال فى مقصورة الكرنك — نلحظ أن التهشيم فى النقش يضطرنا ألا نوحد « ديت ـ است ـ حب ـ سد » صاحبة مقصورة الكرنك بالأخرى التى على قاعدة التمثال بأنها ابنة نسبتاح الأول إلا مع التحفظ على الرغم من أن هذا التوحيد يظهر أنه جائز جداً .
هذا ويمكن تحديد زمن إقامة هذه المقصورة كما يمكن التأكد من وجود « نسبتاح » وابنته « ديت ـ است ـ حب ـ سد » .

فالمتون الرسمية التى على جدران المقصورة وهى التى نشرها من قبل كل من « بوريان » و « ليبان » تذكر لنا من جهة اسم « أمنردس » الأولى ابنة الملك « كشتا » و « شبنوبت » الثانية ابنة بيعنخى ، ولم يظهر فى هذه المتون اسم أمنردس الثانية ولا اسم الملك « تهرقا » ومن ثم نفهم أن زمن كتابة أثر « ديت ـ است ـ حب ـ سد » كان قبل وصول تهرقا وغزوات الأشوريين ؛ وكذلك قبل إقامة مقصورة « منتومحات » فى معبد الآلهة موت بالكرنك حيث نشاهد فى نقوشها أن « منتومحات »

(١) راجع Borchardt, Stat. I, No. 1219

يقص علينا كيف أنه حاول أن يعيد مجد طيبة بعد الخراب الذى حاق بها . ونحن نعلم من جهتنا أن « شبنوبت » الثانية بعد أن تبنت « أمنردس » الثانية ألغت هذا التبنى وتبنت بدلا من الأخيرة نيتوكريس — شبنوبت ابنة بسمتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين . وعندما وصلت نيتوكريس هذه الى طيبة لتولى مهام وظيفتها الجديدة فى السنة التاسعة من حكم بسمتيك الأول والدها ، كان « منتومحات » الذى قد بلغ من العمر أرذله هو الذى استقبلها يحيط به كهنة طيبة وقدم لها الهدايا المعتادة ، والوثيقة التاسعة والخمسون تذكرنا بهذه الحقيقة كما سنرى بعد .

***

كان همنا فيما سبق هو جمع الوثائق الخاصة بالكاهن « نسبتاح » وزوجه « استنخب » وابنه « حورساإزيس » وأخته ديت — است — حب — سد ، والآن سنجمع فيما يلى الوثائق الخاصة بالكاهن « منتومحات » وأسرته وهو محور موضوعنا . ومنتومحات وأسرته يكوّنون عدة مجاميع هى : (١) المجموعة الأولى يظهر فيها «نسبتاح» وحده . والمجموعة الثانية نجد فيها أن منتومحات يظهر وحده ، والمجموعة الثالثة يظهر فيها أولاد « منتومحات » . وهذا التقسيم الذى وضعته هنا اصطلاحى محض لتسهيل البحث وحسب .

المجموعة الأولى

نسبتاح ومنتومحات

يطيب لنا أن نذكر هنا أولا الوثيقة الأولى التى تؤلف جزءاً من هذه المجموعة .

الوثيقة السابعة والعشرون (٢٧)

قطعة من مائدة قربان

عثر «إدارسى» على الجزء الأمامى من مائدة قربان[1] فى مدينة « هابو » نقش على

(١) راجع Rec. Trav. XXXV. p. 207

إطارها متنان بأربع طغراءات تدلنا على تاريخها . والمهدى لهذه المائدة هو « منتومحات » ابن كاهن آمون رع عمدة المدينة المسمى « نسبتاح » الذى وضعته السيدة « استتحب » المرحومة ويدل وجود لفظة المرحومة بعد استتحب على أنها كانت قد توفيت قبل زوجها الذى وجد مصوراً فى مقصورة « منتومحات » خلف الملك « تهرقا » ، وهذه المائدة يحتمل أنها أقيمت قبل زمن « تهرقا » ولكن قد يكون فى ذلك شك ، لأن كلمة المرحومة الموضوعة تحت طغراء أمنردس الأولى ابنة « كشتا » وتحت « شبنوبت » الأولى أمها التى تبنتها وهى نفسها ابنة الملك أوسركون الثالث ، يجعل الإنسان يعتقد أن منتومحات قد أهدى هذه المائدة إلى المقاصير الجنازية للزوجات الإلهيات فى مدينة هابو . وعلى أية حال توجد حالات نشاهد فيها شخصاً حياً يلقب بالمرحوم أو صادق القول . وعلى ذلك فإنه من المحتمل أننا الآن أمام حالة من هذا القبيل ، فقد كان « منتومحات » وقتئذ صاحب السلطة الإدارية فى طيبة فى عهد المتعبدتين الإلهيتين شبنوبت الأولى وأمنردس الأولى وهذا جائز وبخاصة عندما نعلم أن منتومحات قد عاش دهراً طويلا حتى بلغ من العمر أرذله وليس لدينا ما ينفى ذلك إلا أنه لم يكن فى تلك الفترة من حكم هاتين المتعبدتين الإلهيتين يقوم بعمل وظيفة المدير العظيم للبيت للمتعبدة الإلهية ، ومن ثم فإن النظرية الأولى أى أن المائدة قد أهديت ووضعت فى الحجرتين الجنازيتين لكل من شبنوبت الأولى وأمنردس الأولى بعد وفاتهما بزمن طويل أو قصير هى على الأرجح النظرية المفضلة على النظرية الأخرى .

أما الطغراءات الأربع التى نقشت على المائدة فهى للملك « كشتا » والمتعبدة الإلهية « أمنردس » والزوجة الإلهية « شبنوبت » والملك « أوسركون الثالث » . ونستخلص من المتن الذى على إطار المائدة سلسلة النسب التالية :

منتومحات

استنخب المرحومة = ربة البيت نسبتاح (...) آمون رع عمدة المدينة

الوثيقة الثامنة والعشرون (٢٨)

مائدة قربان لمنتومحات[١] : نحتت هذه المائدة من الجرانيت الأسود وطولها ٥٢ سنتيمتراً وعرضها ٤٦ سنتيمتراً وسمكها ٨ سنتيمترات وتحتوى على النقوش التالية :

(١) متن محفور على الوجه العلوى تحت صورة القربان التى تحتوى على أوزتين وإناء وأربعة رغفان وزهرة بشنين والمتن الذى يصحب ذلك هو : أوزير الكاهن والد الإله والكاهن سما (محضر العقاقير فى قفط للاأله مين) والكاهن الرابع لآمون فى الكرنك وعمدة المدينة وحاكم الجنوب « منتومحات » صادق القول ابن نسبتاح صادق القول .

(٢) وعلى حافة المائدة اليمنى نقش : قربان يقدمه الملك وهو تسلم كثير من الخبزوست حزم من الخضر ويأتى إليك ... سخمت وشوكل يوم طاهرا على مائدة آمون العظيم وتعيش روحك أبديا يأوزير والكاهن والد الأله والكاهن سما (محضر العقاقير فى « قفط » للاأله مين) والأمير الوراثى وحاكم الجنوب « منتومحات » صادق القول .

وعلى الحافة اليسرى نقش ما يأتى : قربان يقدمه الملك : ماء بارد لروحك بجوار امون رع ... يحضر ... وتتلى قربانك أمام التماثيل على المائدة فى مدينة هابو يا أوزير الكاهن الرابع لآمون بالكرنك « منتومحات » صادق القول[٢] .

(١) راجع Rec. Trav., Ibid, p. 208

(٢) راجع Rec. Trav., Tome 35, p. 208

الوثيقة التاسعة والعشرون (٢٩)

قاعدة وقدما تمثال لمنتومحات

يوجد بمعبد الكرنك الكبير فى معبد رعمسيس الثالث باب صغير يؤدى إلى الجهة الغربية ، وبالقرب من عارضة هذا الباب فى الشمال الشرقى توجد قاعدة تمثال كبيرة[1] من الحجر الأحمر البنفسجى وقد جاء على هذه القاعدة المتن التالى :

(١) الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة منتومحات .

(٢) كاهن آمون وعمدة المدينة نسبتاح .

الوثيقة الثلاثون (٣٠)

قاعدة تمثال آخر للكاهن منتومحات[2]

وجدت هذه القاعدة المصنوعة من الجرانيت فى الكرنك وقد سرقت ، والنقش الذى عليها هو ما يأتى : الكاهن الرابع لآمون حاكم إقليم الجنوب منتومحات ، وابن كاهن آمون وعمدة المدينة نسبتاح صادق القول .

الوثيقة الواحدة والثلاثون

قطعة من تمثال لمنتومحات

قطعة من تمثال[3] للكاهن منتومحات من الجرانيت الأسود وجدت فى الدير البحرى نقش عليها ما يأتى : حاكم الجنوب منتومحات بن . . .

---

(١) راجع Rec. Trav.. Ibid, p. 208

(٢) راجع A.S., V, p. 39

(٣) راجع Rec. Trav., Tom. XXII, p. 141

الوثيقة الثانية والثلاثون (٣٢)
أنصاف أقراص لمنتومحات وأزواجه

جمع الأثرى « فيدمان » عددا من أنصاف الأقراص ، ثلاثة منها باسم « منتومحات » وهى :

الوثيقة الثالثة والثلاثون (٣٣)

وتشمل النقش التالى : المشرف على الكهنة والمشرف على باب البلاد الأجنبية وعمدة المدينة « منتومحات » بن الكاهن وعمدة المدينة نسبتاح والمشرف على بيتى خدام الروح لمعبد هذا الحاكم[1] .

الوثيقة الرابعة والثلاثون[2] (٣٤)

جاء على نصف القرص هذا النقش التالى : منتومحات الذى وضعته ربة البيت استنخب ، المشرف على خدام الروح لمعبد هذا الحاكم (أبديا) ، وكاهن منتو رب طيبة وكاتب القربان المقدسة لمعبد آمون حور ... ابن مثيله (فى الألقاب) « ارت ابن حور » ابن الكاهن والد الإله والمشرف على الخزانة ومدير العدالة « حورما » .

الوثيقة الخامسة والثلاثون (٣٥)

وهى نصف قرص مسطح مصنوع من الخزف المطلى عثر عليه فى دمن معبد « موت » بالكرنك ونقش عليه المتن التالى : الأمير الوراثى والحاكم والرئيس العظيم للملك (؟) والمشرف على الكهنة والكاهن وحاجب آمون فى الكرنك والكاهن الرابع لآمون « منتومحات » ابن كاهن آمون .

---

(١) راجع Rec. Trav., Tom. XVII, p. 14; Piehl, Rec. Trav.. Tom. I. p. 201

(٢) راجع Rec. Trav., Tom, XVII, p. 14; Proceedings of the Society of Biblical Archeology, Vol. XXIII, p. 259

آثار منتوحات بمفرده

يفهم من الآثار التي سنتحدث عنها فيما يلى أنها لمنتوحات وحده ولم يذكر فيها شئ لأسلافه أو لأخلافه . وتدل سلسلة الألقاب التى سنذكرها هنا أن هذه الآثار كانت ملك منتوحات الذى نسعى لوضع قائمة نسبه وليست لشخص آخر .

الوثيقة السادسة والثلاثون (٣٦)

فمن بين هذه الآثار نذكر قطعة من تمثال صغير من الجرانيت الأسود موجودة بمتحف « أثينة » ضمن مجموعة « روستوفيتز » جاء عليها : كاهن آمون رع ملك الآلهة والكاهن سما (محضر عقاقير آمون فقط . . . . . وقائد الجيش لمعبد آمون من الطائفة الرابعة « حور » بن مثيله (فى الوظائف) « منتو محات » بن الكاهن الرابع لآمون « نسمين » . ويجب أن تقرر هنا أن « منتو محات » بن « نسمين » ليس بينه وبين « منتو محات » بن « نسبتاح » أية علاقة ولا توجد واحدة من الوثائق التالية يمكن نسبتها إليه .

الوثيقة السابعة والثلاثون (٣٧)

التمثال العظيم « لمنتوحات » الذى وجد بدون رأس فى معبد الإلهة « موت » بالكرنك فى الحفائر التى قامت بها الآنستان « بنسون » و « جورلى »[1] ونقش عليه الألقاب التالية : « الحاكم الذى يراقب تنفيذ مبانى معبد موت والحاكم والمشرف على الجنوب والرئيس العظيم لمعبد الإله والمشرف على الكهنة فى . . . . والرئيس والكاهن الرابع لآمون وكاتب معبد الإله آمون العظيم الآثار فى . . . . والذى يخترق مقاطعات الجنوب كلها . . . وعمدة المدينة ورئيس الجنوب قاطبة والكاهن الرابع لآمون والحاكم . . . والمشرف على كل الكهنة والأمير الوراثى والحاكم وحامل

---

(١) راجع Benson and Gourlay, The Temple of Mut, p .350 ; & Newberry, Rec, Trav., XX, p. 190

خاتم الوجه البحرى — وممدوح سيده (؟) ومهدئ الجنوب كله والكاهن الرابع لآمون ، والملاحظ على الكهنة ... والسمير الوحيد والشريف ... وحاكم الأقطار الأجنبية والحاكم المشرف على باب البلاد الأجنبية ، والمشرف على كهنة الآلهة كلهم للوجهين القبلى والبحرى .

الوثيقة الثامنة والثلاثون (٣٨)

تمثال منتومحات

يوجد لهذا الكاهن تمثال بمتحف برلين من الجرانيت الأسود جاء عليه الألقاب التالية :

« الأمير الوراثى والحاكم والكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة والمشرف على اقليم الجنوب قاطبة « منتومحات »[1] » .

الوثيقة التاسعة والثلاثون (٣٩)

تمثال نصفى يحتمل أنه لمنتومحات

وهذا التمثال النصفى الجميل يحتمل أنه لمنتومحات . والألقاب التى عليه وكذلك مقارنة ملامحه بالتمثال الكبير الذى عثر عليه فى الكرنك تدل على أنه لهذا الكاهن[2] — وقد ذكر لنا كذلك الأثرى « فيدمان[3] » رأس تمثال لمنتومحات محفوظ الآن بمتحف « برن » وكذلك تمثال كان فيما مضى بالبيت الفرنسى بالأقصر — وقد جاء على هذا التمثال (الوثيقة ٣٩) الألقاب التالية : الأمير الوراثى والحاكم ، وكبير الكبراء وشريف السمراء و .... عظيم الأرض كلها والكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة والمشرف على الجنوب .

(١) راجع Rec. Trav., Tom. XXXV, p. 212

(٢) راجع Benson and Gourlay, The Temple of Mut, p. 65, 262, 357 and Pl. 24; Rec. Trav., 1898. p.192

(٣) راجع Rec. Trav., VIII, p. 69

الوثيقة الأربعون (٤٠)

مائدة قربان لمنتوحات

توجد بالمتحف البريطانى مائدة قربان مستديرة محلاة برأس حتحور ومنقوشة نقشاً بارزاً وكتب عليها صلوات جنازية للالهة موت والآلهة حتحور وقد أهداها منتوحات لمعبد الأقصر أو الكرنك ولقب عليها الأمير الوراثى والحاكم وحامل الخاتم والسمير الوحيد والكاهن الأول لإله والرابع لإله آخر[1].

الوثيقة الواحدة والأربعون (٤١)

لبنات باسم « منتوحات »

يوجد بالمتحف المصرى لبنات طبع عليها اسم « منتوحات » . وقد وجد على واحدة منها النقش التالى : الكاهن الرابع منتوحات ، والمشرف ... منتوحات . وهذه اللبنات عثر عليها فى العساسيف ومن المحتمل جداً أنها من قبره الضخم الذى أقيم هناك .

الوثيقة الثانية والأربعون (٤٢)

تماثيل مجيبة

ذكر الأثرى ليبلين[2] فى قاموسه أسماء الأعلام الألقاب التالية التى وجدها على تمثال مجيب محفوظ بالمتحف البريطانى : « الكاهن الرابع لآمون ورئيس فرقة كهنة وعمدة المدينة « منتوحات ». ونجد كذلك هذه الألقاب على تمثال مجيب بمتحف اللوفر (E. 3512) وقد طبعه الأثرى بيريه (Pierret, Recueil D'Inscriptions Inedit. T. II, p. 130) . هذا ويوجد فى حيازة مس جورلى تمثال مجيب من

---

(١) راجع British Museum, A Guide of the Egyptian Galleries. Sculpture, 1909, p 228 No. 821

(٢) راجع Lieblein, Ibid No. 1354

الجرانيت (راجع Benson and Gourley, The Temple of Mut, p. 356)
وعثر الأثرى « ديفز »[1] على تمثال عجيب فى رديم مقبرة « بتاح حتب » بسقارة نقش عليه : عمل تذكاراً للكاهن الرابع لآمون « منتومحات » الذى وضعته استنخب لأجل أن يعمل كل الأعمال التى تعمل فى الجبانة » . ومن المدهش حقاً أن نجد مثل هذا التمثال العجيب لهذا العظيم بعيداً عن قبره الذى يوجد فى طيبة وهذه الظاهرة تذكرنا بوجود تمثال عجيب للملك رعمسيس السابع فى الكوة ببلاد النوبة .

الوثيقة الثالثة والأربعون (٤٣)

الجن حراس « منتومحات »

نشر الأثرى لجران[2] نقوش تمثال محفوظ الآن بمتحف « أثينة » يمثل ملاكا حارسا إما لقبر « منتومحات » أو مقصورة صغيرة أقامها لنفسه بالقرب من مدينة « هابو » وهذا الجن الحارس لم يكن الوحيد من نوعه وذلك لأن المتحف المصرى يشمل مجموعة مؤلفة من ملاكين من ملائكة العالم السفلى من نفس النوع السابق.[3]
وكذلك عثر لجران على مجموعة عند أحد تجار آثار القاهرة كما وجدت مجموعة أخرى عند تاجر آثار بالأقصر جاء عليها « الكاهن الرابع لآمون فى الكرنك « منتومحات » المبرأ » .

الوثيقة الرابعة والأربعون (٤٤)

مقبرة منتومحات

عندما كشف النقاب كل من الأثرى ايزنلور[4] وشيل عن جزء من مقبرة

(١) راجع Davies, Ptahhetep II, p. 6

(٢) راجع A. S., VIII, p. 122

(٣) راجع Daressy, Catalogue Gen. de Statues de Divinites No. 39273 et 39274

(٤) راجع A.Z., 1885. p. 55; Scheil. Memoires de la Mission Archeologiques Francaises du Caire T.V, p. 613; H. Von Zeisel, Athiopen and Assyrer In Agypten (1944) p. 78-79

الأمير « منتوحمات » ظناً أن هذا الجزء هو كل المقبرة ولكن الكشوف الحديثة قد دلت على أن مثوى هذا العظيم يتألف من أكثر من إحدى عشرة حجرة أخرى ومن ثم تعد مقبرته من أضخم المقابر التي كشف عنها في منطقة « العساسيف » هذا فضلا عن أنها من أجمل المقابر التي تنسب إلى العهدين الكوشي والساوي .

والجزء الذي حدثنا عنه «شيل» يحتوي على حجرة واحدة يبلغ طولها ٤,٢٢ متراً وعرضها ٢,٦٤ متراً وارتفاعها ٢,٦٠ متراً وداخل هذه الحجرة كله منحوت في صخرة من الحجر الجيري الممتاز في جودته ولذلك كان ملائماً لإظهار المفتن مهارته في نحت صوره المتعددة التي نقشها على الجدران ، ولا غرابة في ذلك فقد كان صاحبه يعد تقريبا ملكا في إقليمه ، وسنرى بعدما كان له من مكانة في تاريخ هذا العهد في مصر والسودان .

باب الدخول : يشاهد في داخل هذه الحجرة إطار محلى بعلامات تدل على الزينة مصورة حول كل الجزء الأعلى من الجدران . ونقش فوق باب الدخول : « الأمير الوراثي والحاكم والسمير العظيم ومدير القصر والكاهن الرابع لآمون في طيبة والمشرف على الجنوب « منتوحمات » .

وعلى الجهة اليسرى من الباب نقش : قربان يقدمه الملك لأوزير أول أهل الغرب ورب العرابة وللالهة « حقت » (إلهة الولادة) والإله « خنوم » وكل آلهة العرابة ليعطوا ألفاً من كل شيء طيب يخرج أمام الإله العظيم رب العرابة ويمد له الذراع بالقربان في ساحة أعياد الجبانة وليجعله يعبر مع الإله العظيم في القارب المقدس إلى « بق »[1] وليساعده في قارب نشمت[2] على طريق الغرب وليجدف به في سفينة الشمس المسائية وليسبح به في سفينة النهار وليقال له آتيت في سلام بوساطة عظماء العرابة ويهلل له بفم أهل مقاطعة العرابة . . . إلى روح « منتوحمات » .

(١) المكان الذي دفن فيه رأس أوزير على ما يقال .

(٢) القارب الذي كان يوضع فيه جثمان المتوفى ليزور العرابة المدفونة قبل دفنه في مكانه الأصلي .

وفى الجهة اليمنى من الباب عند الدخول المتن التالى : قربان يقدمه الملك وبتاح القاطن جنوبى جداره ، والإله « زد القاخر » (زد شبسس) الذى برأس معبد « تننت » و « نفرتوم » و « أوزير » أول أهل الغرب ليقدموا قرباناً وماء بارداً مما يخرج أمامهم وليرى آتون الخ . لروح الأمير الوراثى والحاكم والسمير الوحيد فى الحب والكاهن الرابع لآمون فى طيبة وعمدة المدينة والمشرف على الجنوب قاطبة « منتومحات » المرحوم رب الاحترام .

هذا ويوجد فى مواجهة الباب فى نهاية الحجرة كوة يحفها من الجانبين أربعة مناظر الواحد فوق الآخر مثل فى كل منها حاملو قربان والجزء المقابل لعتب الباب نقش عليه المتن التالى : « الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والحارس الذى يأتى إليه العظماء والمنقطع القرين فى . . . القصر والذى يهدئ نفس من يأتى إليه والعظيم فى مكانته والكبير فى شرفه والذى يعمل ما يحبه رب الأرضين وملك الكلام ومدير كل وظيفة مقدسة ومدير الملك ومدير بيوت التاجين الأحمر والأبيض والمشرف على قصر الملك والكاهن الرابع لآمون « منتومحات » سيد التبجيل .

ونقش على عارضتى الكوة ما يأتى :

الجهة اليمنى : (١) الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد ، والكاهن المطهر الكبير ، الذى يعرف واجبه ، والحاكم والمشرف على الكهنة « منتومحات » .

(٢) الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد ومدير العرشين فى البيتين والذى يعمل ما يمدحه إلهه ، والحاكم ومدير الكهنة « منتومحات »

(٣) الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد وكاتم الأسرار العظيم فى المعبد والحاكم ومدير الكهنة « منتومحات » المرحوم .

وعلى الجانب الأيسر النقش التالى : (١) الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد ، المحبوب من الرفاق فى بلده ، والحاكم والمشرف . . .

(٢) الأمير الوراثى و الحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والمشرف على بعوث القربان المقدسة . . .

(٣) الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والذى يملأ قلب الملك . . .

وهكذا نرى فى كل سطر من هذه النقوش أنه قد أضيف نعت أو لقب جديد لهذا الأمير العظيم .

الجدار الأيسر من الحجرة :

يشاهد على هذا الجدار «منتوحات» جالساً فى نهاية الجدار وكرسيه له سنادة منخفضة الارتفاع ومحلى بزهرة سوسن وأرجل الكرسى فى صورة مخالب طائر ويرتدى جلد الفهد ويحلى جيده حجران ثمينان وفى يده اليسرى منديل وبده اليمنى ممتدة لتأخذ من الطعام الذى أمامه ونقش فوق رأس منتوحات الألقاب التالية : الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب وعينا الملك فى كل الأرض قاطبة وصديق سيده وكاتم سر بيت الصباح والكاهن الرابع لآمون فى الكرنك (٤) وعمدة المدينة والمشرف على الوجه القبلى «منتوحات» وقد نقش أمام منتوحات على هذا الجدار قائمة القربان المعروفة كما نصبت مائدة قربان يعد ما عليها بالآلاف حسب النقوش المفسرة أسفلها ، وكذلك رسمت عدة أنواع من المأكولات وتحت كرسيه رسم منظر لذبح الثيران وتقطيع أجزائها ويتبع ذلك متون فى شكل محاورة بين الذين يقومون بهذه العملية .

الجدار الأيمن من الحجرة :

ويلاحظ أن توزيع النقوش والصور التى على هذا الجدار تطابق تماما مثيلاتها التى على الجدار الأيسر . فنجد أن « منتومحات » قاعداً فى نهاية الجدار لابساً جلد الفهد وتحت كرسيه إناء ذو مقبض . والجدار فى هذه الجهة مملوء بالملح ، ولذلك فإن النقوش قد غطى الكثير منها بهذه المادة . والألقاب التى فوق رأسه هى : الأمير الوراثى والحاكم والرئيس العظيم لكل الأرض قاطبة والواحد العظيم الأعياد ، والساكن قلب الملك (محبوبه) والذى يهب ذكاءه لمدنه محبوب الملك . . والكاهن الرابع لآمون والمشرف على الجنوب « منتومحات » .

ويشاهد أمام صورة « منتومحات » قائمة مائدة القربان العادية ثم يشاهد بعدها على الجدار حاملو القربان فى أشكال مختلفة وفى أسفل يشاهد منظر ذبح الثيران الخاص باختيار الأجزاء الهامة منها ومع هذا المنظر متون مفسرة لعمليات تقطيع أجزاء الثور واختيارها .

وقد دلت الحفائر التى عملت ما بين عامى ١٩٤٩ إلى ١٩٥١ ميلادية على وجود ردهة مكشوفة تابعة لمقبرة « منتومحات » وحجرات أخرى تربى على إحدى عشرة حجرة كلها مغطاة بنقوش من طراز جميل ، غير أن العمل قد أوقف فيها (١) وتدل النقوش التى على جدران هذه المقبرة وحجرها المختلفة العديدة الضخمة على أنها تحتوى على متون دينية مما لا نجد مثله إلا فى مقابر الملوك مثل متون كتاب ما يوجد فى عالم الآخرة وكتاب البوابات الخ .

وقد وصف لنا الأثرى « لكلان » أعمال الحفر التى أجريت فى هذه المقبرة باختصار نلخصه فيما يأتى :

---

(١) راجع Orientala, 19 (1950) p. 370-372 fig 28-30 (Pl. LI—LII); Ibid 20 (1951) p. 473-474, fig. 35-38 (Pl. LXIII-LXIV).

فى قصر «منتومحات» الجنازى رقم ٣٤ المقام بمنطقة «العساسيف» عملت حفائر تكميلية لتنظيف هذه المقبرة على يد زكريا غنيم ، فقد أقيم فى أسفل المنحدر العظيم الذى يتجه من الشمال إلى الجنوب جدار مؤقت من اللبنات لسد الممر الذى بين الدهليز الذى يدخل منه الانسان إلى المقبرة وبين القاعة الكبيرة الواقعة فى الشرق من الردهة المكشوفة ، وهذه القاعة الواقعة فى الجهة الشرقية قد نظف جزء منها ، وفتح فى جانبها الجنوبى ثلاثة أبواب يمكن الانسان أن ينزل منها إلى سلسلة حجرات عارية عن الزينة ويشاهد على عتب الباب الأوسط من هذه الأبواب الثلاثة نقوش تشتمل على سلسلة نسب أولاد منتومحات .

أما الردهة المكشوفة فقد نظفت تماما ويشاهد فى شرقيها وغربيها سلم كبير يمكن الانسان بوساطته النزول فيها . وأبواب الدخول (وهى التى تؤدى من جهة إلى القاعة العظيمة الواقعة فى الشرق وقد تحدثنا عنها الآن ، ومن جهة أخرى تؤدى إلى الممر الذى يتصل بالردهة من الغرب) توجد فى مستوى الطوار ذى الكرنيش الذى يلف حولها على ارتفاع مايقرب من مترين . وفى خلال هذا التنظيف الحديث ظهرت موائد قربان جديدة مضافة إلى خمس موائد أخرى عثر عليها سابقا وواحدة من هذه الأوانى باسم «بيس يمن» وقد عثر له على تمثال مكعب الشكل فى مكان آخر فى الحفائر التى عملت فى شرقى معبد الكرنك وسنتحدث عنه فيما بعد ، ويشغل وسط الردهة بئر مربعة لم يكشف عنها بعد وقد كشف كذلك عن بئر تحت الخارجة التى تشغل الجهة الغربية من هذه الردهة العظيمة وتقع بين الباب الأوسط والسلم الذى زين بنقوش خاصة بمدائح للشمس . وفوهة هذه البئر مربعة ويبلغ طول كل جانب منها حو الى متر وعمقها حوالى عشرة أمتار تؤدى فى نهايتها إلى حجرة خالية من الزخرف ، وقد جمع منها عدة قطع من الفخار والحاجز المقام من الحجر الجيرى الذى يؤدى من الردهة الأولى إلى الردهة الثانية — وقد وضع فى جهة الغرب — من صنع على هيئة قطعة خشب كبيرة مستديرة وقد أدى درس النقوش التى على جدران الردهة الكبيرة إلى وجود خمسة عشر نقشا باللغة الكارية (fig. 37, 38) :

يضاف إلى ذلك أنه قد وجد فى ردهة إهذه المقبرة الضخمة عدة موائد قربان ملقاة إفى الرديم وهذه الموائد هى البقية الباقية من الأشياء الأخرى النفيسة التى كانت تزين رحبة هذا القصر الجنازى العظيم ، أما الآثار التى كان يحتويها هذا القبر الفخم فهى موجودة جزئياً مبعثرة فى مختلف متاحف العالم وقد أشرنا إلى بعضها فيا سبق خلال درس آثار هذه الأسرة وسنتحدث هنا عن هذه الموائد الخاصة بمنتومحات[1] وأقاربه .

مائدة القربان رقم (١) :

أهم هذه الموائد وأجملها هى التى تحمل اسم « منتومحات » . وقاعدة هذه المائدة منحوتة فى قطعة حجر واحدة من الجرانيت الأسود ويبلغ ارتفاعها ٦٣ سنتيمترا ، وقد صوّرت المائدة على هيئة الكلمة المصرية القديمة الدالة على مائدة قربان ، كما صوّر فى وسطها بعض أنواع الخبز والأوز . ونقش حول صحن المائدة المتن التالى :

على اليسار : يا أوزير الأمير الوراثى والحاكم والكاهن الرابع وكاتب معبد آمون ورئيس الوجه القبلى قاطبة « منتومحات » صادق القول . ليت رع الذى فى السماء يرحمك حتى يجعل السيدتين تعطفان عليك وليكون الليل بك رحيا وليكون النهار بك رحيا ، ولتكون بك رحيمة القربان التى يقدمها الملك وهى التى تقدم لك .

وعلى اليمين : يا أوزير الأمير الوراثى والحاكم والسمير العظيم وحاكم القصر ، والرئيس العظيم للمعبد ورئيس كهنة كل آلهة الوجه القبلى ، وملاحظ كهنة أملاك « آمون » والأمير العظيم لاقليم طيبة[2] « منتومحات » صادق القول . وقد حملت إليك

---

(١) A.S., LI, p, 491 ff

(٢) هذا اللقب وجد كذلك على قاعدة تمثال من الجرانيت فى متحف بروكلين (راجع Brooklyn Museum, 16, 580, 185, إذ لقب « نسبتاح » ابن الأمير العظيم لأقليم طيبة منتومحات صادق القول .

القربان فليتك ترى القربان وليتك تسمع القربات التى أمامك والقربات التى خلفك والقربات التى بقربك .

مائدة القربان رقم (٢) :

المائدة الثانية هى لزوجة « منتوحات » وتسمى « وزارنس » ومصنوعة من الجرانيت الأسود فى قطعة واحدة ويبلغ ارتفاعها ٧٢ سنتيمتراً وعرضها ٤٤ سنتيمتراً والمتن منقسم قسمين كما هى الحال فى المائدة السابقة .

المتن الذى على اليسار جاء فيه : يا أوزير أيتها المبجلة الوحيدة الفريدة للملك السيدة « وزارنس » ابنة ابن الملك « بيعنخى — هار » صادقة القول . ليت «رع» يكون عطوفاً عليك فى السماء لأجل أن يجعل السيدتين تعطفان عليك ، وليت الليل يعطف عليك وليت النهار يعطف عليك وليت القربات التى يقدمها إليك تعطف عليك وهى التى قدمت لك .

المتن الذى على اليمين : يا أوزير الحظية الفريدة للملك وكاهنة حتحور ربة البيت « وزارنس » صادقة القول « إن القربان قد حملت إليك ، فليتك ترين القربان وليتك تسمعين القربان التى أمامك والقربات التى خلفك والقربات التى بقربك » .

ولا نزاع فى أن نقوش هذه المائدة تقدم لنا حقيقة هامة عن إحدى زوجات «منتوحات» ، وهى الزوجة التى عاشت معه فى أواخر أيام حياته واسمها «وزارنس» وقد جاء ذكرها على لوحة المتعبدة الإلهية « نيتوكريس » المؤرخة بالسنة التاسعة من عهد « بسمتيك الأول » ويلحظ فى رسوم قبره بالعساسيف أن « وزارنس » هذه قد مثلت بجانب « منتوحات » الكاهن الرابع لآمون[1] . وتنسب « وزارنس » إلى الأسرة الكوشية الملكية وقد جاء ذكرها على آثار أخرى ذكرناها وسنذكرها فيما بعد .

---

(١) راجع Orientala, 19 (1950) fig. 29 Pl. LI

ولما كان دفن « منتومحات » قد حدث فى عهد الملك « بسمتيك » الأول فإن زوج هذه السيدة العريقة النسب جدا كان فى استطاعته أن يفخر بنسبتها إلى أسرة الجنوب .

وهذا يدل على أن الأسرة الساوية والأسرة الكوشية كانا على وفاق إلى حد ما على الأقل .

مائدة القربان رقم ٣

هذه المائدة مصنوعة من الجرانيت الوردى وهى فى حالة جيدة نسبياً وهى للكاهن الرابع «منتومحات» وشكلها بسيط وتوزيع نقوشها كالمائدتين السابقتين هذا بالاضافة إلى متن على جوانب المائدة .

المتن الذى على اليمين : كلام يقال : ياأوزير الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة وكاتب معبد آمون (المسمى) «منتومحات» . امض كل الوقت (لتأتى) نحو آلاف من « الخبز والعيش » وآلاف من رءوس الحيوان والطيور ، وآلاف من البخور (كندر) وآلاف من كل شئ جميل وطاهر . لأجل روح الكاهن الرابع وعمدة المدينة « منتومحات » .

المتن الذى على اليسار : كلام يقال : يا أوزير الكاهن الرابع لآمون ، وعمدة المدينة وكاتب معبد آمون «منتومحات» . لديك ماؤك ولديك خيراتك ولديك سائلاتك التى تخرج من أوزير ، ولديك السوائل التى تخرج من « نفتيس » ، أوزير الكاهن الرابع لآمون ، « منتومحات » خذ لنفسك رغفانك .

المتن الذى على جانبى المائدة : أوزير تعال أربع مرات . الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة منتومحات تعال إلى آلاف من الخبز والجعة وآلاف من القربان ولآلاف من رءوس الأبقار والطيور والأوز « سر » و « ست » و « رو » وكل شئ طيب

طاهر وحلو مما يعيش عليه إله . لأجل روحك أيها الكاهن الرابع لآمون يا منتوححات كن قوياً (بها) وحيا (بها) وصحيحاً (بها) ومجهزاً (بها) وعظيما (بها) ومقدساً (بها) ومنيراً (بها) وبهجا (بها) ومشرقاً (بها) ومرفوعاً (بها) وعاليا (بها) أبدياً وسرمدياً » .

والأمر الذى يلفت النظر فى هذا المتن هو أن واضعه أخذ يقلد المتون القديمة وبخاصة متون الأهرام[1] ، وكذلك يشابه هذا التتابع فى ذكر القربان ما وجد فى متون التوابيت التى يرجع عهدها إلى الدولة الوسطى وما قبلها بقليل ، ولا غرابة فى ذلك لأن عهد الأسرة الخامسة والعشرين يعد بحق بداية عصر النهضة الجديدة التى قامت فى مصر وبلاد كوش معا فقد كان القوم وبخاصة الملوك والأشراف يقلدون كل ما هو قديم من أدب وفن[2] ، وكذلك نجد هذا التتابع فى عهد الدولة الحديثة كما يلحظ ذلك فى الشعائر الجنازية والقربات الخاصة بالملك « أمنحتب الأول »[3] . ومن ثم نفهم جلياً أن عصر النهضة لم يكن مقتصرا فى تقليده على الدولة القديمة أو الدولة الوسطى بل كان كذلك يستقى من الدولة الحديثة من حيث اللغة والفن كما تحدثنا عن ذلك من قبل .

مائدة القربان رقم (٤)

هذه المائدة مصنوعة من الجرانيت الوردى وليس لها قاعدة كالموائد السابقة وتحتوى على لوحة صغيرة ارتفاعها ١٦ سنتيمترا وترتكز على مخدة خشنة الصنع ومساحة مسطحها العلوى ٠,٧٢٥ × ٠,٤ مترا . وصاحبها فرد يدعى « باشرى — موت » ونقش عليها ما يأتى :

المتن الذى على اليسار : يا أوزير كاهن آمون وكاهن حور « باشرى — موت » إن هذا القربان المقدس قد قدم لك ، وليت قلبك يهنأ به كل يوم : ألفك من

(١) راجع Sethe, Ubersetzung und Kommntar II, p. 25, III, p. 150-151, and 342

(٢) راجع De Buck, Coffin Texts I, 81 and 299 a-b

(٣) راجع A. S., XVII, p. 99; A. S., LI. p. 496 No. 3

الخبز والجعة وألفك من رؤوس البهائم والطيور ، وألفك من كل شئ طيب وحلو وألفك من أوانى المرمر .

المتن الذى على اليمين : يا أوزير كاهن آمون وكاهن حور «باشرى — موت» لديك ماؤك ولديك خيراتك ولديك نطرونك ، الذى يحمله لك ابنك وهى التى ستبقى دون أن تبعد عنك أبداً .

وقد حلى جانبا المـائدة كذلك بمتنين :

ففى الجهة اليسرى نقش : قربان يقدمه الملك وأوزير الذى يشرف على الغرب آلاف من الخبز والجعة والبخور والعطور والملابس ، وكل شئ طيب لروح الأمير الوراثى والحاكم وكاهن آمون فى طيبة وكاهن حور الطفل المعروف لدى الملك « باشرى — تموت » .

وفى الجهة اليمنى نقش : قربان يقدمه الملك « وأنوبيس » الذى على جبل الثعبان والذى فى « أون » وسيد الأرض المقدسة ، قربان من الخبز والجعة ورءوس البهائم والطيور والملابس ، والبخور والعطور وكل شئ طيب وطاهر تمنحه السماء وتوجده الأرض من الذى يحيا منه إله لأجل روح الأمير الوراثى والحاكم وكاهن آمون المعروف لدى الملك « باشرى — موت » صادق القول .

يلحظ فى متون هذه المـائدة أن علاقة « باشرى — موت » بالنسبة لمنتومحات لم تحدد ولكن ما لدينا من نقوش أخرى تثبت بدهيا أنه ابن « منتومحات » والسيدة « وزارنس » كما سنرى فى الوثيقة ٥٢ فى هذا البحث والوثيقة ٤٧ والوثيقة ٦٦ الخ .

وإذا كنا نجد فى جهات متعددة من نقوش هذا القبر أن الشعائر كان يقيمها « نسبتاح » وهو الابن الأكبر للمتوفى وللسيدة « نسخنسو » ، فإن « باشرى — موت »

هو الذى كان يقوم بأداء الشعائر على جدران الكوة الجنوبية من الجهة الشرقية للردهة الكبيرة حيث نجد أمه « وزارنس » قاعدة إلى جانب منتوحات . وهذا أمر طبعى بالنسبة لأمه .

مائدة القربان رقم ٥

هذه المائدة مصنوعة من الجرانيت الأسود وهى كالسابقة أى أنها لوحة صغيرة سمكها عشرة سنتيمترات وترتكز على سنادة ويحيط بإطارها متنان .

المتن الذى على اليسار : أوزير « بيس ديمن » . لديك ماؤك ، ولديك خيراتك ، ولديك نطرونك ، ولديك قربانك لكل يوم . ياأوزير رفيع الأتباع ، « بيس ديمن » ، إن ذلك لن يبعد عنك .

المتن الذى على الجانب الأيمن : أوزير « بيس ديمن » إن القربان المقدس قد قدم لك : خبزوجعه ورءوس بهائم وطيور وهى التى هناك يوميا ليتك تصير حياً بها ومشرقا بها وقوياً (بها) ومنتعشاً (بها) ومتيناً (بها) .

والمتن التالى نقش على الجانبين الصغيرين للمائدة .

كلام يقال : أوزير حارس ضياع موت (المسمى) « بيس ديمن » خذ لك مرطباتك هذه ، ارفع صولجانك الذى تحت العرش العظيم ، المرطبات التى تخرج من الفتين لأجل أن يرطب قلبك بها باسمك الذى يخرج منعشاً ، أوزير رفيع الأتباع الخاصة بأملاك « موت » « بيس ديمن » . خذ لك عين حور التى تضم لك الماء الذى فيها أنت يا من صار منعشا وممدوحا ومحبوبا .

ويلفت النظر هنا أن « بيس ديمن » حارس ضياع موت كان من شخصيات العهد الكوشى عثر له حديثا على تمثال مكعب فى شرقى معبد « آمون » العظيم[1] يخبرنا

---

(١) راجع Orientalia, 20 (1951) p. 371

أن ابنه « باكش » وأمه « تاهينيمن » ونسبته إلى بطلنا « منتومحات » ليست معروفة لنا وهو بذلك يكون مثله كمثل « طاكى » أو « إرى حب ياوت » اللذين لهما مقصورتان باسميهما فى الردهة العظيمة التى فى مقبرة « منتومحات »[1] .

ويلاحظ أن خمس الموائد التى وصفناها يوجد بينها تشابه لدرجة أنه فى استطاعتنا أن نقول عنها إنها من طراز خاص بالعصر الكوشى . يضاف إلى ذلك مائدة قربان الزوجة الإلهية « أمنردس » المحفوظة الآن بالمتحف المصرى[2] وكذلك مائدة قربان الزوجة الإلهية « شبنوبت » الموجودة الآن بمدينة « هابو » (راجع A.S.L.I.P. 506-7 Pl. VII a b VIII a b) ومائدة قربان المتعبدة الإلهية « نيتوكريس » التى فى « المدمود »[3] . ومائدة قربان « حاروا » من «دير المدينة» . . كل هذه الموائد هى من نفس الطراز ، هذا بالإضافة إلى مائدة قربان بالمتحف البريطانى تحمل أسماء « أمنردس » و « شبنوبت » و « كشتا »[4] .

ومما يلفت النظر هنا بوجه خاص أن نظام صنع موائد القربان التى وجدناها فى هذه المقبرة كان هو النظام الشائع فى صنع موائد القربان فى هذا العصر مما جعل لها طابعاً خاصاً تتميز به وتحدد العصر الذى عملت فيه بصفة عامة[5] .

وخلاصة القول عن قبر هذا العظيم الذى لم يتم الكشف عن محتوياته تماما حتى الآن أن ما عرفناه حتى الآن عنه يقدم لنا معلومات هامة عن وظائفه ونعوته وعن بعض أفراد أسرته . هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من الآثار التى نجدها مبعثرة

---

(١) راجع Orientalia, 19, (1950). p. 371

(٢) راجع Ahmed Bey Kamal, Tables D'offrandes p. 85-86

(٣) راجع F. Bisson, De La Roque. Rapport sur les Fouilles de Medamoud 1929, I. F. A. O., VII (1930) p. 7 et 47, n. 4314.

(٤) راجع British Museum No. 1259. cf L. R, IV, p. 7 no. 2 et p. 9 no 1

(٥) راجع A.S., LI. p. 501 tf

فى متاحف العالم باسم هذا الأمير لابد أنها قد أتت من هذه المقبرة الضخمة وذلك على حسب طبيعتها ووظيفتها .

الوثيقة الخامسة والأربعون (٤٥)

فمن ذلك أنه يوجد فى متحف «فلورنسا» قطعة حجر عليها نقوش (No 1590 du Catalogue General) تمثل منظر صيد فى الأحراج . ويقول « بترى »[1] إن هذه القطعة أتت من مقبرة « منتومحات » وقد جاء عليها : الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد مدير . . . المشرف على حكام الجنوب ، والكاهن الرابع لآمون وكاتب معبد بيت آمون وعمدة المدينة « منتومحات » .

الوثيقة السادسة والأربعون (٤٦)

مقصورة تهرقا فى معبد الإلهة « موت »

يوجد فى شرقى معبد الإلهة «موت» بالكرنك حجرة صغيرة جداً يفتح بابها غربا ، وقد نقش على جدرانها الجانبية متنان غير كاملين ذكر عليهما « منتومحات » الأعمال الهامة التى قام بأعبائها فى طيبة لإعادة بناء ما خرب منها على يد الآشوريين فى عهد الملك « آشور بنيبال » .

ومما يلفت النظر أنه توجد صورة فى نهاية هذه المقصورة مثل فى الجزء الأعلى منها عدة صور إلهية . وفى الجزء الأسفل من الصورة يشاهد الملك « تهرقا » يتعبد فيه للإلهة « موت » ويتبعه « نسبتاح الأول » ثم « منتومحات » ابنه وأخيراً « نسبتاح » حفيده .

وهذا المنظر يقدم لنا سلسلة النسب التالية كما جاءت فى النقوش .

---

(١) راجع Petrie, Hist., III. p. 305

(١) ||(خورع نفرتم) (تهرقا)||

نسبتاح الثانى (٢)

نسخنسو — منتومحات

منتومحات — نسبتاح الأول

وهاك ألقاب كل منهم :

(٢) نسبتاح الثانى : كاهن آمون فى الكرنك ورئيس فرقة من الكهنة ابن

(٣) منتومحات : الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى . . . والكاهن الرابع لآمون . . الإله العظيم وكاهن آمون فى الكرنك (وحاكم) الجنوب ابن . .

(٤) « نسبتاح الأول » . . . فى الكرنك (وكاتب القربان) فى معبد آمون وعمدة المدينة وأمه :

(٥) « نسخنسو » ربة البيت .

ويدل وجود اسم « تهرقا على هذا الأثر على أن « نسبتاح الأول » كان لا يزال عائشاً فى هذا العهد أى بعد غزو الآشوريين لمدينة طيبة . وتدل المتون الجانبية على أن « منتومحات » لا والده كان مكلفاً باصلاح المعابد المخربة . وتقدم لنا هذه المتون فضلا من ذلك بعض ألقاب « منتومحات » ووالده .

ألقاب منتومحات . . . كل الآلهة والكاهن الرابع لآمون والمشرف على مقاطعات الجنوب كلها .

نسبتاح : كاهن آمون وعمدة المدينة .

وأخيراً نجد فى سطر أن « نسبتاح الثانى » كان يحمل لقبى ملاحظ الكهنة فى طيبة ورئيس فرقة كهنة[1] .

(١) راجع Marriette, Karnak L. 51, planche 44

والنقوش التى على جدران هذه المقصورة من الأهمية بمكان ، وذلك لأنها تقدم لنا معلومات عن إمارة طيبة فى عهد المتعبدات الإلهيات ، وكان تاريخها قد بقى مجهولا منذ منتصف الأسرة الثانية والعشرين حتى الجزء الأخير من العهد الكوشى فى مصر . فقد رأيناها فى قبضة « بيعنخى » حوالى نهاية الأسرة الثالثة والعشرين ، غير أن تاريخها المحلى كان لا يزال غامضا كلية حتى عهد « تهرقا » ، وذلك عندما نشاهد « نسبتاح » السالف الذكر الملقب كاهن آمون وعمدة طيبة يحكم فيها ثم ورثه من بعده ابنه « منتومحات » الذى بقى فى منصبه هذا خلال حكم « تهرقا » متمتعاً بسلطان عظيم و بسطة فى الرزق . وعلى الرغم من أنه كان حاكم إمارة طيبة فإنه كان يحمل لقب الكاهن الرابع كما كان فى الوقت نفسه يحمل لقب رئيس كهنة كل الآلهة فى الجنوب وفى الشمال ، وعلى ذلك كان يحتل المكانة الأولى الدينية دون أن يحمل لقب الكاهن الأول لآمون . ومن ثم نفهم أن الكاهن الأول لآمون كانت قد نزعت منه آنئذ كل سلطته الدنيوية بوصفه أمير إقليم طيبة ، كما كان قد فقد سلطانه الدينى الذى كانت تتولاه المتعبدة الإلهية ، و يؤكد لنا ذلك ما كان « لمنتومحات » من مكانة بالنسبة للكاهن الأول لآمون فى لوحة التبنى التى خلفتها لنا « نيتوكريس » .

ولما كان والد « منتومحات » أميراً على طيبة قبله فإن هذه التغيرات لا بد كانت قد حدثت قبل بداية حكم الأسرة الكوشية فى عهد « شبكا » .

وكان النشاط الذى أظهره « منتومحات » فى إقامة المبانى و إصلاح الآثار فى طيبة سبباً فى جعل مدة حكمه لولاية طيبة بارزة ملموسة . والظاهر من نقوشه المهشمة أن كل أعمال البناء والإصلاحات الأخرى التى قام بها كانت قبل وفاة « تهرقا » ، يضاف إلى ذلك أن التجديدات العدة التى قام بها و إعادة تماثيل العبادة الثمينة للآلهة والإشارات الخاصة بتطهير كل المعابد فى الجنوب والتلميحات المبهمة الجارحة الكثيرة قد حدت بنا إلى أن نرجح جداً أن الاستيلاء على طيبة وتخريبها كان حوالى عام ٦٦٧ ق . م على يد الملك « آشور بنيبال » الآشورى فى أثناء

حملته الأولى وإن كان ذلك غير مؤكد كما يستخلص من سجلاته المرتبكة . ولابد أن الإصلاحات التى قام بها « منتومحات » قد حدثت ما بين عامى ٦٦٧ — ٦٦١ ق . م . وتدل شواهد الأحوال على أن الثروة التى أنفقها « منتومحات » فى إصلاح مدينة طيبة المخربة كانت عظيمة جداً ، ولكنها على ما يظهر قد وقعت فريسة فى يد الآشوريين حوالى عام ٦٦٠ ق . م . فى حملته الثانية التى استولى فيها على طيبة تماما وذلك عندما خربها تخريبا بشعا . ولم نسمع عن « منتومحات » أنه قام كرة أخرى محاولا إصلاح ما ارتكبه الآشوريون من تخريب شامل لهذه المدينة . وتدل النقوش على أنه استمر حاكما لإمارة طيبة متمشيا مع السياسة الآشورية وقد عاش حتى بداية حكم الأسرة السادسة والعشرين وبقى محافظا على مركزه فى عهد « بسمتيك الأول » بما فطر عليه من دهاء وحنكة ، غير أن ابنه « نسبتاح الثانى » لم يخلفه فى وظيفته ، وعلى أية حال لم يكن من المستطاع حتى الآن تتبع سلسلة نسب أسرته بعد ذلك العهد .

والسجل الذى تركه لنا « منتومحات » فى (الوثيقة التى نحن بصددها كما قلنا) منظر صور على الجدار الخلفى لحجرة مقصورته ، ويشغل هذا المنظر الجدارين الجانبين وعلى يمين هذا المنظر يبتدئ المتن الذى تركه « منتومحات » . وعلى الرغم من تهشمه فإنه من الأهمية بمكان . وهاك ما تبقى منه :

« الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد (. . .) كل الآلهة والكاهن الرابع لآمون ، وعمدة المدينة ، والمشرف على كل مصر العليا « منتومحات » العائش ، ابن كاهن آمون ، وعمدة المدينة (المسمى) « نسبتاح » والمبرأ ، يقول : لقد بنيت (قارب أوزير) طوله ثمانون ذراعا من خشب الأرز الحقيق من أحسن خشب لبنان ومقصورته من الذهب مرصعة بكل أنواع الأحجار الثمينة الحرة . . . . وطهرت معابد كل الآلهة فى كل مقاطعات الوجه القبلى على حسب تعليمات تطهير المعبد . . . وبعد أن كان قد حدث . . . فى الوجه القبلى . . . وكل هذه الأشياء التى أحدثك عنها ليس فيها مبالغة ولا مفاخرة (لأن ما أمقت هو)

عدم الصدق ، وليس فى فمى أى كذب . وأن سيدتى تعرف كل ما أوجدت (وكذلك) خارج طيبة مدينة « آمون رنف » (اسم آمون) مِن رع وسيدة (كل المدن) . . . ولقد أرضيت سيدها بما يحبه قلبه من ثيران عدة وعجول طيبة ، ونظمت حريم سيدى حسنا . . . بوساطة خبزى وقربانى الإلهى كما كان ينبغى أن تقدم فى الأيام المحددة لعيد باكورة الفصول ، وضاعفت أسطوله (؟) . . . وكانت شونته حبلى بباكورة حقوله . والسفن السائحة فى أوقات معلومة شمالا وجنوبا كانت فى عيد . . . فى زمنه المحدد لتجعل هذا البيت فى عيد بطعامه . وللكهنة ، وللكهنة المطهرين يشكرون الإله ، وكهنة الساعة للعبد (يقومون بواجباتهم) . . . بوساطة المقاطعات . والعظماء والصغار (كانوا فرحين) بالذى فعلته ، وهو نيل لمدينتى . فقد سقيت الأرض ، والمدن والمقاطعات صارت دسمة (حتى أن الناس قالوا) إنه واحد قد علمه الإله !

لقد جعلت مصر العليا تسير فى طريق الإله فى حين كانت كل البلاد عقبا على رأس[1] بسبب عظم (المصيبة) . . . بوساطة عظم تفوق (لسيدى) الذى أتى من الجنوب[2] وقد هدأت . . . بمثابة ملجأ لمدينتى وأقصيت المجرم من مقاطعات الوجه القبلى . . . وتبع إلهة دون توان ، وفتحت المعبد وشاهدت ما فيه وأغلقت كل مقصورة بختمى . . . وقد قمت بواجبى فى المعبد باستمرار على حسب خطوات سيدى عندما كان ابنى معى . . . طاهرة لروحى ، وكيل المشرف على الكهنة فى طيبة ورئيس

---

(١) إن أسلوب هذه الفقرة من النقش يذكرنا بوضوح بأدب باكورة الدولة الوسطى فعبارة « البلاد كانت عقبا على رأس » أى عاليها أصبح سافلها لها نظير فى تحذيرات نبى (حيث يقول : أليست هذه الأرض قد قلبت مثل ما يعمل صانع الفخار راجع : Pap. Leiden 344, recto II 8, Gardiner, The Admonition of an Egyptian Sage.)

(٢) يقصد هنا « تهرقا » الكوشى الذى خلص مصر من أول هجوم انقض به الآشوريون على مصر وكذلك فإن هذه الفقرة ترن فى الآذان كأنها تردد ذكرى الأدب القديم أى تنبؤات نفرروهو (راجع الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٣١٨) وهو كتاب ينبىء بقرب حكم امنمحات الأول بعد الاضطرابات التى قامت فى العهد الأهناسى وقد قيل عن هذا الملك : وسيأتى من الجنوب رجل يدعى أمينى أى امنمحات الأول .

طائفة الكهنة (المسمى) « نسبتاح » . وأولادى فى صحة . . . والكهنة يعرفون التعليمات وقد أمضيت الوقت عندما كنت أبحث عن الصالح ، وسهرت الليل عندما كنت أبحث عما يفيد . . . عندما كنت أجمع التعليمات التى كانت على وشك أن تنمى . . لأنى عرفت أن الله يحب الذى يعمل العدل . وقد عملت ذلك بقوة ساعدى . . . ولم يكن هناك من هو مثلى عدا ابنى الذى يكون فى مكانى وهو وريثى الفاخر الذى يأخذ بتعاليمى . . . ليت ضيعته تكون مقدسة وقومه وكل إنسان . . . . وهذا هو الجزاء أمام سيد الآلهة آمون العظيم والحاكم . . . . وبوساطة « موت » سيدة السماء وعين « رع » ، و « خنسو » الإله العظيم الذى خرج من « نون » وبوساطة « منتو » رب طيبة والتاسوع العظيم . . . . وبوساطة سيدتنا والآلهة التابعين لجلالتها وبوساطة التاسوع الإلهى الذى فى معبد « موت » (أى ما يأتى) : حياة طيبة بغير مرض ، والسرور . . . . ودفن جميل وعمر مديد ووارثون ممتازون يمكثون فى مكانهم عند ما نصل (إلى الغرب) . . . . وأن تقوم كل أعضائنا بوظائفها (ويبقى) اسمنا (فى فم الأحياء) . . . . وحظوتنا . . . . وأنه يبقى هنا فى بيتك . ونفكر .

الكاهن الرابع لآمون بالكرنك وعمدة المدينة والمشرف على الوجه القبلى « منتومحات » . . . . هنا فى معبد « موت » . . . . الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة والمشرف على كل الوجه القبلى «منتومحات» . . . . سيدتنا « موت » سيدة السماء وعين « رع » التى فى جبينه . . . . وبذلك تحنى ذراعك بالقربان عندما تقدم القربان لآمون[1] .

وعلى الجانب الآخر من المنظر نقرأ تعداد المبانى والأعمال الأخرى التى أنجزت من أجل المعابد .

---

(١) راجع Biographischen Inschriften der Agyptischen Spatzeit Ihre Geistesgeschichte und Literarische Bedeutung Von Eberhard Otto. p. 159-161.

الأعمال التى عملت للاله مين — آمون

أحضرت الإله « مين — آمون » لسلمه فى البيت الجنوبى (الأقصر) فى عيده الجميل . . . كثرة . وقدمت القرابين الخاصة بثمانية الآلهة فى الشهر الثانى من الفصل الثالث واليوم الثامن والثامن والعشرين لأجل أن . . . . من السام (الكتروم) وكل حجر فاخر ثمين . وسويت صورة « خنسو باخرد » الفاخرة مغشاة بالذهب (وتسمى) كل ظهور له يكون . . . تيجان وضعت عرشا لهذا الإله أرجله من الفضة الخالصة وصور مرصعة (٦) . . . من شروطه . . . بعد مدة طويلة من السنين بدأت تتداعى (٧) . . .

معبد موت (؟)

وأقمت معبداً من الحجر (٨) . . . . (والأبواب كانت) من الأرز الجديد ، وخشب « قدت » مغشى بالنحاس والأشكال المرصعة فيه كانت من السام ، والمزاليج والأربطة (٩) . . . . ذهب مرصع بكل حجر ثمين . وأقمت لها قاعة ذات أربعة وثلاثين عموداً[1] من الحجر الرملى الأبيض الجميل (—) (١٠) . . . . وبنيت بحيرتها الطاهرة الجميلة من الحجر الرملى الأبيض الجميل . وأقمت لها مستودعها لأجل أن تخزن فيه قربانها المقدسة ، وضاعفت موائد القربان (١١) . . .

أعمال للاله « خنسو »

وأصلحت التمثال الفاخر للاله « خنسو — فى طيبة المأوى الجميل » (الذى يسمى) لابس التاج المقدس بالذهب وكل حجر حر ثمين وضاعفت موائد قربانهم المصنوعة من الفضة والذهب والنحاس (١٢) . . . . وألبست « خنسو » (المسمى) « واضع التصميم بوصفه انبثاقا إلهيا » بالسام كما كان من قبل .

---

(١) لاتوجد قاعة كهذه للآلهة « موت » فى معبدها مما كشف حتى الآن .

أعمال للاله « منتو »

وأقمت البحيرة الطاهرة الخاصة بالإله « منتو » رب طيبة من الحجر الرملى الأبيض الجميل مثل (١٣) . . . . مضيئاً بيته العظيم الفاخر بها . وضاعفت موائد قوبانه المصنوعة من الفضة والذهب والبرنز .

الآلهة الطيبيون

وقد صنعت أوانى فردية وجهزت الإله « وس » (١) والإلهة « وست » أى طيبة المنتصرة سيدة القوة بوصفها انبثاقا إلهيا (١٤) . . . .

صورة الإلهة « باست »

وضعت صورة الإلهة « باست » الفاخرة القاطنة فى طيبة بقضبان (لحملها) من السام وكل حجر ثمين .

أعمال للاله « بتاح »

وصنعت تمثال « بتاح » الفاخر (المسمى) « طيبة لامعة عند طلوعه » ، من الذهب (١٥) . . . . وموائد قربانهم أكثر جمالا من ذى قبل .

صور الإلهة « حتحور »

وصنعت (صورة) الإلهة « حتحور » سيدة الوادى (المسماة) . . . . لامعة ، مثل انبثاقهم الفاخر على حسب ما يتبق أن يعمل بفحص تام (١٦) . . . . (١٦) وكل واحد هناك له قضيبان .

---

(١) اسم إله يمثل طيبة مذكر كما أن « واست » هو اسمها المؤنث ، غير أنه ليس معروفا لنا فى غير هذه المناسبة .

صور آمون

وصنعت صورة « آمون » الفاخرة ، رب طيبة ، القاطن فى طيبة ؛ وصورة « خنسو » الفاخرة المسماة « حاسب الحياة » ؛ وصورة « آمون » الفاخرة سيد طيبة (١٧) . . . . وكل واحد منهم له قضيبان (يحمل عليهما) .

تمثال أمنحتب الأول (المؤله)

وصنعت تمثال « جسر كارع » (أمنحتب الأول) المنتصر من السام وكل حجر ثمين بقضيبين كما كان من قبل (١٨) . . . .

« خنسو » صاحب « ثمت » (مدينة هابو)

وسويت تمثال « خنسو » القاطن فى ثمت . . . . من السام بقضيبين .

صورة الواحدة العظيمة

وصنعت صورة الواحدة العظيمة صاحبة الحديقة مثل انبثاقها الفاخر ، وأصلحت معابدها لتكون كما كانت من قبل .

جدار الكرنك

(١٩) . . . . وهى من حجر رملى أبيض ، لأجل أن تبعد فيضان النهر منها (عندما يأتى) ونحت (٢٠) . . . . فى عيده الجميل للشهر الرابع من الفصل الأول اليوم الخامس والعشرين . وأصلحت جدار معبد « آمون » فى الكرنك (—) (٢١) . . . . (. . . .) وأقمت . . من اللبنات على حسب ما وجد صالحا لأجل الأجداد (٢٢) . . . .

الأعمال الخاصة بالثور المقدس

(وسويت) تمثال ثور « ماد » (حرم مقدس بالقرب من الكرنك) بوصفه انبثاقه الفاخر وأقمت بيته ، فكان أكثر جمالا عما كان هناك (٢٣) من قبل . .

معبد الإله « منتو »

وأقمت معبد الإله « منتو » سيد . . . . وبواباته لمعت بجمال (٢٤) . . .

أعمال لآلهة لم يعرف اسمها

(وسويت صورة) — على سلمه (المسمى) . . . . للحقل فى « طيبة » ، من الذهب أكثر جمالا عما كانت من قبل (٢٥) . . . . الذى هو سيد الإقليم الجبلى ، القاطن فى « نحخم » . . .

صورة الإله « حور »

وسويت الصورة الفاخرة « لحور » (المسمى) الإله يسكن (٢٦) . . . .

صورة « مين » ؟

وسويت (صورة) (مين) المسمى رئيس السماء بوصفها انبثاقه الفاخر ، مغشاة (٢٧) . . . .

صورة الإله « تحوت »

وسويت صورة « تحوت » الفاخرة المشرف على « حان إبق » والقاطن فى . . .

أعمال للآلهة « إزيس »

(٢٨) . . . أنا . . . انبثاق إزيس (مظهرها) وسويت . . . عليهم . . .

كل مدينتى (. . .) — (—) — (٢٩) . . . . أكثر جمالا من ذى قبل .
وأقمت بحيرة مقدسة لمعبد « إزيس » (. . .) .

أعمال للاله « أوزير »

صنعت قارب « أوزير » فى هذا الإقليم . . . ذراعا . . . . من خشب الأرز الجديد على حسب الشروط المعتادة (بعد أن كنت) قد وجدتها من خشب السنط . . (٣١) . . . . من اللبنات بعد أن كنت قد وجدتها أخذت تئول إلى الخراب[1] . .

الوثيقة السابعة والأربعون (٤٧)

يوجد فى مجموعة جرانت[2] تمثال خاص بفرع « نسبتاح » — « منتومحات » وهو معروف منذ زمن طويل غير أنه مهشم .

ونستخلص منه سلسلة النسب التالية :

نسبتاح (١) — باشرى — موت (٤)

أبناء نسبتاح (١): نسخنسو (٢) ، منتومحات (٣)

أبناء باشرى — موت (٤): منتومحات (٣) ، شبنمون (٥) ، وزارتس (٦)

ابن منتومحات (٣): نسبتاح (٧)

وهاك ألقاب كل منهم :

(١) نسبتاح = الابن الأكبر وكاهن آمون المعروف لدى الملك .

---

(١) راجع Breasted, Ancient Records of Egypt Vol. IV. 88 904-915 ويلحظ أن ترجمة الأستاذ برستد تختلف عن الترجمة التى أوردناها هنا وقد اعترف برستد نفسه أن ترجمته تحتاج إلى تدقيق لأنه نقلها عن أصول ليست مؤكدة .

(٢) واجع Wiedmann, Rec. Trav., VIII, p. 69 ; Lieblein, Dic. de Noms Hieroglyphiques no. 2284

(٢) نسخنسو ربة البيت .

(٣) منتومحات = الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة .

(٤) باشرى — موت = كاهن آمون وقريب الملك .

(٥) شبنموت = زوجة منتومحات وربة البيت .

(٦) وزارنس = ربة البيت .

(٧) نسبتاح = كاهن آمون وكاتب مائدة بيت آمون وعمدة المدينة .

الخاريط الجنازية الخاصة بمنتومحات

يوجد فى المتاحف المختلفة عشرة طرز من الخاريط الجنازية من متاع « منتومحات » . وقد فحص هذه الخاريط كل من « مسبرو » و « ڤيدمان » و « بترى » و « دارسى » . وتقدم لنا الوثائق التالية :

الوثيقة الثامنة والأربعون[1] (٤٨)

(١) جاء على مخروط ما يأتى : الكاهن الرابع لآمون ملك الآلهة « منتومحات » المبرأ وابنه البكر من صلبه هو كاهن آمون المعروف لدى الملك « نسبتاح » الذى وضعته ربة البيت نسخنسو المبرأة .

الوثيقة التاسعة والأربعون[2] (٤٩)

(٢) جاء على هذا المخروط ما يأتى : الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة « منتومحات » المبرأ ابن كاهن آمون وكاتب مائدة بيت آمون وعمدة المدينة « نسبتاح » المبرأ .

---

(١) راجع Rec. Trav., 36, p. 59

(٢) راجع Ibid., p. 59

الوثيقة الخمسون[1] (٥٠)

(٣) نقش على هذا المخروط ما يأتى : الأمير الوراثى وحامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد والكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة « منتومحات » .

الوثيقة الحادية والخمسون[2] (٥١)

(٤) نقش على المخروط ما يأتى : أوزير الأمير الوراثى والكاهن الرابع لآمون وكاتب معبد آمون وملاحظ الكهنة فى المعابد « منتومحات » المبرأ .

الوثيقة الثانية والخمسون[3] (٥٢)

(٥) جاء فيها : أوزير الكاهن الرابع لآمون « منتومحات » المبرأ ابنه من كاهن آمون وقريب الملك « باشرى — موت » الذى وضعته ربة البيت « وزارنس » المبرأة .

الوثيقة الثالثة والخمسون[4] (٥٣)

(٦) جاء فيها : المقرب من أوزير الأمير الوراثى والحاكم والكاهن الرابع لآمون « منتومحات » صادق القول ، أمه ربة البيت « استنخب » المبرأة .

الوثيقة الرابعة والخمسون[5] (٥٤)

(٧) جاء فيها : المقرب من أوزير الكاهن الرابع لآمون « منتومحات » المبرأ وزوجه محبوبته المعروفة لدى الملك « وزارنس » المبرأة .

---

(١) راجع Ibid., p. 59

(٢) راجع Ibid., p. 59

(٣) ، (٤) ، (٥) : راجع Ibid., p. 60

الوثيقة الخامسة والخمسون[1] (٥٥)

(٨) نقش على هذا المخروط المتن التالى : المقرب من أوزير الكاهن الرابع لآمون « منتوحمات » وزوجه محبوبته المعروفة لدى الملك وربة البيت « شبنموت » المبرأة .

الوثيقة السادسة والخمسون[2] (٥٦)

(٩) جاء فيها : المقرب من أوزير الأمير الوراثى والحاكم « منتوحمات » المبرأ وزوجه ربة البيت « استنخب » المبرأة .

الوثيقة السابعة والخمسون[3] (٥٧)

(١٠) جاء فيها : المقرب من أوزير الأمير الوراثى « منتوحمات » المبرأ وزوجه محبوبته وقريبة الملك ، ربة البيت « نسخنسو » .

الوثيقة الثامنة والخمسون[4] (٥٨)

(١١) جاء فيها : أوزير الحاكم المشرف على الوجه القبلى « منتوحمات » المبرأ . أوزير الكاهن الرابع لآمون « منتوحمات » المبرأ .

الوثيقة التاسعة والخمسون[5] (٥٩)

هذا المخروط محفوظ بمتحف تورين وقد جاء عليه النص التالى : « أوزير الحاكم والمشرف على نخن « منتوحمات » المبرأ .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) راجع Ibid. p. 60

(٥) راجع Ibid., p.. 61

ونستخلص من وثائق الخاريط السابقة سلسلة النسب التالية :

نسبتاح (١) — باشرى موت (٢)

نسخنسو (٣) = منتومحات (٤) = وزارنس (٥) = استنخب (٦) = شبنموت (٧)

نسبتاح (٨) — استنخب (٩)

وهاك ألقاب كل منهم :

(١) نسبتاح : بكر أولاده من صلبه وكاهن آمون والمعروف لدى الملك .

(٢) باشرى موت : ابنه من صلبه (أى ابن منتومحات) وكاهن آمون والمعروف لدى الملك .

(٣) نسخنسو : زوجه (أى زوج منتومحات) والمعروفة لدى الملك وربة البيت .

(٤) منتومحات : الكاهن الرابع لأمون ملك الآلهة وعمدة المدينة والحاكم والأمير الوراثى وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد وكاتب معبد آمون وملاحظ الكهنة فى المعابد ، والمقرب من أوزير والمشرف على الجنوب والمشرف على نخن (الكاب) .

(٥) وزارنس : زوجه محبوبته ، والمعروفة لدى الملك وربة البيت .

(٦) استنخب : زوجه وربة البيت .

(٧) شبنموت : زوجه ومحبوبته ، والمعروفة لدى الملك وربة البيت .

(٨) نسبتاح : كاهن آمون وكاتب مائدة بيت آمون وعمدة المدينة .

(٩) استنخب : أم منتومحات وزوج « نسبتاح » .

الوثيقة الستون

قاعدة تمثال من الجرانيت الأسود وجدت فى خبيئة الكرنك نقش عليها أسماء ثلاثة من أولاد منتومحات كما يظهر أنه نقش عليها اسم أحد إخوته المسمى نستحوت[١] .

وهاك سلسلة النسب التى استخلصت من نقوش هذه القاعدة .

نسبتاح[١] باشرى — موت[٢] زدخنسوف عنخ[٣]

نستحوت[٤] (منتومحات)[٥] (سنب)

نسبتاح[٦]

وهاك ألقاب كل منهم :

(١) نسبتاح : ابنه الأكبر ووريثه الماهر وسيد كل أملاكه وكاهن آمون ورئيس فرقة الكهنة .

(٢) باشرى موت : ابنه من صلبه وكاهن آمون الذى يرى الإله (؟) .

(٣) زدخنسوف عنخ : ابنه من صلبه كاهن آمون والمعروف لدى الملك .

(٤) نستحوت : أخوه .

(٥) . . . . . حامل خاتم الوجه البحرى والسمير الوحيد ، وعظيم العظماء ، ونبيل النبلاء وملاحظ الكهنة والمشرف على الكهنة فى المعابد والكاهن الرابع لآمون وحاجب الإله وكاتب معبد بيت آمون . . . فى طيبة « نفرحتب » ، وكاهن الإله « سكر » نزيل الكرنك وحاكم مقاطعة طيبة والمشرف على الجنوب . . .

---

(١) راجع Rec. Trav., 36, p. 62

(٦) نسبتاح المبرأ : كاهن آمون وعمدة المدينة .

ومما يؤسف له أن لم يبق لنا من اسم « منتومحات » في هذه الوثيقة شئ قط بل نستخلص من باب الحدس والتخمين أنه هو المقصود هنا كما تدل على ذلك معظم النقوش التي في متناولنا .

الوثيقة الحادية والستون (٦١)

لوحة التبني الخاصة بالأميرة « نيتوكريس »[1]

هذه الوثيقة كتبت في عهد الملك « بسمتيك الأول » . وقد جاء فيها أنه في السنة التاسعة ، الشهر الثاني من الفصل الأول ، اليوم الرابع عشر من حكم الملك « بسمتيك الأول » وصلت إلى طيبة « نيتوكريس » ابنته لتصبح ابنة للتعبدة الإلهية « شبنوبت الثانية » وتسمى « شبنوبت الثالثة » ، وعلى ذلك تخلفها فيما بعد بوصفها زوج الإله آمون ، وفي الوقت نفسه تكون قد حلت محل « أمنردس » الثانية ابنة « تهرقا » التي أعفيت من هذا التبني بسبب انتقال الحكم من يد الكوشيين إلى يد « بسمتيك الأول » المصري مؤسس الأسرة السادسة والعشرين الساوية .

وفي نقوش هذه اللوحة التي ستتحدث عنها طويلا فيما بعد نجد أنه خلافا لما منحته هذه المتعبدة الإلهية « نيتوكريس » من أراض ودخل من محاصيل عينية في بقاع عدة في أنحاء مصر قد قدم لها كبار الشخصيات أصحاب الجاه في طيبة وغيرها الذين استقبلوها عند وصولها الهبات التالية :

فقد منحت خبزاً وجعة لمعبد آمون

(١) فأعطاها الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة والمشرف على الجنوب كله

---

(١) راجع Legrain, A.Z., XXXV, p. 12 et 19; Br., A. R., Vol. IV (1935) ff

« منتومحات » يوميا مائتى دبن من الخبز وخمسة هنات من النبيذ وفطيرة (شع) وحزمة خضر ، كما أعطاها شهرياً ثلاثة ثيران وخمس أوزات .

(٢) ومنحتها ابنة أكبر الملاحظين للكهنة فى طيبة المسمى « نسبتاح » يوميا دبنا من الخبز وهنين من النبيذ و حزمة خضر .

كما منحتها شهريا خمس عشرة فطيرة شمت وعشر هنات من الجعة (جرار) ، وحقولا من إقليم « قعحت » التابع لواوات مساحتها مائة ستات (أرورا) .

(٣) ومنحتها زوج الكاهن الرابع لآمون منتومحات المسماة « وزارنس » يوميا مائة دبن من الخبز .

(٤) ومنحها الكاهن الأكبر لآمون « حور إم أخبيت » يوميا مائة دبن من الخبز وهنين من النبيذ كما أعطاها شهريا عشر فطائر شمت وعشر حزم من الخضر .

(٥) ومنحها الكاهن الثالث لآمون المسمى « بدى آمون نب نستاوى » يوميا مائة دبن من الخبزوهنين من النبيذ كما أعطاها شهرياً خمسين جرة من الجعة وعشر فطائر شمت وعشر حزم خضر .

أى أن مجموع ما منحته المتعبدة الإلهية هو ستمائة دبن من الخبز وأحد عشر هناً من النبيذ و ½ ٢ فطير شمت و ⅔ ٢ حزم خضر كل يوم ، وثلاثة ثيران وخمس أوزات و ٢٠ جرة جعة ومائة ستات (= أرورا) من الأرض شهريا .

وهذه الوثيقة التى اقتبسناها من لوحة التبنى للتعبدة الإلهية « نيتوكوريس » تظهر عجيبة من وجوه عدة ؛ فنجد أولا أن «منتومحات» وابنه وزوجه كان لهم الأولوية على الكاهن الأول لآمون المسمى « حور إم أخبيت » . والواقع أن امتياز « منتومحات » وزوجه على الكاهن الأول يعد دليلا على أن « منتومحات » كانت له سيادة معترف بها ، ويلحظ فضلا عن ذلك أنه عند قرن الهدايا التى قدمها كل من هؤلاء ، نجد أن هدايا

« منتومحات » وابنه كانت أعظم من التى قدمها « حور ام أخبيت » الكاهن الأكبر لآمون ، وكذلك يلحظ أن الهدايا التى قدمها « حور ام أخبيت » تعادل الهدايا التى قدمها الكاهن الثالث المسمى « بدى — أمن — نستاوى » . وهذا دليل على أن نفوذ « حور أم أخبيت » كان قليلا نسبيا على الرغم من عظم الوظيفة التى كان يتقلدها .

ومن النقط التى يجب الاهتمام بها هنا بالنسبة لتاريخ أسرة « منتومحات » أنه كان مصحوبا بابنه ووريثه الشرعى المسيطر على كل ممتلكاته وهو « نسبتاح » الذى وضعته السيدة نسخنسو . ولا بد أن هذه السيدة كانت قد ماتت وقتئذ ، وذلك لأن الزوجة التى كانت بجانب منتومحات وقتئذ هى « وزارنس » والدة ابنه الثانى المسمى « باشرى موت » ويظهر من الوثيقة السادسة والستين التى سنتحدث عنها فيما بعد أن نسخنسو قد ماتت صغيرة أو طلقت .

نسبتاح الثانى ابن منتومحات

تقدم لنا كل من مقصورة الملك تهرقا التى أقيمت فى معبد الإلهة موت بالكرنك (الوثيقة رقم ٤٦) ولوحة التبنى التى أقامتها المتعبدة الإلهية نيتوكريس (الوثيقة ٦١) ومخروط جنازى للأمير منتومحات (الوثيقة ٤٨) وتمثال مجموعة جرانت (الوثيقة ٤٧) معلومات نستخلص منها أن نسبتاح الثانى هو ابن منتومحات والسيدة نسخنسو .

وكان عند وصول المتعبدة الإلهية « نيتوكريس » إلى طيبة فى السنة التاسعة من حكم الملك بسمتيك الأول من حيث المكانة يأتى بعد والده مباشرة وقبل «وزارنس» زوج والده، وقبل الكاهن الأكبر لآمون «حورام خبيت» والكاهن الثالث لأمون « بدى أمن — نستاوى » ومن بين العظماء الذين كانوا فى استقبال نيتوكريس التى كانت ستتبناها الزوج الإلهية لأمون المسماه شبنوبت الثانية وقد اتخذ مكانته فى الاحتفال فى المكان الذى أشرنا اليه من قبل . ويلحظ أن «منتومحات» كان يحتل

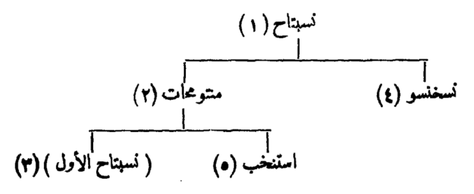
مكانة تكاد تعادل مكانة ملك ، وكان ابنه البكر يحمل لقب ملاحظ الكهنة فى طيبة . والهدايا التى قدمها ابن منتومحات للتعبدة الإلهية الجديدة ضخمة ؛ فقد كان يقدم لها يوميا مائة دبن من الخبز وهنين من النبيذ، هذا فضلا عن الخضر، كما كان يقدم لها شهريا خمس عشرة فطيرة شمعت وعشر جرار من الجعة، هذا عدا مائة أرورا من الأرض من إقليم واوات وذلك أكثر مما كان يقدمه الكاهن الأول والكاهن « حور ام أخبيت » و الكاهن الثالث « بدى — أمن — نستاوى » مجتمعين .

الوثيقة الثانية والستون (٦٢)

توجد مجموعة جميلة من الجرانيت الأسود تمثل « نسبتاح الثانى » جالسا وبجواره والده « منتومحات » على كرسى ذى ظهر عال مرتديا ملابسه مثله ويتحلى بجلد الفهد ورمز العدالة وهذه المجموعة عثر عليها فى خبيئة الكرنك (١) .

الوثيقة الثالثة والستون (٦٣)

مجموعة تمثل منتومحات وابنه نسبتاح الثانى



وهاك ألقاب كل من هؤلاء التى فى النقوش :

(١) نسبتاح الثانى : الأمير الوراثى والحاكم وكاهن الإله «بتاح» والكاهن

---

(١) راجع Rec. Trav., 36, p. 64

الرابع لآمون فى طيبة وحامل خاتم الوجه البحرى ، والسمير الوحيد فى الحب، وملاحظ الحقول والمشرف على الجنوب والحاكم المشرف على الجنوب . . .

(٢) منتومحات : الأمير الوراثى والحاكم والكاهن الرابع لآمون والحاكم المشرف على الجنوب وحامل خاتم ملك الوجه البحرى والسمير الوحيد فى الحب والكاهن الرابع لآمون فى طيبة وكاتب معبد آمون .

(٣) نسبتاح الأول : كاهن آمون .

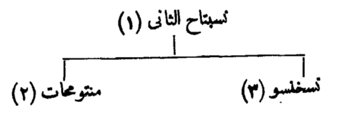
(٤) نسخنسو : ربة البيت .

(٥) استنخب : ربة البيت .

الوثيقة الرابعة والستون (٦٤)

مائدة قربان نسبتاح الثانى

هذه المائدة محفوظة الآن بالمتحف البريطانى[1] وتقدم لنا سلسلة النسب التالية :



وهاك ألقاب كل منهم :

(١) نسبتاح سنب : الأمير الوراثى والحاكم وحامل خاتم الوجه البحرى

(١) راجع Sharpe, Egyptian Inscriptions, Part 2, Pl. 37

والسمير الوحيد ، ومدير القصر ، ورئيس الأرضين قاطبة ، والمشرف على الجنوب كله ، وملاحظ الكهنة فى طيبة ، والمشرف على كهنة كل الآلهة .

(٢) منتومحات : الأمير الوراثى والحاكم والمشرف . . . المدن والمشرف على الجنوب .

(٣) نسخنسو : المرأة كاهنة حتحور وربة البيت .

ويلحظ هنا أن هذه المائدة ليست على ما يظهر نفس التى ذكرت فى الوثيقة الأربعين من هذا البحث .

الوثيقة الخامسة والستون (٦٥)

وجد فى خبيئة الكرنك تمثال غاية فى الجمال (No. 47) لم يمس بعد بأى سوء للكاهن « نسبتاح الثانى » وهو مصنوع من الحجر الأخضر وارتفاعه ٢٤ سنتيمتراً وقد مثل واقفاً يرتدى قميصا ذا ثنيات ويقبض أمامه على صورة الإله « أوزير » . والمتن الذى نقش على ظهره يقدم لنا المعلومات التالية :

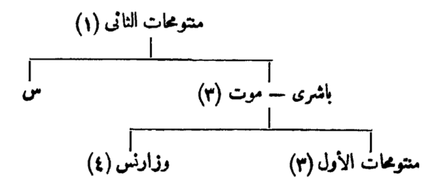
نسبتاح الثانى : الأمير الوراثى والحاكم وكاهن آمون والمشرف على الجنوب .

« باشرى — موت » بن « منتومحات » و « وزارنس »

نعلم من المخروط الجنازى رقم ١٩٣ (الوثيقة ٥٢) ومن تمثال مجموعة جرانت (الوثيقة ٤٧) أن « منتومحات » كان له ابن يلقب ابنه من صلبه كاهن آمون المعروف لدى الملك « باشرى موت » الذى وضعته « وزارنس » المرأة . ولدينا مخروط جنازى آخر (الوثيقة ٥٤) يقدم لنا الألقاب الأخرى لباشرى موت وهى : زوجه محبوبته المعروفة لدى الملك وربة البيت « وزارنس » .

الوثيقة السادسة والستون (٦٦)

أهدى التمثال رقم ١٢٩ الذى عثر عليه فى الكرنك للكاهن « باشرى — موت » من ابنه « منتومحات الثانى » . وقد مثل « باشرى — موت » مرتديا قميصا بسيطا ماشيا بذراعيه متدليتين وفى كل يد شىء اسطوانى يحتمل أنه خاتم والرأس حليق . و يبلغ ارتفاعه ١,٢٥ مترا . والمتن الذى على التمثال يقدم لنا سلسلة النسب التالية :



وهاك ألقاب كل منهم :

(١) منتومحات الثانى : الكاهن والد الإله لآمون .

(٢) باشرى — موت : كاهن آمون فى الكرنك . . . . والمعروف لدى الملك محبوبه حقاً .

(٣) منتومحات الأول : الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة .

(٤) وزارنس : ربة البيت .

سلسلة نسب ملخصة لفرع « نسبتاح » والد منتومحات

منتـــومحات الثـانى

إنامن ناف نبو — نسبتاح الثانى — باشرى موت — زدخنسوفعنخ، نستحوت

حورسا إزيس | ديت است حب ـ سد | نسخنسو = منتومحات — وزارنس = استنخب الثانية = شبنوبت

استنخب

نسبتاح الأول

خامحور

حورسا إزيس

بدى إست

عنخ وننفر

تقدم لنا الوثائق التى لخصناها فيما سبق الدلائل التاريخية التالية :

أهدت السيدة « ديت إست — حب — سد » ابنة « نسبتاح » مقصورة الكرنك فى أثناء تولى كل من « أمنردس » و « شبنوبت » وظيفة المتعبدة الإلهية . والأخيرة هى بنت « بيعنخى » ويحتمل أن ذلك قد حدث قبل عهد الملك تهرقا . وبعد الغزوات الآشورية نشاهد مصوراً فى مقصورة معبد « موت » خلف تهرقا « نسبتاح الأول » و « منتومحات » و « نسبتاح الثانى » ، وأخيراً نفهم من متن لوحة التبنى للأميرة « نيتوكريس » أن كلا من « منتومحات » و « نسبتاح الثانى » وزوجه الثانية « وزارنس » كانوا على قيد الحياة فى السنة التاسعة من حكم « بسمتيك الأول » . وسلسلة نسب أسرة « باشرى موت » يمكن ربطها بأسرة « منتومحات » ، ومن ثم نستطيع أن نرى فيها أن « عنحنف خنسو الثانى » كان معاصراً « لنسبتاح الثانى »

و « عنخف خنسو » هذا كان والد « بسنموت الثالث » الذى ولد فى السنة الثامنة والعشرين من عهد « بسمتيك الأول » .

ولابد أن نلحظ هنا أنه يوجد فى المتحف المصرى صورة باب من البرنز (راجع Livre d'Entrée 43775) نقش عليه المتن التالى : مغنية بيت آمون «ديت — إست حب — سد » ابنة الكاهن الرابع لآمون وعمدة المدينة « منتومحات » المبرأ .

ومن ثم نفهم أن « ديت — إست حب — سد » ابنة « منتومحات » لا ينبغى أن نخلط بينها وبين « ديت — إست حب — سد » ابنة « نسبتاح الأول » التى جاء ذكرها فى الوثيقتين ٢٥ و ٢٦ من هذا البحث .

فرع أسرة « بدى أمن »

كان ثلاثة من أولاد الوزير « خامحور » يؤلفون جزءا من كهنة آمون بوصفهم خدام الإله (حم نتر) وهؤلاء هم « بهرو » و « نسمين » و« نسبتاح » . ولدينا رابع يدعى « بدى أمن » وهو لا يتصل بكهنة آمون إلا بأنه كان كاتب أوقاف معبد آمون ، ولكن من جهة أخرى كان ضمن كهنة الإله « منتو » إذ كان يحمل لقب كاهن « منتو » ومنذ ذلك العهد كان هو وأسرته تابعين لخدمة هذا الاله ، فكان أقاربه فى زمرة كهنة منتو . وقد تزوجت ابنته « تاباثات» من بسنموت ابن « عنخف خنسو » كاهن « منتو » وخادم الساعة من الطبقة الثانية فى معبد آمون وقدورث عنه هذا اللقب فيما بعد الابن الذى أنجبه من « تاباثات » . وقد كانت هذه الرابطة بين أسرة « خامحور » وأسرة « بسنموت » ذات أهمية تاريخية عظيمة ، إذ بها يمكن وضع تاريخ مؤكد لأعضاء هذه الأسرة الكثيرة العدد . هذا ولم تفلت هذه النقطة من يد الأثرى ليبلين إذ أنه عند ما نشر متون تابوت متحف « سنت بطرس برج » فى وثائق هذا المتحف[1] قد وحد « تاباثات » التى وجدت على هذا الأثر بالتى

(١) راجع Die Agyptische Denkmaler in Saint Petersburg p. 36. Pl. VII. 22; Lieblein, Dictionnaire de Noms Hieroglyphiques No- 2303

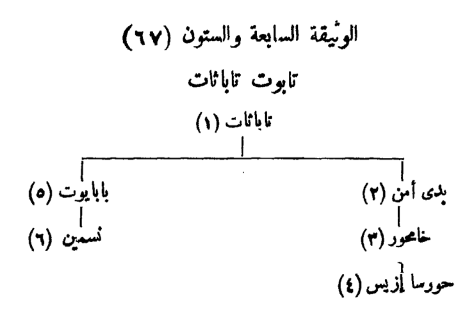
وجدت على التوابيت الأخرى المحفوظة بالمتحف المصرى وهى التى نعدها جزءاً من أسرة « خامحور » . وقد انضم الأثرى بييه Baillet إلى هذا الرأى و كذلك حبذه الأثرى بلجران[1] .

توابيت « تاباثات »

أشرنا من قبل إلى أن «حورسا أزيس» الأول لم يكن على أغلب الظن يحمل لقب وزير فى مدة حياته وأنه لقب بهذا اللقب فيما بعد على تماثيل نسله من الجيلين الثالث والرابع من بعده . وقد أشرنا من قبل إلى ألقاب من هذا النوع كان يحملها أفراد لم يكونوا يحملونها قط مدة حياتهم ، وسواء أكان « حورسا أزيس » وزيرا أم لا ، فإنه على أية حال كان يحمل هذا اللقب على التمثالين اللذين يمثلان الوثيقتين الرابعة والخامسة من هذا البحث ، وكان يحمله كذلك على توابيت «تاباثات» المحفوظة الآن بالمتحف المصرى ومنها نستخلص سلسلة النسب التالية :

الوثيقة السابعة والستون (٦٧)

تابوت تاباثات



وهاك ألقاب كل منهم :

(١) تاباثات = ربة البيت المبجلة .

(١) راجع Rec. Trav., 36, p. 146

(٢) بدى أمن = كاهن « منتو » رب طيبة وكاتب قربان بيت آمون وخادم النور .

(٣) خامحور : كاهن آمون والمشرف على المدينة والوزير .

(٤) حورسا إزيس : كاهن آمون والمشرف على المدينة والوزير .

(٥) بابايوت = ربة البيت .

(٦) نسمين : كاهن آمون والمشرف على المدينة والوزير .

الوثيقة الثامنة والستون (٦٨)

قعر تابوت تاباثات

نستخلص من متون هذا الجزء من التابوت سلسلة النسب التالية :

تاباثات (١)
├── بابا (٣)
└── بدى أمن (٢)

(١) تاباثات = ربة البيت

(٢) بدى أمن = خادم النور والكاهن سما محضر العقاقير فى طيبة (؟)[1]
ولدينا تابوت آخر جميل غير أنه لا يقدم لنا معلومات جديدة .

الوثيقة التاسعة والستون (٦٩)

لوحة من الخشب للسيدة تاباثات

هذه اللوحة موجودة بالمتحف المصرى وهى من الخشب وملونة وتحمل اسم ربة

(١) نرى السير ألن جاردنر يترجم هذا اللقب الكاهن « سما » وراجع A. Z., 79 Band zweite Heft, p. 96

البيت « تاباثات » وتقدم لنا بعض قراءات منوعة مفيدة ونجد فيها فضلا عن ذلك اسم جدها الثانى من جهة الأم وهو حور سا أزيس وهو بدوره كان وزيرا ومن المحتمل أنه هو نفس «حور سا أزيس » والد خاءحور الأول (الرابع فى سلسلة النسب التالية):

تاباثات (١)

بابات (٥) = (بابايوت) — بدى — أمن (٢)

نسمين (٦) — خامحور (٣)

حورسا أزيس (٧) — حورسا إزيس (٤)

وهاك ألقاب كل منهم :

(١) تاباثات = ربة البيت المفخمة .

(٢) بدى أمن = كاهن « منتو » رب طيبة .

(٣) خامحور = كاهن « آمون رع » ملك الالهة والمشرف على المدينة والوزير .

(٤) حورسا إزيس = كاهن « آمون رع » ملك الالهة والمشرف على المدينة والوزير .

(٥) بابات = ربة البيت .

(٦) نسمين = كاهن « آمون رع » ملك الالهة والمشرف على المدينة والوزير .

(٧) حورسا إزيس = كاهن « آمون رع » ملك الالهة وعمدة المدينة .

الوثيقة السبعون (٧٠)

ويوجد كذلك لوح كبير من الخشب مستطيل الشكل مخروم فى زواياه وهو لهذه السيدة « تاباثات » ويقدم لنا اسم والدها واسم والدتها .

ويحمل والدها « بدى أمن » لقب كاهن « منتو » رب طيبة وكاتب قربان معبد « آمون » والمعروف للملك حقيقيا (؟) .

الوثيقة الواحدة والسبعون (٧١)

صندوق بابايوت

يوجد فى مجموعة سابتييه (Sabattier) رقم مائة صندوق للتماثيل المجيبة ملك ربة البيت المفخمة « بابايوت » وهذه المجموعة تحتوى على أشياء كثيرة ملك أسرة « باشرى موت » التى ترتبط بها « تاباثات » ابنة « بابايو » ومن المحتمل أن هذا الصندوق كان ملك والدة « تاباثات » .

« تابوت بدى أمن » الثانى

تدل المتون التى على توابيت ولوحة « بدى أمن » الموجودة بالمتحف المصرى على أن كاهن « منتو » هذا كان ابن عنخف خنسو .

الوثيقة الثانية والسبعون (٧٢)

تابوت بدى أمن

بدى أمن (١)

تاباثات (٣) — بسنموت (٢)

وهاك ألقاب كل منهم :

(١) بدى أمن = كاهن « منتو » رب طيبة .

(٢) بسنموت = كاهن « منتو » رب طيبة .

(٣) تاباثات = ربة البيت .

الوثيقة الثالثة والسبعون (٧٣)

التابوت الثاني للكاهن « بدى أمن »

هذا التابوت يقدم لنا سلسلة البنوة التالية :

(١) بدى أمن = كاهن « آمون » رب طيبة .

(٢) بسنموت = » » »

(٣) عنخف خنسو = » » »

الوثيقة الرابعة والسبعون (٧٤)

لوحة بدى أمن[1] (١)

لوحة بدى أمن (١)
تاباثات (٤) — بسنموت (٢)
بسنموت (٢) ← عنخف خنسو (٣)

وهاك ألقاب كل منهم :

(١) بدى أمن = كاهن الاله « منتو » رب طيبة وكاهن الشهر لمعبد « آمون » من طبقة الكهنة الثانية .

(١) راجع Lieblein, Dictionnaire de noms heiroglyphiques No. 1105

(٢) بسنموت = كاهن « منتو » رب طيبة ابن مثيله (فى الألقاب) .

(٣) عنخف خنسو = مثيل سابقه فى الألقاب .

(٤) تاباثات = ربة البيت .

الوثيقة الخامسة والسبعون (٧٥)

ذكر الأثرى « ليبلين » فى قاموسه تابوتاً من الخشب قال عنه إنه محفوظ بمتحف سنت بطرس برج[1] ومتون هذا التابوت تقدم لنا المعلومات التالية :

بابات (١)

تاباثات (٣) — بسنموت (٢)

بدى أمن (٤)

وهاك ألقاب كل :

(١) بابات = ربة البيت المفخمة .

(٢) بسنموت = كاهن « منتو » رب طيبة وكاهن الشهر لبيت آمون من الطبقة الثانية .

(٣) تاباثات = ربة البيت المفخمة .

(٤) بدى أمن = كاهن الإله « منتو » رب طيبة .

وهذه الوثيقة هامة لأنها أكدت لنا أن والد « تاباثات » هو « بدى أمن » صاحب الوثائق ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ . وبذلك أصبح من المؤكد توحيد « تاباثات »

(١) راجع Die Agyptische Denkmaler in Saint Petersbourg p. 36 et Pl- VII, 22; Dictionnaire de Noms Heiroglyphiques No. 2303.

زوج « بسنموت » بتلك التى جاء ذكرها فى فرع « خامحور » فى الوثائق السابقة فى هذا البحث وبذلك جعل من البدهى ارتباط هذه الأسرة بأسرة بسنموت .

قائمة تلخص فرع « بدى أمن » بن خامحور الأول

بابات الثانية — بدى أمن الثانى

- تاباثات
  - بدى أمن
    - خامحور
      - حورسا إزيس
  - بابايوت
    - نسمين
      - حورسا إزيس
- الرابطة مع أسرة بسنموت
- بسنموت
  - عنخف خنسو

ملاحظات إضافية :

عثر فى «الحمامات» على نقوش للكاهن «نسبتاح» المعاصر «للملك بسمتيك الأول» وقد نشرها كل من مونتييه وكوا[١] .

النقش رقم ٢ :

مثل هذا النقش شخصا راكعا ورافعا الذراعين أمام طغراءات ملكية فى ثلاثة أسطر عمودية .

ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « واح ا ب رع » ابن رع « بسمتيك » (له) الحياة والسلطان مثل رع سرمديا .

---

(١) راجع Memiores de l'Institut Français D'Archeologie Orientale die Caire "Ies Incriptions Heiroglyphiques et Heiratiqnes du Ouady Hammamat.

وعلى الجهة اليمنى نجد فوق هذا الشخص نقشا مؤلفا من ستة أسطر أفقية .

وقد نزعت نهاية السطرين الأخيرين بالكشط من الصخر : (١) الكاهن الرابع لآمون ملك الآلهة وعمدة المدينة (٢) وكاهن الأله «سكر» فى الكرنك «نسبتاح» (٣) ابن الكاهن الرابع (٤) لامون والمشرف على الجنوب طرا «منتومحات» (٥) . . . . . (٦) . . . . . والمقصود هنا هو نسبتاح الثانى .

النقش رقم ٥١ وهو لكاهن آمون المسمى «نسبتاح» ، ورئيس الأعمال «بدى است» المعاصر للملك بسمتيك الأول .

نشاهد فى هذا النقش شخصا راكعا برأس حليق مرتديا جلد فهد وقميصا وحول جيده عقد ورافعا ذراعيه أمام الأله مين بصورته المعتادة ويقف على قاعدة وله لحية وفى رقبته قلادة وفى يده درة .

وقد دوّن فوق هذا الشخص وعلى يمينه سطران أفقيان يتبعهما سطران عموديان جاء فيهما : «الكاهن الرابع لآمون رع ملك الآلهة وكاتب بيت آمون والمشرف على الجنوب طرا «منتومحات» المرحوم ابن كاهن آمون فى الكرنك «نسبتاح» عمله خادمه رئيس أعمال بيت آمون (المسمى) «بدى است» بن مثيله «قرر ف — أمون» المرحوم» .

والمقصود هنا ليس «نسبتاح» الثانى الذى ذكر فى النقش السابق رقم ٢ بل المقصود منتومحات بن نسبتاح الأول . وقد رأينا فى الوثائق التى جمعت فى هذا البحث أن «منتومحات» قد عاش حتى السنة التاسعة من عهد الملك «بسمتيك» الأول وربما بعد ذلك .

تمثال آخر للكاهن الرابع منتومحات :

عثر حديثا على تمثال للكاهن الرابع منتومحات فقد وجد بين الأحجار المستعملة ثانية فى شمالى مدخل معبد الملك تهرقا بالكرنك الشمالى وهو مصنوع من الجرانيت القاتم

وقد طلى طلاء جميلا ، ومثل على نمط تماثيل هذا العصر فى هيئة مكعب وقد عثر عليه مفقود الرأس ويبلغ ارتفاع الجزء الباقى ٤٨ سنتيمترا وقد مثل قاعدا على قاعدة .

ونقش على الجزء الأمامى منه المتن التالى :

(١) الكاهن الرابع لأمون وكاتب ضياع آمون وعمدة المدينة « منتومحات » .

(٢) ونقش أسفل هذا إما يأتى : المبجل فى حضرة « منتو » رب طيبة ، الكاهن الرابع لآمون رع ملك الآلهة وكاتب ضياع آمون وعمدة المدينة منتومحات ابن كاهن آمون رع وعمدة المدينة المعروف لدى الملك نسبتاح المبرأ .

ونقش على العمود الذى خلف التمثال ما يأتى : يأيها الإله المحلى للكاهن الرابع وعمدة المدينة منتومحات . . . خلفه فى حين أن روحه تكون أمامه . إنه هليوبوليتى.

ونقش على قاعدة التمثال ما يأتى : قربان يقدمه الملك لآمون رع رب عروش الأرضين ليته يمنح رقة القلب والفرح يوميا لروح الكاهن الرابع لأمون عمدة المدينة « منتومحات » ابن كاهن آمون عمدة المدينة نسبتاح . قربان يقدمه الملك للإله « منتو » رب طيبة ليته يمنح القوة والنعيم والبراءة لروح الكاهن الرابع لآمون عمدة المدينة منتومحات ابن كاهن آمون وعمدة المدينة نسبتاح المبرأ .

نظرة عامة فى مكانة منتومحات

فى العهدين الكوشى والساوى

لقد حاولنا فيما سبق جمع كل ما يمكن جمعه من الآثار والوثائق الخاصة بالأمير « منتومحات » وأسرته المتشعبة الاطراف والتى تضرب بأعراقها إلى أجيال بعيدة خلت لا تقل على حسب ما وصلت اليه معلوماتنا عن خمسة أجيال مضت .

ولا نزاع فى أن منتومحات هذا يعد أبرز شخصية سياسية فى طيبة فى عهد التسلط الكوشى على أرض الكنانة وكذلك فى عهد الاحتلال الأشورى المؤقت لها . هذا وتدل تماثيل هذا العظيم التى بلغت القمة فى الإتقان من حيث الصدق فى التعبير على الحجر على أن فن النحت قد وصل غايته فى النهضة الجديدة التى قامت فى تلك الفترة من تاريخ البلاد . فتماثيله بالنسبة للتماثيل العدة التى ترجع إلى العهد اللوبى تعد بحق من القطع الممتازة الصنع فى تمثيل رجل تملأ إهابه العظمة ويظلله الوقار فى سن الشيخوخة الفانية . وأكبر دليل على ذلك تمثاله المحفوظ الآن بالمتحف المصرى[1] .

وقد فصلنا القول عن أسرة « منتومحات » فيما سبق وقد أثبتنا أنه من أسرة كان معظم أفرادها موظفين منذ مدة أجيال وكانت موضع احترام ونفوذ طوال العهد الكوشى فى البلاد الذى امتد إلى أكثر من سبعين عاما . وتنحصر سلسلة نسبه على ما نعلم فيما يلى : فهو « منتومحات » بن « نسبتاح » بن « خامحور » بن « خور سأزيس » بن « بدى إست » بن « عنخ وننفر » . هذا وتدل ألقاب هؤلاء الشخصيات على أنهم كانوا يحملون أرقى الألقاب ويشغلون أهم المناصب . فنعلم مثلا أن جده « خامحور » كان يحمل لقب وزير ويحتمل أن أخاه « بدى إست » كان كذلك وزيراً ، أما جده الأكبر « حور سا أزيس » فكان فعلا يشغل منصب وزير .

---

(١) راجع Legrain, Cat. gen, III, Pl. XLIV, XLV No, 42236

يضاف إلى ذلك أن عميه « حورسا أزيس » و « نسمين » كانا كذلك وزيرين . وكان والد « منتومحات » نفسه المسمى « نسبتاح » يشغل منصب عمدة المدينة ومن ثم كان يلقب الوكيل العظيم الذى يسيطر (يدخل) على المدينة . يضاف إلى ذلك أن كلا من « خامحور » جد « منتومحات » وعمه الوزير « نسمين » كان يحمل لقب كاتب الجيش . ومن ثم نعلم أنهما كانا قد بدءا حياتيهما فى الجيش ، ومع ذلك فإن كلا منهما كان يحمل لقب كاهن آمون ، ولكن على الرغم من ذلك لم يكن واحد منهما يشغل منصبا من مناصب الكهانة العالية . وكان أول من لقب بالكاهن الرابع لآمون فى هذه الأسرة هو « منتومحات » . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه الوظيفة كانت من الوظائف الممتازة فى الدولة .

ولا جدال فى أن أهمية أسرة « منتومحات » لم تكن محصورة فيما يحمله أفرادها من وظائف كهنة لآمون ، ولكن كانت أهميتهم فى أنهم كانوا موضع ثقة عند ملوك كوش فى تلك الفترة وبخاصة فى إدارة الحكومة الإلهية التى كانت على رأسها المتعبدة الإلهية ، ويعد « منتومحات » فى مصاف عظماء الأمير الطيبية التى تنسب إلى العهد البوبسطى . والواقع أن من يدرس آثار « منتومحات » هذا يجد من وقت لآخر مايدهش بالنسبة لمكانتهالسياسية المتفوقة ، وذلك على الرغم من المكانة الدينية المتواضعة التى كان يشغلها وقتئذ . ولا نزاع فى أن قوة هذا الرجل وعظمته لم تأت عن طريق الوظائف الدينية العالية بل كانت الوظيفة الدينية تعد لقب شرف قد يساعد على الحصول على السلطة الدنيوية ، وذلك بتقلد وظيفة كهانة من التى كانت تخلعها الحكومة الدينية على الرجال أصحاب النفوذ على غرار الألقاب الدنيوية مثل لقب الحاكم أو الأمير ، وكذلك لقب المشرف على الكهنة التى كان يحملها رجال الإقطاع فى العهود القديمة . والواقع أننا نجد أن كلا من وظيفة الكاهن الثالث والرابع لآمون كانت وقفاً فى تلك الفترة على كبار الموظفين ، أما الوظائف الدينية التى كانت فوق ذلك فكانت تمنح لرجال البيت المالك وحسب .

ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كان لقب « أعظم الخمسة » وهو لقب كان يحمله الكاهن الأعظم لمدينة الأشمونين بوصفه كاهن الإله « تحوت » ، وكذلك لقب الكاهن « ابنه محبوبه » وهو لقب كان يحمله الكاهن الأعظم للاله «حرسفيس » الإله الأعظم لمدينة «أهناسيا المدينة» — وكان يحملهما جده «حورسأزيس» هما لقبان موروثان فى الأسرة أو كانتا وظيفتين حقيقيتين . وذلك لأننا نجد أن هاتين الوظيفتين كانتا منفصلتين عن الوظائف الأخرى التى كان يحملها رجال هذه الأسرة ولم يحملها إلا نفر قليل من أفرادها . وتدل شواهد الأحوال على أنهما كانتا تمنحان كألقاب شرف عن أعمال عامة يقوم بها الشخص الذى يحملهما . ولا بد أن « حورسأزيس » هذا كان قد بلغ سن التقاعد عندما أتى إلى مصر « بيعنخى » غازياً وطرد أتباع « تفنخت » صاحب « سايس» من مصر الوسطى حوالى عام ٧٣٠ ق. م. وكما ذكرنا من قبل كان بعض أفراد أسرة « منتومحات » يشغل وظيفة الوزير فى زمن حكم الأسرة الكوشية حتى عهد الملك « تهرقا » وكذلك كان « منتومحات » على غرار والده يشغل وظيفة عمدة العاصمة ثم رقى إلى وظيفة المشرف على الوجه القبلى كله . ويطيب أن نذكر هنا أن ام « منتومحات » كان يشغل وظيفة عمدة المدينة وهو ابن الوزير « حورسا أزيس » (الذى كان يسمى أحيانا « بهرر ») .

وتدل النقوش التى وجدت على صخور وادى «جاسوس» الواقعة على البحر الأحمر على أن حكومة طيبة الإلهية كانت مستقلة سياسياً . يؤكد لنا ذلك الألقاب التى كان يحملها « منتومحات » . فقد كان يلقب الأمير حاكم الصحراء والمشرف على أبواب البلاد الأجنبية . ولا نزاع فى ما كان يتمتع به حامل هذين اللقبين من سلطان عظيم ، غير أنه لم يكن الوحيد الذى كان يحمل هذه الألقاب إذ نجد أن كبار موظفى الزوجة الإلهية لآمون كانوا يحملون مثل هذه الألقاب، مثال ذلك المدير العظيم لبيت المتعبدة الإلهية المسمى «بيسا » والمدير العظيم لبيت زوجة آمون « بدى حورزسنت » فقد كان كل منهما يحمل لقب المشرف على الوجه القبلى ، والأخير منهما كان يحمل لقب حاكم الصحراء فى طيبة .

والواقع أن هذه الألقاب كانت ألقاب شرف تعطى على غرار ما كان متبعا فى العهد الاقطاعى القديم غير أنها أصبحت الآن مليئة بالتزامات جديدة ذات أهمية عظيمة . وقد كان من جراء تمتع « منتومحات » بمثل هذا السلطان الواسع والنفوذ العظيم أن وجدنا أنه فى النقوش الخاصة بتاريخ حياته كان يفخر بالإصلاحات العدة التى قام بانجازها فى طيبة وكذلك فى معبد الأشمونين ، ويلحظ هنا أنه يتحدث أولا عن الحصول على المواد الثمينة لصنع تماثيل الالهة المقدسة وبنوع خاص الأخشاب اللازمة للسفن المقدسة هذا بالإضافة إلى قطع الأحجار اللازمة لإقامة المعابد المهدمة إذ يقول : « لقد طهرت معابد كل الآلهة فى كل مقاطعات الوجه القبلى على حسب تعليمات تطهير المعابد » .

وكان من جراء هذه الاصلاحات أن أقيم ما كان قد خرب من معابد فى أزمان الاضطرابات والحروب التى وقعت فى عهد الأشوريين . وأن من يقرأ ما قام به « منتومحات » من إصلاحات يجد فيه نغمة حكام الاقطاع الأقدمين التى كانت تنطوى على المبالغة، ولكن «منتومحات» كان يتحدث هنا عن أعمال أنجزها دون أية مبالغة . هذا ويلحظ فى نقوشه أنه كان حفيد وزير وقائد جيش ، وذلك عندما يقول « لقد جعلت مصر العليا تسير فى طريق الإله (أى طريق العدالة) فى حين كانت البلاد عقبا على رأس بسبب عظم المصيبة . . . بوساطة عظم تفوق (لسيدى) الذى أتى من « الجنوب » ويقصد بهذا السيد بطبيعة الحال الملك « تهرقا » الذى أتى من جنوب الوادى لطرد الأشوريين . وقد استمر فى خدمة إلهه دون انقطاع كما دخل بيت الإله ورأى ما فيـــه ، ومن ثم ختم كل مقصورة فيه بخاتمه .

وهذه النجدة التى قام بها « تهرقا » ملك « كوش » وهو تحرير مقاطعة « طيبة » من غزو الأشوريين على يد مليكهم « آشور بنيبال » يرجع الفضل الأعظم فيها للأمير « منتومحات » الذى كان يحمل لقب المشرف على كهنة الوجه القبلى والوجه البحرى

وهذا اللقب لم يكن قد حمله من قبله إلا القليل من عظماء كهنة « آمون » و بعض كبار الموظفين فى عهد الدولة الحديثة مثل الوزراء .

وفضلا عن ذلك كان يحمل « منتومحات » لقب كاتب ضياع معبد آمون فعلا وهذا اللقب كان لقب شرف ، فكان مثل لقب الكاهن الرابع لأمون يمنح بمثابة معاش لما قام به حامله من خدمات لمعبد آمون .

ولا نزاع فى أن منتومحات كان يعمل بوصفه حاكما فى دائرة طيبة كما كان عظيما من عظماء الأسر الطيبية ، وهو من دم مصرى صريح ، وليس لدينا من النقوش والكتابات الخاصة بمنتومحات ما يبرهن على أنه كان كوشى الأصل كما ادعى ذلك كل من « دريتون » « وفنديه »[1] ، ومن المحتمل أن هذا الخطأ قد جاء عن طريق صورة له فى شيخوخته ، وهذه الصورة عثر عليها فى معبد موت كما ذكرنا من قبل . حقا قد وفد الى مصر بعض الموظفين من الجنوب فى عهد ملوك كوش وعملوا فى خدمة الحكومة الأهلية فى عهد المتعبدات الإلهيات غير أن « منتومحات » لا يعد واحدا منهم ، ويمكننا أن نذكر من بين هؤلاء الكوشيين الحقيقيين الذين وفدوا إلى مصر : (١) ابن تهرقا من صلبه من زوجه الملكية الأولى المسمى نسشوتفنوت[2] وهو الكاهن الثانى لآمون بالكرنك . ومثل هذا الأمير كان غالبا يشغل وظيفة عالية . (٢) وكذلك عمدة المدينة « كلباسكن[3] » وقد كان يحمل لقب الكاهن الرابع وهو زميل للامير « منتومحات » . يضاف الى ذلك أنه كان يشغل وظيفة كاهن متقاعد للالهة « خنسو نفرحتب » . (٣) وأخيرا رجل البلاط البدين المسمى « ارجاديجانن » وقد عثر له على تمثال محفوظ بمتحف القاهرة وهو يعد من القطع الفنية الممتازة . ولا نزاع فى أنه كان يوجد فى مصر عدد كبير من الكوشيين فى ذلك العهد مختبئين تحت أسماء مصرية ولكن عددهم على أية حال لم يكن كبيرا .

---

(١) راجع Drioton—Vandier, L'Egypte, p. 526

(٢) Legrain, Cat Gen,III, p. II.

(٣) L. D., Text; III, p. 289.

ومهما يكن من أمر فان « وزارنس » آخر زوجات « منتومحات » وهى التى صوّرت معه على جدران قبره مع ابنها كانت أميرة نوبية ويحتمل أنها كانت حفيدة الملك « بيعنخى » وأن زواجها من « منتومحات » كان زواجا سياسيا أراده تهرقا لما كان يعرفه عن « منتومحات » من مهارة وبخاصة نفوذه وسلطانه وحسن سياسته فى الوجه القبلى بنوع خاص .

أما ما نفهمه من أمر صور « منتومحات » التى كانت فى ظاهرها تدل على تقاطيع نوبية فقد ترجع إلى طراز خاص بهذا العصر له نظيره فى التاريخ المصرى . والواقع أن « منتومحات » كان مصرى المحتد يجرى فى عروقة الدم المصرى الخالص كما ذكرنا من قبل ، ولكنه وفقا لسياسة التقرب للملك الكوشى صوّر نفسه بتقاطيع نوبية تشبه تقاطيع تهرقا وقتئذ وذلك على غرار ما فعله عظماء القوم فى عهد الفرعون «إخناتون» فقد رسموا رءوسهم شبيهة برأس الملك اخناتون وأسرته . ولا غرابة فى ذلك إذا علمنا أن ملوك كوش قد قاموا بعصر نهضة جديدة تقلد العهد الفنى الماضى الرفيع كما كانت تقلد كل ما هو قديم ينم عن العظمة واذا رجعنا الى صور تماثيل أسرة « منتومحات » التى خلفوها وراءهم وهى التى تحدثنا عنها من قبل نجد أنها كانت كلها تدل على أن أصحابها كانوا من دم مصرى خالص وطراز مصرى أكيد . وتدل شواهد الأحوال على أن « منتومحات » هو الذى أمر بصنع هذه التماثيل لأسرته التى يرجع تاريخها إلى عدة أجيال ، وأنها ليست من صنع أصحابها ، والواقع أن مظهرها يدل على أنها من صنع مفتّن واحد بعينه . وقد كان غرض « منتومحات » من ذلك إحياء ذكرى أجداده والتفاخر بما كان لهم من مجد قديم ومكانة رفيعة .

هذا وكان « منتومحات » صاحب ثروة ضخمة وجاه عريض وسلطان قوى لدرجة أنه كان فى عظمته ملكا ولا ينقصه إلا الاسم . وينم عن ثرائه وعظمته أولا قبره الضخم الذى خلفه وراءه فى جبانة طيبة «بالعساسيف» بجوار الدير البحرى. وهذا القبر لم يكشف عنه بعد تماما غير أن ما كشف عنه منه حتى الآن يدل على أنه كان يضارع

قبور الملوك فى ضخامته بل يفوقها . ومن الغريب أنه كان يتمثل فى أعماله بالملوك حتى أنه كان أول موظف نقش اسمه على حزامه كما ذكرنا من قبل . ويدل على مقدار ثروته بالنسبة لعظماء الشعب ورجال البلاط ما قدمه للتعبدة الإلهية « نيتوكريس » عندما وفدت إلى طيبة مقر « منتومحات » لتتسلم وظيفتها ، بمثابة دخل ثابت لها ، بوصفها زوج الإله آمون ، وذلك على حسب ما جاء على لوحة « نيتوكريس » نفسها فقد منحها « منتومحات » هو وابنه « نسبتاح » وزوجه لما يلزم لها من الخبز (وهو ما يعادل ٤٠٠ من ٦٠٠ دبن) وذلك فى حين أن الكاهن الأكبر لآمون المسمى « حور أخبيت » والكاهن الثالث « بدى — أمن — نب نستاوى » قد منحاها ما يعادل ١٠٠ دبن فقط . ويلحظ أن « منتومحات » . لم يقدم شيئاً للزوجة الإلهية « نيتوكريس» من دخل وظيفته بوصفه الكاهن الرابع لآمون إذ كانت وظيفته السياسية فى الواقع تغطى على وظائفه الأخرى .

فى عهد الملك « تهرقا »

« بيسديمن » بن « بكوش » وآثاره فى « طيبة »

(١) من بين التماثيل العدة التى عثر عليها المهندس « هنرى شفربيه » فى خلال السنين الأخيرة فى القطاع الشمالى الشرقى من سور معبد الكرنك ، تمثال مكعب الشكل قطع من الجرانيت الرمادى الذى تختلط بجزئياته بعض عروق بيضاء ، ويبلغ طوله حوالى ٢٥ سنتيمترا ورأسه مفقود ، والجزء الأسفل قد أصابه عطب ، وتدل شواهد الأحوال على أنه كان من المحتمل يرتكز على قاعدة جالسا القرفصاء .

وهذا التمثال مكعب الشكل ويدخل ضمن مجموعة يشاهد فيها عدم وضوح أعضاء الجسم وبخاصة الساقين فإنهما لا يميزان عن مجموع الجسم ، ولكن من جهة أخرى نلحظ أن اليدين قد نحتتا نحتا بارزا على الجزء الأعلى من التمثال وصورتا منسبطتين .

ويمكن تمييز منظرين على الوجه الأعلى للتمثال فعلى الجهة اليسرى مثل الإله خنسو بيده اليمنى فى فمه .

وعلى الجهة اليمنى مثل الإله « حور » واقفا وفى يده اليمنى طائر وهو يتقدم نحو الإله « أوزير » تتبعه « أزيس » واقفة .

وعلى الجهة اليمنى من هذا المنظر الأخير نقش فى سطر عمودى اسم ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « تهرقا » عائشا أبديا . وقد نقش كل من هذين المنظرين بحروف دقيقة الصنع .

وعلى الوجه الأمامى نشاهد الإلهة « موت » ونقوشاً هيرغليفية على جانبيها ، وهاك النص الذى جاء على هذا الجزء من التمثال : « قربان يقدمه الملك للإلهة « موت » العظيمة سيدة « أشرو » ربة السماء ، نائبة كل الآلهة : قربان من الخبز والجعة ورءوس الماشية

والطيور والملابس والمومر (أى أوان من المومر) يشم . . . المر والبخور ، وقربات سائلة من النبيذ واللبن ، والدخول والخروج من الجبانه دون أن تمتع روحه . . . بإتمـام شعيرة القربان لأجل روح رئيس التابعين ، القيم على أملاك « موت » المسمى « بيسيد يمن » المرحوم ابن القيم على أملاك « موت » المسمى « بكوش » ، والذى وضعته تابعة « موت » (المسماه) « تاحنأمون » ، يقول : يا أيها الكهنة خدام الإله ، والكهنة أبناء الآلهة ، والكهنة المطهرون (وعب) ، والكهنة المرتلون الذين يدخلون فى المعبد لإقامة الشعائر (التى ينبغى أن تقام) فى المعبد وإن إلهكم سيكافئكم عندما تحنون نحوى أيديكم حاملين البخور والقربات السائلة فى الوقت الذى تمرون بالقرب منى لأجل روح رئيس التابعين لأملاك « موت » (المسمى) « بيسيد يمن » المرحوم قولوا (ذلك لروح هذا الرجل) أما ذلك الذى سيعمل السوء للذى سيؤديها (أى القربات) فإنه سيمضى الليل . . . . » .

وجاء على الجهة اليسرى من التمثال ما يأتى : قربان يقدمه الملك للآلهة « بتاح سكر — أوزير » سيد « شتيت »[١] ليته يعطى كل القربات والمأكولات لروح « أوزير » المقيم على أملاك « موت » الرئيس الأعلى للتابعين للأملاك المذكورة (المسمى) « بيسيديمن » المرحوم .

هذا وقد نقش على جانبى القارب اسم « أزيس » العظيمة (الأم المقدسة) فى السماء وولية عهد الأرضين . ونقش فوق الصقر الذى يمثل الإله : « سوكر » فى « خنو » ، « سوكر » فى « شتيت » ، و « سوكر » فى « حرت إيب »[٢] .

ويوجد على الصف الأسفل من هذا المنظر الذى كسر جزءه الأسفل حاملان للقربان يحمل كل منهما مائدة قربان . وقد جاء مع الأولى النقش التالى :

---

(١) شتيت هو المحراب الذى يوضع فيه هذا الإله فى القارب الذى يحمل على الأعناق

(٢) حرت إيب هى قاعة للعبادة توجد فى المعابد منذ الدولة الحديثة .

« نطق : إنى أحمل إليك القربان » .

« نطق : إنى أحمل إليك المأكولات » .

وجاء مع المائدة الأخرى :

« نطق : إنى أحمل إليك الهدايا » .

« نطق : إنى أحمل إليك كل أنواع الأشياء الطيبة » .

ولا نزاع فى أن هذا الكلام موجه إلى الإلهة « موت » المنقوشة فى المنظر نقشا بارزا .

أما على الجهة اليمنى فلم يبق من نقوشها إلا النصف ، والمنظر كان فى الأصل يمثل عبادة الرمز المقدس « للعرابة المدفونة » .

وقد بقى من النقوش التى على يمين رمز « العرابة » خمسة أسطر : واحد منهما خاص « بأوزير » جاء فيه : « . . . » « أوزير » الذى يقطن الغرب ، الإله العظيم » .

أما الأسطر الأربعة الأخرى فقد جاء فيها : (قربان يقدمه الملك) « لإزيس » العظيمة ، الأم الإلهية ، « ولتحوت » العظيم سيد النطق المقدس ، لأجل أن يمنحا قربانا من الخبز والجعة والبخور على النار ، والنسيم الحلو من هواء الشمال للأنف لأجل روح « أوزير » رئيس التابعين (المسمى) « بيسيديمين » .

ظهر التمثال : هذا الجزء قد أصابه عطب كبير وهو يتألف من عمود قليل النتوء ، وقد نقش عليه ثلاثة أعمدة من الكتابة يلحظ فيها تطور صيغة القربان التى سنتحدث عنها فيما بعد . وقد جاء فيها : ياأيها الإله المحلى الخاص بالقيم على (أملاك « موت ») . . . . الرئيس الأعلى للتابعين للأملاك المذكورة (المسمى) « بيسيديمين » ابن القيم على أملاك الإلهة « موت » (المسمى) « بكوش »

المرحوم . ليته يوضع خلفه (أى الإله) فى حين ما تكون روحه أمامه أنه « أونى » (يشير إلى صاحب التمثال وكلمة « أونى » نعت من نعوت الإله « اوزير »[1]) .

(٢) وقد عثر لصاحب التمثال السابق الذكر حديثا على مائدة قربان وجدت فى ساحة مقبرة العظيم «منتومحات» فى أثناء الكشف الذى قام به الأستاذ « زكريا غنيم » فى هذه الجهة وقد تحدثنا عنها فيما سبق عند الكلام على مقبرة العظيم « منتومحات » وما وجد فيها من آثار .

الخلاصة : ان اسم « بيسيديمن » يمكن ترجمته : « ليت هديته تبقى » ومن المحتمل أن اسم هذا الرجل يرجع إلى أصل كوشى .

ولوحة قربان هذا المقيم التى عثر عليها فى ساحة « منتومحات » لم تقدم لنا شيئا من سلسلة نسبه ، ولكن جاء فيها نفس الألقاب التى جاءت على تمثال « بيسيديمن » هذا ، وهى « القيم على أملاك الإلهة « موت » والرئيس الأعلى للتابعين » . وهؤلاء التابعون كما يقول الأثرى « جوتييه » (Le Personnel du Dieu Min) هم أتباع الإله « مين » الذين كانوا يكلفون بتأليف موكب تمثال الإله منذ خروجه على الناس . وإذا كانت نظرية « جوتييه » صحيحة فإن الرئيس الأعلى لهؤلاء التابعين لابد كان رجلا صاحب مكانة عليا ، وذلك على الرغم من أنه قد حافظ على الوظيفة المتواضعة التى ورثها عن أبيه وهى « القيم على أملاك الإلهة « موت » ، ولكن يمكن ألا يعنى بلفظ التابعين كل أولئك الذين يشتركون فى خدمة الآلهة ويظلون حولهم .

إن التشابه فى الألقاب وفى اسم العلم الذى نجده على مائدة القربان وعلى التمثال الخاص بهذا الرجل يدل على أن الأثرين لفرد واحد بصورة واضحة .

---

(١) راجع Kirwan, Melanges Maspero, I, (1934) p. 375-377

غير أنه من الغريب مع ذلك أن نرى تمثال « الكرنك » ، هذا الذى تم صنعه فى عهد حياة الملك « تهرقا » ما بين عامى ٦٨٩ و ٦٦٤ ق.م يكون صاحبه « بيسيدين » مذكورا فى النقوش أنه « متوفى » ومنعوتا بأنه « أوزير » (أى فى عالم الآخرة) فى حين أنه قد ذكر على مائدة القربان بأنه « أوزير » ، ومصدرها مقبرة « منتومحات » أى أنه قد دفن قبل السنة التاسعة للملك « بسمتيك الأول » أى حوالى عام ٦٥٤ ق . م . ولابد من أن نعترف بأن وجود هذا الأثر فى مقبرة « منتومحات » يضع أمامنا مسائل تحتاج إلى فحص وحل كالتى تعترضنا فى وجود شخصيات أخرى أقل أهمية منه لهم مقاصير أقيمت فى قبره (منتومحات هذا) (1) .

والواقع أننا لا نعرف عن والدى « بيسيدين » إلا أنهما تابعان لكهنة الإلهة « موت » فتمثال « الكرنك » المكعب الشكل يقدم لنا اسم والدته « تاحنأمون » ، وقد كانت تابعة للالهة « موت » وعلى ذلك كانت عضوا من بين الكهنة الذين سيكون ابنها عضواً منهم . ونعرف من نفس هذا الأثر اسم والده وقد كان كذلك قيما على أملاك الإلهة « موت » ويدعى « بكوش » (ومعناها النوبى أو الحبشى) .

وتدل الظواهر على أن جد هذا الاسم يرجع إلى الدولة الوسطى فى تركيبه مع لفظة « كوش » ، وتجد هذا الاسم فى العصر المتأخر خلافا لما جاء على تمثال « بيسيدين » قد ذكر بالرسوم الآتية « بيكش » ، « بكش » و « باكاشاى » وقد استمر هذا الاسم فيما بعد فى الإغريقية والقبطية فى صورة المذكر والمؤنث ، فالمذكر كتب « بكوش » ، والمؤنث « تاكوشيت » ، واسم « بكوش » كان يطلق على كثير من الرهبان القبط ، وهو الاسم الذى ترجم إلى العربية بكلمة « حبشى » وهو علم يطلق الآن على عدد عظيم من الأفراد فى أيامنا هذه مثل « بانوب حبشى » و « لبيب حبشى » فهل بعد ذلك يمكننا أن نستخلص أن « بيسيدين » وأسرته كانوا من أصل نوبى ؟

---

(1) راجع Leclant, Enquetes Sur Les Sacerdoces et les Sanctuaires Egyptiens a L'Epoque Dité Ethiopienne. 1

ولنذكر هنا أن « مسبرو » قد كتب عن أسمـاء الأعلام التى من طراز « بكوش » قائلا : « إنى أعتبر أن الأفراد الذين يدعون « باخاروى » (السورى) « نحسى » (الأسود) « تاشاوى » (البدوى) لا يعدون الآن غرباء عن مصر[1] إذ هى فى الواقع كما عندنا (Le Lallemand, les Langlais, les Suisse) » . وعلى أية حال فإن الموازنة التى أتى بها « مسبرو » ليست مقنعة تمـاما ، إذ الواقع أن فى مصر لا ينتقل الاسم نفسه حتما من الأب للابن ، وذلك على عكس ما هو سائد فى الغرب الحديث حيث نجده متصلا ومستمراً فى الأسرة . ومن جهة أخرى يمكن أن نفرض أن إسمـا مثل النوبى (بكوش) أو غيره كان يعطى أحياناً لطفل من فرع مصرى أصيل بسبب لون بشرته المـائلة إلى السواد أو بسبب خاصية جسمية أياً كانت جعلته يشبه السودانى ، وعلى ذلك فإن الموضوع لايزال معلقاً ، غير أنه من المستحيل أن « بيسيد يمين » بن « بكوش » كان من أصل نوبى بعيد إذا كان أهله قد هاجروا إلى مصر منذ زمن بعيد أو قريب ، وربمـا كان فى مقدورنا أن نتأكد من أصل « بيسيد يمين » النوبى إذا كانت سلسلة نسبه ترجع إلى الجيل الذى قبل ذلك أو إذا كنا قد وجدنا مثلا أفراداً يدعون « بكوش » فى أجداده أو وجدنا كذلك أفراداً يحملون أسمـاء نوبية مماثلة فى كتابتها باللغة المصرية القديمة .

---

(١) راجع Maspero, Etudes de Mythologie and D'Archeologie Egyptienne, VII, p. 140 No..1

تمثال الكاهن « إتى » وأسرته
من عهد الملك شبكا

يوجد بالمتحف البريطانى تمثال يحمل رقم ٢٤٤٢٩ وهو تمثال مكعب الشكل من الحجر الجيرى فى حالة حفظ تامة ولم ينشر المتن الذى نقش عليه بأكمله ، وكل ما نشر منه هو التاريخ الذى دون عليه وقد ذكرناه فيما سبق ، وقد بقى موضع خلاف إلى عهد قريب جدا .

وهذا التمثال يقدم لنا سلسلة نسب لطائفة من الكهنة الطيبيين . وتفاصيل نحت هذا التمثال وبخاصة الرأس تستوقف الأنظار بدقتها[1] .

والواقع أن هذا التمثال قد بلغ درجة الكمال ولكنه الكمال الذى يعتوره بعض الجمود . فتفاصيل نحته ممتازة قد عنى بها الى درجة عظيمة . ويبلغ ارتفاع هذا التمثال ٢٤ سنتيمترا و ٥ مليمترات وعرض القاعدة يبلغ ٢١ سنتيمترا وثمانية مليمترات . وجسم هذا التمثال المكعب الشكل قد مثل فى صندوقه بصورة مزملة فلم يبرز فى تمثيله الساقان أو القدمان ولكن من جهة أخرى نلحظ أن الذراعين قد مثلتا واليد اليسرى قد مثلت منبسطة فى حين أن اليد اليمنى قد مثلت بصورة بارزة خارجة من الثوب الذى يلبسه قابضة على شجرة أو نبات .

ويرتدى « إتى » شعرا مستعارا يحتوى على عنصرين ، فالعنصر الأملس منهما قد بقى فيه بقايا لون أسود وقد أسدل حتى الكتفين ، وقد ظهرت منه الأذنان ، أما الجزء الأسفل من ذلك الذى فوق الخدين فقد نحت فيه نوع من الرباط يتصل بلحية مربعة . وأنف هذا التمثال مدبب لدرجة ملحوظة والفم صغير ينم عن قوة الإرادة والسيطرة .

وهذا التمثال ليس له عمود يرتكز عليه ولكن الجزء الذى أمام جسم التمثال نقش

---

(١) راجع عن المصادر الخاصة بهذا التمثال Leclant, Enquetes Sur les Sacerdoces et les Sanctuaires Egyptiens à L'Epoque Dite Ethiopienne, p.15 ff

عليه بعناية متن يحتوى على ثلاثة عشر سطرا . وهاك النص : « السنة الخامسة عشرة اليوم الحادى عشر من شهر بئونة فى عهد جلالة ملك الوجه القبلى والوجه البحرى « شبكا » عائشا مثل « رع » أبديا . نطق يقول : ليت « رع حور آختى » الإله العظيم وسيد السماء ، وأتوم سيد الأرضين الهليوبوليتى « أوزير » الذى يشرف على الغرب الإله العظيم[1] ، يعطى القربان والأغذية ، ورءوس الماشية والدواجن والبخور والملابس والمرمر وكل شئ جميل وطاهر ، وكل شئ لذيذ وحلو ، وكل شئ تعطيه السماء وكل شئ تخلقه الارض ، وكل النباتات ذات الرائحة الذكية ، والنبيذ واللبن لأوزير الكاهن والد الإله المتفوق النشاط والصحة ، ورئيس الأسرار لأملاك « آمون » ، المعروف لدى الملك ، عظيم المنصة الخاصة بالملك « بيعنخى » ، ابن « ازيس » ، محبوب « آمون » عائشا أبديا ، رئيس الحريم والذى فى شهره (= كاهن الشهر) ، والرئيس لطائفتى الكهنة الثانية والثالثة لأملاك « خنسو الطفل » (شبه هنا خنسو بحور الطفل) « إتى » ابن المحبوب من الإله ، الكاهن « حبت وزات »[2] الخاص بالإلهة « موت » سيدة السماء ورئيس الحريم للاله « خنسو الطفل » « أرعاخنسو » المرحوم ابن الكاهن والد الإله « لآمون » ورئيس الحريم « إتى » ابن محبوب الإله ، والفلكى فى « الكرنك » ورئيس الحريم للاله « خنسو الطفل » ، والمعروف لدى الملك

---

(١) المقصود هنا إله واحد وهو « رع حور أختى — آتوم — أوزير » . وكان الإله الشمسى فى هذا الوقت يميل إلى تحقيق دوره فى الشعائر الجنازية ، ومن ثم نجد أن الأناشيد الخاصة بالتماثيل التى صور عليها لوحات كانت على ما يظهر موزعة عند مدخل مقبرة العظيم « منتومحات » وتشيد باسم إله الشمس فى مظهريه عند الشروق (رع حور أختى) وعند الغروب (أتوم) بوصفه ضمانا للحياة السعيدة فى عالم الآخرة . وبصفة عامة نجد أن اسم « رع حور اختى » قد ظهر كثيرا مصحوبا باسم « أوزير » ومن المحتمل بصفة أدق فى عدد محدود من المناظر ذات التوازن إذ نجد أن الإله الجنازى يظهر فى صورتين ؛ فى صورة « أوزير » وفى صورة « رع حور أختى » . فمثلا فى لوحة محفوظة الآن فى متحف « أدنبرة » وتحمل اسم شبكا راجع Miss M.A. Murray, Catalogue Edinburgh, p. 29,55 and 56 No. 444. وقد مثل فى جزئها الأعلى المستدير الإله « أوزير » و « رع حور أختى » مسندين على عمود من النقوش جاء فيه : « أوزير » رب الحياة » ، وكذلك صيغة القربان وجدت فى حالة المفرد ، وهذا يدل على توحيد التقدمة . راجع كذلك أمثلة أخرى فى : Leclant, Enquetes, p. 19

(٢) راجع عن هذا اللقب الخاص بعبادة الإلهة « موت » فى « طيبه » Leclant, Enquetes. p. 24 وينطقه بعض اللغويين « سخن وزات » .

« عنخفنموت » المرحوم بن كاهن « آمون » « حورسا أزيس » المرحوم ابن رئيس النشاط والصحة لأملاك « آمون » ، وكاهن « آمون » فى « الكرنك » إتى المحترم .

ومما سبق يتضح أن نقوش هذا التمثال الذى يرجع تاريخه إلى السنة الخامسة عشرة من عهد الملك « شبكا » قد وضعت أمامنا سلسلة نسب من الكهنة التابعين للاهوت « طيبة » ويمكن تلخيصها فيما يأتى :

رقم	الاسم	الألقاب
(١)	« إتى »	رئيس النشاط والصحة لبيت « آمون » وكاهن « آمون » فى « الكرنك »
(٢)	« حورسا أزيس »	كاهن « آمون »
(٣)	« منخفنموت »	محبوب الإله والفلكى فى « الكرنك » والمعروف لدى الملك ورئيس الحريم للاله « خنسو الطفل »
(٤)	« إتى »	الكاهن والد الإله « لآمون » ورئيس الحريم
(٥)	« إرما خنسو »	محبوب الإله والكاهن « حبت وزات » للالهة « موت » سيدة السماء ورئيس حريم الإله « خنسو الطفل »
(٦)	« إتى »	رئيس النشاط بالصحة لبيت « آمون » والمعروف لدى الملك وعظيم المنصة الخاصة بابن « إزيس » « يعنخى » محبوب « آمون » العائش أبدياً ، والمشرف على الحريم ، والذى فى شهره ، والكاهن رئيس الطائفتين الثانية والثالثة لبيت « خنسو الطفل »

وإذا فرضنا فى المتوسط خمسا وعشرين سنة لكل جيل ، ومع العلم أن « إتى » رقم ٦ كان موظفاً فى بلاط « شبكا » حوالى عام ٧٠٠ ق . م . فإنا نصل إلى أن « إتى » رقم واحد كان يعيش حوالى عام ٨٢٥ ق . م . أى فى قلب الأسرة الثانية والعشرين .

والواقع أن غموض بعض الألقاب مثل لقب رئيس النشاط والصحة الذى يحمله « إتى » رقم (١) و « إتى » رقم (٦) ، وكذلك اللقب « محبوب الإله » الذى يحمله كل من « عنخفنموت » رقم (٣) و « إتى » رقم (٦) تجعل من الصعب الحكم بوجه التأكيد على مركز هذه الأسرة . ومع ذلك نرى أن أعضاءها يشغلون مراكز بين كهنة « آمون » مثل « إتى » رقم (١) و « عنخفنموت » رقم (٣) و « إتى » رقم (٤) و « إتى » رقم (٦) . كما كان بعضهم يشغل مراكز فى كهنة كل من « موت » و « خنسو » وهما المكملان لثالوث « طيبة » ، ويدل استمرار وظائفهم فى كهنة « طيبة » على أن هذه الأسرة تابعة لجماعة الموالين الذين أيدهم الأثيوبيون فى أماكنهم فى « طيبة » عند الفتح الكوشى . وفضلا عن ذلك فإن آخر متن لفرد معروف لدينا من سلسلة نسل « إتى » كان مكلفا بإقامة الشعائر الاحتفالية لأحد الملوك المؤسسين لهذه الأسرة وهو « بيعنخى » العظيم .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن ذكر عبادة « بيعنخى » فى عهد « شبكا » يعد دليلا قاطعاً على إثبات عدم قيام منافسة . ومن باب أولى عدم وجود كراهية فى قلب الأسرة الكوشية التى حكمت فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين [1] .

---

(١) راجع J. Yoyotte, Rev. D'Eg., 8 (1951), p. 225

تمثال « باكنبتاح »

من عهد « شيكا »

كان من بين العظماء الذين كانوا فى خدمة المتعبدة الإلهية : (وهى التى كانت تعتبر أميرة من دم ملكى ووهبت نفسها للرهبنة وجندت نفسها بالتبنى لأجل أن تكون زوجة « آمون » الطيبى على الأرض) المشرف العظيم للبيت ، وقد تحدثنا عن بعض هؤلاء الرؤساء العظام للبيت فى الجزء العاشر من هذه المجموعة ص ٥٠٨ الخ ، وقد تناولنا الكلام عن المشرف العظيم للبيت « آخآمون رو » الذى كان فى خدمة المتعبدة الإلهية « شبنوبت » الثانية ابنة « بيعنخى » وأخت الملك « تهرقا » بشئ من التفصيل . وتكملة لما أوردناه هناك عثرنا حديثاً على بعض وثائق جديدة من بينها تمثال لفرد يدعى « باكنبتاح » وكان الأثرى « لجران » قد تعرف عليه من قبل[1] وهو يضع أمامنا سلسلة نسب المشرف الأعظم للبيت « آخآمون رو » وقد دوّن هذا النسب فيما سبق غير أننا لم نورد ما جاء على تمثاله (« باكنبتاح ») من نقوش .

وأهمية هذا التمثال قد وضحت من أن فرداً يدعى « بكيرى » وآخر يدعى « باكنبتاح » قد ذكرا كذلك على بردية مؤرخة بالسنة الرابعة عشرة من عهد الملك « بسمتيك الأول » بالكتابة الهيراطيقية والهيراطيقية الشاذة . وهذه الورقة محفوظة الآن بمتحف « بروكلين » وقد تحدث عنها الأثرى « باركر » فى مؤتمر المستشرقين الثالث والعشرين فى كمبردج (من ٢٤ أغسطس سنة ١٩٥٤) .

وتمثال « باكنبتاح » هذا محفوظ بمتحف القاهرة[2] ويبلغ ارتفاعه ٢٦ سنتيمترا وهو منحوت فى الجرانيت الرمادى المبقع ، وقد أصاب النقوش التى عليه بعض العطب .

---

(١) راجع A.S., VII, p. 191

(٢) راجع J. E., 37866=Cachette de Karnak No. 608

مثل « با كنبتاح » (= خادم الإله « بتاح ») جد « آخآمون رو » جالسا على مقعد يرتكز على قاعدة ويلبس على رأسه شعراً مستعاراً ذا فروق عمودية وعيناه تنظران إلى الأمام وجسمه مزمل فى ثوب فى كل أجزائه ولم يظهر منه إلا جزء من تحت الرقبة والقدمان واليدان ، وهذه هى الصورة الشعرية للتوفى الذى يمثل فى صورة الإله « أوزير » ، ونقرأ على مقدمة ثوبه فى الوسط النقش التالى : « قربان يقدمه الملك «لآمون» سيد عروش الأرضين ، ليته يعطى قرباناً من الخبز والجعة والماشية والدواجن لروح كاهن « آمون » ورئيس كتبة الوثائق » .

هذا ويشاهد تحت قدمى التمثال من أمام القاعدة البداية المزدوجة لنقش يلف حول القاعدة .

ويشاهد على الجهة اليمنى من التمثال فى الجزء الأسفل سطرٌ من النقوش يحلى القاعدة كما يشاهد فى الجزء الأعلى ستة أسطر من النقوش وصورة شخص ماشٍ برأس عارٍ ويرتدى جلد فهد .

وهاك النص : « إنه ابن كاهن « آمون » فى « الكرنك » ، ورئيس كتبة الوثائق ، وكاهن الإلهة « ماعت » ابنة « رع » : « بكيرى » الذى عملها له لأجل أن يجعل اسمه يحيا فى بلدته . . . . » .

وعلى الجهة اليسرى نشاهد شخصاً ماشياً رأسه عارٍ ويقدم على ما يظن مبخرة ومعه النقش التالى : ابنه البكر من صلبه ، الذى يحبه والمالك لكل ممتلكاته كاهن « آمون » ورئيس كتبة الوثائق وكاهن الإلهة « ماعت » ابنة « رع » « بكيرى » الذى وضعته السيده « أرت باستت رو » عمله لأجل أن يحيى اسمه » .

وجاء على الجزء الخلفى من التمثال الذى يتألف من عمود لحماية التمثال ما يأتى : « يا أيها الإله المحلى لكاهن « آمون رع » ورئيس كتبة الوثائق ، وكاهن الإلهة

« ماءت » ابنة « رع » (المسمى) « باكنبتاح » المرحوم ابن كاهن « آمون » ورئيس كتبة الوثائق (المسمى) « عنخ باخرد » ، ليته يوضع خلفه فى حين تكون روحه أمامه أنه « اويونى » (= لقب للاله أوزير) وقد نقش حول القاعدة المتن التالى من جهة اليمين : « قربان يقدمه « منتو » رب « طيبة » ، ليته يمنح كل شئ طيب وطاهر ولذيذ وأن يكون له قربان كل يوم وأن يخرج عند الصوت (أى سماع الصوت) عندما ينادى (أى المتوفى) لأجل روح كاهن « آمون » : « باكنبتاح » المرحوم .

وجاء على الجهة اليسرى : « قربان يقدمه الملك « لآمون رع » رب عروش الأرضين ، ليته يعمل على أن يصل الخبز « ستنو » فى قاعة « جب » العظيمة فى حضرة أسياد « هليوبوليس » لأجل روح كاهن « آمون » رئيس كتبة الوثائق وكاهن « ماءت » ابنة « رع » (المسمى) « باكنبتاح » .

ولا نزاع فى أن أهمية نقوش « باكنبتاح » تسمح لنا أن نضع سلسلة نسب لعدة أجيال — على الأقل من جهة فرع الذكور — لأسرة كهنة ، والمعلومات التى نحصل منها من ذلك تتفق مع المعلومات التى لدينا عن آباء المدير العظيم للبيت « آخآمون رو » الذى فصلنا القول عنه فى الجزء السالف من هذه الموسوعة . فوالد « آخآمون رو » هذا يدعى « بكيرى » ولما كانت الألقاب التى يحملها « بكيرى » فى وثائق « أخآمون رو » وعلى هذا التمثال فإنه مما لا شك فيه أن الأخير كان والد « آخآمون رو » كما أوضحنا ذلك فى الجزء التاسع من هذه المجموعة ص ٥٢٧ الخ .

هذا ويخوّل لنا وجود اسم « بكيرى » الذى دوّن بين الذين وقعوا ورقة « بروكلين » المؤرخة بالسنة الرابعة عشرة من عهد « بسمتيك الأول » أن نحدد من حيث التأريخ سلسلة نسب هذه الأسرة ، وعلى ذلك فإنه من الجائز أن « عنخ باخرد »

يصعد فى نسبه الى عهد المتعبدة الإلهية « شبنوبت الأولى » . وأن نرى فيه طيبيا مواليا للحزب الأثيوبى (أو لكوش) ، يضاف الى ذلك أن « بكيرى » كان كذلك فى السنة الرابعة عشرة من عهد « بسمتيك الأول » لايزال على قيد الحياة ويشغل وظيفته وقد ورث عن جده ووالده ألقاب كاهن « آمون » ورئيس كتبة الوثائق . وقد استبق لابنه « أخآمون رو » تولية الوظيفة العالية بين عظماء رجال المتعبدة الإلهية وأعنى بذلك وظيفة المشرف العظيم للبيت .

إصلاح المحاريب المصرية

فى عهد الملك « شبكا » فى « دندرة » وغيرها

توجد فى المتحف المصرى لوحة تحمل رقم ٤٤٦٦٥ فى دفتر السجل . عثر على هذا الأثر فى خرائب « دندرة » وهو عبارة عن لوحة جزءها الأعلى مستدير ومصنوعة من الجرانيت الأسود ويبلغ ارتفاعها ٤٩ سنتيمترا وعرضها ٣٠ سنتيمترا وسمكها ١٠ سنتيمترات وتدل حالتها على أنها قد نزعت من مجموعة آثار كانت ضمنها ومن المحتمل أنها كانت جزءاً من تمثال يقدم نقشا وهو راكع .

وفى الجزء الأعلى منها مثل منظر يعلوه علامة السماء وفى الجهة اليمنى منه مثل الملك بتاج آتف واقفا فى هيئة إنسان يمشى ويرتدى القميص المثلث الشكل المحلى بذيل الثور الطويل العادى ونشاهد يده اليسرى مرفوعة ويده اليمنى تحمل الرغيف المخروطى الشكل . وهذا الوضع يمثل لنا حالتين من الحالات الشعيرية ، فتقديم الرغيف بيده اليمنى يمثل القربان ورفع اليد اليسرى يمثل التعبد .

ويرى خلف الفرعون سلسلة رموز واقية قد جمعت هنا لحفظ صورة الملك التى كانت تعد ناشئة فنشاهد مروحتين وعتبتى باب وتغطيتها وعقربا (يمثل الإلهة « سلكت ») مشبوكا مع العلامة شهر وأخيرا فى أسفل يوجد الرمز « زد » (= الثبات) الذى له ذراعان فى صورة الرمز كا ⊔ مثل قابضا على المجموعة التى يتألف منها اسم « آمون » ، فالرمز الدال على الجزيرة ⊂⊃ والعلامة الدالة على الماء ﹏ التى تحتوى عليها قد مثلت هنا بشرطة بسيطة أفقية ، وكل هذه العناصر الواقية قد حفرت حفراً غائراً ويواجه الملك الإلهة « حتحور » سيدة « دندرة » وقد مثلت واقفة وبيدها اليسرى علامة « واس » وفى يدها اليمنى علامة الحياة ، وخلف « حتحور » يقف الإله « حور سماتاوى » برأس صقر ، وفى يده اليسرى الصولجان « واس » وفى اليمنى رمز الحياة .

وعنوان المنظر هو : نذر الرغيف الأبيض لوالدته لأجل أن يمنح الحياة أبديا . « وقد كتب هذا النقش بين الملك والإلهة « حتحور » . ونقش فوق الملك : « حور . . . سيد الأرضين . . . . معطى الحياة والثبات أبدياً » . ونقش أمامه : نطق : « إنى أعطيك كل الحياة والسعادة (هكذا تقول) « حتحور » سيدة « دندرة » ، وقد صحب اسمها الصيغة : « ليتها تعطى الحياة والسعادة مثل « رع » . نطق : « إنى أعطيك كل الحياة والسعادة وكل الصحة أبدياً (هكذا يقول) « حور سما تاوى » .

واسم الملك الذى عمل فى عهده هذا الأثر قد محى ولم يبق منه إلا جزء بسيط ، والأسماء الخمسة التى يتألف منها لقب الملك قد ذكرت فى السطرين الأول والثانى من النقش الرئيسى الذى يوجد تحت منظر القربان الذى وصفناه ، ويمكن أن تقرأ فى التكسير بعد التكملة أسماء الملك « شبكا » . وهذا التكسير كان قد عمله الملك « بسمتيك الثانى » فى عهد الأسرة السادسة والعشرين لأجل أن يكون هذا الأثر باسمه هو . والواقع أنه يكفى لتحويل لقب الملك « شبكا » وهو « نفر كا رع » إلى لقب الملك « بسمتيك الثانى » وهو « نفر إب رع » تغيير علامة واحدة وبذلك يكون لدينا طغراء « بسمتيك الثانى » الذى فى عهده غزيت بلاد كوش وهزمت هزيمة منكرة كما سنرى بعد . هذا وقد حدث بعض تغيير آخر فى النقوش ليلتئم مع التغير الذى حدث .

وهاك الترجمة للمتن الرئيسى : « حور » . . . . صاحب السيدتين . . . . حور الذهبى . . . . ملك الوجه القبلى والوجه البحرى . . . ابن « رع » . . . عائشاً أبدياً ، محبوب « حتحور سيدة دندرة » . أمر لرئيس العمائر للوجه القبلى والوجه البحرى ، البانى لقصور الملك فى كل مكان يرغب فيه (المسمى) « باوذى نحور » ابن « باوواحامن » إقامة جدار حول معابد آلهة الوجه القبلى والوجه البحرى لأجل أن تقوم الكهنة خدام الإله والخدمة (العاديون) بتأدية الشعائر لهم وهم مطهرون ، حتى تأتى الآلهة نحو محاريبهم ويتصرفوا فى القربات المقدسة التى عملها ملك الوجه القبلى

والوجه البحرى (تهشم جزئى « نفركارع ») المحبوب من « حور سماتاوى » .
ويقول الخادم لسيده : لقد حل فى « دندرة » وفيها ولدت . وأنه لحسن لجلالتك أن تأمر (كذلك) بإقامة آثار لأمك « حتحور » سيدة « دندرة » وهاك جلالته قد أمر بعمل آثار لوالدته « حتحور » سيدة « دندرة » من الفضة والذهب ، ولم يعمل شئ مثلها منذ الأجداد ، فليتهم يعطونه مكافأة على ذلك ملايين السنين ملك الوجه القبلى والوجه البحرى سيد الأرضين . . . . ابن رع . . . . محبوب « حتحور » سيدة « دندرة » معطى الحياة مثل « رع » أبدياً .

تعليق : يدل متن هذه اللوحة على أن الموعز بتأليفها وإقامتها فرد من أفراد الرعية من كبار الموظفين وقد كان غرضه على ما يظهر أن يتحدث فيها عن نفسه وعن أصله كما هى العادة ثم لتكون بمثابة مرسوم ملكى حرره هو بيده على ما يظهر . فنقرأ فى الجزء الأول صورة المرسوم الصادر من مركز السلطة العليا أى الملك ، وقد وصف فيه الأعمال التى لابد من تنفيذها فى المعابد المصرية . فنشاهد منها حباً ضخماً لإصلاح المعابد ، وهذا على ما يظهر كان عنصراً من عناصر أساس النهضة الكوشية التى قامت فى البلاد ، ففى عهد هذه الأسرة الجنوبية رأت مصر إصلاح آثارها ومضاعفة النذور للآلهة . ولأجل أن تفيد هذه الآثار من القربان كان من المرغوب فيه أن تحقق بعض شروط الشعائر ، ومن أجل ذلك نرى الإشارة فى هذا المتن إلى الصلة بين إقامة الأسوار من جديد وحالة الطهارة التى يجب أن يكون عليها أولئك الكهنة الذين كان عليهم أن يقوموا بواجباتهم فى داخل هذا السور .

ويلحظ أن « باودى نحور » رئيس الأعمال عند ما أراد أن ينقل متن المرسوم الملكى لم يفته أن يحشر اسمه فشوه بذلك وحدة هذه الوثيقة .

ونشاهد كذلك فى الجزء الأخير من المرسوم أن نفس هذه الشخصية قد حشرت جزءاً من ترجمة حياتها وفيها نشاهد تعلق صاحبها بأرض الوطن الذى حملته أمه فيها والتى وضعته فيها ، ويلحظ هنا أن الرابطة بالمتن الأصلى ليست ظاهرة تماما . غير أنه

يمكننا أن نعترف بأنه لما كان « باودى نحور » قد كلف بتنفيذ ما جاء فى المنشور الملكى وهو الذى كان يمتد إلى كل الإقليم فإنه انتهز الفرصة لجذب نظر الفرعون إلى «دندرة» مسقط رأسه . وقد تقبل الفرعون قبولا حسناً ملتمسه، ومن أجل ذلك دعا له « باودى نحور » بطول العمر والسعادة الأبدية .

وقد بقيت عبادة «حتحور» التى رأيناها موضحة بالمنظر المنحوت فى الجزء المستدير من هذه اللوحة التى نحن بصددها على أية حال عند الفراعنة الكوشيين فيما بعد . فمن عهد الملك « أمتالقا »[1] بن الملك « اسبلتا » بقيت لدينا لوحة صغيرة من الذهب نشاهد فيها هذا الملك الذى ينسب إلى الأسرة الأولى النباتية يقوم بدوره الذى يدل على ولائه لتلك الإلهة العزيزة لدى « باودى نحور » ، وقد ذكر بأنه فى الواقع محبوب « حتحور » سيدة «دندرة» ونائبة الآلهة . ومن ثم نشاهد أن المبادرة التى قام بها رئيس الأعمال الذى نحن بصدده قد رسمت بمقتضى تأثيرات شعرية متبعة ، ولا نزاع فى أن الأهمية الخاصة بعبادة الإلهة « حتحور » صاحبة « دندرة » فى الأرض النوبية تعد من العناصر التى تسهل علينا فهم صياغة أسطورة الإلهة القاسية[2] .

ومن ثم نرى أن هذه اللوحة رقم ٤٤٦٦٥ الموجودة بالمتحف المصرى تقدم لنا سلسلة معلومات ذات أهمية خاصة عن الحياة الدينية فى « دندرة » فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين ، وبخاصة عند ما نعلم أنه قد وجدت فى « دندرة » تماثيل عدة شخصيات[3] من هذا العهد .

هذا ولسنا فى حاجة إلى ذكر ما كان عليه ملوك الأسرة الخامسة والعشرين من تقى وصلاح وتدين عميق وورع خالص وقد أشرنا إلى ذلك فى مواضع عدة فيما سبق .

---

(١) راجع .Dows Dunham and Laming Macadam, J.E.A., Vol.35, p. 142, No.12

(٢) راجع Junker, Der Auszug der Hathor-Tefnut aus Nubien, Vienne-Berlin, 1911

(٣) راجع .Porter and Moss, V, p. 116

المدنية فى العهد الكوشى

مقدمة : ظل الاعتقاد السائد عن عصر النهضة الأخيرة أنه بدأ بقيام الأسرة السادسة والعشرين التى وضع أساسها الملك «بسمتيك الأول» حوالى عام ٦٦٤ ق.م. غير أن الكشوف الحديثة التى عملت فى مصر وبلاد النوبة العليا فى خلال الربع الأول من القرن العشرين قد برهنت على أن هذه النهضة تضرب بأعراقها إلى أوائل الأسرة الخامسة والعشرين التى أسسها وأقام صرحها الملوك الكوشيون الذين بسطوا سلطانهم على مصر وبلاد السودان معا حوالى قرن من الزمان (٧٦٠–٦٥٣ ق. م.)، وفى خلال تلك المدة قام ملوك هذه الأسرة الكوشية بنهضة جديدة عمت بلاد السودان ومصر جميعا ، غير أن مصدر هذه المدنية وما قامت به من تجديد يرجع فى أصله إلى الحضارة المصرية القديمة فى عهود ازدهارها وبهجتها وعنفوانها .

ولا غرابة فى ذلك فإن الذين قاموا بهذه النهضة المباركة كانوا على ما يظن من أصل مصرى عريق ، هذا بالإضافة إلى أن كلا من مملكة مصر وبلاد السودان كانت فى معظم تاريخها تسير على نهج وثقافة موحدة . فمصر كانت الأم التى تغذى بلاد السودان بمعارفها وعلومها وفنونها وصناعاتها كما كان كل من البلدين يدين بالولاء والطاعة لآلهة موحدة تعبد فى كلتا البلدين منذ أقدم العهود . وسنحاول هنا بعد الاستعراض الذى دوناه فى الفصول السابقة عن ملوك هذه الأسرة وما قاموا به من أعمال تجديد فى جنوب الوادى وشماله أن نضع صورة مختصرة عن الحياة الدينية فى تلك الفترة من تاريخ البلدين .

المعتقدات الدينية فى هذا العصر

لا نزاع فى أن الدولة الكوشية التى قامت فى بلاد كوش فى مدينتى « الكورو » و « نباتا » وغيرهما من مدن السودان كان أساسها على ما يقال نزوح طائفة كهنة « آمون رع » الذين هاجروا من مصر إلى « نباتا » واعتصموا فى معبدها القديم فى جبل « برقل » المقدس الذى يرجع عهده إلى زمن ملوك الأسرة الثامنة عشرة وبخاصة التحامسة ، وقد كانت هجرتهم أو فرارهم خوفا من عدوان « شيشنق الأول » الذى استولى على ملكهم فى «طيبة » عنوة حوالى ٩٥٠ ق . م . ونصب ابنه كاهنا أكبر هناك وبذلك هدم سلطانهم وقوض عرشهم الذى كان حصنهم الحصين طوال عهد الدولة الحديثة »

أسس هؤلاء الكهنة الفارّون لهم سلطاناً فى إقليم « نباتا » ثم أخذ سلطانهم يعظم فى هذه الجهة وغيرها من بلاد كوش ، وظلوا بمعزل عن مصر لم نسمع عنهم شيئا حتى طالعتنا الكشوف الحديثة بقيام دولة فى هذه الأصقاع كان لهم فيها شأن عظيم ؛ وتدل شواهد الأحوال على أن حكامها كانوا يرقبون عن كثب سير الحوادث فى مصر فى العهد اللوبى حتى حانت الفرصة ولمسوا جانب الضعف فى تلك الدولة الهرمة فى مصر فانقضوا عليها وعلى رأسهم ملكهم « كشتا » واستولوا على إقليم « طيبة » مقر عبادة الإله « آمون رع » الذى كانوا يعظمونه ويتعبدون إليه بقلوب ملؤها الورع والخشية والتقى العميق فى معبد « جبل برقل » . ولا غرابة فى ذلك فقد شاهدنا أن أفراد هذه الأسرة قد أقاموا له المعابد والمحاريب فى طول بلادهم وعرضها وبخاصة فى « نباتا » و « صنم » و « مروى » .

وقد كان أول عمل قام به « كشتا » بعد فتح إقليم « طيبة » أن نصب ابنته « أمنردس » متعبدة إلهية (أى بمثابة كاهنة عظمى لطيبة) وبذلك استرد « كشتا » ما كان قد فقده كهنة « آمون » من سلطان فى هذه البلدة . وقد لعبت المتعبدات

الإلهيات أو زوجات « آمون » فى « طيبة » دوراً هاماً فى خلال هذه الأسرة والتى تلتها ، وكان لهن من النفوذ والسلطان ما خول لهن حمل لقب الملك ومميزاته . والواقع أنهن كن ملكات متوجات فى إقليم « طيبة » وذلك بفضل ما كان لهن من مكانة دينية عظيمة وقد فصلنا القول فى ذلك فيما سبق [1] .

وتدل النقوش التى تركها لنا ملوك الأسرة الكوشية على أن دولتهم فى مصر قد قامت بالدعوة إلى عبادة «آمون رع» والتمسك بعقائدها وشعائرها يشد عضدهم فى ذلك حماس رجال دولة فتية لم تكن المدنية قد أفسدت أخلاق رجالها ، وذلك فى وقت كانت الحالة فيه فى شبه فوضى أى العهد اللوبى الذى انتهى به الأمر أن قسمت البلاد فيه عدة مقاطعات يقوم على رأس كل واحدة منها أمير يدين بديانة معبود مقاطعته ويعده الحامى لذمارها والمدافع عنها .

هذا ونشاهد التفاف الكوشيين حول عبادة « آمون رع » وتمسكهم بها وعلى رأسهم مليكهم فيما نجده فى الكلمات التى حث بها « بيعنخى » جنوده على حرب الأمير « تفنخت » عندما أراد الأخير أن يطرد الكوشيين من مصر عنوة وكان صاحب قوة وعزم ، ولكن « بيعنخى » تغلب عليه بما كان يتصف به هو ورجال جيشه من حماس دينى واعتقاد راسخ فى قوة « آمون » الذى يمنح النصر لمن يشاء لدرجة أنه أمر قواده أن يعطوا العدو اختيار الزمان والمكان لأجل الحروب وكل الفرص الملائمة وقد كان السر فى ذلك ما فاه به لقائده : « عليك أن تعرف أن « آمون » هو الإله الذى أرسلنا (فهو كفيل بالنصر) » . ولعمرى فإن ذلك يذكرنا بالحماس الدينى الذى كان يتصف به المسلمون فى بادئ أمرهم وقد كفل لهم الظفر والنصر فى كل الميادين أو الجنة وكلاهما مغنم .

وكذلك نجد « بيعنخى » يأمر جنوده عند الاقتراب من « طيبة » التى يقيم فيها

(١) راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٥٠٤

« آمون » إلهه العظيم بقوله : « وعندما تصلون إلى « طيبة » قبالة « الكرنك » فانزلوا إلى الماء وطهروا أنفسكم فى النهر وأظهروا أنفسكم فى ملابس كتان نظيفة وشدوا القوس وارموا بالسهم ولا تفخروا بأنكم أرباب القوة لأنه بدونه (أى « آمون ») لا تكون لشجاع قوة ، إذ قد يجعل القوى ضعيفاً وبذلك تفر الكثرة أمام القلة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله) ، وإن رجلا واحداً قد يستولى على ألف رجل ، أغسلوا أنفسكم بماء قربانه وقبلوا الأرض قبل محياه وقولوا له : « امنحنا سواء السبيل حتى نستطيع أن نحارب تحت ظل سيفك القوى الخ » . وهذا لا يحتاج إلى تعليق . ولا غرابة بعد ذلك فى أن نرى « بيعنخى » كان كلما فتح مدينة من مدن مصر الوسطى أو السفلى كان يسلم ما فيها من مخازن وغلال قربانا للاله « آمون رع » رب « طيبة » وإله «بيعنخى» الأعظم وصاحب « الكرنك » .

وعندما حاصر « بيعنخى » « منف » واستعصت عليه جمع مجلسه الحربى غير أنه لم يأخذ برأيه بل اتبع رأيه هو الذى كان ينحصر فى الاستيلاء عليها بالهجوم متكلا فى ذلك على الإله « آمون » الذى كان يناصره فى كل المواطن (وهو فى ذلك شبه « تحتمس الثالث » أمام « مجدو ») ولذلك قال : « أنى أقسم بحب « آمون رع » لى و بحظوة والدى « آمون » الذى أوجدنى أن ذلك لابد أن يصيبها على حسب ما أمر به « آمون » ، وهذا ما سيقوله الناس بعد ، إن الأرض الشمالية ومقاطعات الجنوب قد فتحت له أبوابها من بعيد لأنهم لم يضعوا « آمون » فى قلوبهم ولم يعرفوا ما الذى أمر به فإن « آمون » قد جعله يظهر شهرته كما جعله يرى جبروته وسأستولى عليها كالفيضان . . . » .

والواقع أنه يمكن تشبيه هذه الفترة من تاريخ مصر بأنها كانت عصر انحلال دينى صارخ كما يمكن تشبيه ملوك كوش فى نهضتهم بملوك الوهابيين فى خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فى حماسهم الدينى والتمسك بأهداب العقائد الدينية القديمة مع بعض الفروق .

وعلى الرغم من أن « بيعنخى » وأخلافه كانوا يميلون كل الميل لعبادة « آمون » فإنهم كانوا فى الوقت نفسه يجدون آلهـــة المصريين الآخرين كما كانت الحال فى عصر الامبراطورية ، ولا ريب فى أن ما جاء فى لوحة « بيعنخى » قد أوضح لنا تمـاما كيف كان ملوك كوش يتبعون بكل دقة شعائر الدين المصرى فقد عمل « بيعنخى » كل ما فى وسعه ليظهر تمسكه بالعقيدة الشمسية القديمة فى « هليوبوليس » وانه بدون اتباعها ومراعاة ما جاء فيها لن يكون ملكا على مصر ، كما وجدناه فى مشهد آخر من مشاهد هذه اللوحة قد رفض التسليم التام لأولئك الأمراء المصريين الأنجاس الذين كانوا يسمحون لأنفسهم بأكل السمك الذى كان فى عقيدته محرما .

وقد اتخذ « بيعنخى » سياسة حكيمة فى غزوه لمصر فقد كان من دأبه أن يزور معابد الآلهة المحليين فى كل بلدة يخضعها ويقدم للآلهة القرابين فى كل الأحوال وقد فعل ذلك فى « الأشمونين » و « أهناسية المدينة » و « الفيوم » وسائر مدن المقاطعات الأخرى فضرب بذلك مثالا رائعاً فى السماحة وحسن السياسة . وتلك كانت السياسة الرشيدة لكل من كان يريد السيطرة على نفوس الشعب المصرى فى كل أطواره القديمة والحديثة .

هذا ولا ننسى أن « بيعنخى » وغيره من ملوك كوش كانوا يستعينون كذلك بآلهة آخرين فى جلب رضى الشعب ونيل النصر فقد رأيناه يستميل أهالى « منف » للتسليم دون سفك الدماء وقد وعدهم بأنه سيقرب القربان للاله « بتاح » القاطن جنوبى جداره وللاله « سكر » فى مكانه السرى (راجع ص ٤٨ من هذا الجزء) كما أغدق على آلهة المدينة جميعاً مع الإله « آمون » كل ثروتها بعد فتحها . وسنرى بعد أن الإله « بتاح » كان له مكانة خاصة عند ملوك كوش .

ومما يلفت النظر كذلك أن « بيعنخى » قد وصف فى هذه اللوحة بأنه استمد قوته من قوة الإله « ست » الذى كان يعبد فى بلدة « برنخم خبررع » الواقعة بجوار

« اللاهون » الحالية . ومن ثم نفهم أن الإله « ست » كان لا يزال حتى الآن ينظر إليه بأنه إله شديد القوى ويشبه به الملوك لا إله شر وحسب ، ولكن يجوز أنه كان ينظر إليه بهذه الصفة فى البلدة التى كان يعبد فيها وحدها (ص ٤٧) . كذلك نشاهد فى نفس اللوحة أن « تفنخت » بعد هزيمته عندما أراد أن يطنب فى قوة « بيعنخى » وشدة بطشه وصفه بقوله : « حقاً أنك الإله « ست » (نوبتى) المسيطر على الأراضى الجنوبية وفى آن واحد الإله « منتو » ذلك الثور صاحب الساعد القوى (فى حومة الوغى) » . وهذا يؤكد لنا أن الإله « ست » كان وقتئذ مثله كمثل الإله « منتو » إله الحرب العظيم لا إله شر وحسب .

وتدل النقوش والآثار على أن الإله « آمون رع » كان يعبد فى صورة بولهول برأس كبش ولم يكتف « بيعنخى » بصنع تماثيل إلهه هذا على هذه الصورة بل اغتصب بعض التماثيل الجميلة التى صنعها ووضعها « أمنحتب الثالث » فى معبده بمدينة « صلب » (ص ٦٦) . ولا يزال منها اثنان فى مكانهما الأصلى . وكان بطبيعة الحال يمثل مع « آمون » أحياناً الإلهة « موت » زوجه والآله « خنسو » ابنهما وهما المكملان لثالوثه العظيم . هذا ونجد « لبيعنخى » منظراً فى معبد الإلهة « موت » ربة « أشرو » « بالكرنك » غير أنه تذكارى على ما يظن (ص ٦٨) .

وكذلك نشاهد « بيعنخى » فى لوحة له عثر عليها فى معبده العظيم بجبل « برقل » وقد مثل مع ثالوثه (انظر ص ٦٨) ، وتدل نقوش هذه اللوحة على أن « بيعنخى » كان فى حرج عند بداية ملكه وأن « آمون » وثالوثه قد ثبتاه على العرش .

وفى عهد الملك « شبكا » الذى تولى الملك بعد « بيعنخى » حوالى ٧١٦ ق. م. تكشف لنا النقوش عن صفحة جديدة فى تاريخ الحياة الدينية فى عهد هذه الأسرة الكوشية . وأول ما يلحظ هنا عن هذا الملك أنه كان أول من اتخذ مقر ملكه بمصر فى مدينة « طيبة » بدلا من « نباتا » التى كانت العاصمة الكوشية لسلفه ، ولذلك نجده

اهتم بالآثار الدينية القائمة فى « طيبة » باسم والده « آمون » فقد أصلح البوابة الرابعة « بالكرنك » وزينها بالذهب و الفضة وذلك اعترافا منه بالجميل لوالده « آمون » الذى أمده بنصر من عنده على الأعداء (ص ٧٦) وكذلك أقام آثاراً له بمعبد « الكوة » غير أنه بجانب ذلك نراه قد اهتم اهتماما بالغاً بإحياء ما كان قد عفا عليه الدهر ودثر من معالم الآثار الدينية فى العهود السابقة لعصره . هذا بالإضافة لما قام به من إصلاحات ونهضة فى النواحى الأخرى من نواحى الحياة المصرية .

والواقع أنه وصل إلينا من عهده المتن الحقيق لوثيقة يقال إنها دونت فى عهد بداية الاتحاد الثانى للملكة المصرية من عهد الملك « مينا » وقد وصلت إلينا نسخة من هذه الوثيقة منقوشة على حجر أسود محفوظ الآن بالمتحف المصرى غير أنه قد أصاب بعض أجزائه الكثير من العطب ويدعى الملك « شبكا » أنه نسخ هذا الحجر عن بردية كانت قد أكلها الدود وبذلك أنقذ المتن من العدم ، ويدل ما جاء فى المتن على أنه نقل من جديد فى بيت والده « بتاح » القاطن فى « منف » وهى المدينة التى كان يقطنها وقتئذ « شبكا » بوصفها عاصمة ملكه ، وقد قال عنه إنه من تأليف الأجداد ومن ثم نفهم اهتمام هذا الفرعون بإحياء الآثار القديمة وفى الوقت نفسه ينسب نفسه إلى السلالة المصرية ، والواقع أن ذلك العصر كان الفترة التى قامت فيها نهضة جديدة لإحياء مجد مصر القديم فى شمالها وجنوبها من كل النواحى (انظر ص ٧٩ الخ) ولا غرابة فى ذلك فإن المصريين والكوشيين هم من أصل حامى واحد .

ومتن الوثيقة يشبه كل الشبه القصص المقدسة التى مثلت فى المسرحيات الرمزية فى القرون الوسطى والمسرحية المنفية التى نحن بصددها (انظر ص ٨٠ الخ) تعد أقدم سلف لها ، وقد وجدنا أن الإله « بتاح » إله « منف » يقوم فى كل من الجزء المسرحى والجزء الفلسفى الذى يحتويه هذا المتن بدور إله الشمس الذى يعد إله مصر الأعلى ، وذلك يفسر لنا ما كان يرمى أليه « شبكا » من جعل « بتاح » هذا الإله المحلى يحصل على عظمة إله الشمس « رع » وما كان له من سلطان وذلك بأن يتقلد

سلطته العالمية ويستولى على الدور الذى لعبه فى تاريخ مصر الأسطورى . وتدل شواهد الأحوال على أن هذه المسرحية الفلسفية هى من تأليف كهنة « منف » وأن الذى أمر بإنشائها هو « شبكا » حينما اتخذ هذه المدينة عاصمة له مريداً بذلك أن يجعل إلهها المحلى فى القمة مشرفا على الآلهة المصريين جميعا بمـا فيهم الإله « رع » نفسه . ويمكن تلخيص محتويات هذه المسرحية بأنها محاولة لتفسير الأشياء على حسب نظرية كهنة « منف » ويدخل فى ذلك نظام العالم الخلقى ، وكذلك لتدل على أن أصلها يرجع إلى « بتاح » إله « منف » ، أما كل العوامل التى ساعدت على خلق العالم أو المخلوقات التى كان لهـا نصيب فى ذلك فلم تكن إلا مجرد صور أو مظاهر « لبتاح » إله « منف » المحلى المسيطر على أصحاب الحرف والصناعات والذى يعد إله كل حرفة ، وأنه هو الإله الأحد الفرد الصمد وخالق « رع » نفسه الذى كان يعد على حسب نظرية كهنة « عين شمس » هو الإله خالق العالم كله وقد أسهبنا فى هذا الموضوع فى مكانه[1] .

على أن ما قام به « شبكا » من تعظيم « بتاح » والرفع من شأنه للدرجة القصوى لم يجعله يغفل أمر إله بلاده العظيم « آمون » فقد رأيناه ينصب أحد أبنائه وهو « حورمأخت » كاهناً أكبر « لآمون » فى « طيبة » على الرغم من وجود المتعبدة الإلهية التى كانت تسيطر فعلا على شئون إقليم « طيبة » ، غير أن الكاهن الأعظم « لآمون طيبة » وقتئذ كان لقباً يكاد يكون فخريا وحسب إذ لم يكن لحامله أى سلطان فى تلك الفترة من تاريخ البلاد (ص ٩٩) لأن كل السلطان كان فى يد المتعبدة الإلهية أو زوجة « آمون » أو يد الإله .

هذا وقد استمر تمجيد عبادة « بتاح » فى عهد الملوك الذين خلفوا « شبكا » حتى فى بلاد النوبة فقد وجد له تمثال فى بلدة « جماتون » (الكوة) بوصفها إلهها (انظر ص ١٢١ و ص ١٥٦) وسمى « بتاح ، رب « جماتون » (الكوة) .

---

(١) راجع ص ٨٠ — ص ٩٩ من هذا الجزء .

ولما استقر الملك للملك « تهرقا » فى مصر وبلاد السودان أخذ أولا فى إصلاح المعابد القديمة وإقامة أخرى جديدة وقد حبا الإله « آمون » صاحب « جمأتون » باقامة معبد فاخر (انظر ص ١٣٣) وزينه بصور للاله « آمون » على هيئة كباش وأقام معبدا آخر لهذا الإله فى بلدة « صنم » على غرار المعبد السابق ، وهذا المعبد الأخير كان يسمى معبد « آمون رع » ثور أرض القوس (النوبة) .

ولم ينس « تهرقا » أن يزين نقوش معبده فى « الكوة » بصور آلهة نوبية فنقش صورة الآلهة « عنقت » إحدى آلهة ثالوث « الشلال » بشكلين مختلفين فكان تجديداً طريفاً (ص ١٣٤ — ١٣٧) .

ومما هو جدير بالذكر هنا أن الإله « آمون » قد مثل فى معبد « الكوة » فى المحراب مع الآلهتين « ساتيس » و « عنقت » مكونا معهما ثالوثا ، وبذلك يكون قد حل محل الإله « خنوم » الذى كان يمثل فى صورة كبش وكان يعتبر الإله الحارس لاقليم « الشلال » . وهاتان الإلهتان هما زوجتاه ، وقد كان الإله « خنوم » منذ زمن بعيد الإله الحارس للمستعمرات المصرية التى فى أقصى الجنوب . ولا نزاع فى أن التغير هو من فعل كهنة « آمون » الذين كانوا يقصدون من وراء ذلك سيادة إلههم العظيم « آمون » . هذا ويلحظ أن فى كل من معبدى « الكوة » و « صنم » قد أقام « تهرقا » محرابا صغيرا خاصا أو مقصورة للاله « آمون » داخل أربعة أعمدة فى الجنوب الشمالى لقاعة العمد وقد قلده فيما بعد الملك « اسبلتا » أحد ملوك كوش المتأخرين باقامة محراب فى الجنوب الشرقى من القاعة نفسها .

هذا ونجد أن « تهرقا » كذلك قد اهتم بمدينة « منف » وإلهها « بتاح » ، ولا غرابة فى ذلك فقد توج فيها ملكا على البلاد ومن المرجح أنه قد اتخذها عاصمة لملكه . وفى لقبه إشارة إلى ذلك فقد لقب « رع حافظ نفرتم » وذلك لأن الإله « نفرتم » كما هو معلوم أحد أفراد ثالوث مدينة « منف » وهم « بتاح » و « سخمت » زوجه ثم ابنهما « نفرتم » ، هذا بالإضافة إلى أن اسم « تهرقا » محبوب « بتاح »

كان شائعا فى نقوشه ، ومن ثم نفهم أن أعظم إلهين كانا يعبدان فى العهد الكوشى هما الإله « آمون » أولا ثم الإله « بتاح » ثانيا وقد أقام « تهرقا » للأخير معبدا خاصا « بالكرنك » ولكن خارج أسواره وأهداه له باسمه « أوزيربتاح » (ص ٢٣٨ و ٢٥١) .

ومما يلفت النظر أن الإله « آمون » كان يسمى « آمون نباتا » فى بلاد السودان وكذلك كانت تسمى « موت » زوجه « موت صاحبة نباتا » وقد أقام « تهرقا » لها ولزوجها « آمون » معبدا فى جبل « برقل » وقد جاء فى إهدائه : لقد عمله (أى المعبد) أثراً له لأمه « موت صاحبة نباتا » فقد أقام لها معبدا من جديد من الحجر الرملى الجميل الخ (انظر ص ٢٣٠) .

وكذلك يشاهد فى هذا المعبد أن الملك يقدم البخور للاله « أنحور » (أونوريس) إله الحرب والظاهر أن هذا الإله قد لعب دورا هاما فى حياة الملك « تهرقا » بوصفه ملكا محاربا ، وكذلك فى حياة غيره من ملوك كوش . والواقع أننا نجد أن الملوك فى هذا العهد كانوا يرتدون ملابس هذا الإله بوصفه إله حرب ، وقد كان الملك يدعى فى هذه الحالة ابن « رع » مثل الإله « أونوريس » كما جاء على اللوحة الرابعة السطر الثالث وهذا المنظر يوحى إلينا اعتقاد وجود عبادة لهذا الإله فى بلاد النوبة ، وهذه العبادة على أية حال قد شوهدت فى معابد «جبل برقل» من ذلك أن هذا الإله « أونوريس » قد مثل فى مناظر عدة فى معبد « جبل برقل » رقم ٣٠٠ [1] . وكذلك مثل على عمود فى قاعة العمد العظيمة فى المعبد رقم (٥٠٠ ب [2]) حيث نجد ذكر الإلهين « شو » و « تفنت » ، وكذلك نجد فى نقوش الملك « حرسيوتف [3] » أن الإله « أونوريس » كان يعبد فى مدينة « أرتيناى » . وفضلا عن ذلك نشاهد عبادة

---

(١) راجع L.D., Text. V, 259 ; Ibid, 261

(٢) راجع L.D., Text. V, 271

(٣) راجع Urk., III, 136, 7

هذا الإله على تعاويذ وجدت فى معبد « صنم »[1] . وتدل الكشوف الحديثة على أن الإله « أونوريس » كان يرافق الملك « تهرقا » فى حروبه الخارجية كما تدل على ذلك النقوش التى وجدت على تماثيله التى عثر عليها حديثا فى خرائب « الموصل » (نينوه) .

الإله « ددون » : ومن أهم التجديدات الدينية التى نشاهدها فى معبد « جبل برقل » الكبير إعادة عبادة الإله « ددون » الذى ينسب إلى أصل نوبى محض بل هو الإله القومى لبلاد النوبة فقد جاء ذكره فى متون الأهرام بوصفه إله النوبة . وهذا الإله قد بقى يذكر فى النقوش المصرية القديمة حتى عهد الملك « سيتى الأول » فى بلاد النوبة حتى جاء عهد « تهرقا » فوجدناه مذكوراً بين آلهة معبد « جبل برقل » غير أن المنظر وجد مهشما وقد شرحنا هذا المنظر شرحا وافياً (انظر ص ٢٢٨ الخ) .

وخلاصة القول أن الآلهة المصرية كانت تعبد فى بلاد النوبة بصورة بارزة وبخاصة الإله « آمون » الذى كان يظهر بوصفه الإله الرئيسى فى العواصم الدينية الأربع فى بلاد النوبة فقد وجدنا فى النقوش أن الملك « أنلامانى » قد وهب أخواته البنات الأربع للاله « آمون » القومى الذى ظهر فى العواصم الأربع بصور مختلفة وهى « نباتا » و « بنوبس » و « صنم » الذى ظهر فيها « آمون » بوصفه ثور النوبة وأخيراً « الكوة » (جماتون) وقد تحدثنا عنها طويلا ولدينا له آثار عدة ، وخاصيات « آمون جماتون » هى جزئياً كخاصيات « آمون طيبة » و « آمون نباتا » فنجده ممثلا فى صورة أسد ومتوجا بقرص الشمس وكذلك بالريشتين ، ومعبده مزين بالكباش[2] وكان يقدم له أوان وتعاويذ[3] . ومحلى برءوس كباش . وكذلك كان ينذر له صورة الأوزة وهى مظهر من مظاهر هذا الإله . وقد كان « آمون » منذ الدولة الحديثة

---

(١) راجع A.A.A , 9 Pl. 62 (10) ; p. 124; Ibid, 10, Pl. 26 (25) cf. p. 121

(٢) راجع Ibid, Pl. XXXVIII- XLI

(٣) راجع Ibid, Pl. III, XII, XIII.

يحمل النعت الخاص « الأسد » . كما كان ينادى بوصفه الذى يتعرف « على الموالين له ، ومن قربه علو ، ومن يأتى إلى من يدعوه » وكذلك كان يدعى « آمون العظيم أو القديم » .

وكان القيام على خدمته مضمونا بأعطيات عدة ملكية فى « جمأتون » فقد كان له كهنة يتقاضون أجوراً كما كان له مغنيات عديدات . وكانت تقام له الأحفال الرهيبة فى خلال الزيارات الملكية تصحبها قوبات من الأطعمة . وتدل الهبات التى قدمها « تهرقا » لهذا الإله فى « جمأتون » على ما كانت عليه البلاد فى عهده من رخاء وثراء يذكرنا بعهد ملوك الأسرة الثامنة عشرة .

ومما يلفت النظر فى مناظر معبد « بتاح » الذى أقامه « تهرقا » خارج أسوار معبد « الكرنك » (ص ٢٣٨) المنظر الذى مثل فيه أربعة الآلهة الذين فى الجهات الأربع أو أركان العالم الأربعة وهم : « ددون » ويمثل الجنوب والإله « سبد » أى إله الشرق (آسيا) والإله « سبك » فى صورة تمساح وهو إله الغرب (أى التحنو أو الليبيون) والإله « حور » محبوب والدته وقد مثل فى صورة صقر ويمثل مصر . ويلحظ أن الإله « ددون» قد مثل هنا بلباس رأس بسيط وهو كوفية ولحية طويلة مستعارة ويزين رقبته قلادة كبيرة ويغطى جسمه قميص ضيق ويتدلى من حزامه ذيل الحيوان المعروف الذى يلبسه الملوك .

والمتن الذى يتبع هذا الإله مهشم ولكن يمكن أن نقرأ منه اسم هذا الإله وهو « ددون » الذى على رأس بلاد النوبة . هذا وقد نقش تحت كل من هؤلاء الآلهة سطر جاء فيه مثلا : « نطق : إن الإله « ددون » قد نصب فوق حامله لأجل أن يعمل . . . » ، ومعنى هذا المتن أن إلها من هؤلاء الآلهة الأربعة كان يمثل الملك نفسه . وإذا كان « تهرقا » قد ظهر فى صورة كل من هؤلاء الآلهة وهم « ددون » و « سبد » و « سبك » و « حور محبوب والدته » فإن ذلك يرجع إلى أن هؤلاء

الآلهة كانوا يمثلون الجهات الأربع الأصلية أى الجنوب والشرق والغرب والشمال وبعبارة أخرى العالم المعروف للمصرى وقتئذ ويحتوى بلاد كوش وآسيا ولوبيا ومصر. وكان « تهرقا » يقصد من ذلك أنه سيحكم أركان العالم الأربعة بوصفه متقمصاً صور هؤلاء الآلهة الذين يحكمون هذه الجهات . ولا غرابة فى ذلك فإن هذا يتفق وأطماع الملك « تهرقا » الذى عد من أقطاب العالم الفاتحين فى نظر الكتاب الإغريق. وخلاصة القول فى هذا المنظر انه يدل على اتساع أفق هذا الملك وما كان يرمى إلى الوصول إليه عن طريق الآلهة والدين ، ولكن على الرغم من كل ذلك كان الإله « آمون رع » هو الإله الأعظم فى نظر الدولة (انظر ص ٢٣٩) . وتدل شواهد الأحوال على أن « تهرقا » كان يقلد فى ذلك الملوك الفاتحين أمثال «تحتمس الثالث» وغيره (ص ٢٤٠) .

وتدلنا الآثار الباقية على أن « تهرقا » قد عنى عناية خاصة بعبادة الإله « أوزير » فأقام له المحاريب فى معبد « الكرنك » فلدينا معبد « أوزير نب زت » (أى أوزير رب الأبدية) ص٢٤٩ كما أقام مقصورة لنفس هذا الإله فى نفس المعبد وأطلق عليها اسم مقصورة « أوزير رب الجبانة » . وقد آزره فى إقامة هذين المعبدين المتعبدات الإلهيات اللائى كن قد اتخذن « طيبة » عاصمة لملكهن .

أما عن كيفية إقامة الشعائر فى هذا العهد فكانت تقام فى معابد أقيمت على غرار معابد الدولة الحديثة غير أنها زينت ببعض المناظر المستعارة من مناظر الدولة القديمة، وذلك لأن ملوك هذه الأسرة كانوا قد أرادوا إحياء مجد البلاد القديم من كل الوجوه، ولكن المناظر الهامة الخاصة بإقامة الشعائر الدينية لا تختلف كثيرا عن مناظر الدولة الحديثة فى جملتها من حيث الشكل (انظر وصف معبد « جماتون » من ص ١٥٠ — ١٨٠) . هذا وقد تحدثنا فى الجزء العاشر عن التغيرات التى حدثت فى التعابير الشعيرية وفى الصيغ الجنازية (أنظر الجزء العاشر ص ٥٤٤) .

أما طرق الدفن فى هذا العهد فقد قدمت لنا المقابر التى كشف عنها فى جبانتى « الكورو » و « نورى » عن صفحة جديدة فى طرق الدفن وبخاصة تطور المصاطب إلى أهرام فى تلك الفترة وتميز بخاصيات معينة عن الأهرام المصرية بعض الشئ وقد فصلنا القول فيها فيما سبق ، ولكن يجب أن نفهم أن الشعائر الدينية كانت مصرية محضة ، ولا غرابة فى ذلك فإن الذين قاموا بأدائها كانوا من المهاجرين من مصر فى بداية العهد اللوبى .

حالة البلاد الاقتصادية والثقافية
فى العهد الكوشى

تعد لوحة « بيعنخى » أكبر مصدر لدينا عن حالة البلاد المصرية إبان الفتح الكوشى للبلاد كما أن جبانة « الكورو » وجبانة « نورى » تعدان من أهم المصادر التى يمكن استخلاص شئ عما كانت عليه البلاد الكوشية فى تلك الفترة من رخاء ورغد فى العيش وتقدم فى الصناعات والفنون .

فإذا أخذنا الحقائق التى وردت فى هذه اللوحة على ظاهرها تمثلت لنا البلاد المصرية فى عهد « بيعنخى » فى صورة بلاد تزخر بالغنى والثراء ولكن إذا فحصنا الأمور من أصولها وجدنا أن هذه الثروة كانت منحصرة فى طائفة خاصة من أفراد الشعب وأعنى بهم حكام الإقطاع ، كما هى العادة فى كل بلد يسود فيها الحكم الإقطاعى ، والواقع أننا نفهم من لوحة « بيعنخى » أن البلاد كانت مقسمة إقطاعات عدة ، على رأس كل منها أمير من الأمراء اللوبيين الذين كانوا مسيطرين على البلاد أكثر من مائتى عام ، فكان معظم ثروة البلاد فى أيديهم كما كانوا هم المتصرفين فى أرزاق الشعب الذى كانوا يعتبر أفراده عبيداً لهم . والواقع أن كل واحد من هؤلاء الأمراء كان يعد نفسه ملكا له جيشه وخدمه وحشمه وحكومته وماليته ، ولا ريب فى أن أمراء مصر فى كل أحوالهم وقتئذ يكادون يمثلون صورة مطابقة لأمراء المماليك البحرية والبرجية فى التاريخ المصرى الحديث من حيث الغنى والبذخ واستعباد أفراد الشعب. ولسنا ندرى إذا كان هؤلاء الأمراء قد ورثوا هذا الثراء وهذا الغنى عن أجدادهم الذين سبقوهم أم كان مما كسبت أيديهم ومما قاموا به من إصلاح كل فى مقاطعته . والنقوش التى لدينا تكاد تكون صامتة عن هذا الموضوع تماما كما أن الهدايا التى كان يقدمها كل أمير مقاطعة تنم عن مقدار ثراء هذا الأمير، غير أنها لا تضع أمامنا صورة واضحة عن حالة المقاطعة نفسها ؛ فنجد أن « نمروت »

أمير « الأشمونين » بعد أن هزمه « بيعنخى » وسلم مدينته يقدم له الهدايا الكثيرة من الفضة والذهب واللازورد والفيروز والبرنز وكل الأحجار الثمينة فملأ الخزينة بهذه الجزية وأحضر له جواداً فى يده اليمنى وصناجة فى يده اليسرى من الذهب واللازورد ولعمرى فإن هذه الأشياء تنم عن ثراء فاحش ، غير أن شواهد الأحوال تدل على أنها كانت كنوزاً مدخرة منذ أجيال وإلا فكيف كان يمكنه أن يجلب هذه الأشياء من بلاد السودان أو من آسيا وهى مغلقة فى وجهه ، اللهم إلا إذا كان ذلك من باب التجارة والتبادل السلعى ولكن ليس لدينا ما يحدثنا عن ذلك .

ولدينا صورة صادقة عن مقدار ثروة « تفنخت » العدو الألد الذى قاوم « بيعنخى » مقاومة جبارة حينما كان يتحدث لجنوده ليدافعوا عن « منف » فيقول : تأملوا ! إن « منف » قد اكتظت بالجنود من خيرة من فى أرض الشمال ومخازنها تفيض بالشعير والبر وبكل أنواع الأسلحة ، وأنها محصنة بجدار . . . ويوجد فيها حظائر للماشية مملوءة بالثيران والخزانة مجهزة بكل شئ من ذهب وفضة ونحاس وملابس وبخور وشهد » .

ولا نزاع فى أن هذا البيان يدل دلالة واضحة على تقدم الزراعة والصناعة وتربية الماشية فى البلاد آنذاك كما أن جيش كل مقاطعة كان مجهزاً تماما بكل ما يلزمه (ص ٢٤) من عدة وعتاد .

وقد قبل « بيعنخى » رجاء « بدى باست » حاكم « أتريب » (بنها الحالية) لزيارة بلده بعد أن أغراه بما لديه من ثراء ، فقد قال له : « إن بيت مالى مفتوح لك فابسط يدك على أملاك والدى (أى التى ورثتها من أبى) وإنى سأقدم لك ذهبا بقدر ما يرغب فيه قلبك ، أما الفيروز فإنه سيكون أمامك ، وكذلك جياد عدة من أحسن ما فى الاصطبل وخيرة ما فى الحظيرة » . وهكذا نفهم من ذلك أن تلك الثروة أو على الأقل جزءا منها كانت موروثة . وعندما دخل « بيعنخى » قصر هذا الأمير قدم له فضة وذهبا ولازوردا وفيروزا بمقدار عظيم من كل شئ وملابس من الكتان

الملكى المتنوع النسج وسررا محلاة بالكتان الجميل والعطور والمسوح فى أوان جميلة الصنع وجياداً من أحسن ما فى اصطبله . ثم نرى نفس الأمير يبرئ نفسه من أنه أخفى شيئا من غناه الموروث أمام حكام المقاطعات الأخرى فيكشف لنا عن محتويات خزائنه مرة أخرى فيقول لرفاقه (ص ٣٥) : « إذا كنت قد أخفيت أى شئ عن جلالته من كل متاع بيت والذى من ذهب وفضة وأحجار ثمينة من كل أنواع الأوانى ومن الأساور الذهبية والعقود والقلائد المرصعة بالأحجار الغالية ومن التعاويذ الخاصة بكل عضو وأكاليل الرأس وأقراط الآذان وكل زينات خاصة بملك وكل الأوانى الخاصة بطهور الملك من ذهب وأحجار ثمينة فإن كل هذه قد قدمتها إلى حضرته الملكية وملابس من الكتان الملكى بالآلاف من أحسن ما فى بيتى الخ» . وهذه الصورة تكشف لنا عما كان فى هذه المقاطعة من صناعات وحرف وفن ، هذا إذا لم تكن كلها أو جزء منها كان موروثا من أجيال مضت .

والظاهر أن الحرف والصناعات لم تكن قد ماتت فى مصر فى تلك الفترة من تاريخها بل كانت مزدهرة مستمرة منذ أقدم العهود ، فقد وجدنا أن الملك « تهرقا » عندما أراد أن يقيم المبانى الدينية فى بلاد النوبة وبخاصة فى معبدى « الكوة » (جمأتون) و « صنم » أحضر العمال والفنانين وأصحاب الحرف من « منف » ومن أنحاء القطر والبلاد المجاورة . هذا ونجد فيما جاء فى وصف معبد « الكوة » الذى أقامه « تهرقا » فى « الكوة » (جمأتون) ما فيه الكفاية للدلالة على ما كانت عليه بلاد السودان وقتئذ من ثراء يفوق الوصف . هذا بالإضافة إلى ما حبسه هذا الفرعون وأهداه لهذا المعبد من عقار ومتاع وبخاصة أن بلاد النوبة والسودان كانا المصدر الرئيسى للذهب ، فاستمع إلى ما جاء فى وصف هذا المعبد (انظر ص ٢٢٨) : « وقد أقامه من حجر ممتاز جميل صلب ، وقد رفعت العمد وحشيت بالذهب الجميل وطعمت بالفضة ، وبوابته أقيمت بصنعة جميلة ، وركبت أبوابه من خشب أرز حقيقى ، وعملت المزاليج من نحاس أسيوى ، وحفر اسم جلالته العظيم بكل الكتاب وأصحاب

الأصابع الماهرة . ونقشت بصناع حاذقين فاقوا ما صنعه الأقدمون، ومون مستودعه وزودت موائد قربانه وملئت بموائد الشراب من الفضة والذهب والنحاس الأسيوى وكل أنواع الأشجار الثمينة الحقيقية التى لا تحصى . وملأه بخدم عديدين ، وعين له خادمات (كاهنات) من أزواج زعماء الوجه البحرى . وعصر نبيذ كروم هذه المدينة (يقصد مدينة « جمأتون » وهى « الكوة » الحالية) وأنه أغزر من نبيذ «جسر جس» وعين بستانيين ماهرين من منتوآسيا ، وملأ هذا المعبد بالكهنة وهم رجال كانوا يعرفون تعاويذهم وهم أبناء العظماء من كل بلد، وحشد بيته بمغنيات ليغنوا أمام وجهه الجميل » . والواقع أن هذا الوصف لا يضع أمامنا ما كانت عليه البلاد من ثروة وتقدم فى الفن والزراعة والحرف والصنائع فقط بل كذلك يشير من بعيد إلى ما كان للملوك كوش وقتئذ من سلطان على بلاد مصر وما كان لهما من نفوذ فى لوبيا وبلاد آسيا المجاورة لها وقد شرحنا ذلك فى غير هذا المكان (انظر ص ٢٢٦) .

على أن أعظم وثيقة تحدثنا عما كانت عليه المملكة الكوشية من رخاء وعزة على الرغم مما أصابها من أضرار فادحة من جراء الحروب الطاحنة التى وقعت بينها وبين بلاد آشور ، تلك الوثيقة التى دونها « منتومحات » على جدران مقصورة « تهرقا » التى أقامها فى معبد الإلهة « موت » بالكرنك . والواقع أن الإصلاحات التى قام بها هذا الأمير العظيم الذى كان يعد أقوى وأعظم شخصية فى البلاد فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين تدل دلالة صريحة على أن البلاد المصرية على الرغم من التخريب والدمار الذى لحقها فى عهد الآشوريين كانت لا تزال تفيض بالثراء وأن هذا الغزو لم يؤثر فيها تأثيراً اقتصادياً أو فنياً بصورة محسة ، فنجد أنه أحضر خشب الأرز من بلاد لبنان لبناء السفن الإلهية بلغ طول الواحدة منها ثمانين ذراعا وصاغ مقصورتها من الذهب ورصعها بكل أنواع الأحجار الثمينة كما طهر كل معابد الآلهة فى كل المقاطعات على حسب القواعد المتبعة . هذا فضلا عن الإصلاحات التى عملها فى « طيبة » . يضاف إلى ذلك أنه أعاد أوقاف وقربان كل إله ، كما أعاد له حريمه

وضاعف أسطوله ، كما ملأ مخازن الغلال بباكورة الحقول ، وجعل السفن التى تجلب الخيرات « لآمون » تروح وتغدو فى أوقاتها المعلومة ، وجعل كل كاهن يقوم بعمله . يضاف إلى ذلك أنه تناول الإصلاحات فى المعابد والمقاصير الخاصة بكل آلهة الكرنك فلم يترك واحدة منها إلا أصلحها وأعاد دخلها ، ولا نزاع فى أن كل ذلك كان يتطلب أموالا طائلة لا يمكن لبلد فقير أن يقوم بأعبائها. هذا وتنم هذه الإصلاحات عن وجود طائفة كبيرة من أصحاب الحرف والفنانين قاموا بإصلاح ما أفسده الأشوريون من تماثيل ولوحات وأدوات عبادة ، وهؤلاء هم الذين نزح جزء منهم لإقامة المعابد فى السودان ، ويدل ما تبقى من محتويات مقابر جبانة « الكورو » وجبانة « نورى » على أن هؤلاء الملوك كانوا يكتنزون معهم الأدوات الفاخرة التى تدل على مهارة فى الفن وثراء جم ، فقد عثر فيها على بعض أشياء صغيرة مما أخطأ اللصوص حمله تحدثنا بما كان فى هذه المدافن من خيرات وضعها الملوك لتكون معهم فى عالم الآخرة كما كان يفعل أجدادهم المصريون . يضاف إلى ذلك أن خيلهم التى كانت تدفن بجوارهم قد جهزت بعددها وسرجها ولجمها وتعاويذها بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ مصر ، وهذا دليل قاطع على حبهم الخيل وتربيتها والعناية والرفق بها فقد وجدنا فى صورة من الصور التى تركها لنا « تهرقا » أن عنايتهم ورفقهم بالخيل كانت تفوق الوصف فقد وجدنا صورة جواد على رأسه قبعة تقيه شر حرارة الصيف .

الكتابة الديموطيقية

والدور الذى لعبته فى تنمية المعاملات التجارية والاقتصادية

ومما يلحظ فى العهد الكوشى تطور الكتابة الهيراطيقية باختصار إشاراتها اختصاراً ظاهراً مميزاً أطلق عليها اسم الكتابة الديموطيقية أو كتابة الشعب واستعملت للأغراض العادية اليومية وبخاصة فى كتابات العقود وغيرها من الوثائق الكثيرة التداول ، وقد سهلت هذه الكتابة المختصرة التى كتبت بلغة الشعب المعاملات التجارية والمالية والعقود وغيرها مما هو متداول بين أفراد عامة الشعب .

ومما يلفت النظر فى هذه الفترة من تاريخ البلاد أننا عثرنا على مجاميع محسة من الأوراق البردية القانونية من هذا الصنف ، وقد استمرت بصفة عامة كسلسلة متصلة الحلقات بالديموطيقية فالأرامية (فى كل من عهد العصر الفارسى والأغريقى والقبطى وأخيراً العصر العربى) . ومن المحتمل أنه توجد عدة أسباب يمكن التدليل بها على كثرة الوثائق القانونية بجأة فى الأسرة الخامسة والعشرين ، ولعل أبرز هذه الأسباب ازدياد التجارة البرية والبحرية فى الألف الأولى قبل الميلاد مما أوجد طائفة جديدة من التجار الأثرياء الذين نشطوا تبادل الملكية من كل نوع بين أيد عدة ، هذا بالإضافة إلى أن الاتصال بالفينقيين المهرة أصحاب الأعمال التجارية العظيمة فى ذلك العهد وغيرهم من الساميين قد فتح أعين المصريين إلى ضرورة الدقة فى معاملاتهم . وهذه المؤثرات يمكن ملاحظتها على أغلب الظن فى بلاد الدلتا القريبة من آسيا .

ولا غرابة فى ذلك فقد ذكر لنا « ديدور الصقلى » أن « بوكوريس » أحد ملوك مصر فى الدلتا (« سايس ») فى العهد الكوشى كان مشرعاً عظيما وقاضيا ممتازا بما أدخله من دقة فى صياغة العقود وقد قال عنه هذا المؤرخ اليونانى : « ويقولون إن الملك « بوكوريس » كان مشرعا رائعا ، وهو رجل حكيم وبارز بسبب مهارته

وقد وضع كل القواعد التى حكمت الملوك بها الخ» . وفى موضع آخر يقول «ديدور» : « إنهم يقولون إن القوانين الخاصة بالعقود هى من صنع « بوكوريس » الخ » .

ومما يؤسف له جد الأسف أن الموطن الأصلى الذى كان لابد أن توجد فيه أمثال هذه الوثائق القانونية والتجارية والمالية وهو الدلتا لم يعثر فيه على شئ يذكر وذلك لعدم ملائمة الجو هناك لحفظها ، وتدل الأحوال على أن المشرع الأصلى لهذه القوانين لم يكن كوشيا بل أخذه الكوشيون عن المصريين ، ومن المحتمل أن أقدم هذه الوثائق بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا يرجع إلى عهد الملك « شبكا » .

والواقع أنه قبل عهد هذا الملك كان عدم الدقة فى طريق تسجيل المعاملات القانونية عاديا وفى الوجه البحرى كانت الاعترافات الرسمية والأيمان أمام الشهود والجميات وبخاصة أمام أعضاء المجالس الدينية والقروية والموظفين حتى هذا العهد هى الإداة الرئيسية للعقود القانونية ونقل الملكية ، ولكن منذ ذلك العهد أصبح التسجيل كتابة يمثل مكانة أبرز ولا غنى عنها ، ومن ثم أصبح من السهل لدينا فهم سبب كثرة الوثائق القانونية نسبيا فى عهد الأسرة الخامسة والعشرين وما بعدها ، وهذا السبب هو بلا شك زيادة عدد المعاملات وضرورة الحاجة للسجلات المدونة التى يطبق بمقتضاها القانون .

ومما يطيب ذكره هنا فى هذا الصدد أن معظم الأوراق الديموطيقية التى عثر عليها فى هذا العهد لم تكن مكتوبة بالخط الديموطيقى العادى الذى عرف فيما بعد بل كانت مكتوبة بخط وسط بين الهيراطيقية والديموطيقية ، ولذلك عرفت الكتابة التى من هذا الصنف عند علماء الآثار الحاليين بالخط الديموطيقى الشاذ ، وقد دلت الكشوف على أن معظم الأوراق التى من هذا الصنف قد عثر عليها فى « طيبة » كما يفهم ذلك من متن الوثائق نفسها ، على أن ذلك لا يعنى أن هذا النوع من الكتابة كان هو الوحيد فى القطر ، ولكن الواقع أنه كانت توجد أوراق أخرى كتبت بالخط الديموطيقى العادى مثل المتون التى عثر عليها فى « الحيبة » بمصر الوسطى .

هذا وقد وصل إلينا بعض وثائق بالديموطيقية من عهد « تهرقا » منها عقد بيع عبد (انظر ص ٢٦١) وعقد مخالصة (ص ٢٦٢) وعقد بيع خيوط نسيج (ص ٢٦٣) .

وهكذا نرى فى هذا العهد الكوشئ بداية عصر تحول فى الحياة الاجتماعية من كل الوجوه ، وذلك بفضل الخطوات الجريئة التى خطاها ملوك كوش فى سبيل النهضة بمصر والسير بها نحو حياة رفيعة أساسها إحياء ذكرى عصور مصر المجيدة ومسايرة التقدم العمرانى فى كل نواحيه وعدم التشبث بما هو قديم وحسب ، كما سنرى ذلك فى عهد الأسرة السادسة والعشرين .

لغة العصر الكوشى : وفى حين نجد أنه فى مصر السفلى قد ظهرت كتابة جديدة بالخط الديموطيقى الشاذ تسهيلا للمعاملات وتمشيا مع قانون التطور الشعبى نجد من جهة أخرى أن ملوك كوش كانوا قد نزعوا إلى إحياء الكتابات القديمة وأساليبها وبخاصة فى عهد الدولة الوسطى والدولة الحديثة ، ولا أدل على ذلك من متن لوحة الملك « شبكا » التى عثر عليها فى « منف » وقد كتبت باللغة الكلاسيكية وتحتوى على متن فلسفى رفيع ، وكذلك لوحة الملك « بيعنخى » التى ألفها باللغة الاتباعية أو (الكلاسيكية) ، وهذه اللغة كانت هى اللغة السائدة الاستعمال فى عهد الدولة الوسطى وما بعدها حتى عهد « أخناتون » عندما بدأت بوادر اللغة العامية تظهر فى المتون . ولغة هاتين اللوحتين تعد بوجه خاص من الطراز الأول فى أسلوب اللغة الكلاسيكية . هذا وقد ترك لنا « تهرقا » عدة لوحات عثر عليها فى معبد « الكوة » (انظر ص ١٨٠ — ص ٢٢٨) . ومتون هذه اللوحات تعد أمثلة خاصة بالإنشاء المتكلف الذى تظهر فيه الصناعة ، والواقع أنها متون دونت للدعاية وألفت بعناية ظهر فيها تقعر الكاتب الذى يريد الرجوع إلى القديم ولكنه كان يخطىء الهدف بعدم حذقه ، وذلك لأن التعابير على الرغم من رشاقتها فإنها فى الوقت نفسه قد ظهر فيها أنها منقولة عن أصل قديم ، والمقاصد السياسية الأكيدة لهذه المتون كما يظهر

كان من الصعب تحديدها ، هذا إلى أن غموض بعض التعابير يحمل فى غالب الأحيان من العسير ترجمة بعض أجزاء المتن بصفة أكيدة [١] .

هذا ويدل نقل عناصر خاصة من الكلمات والتعابير من متن لآخر منذ الأسرة الخامسة والعشرين حتى نهاية العصر المروى على أنه كان يوجد فى « جماتون » طبقة تقليدية من الكتاب محلية يأخذ الواحد منهم عن الآخر على مر الأيام .

وهذه المتون تمدنا بوثائق هامة لدرس الهيرغليفى المصرى فى بلاد كوش وتضع أمامنا خاصيات هامة هجائية ونحوية ولغوية ، هذا مع إضافة كلمات عدة جديدة لم تكن معروفة من قبل بقدر ما وصل إلينا [٢] من نتائج الكشوف الحديثة .

والخلاصة يمكننا القول أن العهد الكوشى كان بداية عهد جديد لأسرة فتية قامت بنهضة ترمى إلى إحياء التراث القديم المجيد فى بلادها والسير قدما بما وصلت إليه البلاد المصرية من حضارة فى تلك الفترة والعمل على تنشيط سبل الحياة فى كل النواحى الإنسانية ، وبذلك مهدت الطريق لملوك الأسرة السادسة والعشرين للسير بالبلاد إلى طريق المجد والعزة كما سنرى والأخذ بناصر النهضة الجديدة التى وضع أسسها الكوشيون .

---

(١) راجع Macadam, Ibid. I, Text p. 37

(٢) راجع Bulletin De L'Instit. Fr. Tome LI, p. 7

لمحـــة فى تاريخ أشور
وعلاقتهـا بمصر

كانت مملكة « آشور »[1] فى بادئ أمرها مدينة كسائر المدن البابلية العظيمة لهـا حكومة قائمة بذاتها ، ثم أخذت تقوى شيئاً فشيئاً ، ولم تلبث أن ضمت إليها المدن المجاورة ، ثم امتدت فتوحها حتى احتوت « إربل » و « نينوه » ؛ غير أننا لا نعرف بالضبط الوقت الذى أخذت تستولى فيه على ما حولهـا من بلدان ؛ ولكن تدل شواهد الأحوال على أن « آشور » وما حولهـا من بلدان قد تحالفت على صد عدو مشترك لهـا جميعا ، وكانت مدينة « آشور » فى حد ذاتها حصناً طبيعياً ومأوى قوياً لمقاومة المغيرين عليها بمـا كان لديهم وقتئذ من آلات حرب بدائية[2] .

حدود بلاد « آشور » : امتدت حدود بلاد « آشور » فى عز سلطانها إلى شمالى « بابل » وتبتدئ بسهل « مسو بوتاميا » المرتفع فوق ملتقى نهر « أدهم » ونهر « دجلة » وتحتل الجزء الأوسط من حوض هذا النهر حتى « كرنيب » ، ويفصلها من الشرق عن بلاد الكاسيين مجرى نهر « الزاب » وجبال « زجروس » . وتحد من الشمال بجبل « مسيوس » ، أما فى الغرب فكانت حدودها لا تصل إلى نهر « الخابور » أو « الفرات » . [وهى على شكل مثلث تقريبا . ويلاحظ أن هذه البلاد كانت تنقصها الوحدة الجغرافية التى نجدها فى بلاد « بابل » . ففى الجزء الغربى منها وهو الذى يقع فى « مسو بوتاميا » نشاهد هضبة شاسعة متماوجة تشمل بعض تلال جيرية ، ونرى فى شرقيها بعيداً عن نهر « دجلة » عدة تلال ذات غابات ووديان تجرى فيها أنهر صغيرة هامة نخص بالذكر منها نهر « كرنيب » و « الزاب » الأعلى

(١) وهى قلعة شرقاط الحالية الواقعة على مسافة تربى على مائتى ميل من الشمال الغربى من بابل (راجع Hall, Ancient History of the Near East, p. 193.)

(٢) راجع كتاب الرافدين ص ٧٥

و « الزاب » الأسفل ونهر « أدهم » وهذا الإقليم غنى بالمعادن وأرضه خصبة بما تنتجه من حبوب وفاكهة ؛ وحدّها الطبيعى من الشرق جبال « زجروس » التى لا يوجد فيها إلا ممران أو ثلاثة وهذه تظل مدة من السنة غير صالحة للمرور بسبب الثلوج .

ويشاهد فى شمال « آشور » مدرجات جبلية متتابعة ترتكز على هضبة «أرمينيا» ، وفى الجنوب من « آشور » يسكن البابليون السهل الغرينى ولا توجد « لآشور » فى الغرب حدود طبيعية قط ، ومن هذه الجهة أخذ « الآشوريون » بوجه خاص يمدون فتوحهم نحو البحر الأبيض المتوسط ونحو مصر ، ومساحة « آشور » تماثل مساحة « بريطانيا » العظمى تقريبا . أى حوالى ٣١٤٣٨٠ كيلو مترا .

ويمتاز تاريخ « آشور » إلى حد بعيد عن معظم تواريخ البلاد العظمى ، وذلك لأنه محدود بطبيعة مصادره بصورة تجعله يكاد يكون نسيج وحده . فإذا استثنينا بعض الملحوظات العابرة التى جاءت فى المؤلفات القديمة وبعض الإشارات التى وردت فى التوراة فإن تاريخها لا يخرج عما حصلنا عليه من نتائج الحفائر والأبحاث الحديثة .

اقدم الآثار الآشورية : كانت أقدم وثائق عثر عليها فى الحفائر التى عملت فى خرائب « آشور » العاصمة الأولى للمملكة الآشورية هى التى وجدت تحت معبد الإلهة « إشتار » ، وهى قطع محفورة تشبه النقوش « السومرية » وأهمها تمثال رجل قاعد ، غير أنه مما يؤسف له جد الأسف وجد مهشما وبدون رأس ؛ يضاف إلى ذلك تمثال آخر مثل واقفاً بعينين مجوفتين ورأس حليق أما ذقنه فكان مغطى بالشعر وهذا على عكس ما نشاهده فى التماثيل السومرية . وقد وجد فى الحفائر التى عملت فى قلعة « تبة » القريبة من « كارايوك » وهو تل على مسافة ثمانية عشر كيلو متراً من الشمال الشرقى لبلدة « قيصرية » فى إقليم « كابادوشيا » لوحات صغيرة مكتوبة

باللغة السامية دوّن فيها أسماء مركبة مع اسم الإله « آشور » ورب بلدة « آشور » نذكر منها : « إنى — آشور » ، و « تابا — آشور » ، و « آشور — مليك » ثم « آشور — موتابيل » — ولا غرابة فى وجود قوم يعبدون الإله « آشور » فى القرن الرابع والعشرين ق . م . فى هذا الإقليم البعيد جداً عن بلاد « آشور » وبخاصة بعد نشر لوحة من هذه المجموعة كان مطبوعا على غلافها خاتم أسطوانة « سومرية » باسم خادم الملك « إبى — سن » آخر ملوك بلدة « أور » وهذا الخاتم نقش عليه موضوعات مستعارة من فن النحت « السومرى » الخاص بهذا العصر . ولكن بطراز مختلف تماماً يرى فيه غالباً الصبغة التى كانت سائدة فى الفن « المسوبوتامى » وهى ترك رسم الأشكال وعمل زينة خارجية بدلا منها بوجه خاص . ونلحظ فيها كذلك أنه قد أضيف إلى التفاصيل التى تمدنا بها العبادة والاستعمالات المحلية عادة حفر الكتابة على الاسطوانة نفسها فى اتجاه القراءة مباشرة وهذه المتون تكشف لنا عن مدنية متطورة فعلا مستقاة من المدنية « السومرية الآكادية » فهى تمثل نظاماً وصيغاً مميزة بقيت فى « آشور » حتى عهد سقوط « نينوه » ونجد فيها أنه قد ابتدئ على الغلاف بذكر الأختام المطبوعة لأجل إثبات صحة الوثيقة . غير أن الشهود هنا كانوا يضمون أختامهم بجانب اسم صاحب الصك . ونجد فى « نينوه » فى أثناء عهد ملوك السراجنة نفس هؤلاء الشهود يذكرون بعد صيغة العقد . هذا ونجد كذلك السنين مذكورة كما فى « آشور » بأسماء رجال سميت بأسمائهم لا بأسماء الحوادث البارزة على حسب العادة « السومرية » أو « الآكادية » دون أن يكون فى مقدور الإنسان أن يقرر إذا كان الرجل الذى سميت باسمه السنة هو نفسه الذى كان فى « آشور » .

ونجد أسماء الأشهر موحدة فى كل من « كابادوشيا » و « آشور » وعلى ذلك فمن المحتمل جداً أنه كانت توجد تجارة منظمة فى المنسوجات المنوعة وفى المعادن المستخرجة من جبال « يوجاردداغ » : فكانت القوافل تسير فى مجرى نهر الفرات

حتى ملتقى نهر « الخابور » وتخترق بلاد « هانا » التى كانت مدنيتها خاضعة لنفس التأثيرات ، وحيث كانت صناعة الغزل تشغل جزءاً كبيراً من السكان[1] .

وهذه المجموعة الخاصة « بآسيا الصغرى » وهذه الشواهد عن المدنية « السومرية » التى وجدت فى « آشور » تبرهن على أنه فى القرن الخامس والعشرين ق . م . كان الأشوريون يؤلفون فعلا قوما مميزين لهم علاقة « بالسومريين الآكاديين » خضعوا لتأثيرهم ، ولكن فى الوقت نفسه كانوا مميزين تمييزاً واضحا بشخصيتهم الخاصة بهم .

والواقع أننا لا نعلم حتى الآن على وجه التأكيد أصل « الآشوريين » . والظاهر أنهم كانوا منتشرين فى الألف الثالثة ق . م . فى إقليم شاسع ساقهم منه نحو « آشور » الأصلية قوم من الآريين ويحتمل أنهم هم قوم « المتنى » ونجد فى خلال الألف الثانية ق.م. فى شرق « نينوه » على مقربة من بلدة « كوركوك » كذلك آريين من عباد الإله « تشوب » أحد آلهة بلاد « الحيتا » وهناك ميل إلى القول بأن الكاسيين المتوطنين فى جبال « زجروس » من نفس الجنس .

الأمير « زاريكوم » : وأقدم أمير آشورى تحدثنا عنه الوثائق المدونة هو الأمير « زاريكوم » الذى حكم حوالى عام ٢٤٠٠ ق . م . وقد عاصر ملك « أور » المسمى « بورسن » كما كان من أتباعه ، ونعلم أنه كان يوجد قبله أمير يدعى « أوشبيا »[2] وهو الذى ينسب إليه بناء سور « آشور » وكذلك الأمير « كيكيا »[3] المؤسس لمعبد « آشور » يضاف إلى ذلك أمير آخر يدعى « كايكابو » وقد قال عنه

---

(١) راجع Conteneau, Trente Tablettes Cappadociennes; S. Smith, Cappadocian Tablets in the British museum.

(٢) راجع Jhons, Ancient Syria. p. 23

(٣) راجع Ibid, p. 35

الملك «إيداد فيرارى» أنه كان ملكا قبل حكم الملك «سوليلو»، غير أن «سوليلو» نفسه لا يكاد يعرف عنه شئ فى أية نقوش أخرى .

الأمير «يوزور أشير» : وحوالى ٢٢٥٠ ق. م. ظهر «يوزور أشير الأول»، ومنذ عهد هذا الأمير نجد أن قائمة ملوك «آشور» لا يوجد فيها فجوات تقريبا حتى نهاية الأمبراطورية الآشورية .

وتحدثنا الوثائق البابلية أن «سومو آبوم» مؤسس الأسرة الأولى البابلية قد هاجمه ملك «آشور» المسمى «إللوشوما» ويحتمل أنه هزمه أيضاً . و«إللوشوما» هذا قد أقام معبداً للالهة «إشتار» وأقام ابنه وخليفته «إيريشوم» من جديد محراب الإله القومى الذى أقامه فيما سبق كما حفر قناة عند سفح «زقورات» يضاف إلى ذلك أن ابنه «إيكونوم» قد أقام من جديد جدران المدينة كما أهدى معبداً «للاله نىكيجال» ويحتمل أنه أقامه فى «نينوه» .

وقد أصلح «سرجون الأول» الذى خلفه محراب الإلهة «إشتار» .

الملك شاماشى أداد الأول (١٧٤٩ — ١٧١٧ ق٠م) : وقد دلت النقوش المكشوفة حديثاً على أن الملك «شاماشى — أداد الأول» كان معاصراً للملك «حورابى» وانه ساعده فى حروبه التى شنها على عيلامى مدينة «لارسا»[1] .

(ونحن نعلم الآن أن «حورابى» كان يحكم حوالى عام ١٧٩١ — ١٧٤٩ ق. م. بل لقد ذهب بعض المؤرخين إلى أنه حكم من حوالى عام (١٧٢٨ —١٦٨٦ق.م. أو ١٧٠٤—١٦٦٢ ق . م) . هذا وكان التاريخ المتفق عليه لحكم «حورابى» عند جمهرة المؤرخين هو من ٢٠٠٣ — ١٩٦١ ق . م . وعلى ذلك فإن الفجوة التى كانت

---

(١) راجع Hall, Ibid., p. 194

ترى فى تاريخ « آشور » وتقدر بنحو مائتى سنة لا أصل لها تقريبا . وتدل الآثار على أنه كانت توجد فى بلدة « آشور » حامية بابلية ، وكان على أمير المدينة أن يساعد مليكه طوعا أو كرها فى حروبه التى شنها على مدينة « لارسا » . ويوجد فى متحف جامعة « بنسلفانيا » عقد ذكر فيه اسم « شاماشى — أداد » فى صيغة يمين ، وقد كتب اسمه بالقرب من اسم « حمورابى » ، يضاف إلى ذلك أن اسم « شاماشى أداد » هذا قد جاء فى نقوش كثيرة من اسطوانة ذات طابع بابلى[1] .

وبعد ذلك ندخل فى عصر مظلم تام من تاريخ « آشور » حتى القرن الخامس عشر قبل الميلاد . وأول مانجد اسم « آشور » فى هذا العهد فى حكم الملك « تحتمس الثالث » إذ نجده بعد أن عاد من حملته المظفرة على بلاد النهرين فى السنة الرابعة والعشرين من حكمه إلى مصر كان يستقبل رسولا من « آشور »[2] يحمل إليه اللازورد والهدايا الأخرى ويحتمل أن الملك الآشورى الذى كان يحكم وقتئذ هو الملك « أشير — رابى » أو « أشير — نيرارى »[3] وتكشف لنا خطابات « تل العمارنة » عن مركز بلاد الشرق الدولى فى نهاية القرن الخامس عشر ق . م ، هذا بالإضافة إلى أن الوثائق التى كشف عنها فى « بوغازكوى » وهى التى أقيمت على أنقاض عاصمة بلاد « خيتا » القديمة تمدنا بمعلومات ثمينة فى هذا الموضوع . وقد تحدثنا عن ذلك بإسهاب فى الجزء الخامس من مصر القديمة صفحة ٣٤٦ الخ . ويتلخص الموقف فيما يأتى : كان « أمنحتب الثالث » يحكم وقتئذ مصر وكان ساحل « سوريا » تحت سيطرته وكان ينقسم إقليمين : القسم الأول وهو الجنوبى كان يشمل بلاد « كنعان » والقسم الشمالى ويحتوى بلاد « عامور » وكان يجاور بلاد « عامور » مملكة « خيتا »

---

(١) راجع Thureau-Dongin, Nouvelles Fouilles des Tello (1910). p. XXXVI. Note 1.

(٢) راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤١٤

(٣) راجع Hall, Ibid, p. 260

التي امتدت حدودها وقتئذ فى آسيا الصغرى إلى ما بعد جبال «توروس» ومن الشرق، امتدت على نهر «الفرات» حيث اتصلت بمملكة متنى التى كانت تمدها من الشرق بلاد «آشور» المسيطرة عليها .

ولا نعرف على وجه التأكيد أصل قومى «خيتا» و «متنى» وكان سكانهما يعبدون الآلهة «أندرا» و «فارونا» و «مترا» . وكان قوم «خيتا» يقومون منذ زمن بعيد بدور هام فى التاريخ منذ القرن العشرين. فقد غزوا بلاد «مسوبوتاميا» واستولوا على «بابل» وقضوا على أول أسرة فى هذه المدينة ، وكان الملك الخيتى المعاصر «لأمنحتب» الثالث يدعى «شوبيلوليوما» أما ملك المتنى فكان يدعى «دوشرتا» وهو صهر ملك مصر وقتئذ إذ قد تزوج من إحدى أخواته وكان ملك «خيتا» قد هاجم ملك «المتنى» هذا ولكنه لحسن الحظ صده وغنم منه غنيمة كبيرة أرسل منها عربة وجياداً لملك مصر كما أرسل للملكة أخته التى كانت فى البلاط المصرى أدوات زينة محلاة بالصور . وقد امتد سلطانه على «نينوه» . والظاهر أن الالهة «إشتار» معبودة كل من البابليين والآشوريين كانت فى الأصل إلهة متنية . وهذه الالهة كانت فيما مضى قد قامت برحلة إلى بلاد «مصر» وقد بقيت فى نفسها أحسن الذكريات لهذه الزيارة بسبب الاستقبال العظيم الذى استقبلت به فى أرض الكنانة ، وقد اقترحت أن تعود إلى مصر مرة أخرى وأعلنت ذلك للملك «المتنى» وقد أهدى الفرعون فى مناسبة من المناسبات للملك «دوشرتا» عشرين «تلنتا» (التلنت = ٢٥ كيلوجرام من الذهب أو الفضة) من الذهب وقد أوقد هذا العمل نار الغيرة فى نفس ملك «آشور» المسمى «آشور أوباليت» (١٣٦٣ — ١٣٢٨ ق . م .) حتى أنه طلب فى الحال إلى ملك مصر أن يهديه مثل هذه الهدية ، وكان ملك «بابل» المسمى «بورنابور پاش» وقتئذ يدّعى السيادة على «آشور» ومن أجل ذلك اشتكى واحتج على ملك مصر بقوله : «إن الآشوريين هم من رعاياى وليس لهم الحق فى أن يتعاملوا مباشرة مع الفرعون» .

والواقع أن كل هؤلاء الأقوام كانوا يتنازعون السلطة على ساحل سوريا الذى كان سوق التجارة المشتركة وكانت أقوى منازع بينهم هى بلاد «الخيتا» . وقد عملت « خيتا » على إيقاظ نار الفتنة بين « الأمراء العاموريين » الذين كانوا يسكنون فى هذه الجهة كما عملت جهدها لفصلهم عن مصر التى كانت تسيطر عليهم وقتئذ وقد وصل ملك « خيتا » بمجهوداته هذه إلى تثبيت قدمه فى وادى « الأرنت » (نهر العاصى) ، ولكن « أمنحتب الثالث » أرسل إليه جيشا وانتصر عليه وطرده من هذه الجهة ولكن « شوبيلوليوما » انتقم لنفسه من « دوشرتا » ملك « المتنى » بتخريب حدود بلاده ثم عاد إلى « سوريا » واستولى على « حلب » .

ولما تولى « اخناتون » عرش مصر لم يظهر أى اهتمام بالحروب الداخلية التى كانت منتشرة فى كل أنحاء « سوريا » ؛ ولذلك نجد أن أحد أمراء العاموريين المسمى « أزيرو » قام بحملة مظفرة على الإمارات المجاورة له فبسط بذلك سلطانه على جزء من سوريا ، ولكنه مع ذلك كان يعترف بالسيادة المصرية على بلاده ، وقد ذهب إلى مصر ليقدم فروض الطاعة لفرعونها ؛ ولكن ملك خيتا «شوبيلوليوما» مدّه خائناً وهاجمه وهزمه واستولى على « سوريا » وقضى بذلك على النفوذ المصرى هناك جملة . وفى أثناء ذلك هبت نار ثورة فى بلاد « المتنى » قتل فى خلالها ملكها « دوشرتا » وتولى الحكم من بعده ابنه «ماتيوز» وعقد معاهدة مع ملك « الخيتا » . ولم تلبث « آشور » أن أسرعت فى تخريب بلاد« متنى » ولكن «شوبيلوليوما» رد على ذلك بتزويج أخته من الملك المتنى « ماتيوزا » وأقره ثانية فى ملكه غير أنه عامله معاملة التابع ، وبعد ذلك بزمن قليل تولى « مورسيل » عرش بلاد « خيتا » وكان وقتئذ يحكم امبراطورية تمتد حتى بلاد « آشور » من جهة الشرق وحتى جبال الكرمل والجليل من الجنوب ، ولكن هذا الملك الشاسع لم يدم طويلا فقد هزم «مورسيل» الملك « سيتى الأول » فى موقعة فى إقليم قادش على نهر « الأرنت » ثم حاربه بعد ذلك « رعمسيس الثانى » . وبعد موته أخذ ملكه يتناقص شيئاً فشيئاً فى عهد

ولديه « موتالو » و « ختوسيل » حتى اضطر الأخير إلى عقد صلح فى السنة الواحدة والعشرين من حكم « رعمسيس الثانى » (حوالى عام ١٢٧٩ ق . م) . ولم تلبث مصر نفسها أن أخذت فى التدهور كما فقدت بابل كل نفوذها فى الشرق . وهذه هى اللحظة التى اقتنصها «العبرانيون» ليستوطنوا فيها بلاد « كنعان » كما انتهزت طوائف أخرى من الآراميين هذه الفترة ليتسربوا إلى حدود « آشور » و « بابل» .

وكان على الملك « آشور أوباليت » أن يصلح عاصمة ملكه « آشور » التى كان جدارها قد تهدم حديثا . ومن المحتمل أن ذلك كان أثر حصار ضرب حولها ، كما كان عليه أن يقيم معبداً فى « نينوة » . وتحدثنا النقوش أن هذا الملك قد حارب « السوبارين » فى الشمال الغربى من مملكته ومد فى حدود بلاده من هذه الجهة أما فى « بابل » فإنه تدخل فى حرب على الحزب الكاسى الذى كان قد قتل حفيده « كارا إنداش » وضمن العرش لحفيده وهو « كوريجالزو الثالث » .

أنليل نارارى (١٣٢٧ — ١٣١٨) : وقد تولى من بعده ابنه « أنليل نارارى » الحكم ومد حدود بلاده على حساب بلاد الكاسيين نفسها وبعد أن أوقع مذبحة عظيمة بين البابليين فى « سوجاجى » استولى من بعده ابن أخته « كوريجالزو » على أقاليم جديدة ضمها لبلاده (١) .

الملك إيريك — دنيلو (١٣٠٥ — ١٢٧٤) : تدل الآثار على أن هذا الملك قد قام بما لا يقل عن خمس حملات حربية كانت كلها مظفرة ، وكانت رايتها موجهة نحو بلاد « الخابور » تجاه بلدة « حاران » . وقد استولى فى خلال هذه الحروب على غنائم عظيمة وبخاصة الأغنام والماشية التى أحضرها إلى «آشور» وقد ذكر لنا فى حملة من حملاته العدد ٢٥٠٠٠ نسمة يحتمل أنهم كانوا أسرى .

---

(١) راجع Delaporte, La Mesopotamie, Les Civilisations Babyloniennes et Assyriennes, p. 49 ff.

الملك أداد نيرارى الأول (١٣٠٥ — ١٢٧٤ ق . م) : وقد تولى الملك وهو صغير السن وتحدثنا آثاره عن الحملات التى قام بها أسلافه إذ بدأ بقصة فتوحاتهم ثم ذكر فتوحاته هو . وقد سار فى غزواته حتى « لولومى » فى الشرق ، ثم حارب « بابل » فى الجنوب وأملى عليها تعديلا لحدوده وأصلح القصر الملكى كما أصلح آثاراً أخرى فى « آشور » وفى « نينوة » .

الملك شلمنصر الأول (١٢٧٣ — ١٢٤٤ ق . م) : وقد استمر « شلمنصر » بن « أداد نيرارى » فى سياسة الفتح . والواقع أن « آشور » منذ ذلك العهد قد بدأت مجالا جديداً فى الفتح من جهة الغرب إذ قام « شلمنصر » هذا بثلاث غزوات فى إقليم « ديار بكر » فهزم « ساتوارى » ملك « خنيجالبات » وهى المتنى القديمة التى أصبحت خليفة « الحيتا الآراميين » (أخلامى) ووصل سلطانه حتى بلدة « كركميش » الواقعة على نهر الفرات . هذا وقد اضطر قوم « لولومى » فى الشرق أن يدفعوا له الجزية أيضاً . وبعد أن مد « شلمنصر » نفوذ « آشور » على كل بلاد « مسوبوتاميا » عقد العزم على أن ينقل عاصمة ملكه السياسية من « آشور » . وكانت مدينة « آشور » تقع على الشاطئ الأيمن لنهر دجلة تحت ملتقى نهر « الزاب » الأعلى بدجلة فاختار « شلمنصر » موقع عاصمته الجديدة فى مدينة « كالح » على الشاطئ الأيسر لدجلة فوق ملتقى نهر الزاب بقليل ، ويرجع السبب فى تغيير العاصمة إلى امتداد فتوحات « شلمنصر » نحو الشمال والشمال الغربى فصار من الصعب عليه أن يحكم مملكته من العاصمة القديمة الواقعة بعيداً فى الجنوب مما كان يضطره على الدوام إلى عبور نهر الفرات ، وعلى ذلك بنى قصراً فى « كالح » وأنشأ مدينة عظيمة هناك على مسافة أربعين ميلا من أعلى دجلة فى التفرع الذى بينه وبين نهر « الزاب الأعلى » ، ومن المحتمل أنه فى بداية حكم هذا العاهل أحرق معبد « آشور » الكبير ويرجع السبب الظاهرى فى ذلك إلى حدوث زلزال ، وقد أعاد بناءه كما أصلح معبد الإلهة « إشتار » فى « نينوة » وهو الذى كان قد تهدم بنفس السبب السالف الذكر .

الملك توكولتى نينورتا (حوالى ١٢٤٣ — ١٢٠٧ ق . م) :
تولى هذا الملك بعد والده « شلمنصر الأول » . وقد كان من حسن الحظ أن عثر على كل تواريخ هذا العاهل كاملة . ومن المحتمل أن حملاته لم تذكر بالترتيب التاريخى فى نقوشه بل جمعت بوجه عام على حسب موقعها الجغرافى . ففى حملته الأولى يحدثنا أنه فتح الأراضى الرئيسية الشمالية والشمالية الشرقية التى أخذت تدفع له الجزية منذ ذلك الوقت وهذه الجهات هى « قوتو » و « شوبارى » ، ثم نهب وأخضع الأقاليم الشمالية الغربية فى « مسوبوتاميا » حتى إقليم « كمجن » . وقد ألف حلف لمناهضة هذا الملك فى إقليم « بحيرة وان » ولكن بعد قتال مرير اضطر ملوك هذا الحلف البالغ عددهم أربعون إلى الخضوع ودفع الجزية . وبعد أن تم له النصر على هؤلاء ولى وجهه شطر « بابل » لمحاربة ملكها « كاشتلياش الثانى » فحاصر « بابل » وجيشها واضطر ملكها إلى منازلته فى موقعة أخذ فيها « كاشتلياش » نفسه أسيراً وسيق فى السلاسل والأغلال إلى « آشور » ، وقد مكث « توكولتى نينورتا » يحكم « بابل » مدة سبع سنين بعد أن فتح كل بلادها ، كما سيطر على كل « سومر » و « أكاد » حتى أرض البحر . ومما يذكر عن هذا العاهل أنه حمل معه إلى بلاده الإله القومى « لبابل » المسمى « مردوك » كما نهب معبد « إساجيل » فى « بابل » . وفى أثناء ذلك سنحت له فكرة لإقامة مدينة جديدة كاملة وتسميتها باسمه أى « كار — توكولتى نينورتا » ومعناها مدينة « توكولتى نينورتا » وقد أتمها وأقام فيها معبداً للاله « آشور » وآلهته العظام وأمدها بقناة مما يدل على أنها لم تكن بعيدة عن النهر وأقام هناك طواراً من الطين كساه باللبنات وبنى عليه قصره الضخم ثم أحاط هذه المدينة العظيمة بسور .

وبعد انقضاء سبع سنين على حكمه « لبابل » ثار أشراف بلاد « أكاد » وأشراف « كاردونياش » (بابل) ونصبوا عليهم ملكا يدعى « أداد — شوم — أدسو » ؛ وكذلك ثار عليه فى « آشور » ابنه المسمى « آشور نادين أبلى » بتعضيد الأشراف

فحاصروا الملك فى قصره العظيم المسمى « كار توكولتى نينورتا » وقتلوه ذبحاً .

وليس لدينا ما ينفى أن هذا الابن السفاح قد خلف والده على العرش ولكن ليس لدينا حتى الآن أى أثر من حكمه .

ومن الغريب أنه منذ هذه اللحظة نجد فجوة فى تاريخ « آشور » استمرت مدة قرن من الزمان لا نكاد نعرف فى خلاله شيئاً عن تاريخ الآشوريين إلا بعض حوادث قليلة يمكننا أن نتحدث عنها بشئ من التأكيد .

ويحدثنا التاريخ البابلى أنه بعد قتل « توكولتى نينورتا » بستة أعوام أعيد تمثال الإله « مردوك » إلى « بابل » ، ومن المحتمل أن هذا العمل كان قد تم بنفوذ طائفة الكهنة لا بالحرب وقد عزت الأساطير ضعف بيت الملك « الآشورى » ومتاعبه إلى ما ارتكبه « توكولتى نينورتا » من إثم فى حق الإله « مردوك » . وقد بقيت « آشور » هكذا تتجاذبها الممالك القوية التى تحيط بها مدة قرن من الزمان أخذت بعده تفيق مما حل بها من مصائب .

الملك آشوردان الأول (حوالى ١١٧٨ — ١١٣٣ ق . م) :

وأول ملك بارز بعد هذه الفترة هو الملك « اشور دان » ، ويحتمل أنه الخلف الرابع للملك « آشور نادين أبلى » ففتح ثانية إقليم « الزاب » الذى كان عليه أن ينزل عنه إلى « بابل » ، ثم هاجم الأخيرة وعاد منها بغنيمة عظيمة .

وكان حكم ابنه وخلفه « متاكيل نوسكو » قصيراً وهادئاً .

أما ابنه « آشور ريشيش »[1] (حوالى ١١٣٠ — ١١١٣ ق . م) : فقد ظهر فيه الروح الحربى الآشورى وقام بحملة على القبائل الشمالية وبخاصة قوم « إخلامى » وقوم « لولومى » وقوم « قوتا » وهم الذين قد حاربهم أسلافه مرات عدة كما أعلن

---

(١) راجع Luckenbill, Assyria and Babylonia Par. 207-209

الحرب على الملك « نابو خودو رسور الأول » عاهل « بابل » وانتصر عليه وكان من أعماله إعادة بناء معبدى الإلهين « آشور » و « إشتار ».

الملك تجلات بليزر (١١١٢ — ١٠٧٤ ق . م) : تولى الملك « تجلات بليزر » بن الملك « آشور ريشيشى » وفى زمنه أخذت « آشور » تمد فتوحها حتى البحر الأبيض المتوسط .

وتحدثنا نقوش الخارطة التى عملها من أربع نسخ ووضعها ودائع أساس لكل من الإلهين « إنو » و « إداد » فى « آشور » عن الحملات التى قام بها فى سنى حكمه الخمس وفيها يقول إنه هاجم أولا « الموسكيين »[1] وهم من سكان الجبال فى شمالى « كومجين »، وهذا الإقليم كان يدفع فيما مضى فى عهد الملك « توكولتى نينورتا » الجزية لبلاد « آشور » ولكنهم كانوا قد استردوا استقلالهم التام منذ ستين سنة ، وقد نزل عشرون ألف رجل يقودهم خمسة ملوك فى « كومجين » لمحاربة « آشور » فجمع لذلك ملك « آشور » حشوده واخترق تلال « كاشيارى » الواقعة فوق « نصيبين » وانقض على « الكومجيين » وأسر منهم ستة آلاف واستولى على غنيمة هائلة وقطع رءوس القتلى وحلى بها شرفات المدينة ، وبعد أن فتح « كومجين » ضمها إلى امبراطوريته . وفى السنة التالية سار على حسب أمر آلهة « آشور » نحو جبال « أرمنيا » فى الوقت الذى كانت فيه جماعات من جنوده يقومون بهجمات على « كردستان » فى غابات وعرة المسالك لم يكن قد اقتحمها ملك من قبل وكانت العربات فى هذا الإقليم الوعر لا يمكن استعمالها فاعتمد فى الطليعة على جنود المشاة وقد خرب بلاد « كرهى » وبلاد « هريا » واستولى على الآلهة ونفى كل الأهالى وأخذ كل أمتعتهم ثم أشعل فى مدنهم النيران .

وبعد ذلك بدأت الحروب مع قوم « نايرى » فتحالف ثلاثة وعشرون ملكا منهم

(١) راجع Luckenbill, Ibid I, p. 72. ff.

على مقاومة الفتح الآشورى ولكنهم هزموا واقتفى هذا العاهل أثرهم حتى بحيرة «وان» واضطروا فى نهاية الأمر أن يقبلوا الحماية « الآشورية » عليهم وأن يقدموا أولادهم رهائن على ولائهم ، وكذلك فرض عليهم أن يقدموا ألفين ومائتى جواد وألفى رأس من الماشية .

وقد غادر « تجلات بلبزر » آشور فى السنة الخامسة من حكمه بعد أن حدد لنفسه يوما سعيد الطالع على حسب رؤيا رآها فى منام وانقض على بلاد « سوهى » ثم صعد فى نهر الفرات إلى أن وصل إلى « إيرام » التى كان يحتلها قوم « الأخلامى » وخربها ثم واصل زحفه إلى « كركميش » (جرابيس) وهى حصن خيتى على نهر الفرات ثم عبر النهر وأخضع بلاد « موتوسورو » التى تمتد بين جبال « طوروس »[1] وما وراءها وقد امتدت فتوحات هذا العاهل حتى بلاد « عامور » وهناك أخذ يصطاد الجاموس فى صفح لبنان ونزل فى سفينة إلى «إرواد» وقتل« دلفينا » فى البحر الأبيض المتوسط[2] وقد أصبح ساحل سوريا خاضعاً « لآشور » إذ لم تجسر بعد على مهاجمة ممالك الأراميين ودمشق ولا مهاجمة إمارتى «صور» و «صيدا» اللتين استردتا استقلالها .

وبعد مضى خمسة أعوام من حكمه أخذ « تجلات بلبزر » يفاخر بأنه فتح بلاد اثنين وأربعين قوماً وأخضع ملوكهم وسنرى بعد أن أخلافه المباشرين لم يكن فى مقدورهم المحافظة على تلك الامبراطورية الفسيحة الأرجاء وأنه فى خلال قرنين من الزمان كان فى مقدور أقصى هذه البلاد الخاضعة لحكم « آشور » أن تخلع من عاتقها الواحدة بعد الأخرى النير الأجنبى .

وقد قام « تجلات بلبزر » بأعمال عظيمة سلمية فى « آشور » فأعاد بناء معبد الإلهين « آنو » و « أداد » الذى كان قد أقامه « شامشى أداد » قبل ذلك العهد

---

(١) أى البلاد الواقعة فى آسيا الصغرى غربى جبال طوروس (وهم على وجه عام الخيتا كما يقول الأثرى هول) .

(٢) ويذكر لنا أن تجارا أحضروا له تمساحا وجاموس بحر وحيوانات أخرى أهداها له ملك موصيرى (يحتمل مصر) راجع Luckenbill, I, Ibid Par. 122

بما يقرب من ستة قرون ونصف قرن ، ثم خرب فى عهد الملك « آشور دان » الذى كان قد وضع مشروع إعادة بنائه غير أنه لم ينفذ ما شرع فيه ، وكذلك أصلح المعابد الأخرى الآشورية والقصور الملكية وأقام من جديد جدران المدن وجلب من البلاد المقهورة خيلا وحمراً وماشية كما أحضر للصيد الملكى قطعاناً من الماعز الوحشى وأمر بإحضار النباتات غير المعروفة فى « آشور » لتزرع فى بساتين ومزارع الملك كما فعل « تحتمس الثالث » فى مصر (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٢٢) .

وقد شن « تجلات بلزر » فى الجزء الأخير من حكمه حربين على بلاد « بابل » وانتصر فى النهاية على ملكها « مردوك — نادن — آهى » .

وقد خصص « تجلات بلزر » فى نقوشه مكانا للحملات التى قام بها للصيد والقنص ولا يخفى على المطلع عليها ما فيها من مبالغات حيث يقول[1] : « إن الإلهين « أورتا » و « نرجال » قد وضعا فى قبضتى الملكية أسلحتهما المريعة وقوسهما الفاخر وقد قتلت بأمر الإله « أورتا » الذى يحبنى أربعة ثيران عظيمة وضخمة فى حجمها فى الصحراء فى بلاد « متنى » بالقرب من مدينة «أرزيكى» وهى قبالة أرض «خاتى» وذلك بقوسى الجبار وبحربتى المصنوعة من الحديد وبسهامى الحادة ، وقد أحضرت جلودها وقرونها إلى «آشور» مدينتى وذبحت عشرة فيلة فى إقليم « حاران » وفى مركز نهر « الخابور » . وقبضت على خمسة فيلة أحياء وأحضرت جلودها وأسنانها مع الفيلة الأحياء إلى مدينة « آشور » .

وكذلك ذبحت بأمر الإله « أورتا » الذى يحبنى عشرين ومائة أسد بشجاعة الجسور وبهجوم الجبار وأنا على قدمى ، وكذلك قضيت على ثمانمائة أسد وأنا فى عربتى بالحراب ؛ وكذلك أحضرت أنواع حيوان الحقل وطيور السماء مما اصطدته » .

(١) راجع Luckenbill, I, Ibid Par. 274 ff.

وهذا المتن يذكرنا بحملات الصيد التي قام بها ملوك الأسرة الثامنة عشرة وبخاصة الملوك « تحتمس الثالث » وابنه « أمنحتب الثاني » ثم « أمنحتب الثالث » وكلهم كانوا معروفين بحبهم للصيد والقنص (راجع مصر القديمة الجزء الرابع ص ٤٣٦ والجزء الخامس ص ٦٣) .

أخلاف الملك « تجلات بلزر الأول » :

تدل الأحوال على أن تاريخ « آشور » عند موت عاهلها العظيم « تجلات بلزر الأول » كان يحوطه الغموض إذ تدل النقوش التي في متناولنا على أن العرش قد اغتصبه ملك يدعى « أشارير — أبال — اكور » ومن المحتمل أنه بعد صراع طويل استولى على عرش الملك ابن « تجلات بابزر » المسمى « آشور — بل — كالا » وكل ما لدينا من نقوش من عهده هو متن على جذع تمثال امرأة محفوظ بالمتحف البريطاني . والظاهر أن الغرض من هذا التمثال ونقوشه هو إشعار حكام المدينة بولائهم لهذا الملك[1] . يضاف إلى ذلك أن هذا الملك قد عقد مع ملك « بابل » حلفاً وتزوج من ابنته .

الملك شماش أداد الرابع (١٠٥١ — ١٠٤٨ ق . م) : وخلفه على العرش أخوه « شماش أداد الرابع » ولم يترك لنا شيئاً من آثاره تستحق الذكر . والواقع أن « آشور » قد أفل نجمها واضمحل حالها وخبا مصباحها بعد حكم « تجلات بابزر » فقد بقي تاريخها غامضا لا نعرف عنه شيئا مدة قرنين من الزمان اللهم إلا بعض نتف صغيرة لا تشفي غلة ، وقد اتفق على أن الحياة قد أخذت تدب من جديد في أوصال مملكة « آشور » في الوقت الذي كانت فيه المملكة اليهودية قد انقسمت على نفسها وأخذت الحروب الداخلية تفت في عضدها (راجع مصر القديمة الجزء التاسع ص ٥٢١) .

---

(١) راجع Luckenbill I Ibid Par, 339 ff.

أداد نيراري الثاني : (٩٠٩ — ٨٨٩ ق ٠ م) بعد تولى « أداد نيرارى الثانى» عرش ملك « آشور » فاتحة عصر جديد فى تاريخ « آشور » وفى تاريخ العالم أجمع وذلك لسبب آخر : إذ اتفق أنه منذ عهده قد بدأت قائمة[1] اللو أو الحكام السنويين تحفظ فى سجلات فى سنين متتالية دون حذف حتى نهاية « الامبراطورية الآشورية » وبوساطة هذه القائمة استطاع الباحثون أن يحددوا دون الوقوع فى خطأ التاريخ المضبوط للحوادث الهامة فى تاريخ « آشور » . وتفسير ذلك أن هذه القوائم هي سلسلة أسماء من الموظفين يدعون «لمو» وكانوا يحتفلون بعيد رأس السنة فى عاصمة الملك وكانوا يقومون فى هذه الأحفال بدور الإله فى التمثيلية الدينية التى كانت تمثل وقتئذ ، وهذا الواجب يقوم به فى « آشور » بالتناوب الملك وحكام أقاليمه ، وكان تقديم واحد من هؤلاء الحكام على الآخر يدل على ترتيبهم من حيث الأهمية فى المكانة. وكانت الوثائق تدون باسم « لمو » كل بدوره على تتابع السنين وبعبارة أخرى كانت هذه الوظيفة كثيرة الشبه بوظيفة « أوركون » فى حكومة « أثينا » وقوائم هؤلاء « اللو » التى وجدت فى « قبونيق » تحدد لنا التاريخ فى « آشور » عن العهد الذى يبتدئ من (٨٩٢ — ٦٦٢ ق . م) وقوائم « اللو » هذه تحدد لنا تاريخ ملوك « آشور » من أول عهد الملك « ناصير بال » وما بعده مع احتمال خطأ قد لا يزيد عن أكثر من عشر سنوات .

---

(١) ويقول سيجفرد هورن (راجع The Chronology of Ezna, p. 16) وهناك طريقة أخرى لتحديد السنين قد أدخلها الأشوريون . فكان موظف كبير بما فى ذلك الملك يعين مرة فى خلال حياته ليخدم لمدة سنة بوصفة «لمو» . وكلمة « لمو» تقابل فى الاغريقية Eponym (أى الذى يطلق اسمه على شيء) ومن ثم القوائم الحولية التى تحتوى على أسماء « لمو » قد أطلق عليها قوانين لمو . فنجد مثلا أنه فى السنة التى اعتلى فيها سرجون الثانى عرش الملك أن «لمو» هذه السنة كان يسمى « نيورتا — إلايا » وكانت كل الوثائق تؤرخ خلال هذه السنة : « فى سنة نيورتا إلايا » . وهذا « اللو » جاء بعده فى السنة التالية لمو يدعى « نايو — تاريس » . وكان من الواجب أن تكون قوائم « اللو » مثل قوائم أسماء السنين فى عهد بابل المبكر لأجل المعاملات أو الأغراض القانونية . وهذا النظام للتوقيت كان قد استعمل بوساطة الآشوريين منذ حوالى ٢٠٠٠ ق . م حتى نهاية الامبراطورية التى سقطت فى نهاية القرن السابع قبل الميلاد .

الملك آشور – رابى : (حوالى ١٠٠١ ق . م) والظاهر أن الملك « آشور – رابى » أسس أسرة جديدة أخذت تعالج أمور « آشور » من جديد . وذكر لنا « أداد نيرارى » قصة الحملات القديمة التى كانت قد نسيت والتى يرجع عهدها إلى مائتى سنة مضت وكان قد قام بها « تيكولتى الأول » و « تجلات بليزر الأول » ومنها نعرف إلى أى حد انكمشت حدود « آشور » نفسها ، والواقع أن الملك « أداد نيرارى » قد شرع فعلا فى إحياء مجد « آشور » ثانية ولما مات (عام ٨٨٩ ق . م .) تولى بعده عرش الملك ابنه .

توكولتى نينورتا الثانى (٨٨٨ — ٨٨٤ ق . م) : وقد ترك له دولة منتصرة على « بابل » فى الحروب التى شنها عليها مسترداً « لآشور » كل حدودها القديمة ، ومن ثم كان فى مقدورها أن ترسل الجيوش لفتح أقاليمها القديمة من جديد . ومنذ الآن يمكننا أن نتتبع الجيوش الآشورية وهى تغزو وتفتح البلدان أكثر من ستين سنة . وهذه الغزوات لها أهمية عظيمة إذ نجد فيها البرهان القاطع عن قصد ملوك « آشور » ومراميهم ، فقد كان جل همهم تمكين سلطانهم وتدعيم ملكهم على تخوم « آشور » الشمالية والأقاليم الغربية حتى البحر الأبيض المتوسط ، هذا بالإضافة إلى الرغبة فى إعلان سيادتهم على الممالك المجاورة لحدودهم الجديدة ، وبعبارة أخرى كان هدف ملوك « آشور » منذ ذلك العهد هو تأسيس « امبراطورية آشورية » مترامية الأطراف تسيطر على العالم المتمدين أجمع وهذه السياسة قد نفذها بإخلاص سلسلة ملوك لم يكن النصر دائماً حليفهم فى كل المواطن ولكنهم كانوا مع ذلك مثابرين جادين فى تنفيذ خطتهم المرسومة بدرجة عظيمة تلفت نظر المطلع على تاريخ آسيا الغربية ، ولا نزاع فى أن ضمان سلامة « آشور » وملكها كان يتطلب وقتئذ إخضاع الأقوام الذين على حدودها الشرقية الشمالية .

كما كان من المهم لفلاح « آشور » وبلوغ مآربها أن تسيطر على الطريق المؤدية

إلى إقليمى «الخابور» و «بليخ» شمالا حتى جبال «طوروس»، وإلى «كابودشيا» غربا حتى البحر. وقد دلت تجارب قرون مضت على أن مثل هذه السيطرة كان لا يمكن الحصول عليها إلا إذا فتحت هذه البلاد بطريقة منظمة ثم احتلت وحافظ عليها الآشوريون بقوة عظيمة؛ من أجل ذلك كان لزاما أن يصبح الإقليم الذى يمتد حتى غربى «كركيش» جزءاً لا يتجزأ من دولة «آشور»، وقد حتم ذلك أن تكون «آشور» صاحبة السيادة على ممالك حدودها الجديدة، ومن ثم اقتضت هذه السياسة ضم الأقوام الخاضعين لسلطان «آشور» وأصبحوا جزءاً منها.

وكانت الجهود الحربية التى بذلها «توكولتى نينورتا الثانى» فى تثبيت ملكه تنحصر فى أمرين: الأول إخضاع أقوام جبال «نا إيرى» والآخر تمكين السيادة الآشورية على تخوم بلاده. والواقع أن هذا الملك كان جندياً عظيما ولو مد فى أجله لقرنت فتوحه وأعماله العظيمة بما قام به «تجلات بلزر الأول» غير أن المنية عاجلته وهو فى بداية حكمه القصير عام ٨٨٤ ق. م بعد عودته من حملة مظفرة على حدود بلاده الشمالية.

الملك آشور — ناصير — بال الثانى (٨٨٣ — ٨٥٩ ق. م):

وخلفه على عرش الملك «آشور ناصير بال الثانى» وقد جدد هذا الملك النشاط الحربى فى «آشور» فى مدة الأربعة والعشرين سنة التى مكثها على عرش الملك مما جعل بلاده تنطلق من حدودها بقوة لا تقاوم فى جهة «سوريا»، من أجل ذلك لم تنقض إلا مدة قصيرة حتى أعاد إلى بلاده ما كان قد أحرزه «تجلات بلزر» فى هذه الجهة من فتوح عظيمة وبذلك وضع الأساس لامبراطورية السراجنة. وقد جمع «آشور ناصير بال» بين العبقرية الحربية وغلاظة القلب وفظاظة النفس وكأن قلبه قد قد من حديد إذ كان يقضى على كل من يقاومه بطرق وحشية يندى لها جبين الإنسانية، ولم يكن قلبه يتذوق الشفقة. فقد كانت آلام الناس الذين هزمهم وعذبهم بكل ألوان العذاب فى نظره متعة ينعم بها وكان الناس فى نظره كالنمل تداس بالأقدام بل أقل من

ذلك . وهذا الوحش الإنسانى كان يفخر و يتمتع بأنواع العذاب الذى كان يصبه على أجسام كل من وقف أمام إرادته . فكانت العادة المتبعة عنده بعد الاستيلاء على مدينة ما أن يذيقها عذاب الحريق ثم يشوه أجسام الأسرى بتقطيع أيديهم وآذانهم وسمل أعينهم ثم تكديسهم بعد ذلك فى كومة عظيمة ليقضوا نحبهم بلهيب الشمس المحرقة و بنهش الطيور الجارحة أشلاءهم أو بالاختناق ، أما أطفالهم ذكوراً وأناثاً فكانوا يحرقون أحياء وهم على خوازيق . وناهيك برئيس القوم فكان يحمل إلى آشور عاصمة ملكه ليسلخ جلده حياً لأجل أن يدخل على نفس الملكة السرور . وهذه الوحشية لم تكن غير معروفة عند « تجلات بليزر الأول » مثلا غير أنها قد أصبحت لسوء الحظ منذ عهد « آشور ناصير بال » مقياس سلوك فى الحروب فى الجيش الأشورى؛ فقد سار على نهجها الملوك الذين جاءوا من بعده ولكن بدرجات تختلف فى الشدة . غير أنه من المعلوم أن « آشور ناصير بال » قد بز كل أخلافه فى إحراق الأطفال أحياء ، وعلى أية حال لم نجد أحداً قد فخر بهذا العمل كما فخر به هذا المخلوق الذى فاقت وحشيته كل وصف حتى فى أظلم العصور وأفظعها همجية وقسوة . وعلى الرغم من أن غير هؤلاء الملوك كانوا قساة على الشباب إلا أننا لا نعرف بقدر ما وصلت إليه معلوماتنا من جاراهم من الحكام فى وحشيتهم إلا النزر اليسير ، ولا نزاع فى أن الفاتحين المصريين الذين سابقوهم فى إقامة الامبراطوريات كانوا يعدون بالنسبة إليهم دائماً رحماء ولذلك فإنه لمما ترتعد له النفس وتقشعر منه الأبدان أن يستعرض الإنسان الآلام الجسمية الهائلة التى كانت تنصب على البشر من ملوك « آشور » وجنودهم طوال القرنين ونصف القرن التى جاءت على أعقاب حكم « آشور ناصير بال » (٨٨٣ — ٨٥٩ ق . م) : ولا نزاع فى أن « بيعنخى » ملك « مصر » وبلاد « كوش » الذى عاصر هؤلاء الملوك الآشوريين كان يعد ملكا رحيما بالنسبة لهم .

ويرجع الفضل إلى « آشــــور ناصيربال » وخلفه « شلمنصر الثالث »

(٨٥٨—٨٢٤ ق. م) فى وضع النظام الحربى الذى قام فى دولة « آشور » مما جعلها فى مدة قصيرة سيدة غربى « آسيا » .

والواقع أننا لا نعلم إلا القليل عن النظام الفعلى الذى كان سائداً فى « آشور » وكل ما نعلمه أنه كان يوجد جيش ثابت صغير من الجنود الملكيين ، وكان هذا الجيش يزداد فى أوقات الحرب بتجنيد كل الرجال الذين يعتمد عليهم فى ساحة القتال من الفلاحين الأشداء وأصحاب الأملاك . وكانت تتألف قوة جيش « المشاة الآشورى » من هؤلاء الفلاحين الأقوياء ، وكان أهم سلاح يستعملونه بوجه عام هو « القوس » وقد نمى « ملوك آشور » جيشهم من المشاة بدرجة عظيمة مما جعلهم قوة هائلة يرجع إليهم الفضل فى الانتصار على أعدائهم وبخاصة رماتهم الذين كان فى مقدورهم أن يفوقوا سهامهم من مسافات بعيدة على فرسان عربات العدو وخيالتهم فيصيبوهم فى مقاتلهم ، وقد أخذت قوة الخيالة وقتئذ تتضاءل ، وأصبحت العربة قليلة الاستعمال فى الحروب ، يضاف إلى ذلك أن « الآشوريين » قد أدخلوا تحسينات كثيرة فى فن الحصار ومن المحتمل أنهم هم الذين اخترعوا الهندسة الحربية ، والواقع أن هذا رأى ضعيف لأن المصريين كانوا قد برعوا فى هذا الفن كما جاء فى بردية من عهد «رعمسيس الثانى» (راجع الأدب المصرى القديم الجزء الأول ص ٣٧٦ الخ)، ولا نزاع فى أن النصر كان يأتى طواعية بمثل هذه العدة الحربية المنظمة أو على الأقل كان حليفها وإن لم يكن ذلك يتأتى بسهولة كما سنرى بعد مدة قرنين من الزمان .

وكان القائد الأعلى الذى يلى الملك يدعى « ترتان » ويليه فى المرتبة قائد يدعى « راب — شا كه » (رئيس السقاة) .

ويلحظ أنه كان من جراء حملة « توكولتى نينورتا » على البلاد الواقعة شمال « آشور » أن انتهت بنصر عظيم له ، وقد كان من الضرورى أولا بعد ذلك إعادة النفوذ الآشورى بين قبائل الجبال الخارجة وضمان الهدوء بينهم قبل القيام بفتح

البلاد الواقعة غربى « آشور » وهذا ما قام به « آشور ناصيربال » إذ لم يمض أكثر من سبع سنين من حكمه حتى ثَبَّتَ حكمه تماما وأصبح السيد المطلق فى وادى « الخابور » وفى أواسط نهرى « دجلة » و « الفرات.» وقد بدأ فتوحه بإخضاع قبائل جبال « زاجروس » غربى « آشور » وذلك بأن زحف بنظام على وديانهم وجبالهم فى حركة مستديرة منقضاً عليهم انقضاض المحشة حول جنوب « أرمنيا » حتى بلاد « كومجن » و « سيليسيا » . وكان بعد ذلك على استعداد لعبور الفرات غير أن بيت « خالوب » وهى ولاية آرامية (يحتمل أن تكون بيت خلف) ثارت على الحاكم الآشورى فطار إليها الملك على جناح السرعة مع جيشه وقبض على المغتصب وعدوه من العصاة وذبحهم وعمل من جلودهم فراشا لأثر أقامه أمام بوابة المدينة وقطع رءوسهم ووضع أجسامهم على خوازيق وساق مدعى الملك إلى « نينوة » وسلخه حيا وصلبه على جدار المدينة. وفى تلك الفترة قامت « بابل » بثورة بعد أن كانت هادئة منذ أن هزمها الملك « أداد نيرارى الثانى » وذلك لإدعائها السيطرة على الأراضى الواقعة فى وسط مجرى نهر الفرات وتلك الأراضى هى التى كانت تسير فيها طرق القوافل بالتجارة إلى « سوريا » ولم تقبل قط طواعية أن تعترف برقابة « آشور » أو غيرها عليها . ومن ثم ساعد ملك بابل المسمى « ناتو — بال — إدين » ملك أرض « سوخى » لمقاومة « آشور ناصير بال » . وكانت النتيجة أن فقدت حكومات بلاد « نهرين » استقلالها .

وهذه البلاد كانت قد أخذت فى الظهور منذ عهد الملك « تجلات — بليزر » . فمن ذلك أن مملكة الآراميين فى « بيت أديني » الواقعة على الشاطئ الأيسر لنهر الفرات قد هزمت وخربت نهائيا .

ولم يكن أمام « اشور ناصير بال » إلا أن يزحف بجيوشه إلى البلاد القريبة من حدوده لإخضاعها والسيطرة عليها فقام عام ٨٧٦ ق . م بحملة عظيمة متجهاً إشطر البحر الأبيض المتوسط وزحف بجيشه فى بلاد لم يكن قد فتحها الآشوريون من قبل

فلم يجد أية مقاومة . والواقع أن ذلك كان يبدو فى ظاهره غريباً ، وذلك أنه على الرغم مما كان يوجد من تنافس وبغضاء بين أمراء سوريا الذين كانوا من سلالة واحدة وهى السلالة السامية فإنه يكاد يكون من الصعب علينا أن نفهم السبب الذى جعل فى مقدور « آشور ناصير بال » أن يقوم بأعماله العظيمة التى كانت فى الواقع تقليداً لما قام بها سلفه العظيم « تجلات بليزر » اللهم إلا إذا كان فى بلاد سوريا حزب يعمل لحساب «آشور» . وقد دلت فيما بعد الحوادث على أن السياسة الآشورية كانت ترضى عن وجود حزب سورى يكون صاحب الغلبة فى البلاد ويعمل لحسابها ، ومن ذلك نعلم أنه فى « بيت زمانى » الواقع فى الشمال قد فقد « أمى بعلى » حياته فى الدفاع عن مصالح « آشور » ، وعلى ذلك فإنه ليس من باب الخيال أن نقرن علاقات « آشور ناصير بال » « بسوريا » كما نقرن العلاقات التى كانت بين فليب المقدونى وبلاد الإغريق أى أنه كان لكل منهما حزب فى البلاد التى كان يغزوها .

وسار « آشور ناصيربال » بجيشه من كالح عاصمة ملكه فى شهر إيلول متجها نحو « كركميش » عاصمة بلاد « خيتا » الجنوبية وهذه المدينة كانت على ما يظهر قد بدأت تظهر عند تمزق دولة « شوبيليوليوما » .

وتدل شواهد الأحوال على أنها كانت قد بلغت مقدارا عظيما من القوة خلال مدة تدهور بلاد « خيتا » . وقد أخضعها « آشور ناصير بال » واستولى عليها كما أخضع مملكة « سنجار » عام ٨٧٦ ق . م . واضطر ملكها إلى دفع الجزية للملك « آشور » وتجنيد جيش لمساعدته فى حروبه . وكانت الطريق الموصلة إلى بلاد « لبنان » تخترق أملاك « ديبارنا » ملك « خيتا » فلم يسع الأخير إلا الخضوع وتقديم الجزية للملك « آشور » . وبعد أن زاد الأخير فى جيشه مرة أخرى عبر نهر « الأرنت » ووصل إلى البحر الأبيض المتوسط وإلى الموانى الفنيقية العظيمة . وقد أرسلت اليه الهدايا كل من بلاد « صور » و « صيدا » و « جبيل » و « طرابلس » و « ارباد » . وفى هذا يقول « آشور ناصير بال »

« لقد مررت فى لبنان وذهبت إلى النهر العظيم لأرض عامور ، وغسلت فى البحر العظيم أسلحتى وضحيت أمام آلهتى » . غير أننا نعرف أن « دمشق » والبلاد الجنوبية لم تمس . وقد قلد هذا العاهل الآشورى عند جبال أمانوس أجداده فى إقامة تذكار هناك ثم قطع من هذه الجهة الأشجار التى كانت لازمة لسقف مبانيه .

والظاهر أن «آشور ناصير بال» قد أخلد للراحة بعد هذه الحملة إذ لم تذكر لنا فى نقوشه حملات حربية إلا بعد مضى عشر سنوات ، فقد قام بحملة على جزء فى أقصى الشمال فبدأ من « كوماجين » متجها إلى « أدانى » فوصل فى زحفه إلى نقطة فى شمالى « آشور » وقد كان من نتائج هذه الحملة أن خضع كل الأشراف الذين يسكنون الفرات الأعلى وصاروا يدينون اسلطانه .

نقل العاصمة من نينوة إلى « كالح » :

منذ تولى « آشور ناصيربال » عرش الملك قرر نقل عاصمة ملكه من « نينوة » إلى « كالح » . وكان من جراء ذلك إعادة بناء تلك المدينة المخربة وهى التى كانت عاصمة ملك العاهل « شلمنصر الأول » سابقاً ، والظاهر أنه اتخذ مقره هناك منذ عام ٨٨٠ ق . م تقريباً ، وعلى ذلك فإن معظم الإصلاحات التى عملت فيها كانت فى السنين الخمس الأولى من حكمه ؛ وأهم تجديد عمله « آشورناصير بال » فى هذه المدينة هو حفر قناة جزء منها تحت الأرض وكانت تأخذ مياهها من نهر الزاب الأعلى ، وكذلك أقام لها سورا وبنى لنفسه قصرا من اللبنات وكساه حجراً . وقد عثر الباحثون الأحداث فى قصره هذا على سلسلة من المناظر التى تمثل الأحفال الدينية والمواقع الحربية ومناظر الصيد والقنص .

ومن المدهش حقاً عندما نريد أن نبدى رأيا عن أخلاق هذا الرجل وما أتاه من أعمال عظيمة لبلاده أن نجد المتناقضات العجيبة ففى أول حكمه ارتكب من أعمال

الوحشية ما يجمد القلم عند وصفها وفى نهاية حياته يأتى من الأعمال الجليلة ما كاد ينسينا غلظته وفظاظته ! ففى خمس السنين الأخيرة من حكمه لم يقم إلا بحملة واحدة قادها بنفسه ، ومع ذلك كان الجيش الآشورى على أحسن ما يكون من حسن النظام والقوة عند ما تولى ابنه من بعده عرش الملك . ومن ثم نفهم أن مثل هذا النظام المتين الثابت لا يقوم إلا إذا كانت تشد أزره إدارة قوية فى مختلف أنحاء الأمبراطورية ، وتكون مستعدة لكبح جماح أية ثورة أو عصيان . يضاف إلى ذلك أنه كان لا بد من وجود يد قادرة على معالجة إدارة الجيش وتسيير أموره بحزم فى أوقات السلم . هذا وقد قيل أحيانا إن بلاد آشور كانت دولة سلب ونهب وأنها كانت تستولى على الجزية دون أن تسعى لحكم البلاد التى كانت تبتز منها هذه الأموال . والواقع أن إقامة المدن الملكية فى جهات مختلفة من إمبراطورية «آشور» مضافاً إلى ذلك المدة الطويلة التى قضتها البلاد دون حرب نسبيا يعطينا نتيجة عكسية . ومما يؤسف له أنه ليس لدينا مادة رسمية تقدم لنا معلومات عن حالة إدارة هذا العاهل ، غير أنه مما لا شك فيه أنه كان كالبرق الخاطف فى سرعة إطفاء أية ثورة أو إخماد أى عصيان فى الأقاليم الخاضعة له ، ولا أدل على ذلك مما حدث فى « بيت زامانى » . ومما يجدر ذكره هنا من الحقائق الهامة أن الآراميين الذين صب عليهم جام غضبه ووحشيته كانوا هم الذين وقع عليهم اختياره لسوقهم إلى « كالح » عاصمته . وهذا يدل على سداد فى الرأى لأن الآراميين كانوا مشهورين بالصناعة والحرف والتجارة مما جعلهم رعايا منتجين ، فكان يهدف بنقلهم إلى عاصمة ملكه أن ينضموا فى الأمة الآشورية ، ومن جهة أخرى يصبحون من أهل البلاد نفسها فلا يقومون بثورات عليه .

ومما يلفت النظر أن هذا العاهل لم يشرع فى عمل من الأعمال العظيمة إلا إذا كان متأكداً من نجاحه .

فمن ذلك أنه لما سار بجيشه المظفر إلى البحر الأبيض المتوسط لم يدخل إلا البلاد التى لا تبدى مقاومة . وكانت «دمشق» بلدة قوية معادية له خارجة على سلطانه فتحاشى

دخولها . ومن ثم نرى أن « آشور ناصيربال » كان حازما فى مشروعاته بصيرا بتوسيع ممتلكاته عاملا على أن تكون قوة متماسكة كما أظهر صلابة فى تأييد سلطانه بعد تثبيت أركان ملكه .

ولا شك فى أنه كان راعيا قديراً لقومه على الرغم مما اتصف به من شراسة وقسوة وغلظة ومن المحتمل أنه كان يتبع المثل القائل كن قاسيا فى البداية لتكون لين الجانب فى النهاية .

الملك شلمنصر الثالث(٨٥٩ — ٨٢٤ق.م)[1] : تولى الملك « شلمنصر الثالث » بعد والده « آشور ناصيربال » وقد صار على نهج والده فى فتوحه ومد حدود بلاده شمالا وغربا وبخاصة فى البلاد التى كانت متاخمة لملكه مباشرة وتقع على خطوط التجارة . وقد اعترضه فى تنفيذ تلك السياسة عقبات من ذلك أن « بيت أدانى » كانت تقع على طريق تجارة « آشور » وكان ملكها « أخيونى » لا يزال ملكا عليها على الرغم من أنه كان تابعا لملك « آشور » . وكان الاستيلاء على هذه البلدة أمرا ضرورياً لأجل أن يكون كل وادى الفرات من أول هذه البلدة حتى « بابل » تحت السلطة المركزية الآشورية ، يضاف إلى ذلك احتمال تدخل أميرطموح مثل « أداد إدرى » ملك « دمشق » فى المشروعات الآشورية فى أرض الغرب الغنية ، وكان لا بد من بسط نفوذ « شلمنصر » وإخضاعه إذا أمكن لسلطانه ، وتدل الأحوال على أن ملوك « آشور » قد أخذوا عن مصر عادة إعلان الحرب على عدد من أعدائهم أثر اعتلاء العرش مباشرة إظهاراً لقوتهم وعظمتهم حتى يبعث الرعب والهلع فى نفوس الأقوام الآخرين المعادين وليظهروا أنهم ليسوا أقل شأناً ممن سبقوهم فى الإقدام وشدة البأس.

ففى السنة الأولى من حكمه سار هذا العاهل بجيشه إلى « بيت أدانى » ؛

---

(١) راجع Ancient Near Eastern Texts, Relatiug to the Old Testment. Edited by James B. Pritchard, (1950), p. 267.

وكان ملكها « أخيونى » ، وكذلك ملك دمشق « أداد — ادرى » يخافان على تجارتهما مع الشمال بعد أن رأيا قوة «آشور» هناك فألف حلفاً مكوناً من اثنى عشر أميرا صغيرا يمتد نفوذهم من أول بلاد «قوى» (سيلسيا) فى الشمال حتى بلاد إسرائيل «وعمون» فى الجنوب لمحاربة «آشور» ، وقد قابل « شلمنصر » هذا الحلف عام ٨٥٣ ق.م. بعد أن ضرب مدينة « قرقار » فى معركة خارجها وكان عدد رجال العدو حوالى ٦٣٠٠٠ من المشاة وألفين من الخيالة الخفيفة وأربعة آلاف عربة وألف جمل فخسر الحلف حوالى ١٤٠٠٠ مقاتل ولكن كانت خسائر الآشوريين عظيمة أيضاً ، لأنهم لم يتابعوا العدو بل تنحوا عن القتال بعد المعركة . وعلى ذلك بقيت « دمشق » خارجة عن قبضة الآشوريين . أخذ الأشوريون بعد ذلك يولون وجوههم نحو « بابل » التى كانت قد بدأت تناصب ملكهم العداء وبعد أن قضى على هذه الثورة عاد لمحاربة « حماة » و « دمشق » . وقد استولى فى طريقه إلى هذين البلدين على « كركميش » وقد دامت المناوشات بين الطرفين حتى عام ٨٤٥ ق . م عندما صمم « شلمنصر » على كسر شوكة جيشى «حماة» و «دمشق» فسار إليهما بجيش قوامه ١٢٠٠٠٠ مقاتل، غير أنه لم يفلح فى إخضاع « دمشق » و بقيت خارجة عليه .

ويرجع الفضل إلى مقدرة رجال إدارة « شلمنصر » فى أنه كان فى استطاعته أن يؤجل مؤقتا موضوع إرهاب أقوام الشمال والشرق الذين على حدود بلاده ، ولكنه بعد مضى ثلاث سنوات حتمت عليه الأحوال أن يسير بجيشه حتى منابع « دجلة » و « الفرات » فى عام ٨٤٤ ق . م فاستولى على « نمرى » الواقعة على حدوده الشرقية وطرد منها ملكها « مردوك خوداميك » عام ٨٤٣ ق . م ويحتمل أنه مخاطر بابلى وقد نصب مكانه حاكما من أهل البلاد .

وفى خلال تلك الأحداث كان الحلف الذى ألفه ملك « حماة » و « دمشق » لمقاومة هذا العاهل قد تمزق شمله وذلك لأن « حماة » كانت قد تلقت كل صدمات

الحملات السابقة حتى أصبحت ضعيفة أما ملك « دمشق » « أداد — إدرى » فكان قد مات وكذلك ملك إسرائيل « أخاب » كان قد قضى نحبه . وكان يحكم « دمشق » فى ذلك الوقت ملك يدعى « حازائيل » بدلا من سيده الذى قتل وقد اضطر لمواجهة « شلمنصر » منفردا فى جبل « ساتيرو » (هرمون) فى عام ٨٤١ ق.م فهزم فى موقعة عظيمة خسر فيها ١٦٠٠٠ مقاتل ولكنه وقف للعدو فى « دمشق » بقلب شجاع غير أنه فى النهاية وهنت قوته لدرجة أن « يهو » ملك « إسرائيل » وملكا « صور » و « صيدا » ذهبوا إلى « شلمنصر » لدفع الجزية خوفا منه وقد ترك لنا منظر دفع هذه الجزية فى نقش على صخور « نهر » الكلب (ومن الجائز أن «مصر» التى كانت دائما مهتمة بشئون «سوريا» قد قدمت جملين من الجمال ذوات السنامين وفرس بحر وحيوانات أخرى ليست معروفة فى « آشور » لهذا الفاتح على أن ذلك ليس محققاً إذ من المحتمل أن كلمة مصر تعنى إقليما من بلاد العرب) .

وعلى الرغم من أن « شلمنصر » لم يحطم قوة « دمشق » — وذلك أهم غرض له فى هذه الحملة — فإنه وصل إلى نشر سيادة «آشور» حتى البحر الأبيض المتوسط كما تدل على ذلك حملاته التى تلت تلك الحملة ، ففى (عام ٨٣٩ ق . م) سار بجيشه فى إقليم «قوى » (سيلسيا) وكان غرضه من ذلك تأمين طريق القوافل ، وفى عام ٨٣٧ق . م استولى على أربع مدن من « حازائيل » ملك « دمشق » كما تسلم جزية من « صور » و « صيدا » و « جبيل » .

وكذلك خضع له ملك « توبال » فى العام التالى وزار « شلمنصر » مناجم « كابودشيا » ثم استمر فى محاربة الجهات الأخرى حتى عام ٨٣٢ ق . م عندما هاجم « قوى » (سيلسيا) كرة أخرى فهزمها وأصبحت تابعة له ثم فتحت « طرسوس » أبوابها لهذا العاهل وبذلك سقطت أول حليفة حاربت فى جانب « أداد إدرى » ملك « دمشق » و « أرخونى » ملك «حماه» . وهذا الفتح الأخير الذى قام به « شلمنصر » فى الغرب كان النتيجة المنطقية للمجهودات الحربية التى قام بها

« الآشوريون » مدة ستين سنة إذ قد أصبحت كل طرق القوافل من « كابودشيا » حتى مدينة « آشور » فى أيديهم واعترفت بلاد ساحل البحر الأبيض المتوسط من « جبيل » حتى « طرسوس » بسيادتهم . هذا ولم تكن إدارة « شلمنصر » لممتلكاته الجديدة أقل حزماً وثباتاً عن إدارة « آشور ناصيربال » فى أقاليمه المحدّدة ، وقد ختمت حياة هذا العاهل بقيام ثورة وحروب داخلية فى أواسط « آشور » . وذلك أن « آشور — دان آبال » أحد أبناء « شلمنصر » كان قد جمع حوله حصناً ليساعده على تولى العرش وقام بثورة فى عام ٨٢٧ ق . م ؛ والظاهر أن الملك « شلمنصر » مات وقتئذ فأفلح هذا المدعى فى جمع معظم المدن الهامة حوله ونخص بالذكر منها « نينوه » و « آشور » و « أربلا » كما استمال إلى جانبه كثيراً من المديريات الآشورية وأخذ فى محاربة « شماشى أداد » الذى اختاره « شلمنصر » خلفا له ، غير أن تلك السحابة التى سودت آخر أيام « شلمنصر » لم تؤثر على ما كسبه من فخار فى أعين أخلافه ، ولا بد أن ما أتاه من جليل الأعمال يعد الأساس لبناء قوة امبراطورية « آشور » ، ففى الجنوب ثبت النظام فى « بابل » وفى الغرب أخضع كل شمال سوريا لسلطانه وفى الشرق خلع ملوكا ونصب غيرهم بما يكفل قيام السيادة الآشورية ، وفى الشمال رأى أنه لا يمكن تأمين الطرق والقبض على ناصيتها إلا بعد مهاجمة بلاد « أورارتو » (= أرارات أى بلاد أرمينا) وهزيمتها وعلى الرغم من أن حملاته فى مراكز « أورارتو » الجنوبية لم تصل إلى هدفها فإن المشاغبات التى كانت تحدث بين سكان القبائل الجبلية قد قلت حدتها عما كانت عليه أيام أسلافه .

ولم يعرف من مبانى « شلمنصر » إلا ما تركه لنا فى مدينة « آشور » نفسها وبقايا هذه المبانى هامة لأنها تكشف لنا عن طريقة جديدة فى إقامة الحصون وهى التى اتبعت دائماً فيما بعد فقد أقيم على خط خندق المدينة جدار كثيف وضعت فيها أبراج يبعد الواحد منها عن الآخر مائة قدم .

وعند بوابة صناع المعدن التى كانت مزينة بلبنات منمقة بنى الجدار بصورة جعلت البوابة كأنها تؤلف نقطة دفاع قوية ، وعلى مسافة ٦٥ قدما من البوابة أقيم جدار داخلى سمكه ثلاث وعشرون قدما وبه أبراج ربما كانت تشرف على الجدار الخارجى .

وقد ترك لنا « شلمنصر » قطعتين من أحسن ما أخرجه الفن الآشورى وهما المسلة السوداء والشرائط المصنوعة من البرنز التى وجدت فى « بالاوات » وهذه الشرائط كانت تؤلف أربع بوابات وعليها زركشة مضغوطة تمثل مناظر من أهم حملات « شلمنصر » كما مثلت عليها الجمال والماشية التى جاءت لملك « آشور » بجزية من « جيلزان » . والصور التى مثلت على المسلة السوداء تشبه فى شكلها المناظر التى على شرائط البرنز .

وقد كشف لهذا الملك أخيراً عن لوحة جميلة تلخص لنا مدة حكمه فى الست عشرة سنة الأولى[1] ، والواقع أن تاريخ « شلمنصر » الرسمى ممتع فى قراءته فقد كان من أولئك الملوك الذين يؤمنون بالامبراطورية ولذلك كان فخوراً بها لأن الامبراطورية فى نظره كانت تعنى الحرب وسفك الدماء ، ولم ير مبرراً للحد من هذه الأغراض أو الإقلاع عن التفاخر بأعماله فى التحدث عن الحرب وإباحة الدماء كما أنه لم يكن متواضعا فى أمور أخرى ، فقد كان فخوراً بما قام به من قطع الأشجار فى جبال « أمنوس » وأنه وصل إلى بحر زيرى (بحيرة وان) وبحر الشمس الغاربة (البحر الأبيض المتوسط) والبحر الذى يسمونه المر (الخليج الفارسى) وقد كان كثير الزهو بركوبه السفن ، وقد فاخر بحق بأنه وصل إلى منابع الفرات ودجلة الخ .

شماشى أداد : تولى الحكم « شماشى أداد الخامس » (٨٢٣ — ٨١٠ ق.م) بعد والده « شلمنصر » ولكنه كان مثله قبل موته مشغولا بالحروب التى قام بها على

(١) راجع Sumer, A Journal of Archeology in Iraq, Vol. VI, (1950) No. 1, p. 6 ff.

السبع والعشرين مدينة التي قامت لمساعدة أخيه العاصي « آشور دائن بال» وقد بقيت الحرب بينهما حتى عام ٨٢٢ ق.م إلى أن انتصر « شماشي أداد » عليه عام ٨٢١ ق.م بمساعدة « ماردوك — نادين — شوم » ملك « بابل » الذى اعترف بسيادة « شماشي أداد » فى معاهدة رسمية بقي لنا جزء منها .

وبعد هذه الحروب الداخلية كان عليه أن يخضع الثورات التي قامت فى أنحاء البلاد ولذلك حارب بلاد « نيرى » حيث شن عليها ثلاث حملات وكذلك حارب « بابل » وهزم « مردوك — بلاتسو — إقبي » وفيا بعد هزم « بابا — أخخي — ادمينا » خلف « مردك — بلاتسو — اقبي » ملك « بابل » .

ومن ثم نجد أن امتداد حدود « آشور » قد استمر مدة ثلاث عشرة السنة التي حكمها « شماشي أداد » من جهة الشرق والجنوب الشرق .

ومن الواضح أن الملك « أداد نيرارى الثالث » قد تولى الحكم بعد والده عام ٨١١ ق . م ولم يتأثر سلطانه بالحروب الداخلية التي حدثت فى السنين الأخيرة من حكم « شلمنصر » .

الملكة سميراميس : وكانت حكومة « آشور » من السنة الحادية عشرة بعد الثمنمائة حتى السنة التاسعة بعد الثمنمائة ق . م فى يد أم « أداد نيرارى الثالث » المسماة « سامو — رامات » وهى بابلية الأصل ولدينا نقش نفهم منه أنها كانت لها منزلة ممتازة فى تاريخ « آشور » ، فقد عثر على لوحة فى ركن من أركان جدار فى مدينة « آشور » حيث كان منصوبا صفان من الألوح سجل فيها اسمها بوصفها زوج الملك « شماشي أداد » ووالدة الملك « أداد نيرارى الثالث » وربيبة « شلمنصر » وكذلك كشف للاله « نابو » عن تمثالين مهشمين فى خرائب معبد « نينورتا » بمدينة « كالح » والظاهر من نقوشهما أنهما مهديان من حاكم المدينة المسمى « بل — ترسى — ألوما » وكتب عليهما تضرعا راجيا حفظ الملك « أداد نيرارى » والملكة

« ساموررامات » وكذلك حفظ نفسه . هذا ولدينا نقش آخر بعد هذا التاريخ عن « اداد نيرارى » يدل على أن السنين الثلاث الأولى من عهده لم تحسب جزءاً من حكمه ويعتقد المؤرخون بحق أن الاسم « ساموررمات » هو الاسم الأصلى الذى أخذ عنه اسم « سميراميس » فى الأساطير الإغريقية ولذلك فإن صدى القصص الخرافية المبالغ فيها عن الأعمال العظيمة التى قامت بها « سميراميس » و « تيفس » يرجع إلى الزمن الذى كانت فيه « ساموررامات » وصية على عرش ابنها « اداد نيرارى » .[1]

اداد نيرارى الثالث (٨١١ — ٧٨٢ ق . م) : عندما استتب أمر الملك للعاهل « أداد نيرارى » أخذ فى معاقبة قبائل « الكرد » الذين كانوا خاضعين لآشور منذ عهد الملك « آشور ناصير بال » وبعد ذلك وجه همه نحو بلاد « سوريا » فخضعت له « حماه » وأخذت مدن ساحل « فينقيا » تدفع الجزية ثانية ثم أتى دور « دمشق » فحاصر ملكها المسمى « بنهدد الثالث » وهو الذى يسميه الآشوريون « مارى بن حازئيل » فى عاصمة بلاده واضطره لدفع جزية (٨٠٣—٨٠٢ق.م) ، وقد رحب « بوأحاز » ملك اسرائيل الذى كان قد خضع مدة طويلة هو وقومه للآشوريين وأرسلوا لملكهم الجزية وذلك عندما رأوا أن ملك « دمشق » قد خضع لسلطان الآشوريين . ومن المحتمل أن « اداد نيرارى » قد زحف بجيوشه نحو الجنوب فى فلسطين وذلك لأن السجلات التى بقيت لنا من عهده تقول إن دفع الجزية لم يقتصر على بيت « خمرى » (بيت عمرى أو اسرائيل) بل كذلك خضعت « أودوم » و « فلسطين » ودفعت الجزية ولم يذكر فى متون هذا الملك قوم « يهودى » . ومن المحتمل أنهم كانوا وقتئذ تابعين لقوم اسرائيل وقد حافظت « أودوم » على استقلالها بعد هزيمة « أمصيا » ولذلك فإن إخضاعها جاء ذكره على انفراد .

---

(١) راجع Herodotus, I, Par. 184; Olmstead, History of Assyria, p. 158.

والواقع أن هذا الخضوع من جانب أقوام « فلسطين » يعد استرجاعاً لاستقلال دويلات « فلسطين » أو بعبارة أدق لبنى إسرائيل الذين كانوا يعدون بلاد « يهودى » خليفة تابعة لهم ؛ وتحدثنا التوراة (راجع سفر الملوك الثانى الاصحاح ١٤) أن « يوآش » ملك « يهودى » الذى بقى على قيد الحياة من مذبحة بيت « داود » على يد « أتاليا » وهو الذى أقامه الكاهن الأكبر « يهوديا داع » ملكا ، كان عليه أن يخضع « لحازائيل » هو ومولاه « يهوى » : والواقع أن أورشليم قد نجت من الاحتلال السورى بدفع رشوة ضخمة . وقد أحرز « أمصيا » بن بواش نصرا على « أودوم » وهو الذى تولى الملك بعد قتل والده وقد داخله الزهو بسبب ذلك حتى أنه طلب محاربة « يهواش » ملك « إسرائيل » بن « بوأحاز » وخلفه . وقد كان جواب « يهوآش » على طلب الحرب هذا كما هو مدون فى كتاب الملوك الثانى الإصحاح الرابع عشر سطر ١٣ الخ محققاً لما أسفرت عنه الحرب بينهما فقد هزم « إمصيا » شر هزيمة واستولى على « أورشليم » وهدمت جدرانها وحمل كل ما فيها من الأوانى الذهبية إلى السامرة (حوالى ٧٩٣ ق . م) .

هذا وقد شجع « يهواش » هذا النصر فسار بجيشه إلى « سوريا » وفى خلال ثلاث حملات قام بها على « بنهدد الثالث » بن « حازئيل » أمكنه أن يعيد كل إقليم إسرائيل الأصلى الواقع شرقى « الأردن » وقد تابع ابنه « يربعام الثانى » (٧٨٢—٧٤٣ ق . م) الحرب على سوريا حتى نجح فى نهاية الأمر فى الإستيلاء على « دمشق » « وحماة » ؛ وليس ببعيد أن هذه الانتصارات قد أحرزت بالتحالف مع الملك آشور « شلمنصر الرابع » (٧٨٢ — ٧٧٢ ق . م) والملك آشور — دان » (٧٧١ — ٧٥٤ ق . م) وقد حارب « دمشق » و « إرواد » وإمارة « هدراح » [1] .

وعلى الرغم من أن « دمشق » اضمحلت مقاومتها من كثرة الحروب حتى سلمت

(١) راجع Hall, Ibid, p. 457

فى النهاية فإنها كانت لا تزال مصدر ثورات ولم يكن فى مقدور الآشوريين إخضاعها إلا بالحملات التأديبية المتصلة .

والواقع أن الآشوريين لم يحاولوا قط أن يجعلوا من امبراطوريتهم وحدة متماسكة الأطراف كما كان المصريون يحاولون ذلك دائماً ؛ وذلك لأنهم على ما يظهر كانوا يقومون بالغزوات لأجل الجزية ولنشر السلام حتى لا تتأثر تجارة « بابل » طالما بقيت « بابل » خاضعة لهم .

الملك شلمنصر الرابع (٨٧٢ — ٧٧٢ ق ٠ م) : كانت معظم حروب « شلمنصر الرابع » على بلاد « أورارتو » أو « أرارات » (أرمنيا الحالية) وقد أطلق عليها الآشوريون هذا الاسم لأنها كانت تقع حول الجبال العظيمة التى لا تزال تحمل اسم جبال « أرارات » وكان أهل « أورارتو » يسمون مملكتهم « خلاديا » تيمنا باسم إلههم الرئيسى « خالاديس » . والظاهر أنهم كانوا قبيلة حربية زحفوا إما غربا من « هليسبنت » أو جنوباً من « القوقاز » وعلى سواحل « بحر قزوين » حتى « أرمنيا » مستولين فى طريقهم على أراضى قبائل أخرى أوضامين إياها إلى ملكهم إلى أن أصبحت بلادهم تصل إلى مشارف بلاد « آشور » ، وقد أخذت الثقافة المسوبوتامية تتسرب شيئاً فشيئاً إلى أعالى نهرى « دجلة » و« الفرات » فى هضاب « أرمنيا » ، وكانت قبائل « خالاديس » قد تشبعت بالحضارة البابلية لدرجة أن ملوكهم استعملوا الكتابة المسمارية فى كتابة لغة أقوام « أورارتو » نفسها التى تدعى لغة « فانيك » نسبة لآثارها الرئيسية وقد كان أول مكان استوطنوه حول بحيرة « وان » حيث كانت تقع بلدة « توروشيا » التى أصبحت عاصمة البلاد فيما بعد وقد كشفت لنا رموز نقوش لغة « فانيك » بعد حلها كل تاريخ مملكة « خلديا » (أرمينا) ويرجع الفضل فى الكشف عن هذه اللغة للأستاذ « سايس » الذى نشر نتائج أبحاثه فى عام ١٨٨٢ م[1] .

(١) راجع Journal of the Royal Asiatic Society (New Series) XIV, p.p. 378 ff

وكانت عاصمة هذه البلاد فى الأصل تدعى « أرزا شكون » وكانت تقع فى وادى « أراكسيز » . وأوّل ملوكها الذين ذكروا فى النقوش هما « لوتبريس » و « وساردوريس » والأخير كان معاصراً للملك « آشور ناصيربال » . ولم نجد فى أخبار الحروب الجارفة التى اجتاح بها الأقاليم الشمالية من أولها إلى آخرها ذكر بلدة « ساردوريس » ، ولكن يغلب على الظن أن بلاد « أورارتو » قد نالها شئ من سيف « آشور ناصيربال » الجبار .

وأوّل ملك اشورى يحدثنا عن منازلته لبلاد « أورارتو » الذى كان يحكمها وقتئذ أرامى هو الملك « شلمنصر الثالث » . والواقع أن هذا الملك قد خرب بلاد الملك آرامى فى السنين ٨٥٩ و ٨٥٦ و ٨٤٤ ق . م فى خلال غزوات قام بها على « أوراتو » . وأخيراً خرب عاصمته « آرزاشكوت » . ولما خلفه الملك « ساردوريس » هاجمه القائد الآشورى المسمى « آشور دايان » فى عامى ٨٣١ و ٨٢٨ ق . م ، هذا وبعد مضى بضع سنين قام أحد قوّاد الملك « شماشى أداد » بحملة على الملك « إشبونيس » خليفة الملك « ساردوريس الثانى » على أن هذه الهجمات المتوالية كانت على ما يظهر مقوية لا مضعفة لتلك البلاد الجبلية الصلبة فى حين أن الأشوريين لم يجنوا من ورائها أية فائدة حقيقية . وقد تحالف فى خلال تلك الحروب ظاهرا مع « الأورارتو » قوم يدعون « مانى » وهم سلالة ميديان والميديون الأول الذين يسمون « ماداى » (وقد ظهروا للمرة الأولى فى التاريخ فى البلاد الواقعة شرقى بحيرة « أورميا » وقد شن عليهم الملك « أداد نيرارى » عدّة حملات والمفروض أنه قد وصل فى خلال إحدى هذه الحملات حتى البحر الكسبى (بحر قزوين) ، وفى خلال هذه الفترة كان الملك « متواس » بن « ساردوريس الثانى » قد مدّ أملاك « أورارتو » حتى بحيرة أورميا الغربية ، وقد فتح ابنه « أرجستيس الأوّل » كل بلاد « كردستان » و « أرمنيا » حتى غربى « ملتين » (ملاتيا) ، وكانت فتوح « آشور ناصيربال » قد فقدت على الرغم من المجهودات المتعدّدة التى قام بها « شلمنصر الثالث »

لاسترجاعها . ولا نزاع فى أن متاخمة إقليم « أورارتو » لمراكز « آشور » القوية قد أصبح خطراً مباشرا على تلك الامبراطورية إذ لم يمض طويل زمن حتى أصبح الحد الفعلى بين البلدين (أى « أورارتو » وآشور) هو سلسلة الجبال المعروفة الآن باسم « يودى زاغ » أى على مسافة أقل من مائة ميل من « نينوة » نفسها . غير أن ملوك « أورارتو » لم يجسروا على محاربة الأشوريين فى موقعة فاصلة فى سهل نهر الفرات . وعلى أية حال كانت آخر حملة قام بها شلمنصر على بلاد « أوررتو » فى عام ٧٧٤ ق . م وقد باءت بالفشل كسابقاتها ، والواقع أن آشور كانت قد فقدت مدة نقط هامة فى الأقاليم التى كانت ضرورية لسلامتها وقتئذ من الوجهة الحربية .

وقد أعقب الهزائم التى حاقت بآشور شمالا قيام ثورات فى الغرب ففى عامى ٧٧٣ و ٧٧٢ ق . م أرسلت آشور حملتين تأديبيتين إلى « ختريكا » فى شمال سوريا (وهى بلدة هادراخ المذكورة فى التوراة) إلى دمشق .

الملك آشور دان الثالث ٧٧١ — ٧٥٤ ق . م : كان حكم هذا الملك الذى امتد أمده سلسلة نكبات على البلاد ؛ فقد هاجم « ختريكا » فى عام ٧٦٥ ق.م ثم فى عام ٧٥٥ ق . م كما هاجم « إرباد » عام ٧٥٤ ق.م . وتدل الأحوال على أن هذه الولايات كانت من أنصار مملكة « أورارتو » وتدل النقوش على أنه فى عهد ملك « أورارتو » المسمى « ساردوريس الثانى » الذى خلفه « ارجستيس » قد أصبحت « قوى » (سيلسيا) و « جرجوم » و « شمعات » و « أتق » و « كركميش » تحت سلطان « أورارتو » فكانت بذلك مسيطرة على تجارة المعادن . ومن ثم نجد أن « آشور » أصبحت مرة أخرى مهددة بالخراب وهذه كانت بلا نزاع النتيجة المحتومة لسد المواصلات مع الغرب ومع « كابادوشيا » ولا يبعد أن البؤس الذى حل بالسكان أصحاب الصناعات نتيجة لذلك قد أدى إلى الثورات التى قامت فى مدينة « آشور » (٧٦٣ — ٧٦٢ ق.م) وأرباخا (٧٦١ — ٧٦٠ ق . م) وغوزان ٧٥٩ ق.م هذا ولم

يكن فى مقدور الملك « آشوردان » إخضاعها وكبح جماح الثورات فيها حتى عام ٧٥٨ ق . م ولقد ساءت الحال حتى أنه لم يتمكن من حفظ النظام حتى على حدوده الجنوبية بعد السنين الأولى من حكمه وقد ترك « آشوردان » بلاد « آشور » فقيرة يسودها سوء النظام وقد انكمشت حدودها إلى ما كانت عليه فى عهد الملك « آشورابى » .

الملك آشور نيرارى الخامس ٧٥٣ — ٧٤٦ ق.م : هذا الملك هو آخر سلسلة طويلة من الملوك الأشوريين كان غاية فى الضعف وانحلال العزيمة فقد قام بحملتين فى بلاد « نامرى » لم يكن لهما أى شئ يذكر وأخيراً فى عام ٧٤٦ ق. م ثارت عليه عاصمة الملك نفسها « كالح » وكان من جراء ذلك أنه مات هو وكل أعضاء أسرته .

ولا نزاع فى أن سبب ضعف « آشور » خلال الأعوام من ٧٨٢ — ٧٤٦ ق. م يرجع إلى وهن عزيمة الممثلين للبيت المالك لا إلى تصدع فى القوة الحربية فقد حاقت بالبلاد ثلاث هزائم عظيمة متتالية انتصر فيها ثلاثة ملوك من حكام « أورارتو » وهم « منواس » و « ارجستيس الأول » ثم « ساردوريس الثانى » وقد فطن ملوك « آشور » إلى أنه من الصعب أن يسيطروا على القبائل الجبلية القاطنة حول بحيرة « أورميا » وكانت بلاد « آسيا الصغرى » تحتاج إلى قيام سلسلة حملات من جهتهم . والواقع أنه لو كان فى « آشور » ملوك أقدر من الذين كانوا يحكمونها وقتئذ لعرفوا كيف يستفيدون من هذا الموقف ، يضاف إلى ذلك أن ضياع سلطان « آشور » فى « سوريا » يعد أكبر مصيبة حاقت بملكهم وكان هذا أكبر دليل على ضعف كل من الملكين « أداد نيرارى » و « آشور نيرارى » إذ لم يكن فى مقدورهما مواجهة الموقف على الرغم من أن « أورارتو » لم يكن فى استطاعتها حماية بلاد الغرب أمام هجمة منظمة تقوم بها « آشور » لو استطاعت إلى ذلك سبيلا .

ومع ذلك فإن فتوح « آشور ناصيربال » وأخلافه لم تذهب كلها عبثاً على

أية حال لأن المستعمرات الآشورية التى غرستها هذه الفتوح ، والنظام الذى أدخله حكام « آشور » قد بقى فى البلاد التى ضمتها « آشور » فعلا إلى ممتلكاتها ، وعلى ذلك فإنه لو كان فى آشور وقتئذ حاكم قدير اوقف فى وجه جيوش « إرارتو » وصدها وجعلها تنكص على أعقابها مولية الأدبار .

وفى الوقت نفسه نجد أن الحكام الآشوريين كانوا على ما يظهر يقومون بنشاط عظيم لتأمين رفاهية البلاد التى كانت تحت إشرافهم وأخذوا يستقلون فى أقاليمهم التى كانوا يحكمونها عندما رأوا ما كان عليه مليكهم من استكانة وضعف وخور فى العزيمة واستسلام مشين . فمثلا نجد أن حاكم بلدة « مارى » وبلاد « سوخى » المسمى « شاماشى — وش — أو صور » قد أخضع قبيلة « تومانو » التى هاجمت عاصمته « ريبانيش » وأقام هناك أثراً سجل عليه أعماله العظيمة . ومما يلفت النظر أن هذا الحاكم كان يؤرخ سجلاته بسنى حكمه هو كأنه كان ملكا مستقلا . وهذا يذكرنا بما كان يحدث فى عهد الدولة الوسطى فى عهد الإقطاع فى مصر عندما كان الأمراء فى « بنى حسن » وغيرها يؤرخون أعمالهم بسنى حكمهم (راجع مصر القديمة الجزء الثالث ص ٣٦٠ — ٣٦٧) .

وقد كان هذا الحاكم الآشورى يتحدث بزهو عن إدخاله تربية النحل فى مقاطعته فيقول : « إن النحل يجمع الشهد والشمع وإنى أفهم تحضير الشهد والشمع كما يفهمه البستانيون » .

عصر سيادة آشور

أعمال تجلات بليزر الثالث (٧٤٥ — ٧٢٧ ق . م) : كانت قوة آشور الحقيقية فى كل عصور تاريخها تتمثل فى أخلاق سكانها ، وهؤلاء قد ظلوا لا يمسون بسوء فى عددهم أو فى قوتهم ولذلك كان فى مقدور دولة « آشور » أن تنهض بسرعة من الضربة التى صوبتها لها بلاد « أورارتو » التى كانت بدورها متأرجحة فى مركزها . والواقع أن « تجلات بليزر » الذى قبض على مقاليد الأمور فى عام ٧٤٥ ق . م كان فى استطاعته أن يعيد إلى «آشور» مجدها الغابر بل كان فى استطاعته أن يفعل أكثر من ذلك إذ استرد لها ما كانت تسيطر عليه من ممتلكات فى عهد كل من « شلمنصر الثالث » و « أداد نيرارى الثالث » .

ومما يلفت النظر هنا أن « تجلات بليزر الثالث » لم يلمح أبداً إلى أحوال توليه عرش الملك ولذلك يغلب على الظن أنه لم يكن وارثا شرعيا للملك بل أخذه بحد السيف وبخاصة عندما نعلم أن البيت المالك قد هلك عن آخره فى ثورة « كالح » التى مات فيها « آشور نيرارى الخامس » وكل أعضاء أسرته .

وقد كان أول عمل لهذا العاهل الجديد له مغزاه وأهميته فقد أطلق على نفسه اسم « تجلات بليزر » تيمنا باسم أعظم ملك محارب مد سلطان « نينوة » على أقاليم لم تعرفها من قبل ولا من بعد ، وفى عهده وصلت « آشور » لمدة قصيرة إلى مكانة سامية لم تصل إليها قط إمبراطورية « آشور ناصيربال » أو « شلمنصر الثالث » . والواقع أن اسم « تجلات بليزر الثالث » كان فى نظر الآشوريين مرادفا لتجديد شباب الامبراطورية ومجدها وعزتها ، وكان حكمه وعداً للعودة السريعة للأيام الخالدات القديمة التى اتسمت بالشجاعة والبطولة[1] .

---

(١) وقد نقشت تواريخ هذا الملك على أحجار من (Luckenbill, I, p. 269 ff.) نمر كالح (نمرود) وهذه الأحجار استعملها فيما بعد ثانية الملك « اسرحدون » فى بناء قصره الواقع فى الجنوب =

وقد دلت نتائج أعماله على ما كان منتظراً فقد لوحظ أن الدم الملكى الجديد الذى كان يحمله فى عروقه هذا العاهل قد سرى فى عروق كل الامبراطورية وأعاد لها شبابها فى لمحة عين وانتعش روحها الحربى كأنما تلا عليها عزيمة سحرية . ففى حين أنه وقف زحف ملوك « أورارتو » نرى من جهة أخرى أن الثوار فى سوريا قد جبنوا وعادت إسرائيل إلى موقفها المعتاد الذى ينطوى على الذلة والمسكنة والتضرع والتوسل كما نجد أن آمال حزب بابل الذى كان يريد الانفصال عن « آشور » قد تحطمت وقضى عليها .

وقد كان أول عمل قام به « تجلات بلبزر » أنه أخذ يشعر أهل « بابل » بأنهم خاضعون « لآشور » ولم يسع فى خلع ملكهم « نابو — ناصير » أو العمل على إذلاله بل اكتفى بالقيام بمظاهرة حربية فى الجزء الشمالى من تلك البلاد الثائرة وفى الوقت نفسه عاقب القبائل الأرامية المغيرة التى كانت قد احتلت المجرى الأوسط لنهر الفرات وكانت بطبيعة الحال تتدخل فى سبل التجارة ، وفى الوقت نفسه أظهر للبابليين ما كان له من قوة حربية وما كانوا يجنونه من فوائد تجارية بمهادنته ومصادقته .

والواقع أن عمله الحقيق لحفظ كيان دولته كان متوقفا على نفوذه فى الأقاليم الغربية من بلاده ، وبعبارة أخرى استرجاع الإمبراطورية السورية التى كان قد أقامها « آشور ناصيربال » هناك ولكن قبل أن يقوم بهذا العمل وجه ضربة مفاجئة للأقطار الواقعة فى الشمال الشرقى من بلاده فاخترق جبال « يودى داغ » وورد أهل القبائل الذين اقتربوا جداً من وسط مملكته وبهذه الكيفية تلافى كل خطر فى مؤخرته من جهة « بابل » أو من جهة « مديا » ثم أخذ بعد ذلك « تجلات بلبزر » يزحف فى عام ٧٤٣ ق . م . بجيشه إلى نهر الفرات قاصداً غزو بلاد سوريا . وقد أخذ الفزع

= الغرب من قصر مدينة كالح وقد نتج من إعادة استعمالها أن هشم بعضها ولذلك وصلت إلينا تواريخ هذا العاهل مهشمة ولكن بمساعدة قوائم « لمو » أمكن أن تنظم هذه الأحجار بعض الشىء ولا يزال ترتيبها فيه بعض الشك وقد تصلحه كشوف حديثة (راجع Luckenbill Ibid. Par. 761)

يستولى على الزعماء السوريين عندما علموا بزحفه عليهم ولذلك ألفوا حلفا بقيادة « متى اللو » زعيم « إرباد » وهى مدينة تقع فى شمال حلب لمقاومته ، وفضلا عن ذلك طلبوا إلى ملك « أورارتو » المسمى « ساردوريس الثالث » مساعدتهم وكانت ممتلكات الأخير تشمل « كوموخ » (كومجين) وعلى ذلك وصلت حتى حدود « سوريا » وقد أزعج هذا الزحف الملك « ساردوريس » فعزم على أن يضرب ضربته بسرعة خاطفة فزحف بجأة على مضيق نهر « الفرات » لمهاجمة الآشوريين وقد انقض « تجلات بلبزر » لصد هذا الخطر وهزم « ساردوريس » هزيمة ساحقة ، وبذلك أصبحت سوريا عرضة لهجوم الجيش الآشورى بدون كبير عناء ، وحوالى عام ٧٤٠ ق . م استولى الآشوريون على « إرباد » وخضع بعدها كل بلاد الغرب .

وفى هذا الوقت كان الرعب قد ملأ كل بلاد سوريا وفلسطين وأصبح استقلال الممالك المختلفة فيها يتهدده الخطر .

وكان « يربعام الثانى » ملك إسرائيل قد مات منذ فترة قصيرة (حوالى عام ٧٤٣ ق م .) وكان موته نذيرا بقيام الفوضى فى الممالك الشمالية وقتل ابنه « زكريا » بيد « شالوم » الذى قتل بدوره بيد « منحيم » (راجع سفر الملوك الثانى الاصحاح ١٥) والظاهر أن هذه الفوضى قد هيأت فرصة مواتية لملك اليهود المسن «عزريا» ليبسط مؤقتا سيادة « يهوا » ربه على الممالك الشمالية و « دمشق » و «حماة » التابعين لها ولا نعرف السبب الذى من أجله لم نسمع فى سفر الملوك (راجع سفر الملوك الأول الاصحاح ٥) شيئاً عن «عزريا » إلا أنه أصبح فى نهاية أمره أبرص ومن جهة أخرى نجد فى تواريخ الأيام قصصاً تحدثنا عن نشاطه بأنه حارب فلسطين والعرب (راجع كتاب أخبار الأيام الثانى الاصحاح ٢٦) . وفى هذه الحالة نجد أن قصص كتاب أخبار الأيام التى لا يعتمد عليها كثيراً فى نظر المؤرخين قد أكدت الحقائق التاريخية التى وردت فى الآثار الآشورية فثبتت بذلك صحتها . والواقع أننا إذا فحصنا هذه الحقيقة فحصاً مجرداً عن العاطفة وجدنا أنه يكاد يكون « عزريا » صاحب

« ياويدى » الذى ظهر بوصفه المحرض على مقاومة « آشور » فى جنوب « سوريا » ليس إلا ملك « يهودا » ونحن نعلم علما أكيدا بوجود أرض تدعى « ياودا » ذكرت فى هذا الوقت بالذات وتحمل نفس الاسم الذى كان يحمله ملك بلاد « يهودا » الذى كان يحكم فعلا فى هذا الوقت . فليس لدينا إلا أن نقرر بأنه هو هذا الملك وأن « عزريا » صاحب « ياودى » هو « عزريا » ملك « يهودا » غير أن بعض المؤرخين لا يأخذون بهذا القول[1] . ويعتقد آخرون أن الموضوع لا يزال يحيط به الغموض[2] .

وإذا فرضنا صحة وجود « عزريا » هذا فإنه يكون هو السيد المشرف على الولايات الاسرائيلية التى فتحها « ياربعام الثانى » وإن الآشوريين كانوا يعدونه المحرض على المقاومة التى كانوا يلاقونها وقتئذ فى جنوب « سوريا » .

والواقع أنه فى عام ٧٣٩ ق . م استدعى « تجلات بليزر » من حملة فى جبال « أرمينيا » بسبب تهديد « عزريا » وأتباعه أو حلفائه لممتلكاته ، وكان أبرز هؤلاء الحلفاء هو « يانامو » حاكم « سامال » وقد زحف على هذا الحلف ملك آشور فى عامى ٧٣٩ و٧٣٨ ق . م . فى حملتين ، فهزم هذا الحلف ، وبذلك قضى على الحلم الذى كان يرمى إلى إحياء امبراطورية « سليمان » فقد سقطت بلدة « كولانى » (كالنو) وسلمت بعدها « حماه » ولم تلبث أن أصبحت « سامال » (شمال = الشام) تحت حكم « آشور » مباشرة ، ومن ثم كان يدفع الجزية كل من « رزين » ملك « دمشق » و « حيرام » ملك « صور » و « منحيم » ملك إسرائيل لآشور[3] (راجع سفر الملوك الاصحاح ١٥ سطر ٢٠) ، وفى هذا الوقت مات « عزريا » وخلفه « يوثام » سنة ٧٣٩ ق . م .

(١) راجع Rogers, History of Babylonia and Assyria (1915) p. 280

(٢) راجع Cambridge Ancient History, Vol. III, p. 37 ff

(٣) راجع Luckenbill, I, Ibid, Par. 762 ff

هذا ولم يأت فى النصوص الأشورية ذكر جزية جمعت من « يهودا » ، ويحتمل أن سبب ذلك يرجع إلى أن « تجلات بليزر » كان مكتفياً بالقضاء على الحلف ، وكان فى الوقت نفسه يتوق إلى العودة إلى آشور ليصفى حسابه مع بلاد « أورارتو » ذلك الحساب الذى كان قد بدأ فى السنة السابعة من حكمه ، ولكنه أوقف بسبب زحفه لمعاقبة « عزريا » وحلفه .

قام « تجلات بليزر » من أجل ذلك بثلاث حملات اخترق خلالها « مديا » حتى سفح « دماڤند » Demavend ودخل « أورارتو » وأوغل فيها حتى بحيرة «وان» حيث تقع «اتوروشيا» عاصمة الملك «ساردوريس». ولكن «تجلات بليزر» لم يكن فى مقدوره الاستيلاء على هذه المدينة لمناعة قلعتها الصخرية (وهى قلعة وان الحالية) ولكن على الرغم من ذلك كسر شوكة « أورارتو » لمدة سنين عدة (٧٣٥ ق . م) .

وفى أثناء غياب « تجلات بليزر » فى حرب « أورارتو » ، أخذ أمراء فلسطين يعلنون الثورة ، ولم يكونوا بعد قد خضعوا مثل أمراء شمال « سوريا » وعرفوا ألا فائدة من المقاومة . وذلك أن « فقحيا » بن « منحيم » قد قتله « فقح» بن « رمليا » الذى انضم وقتئذ إلى « رزين » ملك دمشق وزعماء فلسطين وأمراء « أودوم » لمهاجمة « يونام » ملك « يهودا » وخليفة « عزريا » ، وكان السبب الذى دعا إلى هذا الهجوم هو حب الانتقام من أجل السيادة المؤقتة التى كان قد نالها « عزريا » ، وقد حقد عليه من أجل ذلك كل الحلفاء حقداً عظيما ، والواقع أنه كان مما لا يتفق مع مجريات الأحوال أن تسيطر على هذا الحلف مملكة « يهودا » الصغيرة لمدة ما ، غير أن مقتضيات الأحوال هى التى أدت إلى ذلك .

وفى خلال فترة هذا الارتباك مات « يوثام » وخلفه «آحاز» الذى ظن أن خلاصه الوحيد المباشر فى أن يلتجئ إلى آشور على الرغم من معارضة النبى « أشعيا » لهذه الفكرة إذ رأى أن نتيجة ذلك هو أن «يهودا» ستكون تابعة لآشور ، غير أن ملك يهودا

كان مستعدا لقبول هذه التبعية ثمناً لخلاصه . وعندما التجأ إلى « تجلات بلزر » أجاره ، إذ فى عام ٧٣٤ ق . م ظهر هذا العاهل بجيشه فى « سوريا » على أثر تخريب بلاد « أورارتو » . ومما يلفت النظر أن « تجلات بلزر » لم يهاجم بلاد الحلف من الخلف ، وربما كان قد نهج هذه السبيل ليجعل الفلسطينين يشعرون أن بعد المسافة بينهم وبين بلاده لم تكن لتقدم لهم أمانا من نار حربه . وقد سار على الساحل حتى بلاد فلسطين التى لم تكن حتى الآن قد غزيت أو فتحت ، إذ أنها قد حافظت على استقلالها من اسرائيل حتى فى أيام سليمان ، وفى خلال القرنين اللذين أعقبا ذلك لم تعترف قط بسيادة إسرائيل فى عهد «عمرى» الذى كان مليئا بالحروب كما لم تعترف بسيادة « يهودا » فى عهد « عزريا » الذى لم يمض على موته فترة طويلة . والواقع أن الدم الكريتى الذى يجرى فى عروق السكان الكريتيين الأجانب الذين وفدوا إلى فلسطين منذ زمن قد بعث فى نفوس الكنعانيين الذين يقطنون الساحل روح الاستقلال والشهامة الحربية .

وقد كان الهدف الرئيسى لزحف الآشوريين هو القضاء على « حانو » ملك « غزة » عام ٧٣٤ ق . م وهاك المتن الذى ذكر عنه[1] : « أما عن « حانو » صاحب « غزة » الذى هرب أمام جيشى وفر إلى مصر فقد فتحت بلدة « غزة » . . . ومتاعه الخاص وصوره [لقد وضعت (؟)] صور . . آلهتى وتمثالى الملكى فى قصر بلدته (الإلهة) وأعلنت أنها ستكون من الآن فصاعدا آلهة بلادهم وفرضت عليهم الضرائب » .

والمقصود من هذا المتن أن حاكم «غزة» «حانو» قد هرب واختفى فى مصر ثم نصب «تجلات بلزر» تمثاله هو فى قصره وقدمت الضحايا للاله « آشور » فى معبد آلهته الذين حملوا إليه الكنوز الملكية إلى « آشور » ، وقد تأخر استعباد إسرائيل فى تلك الفترة ، وذلك بسبب موت « فقح » على يد « هوشع » الذى قدم خضوعه فى الحال لملك

(١) راجع Luckenbill, II, Ibid, p. 815 ; Ancient Near Eastern Studies Texts, (1950) p.283

« آشور » «تجلات بلېزر» ، وقد سمح له هذا أن يبقى ملكا على إسرائيل بعد أن فقد نصف ممتلكاتها إذ قد ضمت كل البلاد الواقعة شرقى نهر الأردن أى الجليلى و« نفتالى » هذا بالاضافة إلى مدن « خازور » « وقادش » « وإيون » (Iyon) « وينوم » وغيرها إلى آشور ، وقد حمل ملك آشور معه أهل قبائل «روبن» و « جاد » ونصف قبيله « منشة » أسرى . وبعد ذلك تفرغ ملك آشور إلى ملك « دمشق » المسمى « رزين » فاستولى على « دمشق » وقتل ملكها وضم بلاده إلى ملكه وساق أهلها أسرى إلى « قر » عام ٧٣٢ ق . م .

وتدل الأحوال على أن الفلسطينيين لم يقبلوا فى الحال الاستعباد الذى فرضه عليهم «تجلات بلېزر» ولذلك حاول ملك «عسقلان» أن يقوم بثورة فى أثناء حصار الآشوريين لمدينة « دمشق » غير أنه عندما أعلن سقوط « دمشق » الأمر الذى لم يكن فى الحسبان جن جنون ملك « عسقلان » خوفاً ورعبا مما عساه يكون نتيجة عصيانه ، من أجل ذلك أسرع «روقبتى» فى تقديم خضوعه للفاتح «الآشورى» ثم قفا أثره «متنا» ملك « صور » وذلك على أثر موت «رزين» ملك « دمشق » . وقد فرض « تجلات بلېزر » جزية كبيرة على « صور » . ومن ثم أرسلت البلاد المجاورة وهى « عاموره » و «مؤاب» و «أودوم » جزية لملك « آشور » صاحب السلطان المظيم وكذلك قدمت له الملكة « شمش » ملكة بلاد العرب الجزية وأصبحت خاضعة لسلطانه وقد نصبت آشور فى كل بلاط أمير من البلاد التابعة لهـا موظفا أو مقيما يدعى ، « قپى » ووضعت حدود مصر تحت ملاحظة مقيم يدعى « إدبى — إلو » . والظاهر أنه كان هو زعيما بدويا أطلق عليه لقب « قبوموصرى » (مصر) ؛ أما عن المراكز التى ضمت إلى «آشور» فعلا وتشمل « فلستيا » وكل « فلسطين » و « سوريا » شمالى جليلى وشرقى الأردن ما عدا بلاد « فينقيا » فكان يعين فيها حكام يلقبون « شوت رش » (قائد حربى) أو « بيل — بيخاتى » (رئيس مركز) .

وتحدثنا النقوش عن أن ما يقرب من نصف السكان فى كل مملكة فتحت كانوا

يؤخذون أسرى يحل محلهم أسرى أجانب من « أرمنيا » وغيرها ومستعمرين من « بابل » الخ . هذا وكان السكان الأصليون فى كل حالة تضعف حالتهم لدرجة خطيرة فى حين أن الأجانب الدخلاء كانوا مكروهين من الأهالى بقدر ما كان الآشوريون ممقوتين منهم أيضاً ، من أجل ذلك اتحد الأجانب مع الآشوريين النزلاء وعضدوا الحكم الآشورى ، والواقع أن ملوك « آشور » السابقين كانوا يأخذون الأسرى المقهورين إلى بلادهم غير أن « تجلات بلزر » كان أول من وضع هذه السياسة المعقولة التى ذكرناها هنا .

وعلى إثر الانتهاء من إخضاع كل البلاد الغربية كانت الأحوال فى « مسوبوتاميا » قد سادها الاضطراب مما دعا « تجلات بلزر » إلى قيامه بحملته الأخيرة هناك : وذلك لأن النظام الحسن الذى وضعه فى « بابل » نتيجة لحملة ٧٤٥ ق م كان قد انتقض بموت « نابو ناصير » فى عام ٧٣٤ ق.م إذ كان ابنه « نابو — نادين — زرى » قد قتل فى ثورة واغتصب الملك « أوكين زر » زعيم قبيلة « كالدو » التابعة « لبيت أموقانى » ، وكان معنى ذلك قيام اضطراب عام فى تلك البلاد ولذلك قام « تجلات بلزر » بجيشه عام ٧٣١ ق متجها نحو ذلك الغاصب وحاصره فى « سابيا » عاصمة « بيت أموقانى » ولكنه لم يفلح فى الاستيلاء عليها وفى عام ٧٢٩ ق . م انتهت هذه الحروب بخضوع قبيلة « كلدانى » وهى مملكة « أوكنزير » و « بيت يكن » وهى أرض البحر وكان ملكها هو « مروداخ — بالادان » .

والواقع أن خضوع « مورروداخ بلدان » كان من الأهمية بمكان لأنه كان ملك أرض البحر (الذى لم يأت إلى حضرته واحد من الملوك آبائى وأنهم لم يقبلوا قدمى) كما يقول ملك « آشور » .

عاد بعد ذلك « تجلات بلزر » إلى بلاد آشور من آخر حملة له بعد أن نصب حكاماً على البلاد المقهورة وقد انتهى حكمه عام ٧٣٠ ق . م دون وقوع حوادث تذكر غير أن « بابل » كان لا يمكن أن تترك دون تنصيب ملك عليها ولذلك نجد

« تجلات بلیزر » فی عامی ٧٢٩ ، ٧٢٨ ق . م قد أخذ بنفسه يدى الإله « بل » كما كان المعتاد وبذلك أصبح ملكا على « بابل » بالاسم والفعل فكان يعد أول عاهل أشورى حمل هذا اللقب منذ عهد الملك « توكولتى نينورتا الأول » . وبعد ذلك بقليل توفى « تجلات بليزر » بعد حكم كله مفاخر له وتولى بعده الملك « شلمنصر الخامس » .

أما من أعمال « تجلات بليزر » الفنية فلا نعرف عنها إلا اليسير . والألواح القليلة التى تركها لنا منقوشة تصور مناظر الحروب العادية التى قام بها . غير أن شواهد الأحوال تدل على أن قصره كان أفخم مسكن أقامه ملك فى بلاد «مسوبوتاميا» فقد كان أعظم ملوك « آشور » يتخذونه نموذجا يحذون حذوه فقد قلده الملك « سنخرب » عند ما أعاد بناء قصر « نينوة » كما سنرى بعد .

وعندما نذكر أن أعمال « تجلات بليزر » العظيمة قد أنجزت كلها فى مدة حكمه التى لا تتجاوز ثمانى عشرة سنة وأنه حوالى عام ٧٢٨ ق . م بسط سلطانه ووطد نفوذه من أول مياه « بيت يكن » الملحة حتى جبال « بكينى » (دمافند) فى الشرق ومن البحر الغربى حتى مصر ومن أفق السماء حتى سمتها تقرر بحق أنه اعظم شخصية بارزة فى تاريخ « آشور » .

ولا يفوتنا بحال أن نذكر هنا بعض حقائق بارزة عن هذه الامبراطورية فى عهد هذا العاهل لنستطيع تقدير استمرار قوة « آشور » فى النمو والتطور من أول عهد عاهلها « آشور ناصربال » فنلحظ أن إخضاع شمال سوريا فى مدة لم تتجاوز ثلاث سنوات كان ممكنا فقط بسبب أن أسس قوة « آشور » كانت قد وضعت بذورها بحكمة ودراية فى عهد أسلافه . أما أقاليم « قوى » (سيلسيا) و « تابال » فقد سقطت فى يديه دون حرب لأن « شلمنصر » كان قد أخضعها تماما فى خمس حملات قام بها فى تلك الجهات ؛ يضاف إلى ذلك أن الاعتراف به ملكا على «بابل»

نفسها يجب أن يعزى إلى أتباع « شلمنصر الثالث » و « أداد نيرارى الثالث » ومساعدة السلطة المركزية فى « بابل » على « الآراميين » و « الكالدو » .

أما استيلاؤه على عرش ملك « بابل » والقيام بتأدية واجباتها فى مدينة « بابل » نفسها وهى تلك الواجبات التى اقتضتها ضرورات الموقف فيظهر أنه كان إجراء خارجا عن هذه السياسة لم يكن مقصوداً ، وكان أكبر تقدم قام به « تجلات بليزر » فى فتوحه هو بلا نزاع ما أحرزه فى الغرب من بلاده من فتوح ، وهنا نرى أنه اتبع بكل أمانة سنن أسلافه . هذا إلى أن فكرته بأن «سوريا » يمكن القبض على ناصيتها بقوة يكون فى استطاعتها السيطرة تماما على مدن « فينقيا » وفلسطين مما يجعله بمد الممتلكات الآشورية الواقعة فى طريقه كانت هى السياسة التى اتبعها أخلافه من ملوك آشور .

والواقع أن بسط السيادة على فينقيا و إسرائيل لتكون حماية للأقاليم السومرية لم تلبث أن تحولت إلى التسلط المباشر على هذه البلاد و بالاختصار نجد أن « تجلات بليزر » عندما أراد تنفيذ مرامى « آشور ناصيربال » و «شلمنصر »السياسية قد اتخذ طريقا لا تؤدى إلا إلى الحملات التى قام بها فيا بعد كل من « أسرحدون » و « آشور بنيبال » كما سنرى .

تحدث بعض المؤرخين عن طريقة نقل هذا الملك لسكان البلاد المقهورة بالجملة . وقد رأى بعض الكتاب أن هذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكن « الآشوريين » أن يحكموا بها البلاد التى استولوا عليها بالقوة وحسب وقد رأى آخرون أن هذا الإجراء كان فيه بذور الضعف فى المستقبل لتمزيق روابط الوطنية والدين ، ومهما يكن من أمر فإنه ينبغى أن نلحظ هنا أن نقل السكان المفاجئ لم يكن بالأمر الغريب فى الشرق القديم حيث نجد أن قبائل كانت تهجر من تلقاء نفسها بلادها فى طلب مساكن جديدة كما حدث مع قبائل « اللوبيين » فى عهد « رعمسيس الثالث » وكما حدث مع قوم « الهكسوس » فى مصر فى نهاية الأسرة الثالثة عشرة هذا إلى أن

« تجلات بلبزر » قد سار على نهج أسلافه فى هذا الأمر وكان رائده فى ذلك خطة سياسية لها بعض الأهمية فى إدارة الأقاليم الجديدة التى ضمها إلى ملكه ، فنجد أن السكان الآراميين التابعين لمملكة « دمشق » كانوا قد نقلوا إلى القبائل الآرامية الساكنة على حدود « عيلام » ونقل أهل « كالدو » إلى وادى « نهر الأرنت » (العاصى) ونقل « الاسرائيليون » إلى « آشور » ، ومن ثم لا نجد فى أية حالة أن السكان الجدد كانوا يختلفون كلية فى اللغة والعادات عن القوم الذين سكنوا معه وبذلك تخلص الحكام المحليون فى المستعمرات الآشورية من الصعوبات التى قد تحدث من وجود أجانب بين أهلهم أنفسهم ، هذا إلى أنه كان فى مقدورهم أن يوردوا عددا محساً من العمال لأشغال السخرة والخدمة العسكرية فى الجيش الآشورى .

الملك « شلمنصر الخامس » ٧٢٧ — ٧٢٢ ق . م : ليس لدينا سجلات تاريخية الآن عن حكم « شلمنصر الخامس » الذى لم يدم إلا مدة قصيرة وتدل قائمة ملوك « بابل » على أنه اتبع « تجلات بلبزر الثالث » فى حكم « بابل » باسم «أولولالى» ، وأهم حوادث حكمه تتصل ببلاد فلسطين ، فنجد أنه بعد أن دفع « هوشع » الجزية بوصفه تابعاً مخلصاً لملك « آشور » دخل فى مؤامرة مع مصر كما جاء ذكر ذلك فى كتاب الملوك الثانى الإصحاح ١٧ ، فثار على سيده ملك « آشور » الذى هاجمه وحاصره فى بلدة « السامرة » مدة ثلاث سنوات . والواقع أن ترتيب تاريخ « هوشع » مرتبك وعلى ذلك نجد أن الأعداد التى ذكرت فى سفر الملوك الإصحاح ١٨ سطر ٩ — ١١ لابد أنها خاطئة وذلك لأن المؤرخ البابلى يقول إن « شلمنصر » ضرب « شايار إت » (وهى سبرائم المذكورة فى التوراة) (راجع حزقائيل الإصحاح ٤٧ سطر ١٦) .

وهذه الحادثة يمكن أن تكون تابعة لعهد الحصار ويقول المؤرخ « جوسيفس » نقلا عن «ميناندور الصورى» عندما كان يتكلم عن الحصار الذى ضربه « شلمنصر » حول بلدة « صور » وتخريبه لكل بلاد « فينقيا » « ومن الواضح أن « شلمنصر »

قد مات قبل أن تسقط « السامرة » فعلا وعلى ذلك فإن الحصار كان قد ابتدئ عام ٧٢٤ ق م ومات الملك فى شهر شباط وتسلم زمام الملك من بعده أسرة جديدة ».

الملك « سرجون الثانى » وتوطيد الامبراطورية فى عهده (٧٢٢ – ٧٠٥ ق . م) :

لم يمض على موت « شلمنصر الخامس » أكثر من بضعة أيام حتى تولى بعده عرش الملك « سرجون الثانى » (ومعنى سرجون الملك الحقيقى) ولم تحدثنا الآثار عن أصله ولكن تدل شواهد الأحوال على أنه كان من فرع بعيد عن بيت الملك .

وبتولى هذا العاهل عرش البلاد أخذ الاهتمام بتاريخ « آشور » يتغير فى شكله وفى اتجاهاته ، ولابد لنا هنا من أن نفحص المادة التى فى أيدينا للحصول على الخطوط الرئيسية التى كان لها أثر فى التطورات الاجتماعية والسياسية فى هذا الوقت مضافا إلى ذلك القوائم التاريخية والسجلات الحربية التى يمكن الاعتماد عليها فى عهود الملوك السابقين . على أن العهد الذى يبتدئ من حوالى عام ٧٢٠ ق . م حتى عام ٦٤٠ ق . م قد دعم بوثائق كافية كأى عصر من عصور التاريخ القديم لا يجعلنا نميز عهد أسرة سرجون عن عصور الملوك السابقين ، والواقع أن التغيير فى أهمية هذا العصر يرجع إلى سبب آخر وذلك أنه إلى عهد هذا العاهل كان تاريخ « آشور » هو قصة أقوام مؤلفة من قبائل اندمج بعضها فى بعض وألفت دولة كان لابد لها إذا أرادت الأمن والفلاح أن تصبح دولة حربية مسيطرة . وقد أدت الهجرات الغامضة للأقوام المختلفين وهى تلك الهجرات التى حدثت فى خلال القرن الحادى عشر ق . م . إلى انهيار المجهود الذى عمل لإقامة امبراطورية بسرعة يمتد سلطانها على إقليم شاسع أكثر من المعتاد . والواقع أنه منذ القرن التاسع حتى نهاية القرن الثامن كانت عملية النهوض البطيئة من هذا الانهيار وتأسيس نظام امبراطورى من الأمور التى اقتفى أثرها المؤرخون فنجد أن « تجلات بلیزر » كان بداية سلسلة طويلة من الملوك الفاتحين والحكام الآشوريين الذين

وطدوا أركان الدولة الآشورية بقدر ما تستطيعه طاقة بشرية . وإذا استعرضنا تاريخ ملوك «آشور» وجدنا أن الوضع فى «آشور» منذ عهد الملك «سرجون الثانى» وما بعده قد تغير تغيراً محساً ، فقد واجهت الدولة الآشورية وقتئذ ممالك مماثلة لها فى القوة مستقلة وهزمتها فى كل الجهات المتاخمة لها أو البعيدة عنها . وبالفعل نجد أن الامبراطورية الآشورية التى اعتلى «سرجون» عرشها قد اصطدمت مع أمم ودول عظمى ذات قوة لا تقل عن قوتها . ففى شرق نهر الفرات نجد أن القبائل الايرانية التى هاجرت حديثا كانت تقوم بمعارضة قوية وتؤلف جبهة موحدة صلبة أكثر من القبائل الأصلية التى كانت تعيش فى «ميديا» ، وعلى ذلك فإن الحكام الآشوريين على الحدود الشرقية كانوا دائماً فى خطر من أن يهزموا بما لدى العدو من جموع ضخمة . وفى الشمال نجد أن الخوف من خطر مملكة «الأورارتو» (أرمنيا) الذى كان يهدد البلاد باستمرار قد انقلب على حين غفلة إلى رعب من جموع الأقوام المتوحشين الذين كانوا قد أخذوا يدخلون هذه الجهات .

وفى الشمال الغربى ظهرت ممالك وأقوام جديدة فى السجلات الآشورية التاريخية مما يظهر لنا أن «سيلسيا» وهى الإقليم الذى كان الآشوريون يتكلون عليه بوجه خاص فى تجارة المعادن الهامة لهم ، قد اغتصبه قوم آخرون ليسوا بأقل من «آشور» فى المقدرة الحربية .

أما فى الغرب فقد تصادمت آشور فى فلسطين مع المصالح المصرية مما أدى حتما إلى غزو مصر أو قيام مصر بغزو هذه الجهات دفاعاً عن نفسها .

وفى الجنوب نجد أن قوة بلاد «كالديا» التى كانت آخذة فى النمو كان يديرها أمراء لهم سياستهم الماكرة التى كانت ترمى إلى ضم «عيلام» فى الجنوب الشرقى إلى أهالى فلسطين فى الجنوب الغربى لمقاومة الحكم الآشورى مما أدى إلى حدوث مواقع حربية أشد من أية مواقع أخرى واجهها الجيش الآشورى فى أية حروب قام بها .

والواقع أن كل حرب قام بها الآشوريون فى خلال القرن الأخير من حكمهم فى غربى آسيا (٧٢٠ — ٦٢٠ ق . م) كانت للدفاع عن كيانهم حتى لو كان الغرض المباشر لها أنها حرب هجومية . وهذا الموقف الدفاعى فى تاريخ آشور له ما يماثله بشكل غريب فى تاريخ الامبراطورية الرومانية من أول عهد الامبراطور « تيبريوس » وما بعده .

ولقد كان من المعتاد عند المؤرخين عند فحص أسباب تدهور وسقوط الدولة الآشورية أن يعلقوا على السرعة التى هوت بها هذه البلاد ويشيرون إلى أسباب الضعف الداخلية فى ذلك البناء الفخم فى ظاهره وهذا النقد على ما يظهر محق غير أنه لا يحمل كل الحقيقة فى ثناياه إذ الواقع أن آشور كانت منهمكة فى القيام بمجهود سياسى لم يسبق له مثيل بقدر ما وصلت اليه معلوماتنا .

وقد ذكرنا من قبل أن نظام ضم البلاد المتاخمة وغيرها وحكم المديريات الذى نفذ بكل دقة فى آسيا الغربية يميز السيادة الآشورية فى شكلها عن أى نظام نفذ سابقاً فى « بابل » أو « خيتا » أو فى مصر وهذا يشهد بمقدرة الآشوريين السياسية فقد كانت ممتلكاتها تهاجم من جهات متعددة بأعداء أقوياء فى داخل نفوذهم وكذلك كانت تهاجم بأمم مهاجرة ومع ذلك قد بقيت مدة قرن لم تنتقص أطرافها بل مدت حدودها أكثر من أى وقت آخر . هذا فضلا عن أنها فى السنين الثلاثين الأخيرة من حياتها قد هزمت أعداءها الواحد تلو الآخر إلى أن سقطت هى على يد مملكة قد أخذت معظم فنونها الحربية والسياسية عن آشور نفسها . هذا ونعلم أنه قد نبعت من آشور نفسها مباشرة صورة من صور النظام الدولى الباقى حتى الآن وأعنى بذلك نظام الملكية المعروف بالملكية الشرقية ، وعلى ذلك فإن كثيراً من الانتقادات التى توجه إلى نظام الملكية الشرقية يمكن أن يوجه الى الحكومة الآشورية تماماً فهى ركنه الركين .

ومما تطيب الإشارة إليه هنا وتعم فائدته أن نتحدث عن الأعمال الفنية التى نشأت فى هذه البلاد وتوحى بنمو وتطور فى المستقبل ونترك جانبا الأخطاء التى ارتكبها نظام

هذه البلاد ، وكذلك مما له ثمرة مفيدة أن نذكر من صفات الحكم الآشورى ما أسبغ عليه القوة والثبات مما لم تصل إليه دولة فيا سبق ونترك جانبا الأسباب التى أدت إلى سقوط دولة فى بيئة كانت الدول تقوم وتختفى فيها بسرعة فى كل عهود التاريخ .

حروب « سرجون » : وعلى الرغم من أن تولى « سرجون الثانى » عرش الملك لم يعارضه فيه أحد فإنه قد اعترضته مشاكل ومصاعب فى مختلف أقاليم امبراطوريته فى أوائل حكمه فقد قام بعدة حملات فى مختلف بقاع الامبراطورية كان بعضها يحدث فى وقت واحد فى أماكن مختلفة .

وتدل النقوش التى تركها لنا « سرجون » أن مصدر الثورات التى كانت تقوم عليه تنحصر فى أربع جهات وهى :

١ — اتحاد كل من « كالديا » و « عيلام » فى جنوب امبراطوريته لمناهضته .

٢ — قيام عدة أقوام عليه فى الشمال والشمال الشرقى .

٣ — مناهضة مملكة فرجيا الناشئة فى الشمال الغربى من بلاده .

٤ — انتقاض سوريا وفلسطين على حكمه ومساعدة مصر لهما فى الجنوب الغربى .

وقد كان أول ما شغل بال « سرجون » هو بلاد « بابل » وكان « مروداخ — بالادان الثانى » الحاكم المطلق فيها عام ٧٢١ ق . م ولما كان « سرجون » يرغب فى أن يكون هو الحاكم الشرعى لبابل كان لزاماً عليه أن يستولى عليها فقام بحملة فى أول شهر نيسان عام ٧٢١ ق . م . ولكن « مروداخ — بالادان » كانت تعاضده بلاد عيلام وقد زحف فعلا ملكها على حدود « آشور » واحتل بلدة « دور إيلو » الواقعة على الفرات السفلى وكان جيش «سرجون» فى تلك اللحظة لا يزال يحارب فلسطين لإخضاع بلدة « السامرة » ولكنه زحف بما استطاع جمعه من جيوش فى سرعة خاطفة نحو الشاطئ الشرقى للفرات ونازل العدو هناك فى موقعة

لم تكن فاصلة ؛ إلا أن العيلاميين تقهقروا وكان فى مقدور « سرجون » أن يعاقب الآراميين الذين انحازوا مع « مرودا خ — بالادان » . إلا أن الأخير اعترف بسرجون ملكا على بابل فتركه فى هذا الموقف مدة اثنتى عشرة سنة تقريبا .

وقد كان فى مقدور ملك « بابل » فى هذه الفترة أن يغير الحياة الاجتماعية فى « كالديا » . ولا نزاع فى أن الحزب الآشورى فى هذه البلاد قد فقد أرضه وسلعه وكانت القبائل المنضمة إليه تنتظر بطبيعة الحال أن تنال غنائم من هذه البلدان و إلا فإن التغير كان لا يمكن ملاحظته ، وذلك لأن الكلدانيين كانوا يعبدون الإله « مردوك » والإله « نابو » وهم فى ذلك على السواء مع البابليين ؛ هذا إلى أن لغتهم ومدنيتهم كانت واحدة أيضا . وعلى أية حال فإنه كان من المؤكد أن المدن الكبيرة قد قاست الأمرين من عسف « مرودا خ بلادان » مدة الاثنتى عشرة سنة التى حكمها وربما كان ذلك هو السبب فى شغف القوم « بسرجون » آشور الذى كان لا يهمه إلا تشجيع التجارة ويمقت النهب والسلب ؛ وعلى أية حال فإن حكم « مرودا خ — بالادان » فى تلك المدة لم يقو مركزه على الآشوريين .

ويلحظ أن « عيلام » حليفة « بابل » قد أهمل سير الأحوال فيها وفى عام ٧١٧ ق . م مات ملك « عيلام » المسمى « خومبانيجاش » وخلفه على عرش الملك آخر يدعى « شونروك — ناخخوتى » والظاهر أنه كان منهمكا بأحوال بلاده لأنه عندما بدأ الملك سرجون يوجه نشاطه إلى حدوده الجنوبية لم تتدخل عيلام فى زحفه وكانت خطة الآشوريين فى هذا الزحف حكيمة فقد كانت رجال القبائل الايرامية فى شرق دجلة متسلطين على أقصر طريق بين آشور و « بيت يكن » وهذه الطريق فى الوقت نفسه هى طريق المواصلات بين « سوس » « و بابل » وعلى ذلك وجه « سرجون » ضربة مزدوجة نحو هذه القبائل فكان غرض إحدى هاتين الحملتين القبائل الآرامية الواقعة على الحدود الشمالية لعيلام والأخرى القبائل الواقعة بين « سوس » ومصب نهر دجلة وقد استولى « سرجون » فى هاتين الحملتين على مدن عيلامية كما اشتركت جنود عيلامية

فى هذه الحروب . غير أن ملك عيلام لم يحرك ساكنا وقتئذ وعندما استعد «سرجون» عام ٧١٠ ق . م . للقيام بهجومه الشامل على « مرروداخ — بالادان » العاصى أخذ الرعب يدب فى نفسه وقد حاول أن يضم ملك عيلام إليه بالرشوة ولكنه لم يفلح قط وعلى ذلك اضطر الجيش «الكلدى» الذى كان زاحفا نحو دجلة للانضمام إلى جيش عيلام إلى التقهقر . وكان ذلك نذيرا بالتسليم العام فى كل البلاد الشمالية للملك «سرجون» . وبعد أن اقتحم سرجون طريقه فى عيلام عسكر بجيشه فى قلعة « دور لادينا » الواقعة فى بلاد « بيت دا كورى » القريبة من « بابل » وهناك جاء رسل « بابل » للترحيب بهذا الفاتح وقد سار « سرجون » فى « بابل » على نهج أسلافه مع تغيير طفيف فقد أخذ بدى الإله « بل » بما يليق من الاحتفال غير أنه لم يحمل لقب ملك « بابل » مفضلا أن يحمل اللقب القديم (شاك كانو كو) .

ولم تحدث بعد ذلك أية اضطرابات فى الجنوب طوال مدة حياة « سرجون » . والواقع أن سياسته كانت حكيمة ناجحة : إذ وجدناه فى بادئ الأمر منطوياً على نفسه أمام عدو قوى لم يكن فى الحسبان ملاقاته دون أن يهزم ثم انتظر حتى انفصمت عرى التحالف بين كلديا وعيلام ودبر حملة بمهارة أسفرت عن إخضاع كلديا وبذلك استولى على بابل غنيمة له فى مقابل ذلك ، هذا إلى أنه أحاط إقليم عيلام من الشمال بحاميات وأقاليم آشورية بجعلها حبيسة فى عقر دارها .

«أورارتو» (أرمينيا): كانت مسألة الحدود الشمالية الشرقية والشرقية أهم مسألة حربية تشغل بال «سرجون» طوال مدة حكمه ، وكانت الأحوال تدعوه إلى الالتفات إليها . وكانت « إرارتو » يحكمها أمير نشط وهو «روسا» بن « ساردور » منذ سنة ٧٣٣ ، ومن المحتمل أنه كان قد مد سلطانه فى السنين الأولى من حكمه كثيراً نحو الشمال والشرق ففاق بذلك غيره من الملوك الذين سبقوه على عرش هذه البلاد ، وقد اضطرته الحوادث التى وقعت فى الإقليم الواقع جنوبى بحيرة « أورميا » أن يتخذ سياسة الدس والمخاتلة على الملك « سرجون » وذلك لأن قبائل ميديس Medes

كانت تزحف باستمرار نحو الغرب ، ولم يكن فى مقدوره أن يقضى عليها فى حملة واحدة لخرض رؤساء القبائل على عصيان الملك « سرجون » الذى كان أهم قصد له هو المحافظة على أملاكه فى هذا الإقليم ، وقد قامت فعلا الاضطرابات فى اقليم « ماناى » عام ٧١٩ ق . م وهذا الإقليم يقع فى الجنوب الشرقى من بحيرة « أورميا » . وكان « ارانزو » ملك بلاد « ماناى » تابعاً موالياً لدولة آشور .

وقد اقتضت سياسته إثارة العصيان بين حكام المديريات الشرقية من مملكته وهاجموا « إرانزو » فى بلاده ، فلم يلبث أن أرسل عليهم « سرجون » جيشاً هزمهم هزيمة منكرة واستولى على مدنهم ونقل سكانها إلى الغرب ، وبعد ذلك بعامين هدد « إزا » بن « إرانزو » بخطر أشد من السابق ، وذلك أن « روسا » ملك « أورارتو » وغيرها من البلاد الموالية له هزموا جنود « إزا » فى سفح جبل يقع شرقى بحيرة « أورميا » مباشرة وتركوا جثة « إزا » على الأرض ، فسار عليهم « سرجون » على جناح السرعة لنجدة جيش « إزا » فهزم الأعداء فى نفس المكان الذى كانت فيه جثة « إزا » .

وفى عام ٧١٥ ق . م أغرى « روسا » ملك « أورارتو » ملك ماناى المسمى « دايوكو » على الثورة فجاء إليه « سرجون » فى الحال وهزم العدو ونفى «دايوكو» مع أسرته إلى « حماة » ونهب المراكز التى على حدود « أورارتو » كما فرض على رؤساء المدن المجاورة الجزية . هذا وكانت الموقعة الحاسمة مع « روسا » فى عام ٧١٤ ق . م . وقد ظلت « أورارتو » فى حرب مع « آشور » حتى تضعضعت فى عهد ملكها « أرجيستى » فهزمه « سرجون » غير أنه بقى حاكما عليها .

وفى الشمال الغربى وجه « سرجون » عنايته إلى الأراضى التى حول خليج « أيسوس » ففى أوائل حكمه لم يكن لبلاد سيلسيا حاكما قوياً عليها من قبله وهو « أمباريس » وكان يسكن على الحد الغربى من مقاطعة «خيلاكو» قوم « موشكى » وهم قوم « الفريجيون » فيما بعد وكان « ميتا » ملك هذه

البلاد يحرض على قيام الثورة على « سرجون » وقد اتخذ معه « بيسيريس » ملك « كركميش » وقام بثورة عام ٧١٧ ق . م فزحف عليهم « سرجون » واستولى على « كركميش » وأصبحت ولاية آشورية . وفى عام ٧١٥ ق . م قامت مظاهرة على « ميتا » ملك « موشكى » من إقليم (سيلسيا) وكان « ميتا » هذا قد استولى منذ زمن على اثنتين وعشرين مدينة من مدنها فاسترجعها « سرجون » ؛ وبعد ذلك قام « أمباريس » بن « خولو » بثورة على « سرجون » وكان « خولو » هذا قد نصبه « تجلات بليزر » ملكا على بلاد « تابال » ، وعلى الرغم مما فعله بيت الملك له ولأبيه وعلى الرغم من زواجه من ابنة « سرجون » فإنه تحالف مع « ميتا » ملك « موشكى » ومع « روسا » ملك « أورارتو » مما اضطر « سرجون » للقيام بحملة على بلاد « تابال » فى عام ٧١٣ ق . م

وقد أخذ « سرجون » بعد ذلك يصرف النظر عن محاولته تنصيب أمراء تابعين له بل حول هذا الإقليم الهام إلى مديرية آشورية ، وفى السنة التالية لذلك جاء دور معاقبة بلاد « ميليد » بسبب الثورة التى قامت بها وغزو ملكها لمديرية « كمانو » فهزمت ونفى ملكها وأسرته وكذلك رؤساء السكان واستعمرت البلاد بقوم «سوتى» ، ثم أقام « سرجون » حصونا لمقاومة بلاد « موشكو » و « أورارتو » وضمت بلادهما جزئياً للملك بلاد « كوماجين » الذى كان موالياً لسرجون .

وفى عام ٧١١ ق . م انتهز « سرجون » فرصة قتل ملك « جمجوم » على يد ابنه واستيلائه على الملك فغزا بلاده ونفى سكانها ونصب عليها حاكما « آشوريا » فى « مرقاس » (وهى مرعش الحالية) ، ومن المحتمل أن « سرجون » بعد أن لاحظ هذه الاضطرابات فى الشمال الشرقى من ممتلكاته صمم على أن يتخذ خطة حازمة مع بلاده « موشكى » التى كان يرى أن ملكها هو السبب فى قيام تلك الفتن وعلى ذلك أمر حاكم مديرية « قوى » بالسير على « ميتا » ملك « موشكى » عام ٧٠٩ ق . م فهزم « ميتا » هزيمة منكرة ولم ير بعد ذلك بداً من الاعتراف بسيادة « سرجون »

ودفع الضرائب له وبذلك أصبحت مديريات الحدود الآشورية من هذه الناحية آمنة ، وقضى على كل مقاومة فى الشمال الغربى من « آشور » . وتحدثنا النقوش كذلك أن ملوك « قبرص » السبعة أرسلوا جزيتهم « لسرجون » وأعلنوا تبعيتهم لآشور ، وذلك لأن كل الموانى التى كان هؤلاء الملوك يحملون تجارتهم اليها إلى اليابسة كانت فى يد « آشور » . ومن المحتمل كذلك أنه كانت تعسكر حاميات من الجنود الآشوريين فى الجزيرة نفسها . هذا ويدل وجود لوحة باسم « سرجون » فى بلدة « سبتيوم » بقبرص على سيادة الآشوريين وسيطرتهم على هذه الجزيرة .

وفى عام ٧٠٨ ق . م قضى على آخر الأمراء التابعين « لآشور » فى هذه الجهة وذلك أن « ماتلو » ملك « كموخ » قد حرضه « إرجستى » ملك « أورارتو » على الامتناع عن دفع الجزية « لآشور » فحاصر « سرجون » عاصمة بلاده واستولى عليها ولكن ملكها هرب أمامه فحول « سرجون » بلاده إلى مديرية آشورية بدلا من مديرية تابعة .

والواقع أن الأهمية الرئيسية فى التحول الذى جرى فى المديريات الشمالية الغربية هو ما نلحظه من تغير تام فى سياسة « سرجون » منذ سنة ٧١٣ ق.م وذلك أنه رأى أن سياسة إقامة أقاليم تابعة له على حدود مملكته قد أدت إلى الفشل فى كل عهد التاريخ « الآشورى » وبخاصة فى الأقاليم التى يمكن للثوار أن يعتمدوا فيها على مساعدة بلاد « موشكى » ومملكة « أورارتو » فى الخفاء دون أن تمد الثوار بجنود مما يدل على خوفهما من سلطان « آشور » ، ومن أجل ذلك صمم « سرجون » على ضم كل هذه الأقاليم المجاورة لبلاده وجعلها تحت حكمه مباشرة . وبذلك يمكنه أن يعتمد على حكامه فيها لقمع أية ثورة تشب فى أية ناحية من نواحيها .

حروب « سرجون » فى « سوريا » و «فلسطين » ومساعدة مصر لهما :

كان أول بدء المناوشات بين آشور ومصر فى عهد الملك « سرجون » وذلك

خلال حروبه فى سوريا وفلسطين، ومن ثم أخذ الاحتكاك بين الدولتين يزداد شيئاً فشيئاً إلى أن انتهى الأمر بغزو آشور بلاد مصر والاستيلاء عليها مدة من الزمان ، وقد كانت المناوشات التى قامت بين الدولتين أمراً طبيعيا وذلك لأن مصر كانت ترى أن استيلاء آشور على سوريا وفلسطين يهدد كيانها . هذا فضلا عن أنها هى الدولة الوحيدة التى لها حق السيطرة على بلاد فلسطين وسوريا لأنها كانت من ممتلكاتها منذ أزمان سحيقة ولم تنفصل عنها تقريبا إلا فى فترات تكاد لا تذكر . فلما بدأت آشور فى تمير هذه البلاد أخذت مصر فى مساعدة هذه البلاد سراً أحيانا وبالتحريض والدس إلى أن أعلنت الحرب بين مصر وآشور جهارا لهذا السبب .

وقد كان ملوك آشور يعطون عناية خاصة للأقاليم الواقعة غربى بلادهم فكانوا يرسلون الحملات على سوريا وفلسطين ومدن ساحل البحر الأبيض المتوسط كلما قامت ثورة هناك ، فلما تولى « سرجون » الملك وقعت فى سوريا وفلسطين حادثة من الأهمية بمكان بعد توليته مباشرة ، وذلك أن « شلمنصر الخامس » مات قبل أن ينتهى الحصار الذى أقامه على السامرة بعد انتصار الآشوريين عام ٧٢٢ ق.م . ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كان قد حدث فى تلك الآونة نفى السكان الأسرى من هذه الجهة وجلب سكان أسرى من قوميات مختلفة مكانهم وأنه كان من بين هؤلاء أسرى من العرب فى السامرة فى عام ٧٢٢ — ٧٢١ ق . م أوكان وفودهم إلى السامرة قد حدث فيما بعد . ومن المحتمل أن هذا الإجراء الذى جعل السامرة مقاطعة آشورية لم يكن قد فرض على أهلها إلا بعد أن انضمت البقية الباقية من إسرائيل إلى الحلف العظيم الذى ألف لمقاومة « سرجون » عام ٧٢٠ ق . م وقد كان المحرض على تأليف هذا الحلف ملك « حماة » المسمى « ياو بيدى » (وكذلك يسمى الوياوبيدى) . ومن المعلوم أن « حماة » كانت قد خضعت للملك « شلمنصر الثالث » ، والظاهر أنها ظلت إمارة تابعة لآشور منذ ذلك الوقت ومن المحتمل أن « ياوبيدى » هذا كان يأمل فى أن ينال نجاحا بحلفه هذا على غرار النجاح الذى ناله

« مرروداخ — بلادان » أو يجوز أن الأخير قد تآمر معه ليضمن نجاح هذا العصيان فى الغرب وهى سياسة اتبعها فيما بعد . والحلف الذى ألفه «ياوبيدى» كان من طراز خاص إذ لم يكن تابعا لآشور إلا هو وأمير آخر هو « هنونو » أو (خنو) أمير غزة أما البلاد الأخرى التى انضمت إلى هذا الحلف فكانت أقاليم آشورية وهى «إرباد» ، و« سميرا » ، و «دمشق» ، ثم « سامرينا » . ولم تذكر لنا النقوش الأسباب التى أدت إلى انضمام هذه المديريات لهذا الحلف والقيام بعصيان على آشور . وإذا كان الحكام الآشوريون قد اشتركوا فى هذه المؤامرة فقد كان من الطبيعى ومن الأمور المنتظرة أن يعلن « سرجون » ما وقعه عليهم من عقوبات فى نقوشه . من أجل ذلك ينبغى أن نعزو هذا العصيان إلى السكان أنفسهم وأنه حدث فى الأماكن التى اشترك سكانها فى الثورة وهذا بلاشك هو سبب الاضطراب فى « حماة » لأن ملكها « ياوبيدى » على ما يظهر كان قد قتل أميرها « إنى إيل » الحاكم على « حماه » وعزله ، ثم رفع راية العصيان بعد ذلك . وقد كان فى مقدوره هو وحلفاؤه أن يؤلفوا جيشا عظيما لمحاربة سرجون فى مدينة « قرقار » وقد انتصر سرجون على هذا الحلف انتصارا ساحقا كان من نتائجه أسر « ياوبيدى » و إخضاع « حماة » وجعلها ضمن أقاليم آشور . وقد كان ذلك من مصلحة الآشوريين بدرجة عظيمة ، إذ بذلك أصبح الأمير الوحيد المستقل فى سوريا ضمن كتلة الأقاليم الغربية التابعة لآشور . وبعد هذا النصر زحف «سرجون » بجيشه لمقابلة « حنونو » ملك غزه الذى كان جيشه قد تأخر لسبب ما عن الاشتراك فى الموقعة التى هزم فيها ملك « حماة » . ومن المحتمل أن هذا التأخير كان سببه انتظار مدد عسكرى من مصر . وكان أمير غزة هذا على ود ومصافاة مع الدولة المصرية فقد هرب إليها كما نعلم فى عهد « تجلات بليزر الثالث » . وفى هذا الموقف الحرج آتى انجدته « سبا » (شباكا) قائد الجيش المصرى الأعلى فى هذه اللحظة .

وقد قامت مناقشات عدة عن « سبا » أو « سبو » هذا فقد وحده كثير

من المؤرخين بملك مصر « شبكا » كما جاء فى التوراة » (راجع كتاب الملوك الثانى الإصحاح ١٧ سطر ٤ وما بعده) حيث يقول : ووجد ملك آشور فى « هوشع » خيانة لأنه أرسل رسلا إلى « سو » ملك مصر ولم تؤد جزية إلى ملك آشور على حسب كل سنة فقبض عليه ملك « آشور » وأوثقه فى السجن وصعد ملك « آشور » على كل الأرض وصعد إلى السامرة وحاصرها ثلاث سنين . فى السنة التاسعة « لهوشع » أخذ ملك آشور السامرة وسبى إسرائيل إلى آشور وأسكنهم فى « كالح » و « خابور » نهر جوزان وفى مدن « مادى » .

غير أنه من الواضح تماماً من السجلات الآشورية أن « سبا » لم يكن فرعون مصر وقتئذ وأن توحيده بهذه الكيفية فيه شك ويقول المؤرخ « هول » فى هذا الصدد ما يأتى : لما كانت نظرية وجود أرض لم تعرف حتى الآن تحمل نفس الاسم الذى تسمى به مصر وهو « موصرى » فى شمال بلاد العرب ينسب إليها « سيف » وهو « سبو » كما يسميه « الآشوريون » ، و « برعو موسرى » قد ذكر كذلك فى النقوش الأثرية الآشورية — قد أصبحت غير مقبولة بوجه عام فقد رجعنا إلى الأصول فاتضح منها توحيد اسم « سبو » أو « سيبو » باسم « شبكا » (وهو الذى يسمى عند الاغريق « سبيكس ») و « برعوموسرى » بفرعون مصر . ومن المحتمل أن ذكر الملك « سيف » فى التوراة بمناسبة « هوشع » فى عام ٧٢٥ ق . م يعد وضعا خاطئاً لهذا التاريخ بالنسبة لا نتصار « سرجون » فى موقعة « رفح » فى عام ٧٢٠ ق . م . عندما ذكر « سيبو » بوصفه قائد فرعون الأعلى (تورتان) وأنه هزم على يد الآشوريين ولم يذكر فى عام ٧٢٥ ق . م . ولا بد أن نفرض أن « سيبو » وسبو » هما شخص واحد وعلى ذلك لا بد أن نتبع ما جاء فى الوثائق الآشورية المعاصرة ونعد تاريخ حرب « سيبو » وقع فى عام ٧٢٠ ق . م . بدلا من ٧٢٥ ق . م كما جاء فى التوراة وعلى ذلك فإن احتمال توحيد « سيبو » و « سو » بالملك « شبكا » يكون واضحاً .

ومن الطبعى أن الملك « بيعنخى » عندما ترك مصر إلى عاصمة ملكه فى « نباتا » .

قد ولى « شبكا » الذى لم يكن بعد ملكا على مصر قائد الجيش الدلتا فى مصر ثم يقول المؤرخ « هول » فى ملاحظة أن موضوع الكشف عن اسم « سيبو » بوصفه ملكا موضوعاً فى طغراء على تمثال عجيب فى برلين لم يعرف تاريخه بالضبط من الأمور المشكوك فيها وهذا الاسم هو (« خو — توى — رع — سب ») ولا يمكن أن نقبل هذه القراءة إلا إذا نشرت نقوش هذا التمثال نشراً علمياً واضحاً .

المتون الآشورية التى وصلت إلينا عن حروب « سرجون الثانى »

مع بلاد سوريا وساحل البحر الأبيض

تحدثنا باختصار عن الحروب التى قام بها سرجون الثانى فى مملكته الغربية أى فى سوريا وفلسطين وموانئ البحر الأبيض المتوسط ، وقبرص ، ومساعدة مصر لها خفية وسنحاول هنا أن نستعرض المتون الآشوية التى وصلت إلينا حتى الآن عن هذه الحروب لأهميتها فى تاريخ الشرق الأدنى وبخاصة عندما نعلم أن هذه البلاد كانت تؤلف أحلافا فيما بينها عندما كانت تشعر أن الخطر الأجنبى كان يهدد كيانها فتفسد عليه خططه وكانت مصر دائما هى السند العظيم لهذه البلاد تساعدها لا حماية لها وحسب بل لحفظ كيانها نفسها .

وهاك النصوص التى وصلت إلينا حتى الآن عن حروب « سرجون الثانى » فى هذه الجهات .

(أولا) نقش وصفى عام[1] .

١ — « سرجون » ملك آشور إلخ فاتح « سماريا » وكل (بلاد) « إسرائيل » (بيت عمرى) والذى ضرب « أشدد » و « شنوهتى » والذى اصطاد الأغريق الذين (يسكنون على الجزر) فى البحر مثل السمك والذى قضى على « كاسكو » وجميع بلاد « تبالى » و « سيلسيا » (خيلاكو) ، والذى طارد « ميداس » (ميتا) ملك

(١) راجع Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, p. 284

« موسكو » ، وهزم « موصور » (= مصر) فى «رفح» ، والذى أعلن أن « هانو » ملك غزة بمثابة غنيمة والذى أخضع سبعة الملوك الحاكمين لبلاد « يا » وهو إقليم فى جزيرة قبرص ، وهم الذين يسكنون (جزيرة) فى البحر (على مسافة) مسيرة سبعة أيام » .

٢ — وكذلك من لوحة تدعى لوحة قبرص نقرأ ما يأتى : « لقد حطمت كالفيضان العاصف بلاد « حماة » جميعا . وقد أحضرت ملكها « ياوبيدى » وأسرته ومحاربيه فى الأغلال أسرى من بلاده إلى « آشور » . وقد ألفت من هؤلاء الأسرى (فرقة) تتكون من ثلثمائة عربة وستمائة فارس مجهزين بدروع من الجلد وحراب وأضفتهم إلى حرسى الملكى . وقد أسكنت ٦٣٠٠ آشوريا ممن يعتمد عليهم فى بلاد « حماة » ونصبت ضابطا من رجالى حاكما عليهم وفرضت عليهم جزية .

« أما سبعة الملوك أصحاب « يا » وهو إقليم فى جزيرة قبرص يقع فى وسط البحر الغربى على مسافة مسيرة سبعة أيام فقد كانت بلادهم بعيدة جداً لدرجة أنه لم يسمع واحد من الملوك أجدادى بأسماء بلادهم تذكر منذ الأيام البعيدة جدا . فقد عرفوا وهم بعيدون جدا فى وسط البحر ، الأعمال العظيمة التى أحرزتها فى « كالديا » وفى بلاد « خيتا » وقلوبهم بدأت تدق وانصب عليهم الرعب وقد أرسلوا إلى فى بابل ذهبا وفضة وأشياء مصنوعة من الأبنوس وخشب البقس وهى كنوز بلادهم وقبلوا قدمى .

٣ — ومن التقارير الحولية نقرأ ما يأتى[1] من السنة الأولى من حكمه :

« فى بداية حكم الملك أنا . . . . بلد السامريين حاصرتها وفتحتها (يلى ذلك سطران مهشمان) (لأجل الآله . . . . الذى) جعلنى أحرز هذا النصر . . . . وقد سقت سجناء ٢٧٩٠٠ من سكانها وجهزت من بينهم جنودا ليقودوا خمسين عربة لأجل حرسى الملكى . . . وقد أعدت بناء المدينة بأحسن مما كانت عليه من قبل وأسكنت فيها أناسا من ممالك فتحتها (أنا) نفسى ونصبت ضابطا من ضباطى حاكما عليهم وفرضت عليهم ضرائب كما (هى العادة) للواطنين الأشوريين .

(١) راجع Pritchard, Ibid, b. 284

٤ — من نقش استعراضى [١]: نقش ما يأتى « لقد حاصرت وفتحت «سماريا» وسقت غنيمة ٢٧٢٩٠ نسمة من سكانها وقد ألفت من بينهم فرقة لخمسين عربة وجعلت السكان الباقين يأخذون أماكنهم (الاجتماعية) وقد نصبت عليهم ضابطا من ضباطى وفرضت عليهم ضرائب الملك السابق أما «هانو» ملك غزة وكذلك «سبى» (شبكا) قائد مصر وحاكمها فقد سار من «رفح» على فقابلتهما فى موقعة فاصلة فقهرتهما وقد فر « سبى » (شبكا) خائفا بمجرد أن سمع ضوضاء جيشى الزاحف . ولم ير بعد ثانية . أما « هانو » فقد قبضت عليه شخصيا . وتسلمت جزية من فرعون مصر وكذلك تسلمت من « سماس » ملكة العرب ومن « إتامار السبئى » ذهبا فى صورة تبر وخيلا وجمالا » .

الاستيلاء على « أشدد » [٢] : وعندما خاف « أمانى » ملك « أشدد » قوتى المسلحة ترك زوجه وأولاده وفر إلى حدود مصر التى كانت تابعة « لملوخا » (إثيوبيا أوكوش) وبقى هناك كاللص فنصبت ضابطاً من ضباطى حاكما على كل بلاده الواسعة وأهلها الموسرين وبذلك وسعت ثانية الإقليم التابع لآشور ملك الآلهة . وعلى أية حال فإن فخار « آشور » سيدى الذى يبعث الفزع قد تغلب على ملك « ملوخا » (بلادكوش) فألقى به (أى إمانى) فى الأغلال فى يديه وفى قدميه وأرسله إلى بلاد « آشور » . وقد فتحت ونهبت بلاد « شينوهتى » و « سمـاريا » وكل « اسرائيل » (حرفيا أرض عمرى) وقبضت على الإغريق (أهل ايونيا) الذين يسكنون فى وسط البحر الغربى .

تحالف غزة مع مصر [٣] : (السنة الثانية من حكم سرجون) .

« وفى السنة الثانية من حكمى « الوبيدى » (من حماة) .... أحضر جيشاً

---

(١) راجع Luckenbill, II., S 55; H. Winkler II, Pls. 30 f. 1, 101

(٢) راجع Luckenbill, Ibid, II,p. 79

(٣) راجع Pritchard, Ibid, Par. 285

كبيراً عند بلدة « قرقار » (ناسين) الأيمان (التى عقدوها) . . . مدائن « أرباد » و « سميرا » و « دمشق » و « سماريا » ثاروا على (يأتى بعد ذلك بفجوة فى المتن لا يعرف مقدارها) وقد عقد (هانو صاحب غزة) معه (أى فرعون مصر) اتفاقا وقد دعا (الفرعون « سبا ») (شبكا) قائده (تورتان) لمساعدته (أى مساعدة هانو) وزحف (شبكا) للنزال فى موقعة فاصلة وقد حاقت بهما (أى هانو وشبكا) هزيمة وذلك على حسب أمر وحى أعطاه سيدى آشور ، وقد اختفى « سبى » (شبكا) كالراعى الذى سرق قطيعه وفر وحده واختفى ، أما « هانو » فقد قبضت عليه شخصيا وأحضرته معى فى الأغلال إلى بلدتى « آشور » وقد ضربت « رفح » وهدمت جدرانها وأحرقتها وسقت ٩٠٣٣ أسيرا من سكانها بأمتعتهم العديدة » .

الاستيلاء على «حماه» : وعلى حسب نقش استعراضى آخر[1] نقرأ ما يأتى عن الاستيلاء على « حماه » : « لقد دبر « يا وبيدى » صاحب « حماه » وهو فرد من العامة ليس له حق فى العرش وخيتى ملعون ليصير ملكا على « حماه » وحرض مدن « أرواد » و « سميرا » و « دمشق » و « سماريا » على أن تتنحى عنى وجعلها تتعاون وتؤلف جيشا فجمعت جموع جنود آشور وحاصرته هو وجنوده فى « قرقار » وهى مدينته المحببة إليه ففتحها وأحرقتها وقررت السلام والوئام ثانية وقد ألفت فرقة من خمسين عربة وستمائة فارس من بين سكان «حماة» وأضفتهم لحرسى الملكى » .

محاربة « قرقيش » : فى السنة الخامسة من حكم سرجون الثانى[2] .

« وفى السنة الخامسة من حكمى نقض « بيزيرى » حاكم « قرقيش » الميثاق الذى أخذه على نفسه مع الآلهة العظام وكتب رسائل إلى « ميداس » ملك «موشكى» مفعمة بالخطط العدائية لآشور فرفعت يدى (تضرعا) لربى « آشور » (فقد أدى ذلك إلى) أن جعلته هو وأسرته يخضعون بسرعة (اى يخرجون) من « قرقيش »

---

(١) راجع Winkler, I, 103—105, Pritchard, Ibid, p.285

(٢) راجع Winkler, Ibid, I, 46—50 ; Pritchard, Ibid, p. 285

وكلهم فى الأغلال ومعه الذهب والفضة ومتاعه الخاص أما سكان قرقميش الثائرون الذين كانوا يعضدونه فقد سقتهم أسرى وأحضرتهم إلى آشور وقد ألفت من بينهم فرقة من خمسين عربة ومائتى فارس وثلاثة آلاف جندى من المشاة وأضفتهم إلى حرسى الخاص وقد أسكنت فى مدينة « قرقميش » مواطنين من آشور وجعلت على عاتقهم «نيرآشور» ربى .

إخضاع ثمود وغيرها فى السنة السابعة من حكم سرجون الثانى[1] :

« وعلى حسب وحى صادق مشجع أوحى به ربى آشور وطئت قبائل « ثمود » و « أباديدى » و « مارسيمانو » و « هيابا » وهم العرب الذين يقطنون بعيداً فى الصحراء والذين لا يعرفون رؤساء عليهم ولا موظفين . وهم الذين كانوا حتى الآن لا يحضرون جزية لأى ملك . فنقلت أحياءهم وأسكنتهم فى « سماريا » .

وتسلمت من فرعون ملك مصر ومن « سامسى » ملكة بلاد العرب « وإتامر السبئى » — وهؤلاء هم ملوك الشاطئ ومن الصحراء — هدايا تبر من الذهب وأحجاراً كريمة وعاجاً وحبوباً وأبنوساً (هذه الحبوب من عقاقير « مسوبوتاميا ») وكل أنواع المواد العطرية وتسلمت كذلك خيلا وجمالا .

ثورة « أزورى » ملك « أشدد » وخلعه عن الملك السنة الحادية عشرة[2] من عهد سرجون الثانى .

« صمم « أزورى » ملك « أشدد » على عدم دفع ضريبة وأرسل رسائل مفعمة بالعداء لآشور إلى الملوك الذين كانوا يقطنون بجواره وبسبب هذا الاثم الذى ارتكبه عزلته عن حكم سكان بلاده ونصبت بدلا منه « أهيميتى » أخاه الأصغر ملكا عليهم غير أن هؤلاء الحيثيين الذين كانوا دائماً يدبرون الغدر قد كرهوا حكم « أهيميتى »

---

(١) راجع Winkler, Ibid I, 94—99; Pritchard, Ibid, p,285, Luckenbill II § 17—18

(٢) راجع Winkler, Ibid I, 215—228; Pritchard, Ibid, p. 286; Luckenbill' Ibid II, 30

ونصبوا بدلا منه فى الحكم إغريقيا لم يكن له أى حق فى العرش ، وقد كانوا لا يعرفون أى احترام للسلطة (وفى حالة غضب مفاجىء) سرت بسرعة فى عربتى الملكية ولم يكن معى إلا خيالتى الذين لم يفارقوا جانبى حتى فى البلاد المهادنة إلى «أشدد» مقره الملكى فحاصرت وفتحت مدن « أشدد » و « جات » (جيمتو) و « أشدوديمو » وأعلنت أن الآلهة القاطنين فيها وهو نفسه وكذلك سكان بلاده والذهب والفضة ومتاعه الخاص غنيمة وأعدت نظام هذه المدن ونصبت ضباطا من ضباطى حكاما عليهم وأعلنت أنهم مواطنون آشوريون وبذلك أصبحوا تحت نيرى .

ولدينا نقش آخر احتفالى يصف لنا نفس الموضوع السابق مع بعض إيضاحات جديدة عن مصر[1] .

« إن « أزورى » ملك « أشدد » قد صمم على عدم دفع الجزية وأرسل رسائل مفعمة بالعداء « لآشور » إلى الملوك الذين يعيشون بجواره ، وقد كان من جراء هذا العمل الذى ارتكبه أنى محوت حكمه على قوم مملكته ونصبت « أهيميتى » أخاه الأصغر ملكا عليهم غير أن هؤلاء الحيثيين الذين كانوا دائمـا يدبرون أعمال السوء كرهوا حكمه ونصبوا إغريقيا حاكما عليهم ، وعلى الرغم من عدم وجود أى حق له فى ادعاء العرش لم يكن يكن أى احترام للسلطة فكان فى ذلك مثلهم ، وفى حالة غضب مفاجئة لم أنتظر حتى أجمع كل جيشى أو لأجهز معدات المعسكر ولكن سرت نحو « أشدد » ، ولم يكن معى غير محاربى الذين كانوا حتى فى الأماكن المسالمة لا يفارقون جانبى ، ولكن هذا الاغريقى سمع عن تقدّم حملتى من بعيد وهرب إلى مصر ، وهى التى كانت الآن ملك « إثيوبيا » — ولم يمكن الكشف عن المكان الذى اختبأ فيه — وقد حاصرت وهزمت مدن « أشدد » و « جات » و « أشدوديموا » وقد أعلنت أن صوره وزوجه وأولاده وكل متاعه وكنوز قصره وكذلك كل سكان بلاده

---

(١) راجع Winkler, Ibid I, 115—116; II, 33—34 ; Luckenbill II, § 62. Pritchard, Ibid, p. 286.

غنيمة ، وأعدت نظام إدارة هذه المدن وأسكنت فيها أناسا من أقطار الشرق التى فتحتها شخصيا ونصبت ضباطا من ضباطى عليهم ، أعلنت أنهم مواطنون آشوريون وبهذه الصفة جروا سيور نيرى (أى أصبحوا تحت سلطانى) . وملك « إثيوبيا » الذى يسكن (فى مملكة بعيدة) فى إقليم لا يمكن الاقتراب منه إذ كانت الطريق (إليه ....) ، ومن آباؤهم لم يرسلوا رسلا من أزمان بعيدة حتى الآن عن صحة أجداد الملوك ، فقد سمع على الرغم من بعد المسافة بقوة الآلهة « آشور » ، و « نبو » ، و « مردوك » وقد أعماه ما يبعثه رهبة لخار ملكى واستولى عليه الفزع . من أجل ذلك ألق به (أى الإغريق الحاكم المغتصب للملك أشدد) فى السلاسل والأغلال ومقابض من حديد وأحضروه إلى « آشور » ، وهو سفر طويل .

ولدينا متن مهشم على مكعب[1] جاء فيه ذكر مصر :

« . . . فى إقليم بلدة « نخال موسور » (ومعناه حرفياً بلدة نهر مصر وموقع هذا النهر غير مؤكد وقد وحد بالخليج الذى بين مصر وفلسطين) . . وقد جعلت جيشى يقطع الطريق عند الغروب . . . . شيخ بلدة « لابات » . . . . « شلكانى » أو « شلهينى » ملك مصر الذى . . . . سخرآشور سيدى الذى يبعث الفزع قد تغلب عليه فأحضر هدايا اثنى عشر جواداً عظيما من مصر ليس لها مثيل فى هذه البلاد » .

ولدينا نقش آخر من مكعب مهشم خاص بملك أشدد وما حدث له جاء فيه ذكر مصر[2] .

وهاك النص : « أزيرو » ملك أشدد (. . . .) بسبب (هذه الجريمة) من . . . « أهيميتى » . . . . أخاه الأصغر (عليهم . . .) وجعلته حاكما . . .

(١) راجع Pritchard, Ibid, p. 286

(٢) راجع Pritchard, Ibid, p. 287

جزية . . . . . . مثل الملوك السابقين فرضتها عليه (ولكن هؤلاء) « الحيتا » الملعونين قد فكروا فى عدم دفع الضرائب وبدءوا بثورة على حاكمهم فطردوه . . . . . « أمانو » وهو اغريقى من عامة الشعب وليس له حق فى إدعاء العرش ليكون ملكا عليهم وقد جعلوه يجلس على نفس العرش الذى كان عليه سيده السابق (وهم . . . .) بلدهم للهجوم ؟ (يأتى بعد ذلك بخوة قدرها ثلاثة أسطر) . . . . فى جوارها وجهزوا خندقاً عمقه عشرون + س ذراعا وقد وصل عمقه حتى الماء السفلى لأجل أن . . . . . وبعد ذلك نشر أكاذيب لا حصر لها عند حكام فلسطين و « يودا » و « مواب » وعند سكان الجزائر وأحضروا جزية وهدايا لرب « آشور » — وقد نشر أكاذيب لا حصر لها ليقصيهم عنى وكذلك أرسل رشوة لفرعون ملك مصر وهو مستبد عاجز عن خلاصهم وسأله أن يكون حليفاً ولكنى أنا « سرجون » الحاكم الشرعى المخلص لما ينطق به « نبو » و « مردوك » قد حافظت على أوامر الإله « آشور » وسرت بجيش إلى دجلة والفرات فى وقت قمة فيضانهما أى فيضان الربيع كأنه أرض جافة : وعلى أية حال فإن هذا الاغريقى ملكهم الذى وضع ثقته فى قوته نفسه فلم يخضع لحكمى (المنزل من عند الإله) قد سمع باقتراب حملتى وأنا لا أزال بعيداً فتغلب عليه بهاء رب آشور . . . . فر . . . . . » .

ولا نزاع فى أن هذه النقوش التى ترجع كلها إلى عصر سرجون الثانى تكشف لنا عن عدة حقائق عن مصر فى تلك الفترة ، فنرى أولا أنها كانت تساعد فعلا مدن فلسطين وسوريا على التخلص من النير الأشورى ، فقد تحالفت مع غزه وحاربت آشور فى موقعة هزم فيها جيش مصر وجيش غزة عند « رفح » وهرب قائد الجيش « شبكا » وكذلك نجد ان مصر كانت تحمى الفارين من حكام البلاد الذين تحت السيطرة الآشورية غير أنها كانت تسلمهم ثانية إلى ملك آشور مما يدل على قوة هذا الملك وخوف ملك مصر وكوش منه فقد أعاد اليه حاكم أشدد . هذا ونجد ملك مصر يقدم الهدايا إلى ملك آشور . كل هذا يدل على خوف ملك مصر والسودان من ملك

آشور ولكن هذه الحقائق التي نثبتها هنا هي من جانب واحد وهو الجانب الآشورى وحده . ومما يؤسف له جد الأسف أنه لم يصل الينا حتى الآن أية وثيقة مصرية عن علاقة مصر ببلاد آشور فى هذا العهد ، ولذلك سيبقى مصدرنا الوحيد عن هذا العصر من جانب واحد وهو الجانب الآشورى وفيه من المبالغة مافيه حتى قيل إن ملك مصر والسودان فى ذلك العهد كان يقدم جزية لملك « آشور » .

خاتمة حياة «سرجون» : كانت آخر حملة قادها « سرجون » فى الشمال الغربى من امبراطوريته ولا نزاع فى أن تدبير هذه الحملة ونتيجتها يمكن اعتبارها مقياساً لقدرة « سرجون الثانى » بوصفه رجل سياسة وقائد حرب فقد كانت الهزيمة التي حاقت بملك « أورارتو » (أرمينيا) المسمى « أرجستى » فى عام ٧٠٧ ق . م . بمثابة نذير لملك « آشور » بخطر جموع قوم السميريين على حدوده الشمالية ؛ وقد صمم « سرجون » على مقابلة هؤلاء القوم المتوحشين فى الحال عند النقطة التي كانوا يزحفون منها على حدوده فسار بجيشه عام ٧٠٦ ق . م إلى « تابال » وقابلهم فى موقعة عام ٧٠٥ ق . م . وعلى الرغم من سقوط سرجون قتيلا فى ميدان الحرب فى هذه الموقعة فان سياسته كانت قد حققت أكثر مما كان ينتظر وذلك بما وصل إليه من نتيجة ، فلم نعد نسمع بعد بتقدم هام من ناحية هؤلاء السميريين المتوحشين فى خلال مدة حكم خلفه الملك « سنخريب » وليس من السهل علينا أن نقدر هذا العمل الذى قام به « سرجون » أكثر مما يجب إذ لا نزاع فى أن « سوريا » بل ومن الجائز كل غربى آسيا كانت مدينة بخلاصها من الغزو فى هذا الوقت للحملة التي فقد فيها « سرجون » حياته وذلك لأن قوم السميريين كانوا قد أصبحوا فى زوايا النسيان لمدة عدة سنين انقضت بعد هذه الموقعة وقد تركوا يهيمون على وجوههم فى الأراضى المجهولة فى داخل آسيا الصغرى . أما جثمان « سرجون » الذى ظل فى ميدان الموقعة فقد عثر عليه بين القتلى وحمل إلى آشور .

ولا ريب فى أنه يظهر لنا مما ذكرناه سابقا عن حكم «سرجون» فى أقاليم امبراطوريته

المختلفة البرهان المبين عن نشاطه ومقدرته ومع ذلك فقد كان من البشر عرضة لارتكاب أخطاء ؛ وأظهر هذه الأخطاء اختياره لموقع عاصمته الجديدة التي سماها باسمه « دور — شاروكين » (أى بيت سرجون) تعظيما لنفسه وتقع فى الشمال من « نينوه » على شاطئ مجرى صغير يصب فى دجلة من الشرق وهى المعروفة الآن باسم «خورسباد» ؛ ولا غرابة إذا وجدنا أن أخلافه قد هجروها غير أنها بقيت بمثابة حصن . وعلى أية حال ينبغي أن نلحظ هنا أن السبب فى اختيار « سرجون » لهذا الموقع يرجع على الأرجح إلى انهماكه فى المسائل المتعلقة بحدوده الشمالية الشرقية فمن بلدة « دور شاروكين » (خورسباد) كان يمكنه أن يجمع ويرسل بطريقة أسهل معلومات إلى حكامه على هذه الحدود . والواقع أن هذه المدينة وما أنفق عليها من أموال طائلة كان لإشباع شهوة شخص واحد وهو الملك الذى هجرت على أثر وفاته أى « سرجون الثانى » وهذا العمل يتناقض مع ما كان عليه كل من «شلمنصر الثالث» والملك « سنخرب » من حسن اختياره لعاصمته فإن كلا منهما كان ينظر فى اختياره بمنظار الحقائق المفيدة، فقد صرف كل منهما مجهوده وأمواله على تحسين مدن « آشور » و « كالح » و نينوه » عواصم البلاد الطبيعية مراعياً فى ذلك الفوائد الحقيقية التى كانت تعود على الامبراطورية .

ويمتاز فن النحت فى عصر « سرجون الثانى » بإبرازه باتساع وجلال وبخاصة نحت الأشكال البشرية ، أما فى الفن عامة فليس هناك تقدم يذكر على وجه عام .

أما فى الأدب فنجد أن المعلومات التى جمعها تبعث فينا حب الاستطلاع أكثر مما تمدنا به من معلومات عن التطورات التى حدثت فى عهده فمن الجائز أن هذا الملك كان يدير بنفسه نسخ متون منوعة خاصة بالأعمال العظيمة التى قام بها «سرجون أجادى الأول » أما ما خصصه من عناية للتفاصيل الجغرافية فكان فى الواقع سببه اهتمام « سرجون » شخصياً بالفنون الحربية .

وعلى أية حال فإن سرجون لم يكن ملكا عظيما وحسب بل كان كذلك رجلا مثقفا نحس فيه نفس الذوق الفنى والمجهود الأدبى اللذين يمتاز بهما أخلافه من الملوك العظام .

عصر الملك « سنخرب »[1] (٧٠٥–٦٨١ ق.م)

خلف « سنخرب » والده سرجون الثانى على عرش الملك عام ٧٠٥ ق.م وتحدثنا النقوش بأن والده قد دربه على أساليب الحكم وفنون الحروب وتدل رسائله التى كتبها لوالده عن شئون الحدود الشمالية للدولة على أن واجباته باعتباره ولياً للعرش كانت تحتم عليه أن يقوم بنصيب وافر فى مهام الحكم . والظاهر أنه قد اتبع نفس السياسة التى اختطها والده لنفسه فى إدارة شئون الملك . ومن الغريب أن بعض المؤرخين قد نسب إلى « سنخرب » أن توليته العرش كانت نذيراً باندلاع ثورة فى الأقاليم . والظاهر أن هذا الخطأ قد جاء عن طريق ذكر حوادث عهد هذا العاهل باختصار فأدى ذلك إلى سوء فهم المتون .

والواقع أن الجيش الآشورى قد مكث مدة سنين لا عمل له قط وكان «سنخرب» فى خلالها مشغولا فى أفخم عمل قام به مدة حكمه وهو إعادة بناء مدينة « نينوه » ؛ ولا نزاع فى أن هذه الفترة التى كان لا عمل فيها للجيش تدل على ما كانت عليه الامبراطورية الآشورية من أسس ثابتة كما كانت تدل على أن الإدارة كانت مكينة فى عهد « سرجون » العظيم .

كان أول من ناهض حكم « سنخرب » عبد مدع اغتصب عرش « بابل » ، وذلك فى الوقت الذى كان يدبر فيه « مروداخ — بلدان » مؤامرة على « سنخرب » مع من حوله من الممالك القوية وبخاصة مملكة « عيلام » وبلاد العرب للاستيلاء على عرش « بابل » ، فلم يكد يعلم « مروداخ بلدان » بهذه المؤامرة التى قام بها هذا المدعى حتى زحف بجيشه وهزمه واستولى على ملك « بابل » واتخذ « بور — سبا » عاصمة له وعندما علم « سنخرب » بذلك زحف بجيشه بدوره وقضى على جيش

---

(١) راجع Luckenbill, II, § § 115 ff.

« مرودواخ بلدان » وأحلافه من العيلاميين والعرب فى « كوتا » ثم فى « كيش » وبعد ذلك سار « سنخرب » إلى « بابل » حيث قابله الأهلون بالترحاب ، ثم قام بتخريب معاقل « الكلدانيين » واستولى على ثمانية وثمانين مدينة محصنة ؛ والظاهر أن الملك « سنخرب » قد ولى رجلا عظيما من أهل « بابل » كان قد تربى فى بلاط « آشور » فى حداثة سنه ملكا على « سومر » و « أكاد » (كما كان يفعل ملوك مصر فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فقد كانوا يربون أولاد الأمراء التابعين لهم ثم ينصبونهم ملوكا بعد آبائهم) وجعل بجانبه موظفين حكاماً لأقاليم « كلديا » ولكن لم يلبث أن عاد « مرودواخ بلدان » الذى كان قد هرب إلى بلاده « بيت يكن » وأخذ يستعد لمهاجمة « بابل » ثانية .

دعى « سنخرب » بعد حادث « بابل » بعامين إلى الزحف نحو حدوده الغربية وذلك لقيام معارضات وثوارت على الحكم الآشورى، ولا يبعد أن ذلك كان بتحريض رسل « مرودواخ بلدان » عندما أراد الاستيلاء على « بابل » ثانية وكذلك بتحريض من مصر التى كانت تخاف شر آشور وتوغلها فى أراضى فلسطين التى كانت فى سالف الزمان تسيطر عليها . وكان أقوى ملك فى فلسطين عند تولية « سنخرب » الملك هو «حزقيا» ملك « يهوداً » الذى كان قد قام بمحاولة جريئة لتحسين مركزه الحربى وذلك بتوسيع رقعة بلاده على الرغم من أنها كانت محاولة خطرة فبعد أن هزم الفلسطينيين جعل نفسه بصورة ما المسيطر عليهم (راجع سفر الملوك الثانى الاصحاح ١٨ سطر ٨) ولا نعلم على وجه التأكيد إذا كان الغرض من حروبه مع فلسطين هو كسر شوكة الدويلات التى كانت تنتمى إلى الآشوريين مثل « بادى » و « إكرون » أو لاسترجاع المدن التى كان قد استولى عليها « سنخرب » ، وقد جعل «حزقيا» مدينة « أورشليم » منيعة لتدافع عن نفسها وذلك ببناء مجرى ماء تحت الأرض ليصبح جلب الماء إليها يسيراً إذا حوصر . ومن المحتمل أن هزيمة « مرودواخ بلدان » قد جعلت «حزقيا» يحجم عن مهاجمة الآشوريين ولكنه كان مع ذلك قد توسط فى إعلان الثورة هو وممالك

أخرى كان غرضها تدبير مؤامرة على آشور وهذه المؤامرة التى أشير إليها فى التوراة (فى كتاب إشعيا الاصحاح ٣٠ سطر من ١ — ٥) لا بد أنها ترجع إلى عامى ٧٠٢ — ٧٠١ ق . م . عندما شاعت خيبة ثورة « مروداخ بلدان » ملك « كالديا » أما المصريون الذين قاموا بهذه المؤامرة فهم ملوك الدلتا الإقطاعيون الذين كانوا يعملون بعلم من «شبكا» الكوشى فرعون مصر فى ذلك العهد، وهذه المؤامرة الجديدة التى تورطت فيها معظم مدن جنوب فلسطين قد اشتركت فيها « صور » و « صيدا » وهما أهم مدينتين فى « فينقيا » . ومما يلفت النظر هنا أن هذه كانت أول مرة يشترك فيها ملوك « فينقيا » فى مقاومة مباشرة لبلاد آشور وبذلك يكونون قد خرجوا من عادتهم المتبعة وهى الاعتراف بأى دولة تكون لها السيادة فى الشرق . والواقع أننا لا نعرف السبب فى موقفهم الجديد ولكن يحتمل أن حكام آشور كانوا يستعملون نفوذهم على حساب التجارة والتجار « الفينقيين » ، وواضح مما ذكرنا عن الحملة الآشورية أن « حزقيا » و« لولى » ملك « صيدا » كانا يخفيان المشروع الذى تورطا فيه وكان مصير المؤامرة المصرية إلى الفشل قبل أن يواجههم « سنخرب » بجيشه .

وقد بدأت الثورة التى كان يرأسها «حزقيا » بطرد الملوك والأمراء الذين عينهم الآشوريون فى المدن الجنوبية الفلسطينية فطرد ملك « عسقلان » المسمى « شارولوداری » — وهو الذى قد خلف « روكبتو » الذى نصبه « سرجون » — على يد « صيدقا » ملك عسقلان وطرد « ميتيني » حاكم أشدد من قبل الآشوريين وفى « أمقارونا » (إكرون) قامت ثورة طرد من جرائها « بادى » الذى كان قد بقى على ولائه للحكم الآشورى وسلم مكبلا فى السلاسل والأغلال لحزقيا ملك « يهودا » وهذا العمل الذى تورط فيه حزقيا بما أعلنه من تردد فى إعلان الثورة قد جعل سنخرب يسير إلى ساحة القتال فى عام ٧٠٠ ق. م. فزحف أولا على إقليم « صور » ثم على « صيدا » غير أن « لولى » ملك الأخيرة لم ينتظر هجوم « سنخرب » وهرب إلى جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط فنصب « سنخرب » مكانه « إتبعل » (توبعلو)

على « العرش » وأضاف إليه عدة مدن هامة تشمل مدينة « عكا » . وقد كان من جراء ظهور الجيش الآشورى أن خضع فى الحال عدد عظيم من أعضاء الحلف الذى ألفه حزقيا للملك « سنخرب » وحضر جماعة من الأمراء لتقديم الجزية فى بلدة الجيش ومن بينهم « منحيم » ملك « ساميورون » وعبد اللاتى ملك « إرواد » و « أرو ملـكى » ملك « جبيد » وميشيتى ملك « إشدودو » (أشدد) و « بادوئيل » ملك « بيت عمون » « وكموسونادبى » ملك « مواب » و « آى — رمو » ملك « أدوم » أما « صيدقا » ملك «عسقلان » فقد حوصر وأسر وكذلك خضعت بعدها المعاقل التى حول «عسقلان » قبل أن يزحف « سنخرب» إلى « إكرون » . والواقع أن السرعة الخاطفة التى قام بها « سنخرب » فى حملته هذه قد جعلت كل الاستعدادات التى جهزها الثوار عديمة الجدوى فقد كان «حزقيا » على غير استعداد . هذا إلى أن المصريين كانوا قد تأخروا جداً فى الوصول إلى « إكرون » وكان ملوك الدلتا فى مصر قد حصلوا وقتئذ على مدد من بلاد النوبة أرسله إليهم الفرعون ومع ذلك فإنهم لم يكونوا فى موقف يمكنهم من مواجهة الآشوريين بدون مساعدة حلفائهم كما اضطروا أن يفعلوا فى « التاقو » (التقه) . والواقع أن المعركة التى دارت بين الفريقين لم تمكث طويلا كما أنها لم تكن عنيفة فقد سلم عدد عظيم من الجنود المصريين من بينهم قائد العربات المصرى وبعض صغار الأمراء المصريين . هذا إلى قائد عربات الملك « شبكا »وبعد المعركة سار الملك « سنخرب » للاستيلاء على « إكرون » فعاقب قواد الثورة بقسوة وقوى مركز الحزب الموالى لآشور وأعاد « بادى » حاكم « إكرون » إلى منصبه بعد أن فك أسره من « أورشليم » .

ويصف لنا « سنخرب » حملته هذه وهى الحملة الثالثة كما يأتى وهى الخاصة بحصار « أورشليم » [1] . « وفى حملتى الثالثة زحفت على ختى (بلاد خيتا) وقد هرب « لولى » ملك« صيدا » الذى حرقه سحر سيادتى الذى يبعث الرهبة إلى بعيد على البحار ومات .

(١) راجع Pritchard, Ibid, p. 287

وقد هزم بهاء سلاح «الاله آشور» الذى يبعث فى الرهبة فى مدنه القوية (مثل) «صيدا» الكبيرة « وصيدا » الصغيرة و « بيت زيتى » « وزاربتو » و « ماهاليبا » « وأوشو » (أى الأراضى التى على بر بلدة صور) و « أ كزيب » « وعكا » وكل البلاد ذات الحصون المسورة والحسنة التموين بالطعام والماء لحامياته ، وقد انحنت خضوعا عند قدمى وقد وضعت « إتبعل » (توبعلو) على العرش ليكون ملكا عليهم وفرضت عليه جزية مستحقة « لى » بوصفى سيده الأعلى لتدفع سنويا بدون انقطاع . أما عن ملوك « عامور » وهم « مناهم » صاحب « سامسيموورونا » و « توبعلو » صاحب « صيدا » و « وعبد يليتى » صاحب « أرواد » و « أوروملكى » صاحب « جبيل » و «ميتنتى» صاحب « أشدد » « وبودويلى » من بيت « عامون » و « خاموسو- نادبى » صاحب « مواب » « وأيرامو » من « إيدوم » فقد أحضروا هدايا فاخرة وقدموا أربعة أضعاف هداياهم الباهظة إلى وقبلوا قدمى أما «صدقيا» ملك «عسقلان» الذى لم يخضع لنيرى فانى نفيته وأرسلت إلى بلاد آشور آلهة أسرته وهو نفسه وزوجه وأولاده وإخوته وكل نسل أسرته الذكور ، وتصبت « شرولودارى » بن « روكبتو » ملكهم السابق حاكما على سكان عسقلان وفرضت عليه دفع الضرائب والهدايا المستحقة لى بوصفى سيدا وهو الآن يجر سيور نيرى ! واستمراراً لحملتى حاصرت « بيت دجون » و« يافا » و«بناى برقا» و « أزورو » وهى مدن تابعة « لصدقيا » الذى لم ينحن الى قدمى بسرعة كافية وفتحتها وحملت غنائمها . أما الموظفون والأعيان وعامة الشعب من أهل «إكرون» — وهم الذين وضعوا «بادى» ملكهم فى الأغلال لأنه كان بارا بيمينه المقدس الذى حلفه « بالاله آشور » وسلموه الى حزقيا اليهودى الذى حجزه فى السجن بدون حق كأنه (أى بادى) عدو — فقد أصبحوا خائفين وطلبوا النجدة من ملك مصر (موصورى) ومن رماة وعربات وخيالة ملك « إثيوبيا » (ملوخا) وهو جيش لا يحصى وقد حضروا فعلا لمساعدتهم وقد صفت المعركة فى سهلى « التقة »[1] لمحاربتى

---

(١) يحتمل أنها خربات المقنع الحالية على مسافة ستة أميال فى الجنوب الغربى من عقير .

وقد أرهفوا أسلحتهم وقد حاربت على حسب وحى أمين أوحى به الى « الاله آشور » سيدى فأوقعت بينهم هزيمة وفى وسط المعمعة أسرت بنفسى جنود العربات المصريين أحياء ومعهم أمراؤهم وكذلك قواعد عربة ملك « أثيوبيا » وحاصرت « التقة » « وتمناه » وفتحتهما وحملت غنائمهما . وقد هاجمت « إكرون » وقتلت الموظفين والأعيان الذين ارتكبوا الجريمة وعلقت أجسامهم على عمد محيطة بالمدينة أما العامة الذين ارتكبوا جرائم صغيرة فقد اعتبرتهم أسرى حرب أما سائرهم أى الذين لم يتهموا بجرائم وسوء سلوك فقد سرحتهم وجعلت « بادى » ملكهم يعود من « أورشليم » ووضعته على العرش سيدا عليهم وفرضت عليه الجزية المستحقة لى بوصفى السيد الأعلى .

أما « حزقيا » اليهودى فإنه لم يخضع لنيرى وقد وضعت الحصار على ست وأربعين من مدنه القوية وحصونه المسورة وعلى القرى الصغيرة المجاورة التى لا حصر لها وفتحتها بوساطة بناء منحدرات من الطين مكينة ومنجنيقات نصبت بالقرب من الجدران ، هذا بالاضافة إلى هجوم المشاة الذين كانوا يستعملون الألغام والنقب والتقويض وقد سقت منها ٢٠٠١٥٠ نسمة صغارا ومسنين وإناثا وكذلك خيلا وبغالا وحميرا وجمالا وماشية صغيرة وكبيرة يخطئها العد واعتبرتها غنيمة أما هو (حزقيا) فقد جعلته سجينا فى « أورشليم » مقره الملكى كالطائر فى القفص وقد أحطتها بمتاريس لأجل أن أضايق أولئك الذين يطرقون باب مدينته .

أما مدنه التى نهبتها فقد انتزعتها من بلاده وأعطيتها « متينتى » ملك « أشدد » وبادى ملك « إكرون » « وسيليبل » ملك « غزة » . وبذلك انتقصت بلاده ولكنى زدت فى الجزية والهدايا المستحقة « لى » بوصفى سيده الأعلى وهى التى فرضتها عليه (فيما بعد خلافا للجزية السالفة لتدفع سنويا) .

أما « حزقيا » نفسه الذى استولى عليه بهاء سيادتى الذى يبعث الرهبة فقد هجره جنوده غير النظاميين المختارون وهم الذين جابهم إلى « أورشليم » مقره الملكى لأجل أن يقووها ، وقد أرسل إلى فيما بعد فى « نينوة » مدينتى المسورة خلافا لثلاثين تلنتا

من الذهب وثمنمائة تلنتا من الفضة والأحجار الكريمة والتوتية وقطعا كبيرة من حجر أحمر ومتكآت مطعمة بالعاج وكراسى مطعمة بالعاج وجلود فيلة وخشب أبنوس وخشب بقس وكل أنواع الكنوز الثمينة ، بناته وحظيات وموسيقارين ذكورا وإناثا كما أرسل رسوله الخاص لأجل أن يسلم الجزية ويقدم فروض الطاعة » .

« هذا ولدينا متن آخر[1] جاء فيه : وكان « لولى » ملك صيدا خائفاً من محاربتى وهرب إلى بلاد « قبرص » (يادنانا) وهى جزيرة فى وسط البحر وطلب الالتجاء هناك ولكنه حتى فى هذه الأرض قد لاقى موتا مخزيا أمام بهاء سلاح ربى آشور الذى يبعث الهيبة — وقد نصبت إتبال على العرش الملكى وفرضت عليه الجزية المستحقة « لى » بوصفى سيده الأعلى — وضربت إقليم « يودى » (يهودا) الواسع وجعلت « حزقيا » ملكه القاهر المتكبر ينحنى خضوعاً .

وأخيرا لدينا متن ثالث[2] وهو :

« وقد حرمت « لولى » ملك « صيدا » مملكته ونصبت « إتبال » (تابولا) على عرشه وفرضت عليه الجزية « المستحقة » « لى » بوصفى سيده الأعلى وخربت إقليم « يودا » الواسع ووضعت النير على عاتق « حزقيا » ملكها »

ومن مضمون المتن السابق نرى أن « سنخرب » على الرغم من انتصاراته على مصر وحلفائها وعلى الرغم من إخضاع جزء كبير من أملاك حزقيا ملك يهودا فانه لم يمكنه التغلب على « أورشليم » بكل ما أوتى من قوة لمناعتها لحاصرها ، والظاهر أن حصارها كان غاية فى الأهمية إذ قد خلده هذا العاهل على جدران قصره فى « نينوة » وقد بقى « حزقيا » حبيسا داخل جدرانها كعصفور محبوس فى قفص كما عبر عن ذلك « سنخرب » فى نقوشه ، أما باقى إقليم « يهودا » فقد ضرب كما ذكرنا ذلك هو بنفسه

---

(١) راجع Pritchard. Ibid, p. 288

(٢) راجع Ibid, p. 288

واستولى على ٢٠٠١٥٠ نسمة ، ويحتمل أنه يقصد بذلك العدد أن سكان يهودا كانوا أسرى حرب فى نظره وذلك لأن نقل مثل هذا العدد الضخم من الأسرى الذى يعادل عشرة أمثال عدد الأسرى الذين استولى عليهم سرجون من إسرائيل يكاد يكون مستحيلا هذا فضلا عن أننا لم نقرأ أية إشارة عن نفى مثل هذا العدد فى التاريخ اليهودى . هذا إلى أن النقوش لم تذكر لنا أنهم نفوا من ديارهم ، وبعد حصار «أورشليم» يظهر أن « سنخرب » لم يرغب فى البقاء كثيرا فى الجهة الغربية من أملاكه لحصار قلعة لم يكن فى استطاعته اختراق جدرانها ولذلك عاد إلى آشور تاركا حصار المدينة يدبر أمره قائد جيوشه ورئيس سقاته (ربشاقى) ورئيس خصيه (ربسارس) ، وقد بقى لنا فى سفر الملوك وصف حى عن سعى « حزقيا » للمفاوضة مع هؤلاء الضباط وعن توبيخاتهم الوقحة لنواب اليهود الذين ذهبوا لمفاوضتهم وبخاصة الألفاظ التى فاه بها « ربشاقى » بالعبرية لأجل أن يجعل كل المحصورين فى المدينة يسمعونه على الرغم من أن التضرعات الملتهبة التى فاه بها نواب « حزقيا » طالبين اليهم أن يتكلموا بالآرامية بدلا من التكلم بالعبرية على مرأى من الناس الذين كانوا على جدار المدينة يسترقون السمع (راجع سفر الملوك الثانى الأصحاح ١٨ سطر ١٧ إلخ) وهاك النص فاستمع لما جاء فيه :

وأرسل ملك آشور « ترتان » و « ربساريس » و « ربشاقى » من الجيش إلى الملك « حزقيا » بجيش عظيم إلى « أورشليم » فصعدوا وأتوا إلى «أورشليم» . ولما صعدوا جاءوا ووقفوا عند قناة البركة العليا التى فى طريق حقل القصار (١٨) ودعوا الملك فخرج اليهم «الياقيم بن حلقيا» الذى على البيت و «شبنة» الكاتب و « يواخ بن آساف » المسجل فقال لهم « ربشاقى » قولوا « لحزقيا » هكذا يقول الملك العظيم ملك آشور . ما الاتكال الذى اتكلت . قلت إنما كلام الشفتين هو مشورة وبأس للحرب والآن على من اتكلت حتى عصيت على . فالآن هو ذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة ، على مصر التى إذا توكأ أحد عليها دخلت فى كفه وثقبتها . هكذا

هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلين عليه . و إذا قلتم لى على الرب إلهنا إتكلنا .
أفليس هو الذى أزال « حزقيا » مرتفعاته ومذابحه وقال « ليهودا » و « لأورشليم »
أمام هذا المذبح تسجدون فى « أورشليم » . والآن راهن سيدى ملك آشور فأعطيك
ألفى فرس إن كنت تقدر أن تجعل عليها راكبين فكيف (٢٤) ترد وجه وال واحد
من عبيد سيدى الصغار وتتكل على مصر لأجل مركبات وفرسان (٢٥) والآن هل
بدون الرب صعدت على هذا الموضع لأخربه . الرب قال لى اصعد على هذه الأرض
وخربها . فقال «الياقيم» بن «حلقيا» و« شبنة» و« يواخ » «لربشاقى» كلم عبيدك
بالأرامى لأننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودى فى مسامع الشعب الذى على السور (٢٧)
فقال لهم « ربشاقى » هل إلى سيدك وإليك أرسلنى سيدى لكى أتكلم بهذا الكلام
أليس إلى الرجال الجالسين على السور ليأكلوا عذرتهم و يشربوا بولهم معكم (٢٨)
ثم وقف « ربشاقى » ونادى بصوت عظيم باليهودية وتكلم قائلا اسمعوا كلام الملك
العظيم ملك آشور (٢٩) . هكذا يقول الملك . لا يخدعكم « حزقيا » لأنه لا يقدر أن
ينقذكم من يده ولا يجعلكم « حزقيا » تتكلون على الرب قائلا إنقاذاً ينقذنا الرب
ولا تدفع هذه المدينة إلى يد ملك آشور (٣١) لا تسمعوا « لحزقيا » لأنه هكذا يقول
ملك « آشور » اعقدوا معى صلحاً واخرجوا إلى وكلوا كل واحد من جفنته وكل
واحد من تينته واشربوا كل واحد ماء بئره (٣٢) حتى آتى وآخذكم إلى أرض
كأرضكم أرض حنطة وخمر ، أرض خبز وكروم ، أرض زيتون وعسل وحيوان ولا تموتوا
ولا تسمعوا لحزقيا لأنه يغركم قائلا الرب ينقذنا (٣٣) هل أنقذ آلهة الأمم كل واحد
أرضه من يد ملك آشور أين آلهة «حماه» و « وأرواد »أين آلهة سفروايم و «هينع»
و«عيوا» هل انقذوا الساحرة من يدى من من كل آلهة الأراضى أنقذوا أرضهم من يدى
حتى ينقذ الرب « أورشليم » من يدى (٣٦) فسكت الشعب ولم يجيبوه بكلمة لأن
أمر الملك كان قائلا لا تجيبوه فجاء « الياقيم بن حلقيا » الذى على البيت و « شبنة »
الكاتب و « يواخ بن أساف » المسجل إلى «حزقيا» وثيابهم ممزقة فأخبروه بكلام
« ربشاقى » .

وهذا الخطاب لا يبعد عن الحقيقة لما نعرفه من روح هذا العصر فى مملكة « آشور » فقد كان الآشوريون قوماً لا يختلفون عن قوم « الهون » المتوحشين ، وهذا هو ما نلحظه فى صلاة « حزقيا » عندما قال فى السطر السابع عشر من الاصحاح نفسه « حقا يا ربى إن ملوك « آشور » قد خربوا الأمم وأراضيهم ودفعوا آلهتهم إلى النار لأنهم ليسوا آلهة بل صنعة أيدى الناس خشب وحجر » كل ذلك لم يكن من وضع مؤرخ يحتمل أنه قد عاش بعد هذا الحادث بزمن طويل بعد انتهاء عهد الارهاب الآشورى بل الواقع أن قصة حصار « أورشليم » كما نقرؤها فى سفر الملوك كانت معاصرة للنقوش التى نقشها « سنخرب » عن هذا العهد ولا نشك إذاً فى أن مقال « ربشاقى » الذى جاء فى التوراة قد قص على حقيقته ولا بد أنه كان يختمر فى ذهن كل من سمع .

ولكن كلام النبى « إشعيا » قد شجع « حزقيا » وأدخل عليه السرور بعد سماعه لما قاله « ربشاقى » ولذلك دافع عن المدينة إلى أن اضطر بعد تخلى جنوده المختارة عنه وهم الذين كانوا يؤلفون جزءاً من القوة المدافعة إلى فرض شروط تسليم غير التى أملوها عليه أولا وقد قبل الأشوريون شروطه إذ كان قد أنهكهم طول الحصار وهم مرابطون أمام المدينة وبعد ذلك أرسل « حزقيا » جزيته إلى آشور .

أما المدن الفلسطينية التى كان يحتلها فقد أعطيت « بادى » ملك « أكرون » . ولما كان « حزقيا » يعتقد أن « يهوى » وحده هو الذى خلصه من شر الآشوريين فإنه أعلن عودة السلام وتمسك بحرارة وحماس بعقيدة التوحيد وأتلف « نحشتان » أى الثعبان النحاس وهو الذى على حسب ما جاء فى الأساطير كان قد نصبه موسى فى الصحراء ، ومن المرجح أنه كان تمثالا قديما جداً قد أتى به أجداد الاسرائيليين من مصر (راجع سفر الملوك الثانى الإصحاح ١٨ سطر ٤) : « هو أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع السوارى وسحق حية النحاس التى عملها موسى لأن بنى إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها وعدوها « ناحشتان » . على الرب إله إسرائيل

إتكل وبعده لم يكن مثله فى جميع ملوك « يهودا » ولا فى الذين كانوا قبله » .

والواقع أن « حزقيا » كان متعبداً مخلصا غير أنه لم يكن سياسياً لأنه بعد خلاص « أورشليم » مباشرة وصل به الحمق أن استقبل رسلا من « مروداخ بلادان » ملك « كلديا » الذى قام مرة أخرى يطالب بعرش « بابل » وقد وبخه على هذه الحماقة النبى « أشعيا » الذى رأى أن معنى الصداقة مع « مروداخ بلادان » هو زحف « سنخرب » بجيشه مرة أخرى على « أورشليم » التى لم يصبها إلا ما أصاب السامرة (راجع سفر الملوك الثانى الإصحاح ٢٠) ولكن الظاهر هنا أن هذا الرسول الذى جاء من قبل « مروداخ بلادان » كان قد جاء إلى « حزقيا » فى بداية حكم « سنخرب » يقصد بث الثورة فى غرب أملاك آشور .

والواقع أن « مروداخ بلادان » قد انتهز فرصة غياب « سنخرب » فى الجهة الغربية من أملاكه وقام بغزو « بابل » كرة أخرى وقد زحف عليه « سنخرب » بجيشه بعد أن عاد من « أورشليم » فى الحال ، وقضى على هذا الأمير الكلدى الثائر قضاء تاماً لأنه لم يكتف بطرده من « بابل » فقط بل أقصاه عن مسقط رأسه « بيت يكن » . وقد استقل « مروداخ بلادان » سفينة من هناك وهرب إلى إقليم « ناجيتو » فى عيلام بالقرب من بوشير الحالية وقد نصب « سنخرب » مكانه « إسرحدون » ابنه ملكا على بابل بدلا من ملكها الأسمى المسمى « بل — إبنى » .

وتقدم لنا تواريخ الحملات التى قام بها بعد ذلك « سنخرب » مثالا غريبا من غرور الملوك وزهوهم ففى عام ٦٩٩ ق. م. قام سنخرب نفسه بعدة هجمات على القرى الجبلية فى جبال نيبور (يودى داغ) الواقعة فى الشمال الشرقى من نينوة فحمل فى محفته فى معظم الطريق ولكنه كان يضطر أحياناً لوعورة السبل إلى النزول من محفته والسير على قدميه وأحيانا كان يقود المعركة بشخصه على قدميه وقد بالغ مؤرخو البلاط فى تضخيم هذا العمل فقالوا إنه من الأمور العجيبة وتحدثوا عن غزو هذه القرى ووصفوها بأنها (الحملة الخامسة الملكية) وهذا أقل ما يمكن أن يقال فى

تعظيم هؤلاء الملوك وتفخيم أى عمل يقومون به مهما كان صغيرا وبخاصة فى ممـالك الشرق قديمها وحديثها ، ومن جهة أخرى نجد أن الحملة الخطيرة جدا التى وقعت فى بلاد « سيلسيا » فى السنة التالية للحملة الخامسة لم تدون بمثابة حملة ملـكية لأن الملك لم يشترك فيها بنفسه بل حذفت من سجلاته المتأخرة ولا نعلم عنها شيئا إلا من اسطوانة كشف عنها حديثا[1] وقد أهديت فى سنة الحاكم « اللواتيا » (٦٩٤ ق . م) ودفنت على أنها وديعة أساس فى أحد جدران البوابات الجديدة لمدينة « نينوه » التى أقامها « سنخرب » فى هذه السنة ونقشت على هذه الاسطوانات سجلات عن حملات هامة حديثة على الرغم من أن الملك لم يقدها بنفسه . ونجد على اسطوانات من أواخر حكمه أن مثل هذه الحملات على الرغم من أهميتها قد حذفت وذكرت بمثابة غزوات صغيرة كالتى قام بها عام ٦٩٩ ق . م مثلا فقد دونت فى السجلات الرسمية لأن الملك هو الذى قام بها فى حين الحملة التى أرسلها عام ٦٩٨ ق . م . قد أهملت وجاء فيها كما هى أسماء القواد الذين قادوها وذكر فيها اسم الملك «سنخرب» فقط بأنه أرسل جيشه لحرب فى هذا العام .

والحرب التى نشبت عام ٦٩٨ ق . م لهـا أهمية خاصة عند المؤرخين لأنها وصلت إلينا بعض أحداثها عن طريق الرواية من المصادر البابلية التى نقلها المؤرخون الإغريق ومن المرجح أن هذه الحرب تشير إلى أول تصادم وقع بين إغريق العالم الجديد والامبراطوريات الشرقية العظيمة[2] . ففى عام ٧٢٠ ق . م . يظهر أن إغريقيا واحدا قد استولى على « أشدد » ونصب نفسه ملـكا مطلقا عليها وبقى كذلك إلى أن أقصاه عنها الملك «سرجون الثانى» وفى عام ٧٠٩ ق . م نجد أن أمراء قبرص كان يوجد بينهم بطبيعة الحال اغريق خضعوا لحـكم هذا الملك الذى تحدث الينا أنه سحب أهل « إيونيا » مثل السمك من البحر وكذلك منح الهدوء إلى بلاده « قوى » (سيليسيا) وصور . ولا نزاع فى أن هذا العاهل العظيم يشير فى جملة سحب أهل « أيونيا » مثل السمك من البحر إلى قرصان البحر الذين كانوا يعيثون فسادا على سواحل البحر .

(١) راجع Luckinbill, II, Ibid, 8 349

(٢) راجع L.W. King. Senechrib. and the Ionians,. J. H. S., XXX.

ولم تحدث حرب على اليابسة بين الاغريق والآشوريين على ما نعلم حتى عام ٦٩٨ ق.م.
وقد حدثنا الملك « سنخرب » أنه فى هذا العام ثار « كيروا » حاكم « قوى »
(سيليسيا) يعاضده القوم الذين كانوا يسكنون انجيرا « وطرسوس » واستولوا على
الطريق التجارى العظيم الذى يمر ببوابات « سيليسيا » من سوريا إلى بلاد الأناضول
وبذلك تعطلت كل التجارة ، وقد قامت آشور بحملة قاسية غاية فى الخطورة على بلاد
« سيليسيا » هزم فيها ملكها وأحلافه هزيمة منكرة وقد غنم منها الآشوريون غنائم
كثيرة حملت إلى « نينوة » وبعد ذلك سار « سنخرب » فى حفل عظيم إلى المكان
الذى انتصر فيه قواده على الرغم من أنه لم يشترك فى المعركة وأقام هناك تذكارا من
المرمر تخليدا لهذا النصر فى مدينة « اللوبرو » .

وقد وصف لنا المؤرخ البابلى « بروسس » حملة عظيمة قام بها « سنخرب »
فى « سيلسيا » على الاغريق غير أن الوصف الذى حفظه لنا كل من المؤرخين
« الكسندر بوليهستور » و « ابيدنوس » ونقله عنهما « يوزيب » يختلف كل منهما
من الآخر . فقد ذكر أحدهما أن الموقعة التى كانت مع الاغريق كانت براً ، وذكر الآخر
أنها كانت بحرية . فيقول « بوليهستور » أن « سنخرب » قد وصله تقرير بأن
الاغريق قاموا بهجوم على « سيليسيا » وأنه زحف عليهم وهزمهم وتكبد خسائر
فادحة ، ثم يستمر متن المؤرخ « يوزيب » قائلا أن « سنخرب » قد أقام تمثالا
لنفسه ليخلد هذا النصر فى المكان الذى وقعت فيه الواقعة ، وأمر أن يدون هذا
النصر عليه بحروف كلدانية ليراه الخلف ، ثم يضيف « بوليهستور » إلى ذلك أن
« سنخرب » قد أقام مدينة « طرسوس » على غرار مدينة « بابل » . أما رواية
« بروسس » فتجعل « سنخرب » يهزم أسطولا من السفن الاغريقية فى حرب
بعيدة عن ساحل « سيليسيا » وكذلك يقول إن « سنخرب » أسس معبداً فى « أثينا »
له عمد من البرنز حفرت عليها أعماله العظيمة و يفسر ما قاله « بوليهستور » عن التشابه
الذى بين « طرسوس » و « بابل » بقوله إن « سنخرب » جعل نهر « كدنس »
يخترق وسط المدينة كما يخترق الفرات مدينة « بابل » . والواقع أننا لا نعرف

إلا حملة واحدة حدثت فى حكم « سنخرب » وهى التى قام بها فى عام ٦٩٨ ق . م على بلاد « كيروا » . هذا ولم يذكر شئ عن حروب « سيليسيا » قبل الكشف عن الاسطوانة الجديدة السالفة الذكر، إلا فى وثيقة واحدة أخرى وقد اختلط ما جاء فيها بالحملة الخامسة فقد ظن أن جبال «نيبور » هى «طرسوس» وأن الهجمات التى وقعت فى عام ٦٩٩ م والتى حدثت فعلا فى « يودى داغ » وهى التى لا تبعد أكثر من خمسين ميلا عن « نينوة » فى أنها « سيليسيا » .

ولكننا نعرف الآن كيف كانت الأحوال تسير . فقد كانت الحملة على « كيروا » وقوم انجيرا وطرسوس وهم الذين استولوا على طريق تجارة « سيليسيا» ولا يمكن أن تكون الا الحملة التى أرسلت على الاغريق فى «سيليسيا» وهى التى وصفها «بروسوس» . ويمكننا أن نفهم كيف أنه على الرغم من انتقام الملك « سرجون الثانى » من قرصان البحر الوثنيين وهم الذين اصبحوا فيما بعد المستعمرين لهذه الجزر والساحل فيما بعد قد نزلوا فى نهاية الأمر الى ساحل « سيليسيا » ومن المحتمل انهم اختلطوا بسهولة بسكان « طرسوس » والسهل المجاور لها . وهؤلاء هم الذين على حسب التقاليد فيما بعد كانوا يرجعون إلى أصل اغريقى وكانوا يتناسلون من هؤلاء القوم الذين تبعوا البطل « موبسوس »[1] (Mopsos) إلى هنا بعد حروب طرواده و بعد أن هزم الغزاة والحاكم الثائر على يد « سنخرب » فى معركة عنيفة سار ملك آشور فى حفل هائل واحتفل بإقامة لوحة النصر فى وسط خرائب « اللويرو » كما جاء ذلك على لسانه ولسان « بروسوس » هذا ونعلم من هذا المؤرخ البابلى أنه أعاد بناء مدينة « طرسوس » بعد أن كانت قد أخذت أساليب بنائها من الوافدين الجدد على غرار بناء مدينة « بابل »[2] وكذلك أقام معبداً يحتمل أنه كان للاله « آشور » وكانت عمده

(١) موبسوس : إله اغريقى ابن ابولون = مؤسس وحى بلدة ابولون فى مدن عدة ، وبعد موته كان له مكان وحى فى مالوس (فى سيليسيا) .

(٢) كأن « سنخرب » عين فى هذه الحالة بلدة نينوة لأن نهر « حوسور » يقسم بلدة « نينوة » وهو نهر بينه و بين نهر « كدنس » تشابه أكثر من نهر الفرات فى بابل .

من البرنز مثل العمد التى كان يقيمها فى نفس الوقت تقريبا فى « نينوة » .

وقد أمضى سنخرب عدة سنين منهمكا فى إقامة جدرانه وقصوره فى « نينوة » ولم يقم بأية حملة أخرى بعد التى قام بها أخيرا .

وفى عام ٦٩٥ ق.م. استولى قواد الملك «سنخرب» الذين لم يذكروا بأسمائهم على بلدة «تلجار بمو» وهى التى جاء ذكرها فى التوراة باسم «توجرمة» عاصمة بلاد «تابال» (توبال) وأهلها هم الذين يسمون تبارنى (Tibareni) عند الاغريق وتقع فى جبال شمالى « ملاطيا » و « البستان » الحديثة ، وقد جاء ذكر « تابال» فيما سبق .

ولم يلبث أن قام الجيش الآشورى فى عام ٦٩٢ بحملة سادسة فعزم « سنخرب » على أن يضرب « مروداخ بلدان » فى المكان الذى كان قد تقهقر إليه على ساحل عيلام عند الخليج الفارسى . وقد اتخذ العدة لتنفيذ مشروعه هذا فبنى سفناً كبيرة على غرار السفن الفنيقية فى تل برسيب (وهى الآن التل الأحمر القريبة من جرابلس) الواقعة على أعالى نهر الفرات وجهزها ببحارة من أهالى صيدا ، وبعد أن استعد أسطوله نزل فى النهر حتى الخليج الفارسى فعبر بجيشه إلى ساحل عيلام . وكان الإله « يا » إله المحيط يرعاه بحظوته ، وكان قد استجلب رضاءه بالقرابين التى تحتوى على سفينة من النضار وسمكة من الذهب وأشياء أخرى كانت قد ألقى بها فى البحر ، وذلك على غرار ما كان يفعله المصريون إذ كانوا يلقون القرابين المؤلفة من تماثيل وحلى فى النيل جاليا لرضاء « حعبى » إله الفيضان .

وقد ضرب بهذا الجيش ساحل « عيلام » وحمل قواده مئات الكلدانيين من الأسرى وآلهتهم كما ساقوا أسرى من « عيلام » إلى « بابل » حيث كان ينتظر « سنخرب » الذى لم يسلم نفسه إلى حظوة إله البحر « يا » الذى لم تكن حظوته مضمونة ، ولا نعرف إذا كان « مروداخ بلدان » قد قتل فى هذه الحرب أم لا وكل ما نعلمه أنه لم يظهر فى التاريخ بعد هذه الحرب .

وهذه الحملة فى الواقع كانت بمثابة إعلان حرب على عيلام وملكها « خالو — شو » فقد أهاجه تخريب ساحل بلاده ولذلك رد فى الحال على هذا التخريب بغزو « بابل » واستولى على مدينة « سيار » كما أسر « آشور نادين شوم » ملكها ابن « سنخرب » وولى مكانه على عرش « بابل » رجلا يدعى « نرجال — أوشزيب » ثم عاد إلى عيلام حاملا معه « آشور نادين شوم » فى ركابه وبذلك أصبحت طريق « سنخرب » مسدودة فى وجهه إلى «آشور » . غير أن « نرجال — أوشزيب » ملك بابل الجديد لم يكن فى مقدوره مقاومة زحفه الجارف من الجنوب فهزم فى « نبور » وسيق إلى « آشور » سنة ٦٩٣ ق . م وبعد ذلك هاجم سنخرب عيلام غير أن ملكها « كودور نحخونت » الذى خلف « خالوشو » فى تلك الغزوة تقهقر أمامه واعتصم بالجبال ولذلك لم يحصل الآشوريون على أى نصر . وفى النهاية عادوا إلى نينوة وعلى أثر مغادرة الآشوريين للبلاد نصب البابليون عليهم ملكا يدعى « موشزيب مردوك » عام ٦٩٢ ق م وفى السنة التالية زحف سنخرب عليه فطلب هذا الملك الذى استحوذ على قلبه الرعب إلى خلف كودور نحخونت المسمى « أومان مينانو » أن يساعده ورشاه بكنوز معبد الاله « مردوك » الذى أخذه من بينهم وأرسله إلى عيلام وقد قبل « أومان مينانو » وأرسل الجيش العيلامى لمقابلة « سنخرب » عند « خالولى » على نهر دجلة وقد نشبت بينهم معركة وصفها مؤرخ « سنخرب » وصفا رائعا فاستمع إلى بعض ما جاء فى هذا الوصف « ومشوا نحوى منقضين انقضاض أرجال الجراد العظيمة فى وقت الربيع فى استعراض حربى للمعركة . وقد ارتفع مثار نقع أقدامهم أمامى كالعاصفة الهوجاء وقد انتشرت عند مدينة « خالولى » قوتهم على شاطىء نهر الفرات فاستولوا على الأماكن التى أستسق منها وأرهفوا أسلحتهم ولكنى تضرعت للآلهة « آشور » ، و « سن » و « شماشى » « وبل » ، « ونبو » « ونرجال » « واشتار » آلهة « نينوة » « وإشتار » آلهة « أربلا » وهم الآلهة الذين وضعت ثقتى فيهم لأهزم العدو الجبار وقد استجابوا لتضرعاتى وأتوا للأخذ بناصرى » .

و باقى المتن يصف شجاعة الملك نفسه بلغة ملؤها الزهو والاعجاب وهى تلك اللغة التى كانت محببة بلا شك لأذنى الملك . ولا نزاع فى أن هذا الوصف يذكرنا بما جاء فى ملحمة « قادش » التى شنها « رعمسيس الثانى » على الحيثا عند وصفه لما قام به من ضروب الشجاعة والأقدام . هذا مع الفارق أن « رعمسيس الثانى » كان فى وسط المعمعة وقد نادى الإله آمون لينصره و يعززه ولكنه قد انتصر على العدو نصراً غير مؤزر . والواقع أننا لا نعرف إلى أى حد يتفق وصف المعركة الذى نحن بصدده الآن والتى خاضها « سنخرب » مع الحقيقة .

والمطلع على هذا الوصف يجد أنه يكاد يكون أغانى انتصار مع أنه من الجائز مع ذلك أن النصر كان فى جانب العدو لأن « سنخرب » كان مضطراً فى هذه الحملة إلى أن يتقهقر تاركا العيلاميين مسيطرين على ساحة القتال كما كان « موشزيب » لا يزال ملكا على بابل وإذا كان هذا هو الواقع فإن وجه الشبه بين موقعة قادش المصرية وموقعة « خالولى » يكاد يلتقى فى كثير من النقط وذلك لأنه على الرغم مما ادعاه « رمسيس الثانى » من انتصار لم يحققه الواقع إذ قد ترك قادش فى يد العدو بل خسر معها بعض أملاكه عند تقهقره إلى مصر[1] فإن فى موقعة « خالولى » نجد أن « خمبا نوداشا » القائد العيلامى قد قتل وكذلك قبض على « مردوخ بلدان » الذى كان متغيبا فى « عيلام » ومن المحتمل أن هذا مضافاً إليه الخسائر الفادحة التى خسرها الجيش العيلامى قد جعل الآشوريين يدعون النصر فى هذه الموقعة .

وقد مكث « سنخرب » عاما دون حرب إلى أن مات « أومان مينانو » فى عام ٦٨٩ ق. م. وقد كان ذلك فرصة لتنفيذ خطة انتقام من « بابل » ينبغى أن تكون حاسمة ودائمة فزحف على حين غفلة واستولى على المدينة وأمر « موشزيب مردوك » ومعه تمثال الإله «مردوك» نفسه ثم خرب بابل عن قصد فطرد سكانها وأحرقها ثم أطلق

(١) راجع Journal of Near Eastern Studies, Vol. IX, p. 101-107

قناة « أرختو » على خرائبها وبعد أن فرغ سنخرب من تخريب مدينة بابل عاد إلى مدينة « نينوة » ودخلها ظافراً ولم تحدثنا آثاره التي عثر عليها حتى الآن عن ثمانية السنين التي بقيت من حياته إذ يحتمل أن تواريخه قد انتهت عند هذا الحد ويجوز أن هذا الصمت في تلك المدة من تاريخه يحمل في طياته مصيبة كبرى قد وقعت له في ممتلكاته القريبة نلحظ منها لمحات خاطفة من المصادر الأخرى .

ونحن نعلم من جانبنا أن الهزيمة التي أوقعها بحلف الغرب في أنتقة عام (٧٠٠ ق.م قد أعقبها في الحال موت الملك « شبكا » فرعون مصر والسودان وخلفه « شبتاكا » ملكاً على هذه البلاد وهذا الملك الأخير لا نعرف عنه شيئاً كثيراً إلا ما جاء تلميحاً عنه في نقوش « تهرقا » . وقبل موت هذا العاهل عقد معاهدة مع « سنخرب » وقد وجد الخاتم الذي ختم به هذه المعاهدة في خرائب « نينوة »[1] .

وفي عام ٦٨٩ ق. م. اعتلى عرش مصر والسودان الملك « تهرقا » بعد موت عمه « شبتاكا » وهو أخ أصغر للملك « شبكا » وابن الملك « بيعنخي » الفاتح العظيم . ومن المحتمل أن « تهرقا » أخذ يبعث القلاقل في الغرب أي في « فلسطين » و « سوريا » وكان يسودهما السلام أكثر من عشرة أعوام ، وكان « حزقيا » يميل إلى الثورة على « آشور » تنصحه النبي « أشعيا » بعدم الاشتراك في تلك الثورة .

وتدل شواهد الأحوال على أن « سنخرب » وصل إلى الغرب مرة أخرى حوالي ٦٨٧ — ٦٨٦ ق . م. واستولى على « لبنة » التي كانت قد قامت بثورة ، وقد سمع هناك « سنخرب » أن « تهرقا » كان يستعد للزحف عليه ولذلك سبقه وقطع الصحراء وحاصر مدينة « بلزيوم » ولقد حال بينه وبين بلوغ مأربه انتشار الوباء في جيشه مما اضطره للعودة بكل سرعة إلى آشور . هذه هي قصة تلك الحملة التي مر عليها المؤرخ الآشوري دون أن يشير إليها ولكن دونها لنا « هردوت »[2] .

---

(١) راجع Layard, Nineveh and Babylon, p. 156

(٢) راجع Herod., II, 141.

وكذلك ذكرها المؤرخون اليهود (راجع سفر الملوك الثانى الإصحاح ١٩ سطر ٣٥) ومن المرجح أن « سنخرب » لم يذكرها لأنها لم تكن نصراً له بل كانت خيبة أمل وهذا ديدن كل ملوك الشرق لا يذكرون موقعة أو حربا هزموا فيها .

والظاهر أن الرواية اليهودية مرتبكة كما وصلت إلينا عن الحملة التى قام بها « سنخرب » عام ٧٠٠ ق . م ، ففى قصة سفر الملوك الثانى ذكر « تهرقا » بأنه ملك مصر فى تلك السنة أى سنة ٧٠٠ ق . م والواقع أنه لم يكن قد تولى ملك مصر والسودان حتى عام ٦٨٩ ق . م على أحدث تقدير وأنه من المؤكد كذلك أن « حزقيا » بعد أن فك حصار « أورشليم » عام ٧٠٠ ق . م قد أرسل جزية فادحة إلى « نينوة » وعلى ذلك فإنه من المرجح ألا يكون « تهرقا » قد قام بالانتقاض على « آشور » فى هذه السنة إذا كانت هى السنة التى اجتاح فيها الوباء جيش « سنخرب » الذى أجبر بعدها على العودة إلى آشور ، والظاهر أن ذكر هذه الكارثة على لسان «هردوت» كما جاءت على لسان المصريين بعد حدوثها بأكثر من قرنين من الزمان وكذلك ورود اسمها فى التوراة قد يبرر عدم ذكرها بطبيعة الحال فى الوثائق الآشورية بوصفها كارثة حلت بهم ، والواقع أن « تهرقا » كان ملكا على مصر والسودان منذ عام ٦٨٩ ق . م ومن المعقول أن نفرض حدوث حملة أخرى مر على ذكرها الآشوريون مر الكرام دون الإشارة إليها وهى تلك الحملة التى يعزى إليها حصار « بليزيوم » والكارثة التى ذكرت فى التقاليد المصرية وذكر « تهرقا » وحصار « لبنة » والمصيبة التى حلت بمملكة يهودا المستقلة . أما باقى قصة التوراة الخاصة بحرب عام ٧٠٠ ق . م ، ومن المحتمل أن هاتين الحملتين قد اختلط أمرهما فى رواية متأخرة وقد سهل ذلك الخلط أن « تهرقا » كان على ما يرجح يعمل قائدا « ترتان » فى جيش « شبكا » عام ٧٠٠ ق . م ولما كنا نعلم أنه رافق أخاه شمالا عام ٧١٢ ق . م وكان ضمن رجال بلاطه فإنه يحتمل أنه قاد الحروب فى موقعة « التقة » عام ٧٠٠ ق . م وعلى ذلك فإن ظهوره مرتين — وكان فى أخراهما ملكا — يمكن أن يقدر كأنهما مرة واحدة .

وليس لدينا وثيقة رسمية عن الكارثة التى حاقت « بسنخرب » وجيشه غير أن التقاليد العامة التى حفظها لنا « هردوت » قد دوّن فيها اسم الملك المصرى الذى حدثت فى زمنه تلك الكارثة وهو «ستوس» (Sethos) ، غير أن ذلك لا يعد برهانا على أنه ليس الملك « تهرقا » وذلك لأن الاسم الحقيقى للملك الذى حدثت فى أيامه تلك الكارثة قد اختفى ليحل محله اسم الملك العظيم « سيتى » ويحتمل أن ذلك يرجع إلى العلاقة الأسطورية الخاصة بالملك «سيتى الأول» وحروبه الفلسطينية فى «بلزيوم» وكذلك من اختلاط اسم الملك الكوشى (الذى ذكره المؤرخ « مانيتون » باسم « زت ») وهو الذى يمكن أن يوحد باسم الملك « كشتا » جد « تهرقا » بالاسم المعروف تماما « سيتى » .

وقد حكم بلاد كوش فى ذلك الوقت ملك يدعى « زت » (كشتا) وقد كان معروفا تماما باسم « زت » على ألسنة الناس وكانت التقاليد تربطه ببلدة «بلزيوم»؛ ومن ثم فإن « سيتى » الذى جاء ذكره فى « هردوت » هو «زت» الكوشى (كشتا) وعلى أية حال فإنه من المستحيل أن نعزو كل القصة إلى عهد « سيتى » الحقيقى وذلك لذكر « سنخرب » مباشرة هنا مما يجعل من البدهى توحيد كارثة جيشه فى القصة المصرية بكارثة جيشه كما ذكرت فى التوراة .

ومهما يكن من أمر فإن السيادة الآشورية على الرغم من أنها فرضت ضرائب فادحة على قوم « يهودا » فإنها لابد كانت من بعض الوجوه ذات فائدة عظمى له ويمكننا أن نستنبط من تنبؤات النبى «إشعيا» أن بلاد « أودوم » وبلاد « مواب » وهما المملكتان اللتان على حدود « يهودا » الشرقية كانتا منهمكتين فى القيام بغارات على بلاد « يهودا » الجميلة المعمورة ، والظاهر أن « حزقيا » لم يكن فى مقدوره مقاومتهما مقاومة فعالة .

وقد ذكر لنا « إسرحدون » بن الملك « سنخرب » أنه قام بحملة فى خلال عهد والده إلى بلاد العرب « وأدومو » ويحتمل أن ذلك كان فى عام ٦٩٠ ق . م ، وإقليم

« أودومو » هو بلا نزاع « أدوم » الذى جاء ذكره فى التوراة وإن كان بعض الحكام يوحده بإقليم « دوماتا » وهو المعروف الآن باسم دومة الجندل، وقد جاءت إشارة فى التلمود[1] عن أسر العامونيين والمؤاميين فى عهد « سنخرب » مما يدل على أن معاملة الآشوريين لهؤلاء القوم المغيرين كانت قاسية وقد بقوا تابعين لآشور فى عهد « اسرحدون » ولا بد أن إخضاعهم كان ذا فائدة عظمى لفلاح « يهودا » وقد هزم « حازيل » ملك العرب لذلك هزيمة نكراء خلال نفس الحملة .

أعمال « سنخرب » الداخلية : لا ريب فى أن اسم «سنخرب» سيبقى مقرونا باسم بلدة « نينوة » التى تدين بشهرتها له كمدينة و إنها أهم ممثلة لبلاد اشور فى أعين المؤرخين الذين أتوا فيما بعد وذلك لاختياره لها عاصمة فأحسن الاختيار . حقاً إنه وجدها مدينة قديمة مذكورة فى التاريخ منذ عهد« حورابى» غير أنها كانت قد انحطت من حيث الشهرة كما أنها كانت عرضة للفيضانات وقد كان شغل « سنخرب » نفسه الشاغل طوال مدة حكمه هو إعادة بنائها وتنسيقها حتى حولها فى حياته إلى عاصمة عظيمة فخمة خليقة بامبراطوريته المترامية الأطراف ، وقد قصد من بنائها أن يجعل مدينة بابل العظيمة تتضاءل بجانبها وهو يحدثنا فى نقوشه عنها وكيف أن أجداده لم يفكروا قط فى تجميلها واستقامة شوارعها وغرس الأشجار فيها وإقامة سور مناسب لها ، وكان هو أول من نفذ تصميما تاماً لإعادة بناء هذه العاصمة فاستمع لما يقول تنفيذاً لخطته : لقد حملت أهل « كلديا » والآراميين وأهل « مناى » ورجال « قو » و(سيليسيا) والفينيقيين وأهل «صور» الذين خضعوا لنيرى وجعلتهم يقومون بأعمال السخرة فصنعوا اللبنات . وقد وسعت التل العظيم الذى أقيمت عليه مبانى القصر الملكى وهو المعروف الآن باسم « كويوجيك » وذلك بتحويل نهر « خوسور » وهناك أقيم قصر فاخر سماه المنقطع النظير ووصف هذا القصر يدل على أن مهندسى العمارة فى هذا العهد كانوا أكثر تقدماً مما كان يظنه الإنسان . فقد جهز السقف بكوات

---

(١) راجع Berakh. J, 28a

للنور كما كانت العمد التى يرتكز عليها البناء مغطاة بأشرطة من الفضة والنحاس مما أفاض الضوء على كوات القاعات .

هذا وقد فحصت الجبال للكشف عن موارد جديدة لأحجار البناء بجلب المرمر من جبال « أمنانا » و « البرشيا » من إقليم تل « برسيب » (تل أحمر) والحجر الجيرى الأبيض بكميات كبيرة من « بلتاى » الغربية من « نينوه » (إسكى موصل) وقد قطعت التماثيل الضخمة من هذه المحاجر لإتمام البناء الجديد وقد مثلت صناعة المعادن فى القصر الجديد بقطع فريدة فى بابها فقد صب تماثيل اثنى عشر أسداً واثنى عشر ثوراً بأحجام هائلة مما يدل على أن هذه الصناعة كانت نامية فى هذه البلاد قبل عصر هذا العاهل . ومن الطريف أن « سنخرب » قد شبه صب هذه التماثيل الهائلة فى نظره بصب قطع من النقود التى تساوى نصف شكل ، وهذا يدل دلالة واضحة على أن العملة كانت معروفة فى ذلك العهد .

هذا وقد سهل توريد المياه إلى « نينوة » من الآبار بإدخال طرق أحسن للرى والتصفية فقد حل محل الفسقية القديمة مبان من المعدن أو من الخشب وأنشئت حديقة تشمل بستان فاكهة بجوار القصر الجديد أما مساحه المدينة نفسها فقد أصبحت ضعفى ما كانت عليه فى الأصل ، ووضعت أسس الجدران الخارجية فى مجرى النهر وأضيفت مساحات واسعة مكشوفة إلى شوارعها المزدحمة — وأتى بالماء إلى المدينة من عيون جديدة عثر عليها فى التلال الشرقية بوساطة قنوات . وهذه المياه كانت مفيدة لرى الأراضى المزروعة حول المدينة عندما يكون الجو باردا ، وكذلك أسست مزرعة كبيرة فى شمالى المدينة وقسمت بين سكانها . وفى هذه المزرعة جلبت نباتات جديدة منها القطن . وقد أدى جلب زراعة القطن إلى تأسيس صناعة مثمرة بقيت عدة قرون فذكر الجغرافى المستوفى (حوالى ١٣٤٠ ميلادية) محصول القطن الطيب حول مدينة « أربل » وليس من شك فى أنه لا يوجد إلا القليل من ملوك الشرق الذين أظهروا اهتماماً بصالح مدنهم أكثر من « سنخرب » كما يدل على ذلك إقامته « لنينوة » .

وقد يطول بنا المقام إذا أخذنا فى سرد مبانى « سنخرب » و يكفى أن نذكر هنا اصطبلاته ومخازن أسلحته التى تقع الآن فى سفح التل المسمى « النبى يونس » وغير ذلك . وليس من شك فى أن فكرة إصلاح « نينوة » وما ابتدعه فيها سنخرب كان من عبقريته ؛ وفوق ذلك فإن فخامة المدينة لم يكن راجعاً إلى الثروة التى نالها من فتوحه وما اغتصبه من الأهلين وحسب بل كذلك يرجع إلى فحص حكيم لمنابع ثروة البلاد الطبيعية واستعمالها فى وجوهها مما لم يكن يتأتى من أى إنسان ، بل من شخص منح مواهب تفوق المعتاد .

ومما يؤسف له أن أفاريزعصر « سنخرب » التى بقيت لنا وجدت مهمشة تهشيما مشيناً ، ومع ذلك فإنه من الممكن أن نرى فيها الصناعة الفنية الدالة على هذا العصر وما أحرزه البناءون من إتقان فائق فى التفاصيل والقدرة على تركيب الأشكال التى درست بصورة فائقة فيما بعد، وأجمل تمثال من هذه الصور صنع فى الحجر هو الذى ظهر فيه « سنخرب » فى معسكره فى « لجيش » وكذلك صورة نقل التماثيل الضخمة وقد يكون من الغريب حقاً ألا تظهر الانطباعات الأجنبية بصورة واضحة جلية فى هذا العصر ففى العمارة نجد أن الخارجة أو قاعة العمد كانت مجلوبة إلى آشور من الغرب ومن المحتمل كذلك وجود تفاصيل أخرى قد استعيرت من بلاد «خيتا» أما فى الصناعات الصغيرة فلدينا ما يثبت التأثير المصرى فيها فى ذلك العهد فمن ذلك آنية من الزجاج تحمل اسم « سرجون » وكذلك وعاء عليه نقش باسم « سنخرب » وهذان الاناءان كان شكلهما عادياً فى مصر فى ذلك الوقت ولا بد أن نشير هنا إلى أن الإفريز الآشورى بقى على أية حال آشورى الأصل خالصاً فلم يتأثر بصناعة أجنبية وينسب إلى عهد « سنخرب » أنه كان بداية أرفع عصر للفن .

هذا وقد تقدمت اللغة فى عصر هذا العاهل كما سنرى بعد . والواقع أنه على الرغم من نهاية هذا العاهل المفجعة إذ قد اغتيل بيد أثيمة فى القصر فإن ما قام به من مجهود

جبار لحماية امبراطوريته التى خلفها له أسلافه وبخاصة إدارته فى داخل البلاد يكاد يرفعه إلى المرتبة الأولى بين ملوك الأسرة التى ينتمى إليها .

ومع ذلك فإنه حتى الآن وإلى أن تصل إلينا معلومات جديدة مغايرة لا بد أن نعده قائداً قديرا مثل والده وحا كما حذرا وأعظم إدارى حدثتنا عنه الوثائق الآشورية. يضاف إلى ذلك أنه أظهر ميلا إلى الفن واللغة بصورة لم يضارعه فيها إلا حفيده. آشور بنيبال كما سنرى بعد .

عصر الملك « إسرحدون »

٦٨٠ — ٦٦٩ ق٠م

كان إسرحدون غائبا فى أثناء قتل والده وتحدثنا الوثائق الآشورية على أنه قتل فى ٢٠ شباط (يناير سنة ٦٨١ ق.م) وقاتله هو ابنه االذى كان أكبر سنا من « إسرحدون » الذى نصبه والده وارثا على العرش ، ولدينا متن عن حرب « إسرحدون » من أجل العرش جاء فيه صفة « اسرحدون » الملك العظيم والملك الشرعى وملك العالم وملك آشور ووصى بابل وملك « سومر » و « أكاد » وملك جهات العالم الأربع والراعى الحقيق وحظى الآلهة العظام ومن أعلنه كل من الألهة « آشور » و « شماش » و « بل » و «نبو » و « اشتار » صاحبة « نينوة » « وإشتار » صاحبة « أربلا » ملكا على بلاد « آشور » منذ أن كان طفلا . قال :

«وقد كنت أصغر اخوتى الكبار ، ولكن والدى على حسب أمر الآلهة « آشور » و «شماش » و «بل» و « نبو » «وإشتار» صاحبة نينوة « وإشتار» صاحبة «أربلا» قد اختارونى عن طيب خاطر وفى حضرة كل إخوتى — قائلين : إن هذا هو الابن الذى سيرقى إلى منصب وارث « لى » وبعد ذلك وضع هذا السؤال أمام الاله « شماش » والاله « أداد » بوساطة وحى وقد أجاباه : إنه حقا هو الذى يحل محلك وقد أصغى « سنخرب » إلى نطقهما الهام وجمع أهل «آشور» صغيرا وكبيراً وإخوتى وكل الذكور من نسل أسرة والدى وجعلهم يعقدون يمينا مقدسا أمام « صور» آلهة بلاد آشور وهم « آشور » و « سن» و « شماش » و «نبو » و « مردوك » وكل الآلهة الآخرين القاطنين فى السماء وفى العالم السفلى لأجل أن تضمن وراثتى (الملك).

وفى شهر مناسب فى يوم موافق دخلت بسعادة — على حسب أمر وحيهم الموقر — قصر ولى العهد وهو هذا المكان الذى يسكن فيه من كان مقدرا لهم تولى الملك .

وعندما انبثق الفجر الحقيق لهذا العمل على اخوتى نبذوا القداسة ووضعوا ثقتهم فى القيام بأعمال جريئة مدبرين مؤامرة آثمة فاختلقوا على النميمة ، والاتهامات الباطلة (وكل ما هو ، ممقوت من الآلهة دائمـا يطلقون الاشاعات الخبيثة الـكاذبة والمعادية من وراء ظهرى وعلى ذلك باعدوا منى — على غير إرادة الآلهة — قلب والدى الذى كان من قبل على مصافاة «لى» ؛ على الرغم من أنه كان فى قرارة قلبه دائما يكن لى الحب وكانت ميوله دائمـا أن أصبح ملـكا . وقد أصبحت خائفا وسألت نفسى بمـا يأتى : هل هناك أعمال عنف مبنية على ثقة فى آرائهم أو أنهم قد ارتكبوا هذا الاثم على غير إرادة الآلهة ؟ وقد تضرعت إلى الإله « آشور » ملك الآلهة وإلى « مردوك » الرحيم — وهما اللذان كانا يعدان الدناءة لعنة ، بالصلوات والعويل والسجود وقد اتفق أن يعطى الوحى جوابا على أن الاخوة (قد عملوا) على حسب قرار الآلهة العظام « أربابى » . وقد جعلنى (الآلهة) انتظر فى مكان خفى فى وجه هذه الدسائس الآثمة ناشرين ظل حمايتهم الطيبة فوق وبذلك حفظ لى الملك .

وعندئذ خرج اخوتى عن شعورهم مرتكبين كل شىء أثيم فى أعين الآلهة وبنى الانسان واستمروا فى دسائسهم الخبيثة لدرجة أنهم استلوا السلاح فى وسط « نينوة » وهذا ضد إرادة الآلهة وتناطحوا فيما بينهم كالجديان لينالوا الملك وقد نظر « آشور » « وسن » « وشماش » « وبل » « ونبو » واشتار صاحبة « نينوة » « وأشتار » صاحبة « أربلا » بعدم الرضا لأعمال هؤلاء المغتصبين ولم يساعدوهم (وعلى العكس) أحالوا من قوتهم ضعفا وجعلوهم فى النهاية يحنون تحتى (يضاف الى ذلك) أن أهالى بلاد « آشور » الذين أقسموا يمين الآلهة العظام بوساطة المـاء والزيت على ألا يحموا أعدائى لذلك ولا يأتوا لمساعدتهم . ولـكنى أنا « امرحدون » الذى لم يول ظهره للعركة معتمداً على الآلهة العظام أربابه قد سمعت بسرعة عن هذه الأحداث المحزنة وصحت قائلا : الويل ! ومزقت حلة الإمارة وأخذت فى العويل بصوت عال . وقد صرت مثل أسد مجنون وكان روحى مشتعلا وناديت الآلهة بالتصفيق على يدى

بقصد تولى الملك وهو وصية والدى ، وقد صليت إلى الإلهة « آشور » و « سن » و « شمـاش » و « بل » و « نبو » و « نرجال » وإلى « إشتار » صاحبة « نينوة » و « إشتار » صاحبة أربلا وقد اتفقوا على أن يوحى إلى بوحى وقد أرسلوا إلى بجوابهم الصحيح المؤكد الوحى الأمين التالى : سر (إلى الأمام) ولا تتوان ونحن سنسير معك . اقتل أعداءك ! فلم أنتظر حتى اليوم التالى ولا جيشى ولم ألتفت إلى الوراء لحظة ولم أجمع فرق الخيل المخصصة للعربات أو معدات الموقعة ، وحتى لم أجمع مؤناً للحملة ولم أكن أهاب الثلج وبرد شهر شباط الذى يكون فيه الشتاء على أشده . ولكن نشرت جناحى مثل طائر عاصفة سريع للقضاء على أعدائى فسرت فى الطريق المؤدية إلى « نينوة » وقد كانت وعرة المسلك إلا أنها كانت قصيرة . وقد كان أمامى فى إقليم « خانى جالبات » كل أحسن جنودهم (أى جنود إخوتى) يعترضون تقدم جيش حملتى وقد أرهفوا أسلحتهم استعداداً للموقعة ، غير أن الفزع الذى كان يبعثه منظر الآلهة العظام « أربابى » هزمهم وانقلبوا إلى مجانين عندما رأوا هجوم جنودى القوى فى المعركة ، وقد وقفت بجانبى « إشتار » سيدة المعركة — وهى التى تحب أن أكون كاهنها الأعظم — كاسرة أقواسهم ومشتتة شمل جموعهم — وعندئذ تحدثوا فيما بينهم : « هذا هو مليكنا (؟) » وقد ساروا إلى على حسب أمرها السامى فى كتل بشرية وتجمعوا خلفى وقد كانوا يقفزون كالخراف الصغيرة واعترفوا بى بوصفى سيدهم بتضرعهم إلى .

أما أهل آشور الذين عقدوا يميناً بحياة الآلهة العظام من أجلى فقد أتوا لمقابلتى وقبلوا قدمى ، وأما العاصيون الذين بدءوا بالثورة فقد هجروا أخلص جنودهم عندما سمعوا بجنود حملتى وفروا إلى بلاد مجهولة .

وقد وصلت إلى شاطئ دجلة وجعلت كل جنودى يقفزون من فوقه كأنه حفرة صغيرة وذلك على حسب ما أوحى به الإلهـان « سن » و « شمـاش » وهما بالشاطئ (السماوى) .

وقد دخلت بفرح مدينة « نينوة » فى شهر « أزار » وهو شهر حسن (الطالع) فى اليوم الثامن منه وهو يوم عيد الإله « نبو » — وهى البلدة التى كنت أبسط فيها سيادتى وجلست بسرور على عرش والدى وقد هبت ريح الجنوب وهو النسيم الذى أزجته « يا » (فى هذه اللحظة) ، وهذا الريح هو الذى يبشر هبوبه بالخير لتولى الملك قد أتى فى الوقت المناسب من أجلى . وقد حدثت تطهيرات حسنة فى السماء وفى الأرض — وتفسيرها على حسب تفسير المنجم كانت رسائل من الآلهة والإلهات — باستمرار لى وجعلت قلبى واثقاً .

أما الجنود المذنبون الذين تآمروا على الاستيلاء على ملك آشور لإخوتى فقد حسبتهم فى مجموعهم مجرمين وأوقعت بهم عقاباً صارماً بل قضيت على نسلهم من الذكور » .

وأظن أنه لا يخفى على قارئ هذه الأحداث وما أتاه « أسرحدون » من الأعمال ما يدل على أنه لابد كان مشتركا فى قتل والده وأنه فى هذا المتن كان يريد أن يبرئ نفسه من هذه التهمة الشنعاء .

وعلى أية حال نعرف من تواريخ الملك « آشور بانيبال » أن أهل « بابل » كانوا مشتركين فى مؤامرة قتل « سنخرب » وقد وقع الاعتداء على « سنخرب » كما قلنا فى « نينوه » ويقول « اسرحدون »(١) عن دخوله فى « نينوه » بعد قتله والده فى شهر آزار — وهو شهر يمن : فى اليوم الثامن وهو يوم عيد الإله « نبو » دخلت نينوه مدينتى الملكية بفرح وتسلمت مكانى على عرش والدى فى سلام .

وتذكر لنا التوراة فى (سفر الملوك الثانى الاصحاح ١٩ سطر ٣٧) أن « سنخرب » قتل فى بيت نسروخ : وفيما هو ساجد فى بيت نسروخ إلهه ضربه « أدرملك »

---

(١) راجع Luckinbell, II, §. 506

و « شرآصر » ابناه بالسيف ونجوا إلى أرض أرراط وملك « إسرحدون » ابنه عوضاً عنه » .

غير أن هذين الاسمين لم يمكن توحيدهما بأى اسم من أسماء أولاد « سنخرب » ويمكن فقط القول أن نسروخ هو تحريف لاسم « نيتورتا » .

وعلى أية حال فإن هذه الجريمة كانت إعلانا لقيام ثورة . غير أن « إسر حدون » لم يجد عناءاً كبيراً فى إخضاعها وتولى العرش كما شرح لنا ذلك فى الوثيقة التى أوردناها فيما سبق .

وأول عمل قام به «إسر حدون» كان عملا سلمياً على خلاف ما كان يتبعه كل أسلافه فقد أراد أن يقوم باصلاح مدينة « بابل » إرضاءاً للبابليين . فهدم الجدران والأبراج والبوابات وأخذ فى إصلاحها فلم يأت عام ٦٨٠ — ٦٧٩ ق.م حتى كانت قد أصلحت كلها من جديد ، وقد طرد الكلدانيين الذين كانوا قد احتلوا مكان المدينة ودعا أهلها الأصليين ليسكنوا فى مساكنهم الأصلية ، وبعد ذلك بثلاث سنوات كانت المدينة كلها قد عمرت وبهذا العمل أرضى البابليين .

وفى هذا الوقت أراد أحد أبناء « مروداخ — بلادان » أن يجعل الكلدانيين يقومون بثورة فعومل بقسوة مما اضطره إلى الهرب إلى عيلام ، هذا وقد انتهز العيلاميون فرصة غياب « اسرحدون » فى الأقاليم الغربية فى عام ٦٧٥ ق.م فقاموا بحملة لغزو « بابل » واستولوا فعلا على « سيار » ، ولكن كان نصيبهم التقهقر أمام غضب الشعب العام . ولم يمض طويل زمن حتى أعيدت آلهة « أجادى » الذين كان قد أخذهم المغتصبون من « سيار » فى سلام للملك « إسرحدون » . وقد كان عدم قيام « إسرحدون » بحملة للانتقام سبباً فى اكتساب صداقتهم أيضاً . ومن ثم نرى اختلافاً ظاهراً فى أخلاقه عن أخلاق والده « سنخرب » الذى كان مفطورا على الوحشية والغرور والتصرفات الاجرامية مما لايمكن أن يتصوره الانسان

والواقع أن « إسرحدون » كان سياسياً عظيما رائده العقل والحزم فقد أخذ يسير بتبصر وروية على نهج سياسة سليمة فى ممتلكاته الجنوبية ، ليصبح متفرغاً لمشروعه العظيم الذى عزم على تنفيذه ، وأعنى بذلك فتح البلاد المصرية ؛ وكذلك ليكون لديه فى الوقت نفسه من الحرية والاستعداد ما يجعله قادرا على الضرب على أيدى قبائل جبال الشمال الذين كانوا يهددون بالزحف من حدودهم على بلاده تحت ضغط قبائل « جميرى » وهؤلاء هم قبائل « جور » التى جاء ذكرها فى التوراة وهم الذين أطلق عليهم الاغريق اسم كميرى (Kimmerians) وقد وفدوا من المراعى الشمالية من مضايق جبال « القوقاز » وهم المعاصرون لقبيلة « ترس » (Treres) المنتسبة لهم ، وقد جاءوا عن طريق موسيا (Moesia) وعبروا الهلسبونت (Hellespont) وكانوا الآن يحتلون تماما الجزء الشمالى من « أسيا الصغرى » وكانوا يفكرون فى الانقضاض على « مسوبوتاميا » . وقد اخترقت جماعة منهم فعلا مضيق الفرات فى عام ٦٧٨ ق . م ولكن الآشوريين ردوهم على أعقابهم إلى الأناضول . وهنا بقى الكميريون مدة من الزمن وحلفاؤهم « الترس » يسطون على الأهلين دون أن يصدهم أحد ، فكانوا سوط عذاب ينصب على السكان المتحضرين كما كانت قبائل الهون فى العهد الرومانى . على أن انشغال قبائل الكميرى فى الشمال الغربى من بلاد آشور لم يخلص الآشوريين على أية حال من خوفهم منهم وتعرضهم لغزوهم . يضاف إلى ذلك أنه فى تلك الفترة كانت تتجمع قبائل أخرى فى الشمال الغربى من « اشور » مهددين بلاد « أوورارتو » (أرمينيا) بالخراب كما كانوا خطرا على آشور نفسها .

وفى هذا الوقت ألف « كاشتريت » صاحب بلاد « كاسكاششى » حلفا لمحاربة آشور ، وكان هذا الحلف يتألف من ميديا » وبلاد « مانان » وجموع من السيثيين Scythians الذين كان يحكمهم ملك يدعى « سباكا » وقد خاف « إسرحدون » بأس هذا الحلف لدرجة أنه استشار الوحى والعرافين فى أمره . وبعد ذلك حاربهم وقد استمر ينازل جموع هذا الحلف مدة سنين إلى أن انتهت الحرب عام ٦٧٢ ق.م . وأصبحت

« ماناى » اقليا آشوريا . والظاهر أن الفضل فى هزيمة هذا الحلف الهمج أن « إسرحدون » قد استعمل معه سياسة إثارة البغضاء والمنافسة فيا بين أعضائه ؛ فنجد أنه قد استمال إلى جانبه أحد رؤساء السيثيين بأن زوجه من أحدى بناته ليساعد الجيش الآشورى على « سباكا » (اسباكا) و« كاشتاريت» . واسم هذا الزعيم السيثى هو « بارتاتو » ، وقد جاء ذكره فى تاريخ « هردوت » باسم بروتوثيس Protothyes والد ماديس Madyes وهو الذى خرب فيا بعد بلاد سوريا . ولم يبق أمام « إسرحدون » بعد هزيمة هذا الحلف وتشتيت شمله إلا الالتفات إلى مصر .

تدبير الحملة على مصر :

والواقع أن مصر كانت خلال عشر السنوات الأولى من حكم « إسرحدون » قد اتخذت بلاد فلسطين آلة لتكون مصدر اضطرابات وثورات تحركها بيد خفية على « آشور » وقد قضى «إسرحدون» عليها جميعا . هذا وقد كان منظر استعراض اثنين وعشرين ملكا من الملوك الذين هزمهم « إسرحدون » فى سوريا وفلسطين عند تأسيس قلعة « إسرحدون » التى أقامها بالقرب من « صيدا » بعد هدم جدرانها من المناظر الرائعة فى التاريخ فقد كان من بينهم ملوك المدن والأراضى التى لها علاقة وثيقة بمصر . نذكر منها كل موانى خليج انطاكية وساحل فنيقيا التى كانت فى أيدى الآشوريين إلا « صور » ، وقد أعلن ملكها المسمى « بعلو» خضوعه لاسرحدون بحضوره فى « كار آشور آخ إدين » وكان فى هذا الحفل على ما يظن منسة ملك « أورشليم » (راجع سفر أخبار الأيام الثانى الاصحاح ٣٣ سطر ١١) لجلب الرب عليهم رؤساء الجند الذين لملك آشور فأخذوا منه بخزامه وقيدوه بسلاسل نحاس وذهبوا به إلى بابل) وأمراء فلسطين هذا إلى اغريق وفنيقيين من « قبرص » .

وقد كان من الأمور الهامة تمكين السيادة الآشورية فى قبرص ، ولا أدل على ذلك من تسليم ملكها «عبد ملكوتى » بسرعة ؛ ولا نزاع فى أن السيادة الآشورية فى هذه الجزيرة كانت تعنى بطبيعة الحال خسارة فادحة للتجارة فى الدلتا على أن إثارة

الفتن فيها كانت سهلة كما كانت من قبل ، وذلك لوجود فرق آشورية فى كل مدينة لتستطيع أن تكشف بسرعة عن رسل مصر وتمنع قيام أية فتن متفق عليها فى الخفاء ، وكانت « صيدا » وقتئذ لا نصير لها لوقوعها تحت رحمة حاكم الإقليم الآشورى ، وكان « بعلو » ملك « صور » الذى زاد « إسرحدون » فى حدود مملكته هو الوحيد الذى كان فى استطاعته أن يقوم بمؤامرة على « آشور » ، ولذلك انتهز « تارقو » (تهرقا) فرعون مصر هذه الفرصة وفاوضه فى القيام بحملة على « إسرحدون» ويحتمل أن ذلك كان فى عام ٦٧٦ — ٦٧٥ ق . م ، ولا نعرف سبب الإغراء الحقيقى الذى جعل « بعلو » ينصاع لعروض « تهرقا » للقيام بثورة . ولكن الأمير الفينيقى كان يثق بنفسه وقوته ، وهذا ما حققته الحوادث بعد ، هذا وكان « إسرحدون » دائما على علم بمجريات الأمور وما كانت تحوكه مصر له من دسائس منـــذ سنين مضت مما جعله يعقد العزم على القضاء على أرض الكنانة و إبادتها . والواقع أن « إسر حدون » كان يجمع فى شخصه سياسة « سرجون » وتهور « سنخرب » .

ولا ينبغى أن نرجع باللائمة على « إسر حدون » لعدم فطنته من جهة استحالة ضمه مصر لبلاده ضما نهائياً دائما . ومن المحتمل أن الآشوريين كانوا على علم خاطئ جداً فى فهم خاصيات سكان وادى النيل إذ لم يفقهوا تماما الفرق الهائل بين المصريين وإخوانهم الساميين الذين كانوا يسيطرون عليهم عدة قرون ، وكذلك لم يفهموا أنهم كانوا قادمين على فتح بلاد قوم وحكمهم بالسيف بعيدين عن بلادهم كل البعد من كل الوجوه إذ كانوا يعبدون آلهة تختلف كل الاختلاف عن آلهتهم، يضاف إلى ذلك أنهم كانوا قوما لا يزال متأصلا فى نفوسهم ذكريات استعباد الأسيويين لهم منذ ألف سنة مضت وأعنى بذلك قوم الهكسوس الذين استعمروا مصر حوالى قرن ونصف قرن من الزمان، والواقع أن الآشوريين كان فى استطاعتهم أن يجدوا أصدقاء أو أعداء بين الأسيويين ولكن كل مصرى كان مفطوراً بكل طبعه أن يكون عدوهم الألد وتمتلئ كل جزئيات نفسه بالكره والبغضاء لهم، ولا ريب فى أن البلاد والناس الذين كانوا بهذه النفسية لا يمكن أن يسيطر عليهم مدة طويلة

قوم يكرهونهم ، وعلى الرغم من أن الحيوية المصرية المتأججة التى كنا نشاهدها فى عهد الدولة الحديثة عندما كان على رأس البلاد فراعنة الأسرة الثامنة عشرة العظام أمثال «أحمس الأول» و «تحتمس الثالث» و« أمنحتب الثانى » ، قد خبا سناها وخفت مصباحها فإنه كان مع ذلك لا يزال يوجد وميض نار تحت هذا التراب يصرفه الخوف من احتلال الآشوريين الذين كانوا فى الواقع أقسى قلوباً وأكثر فتكا بالبشرية من الهكسوس ، ولا نزاع فى أن نتيجة الاحتلال الآشورى كانت النهضة المصرية التى قامت فى العهد الساوى بعد طرد هؤلاء المستعمرين كما كان من قبل طرد الهكسوس والقضاء عليهم على يد « احمس الأول » بداية لنهضة جديدة .

والواقع أن كل من « إسرحدون » و«آشور بنيبال » ضل السبيل الوحيدة التى كان بها يمكن الحصول على ولاء مصر وخضوعها لهم : وذلك أنهم عندما إفتحوا مصر لم يعتلوا عرش الفراعنة بوصفهم ملوكا لمصر ، ولو أنهم كانوا قد فعلوا ذلك وتلقبوا بالالقاب الفرعونية وقدموا طاعتهم للاله « آمون » ودخلوا حجرة « بنبن » المقدسة للاله « رع » فى معبد « هليوبوليس » (عين شمس) وخرجوا منها حاملين لقب أبناء « رع » فإنه عندئذ فقط كان من المحتمل أن قصة نهاية الدولة الآشورية قد تكون مختلفة عما كانت عليه ، ولكن ملك آشور لم يكن فى استطاعته أن يفعل ذلك كما لم يكن فى مقدور ملك مصرى أن يأخذ بيد الاله « بل » فى « بابل » ويصبح بعد ذلك ملكا على « سومر » و« آكاد » لو أتيح له فتح بلاد «بابل» . ولا ريب فى أن الهوة التى تقع بين نفسية الشعبين وتكوينهما كانت جد عميقة ولسنا فى حاجة إلى القول بأن مجرد مثل هذه الفكرة كانت لابد أن تقابل بالرفض فى الحال إذا ما عرضت على «إسرحدون» ، ومن أجل ذلك كان جعل مصر إقليما آشوريا أمرا مقضياً عليه بالفشل . وفى مقابل ذلك نشاهد أن « قمبيز » ملك الفرس الذى لا يضيره أمر الدين ما دام ذلك يسهل له تنفيذ سياسته لم يتردد فى إعلان نفسه فرعونا على مصر واعتناق الديانة المصرية ولو ظاهريا ولذلك لما تولى « دارا الأول » بعده وكان يتصف بالحكمة وسداد

الرأى فطن إلى أن السياسة التى تورط فيها «قمبيز» كانت السياسة الوحيدة التى بها يمكنه ضم مصر لامبراطوريته . وبتولى «دارا» عرش الفراعنة على هذا النمط عبد الطريق للاسرتين المقدونية والرومانية لحكم مصر قرونا طويلة إذ قد اتبعوا السياسة التى رسمها الفرس لهم .

وعلى ذلك فان «إسرحدون» على جهل منه بكل هذه الأمور وباعتباره المصريين دساسين جبناء وعباد قطط وكلاب خاضعين لحكم قوم سود أخذ يستعد لفتح مصر وكأنه بذلك كان يجهز نفسه للخطوة الأولى التى أدت إلى إضعاف امبراطوريته وسببت سقوطها نهائيا .

زحف «إسرحدون» على مصر : ففى عام ٦٧٥ ق . م زحف إسرحدون بمعظم جيشه على مصر واخترق الحدود المصرية غير أن جيشه اضطر للتقهقر بسبب قيام عاصفة (ويظن المؤرخ «سدنى سمث» أن هذا الحادث هو أصل الكارثة التى تعزوها التقاليد للملك «سنخرب») .

والمظنون أن الهجوم الذى وقع عام ٦٧٤ ق . م لم يكن بقيادة الملك شخصيا لأنه فى ذلك الوقت كان يحارب «كاشتريت» و «سباكا»[1] — كما ذكرنا من قبل ، وعلى ذلك فان هذه الموقعة يمكن أن تكون هى التى أشير اليها فى التوراة (كتاب الملوك الثانى الاصحاح ١٩ سطر ٧ ، ٣٥) ولكن فى عام ٦٧٤ ق . م كان الآشوريون منهمكين فى حصار حصون الدلتا وأهمها على حسب النقوش الأشورية كانت تدعى «شا أملى» ويحتمل أنها «آندروبوليس» وهى «خرباتا»[2] بمديرية البحيرة مركز كوم حمادة .

وهاتان الحملتان كانتا الأساس لإخضاع مصر ، وكان حصار «صور» الذى كان قد

---

(١) راجع Cambridge Ancient History, III p. 64, 89

(٢) راجع Gauthier, Dic. Geogr., III, p. 15

بدأ فى باكورة عام ٦٧٣ ق.م . يعد شيئا ثانويا من الوجهة الحربية ، ومع ذلك فقد اتضح أن الاستيلاء على المدينة كان صعب المنال جدا وذلك لأن الآشوريين لم يكن فى مقدورهم أن يستولوا عليها بالهجوم المباشر ، ولم يكونوا يأملون فى الوقت نفسه وضع حصار عليها غير أن ملك « بعلو » ضايقه وجود الجنود الآشوريين خارج أسوار المدينة ففضل تسليمها بشروطه هو ولم يقبل شروط « إسرحدون » الذى كان يريد تملك حصونها التى على اليابسة ووضع حكام آشوريين فيها ، وعلى ذلك بقى « بعلو » يقاوم هجوم « الآشوريين » بنجاح غير أنه لم يكن فى مقدوره التدخل فى صد مرور الجنود الآشوريين وهم فى طريقهم إلى مصر .

وعندما قام «إسرحدون» بمشروع غزو مصر وجه له كل عنايته وقوته ، وقد كان نفوذ « آشور » وشدتها فى هذا الموقف يتطلب ذلك بسرعة لأن ما كانت عليه مصر من سؤدد وفخار فى الماضى كان دائما عالقاً بأذهان أقوام « فلسطين » و «سوريا» وأن آشور لو فشلت فى مشروعها فإن هذا الفشل يكون اعلانا لقيام الثورات فى الأقاليم التى تحت سلطانها فى هذه الجهات ، وعلى ذلك فإنه عندما انسحب الجيش الآشورى من مصر لم يكن إلا لإعادة تنظيمه وتجهيزه للقيام بحملة أخرى عظيمة ، وقد أمضى «إسرحدون» عام ٦٧٢ ق.م. فى الاستعداد لهذه الحملة ، وفى عام ٦٧١ ق.م. انقض بسرعة خاطفة على مصر وقد ظهر أن الجيش الآشورى كان يفوق بدرجة هائلة أى عدد من الجنود تضعه مصر فى ساحة القتال ؛ فقبل اجتياز الحدود المصرية وقعت واقعة عند مكان يدعى « سنجرى » أسفرت عن تشتيت شمل جيش «تهرقا» ، وبعد مضى خمسة عشر يوما على هذه الموقعة تقدم الجيش الآشورى وحاصر «منف» التى سقطت بعد زمن قليل ، وقد هرب الفرعون «تهرقا» نحو الجنوب ولكن أسرته أسرت ، وخربت « منف » ، وقد أدى هذا النصر المبين إلى استسلام الوجه القبلى ، وأخذ « إسرحدون » فى الحال ينظم حكومة البلاد كلها ونصب حاكما وطنيا على كل مقاطعة ، وعين حكاما آشوريين على حسب المعتاد ، وأطلق أسماء آشورية على أمهات

المدن فى مصر . وهاك النصوص الآشورية التى وصلت إلينا عن حروب «إسرحدون» فى مصر .

(أ) تقرير من الحملة العاشرة من المتون الحولية (راجع Pritchard, Ancient Near Eastern Texts, p. 292, Luckenbell, Ibid, II, Par. 554-9.)

فى هذا المتن يحدثنا «إسرحدون» عن حملته فى مصر فاستمع لما يقول فى حملته العاشرة من حروبه :

وهى التى خصصها لغزو مصر .

«فى حملتى العاشرة وجهت سيرى (على . . . وأمرت . . .) نحو بلاد . . . وهى التى تسمى فى لغة شعب بلاد النوبة (كوسو) ومصر (موصور) . . . وجمعت جيش «آشور» العديد الذى كان معسكرا فى . . . وفى شهر نيسان وهو الشهر الأول من السنة رحلت من مدينتى «آشور» وعبرت «دجلة» والفرات فى زمن فيضانهما وتقدمت فى الإقليم الصعب من طريق مسرع الخطا كالثور الوحشى ، وأقمت فى أثناء حملتى جسورا لمحاصرة «بعلو» ملك صور الذى وضع ثقته فى صاحبه «ترهاقة» (تركو) ملك نوبيا (كوسو) ، وعلى ذلك خلع عن نفسه نير ربى «آشور» ، وقد أجاب على تحذيراتى بوقاحة فمنعت عنهم (أى سكان صور المحاصرين) الطعام والماء العذب اللذين يبقيان على الحياة ، وبعد ذلك نقلت معسكرى من «موصرو» وسرت مباشرة نحو «ملوها»[1] وهى مسافة تبلغ مسيرة ستين ساعة من بلدة «أبكو» الواقعة فى إقليم «سماريا» حتى بلدة «رفح» فى الإقليم المجاور لنهر مصر — ولم يكن يوجد نهر (فى كل الطريق) ! وقد كان على أن أمد جيشى بالماء بوساطة حبال وسلاسل ودلاء لمتحها من الآبار .

(١) يلحظ فى هذا المتن أن الكاتب يستعمل الكلمات «موصرو» و «ماجان» و «ملوها» بصورة غير محددة .

وعندما أتى أمر الوحى الذى أمر به ربى « آشور » إلى عقلى (فى وسط هذه المصيبة) فرح روحى ووضعت (زجاجات ماء) . . . على الجمال التى أحضرها لى كل ملوك العرب . . . مسافة أربعين ساعة فى سفرة مدتها خمسة عشر يوما فى . . . وتقدمت . وسرت ثمانى ساعات فى إقليم مغطى بالشبه[1] وحجر « سو » وعلى مسافة ثمانى ساعات فى سفرة طولها يومان كانت توجد ثعابين ذات رأسين وكان هجومها يعنى الموت ، ولكن دستها وسرت إلى الأمام . وفى مسافة ثمانى ساعات فى سفرة يومين كانت توجد (حيوانات) خضر أجنحتها ترفوف . وفى مسافة ثمانى ساعات فى سفرة يومين . . . الأعلى . . . وفى مسافة ثلاثين ساعة فى سفرة طولها ثمانية أيام تقدمت فى . . . وبعد ذلك أتى «مردوك» الإله العظيم لمساعدتى (ففعل . . . وعلى ذلك) حفظت جنودى أحياء . ولمدة عشرين يوما وأربعة عشر ميلا (بلداً وإقليم) على حدود . . . « ماجان » (مصر) . (فى . . .) مضيت الليل . وتقدمت من بلدة « مجدالى » نحو بلدة . . . مسافة ثمانين ساعة قيست . . . وهذا الإقليم كان مثل حجر « كا (. . .) (ربما يقصد هنا حجر السيديان) (. . . حاداً) مثل رأس السهم أو الحربة . . . الدم والقيح . . . العدو الشقى حتى . . . إلى بلدة أشهوبرى» .

وقد نسب هذا المتن الأثرى « لاندسبرجر بور » (Landsberger Bauer) إلى إقليم فى بلاد فارس ولكن نجد أن اسم بلدة أشهوبرى المحلى يربط هذا المتن مباشرة بالمتن الذى سبق هنا وهو يحدثنا صراحة عن الحملة الآشورية على مصر .

والمتن التالى من قطعة منقوشة محفوظة بالمتحف البريطانى (راجع H. Winckler, Untersuchungen zur Altorientalischer Geschichte Leipzig (1889), p. 98) وهاك ما جاء عليها :

---

(١) الظاهر أن شبة هذا الإقليم كانت تصدر الى مصر وكان يعبر عنها بكلمة سامية مستعارة وهى أبنم أى أحجار .

« وقد شتتت شمل قوة موقعتهم المرتبة ترتيبا حسنا . . . وأخوه وحكامه (. . . من) « إشهو برى » حتى « منف » قد (قضى عليهم) .

وعلى الرغم مما جاء من تهشيم وتمزيق فى هذا المتن فإنه يصف لنا بصورة رائعة مشاق السفر فى الصحراء وما كان يلاقيه المسافر من مخاطر ومصاعب وصفها لنا « إسرحدون » بوضوح .

لوحة سنجيرلى[1] : ومن أهم الآثار التى خلفها إلينا « إسرحدون » وتتحدث عن حملته على مصر لوحة النصر التى نصبها فى شمال « سوريا » وهذا الأثر عثر عليه فى « سنجيرلى » (عام ١٨٨٨ م .) ، ويمثل « إسرحدون » وبيده اليمنى كأس يصب منها القربان للآلهة الذين مثلوا فى أعلى اللوحة ، وفى يده اليسرى مقمعة ، ويمتد من يده اليسرى أعنة تمر بشفاة صورتين عند قدميه ، والصورة الأولى تمثل « تهرقا » مرسوما بملامح زنجية واضحة (ويجوز أن الصورة تمثل ابن « تهرقا » المسمى « يوشانهوروا » الذى كان قد أسر وسيق إلى بلاد آشور) ويداه ورجلاه قد غلت وهو راكع بيديه المرفوعتين تضرعا ، أما الصورة الثانية فقد مثل صاحبها واقفاً ومن المحتمل أنها صورة « بعلو » وقد رفع كذلك يديه المغلولتين تضرعا .

وهاك المتن : « إلى « آشور » ملك الآلهة المحب لرجال كهانتى والإله « آنو » القوى الممتاز الذى يدعونى باسمى و « بعل» الإله المفخم مثبت أسرتى و «يا » العاقل العليم بكل شئ والذى يحدد مصيرى و « سن » (إله القمر) النور الساطع الذى يمنحنى تفاؤلا حسناً و « شماش » قاضى السموات والأرض الذى يقرر قراراتى و « أداد » السيد الجبار الذى يجعل جيوشى ناجحة و « مردوك » الملك السيد صاحب « إجيجى » و « أنوناكى» الذى يجعل ملكى عظيما و « إشتار » ربة الواقعة والحرب التى تسير بجانبى وسبعة الآلهة المحاربين الذين يهزمون أعدائى والآلهة العظام

(١) راجع Luckenbell, II, Ibid, p. 573-81 ; Pritchard, Ibid, p. 293.

كلهم الذين يحددون مصيرى والذين يمنحون ملكهم وقوتهم المحببة وبطشهم ، « إسرحدون » الملك العظيم والملك الجبار ملك العالم وملك آشور ونائب « بابل » وملك « صور » و « آكاد » وملك « كاردونياش » كلها (مملكة بابل) وملك ملوك مصر و « باتوريس » و « كوش » (الوجه البحرى والوجه القبلى وكوش) الذين يخافون قوة آلهتهم والمسيطر المفخم من آشور و «شماش» و «نابو» و «مردوك» ، ملك الملوك القاسى الذى يفتك بالخبيث ويلقى الرعب فى القلوب والذى لايخاف فى المعركة والشجاع تماما ، والذى لا يألو جهداً فى القتال ، والأمير المهيمن بقوته ، والقابض على أعنة الأمراء ، والكلب المفترس ، والمنتقم للوالد الذى أنجبه والملك الذى بمساعدة الآلهة « آشور » و « شماش » و « نابو » و « مردوك » — وهم الآلهة أحلافه — يمشى على الصراط السوى ويصل إلى أغراضه ، وكل الذين لم يطيعوه والأمراء الذين لم يخضعوا له قصفهم ودامهم تحت قدميه كبوصة المدقة وهو الذى يورد قربانا غزيرة للآلهة العظام ومن فكره هو خوف الآلهة والإلهات . . . .

. . . . بانى معبد آشور ومن أتم زينته وهو مصلح « إزاجيل » و « بابل » والذى نفذ كل تفاصيل خاصة بعبادته والذى أعاد أسرى الأراضى من . . . . . إلى أوطانهم ، والملك الذى تحب الآلهة العظام ضحايا قربانه ، ومن كهنته فى المعابد قد ثبتها لكل الآباد — ومن قدموا أسلحتهم الكثيرة له بمثابة هدية ملكية ، والملك الذى أصبحت سيادته عظيمة بوساطة « مردوك » رب الأرباب أكثر من تلك التى فى يد ملوك الأقاليم الأربعة (للعالم) ومن جعل كل الأراضى خاضعة تحت قدميه ، ومن فرض جزية وضرائب عليها ، قاهر أعدائه ، ومهلك أقرانه ، والملك الذى مشيته هى العاصفة ، وأعماله كأعمال الذئب العقور وأمامه عاصفة وخلفه سيل ومن هجمة موقعته جبارة وأنه نار ملتهمة ولهيب لا يخمد ابن « سنخرب » ملك العالم وملك « آشور » وحفيد « سرجون » ملك العالم وملك « آشور » ونائب « بابل » وملك « سومر » و « أكاد » ، ومن بذرة الكهانة الأبدية من نسل « بلبانى » بن «أداسى»

الذى أسس مملكة آشور ومن بأمر آشور و « شماش » و « نابو » و « مردوك » الآلهة العظام أربابه قضى على عبودية « مدينة آشور » (أنا هو) .

وإنى قوى ، وإنى كل القوة ، وإنى بطل ، وإنى ضخم ، وإنى هائل ، وإنى معظم ، وإنى منقطع النظير بين كل الملوك ، والواحد المختار من « آشور » و « نابو » و « مردوك » ومن يناديه « سن » (إله القمر) وحظى « آنو » ومحبوب الملكة إشتار إلهة كل (العالم) ؛ والسلاح القاسى الذى يهلك كلية عدو الأرض (أنا هو) .

الملك الجبار فى الموقعة والحرب ، مخرب مساكن أعدائه ومن يقتل أعداءه ويفنى أضداده ، ومن يجعل من لم يكونوا خاضعين له صاغرين ، ومن قد جعل تحت سلطانه مجموع كل الأقوام ، ومن اختار له منذ الأزل « آشور » و « شماش » و « نابو » و « مردوك » أسيادى المفخمين من لا تغير كلمتهم مملكة لا نظير لها فى حين أن « أشتار » السيدة محبة كهانتى قد جعلت يدى تقبض على قوس قوى وحربة جبارة تطيح بالخائن وقد جعلتنى أصل إلى ما يرغب فيه قلبى وأحضرت عند قدمى كل الأمراء الذين لم يكونوا خاضعين .

وعندما أراد « آشور » السيد العظيم أن يرى الناس ضخامة أعماله الجبارة جعل ملكى قوياً على كل ملوك أركان العالم الأربعة وجعل اسمى عظيما وعندما جعل يدى تحملان سيفا بتاراً للقضاء على أعدائى ، أثمت الأرض (يقصد المديريات الغربية من ممتلكاته بما فيها مصر) فى حق « آشور » وعاملوه باحتقار وثاروا وقد شجعنى الآلهة على أن أسرق وأنهب وأمد حدود آشور بعد أن أمرنى « آشور والآلهة » العظام أسيادى أن أسير فى طرق بعيدة وجبال وعرة وصحراء شاسعة وأقاليم قاحلة فإنى بقلب واثق سرت فى أمان :

ففى مسافة مسيرة خمسة عشر يوما من بلدة « إشهوبرى » حتى مدينة « منف » عاصمة ملكه وهى مسيرة خمسة عشر يوماً قد حاربت يومياً باستمرار فى مواقع دموية

ضد « تهرقا » ملك « مصر » و « كوش» وهو الفرد الذى تمقته كل الآلهة العظام وقد أصبته خمس مرات بفطى سهامى محدثاً جراحا لم يكن ليشفى منها ، وبعد ذلك قدت حصاراً على « منف » مقره الملكى وفتحتها فى نصف يوم بالألغام والنقب والهجوم بالسلالم وخربتها ومزقت جدرانها وأحرقتها ؛ أما الملكة ونساء قصره و « يوشانهورو » ولى عهده وأولاده وممتلكاته وخيله وحيواناته الكبيرة والصغيرة التى يخطئها العد فإنى استوليت عليها غنيمة لبلاد « آشور » ونفيت كل الكوشيين من مصر دون أن أترك واحدا ليقدم لى فروض الطاعة ؛ وقد نصبت فى كل مكان فى مصر ملوكا محليين وحكاماً وضباطاً ومشرفين على الميناء وموظفين ورجال إدارة وقد خصصت ضرائب منتظمة لقربان الإله آشور والآلهة الآخرين العظام أربابى لكل زمان ، وفرضت عليهم ضرائب لى بوصفى السيد الأعلى تدفع سنوياً دون انقطاع ؛ وقد أقمت كذلك هذه اللوحة وهى تحمل اسمى ، وقد دونت عليها مديح شجاعة ربى « آشور » وأعمالى العظيمة عندما كنت زاحفا على العدو على حسب الوحى الأمين من ربى « آشور » كما دونت أعمالى العظيمة المظفرة وأقمتها لكل الأزمان المقبلة حتى تراها كل بلاد العدو .

وإن كل من سيحطم هذه اللوحة من مكانها أو يمحو اسمى المدون عليها ويكتب اسمه بدلا منه أو يغطيها بالتراب أو يلقى بها فى الماء أو يحرقها فى النار أو يضعها فى مكان لا يمكن رؤيتها منه فانى أرجو من « إشتار » ربة الحروب والموقعة أن تقضى على حيويته (رجولته) حتى يصبح كالمرأة ، وتجعله يرسف فى الأغلال تحت أقدام أعدائه ، وليت أمير المستقبل يحفظ اللوحة التى باسمى وليتهم يقرءونها أمامه ، وليته يعطرها بالزيت وليته يصب الماء عليها قربانا وليته يعظم اسم « آشور » ربى .

(٣) لوحة نهر الكلب[1] : كان ثانى أثر عثر عليه يشيد بذكرى النصر الذى انتصره « إسرحدون » على الملك « تهرقا » هو المتن الذى حفر على جدران

(١) راجع Luckenbell, II, Ibid, § 584—5 ; Pritchard, Ibid p. 293

صخرة فى نهر الكلب بالقرب من بيروت وهى اللوحة الوحيدة من بين ست لوحات آشورية وجدت هناك يمكن قراءة نقوشها وقد دحض الأثرى « ڤيسباخ »[1] الفكرة القائلة إن لوحة نهر الكلب هى فى معظمها صورة من لوحة « سنجيرلى » التى ترجمناها فيما سبق .

ونقرأ بعد الديباجة ما يأتى : دخلت منف (ميمپى) مقره الملكى فى وسط ابتهاجات عامة وفرح . . . . على الشدالوم الذى كان مرصعا بالذهب وجلست فى سعادة . . . . أسلحة (. . . .) كورناناتى من الذهب والفضة ولوحات (من) . . . . وبعد ذلك . . . . (دخلت) ومتاعه الشخصى (قصره) وآلهة وإلهات « تهرقا » ملك « كوش » وأمتعتهم . . . . أعلنتها بمثابة غنيمة : وملكته ، وإماء بلاطه « وبوشانهورو » الوارث لعرشه (. . . .) وموظفو بلاطه . . . . وأملاكه (. . . .) مرصعة بأحجار « كور » والعاج و . . . . خشبية وترصيعها كان بالذهب وفتحاتها من . . . . وأدوات أخرى من الذهب والفضة ، (. . . .) حجر . . . . وأى شئ كان فى القصر لم يكن له مثيل فى « آشور » ، وكان مصنوعا بمهارة ، وكذلك فتحت الصناديق والسلات و . . . . التى كانت مخزونة فيها ضرائب مملكته ، وفعلت . . . . ملك . . . . فقد تركوها خلفهم هذا بالإضافة إلى ستة عشر إكليلا وثلاثين لباس رأس للملكات (. . .) حجر (. . . .) الواحا من الحجر . . . . بكميات كبيرة . وخزانات المال كانت ملأى بالذهب والفضة (والفيروزج . . . .) والكتاب الجميل . . . . والباتبات الذى يشبه . . . . والنحاس والقصدير ومعدن « آبارو » والعاج (. . .) من أهل سوتى . . . . أصهاره وأسرته . . . . أمراء . . . . وأطباء ومنجمين . . . . وصياغ ونجارين مهرة . . . . ابن نزوق . . . . التى عملها « تهرقا » لمعاقلهم .

(1) Winkler, Altorientalische Forschung, Vol. II. p. 21., Pritchard, Ibid, p. 293

(٤) وقد نشر الأثرى « فنلــكر » قطعا من مكعب بالمتحف البريطانى ، وهذا المتن يحتوى على عمودين ، وقد وضعه الأستاذ برتشرد[1] فى المتون الخاصة بعهد الملك « إسرحدون » ويقول من المحتمل أنه يشير إلى حملته على مصر ، والعمود الأول يعدد رجال الحرف والاخصائيين الذين نقلوا من مصر كما جاء على لوحة نهر الكلب المهشمة ، والعمود الثانى يحتوى على قوائم موظفين وضعهم الآشوريون الفاتحون فى سلسلة مدن ذكرت كلها بأسماء آشورية وضحايا القربان المنظمة التى فرضت عليها .

العمود الأول :

. . . . أحجار كريمة يخططها العد . . . . التى . . . . نسل أسرة والده . . . . ثالث رجال على العربات ، وسائقو عربات . . . . (وسائقون) ورماة وحاملو دروع . . . . (رجال) ، وأطباء بيطريون (. . . .) وكتاب . . . . (. . . .) ومصانع نسيج كتان ومغنون وخبازون شرحه . . . . صانعو الجعة . . . . شرحه . . . . (. . . .) رجال وسماكون (. . .) رجال شرحه . . . . وصناع مركبات العجلات وصناع سفن . . . . (. . .) شرحه . . . . وحدادون . . . .

العمود الثانى :

. . . . (على المدينة . . . .) « موكن — بالو — كوسو — أبيشو » ، . . . . على المدينة « ماهرى — جار — سرى » ، سا (. . . .) وعلى المدينة « آشور — مانسو — أورابيش » ، سك (. . . .) وعلى المدينة « آشور — نا كامتى — لال » وبوديمى (. . . .) على المدينة ليمير إشاك آشور ، ديمو (. . .) وعلى المدينة كاربنيت . وسن (. . .) على المدينة بيت « مردوك » ، والمدينة « شا — آشور — تارو » ، والمدينة . . . . أراد — نانا ، وضابطى موراككيسو . . . . أواربيس « فى المدينة . . . . وكيزير إشتار » فى بلدة شا — إموق — آشور . . . بمثابة قربان تضحية

---

(١) راجع Pritchard, Ibid, p. 193

منظمة لآشور والآلهة العظام » تسعة تلنت وتسعة عشر مينا من الذهب وثلثمائة ... و ١٥٨٥ لباسا ... وخشب أبنوس (أو شجر) و ١٩٩ جلد ... ١ (...) ٤٠ حصانا .... ٤١٨ و ٣٠ كبشا ... ٣٢٣ و ١٩ حماراً ... بمثابة جزية تدفع لحكم بلاد آشور . . . آشور . . .

هذه هى المتون التى وصلت إلينا عن غزو « إسرحدون » الآشورى لمصر فى حملته العاشرة ، كما تحدثنا الوثائق الآشورية . ومما يؤسف له جد الأسف أن المتون المصرية التى كشف عنها حتى الآن لم تشر لا من قريب ولا من بعيد إلى هذا الغزو قط لأنه كان على ما يظهر سلسلة هزائم للمصريين .

وعلى الرغم مما جاء فى هذه المتون من مبالغات فإن شواهد الأحوال تدل على أن الآشوريين قد لاقوا صعابا قليلة فى فتحهم لمصر والاستيلاء على الدلتا ، وقد كان ذلك من الأمور الهينة عليهم وبخاصة عندما نعلم أن بلاد الوجه البحرى كانت مقسمة إلى مقاطعات أو دويلات صغيرة لم يستطع الفتح الكوشى أن يصهرها ويؤلف منها وحدة متماسكة . فلما دخل جيش « إسرحدون » أفاد من الانقسام الذى كان بين حكام الدلتا واتبع السياسة المشهورة « فرق تسد » وقد أراد « إسرحدون » أن يجعل من أرض الدلتا مقاطعة آشورية فأخذ يغير أسماء البلدان التى فتحها بأسماء آشورية بل تغالى فى آشوريته ، فغير بعض أسماء الحكام المصريين بأسماء آشورية ظناً منه أنه يستطيع بذلك قلب أرض الكنانة إلى أرض آشورية ، ولكن سنرى أن هدفه لم يصب المرمى ؛ يضاف إلى ذلك أنه سار على نهج أسلافه فأخذ ينقل الكثير من أهل الحرف والصناعات الدقيقة إلى بلاده ، كما استولى على كل ما فى البلاد من كنوز ونقلها إلى بلاده ، ورتب القربان لآلهته « اشور » والآلهة العظام بفرض ضرائب من الذهب والفضة والملابس والماشية ومن كل ما تنتجه أرض مصر .

والواقع أن هذه الغزوة كانت أول غزوة أجنبية حقيقية أحس مرارتها المصريون منذ احتلال الهكسوس بلادهم ، ولذلك لم يصبروا كثيرا على مضض الحكم الآشورى .

عاد بعد هذه الغزوة « إسرحدون » إلى « آشور » وفى طريقه أقام لوحة فى « سامالا » وأخرى عند نهر الكلب فى فينقيا كما ذكرنا من قبل .

ومن العجيب أننا نراه مرسوما فى هذه اللوحة واقفا كما قلنا بجلال فى حين أن « بعلو » ملك صور و « تهرقا » ملك مصر الذى رسم بتقاطيع زنجية قد صوّرا بصورة هزلية راكعين وهما يرسفان فى السلاسل والأغلال ليقبلا طرف ثوب هذا العاهل . ومن سخرية القدر اللاذعة أننا نجد هذا الأثر الآشورى منصوبا جنباً إلى جنب بجوار اللوحة التى أقامها « رعمسيس الثانى » عندما أخضع هذه البلاد (راجع مصر القديمة الجزء السادس ص ٢٧٢) . غير أن هذا الرسم الرمزى لانتصار ملك آشور لا يمثل الحقيقة الواقعة بل هو من نسج خياله ، وذلك لأن « بعلو » ملك « صور » لم يقبل شروط الصلح التى أملاها عليه « إسرحدون » كما أن « تهرقا » لم يوضع قط فى الأغلال ولم يكن فى حاجة لتقبيل طرف ثوب « إسرحدون » ، إذ نجده بعد رحيل هذا العاهل مقيما فى الوجه القبلى ، وقد طلب إلى السكان مساعدته فلبوا نداءه لأنهم كانوا غير راضين عن تصرفات « إسرحدون » التى أفاد منها أمير من الدلتا ، وفعلا هبوا مرة أخرى فى وجه الحكم الآشورى مما اضطر عاهله إلى أن يدبر الأمر للزحف على مصر كرة أخرى حوالى عام ٦٦٩ ق . م ، غير أن الحملة قد أوقفت بغتة قبل أن تصل إلى الحدود المصرية ، وذلك لأن « إسرحدون » أصيب بمرض ومات فى الشهر الثامن من هذه السنة ، ومن أجل ذلك رجع الجيش الآشورى أدراجه إلى بلاده دون أن ينجز مأموريته .

ويميز مشروع حملة « إسرحدون » إلى مصر بطابع فريد فقد ذكرنا من قبل أن كل الحملات التى قام بها الآشوريون منذ عهد « سرجون الثانى » وأخلافه كانت حملات دفاعية ، فنجد أن الأعمال العظيمة التى أحرزها كل من « سرجون » و « سنخرب » كانت مركزة فى تمكين الحكم الآشورى فى داخل الأقاليم الواسعة التى اعترفت بسلطان « تجلات بليزر الثالث » ولكن نجد أن « إسرحدون »

قد شغل نفسه بتدبير فتح بلاد لم يكن سلفه قد دخلها من قبل ، وتفسير سلوكه فى اتخاذ هذا السبيل ليس بالأمر الصعب ، فقد كانت مصر كما ذكرنا من قبل منذ أكثر من عشرين عاما تعمل على بث الفتن والقلاقل ضد آشور فى الممتلكات المتاخمة لهـا ، ومن المحتمل أنها كانت لهـا يد فى تحريض « مروداخ بلدان » على القيام فى وجه « آشور » ، ولكن ممـا لا ريب فيه أنها تحالفت مع « حزقيا » وبلا شك كانت المحرضة لفنيقيا على القيام بثورة على آشور .

وعلى ذلك كان ينظر إلى الفرعون فى نينوة بأنه العدو الأول لملكها ، وقد كانت الطريقة الطبيعية المثلى للقضاء على نشاطه الطبعى أبدياً هو غزو مصر والاستيلاء عليها جملة ، ومع ذلك فإن السعى لابتلاع أرض الكنانة فى جوف الامبراطورية الآشورية كان على الرغم من نجاحه مؤقتا مصدر داء عياء لآشور ، فقد كان الخطر الرئيسى فى كل الأزمان السالفة على « آشور » ينبعث من حدودها الشمالية أو الشرقية فإذا كان « إسرحدون » قد وجه عنايته الشخصية إلى مجريات الأحوال فى « ميديا » و « آسيا الصغرى » فإنه لم يكن فى حاجة للاقدام على غزو فى ظاهره سهل كان سينكشف لأخلافه فى الحال أنه من المستحيل عليهم المحافظة عليه أو البقاء فيه مدة طويلة كما ذكرنا من قبل .

وعلى أية حال فإن مدة حكم « إسرحدون » قد بلغت القمة فى العزة والفخار فإنه فضلا عن ألقابه الوراثية الضخمة قد تحلى بلقب ملك ملوك مصر وهو لم يكن لقباً أجوف .

وتدل الوثائق على أن سير الأحوال فى داخل بلاده فى آخر حكمه أصبح صعباً بسبب المنازعات فى البلاط من أجل وراثة العرش من بعده فقد كان بكر أولاده الذى يدعى « شماش — رشوم — أوكن » ليس بالمرغوب فيه ليكون ولياً للعهد إذ كان هناك حزب قوى يعارض فى ذلك وكان قصد « إسرحدون » الأصلى تنصيب

ابن آخر يدعى « سن — إدينا — أبولو » غير أن رغبته لم تنفذ لأن هذا الأمير كان قد مات أولأن الولى عندما استشير فى تعيينه وصياً كان جوابه بالنفى . وفى عام ٦٧٠ ق.م. عندما كان « إسرحدون » عائداً من مصر كانت آشور مهددة بحرب داخلية لأن رجال البلاط كانوا منشقين ، بعضهم خارج على بعض ، فريق منهم يعاضد « شماش — شوم — أوكن » والآخر يناصر « آشور بنيبال » وكانت كفة الأخير هى الراجحة وقد حل « إسرحدون » هذا النزاع ببعض الصعوبة فعين « آشور بنيبال » الوارث لعرش آشور أما « شماش — شوم — أوكن » فقد عين ولى عهد « لإسرحدون » فى « بابل » على شرط أن يعترف بسلطان أخيه عليه بوصفه ملك آشور . غير أن بعض الأشراف لم يرضوا بذلك وشرعوا فى القيام بثورة ، ولكن « إسرحدن » أخضعها وقضى على مثيريها — والواقع أن حل « إسرحدون » لهذه المسألة كان موفقا لأنه لم يحدث أى اضطراب بعد وفاته .

حروب « إسرحدون » التى شنها على بلاد العرب :

تدل النقوش التى تركها لنا إسرحدون على أن والده « سنخرب » كان قد شن حربا على بلاد العرب لخروجها عن طاعته وأن هذه البلاد فى عهد « إسرحدون » قد خضعت له وقدمت له الجزية ثم لم تلبث أن ثارت على « إسرحدون » كرة أخرى فأخضعها ثانية . وهاك المتون التى وصلت إلينا من عهد « إسرحدون » لما لها من أهمية فى تاريخ الشرق[١] .

(١) جاء على مخروط ما يأتى[٢] : ومن « أدوماتو » حصن العرب القوى الذى فتحه « سنخرب » ملك « آشور » والدى والذى منه أخذ أمتعته وتماثيله وكذلك

(١) راجع عن بلاد العرب فى هذه الفترة ما يأتى : Trude Weiss Romarin, Aribi und Arabien in den Babylonisch Assyrischen Quellen in Journal of the Society of Oriental Research Chicago (1917-1932) XVI (1932), p., ff Especially 14.

(٢) راجع Pritchard, Ibid, p. 291

« اسكالاتو » ملكة العرب وأحضر كل هذه الأشياء إلى آشور وقد أتى هزيل ملك العرب بهدايا ذات وزن إلى « نينوة » وهى البلدة التى أحكم فيها وقبل قدمى . وقد تضرع إلى أن أعيد تماثيله وأخذتنى الشفقة به . وقد أصلحت الأضرار التى فى أصنام « أتارسامين » و« داى » ، « نوهاى » ، و « رولدايو » ، و « أبيريلو » و «أتارقوروما » آلهة العرب وأعدتها له بعد أن كتبت عليها نقشا معلنا سمو قوة آشور ربى واسمى . وقد جعلت « تاربوا » التى نشئت فى قصر والدى ملكة عليهم وأعدتها إلى وطنها ومعها آلهتها . وقد فرضت عليه جزية إضافية دفع خمسة وستين جملا وعشرة مهارى أكثر من قبل . وعندما حل القدر « هزيل » (مات) نصبت « ياتا » ابنه على عرشه وفرضت عليه جزية إضافية قدرها عشرة مينات من الذهب و ١٠٠٠ حجر بيروتى و ٥٠ جملا و ١٠٠ كيس (جلدكونزو) فيها مادة عطرية أكثر مما كان يدفع والده . وقد أغرى فيما بعد « وهب » (وابو) كل العرب على الثورة على « ياتا » لأنه أراد أن يصبح ملكا ، ولكنى أنا « إسرحدون » ملك « آشور » وملك إطراف العالم الأربعة الذى يحب العدالة ويلعن الالتواء أرسلت جيشاً لمساعدة « ياتا » وقد هزم كل العرب وقد ألقوا « وهب » والجنود الذين كانوا حوله فى السلاسل وأحضر إلى وقد وضعت أطواقا حول رقبتهم وربطتهم فى أعمدة بوابتى » .

ومن قطعة منقوشة بالمتحف البريطانى نقرأ مايأتى[1]:

« وارزانى » الواقعة على نهر مصر وصلت اليه . . . . وضربت . . . . وأحضرت (فلان ومعه غنيمة ضخمة) إلى بلاد « آشور » . وقد ربطته كالخنزير فى بوابة ا . . . . (أما هزيل ملك بلاد العرب) فان بهائى الذى يبعث الرهبة قد تغلب عليه ، وأحضر إلى ذهبا وفضة وأحجارا كريمة (و . . .) وقبل قدمى وفرضت عليه خمسة وستين جملا أكثر من الجزية التى كان قد فرضها والدى ؛ وبعد ذلك مات « هزيل » (وابنه ياتا) جلس على عرشه وقد فرضت ثانية عليه جزية إضافية قدرها عشرة مينات من

(١) راجع .Ibid

الذهب و ١٠٠ حجر « بيروتى » وخمسون جملا فوق الضرائب التى كان يدفعها والده. وعلى أية حال أغرى « وهب » كل العرب على أن يقوموا بثورة على « ياتا » و. . . . (ولكنى) أنا « اسرحدون » الذى . . . . الالتواء لعنة أرسلت فرقة من الرماة ممتطين صهوة الجياد من جيشى وهدأت العرب وجعلتهم يخضعون له (أى الى ياتا) وقد أحضروا « وهب » ومعه القواد الآخرون إلى بلاد « آشور » وقد ربطوه فى الجانب الأيسر « لبوابة عامل المعدن » فى « نينوة » وجعلوه يحرس . . . « عبدى ميلكوتى » ملك « صيدا » (وساندوارى) ملك كوندى وسيزو . . .

ولم يميز عصر « إسرحدون » بأى طابع فنى جديد ولكن المبانى فى عهده سارت على قدم وساق فى كل من « بابل » و « نينوة » وقد ارتكب فى حياته حادث تخريب يعد فريداً فى بابه فى التاريخ الآشورى لو حدث فى عهد أى ملك من ملوك مصر القديمة فى عهد الدولة الحديثة لعدّ أمراً عادياً ، وذلك أنه خرب بعض مبانى مدينة « كالح » فقد وجدت أحجار منقوشة عليها تواريخ الملك «تجلات بليزر الثالث» قد نزعت من مكانها ووضعت فى جدران قصر جديد كان يقوم ببنائه « إسرحدون » بعد أن محا ما عليها من الكتابة جزئيا وكتبها من جديد باسمه . والواقع أن احترام آثار الأجداد والمحافظة عليها كان من الأمور التى يمتاز بها ملوك « آشور » و « بابل» على السواء ، و إنه لمن المهم جدا أن نصل إلى سبب البغض الذى حرض « إسرحدون» على ارتكاب مثل هذا العمل الشائن ضد ملك خدم بلاده خدمة صادقة .

وعلى أية حال فإن أهمية عهد « إسرحدون » كانت بوجه خاص منحصرة فى سياسته ؛ فإنه كان فى كل جهة من جهات امبراطوريته ثابت القدم موطد الأركان إلا فى الشمال الغربى فكان مهددا بقوى عظيمة متزايدة لم تكن معروفة من قبل إذ الواقع أنه بالبدء فى فتح مصر قد خلق منشأ كل إقصار ذلك مصدر داء عياء لم تشف منه امبراطوريته .

« عصر آشور بنيبال »

٦٦٩ — ٦٢٦ ق . م .

يمتاز الملك « آشور بنيبال » بأنه نشئ تنشئة أدبية علمية راقية دون أن يترك جانباً التفوق فى فنون الحرب التى كانت ضرورية لرجل يجرى فى عروقه الدم الملكى الآشورى . غير أن أهم ما كان يفخر به ويعتز سيطرته على فن كتابة اللوحات المسمارية — أى فن الإنشاء — هذا بالإضافة إلى إتقان صناعة الكتابة وتجديد الخط المسمارى — وقد جاء مصداقاً لما ادعاه من إتقان هذا الفن المكتبتان الفاخرتان اللتان جمع وثائقهما بنفسه فى مدينة نينوة ، حقا إن بعض من سبقه من الملوك مثل « سرجون الثانى » قد جمع مؤلفات عظيمة ولكن «آشور بنيبال » قد تخطاه فى ذلك بدرجة ممتازة فنعرف من بعض إمضاءات على بضع لوحات من المؤلفات التى احتوتها مكتبته أن بعض المتون قد قرئت له ليوافق عليها بنفسه ، وليس من باب الخيال أننا نجد سلسلة السجلات التاريخية التى ترجع إلى بداية حكمه كانت من عمل « آشور بنيبال » نفسه ؛ هذا وكان ولعه بالفن عظيما كما كانت الحال مع « سنخرب » جده فقد كشف فى قصره عن مناظر متقنة الصنعة ستبقى دائما أجمل أمثلة للفن الآشورى . ولا نزاع فى ذلك فان عصر «آشور بنيبال » فى نظر المفتنين الأحداث يعد من العصور الممتازة فى تاريخ الفن والثقافة . والتعبير الحديث الذى يربط اسم هذا الملك بالثقافة التى أوجدها يمكن قرنه بعصر ثقافة الامبراطورية الرومانية التى ازدهرت باسم « اغسطس » العاهل الرومانى العظيم . وإنه لمن المستحيل الآن أن نزن بميزان العدل هذه الثقافة وبخاصة لأن المدن الآشورية لم تكشف للاثريين إلا عن القليل من البقايا المعمارية والسجلات المكتوبة بالخط المسمارى . والواقع أن الأشياء التى كان يستعملها هؤلاء القوم القدماء سواء أكانت مصنوعة من المعدن أم من الخشب لم يبق منها إلا القليل ، هذا بالإضافة إلى الكنوز النادرة التى كانوا يكنزونها فى معابدهم وقصورهم ومقابرهم

فقد نهبت وأصبحت كأن لم تغن بالأمس فى كثير من الأحوال ، ولما كان من الضرورى وجود شواهد مادية مقنعة من هذه الأشياء فإنا نضطر عند البحث والاستقراء إلى الجوء للمواد المكتوبة لنبنى منها ثانية مدنية هؤلاء القوم وثقافتهم .

ولا نزاع فى أن هذه الاستنباطات التى تأتى بهذه الصورة لا يمكن أن تكون كاملة بل تكون أحياناً خاطئة ، فمن ذلك ما يظن عادة أن النظام الجماعى والسياسى فى مملكة « بابل » وفى مملكة « آشور » يتشابهان كثيراً بوجه خاص لأن التفاصيل التى نعرفها عن أحد البلدين قد استعملت لتتمم معلوماتنا عن الأخرى ، ولكن البحوث الحديثة قد أظهرت أن مدنية البلدين كانت تختلف الواحدة عن الأخرى كاختلاف المدنية الإغريقية عن المدنية الرومانية .

مقدمة لحروب « آشور بنيبال » وفتح مصر :

يرجع المستوى الراقى الذى نراه فى الثقافة الآشورية فى عهد « آشور بنيبال » إلى أن السيادة الآشورية ظلت مستمرة بنجاح عدة قرون من الزمان ، ولم يكن فى باكورة حكمه أية بادرة تشير إلى أن السيادة الآشورية يمكن مهاجمتها والتغلب عليها . ولا ريب فى أن السنين الأولى من حكم هذا العاهل كانت مفعمة بالمشاريع الحربية الموجهة إلى أجزاء مختلفة من حدود امبراطوريته . وكان يقوم هو بنفسه على رأس جيشه ويقوده ، غير أن هذه الحروب كانت من طراز الحروب العادية التى لم يكن فيها أمور معقدة إلا نادراً .

ولدينا عدة نسخ من تواريخ « آشور بنيبال » تحتوى على بيانات عن حملاته المختلفة ، ومما تطيب الإشارة إليه هنا أن كتابة نسخ هذه التواريخ فى كل عهود ملوك « آشور » كانت تدون بالطريقة التالية بوجه عام : فكانت أول نسخة تكتب فى باكورة حكم الملك وما يكتب فيها لا يبعد عن الحقيقة كما كانت معروفة للمعاصرين ، ولكن فيما بعد عندما يقوم الملك بفتح جديد هام أو يشرع فى إقامة

عمارة هامة ، فإنه فى هذه الحالة تعد نسخة جديدة يتخذ أساساً لهـا النسخة السالفة فكان المؤلف يقتبس منها باختصار الحقائق التى يرى أنها هامة له ، وعندما كان ينتهى من تدوين ما اختاره من أصل ينشئ بقلمه ما يريد تدوينه من الأحداث الجديدة بالتفصيل ، واذا إحتاج الأمر فيما بعد إلى تدوين حادث آخر جديد كانت تتخذ النسخة الأخيرة أصلا بمثابة مرشد ثم يضيف الى ما أخذه منها ما يريد تدوينه من الحوادث الجديدة وهكذا إلى أن تصبح آخر نسخة كأنها سجل لحوادث تاريخ هذا الملك جاء فيها الحادث الأخير مفصلا ،على أنه كانت أحيانا تضاف بعض تحسينات تشوه الحوادث باختصارها ، ومن أجل هذه العملية يجب على المؤرخ إذا أمكن أن يستعمل المصدر الأصلى لكل حادثة الذى كتب خاصاً بهـا ، ومن ثم يتضح لنا قيمة النسخ المختلفة التى نجدها فى تواريخ هؤلاء الملوك ، وبعبارة أخرى يمكن القول إن ملوك « آشور » كانوا يلخصون ما قاموا به من قبل عند تدوينهم لحادثة خاصة تأتى فى النهاية بالتفصيل .

ولدينا نسخ كثيرة جداً لتواريخ « آشور بنيبال » تحتوى على بيانات عن حملات تتفق الواحدة مع الأخرى إلا فى حالة واحدة وهى أن مؤلفاً من مؤلفى النسخ الأخيرة كان يرغب فى إدخال بعض تعابير أدبية فى سياق موضوعه ممـا اقتضى معالجة حملات « آشور بنيبال » من الناحية الجغرافية لا من ناحية التسلسل التاريخى فى حين أنه قد استعمل عبارات يظهر أنهـا تشير إلى التأريخ ، فمثلا نجد أن الحملتين اللتين قام بهما « اشور بنيبال » على مصر قد وضعتا فى أول الكلام والحديث عن علاقات « آشور بنيبال » بمصر قد جعل الثورة التى قام بهـا « بسمتيك » كأن كل حوادثها قد وقعت فى السنتين الأوليين من حكم هذا الملك ، وهذا خطأ ، والواقع أن هذا الخلط قد نشأ عن قلة المهارة فى معالجة المـادة التى تناولهـا المؤلف . ومن ثم نجد أن انحراف الكاتب عن الترتيب الحقيقى للحوادث كما وقعت قد سبب بعض الإبهام .

فتح مصر

إن أول حادث هام وقع فى أول حكم «آشور بنيبال» هى الحملة التى سار على رأسها لفتح مصر من جديد . ولا ريب فى أن موت « إسرحدون » وهو يتأهب لغزو مصر من جديد قد قوبل من ناحية « تهرقا » فرعون مصر والسودان بفرح عظيم إذ مهد أمامه فرصة لاعادة حكمه على مصر بعد أن طرد من الوجه البحرى، فسار هذا الفرعون بجيشه شمالا ودخل « منف » ومن ثم أرسل جنوداً إلى أعالى الدلتا ليقوموا بمظاهرات على الأمراء المحليين والحكام الآشوريين الذين ترك فى أيديهم « إسرحدون » حكم هذه البلاد فلم يبد أمراء الدلتا الموالين « لآشور » أية مقاومة بل ولوا الأدبار شرقاً طالبين العون فى حينه من « آشور » — وقد وصل الجيش الآشورى إلى مصر عام ٦٦٧ ق . م . بعد أن قطع مسافة طويلة فى أرض وعرة المسالك لينقذ موقف هؤلاء الحكام الذين كانوا فى خطر عظيم بسبب عدم الكفاية الحربية والجبن ، وقد تلاحم الجيشان الآشورى والمصرى فى واقعة عند « كار بانيتى » وتقع فى مكان ما فى شرق الدلتا ، وكانت نتيجة الموقعة كالمعتاد فلم يكن فى إستطاعة النوبيين والمصريين مقاومة الهجوم الآشورى وارتدوا على أعقابهم فى غير نظام وعندما وصل إلى مسامع تهرقا خبر هذه الهزيمة انسحب فى الحال من منف متقهقرا إلى طيبة وقد حدث ذلك فى سهولة ويسر بسبب تأخر الجيش الآشورى الذى كان ينتظر مددا مؤلفاً من عشرين فرقة أرسلها الأمراء الخاضعون لآشور فى سوريا وقبرص وفنيقيا وفلسطين . وقد زحف الآشوريون فى النهاية إلى « منف » التى وقعت فى أيديهم بعد بضعة أيام وعلى إثر ذلك أخذ « آشور بنيبال » أو نائبه فى إعادة الأمراء المصريين الذين طردهم « تهرقا » من إماراتهم ومقاطعاتهم . هذا وتدل إعادة الحكام الوطنيين إلى مقر حكوماتهم على أن « آشور بنيبال » قد أخذ يفطن لمواطن الضعف الرئيسية فى موقف الآشوريين فى مصر ، وذلك أنه إذا لم يتمكن الحكام الآشوريون من جعل الحكام الوطنيين يقومون بخدمته بكل صدق وأمانة فان سلطتهم لا يمكن أن توطد أركانها

فى بلاد مثل مصر بعيدة عن آشور ، وقد دلت الأحداث القريبة العهد على أنه لا بد من وجود حاميات قوية فى مصر أكثر مما كان يظن « إسرحدون » ، وقد حدث ما أثبت ذلك قبل عودته إلى « نينوة » . والواقع أن مغادرة الجيش الآشورى الرئيسى مصر كان بمثابة إعلان لقيام ثورة من جانب نفس الأمراء الذين أعادهم « آشور بنيبال » إلى مقاطعتهم فى الدلتا وقد انضم « نخاو » وحاكم منف و «سايس » إلى « منتومحات » حاكم مقاطعة طيبة وكذلك كل الأمراء العظام من حكام المقاطعات وقدموا للملك « تهرقا » الذى كان وقتئذ فى عاصمة بلاده « نباتا » فى النوبة ولاءهم على شرط أن يعود لمحاربة المغتصب لبلادهم ، وقد كان فى استطاعة الحكام الآشوريين فى الدلتا القضاء بسهولة على هذه المؤامرة فى عام ٦٦٦ ق . م . إذ قبضوا على رؤساء المتآمرين فى الوقت المناسب وبذلك استطاعوا أن يقبضوا على ناصية الحال فى البلاد دون حاجة إلى استدعاء « آشور بنيبال » لمساعدتهم .

ولو كان « آشور بنيبال » يعتقد فى قرارة نفسه أنه فى استطاعته أن يجعل من مصر إقليما آشوريا بحتا ما تأخر عن تنفيذ هذا العمل الجليل إلا أنه كان يرى استحالة الوصول إلى غرضه ولذلك لم يعامل الأمراء الذين أسرهم بقسوة بالغة كالقسوة التى كان يستعملها الحكام فى مصر مع الجنود الوطنيين ،وقد خص « آشور بنيبال » حاكم « منف » و « سايس » « نخاو » بفضله وإنعاماته الملكية . وعند موت « تهرقا » عام ٦٦٤ ق . م . كان قد أعاده إلى « سايس » فى حين أن ابنه «بسمتيك» الذى سماه الآشوريون « نابو — شربانى » كان قد عين حاكما على « أتريب » (بنها الحالية) وقد أفلحت سياسة « آشور بنيبال » لمدة ، ولكن لما مات « تهرقا » وخلفه على عرش ملك مصر والسودان الملك « تانوتأمون » بن « شبتاكا » قام بمحاولة باسلة لإعادة سلطان بلاد النوبة على مصر فزحف بجيشه على البلاد المصرية وبعد أن استولى على « طيبة » و «عين شمس » زحف فى الدلتا وحاصر الآشوريين فى « منف » ظنا منه أنه لن يصل إلى الآشوريين مدد ولكن جيش « آشور »

كان قد زحف على مصر فى أوائل عام ٦٦٣ ق . م . فلم يسع « تانو تأمون » إلا الارتداد بسرعة إلى « طيبة » فى حين أن ملك « آشور » أو نائبه قد رحب به الأمراء التابعون لآشور ولم يرغب « تانوتأمون » فى المقاومة عند « طيبة » بل استمر فى هربه جنوبا فسقطت « طيبة » فى أيدى الآشوريين بعد مقاومة طفيفة وحمل منها الآشوريون مغانم ضخمة . وعلى ذلك قضى الآشوريون على سيادة الكوشيين فى مصر وقد أدى موت « نخاو » عام ٦٦٣ ق . م . إلى أن احتل « بسمتيك » ابنه الذى خلفه فى حكم « سايس » مكانة قوية أكثر من المعتاد بين الأمراء التابعين لآشور وقد بقى عدة سنين لم يحنث بيمين الطاعة الذى أخذه على نفسه لملك « آشور » غير أنه أفاد من فرصة سنحت له من مساعدة خارجية للقيام بثورة على « آشور » ففى المدة التى بين عامى ٦٥٦ — ٦٥١ ق . م . نجح فى طرد الحاميات الآشورية من مصر بمساعدة الجنود الليديين المرتزقة الذين أرسلهم له حليفه « جيجيز » ملك « ليديا » — وتدل السهولة التى انتصر بها « بسمتيك » على الآشوريين على أن « آشور بنيبال » لم يكن مهتما بفقد مصر ومن المحتمل أن حاجة « آشور بنيبال » إلى جيش كبير للمحافظة على مصر ، هو الذى صرفه عن محاولة فتحها كرة أخرى وذلك لحاجته إلى هذا الجيش فى جهات أخرى من حدوده . ولا نزاع فى أن فقدان « آشور » لمصر لم يكن خسارة عظيمة فى نظر ملك « آشور » وعلى ذلك فإنه اكتفى بعقد محالفة هجومية دفاعية بينه وبين مصر .

هذا موجز عن الحملتين اللتين قام بهما « آشور بنيبال » لفتح مصر بعد موت والده « إسرحدون » وسنورد هنا المتون التى جاءت فى النقوش الآشورية عن هذا الفتح ، أما ما قام به الكاهن الرابع « منتومحات » وحاكم مقاطعة « طيبة » والوجه القبلى تقريبا فى ذلك العهد فإنا قد أفردنا له فصلا عند التحدث عن حكم « تهرقا » وأخلافه .

وهاك النصوص التى وصلت إلينا حتى الآن على حسب ترتيبها بقدر المستطاع :

حملة آشوربنيبال على مصر « وسوريا » « وفلسطين » [1] :

«سرت فى حملتى الأولى على مصر (ماجان) و«أثيوبيا» (ملوها) — أن «تهرقا» (تارقو) ملك مصر (موصور) والنوبة (كوسو) الذى هزمه والدى « إسرحدون » ملك « آشور » والذى حكم بلاده (أى إسرحدون) . إن نفس « تهرقا » هذا قد نسى جبروت « آشور » و « أشتار » والآلهة الآخرين العظماء أربابى ووضع ثقته فى قوة نفسه فانقلب على الملوك والنواب الذين عينهم والدى فى مصر (وفى رواية أخرى لأجل أن يقتل ويسرق ويستولى على مصر لنفسه) فدخل واستقر فى « منف » وهى المدينة التى فتحها والدى وجعلها إقليما آشوريا . وقد حضر رسول مستعجل إلى « نينوة » ليخبرنى بذلك فاستولى على الغضب بسبب هذه الأحداث واشتعل روحى — فرفعت يدى وتضرعت إلى الإله « آشور » وللالهة « إشتار » الآشورية ، وبعد ذلك جمعت جيشى العرم الذى وكل إلى أمره الاله « آشور » والآلهة « إشتار » وسلكت أقرب طريق لمصر والنوبة ؛ وفى خلال سيرى إلى مصر أحضر إلى اثنان وعشرون ملكا من ساحل البحر والجزر والبر وهم « بعلو » ملك « صور » ؛ « منسه » ملك « يودا » ؛ « قاوشجبرى » ملك « إدوم » ، « موسورى » ملك « مواب » ، « سيل — بل » ملك « غزة » ، « ميتنتى » ملك « عسقلان » ، « أكاسو » ملك « إكرون » ، « ميلكى — أشابا » ملك « جبيل » « ياكينلو » ملك « إرواد » ، و « أبى بعل » ملك « سامسيموورونا » ، « أمينادبى » ملك « بيت عمون » ، « أخوميلكى » ملك « أشدد » ، و « إكيشتورا » ملك « إديلى » ، « بيلاجورا » ملك « بتروس » ، و«كيسو» ملك « سيلوا » ، « إتواندار » ملك « بابا » ، «إريسو » ملك « سيلو » ، « داماسو » ملك « كورى » ، «أدمسو »

---

(1) راجع Pritchand, Ibid, p. 294

ملك « تامسو » ، « داموسو » ملك « قارى — ها داستى » (قرطاجنة) ، « أوناساجوسو » ملك« ليدير » ، « بوسوسو » ملك « نورى » ، هذا إلى اثنى عشر ملك من الساحل والجزر والبر . وهم خدام تابعون لى أحضروا عطايا عظيمة لى وقبلوا قدمى . وقد جعلت هؤلاء الملوك يتبعون جيشى على البر وعلى طريق البحر ومعهم قواتهم المسلحة وسفنهم (على التوالى) . وقد زحفت بسرعة حتى «كار بانيتى» لانجد بسرعة الملوك والنواب فى مصر وهم خدم تابعون لى . وقد سمع « تهرقا » ملك مصر والنوبة فى « منف » بمجئ حملتى وجمع جنوده لمعركة فاصلة على . وبمقتضى وحى أمين أوحى به « آشور » و «بل » و « نبو » الآلهة العظام أربابى الذين يسيرون دائما بجوارى هزمت الجنود المدربين على الموقعة من جيشه فى موقعة عظيمة مكشوفة وقد سمع « تهرقا » بهزيمة جيشه وبهاء « آشور » الذى يبعث الذعر وقد أعمته الآلهة « إشتار » حتى أصبح كأنه مجنون . وقد بهره فخامة ماسكى الذى منحه إياى آلهة السماء والعالم السفلى فترك « منف » وهرب لينجوا بحياته فى بلدة « نى » (طيبة) . وقد استوليت على هذه المدينة كذلك وقدت جيشى إليها ليرتاح هناك .

أما « نخاو » ملك « منف » وسايس و « شارولولودارى » ملك « سينو » (بلوزيم) ، « وبيشانهورو » (وبيش حو) ملك « ناتو » ، و « با كرورو » ملك « بيشابتو »(= بى سبد) ، و « بوكوتانى — بى » ملك « أتريب » (بنها الحالية) ، و « ناهكى » ملك « حننشى » (أهناسية المدينة) ، « بوتوبشتى » (بتوباست) ملك « سانو » (= تانيس أو صان الحجر الحالية) ؛ و «وناموتو» ملك « ناتو » ، و « وهارسيا أشو» (حورسا أزيس) ملك « سبنوتى » (سمنود) ؛ « بوايما » (= بيماى) ملك « بينتى » (منديس = تل الربع الحالية) ، وسو — سى — إن — قو (شيشنق) ملك « بوشيرو » (بوزريس أبو صير) ؛ « وتابنهتى » (= تفنخت) ملك « بونونو » (بنب) ؛ بوكانانى — بى (باكننتى) ملك أحتى (= حنت أو إحنت) ؛ و «إبحار دشو » (بتاح أردى — شو) (= بتاح أعطاه)

ملك « بيحاتيهورون بى » (كى) (= بى حتحور نبت تب آح = أطفيح) « نهتيهور وانسنى » ملك « بيشابدى » (= بيسبد = صفت الحن) ، « بوكورنينب » (بكتنفى) ملك « باحنوتى » ، و « صيحا » ملك سيوط ؛ و « لمنتو » (نموت) ملك « خيمونى » (الأشمونين) ، « اسبياتو » (بساموت) ملك « تابين » (طينة) ومنتيمنحى (منتومحات) ملك « نى » (طيبة) .

وهؤلاء الملوك والحكام والنواب الذين كان قد نصبهم والدى فى مصر وهم الذين تركوا وظائفهم فى وجه ثورة « تهرقا » وانتشروا فى العراء أعدتهم إلى وظائفهم ، وفى أماكن وظائفهم السابقة ، وبذلك قبضت من جديد على زمام الأمور فى مصر والنوبة وهما اللتان فتحهما والدى من قبل . وقد جعلت الحاميات أقوى من قبل ، وقوانينها أحزم ، وقد عدت سالماً بأسرى كثيرين ، وغنيمة فادحة إلى «نينوة» .

وعلى أية حال فإن كل الملوك الذين نصبتهم ، نقضوا أيمانهم التى عقدوها ، ولم يحافظوا على الاتفاقات التى أوثقوها بالحلف بالآلهة العظام ، ونسوا أنى عاملتهم بلين ودبروا مؤامرة خبيثة . وقد تحدثوا عن أمر العصيان واتفقوا فيما بينهم على القرار الدنس التالى : والآن حتى عندما طرد «تهرقا» من مصر كيف يكون فى مقدورنا نحن أن نأمل فى المكث؟ وعلى ذلك أرسلوا رسلهم ممتطين جيادهم إلى «تهرقا» ملك النوبة ليضع اتفاقا وثيقا هكذا « دع السلام يكون بيننا ، ودعنا نأتى إلى تفاهم متبادل فنقسم البلاد بيننا ولن يكون أجنبى حاكما بيننا » وقد استمروا فى المؤامرة على الجيش الآشورى وهى القوات التى كان يرتكز عليها حكمى ، وهى التى كنت قد أحللتها فى مصر لمساعدتهم ؛ غير أن ضباطى سمعوا عن هذه الأمور وقبضوا على رسلهم الممتطين جيادهم ، وبذلك عرفوا عن أعمالهم الثائرة فقبضوا على هؤلاء الملوك ووضعوا أيديهم وأرجلهم فى السلاسل والأغلال . وقد أصابتهم نتائج الأيمان التى نقضوها مع « آشور » ملك الآلهة ، وقد حاسبت هؤلاء الذين أجرموا فى نقض اليمين الذى حلفوه بالآلهة العظام ، وهؤلاء الذين قد عاملتهم من قبل برأفة .

وقد أعمل (الضباط) السيف فى السكان صغيرهم وكبيرهم فى بلدتى « سايس » (صا الحجر) ومنديس (تل الربع) (وفى رواية أخرى نجد : وقلوب سكان «سايس» و « منديس » و « تانيس » التى قد ثارت وساعدت « تهرقا » علقتها على عمد وسلختهم وغطيت بجلودهم جدران المدن) . أما تانيس (صان الحجر) وكل البلاد الأخرى التى كانت قد اشتركت معهم فى المؤامرة فإنه لم يفلت أى رجل منها . إذ علقوا جثثهم على خوازيق وسلخوا جلودهم وغطوا بها جدران البلاد : أما أولئك الملوك الذين كانوا يتآمرون تكراراً فقد أحضروهم إلىّ أحياء إلى « نينوة » ؛ ومن بينهم جميعاً رحمت « نخاو » فقط ، ومنحته الحياة ، وعقدت معه معاهدة مدعمة بمواثيق فاقت كثيراً مواثيق المحالفة السابقة ، وألبسته حلة مزركشة ووضعت عليه سلسلةً من الذهب رمزاً لملكه (وفى ذلك كان يتبع « آشور بنيبال » عادة مصرية) وألبسته خواتم من الذهب فى يديه وكتبت اسمى هجاءة على خنجر من الحديد (يلبس) فى الحزام ، وهو مرصع بالذهب وأعطيته إياه وأهديته فضلا عن ذلك خيلا وبغالا لحمل الأثقال تليق بمكانته بوصفه حاكما . وقد أرسلت معه لمساعدته ضباطاً من ضباطى بمثابة حكام وأعدت له « سايس » لتكون مقراً لملكه وهى المكان الذى كان والدى (إسرحدون) قد نصبه فيه ملكا . أما ابنه المسمى « نابوشيزيبانى » فقد عينته فى أتريب (بنها الحالية) وبذلك عاملته بحظوة وصداقة أكثر مما عامله والدى من قبل ، وقد تغلب فزع سلاح الإله « آشور » المقدس سيدى على « تهرقا » فى المكان الذى لجأ إليه فلم يسمع عنه شئ بعد .

وبعد ذلك جلس على عرشه « أوردمان » (أوتندمان) بن « شبكا » (وفى رواية أخرى ابن أخته) وقد جعل « طيبة » و « هليوبوليس » حصنيه وجمع قوته المسلحة وحشد جنود موقعته المدربين لمهاجمة جنودى وعسكر الآشوريون فى « منف » وحاصر هؤلاء الرجال واستولى على كل مواصلاتهم (أى المنافذ التى يمكن أن يخرجوا منها) وقد حضر إلى « نينوة » رسول مستعجل وأخبرنى بذلك .

وفى حملتى الثانية : زحفت مباشرة على مصر والنوبة وسمع « أوردمان » (تانوتأمون) باقتراب حملتى فقط عندما كانت قد وطئت قدماى الأراضى المصرية فترك « منف » وفر إلى طيبة نجاة بنفسه . وجاء الملوك والحكام والنواب الذين نصبتهم فى مصر لمقابلتى وقبلوا قدمى . فتتبعت « أوردمان » وسرت حتى طيبة حصنه . فلما رأى صفوف جنود موقعتى ترك « طيبة » وهرب إلى « كبكيبى » . وعلى حسب وحى أمين من الإلهين « آشور » و « إشتار » فتحت هذه المدينة تماما وقد[1] استوليت من طيبة على غنيمة فادحة يخطئها العد وهى : فضة وذهب وأحجار ثمينة وكل متاعه الشخصى وملابس كتان مزركشة وجياد جميلة وبعض سكان من الذكور والإناث وخلعت مسلتين من مقاعدهما وهما قالبان صبا من البرنز اللامع (يقصد من المسلتين غطاء « بنبت » الهرمى الشكل الذى كان يوضع فوق المسلة) وزنهما ٢٥٠٠ تلنت وكانتا منصوبتين عند باب المعبد وحملتهما إلى بلاد « آشور » وعلى ذلك حملت من طيبة غنيمة ضخمة لا حصر لها وجعلت مصر وبلاد النوبة تشعران بوطأة أسلحتى بمرارة واحتفلت بانتصارى ثم عدت إلى « نينوة » وهى المدينة التى أدير الحكم منها مملوء اليدين سالما .

هذا ولدينا بعض نقوش أخرى تحدثنا عن فتحه لمصر جاءت على قطع آثار مختلفة نذكر منها ما يأتى لما فيها من بعض إيضاحات لم تذكر فى النقش السابق .

فقد جاء فى نقش على اسطوانة[2] : « ماجان » و « ملوخا » وهو (إقليم) بعيد . . . . (وهو الذى) تقدم نحوه « إسرحدون » والدى ملك بلاد « آشور » هازما هناك « تهرقا » ملك النوبة (كوش) مشتتا جيشه وفتح مصر والنوبة

---

(١) وفى المتن الذى نشره نصوحى (راجع E. Nassouhi, A. F. O., II (1924) 97 ff نجد الرواية التالية (Col. II : 7—10) « استوليت على مدينة طيبة عاصمة مصر (موصير) والنوبة (كوشى) وحملت بمثابة غنيمة جيادا جميلة وملابس كتان لها هداديب ذات الوان مختلفة وذهبا وفضة وأناسا لا تحصى »

(٢) راجع Pritchard, Ibid, p. 296, Luckenbill, II, Par. 892 ff

وحمل منها جزية يخطئها العد ، وحكم على كل البلاد وضمها « إلى « مملكة آشور » .
وغير أسماء البلاد السابقة وأعطاها أسماء جديدة ونصب خدامه وحكامه فى هذه البلاد
وفرض عليهم جزية سنوية تدفع له بوصفه السيد الأعلى ... مسافة ستون ياردة ؟ ...
منف ......

(٢) وجاء فى نقش من المتحف البريطانى[1]

خمسة وخمسون من تماثيلهم لملوك مصر ..... وكتب (عليها ....) النصر
الذى أحرزه بيده ..... بعد أن مات والدى (إسرحدون) .

(٣) ومن متن آخر بالمتحف البريطانى[2] جاء ما يأتى : وقد أتى الملوك
من الشرق والغرب وقبلوا قدمى ولكن « تهرقا » (تاركو) دبر الاستيلاء على مصر
ضد (إرادة) الآلهة ولأجل .... ولم يكترث بقوة الاله « آشور » ربى ووضع ثقته
فى قوة نفسه ولم يستعد إلى ذاكرته الطريقة الخشنة التى عامله بها والدى فسار ودخل
« منف » واستولى على هذه المدينة لنفسه وسير جيشه على الآشوريين الذين كانوا
فى مصر وهم خدام تابعون لى وهم الذين كان « إسرحدون » والدى قد عينهم
هناك ملوكا ، ليذبحهم ويأسرهم ويجعلهم غنيمة لنفسه وقد جاء رسول مستعجل إلى
« نينوة » ليقدم إلى تقريرا بذلك فغضبت بسبب هذه الحوادث وكان روحى مشتعلا
بخمعت القائد الأعلى (تورتان) والحكام وكذلك مساعديهم وأصدرت الأمر فى الحال
لجيشى الحربى ليساعدوا بسرعة الملوك والحكام والخدام التابعين لى وجعلتهم
يبدءون الزحف على مصر وقد ساروا بسرعة جنونية إلى أن وصلوا إلى بلدة
« كار بانيتى » فترك (تهرقا) « منف » مقره الملكى وفى المكان الذى كان قد وضع
فيه ثقته ، لينجو بحياته وركب سفينة تاركا معسكره هاربا بمفرده فدخل طيبة (نى)

(١) راجع Pritchard, Ibid, p. 296

(٢) راجع Ibid, p. 296; Luckenbill, Ibid § § 900—7.

فاستولى محاربو (آشور) على كل سفنه الحربية التي كانت معه وقد بعثوا إلى بالخبر السار بوساطة رسول حمل إلى تقريرا شفويا وبعد ذلك أمرت بأن يضاف إلى قوتى الحربية السابقة فى مصر الضابط (ربشباك) وكل الحكام والملوك التابعين للاقليم الواقع خلف النهر (أى الفرات) وهم خدام تابعون ومعهم قواتهم وسفنهم ليطردوا « تهرقا » خارج مصر وبلاد النوبة فساروا نحو طيبة وهى بلدة « تهرقا » ملك النوبة الحصينة فقطعوا مسافة مسيرة شهر فى عشرة أيام . وعندما سمع « تهرقا » بمجئ جيشى ترك طيبة بلده الحصين وعبر النهر وعسكر على الشاطئ الآخر للنهر. ولكن « نخاو » و « شارولو دارى » و « بكورور » وهم ملوك كان قد عينهم والدى فى مصر لم يحافظوا على العهود التى وثقوها بحياة الإله آشور والالهة العظام أربابى ونقضوا أيمانهم ونسيوا الود الذى عاملهم به والدى وأخذوا يتآمرون عليه فقد تآمروا باستمرار على الجيش الآشورى المجتمع فى مصر ولأجل أن يخلصوا حياتهم فانهم دبروا هلاكهم التام ولكن ضباطى سمعوا بهذه الأمور وقابلوا مكرهم بمثله فقبضوا على « شارلودارى » و « نخاو » .

أما أنا « آشور بنيبال » الذى يميل الى المهادنة فرحمت « نخاو » خادمى الذى نصبه والدى ملكا فى مدينة « كاربلمتانى » (= سايس) ونصبت ابنه « نابوشزيبانى » ملكا على « إتريب » (بنها الحالية) وهى التى أصبح اسمها الجديد « ليمير إشاك آشور » .

وقد جمع « تندمانى » (تانوتأمون) قوته (المسلحة) وأعد سلاحه وسار لمنازلة جيشى فى موقعة فاصلة ولكن على حسب وحى أمين أوحى به الإلهان « آشور » و « سن » والآلهة العظام أربابى هزمهم جيشى فى موقعة عظيمة مكشوفة وشتت شمل جيشه المسلح وهرب « تندمانى » وحيداً ودخل طيبة مقره الملكى فتابعه جيشى قاطعا مسافة مسير شهر فى عشرة أيام فى طرق وعرة حتى طيبة ففتحوا هذه المدينة تماما وحطموها كأنهم فيضان عاصفة ونقلوا من مدينته ذهبا وفضة وجدت فى هيئة تبر فى جباله ، وأحجارا ثمينة وكل أمتعته الشخصية من ملابس كان مزركشة وجياد

جميلة وخدم من رجال وأناث وقردة متوطنة فى جباله أى جبال « تندمان » وكل شئ كان بمقادير كبيرة يخطئها العد ، وأعلنوها غنيمة وقد أحضروا (الغنيمة) سالمة إلى « نينوة » وهى البلدة التى أدير فيها حكمى وقبلوا قدمى .

حرب « آشور بنيبال » مع « سوريا » ، و « فلسطين » وإخضاع ملكى « تابال » و « سيليسيا » وعهد « جيجز » ملك « ليديا » :

استمر « آشور بنيبال » فى حصار « صور » الذى كان قد ضربه « إسرحدون » حولها ، وتدل الأحوال على أن هذه الحرب قد انتهت بعقد معاهدة صلح كانت شروطها أسمى من التى كان قد عرضها « إسرحدون » من قبل ؛ وأرسلت أميرات صورية إلى حريم « آشور بنيبال » فى « نينوة » وقدم « ياحيمليكى » بن « بعلو » فروض الطاعة لملك « آشور » . وعلى أية حال لم يحجزه « آشور بنيبال » عنده رهينة .

وعلى الرغم من أن « صور » قد ساعدت فى الحملة المصرية سنة ٦٦٧ ق . م . على « آشور » فإن شواهد الأحوال تدل على أن « بعل » كان لا يزال بعد هذه الحرب يتمتع بمقدار عظيم من الاستقلال . وهاك المتن الذى ورد فى هذا الصدد[١] .

فى حملتى الثالثة : زحفت على « بعل » ملك « صيدا » الذى يسكن (على جزيرة) فى وسط البحر ؛ لأنه لم يخضع لأمرى الملكى ، ولم يكترث لأوامرى الشخصية (لشفتى) . فحاصرته بالمتاريس ، واستوليت على طرقه فى البحر والبر . وبذلك خنقتهم وجعلت مؤنهم شحيحة وأجبرتهم على الخضوع لنيرى وقد أحضر ابنته وبنات أخيه أمامى ليقمن بخدمات حقيرة ، وفى الوقت نفسه أحضر ابنه « ياحيمليكى » الذى لم يكن قد عبر البحر بعد ليرحب بى بوصفه عبدى . وتسلمت منه ابنته وبنات

---

(١) راجع Pritchard, Ibid, p. 295

أخيه ومعهن مهورهن . وقد رحمته وأعدت له ابنه الذى أنجبه من ظهره « يا كنلو » ملك « ارواد » الذى كان يعيش كذلك على جزيرة ولم يكن قد خضع لأى ملك من أسرتى ، لخضع الآن لنيرى وأحضر أخته ومعها مهر كبير إلى « نينوة » لتقوم بخدمات حقيرة وقبل قدمى » .

أما « موجالو » ملك « تابال » الذى خاطب الملوك آبائى بكلمات عداء فقد أحضر ابنة من صلبه بمهر كبير إلى « نينوة » لتكون حظيتى وقبل قدمى وقد فرضت جزية سنوية عليه من الخيل الكبيرة .

أما « ساداشارم » ملك « سيلسيا » الذى لم يخضع للملوك آبائى ولم يحمل نيرهم فقد أحضر ابنة من صلبه وقبل قدمى .

وبعد أن مات « ياكينلو » ملك « أرواد » فإن « آزى بعل » ، و « آبى بعل » و « آدونى بعل » و « سباتى بعل » و « بودى بعل » و « بعليا شوبو » و « بعل جنونو » و « بعل ملوكو » و « آبى ملكى » و « أحى ملكى » أولاد « ياكينلو » الذى يسكن (جزيرة) فى وسط البحر فقد أتوا من البحر بهداياهم الثقيلة وقبلوا قدمى وقد نظرت بسرور إلى « آزى بعل » وجعلته ملك « إرواد » وألبست « أبى بعل » و « آدونى بعل » و « سباتى بعل » و « بودى بعل » و « بعليا شوبو » و « بعل جنونو » و « بعل ملكوكو » و « أبى ملكى » و « أحى مليكى » ملابس مزخرفة ووضعت خواتم ذهب على أيديهم وجعلتهم يخدمون فى بلاطى) .

وفى هذا الوقت بلغ النفوذ الآشورى قمته ونفذ عن طريق اغريق قبرص إلى شواطئ بحر ايجه وبدأت بلاد « ليديا » تحتل مكانة بلاد « فريجيا » بوصفها الدولة الرئيسية فى الأناضول وذلك لأن المملكة الفريجية كانت قد تحطمت بتصادمها مع « الكميريين » الذين شتتت « إسرحدون » جموعهم غربا عام ٦٧٨ ق.م فأوقعوا الدمار والخراب فى كل شبه الجزيرة .

وقد كان من جراء ذلك أن قتل آخر ملوك « ميديا » نفسه يأسا بشرب دم ثور كما تحدثنا قصة موته عند ما خرب مملكته حوالى عام ٦٧٥ ق . م. وبذلك خلفه « جيجز » ملك ليديا الذى كان أعظم ملك فى « آسيا الصغرى » كما كان أهم شخصية بارزة وقتئذ حاربت « الكميريين » الذين كانوا لا يزالون يعيثون فى الأرض فسادا وهؤلاء الكميريون كانوا محاربين شبه عراة يمتطون جيادا برية عارية الظهور ويلوحون بسيوف جبارة فى أيديهم ذات نصال طويلة ثقيلة على هيئة الورق كانت تخترق الخوذات المتينة الصنع فى سهولة ويسر[1] وقد كان السبب الذى من أجله أرسل « جيجز » بعثة إلى ملك « آشور » هو أنه طلب إليه المساعدة على هؤلاء الكميريين المتوحشين . وتدل شواهد الأحوال على أن « آشور بنيبال » لم يقدم له أية مساعدة فى هذه الأونة ومع ذلك فإن جيجز عده حليفا له على هؤلاء القوم الهمج وأرسل إليه بعد انتصاره عليهم أسيرين فى السلاسل والأغلال هدية له . وهكذا كان فى مقدور ملك « ليديا » إنهاء حربه مع الكميريين بفوز عظيم وكان تحرير مصر من النير الآشورى على يد مليكها « بسمتيك » سببا فى تغيير مجرى سياسة « جيجز » إذ أعلن خروجه على « آشور » وذلك بإرسال فرقة من جنوده إلى الدلتا لمساعدة الفرعون الجديد ، ولا نزاع فى أن هذه الصداقة التى أظهرها ملك « ليديا » للفرعون « بسمتيك » كان سببها بلا نزاع يرجع بعضه إلى مصالح تجارية وربما يرجع بعضه الآخر إلى ثقته فى قوة مركزه ، غير أن الحوادث قد برهنت فيما بعد على أنه كان على غير حق إذ لما علم الكميريون بالخلاف الذى قام بين « ليديا » وآشور » انقضوا على « ليديا » فى عام ٦٥٢ ق . م . واستولوا على « سردس » ومات بعدها جيجز .

حرب « آشور » مع « عيلام » : وفى تلك الأثناء كان « آشور بنيبال » قد شرع فى محاربة عيلام بقلب فرح بخاصة بعد أن أكد له الوحى المنزل أن النصر المبين سيكون حليفه ويرجع السبب فى هذه الحروب إلى غزو العيلاميين « بابل » فانتهز

---

(١) راجع Hall, The Ancient History of the Near East, pl. XXX2

« آشور بنيبال » الفرصة ليقضي على عيلام قضاء مبرما أبديا كما فكر هو وكما ظن والده من قبل أنه سيقضي على مصر نهائيا وقد كانت كل الأحوال مواتية وتبشر بالفوز العظيم إذ كانت الإمبراطورية وقتئذ فى أوج رفعتها وفلاحها وكانت مصر خاضعة لسلطات « آشور » وبلاد « ليديا » تطلب ودها ومصادقتها ومملكة « اورارتو » (أرمينيا) لا حول لها ولا قوة ولم يكن يقف فى وجهها إلا « عيلام » وكانت صاحبة قوة وبطش وعلى ذلك صمم « آشور بنيبال » أن يخضعها بدورها وبذلك يدين له ملك العالم المتمدين قاطبة على وجه عام — ، غير أن « آشوربنيبال» لم يقدر الصعوبات التى كانت تقوم فى وجهه لتنفيذ غرضه . حقا إنه نفذ غرضه بنجاح ولكن ذلك كلفه عددا هائلا من الرجال وقد كانت هذه الخسارة فى الرجال مضافا إليها ما كان عليه أن يبقيه من الجنود فى مصر سببا فى تمزيق إمبراطوريته فى نهاية الأمر ، غير أن ظواهر الأحوال لم تكن تدل على مثل هذه النهاية المحزنة .

ومما يؤسف له أن معلوماتنا عن سير الحوادث فى خلال نصف القرن الأخير من حياة الامبراطورية الآشورية ناقصة بعض الشئ وذلك بسبب اختفاء قائمة « لمو » فقد انقطعت قوائم هؤلاء العظماء حوالى هذه الفترة ولم تصل الينا قوائم جديدة بعد عام ٦٦٦ ق . م . ولذلك ليس لدينا عن التواريخ المضبوطة للحوادث التى وضعت وصفا مفصلا فى عهود الملوك إلا ما يمكن استخلاصه بالحدس والتخمين .

والظاهر أن غزو « العيلاميين » « لبابل » قد حدث عندما كان « آشور بنيبال » غائبا فى مصر حوالى ٦٦٧ ق.م بعد موت والده وقد عقد صلحا ظاهراً مع العيلاميين غير أن الملك « تومان » ملك عيلام الذى خلف الملك « أورتاكى » الغازى العيلامى كان أكثر جرأة من الأخير إذ أشعل نار حرب ثانية بسبب إرساله طلبا لا مبرر له إلى ملك « آشور » يسأله فيه إعادة كل الأفراد الذكور الذين هربوا إلى « آشور » على إثر موت الملك « أورتاكى » من « بيت عيلام » الملكى . ومن المحتمل أن هذا الطلب قد أرسل قبل حملة « آشور بنيبال » إلى مصر عام ٦٦٣ ق. م .

وعندما عاد « آشور بنيبال » من حملته على مصر وجد أن تومان الجرئ قد غزا البلاد الآشورية انتقاما لعدم إجابة طلبه وكان قد زحف من « دور إيكو » الواقعة فى أعالى دجلة نحو العاصمة مباشرة ولكنه قبل أن يقابله « آشور بنيبال » فى ساحة القتال ارتد بجيشه ولكن ملك « آشور » قفا أثره حتى وصل إلى « سوسا » وحاربه على نهر « أولا » فى موقعة قتل فيها تومان . وبعد هذا النصر عين « آشور بنيبال » ملكا على « عيلام » « خوميا نيجاش » بن « أورناكى » وجعله تابعا لآشور بعد أن انتقص أطراف الإقليم الذى كان يحكم عليه بإعطاء جزء كبير منه إقطاعا لابن « خوميا نيجاش » نفسه المسمى (تاماريتو) . وعلى أثر ذلك أخذ « الآشوريون » بلاد « عيلام » حوالى ٦٥٨ ق . م ؟ وقد خلد « آشور بنيبال » ذكر هذا النصر بتصوير نفسه فى منظر على جدران ممر قصره وهو فى وليمة مع زوجه ويتدلى بجانبه رأس « تومان » من شجرة[1] .

على أن ذلك لم يهبط من همم « العيلاميين » بأية حال فقد انتعش فيهم روح الوطنية بعض الشئ عندما قامت فى « بابل » ثورة لم تكن قط فى الحسبان مما أحيا فى نفوس « العيلاميين » الأمل لاسترجاع حريتهم ، ففى عام ٦٥٢ ق . م . هب « شماش شوم أوكن » ملك « بابل » التابع « لآشور » بثورة على أخيه « آشور بنيبال » وكان غرضه أن يخلع أخاه من الملك جملة وينفرد هو بالملك وحده ويجعل « بابل » عاصمة ملكه بدلا من « نينوة » . ومن المحتمل أن الأسباب التى دعت « شماش شوم أوكن » إلى القيام بهذه الثورة بعد أن مكث تسع عشرة سنة تحت ظل حكم أخيه هو أولا مطامحه الشخصية ثم ما رآه من عدم رضا « الكلدانيين » عن خضوعهم « لآشور » وبخاصة أنهم كانوا يؤلفون الجزء الاعظم من سكان « بابل » ، هذا بالإضافة إلى وجود حركة عامة تهدف إلى العصيان فى كل أنحاء الامبراطورية الآشورية مما جعل « شماش شوم أوكن » يسرع فى تنفيذ غرضه

---

(١) راجع British Museum : Assyrian Basement No. 121

زعما منه أنه إذا بقى مخلصا لأخيه فإنه سيفقد بلا نزاع عرشه فى « بابل » لمدة ، ويمكنه أن يستفيد فقط بمساعدة أخيه غير أنه يصبح خاضعا له أكثر مما كان من قبل . من أجل ذلك عقد حلفا سريا حوالى ٦٥٤ — ٦٥٣ ق . م . مؤلفا من عدة بلدان من التى كانت تحت سلطات « آشور » وكانت بلدان هذا الحلف تمتد من « عيلام » حتى بلاد « يهودا » و « فينقيا » .

والظاهر أن هذه المؤامرة قد كشف سرها أولا الموظفون الآشوريون الذين كانوا يسيطرون فعلا على الحكومة المحلية فى « بابل » إذ كان فى الواقع ملكها بمثابة (ناطور) وكانت النتيجة أن « شماش شوم أوكن » قد أجبر على إعلان ثورته قبل أن يكون على تمام الأهبة وقد اندلع لهيب الثورة فى جنوب « بابل » فاستولى الثوار على « أور » وإرخ (إريوك) وقاد الكلدانيين حفيد للملك « مروداخ بلدان » وكذلك غزا «خوميانيجاش» ملك عيلام ممتلكات آشور . غير أن معسكر العيلاميين كان مأوى للدس والقتل فقتل «خوميانيجاش» بيد ابنه « تاماريتو » ؛ والواقع أن الثورة كانت رديئة التنظيم مما جعلها تئول إلى الفشل التام . وشجع « أشوربنيبال » ما وصله من إجابة الوحى على لسان إله القمر بأنه سيكون حسن الطالع فى هذه الحروب ، فسار جنوباً وحاصر « سبار » و « كوتا » و « بابل » وطرد « الكلدانيين » إلى « عيلام » واستولى على المدن الثلاث وأشعل « شوماش — شوم — اوكن » النار فى قصره ومات بلهيبها ، غير أن « آشوربنيبال» لم ينصب نفسه ملكا على بابل بل وضع شريفا على عرشها يدعى « كادالانو » وهو الذى يسميه المؤرخ الإيرانى « برسوس » باسم « كينلادادروس » Kéneladaros . وبعد طرد الجيش الكلدى إلى « عيلام » طلب « آشوربنيبال » إلى ملكها « اندانيجان » تسليم قائده فرفض وعلى أثر ذلك دخل العاهل الآشورى « عيلام » وقتل ملكها وتولى مكانه « خوميا خلداش » الثالث الذى لم يكن على أية حال فى استطاعته إيقاف التقدم الآشورى فاستولى على « سوسا » ثانية عام ٦٤٦ ق.م . وخربت هذه المدينة العظيمة فى هذه المرة تخريبا مريعاً وقد

ذكر من بين الغنائم التى استولى عليها « آشور بنيبال » تمثال الآلهة « نانا » صاحبة « ارح » (اريكو) وكان هذا التمثال قد حمل إلى « عيلام » الملك « كودور — نانخوندى » قبل ذلك العهد بحوالى ١٦٣٥ عاما على حسب ما ذكره كتاب الملك « آشور بنيبال » وقد أعيد هذا التمثال باحتفال إلى محرابه الأصلى ؛ هذا وقد تفادى حفيد الملك « مروداخ — بلادان » التسليم إلى خومباخلداش بقتل نفسه بسيف حامل درعه . وأخيراً أسر « كوباخلداش » نفسه وسيق أسيراً ، وبموته خربت عيلام خرابا تاما وأصبحت كأن لم تغن بالأمس .

الحروب التى شنت بين « آشور بنيبال » وبلاد العرب وما وصل الينا من متون عنها[1] :

بعد أن فرغ « آشور بنيبال » من محاربة « عيلام » ولى وجهه شطر حلفاء « شوماش — شوم — اوكن » فى الغرب وأهم هؤلاء عرب « حوران » وهم سكان خيام « قدار » والنباطيون . وكان ملك العرب فى تلك الفترة يدعى « يعلو » الذى كان عينه « إسرحدون » ملكا . وكان قد تحالف مع « شماش — شوم — اوكن » على آشور فأرسل عليه « آشور بنيبال » جيشاً ، وبعد أن هزم أو قتل تولى بعده ملك يدعى « وايتى » Uaite وقد أبى بدوره الخضوع لآشور بل قلب لما ظهر المجن وأشعل الفتنة فى البلاد الممتدة من « أدوم » حتى أبواب دمشق ، ولكنه هزم وولى الأدبار . والظاهر أنه غدر به فقبض عليه الآشوريون وحمل إلى « نينوة » حيث عامله « آشور بنيبال » هو وزوجه « عدية » وحليفه ملك « قدار » كالكلاب فقد وضعهم فى السلاسل فى أوجار كلاب كالحراس أمام قصره ، والواقع أن فرقة من جنود العرب قد وصلوا فعلا إلى بابل لمساعدة الملك « شماش — شوم — اوكن » ونصب قائدهم المسمى « ابيات » ملكا على بلاد العرب بدلا من « وايتى » ولم يكد يصل إلى بلاد

---

(١) راجع Pritchard, Ibid, p. 297 ff

العرب حتى ثار بدوره ولكنه أخضع وقد استولى الآشوريون منه على عدد عظيم من الجمال حتى أن الواحد منها كان يباع فى أسواق « نينوة » بنصف شكل من الفضة .

ولدينا عدة متون عن حرب « آشور بنيبال » مع بلاد العرب مما يضيف إلى معلوماتنا شيئا عن هذه البلاد المجهولة التاريخ إلى حد بعيد حتى الآن، وسنوردهنا ما وصل إلينا حتى الآن فى هذا الصدد . والواقع أن « آشور بنيبال » قد رصد حملته التاسعة لمحاربة العرب بعد أن فرغ من محاربة « كلديا » و « عيلام » فاستمع إلى ما جاء فى نقوشه :

وفى حملتى التاسعة جمعت جنودى وسرت مباشرة إلى « وايتى » ملك بلاد العرب (عريبو) ، وذلك لأنه نقض الأيمان التى حلفها لى ، ولم يذكر أنى قد عاملته بلين ، وقد نزع بعيداً نير حكمى الذى وضعه « آشور » نفسه عليه ، والحبال التى كان يشدها حتى الآن . وقد رفض أن يأتى ويسأل عن حالة صحتى ومنع الهدايا وجزيته الثقيلة . وقد أصغى — كما أصغت «عيلام» بالضبط — إلى دعوة « آ كاد» الثورية ولم يحفل بالايمان التى حلفها لى . وقد نبذنى أنا « آشور بنيبال » الكاهن المقدس الخادم الدائم العبادة للآلهة ، والذى خلقته يد « آشور » ، وسلم جيشه المسلح إلى « أبيات » (Abiiaté) و « عامو » بن « ترى » (Te'ri) وأمرهم عن قصد بمساعدة أخى الشقى « شماش شوم أوكن » وأغرى سكان بلاد العرب لينضموا إليه ، وبعد ذلك خرب باستمرار أولئك الأقوام الذين أعطاهم إياى « آشور » و « اشتار » والآلهة العظام الآخرون ليكونوا رعاياهم وهم الذين أودعوهم فى يدى . وقد جمعت جيشى وهزمته فى موقعة دامية وأحقت به هزائم لاتحصى فى بلاد «عزاريل» و «حيراتا و (—) كاسايا» فى « أدوم » ، وفى مضيق « يابرودو » فى « بيت عمون » وفى مركز « حورينا » ، وفى «مواب» ، وفى « سارى » ، وفى « حارج » ، وفى مركز «ذوباح» . وفى هذه المواقع حطمت كل سكان بلاد العرب الذين ثاروا معه إلا أنه هرب أمام أسلحة

الإله « آشور » الجبارة إلى إقليم قاص وقد أوقدوا النار فى الخيام التى كانوا يسكنون فيها وحرقوها ؛ أما « وايتى » فقد استولت عليه الشكوك وهرب وحيداً إلى بلاد « نباتى » .

وقد جاء على اسطوانة متن مفصل عن هرب « وايتى »[1] جاء فيه :

(وايتى . . . (هرب) إلى بلاد « نباياتى » . (وقد ذهب) ليرى « نتنو » وقال « نتنو » «ليباوتا» ماياتى: « كيف يمكن أن أنجو من « آشور » وأنت الذى قد وضعتنى بزيارتك فى سلطانك ! » وكان « نتنو » خائفاً واستولى عليه القلق وأرسل رسله ليسألوا عن صحتى وقبلوا قدمى وقد رجانى تكرارا بوصفى سيده لأعقد صلحاً موثوقة بإيمان وأن يصير خادمى . (وأخيراً) نظرت إليه بمودة ورمقته بوجه باسم . وفرضت عليه جزية سنوية .

أما « وايتى » الآخر ابن « هزيل » ابن أخى « وايتى » ابن « بيرددا » الذى نصب نفسه ملكا على بلاد العرب فإن « آشور » ملك الآلهة والجبل العظيم قد جعله يغير فكره وأتى لمقابلتى (خاضعاً) . ولأجل أن أبرهن أن الإله « آشور » والآلهة العظام أربابى يستحقون أعظم المديح فرضت العقاب الصارم الآتى : فوضعت على رقبته خشبة (المذنب) ودبا وكلبا وجعلته يقف حارسا عند بوابة « نينوة » المسماة « نريب ما سنقتى — أدناتى » ؛ وعلى أية حال فإن « أمولادى » ملك « قدار » قد هب لمحاربة ملوك الأرض الغربية التى وهبها إياى « آشور » « وإشتار » والآلهة الآخرون بوصفها ملكى ،وقد أحقت به هزيمة على حسب وحى أمين أرسله الآلهة «آشور» و « سن » ، و «شماش» ، و « أداد » ، و « بل » ، و « نبو » ، و « أشتار » صاحبة نينوة ملكة « كدمورى » (معبدها فى كالح) و « أشتار » صاحبة « أربلا » و « نينورتا » ، و « نرجال » ؛ و « نوسكو » . وقد قبضوا عليه حيا وكذلك على « عديا » زوج « وايتى » ملك بلاد العرب وأحضروهم إلى (وهنا نجد أن متن المتحف البريطانى يزيد بعض تفاصيل على العبارة الأخيرة وهى : أما « عاديا » ملكة العرب

(١) راجع Pritchard, Ibid, p. 298

فقد أحقت بها هزيمة دامية وحرقت خيامها وقبضت عليها على قيد الحياة ونقلتها مع سجناء آخرين كثيرين إلى آشور) .

وقد وضعت طوق كلب حول رقبته وجعلته يحرس بوابة المدينة وذلك على حسب أمر وحى للالهة العظام وكذلك هزمت فى موقعة دامية وشتت شمل جنود « أبياتى » وجنود « عامو » بن « ترى » الذى سار لمساعدة « شماش — شوم — أوكن » أخى الشق عندما كانوا على وشك دخول «بابل» وذلك بأمر وحى من الآلهة « آشور» و « إشتار » والآلهة العظام أما الباقون الذين أفلحوا فى دخول « بابل » فقد أ كل كل واحد منهم هناك لحم أخيه بسبب جوعهم الكافر ، وبعد ذلك قاموا بمحاولة للخروج من « بابل » ليخلصوا حياتهم وعلى أية حال كانت جنودى مرابطة هناك ضد «شماش — شوم — أوكن» فأوقعوا به هزيمة أخرى حتى أنه (أى أبياتى) هرب بمفرده وأمسك بقدمى لينجى حياته فرحمته وجعلته يعقد ميثاقا بحياة الآلهة العظام ونصبته بدلا من «وايتى» ابن « هزيل » ملكا على بلاد العرب .

وجاء فى رواية أخرى[1] : (وقد أتى « أبياتى » بن « ترى » إلى « نينوة » وقبل قدمى وعقدت معه اتفاقا عن حالته بوصفه خادمى وجعلته ملكا بدلا من « وايتى » أو شخص آخر وفرضت عليه جزية سنوية من الذهب وخرز فى هيئة العين من حجر «أداش» و التوتيه وجمال وحمير . وبمساعدة الآلهة « آشور » ، و« سن » و «شماش» و « أداد » ، و « بل » ، و « نبو » ، و « إشتار » « نينوة » ملكة « كدمورى » ، و « إشتار أربلا » ، و « نينورتا » ، و « نرجال » ، وبنطق اسمى الذى جعله « آشور » قويا فإن « كما شالتو » ملك « مواب » وهو خادم تابع لى قد أوقع هزيمة فى موقعة مكشوفة على «أمولادى» ملك «قدار» الذى كان مثله (أى أبياتى) قد ثار وقام باستمرار بغزوات على ملوك بلاد الغرب ، وقد استولى «أمولادى» نفسه على أهله

---

(١) راجع Pritchard, Ibid, p. 298

أى أهل « أبياتى » الذين هربوا من قبل . . . . . ووضعهم فى السلاسل والأغلال الحديد وأرسلهم إلى نينوة) .

ولكنه تفاهم مع بلاد « النباطيين » ولم يكن خائفاً من الأيمان التى عقدها بحياة الآلهة العظام وأخذ يقوم بغزوات مستمرة فى إقليم بلاده أما « نتنو » ملك «نباياتى » التى تقع على مسافة بعيدة وهى التى قد هرب إليها « وايتى » فقد سمع بهاتف من « آشور » و « سن » و « شماش » و « أداد » و « بل » و « نبو » و « إشتار » صاحبة « نينوة » و « إشتار » صاحبة «أربلا» و « نينورتا» و «نرجال» و «نوسكو» عن قوة « آشور » التى وهبتنى القوة ولذلك فإنه على الرغم من أنه لم يرسل رسولا لأجدادى الملوك ليحييهم بوصفهم ملوكا بالسؤال عن صحتهم فإنه الآن يسأل خوفاً من ساعدى « آشور » المنتصر دائماً بالحاح عن صحتى الملكية .

ولكن « أبياتى بن ترى » الذى كان مجرداً عن أية مقاصد حسنة والذى كان غير مكترث بالأيمان التى أوثقها بالآلهة العظام قد تحدث عن الثورة على واتفق مع « نتنو » ملك « نباياتى » بجمعوا جيوشهم للقيام بهجوم خطر على بلادى .

وقد جمعت جيشى وسرت مباشرة إلى «أبياتى» وذلك بأمر وحى الآلهة « آشور » و « سن » و « شماش » و « أداد » و « بل » و « نبو » و « إشتار » و « نينوة » ملكة « كدموري » و « إشتار أربلا » و « نينورتا » و « نرجال » و « نوسكو » فعبر (جيشى) بأمان نهرى دجلة والفرات عند قمة فيضانهما فاتبعوا طريقاً تؤدى إلى أقاليم بعيدة وقد تسلقوا سلاسل جبال عالية وساروا فى طرق ملتوية فى غابات ملأى بالظل وساروا بسلام على طريق شائكة بين أشجار عالية وأعشاب ملأى بالأشواك على مسافة مسيرة مائتى ساعة من « نينوة » البلد المحبوبة من «إشتار» زوج « إلليل » وقد ساروا متقدمين فى الصحراء حيث كان هناك العطش المحرق وحيث لم يكن هناك حتى الطيور فى السماء وحيث لم تكن توجد مراع للحمير البرية أو الغزلان مقتفين أثر « وايتى » ملك العرب و « أبياتى » الذى كان يسير بجيش

النباتيين ، وقد قمت من بلد « هداانا » فى شهر سمانو وهو شهر « سن » (إله القمر) بكر الإله « إلليل » وقائد إخوته فى اليوم الخامس والعشرين وهو يوم موكب سيدة « بابل » أهم الالهة بين الآلهة العظام وقد خربت خيمة فى « لربدا » وهى مدينة ذات جدار أحجاره ساذجة عند آخر أحواض المـاء وقد منح جيشى المـاء هناك لشربهم ثم تقدموا سائرين فى أقاليم ذات عطش محرق حتى حورارنيا وقد أوقعت هزيمة بقوم «إسامى» وهم اتحاد عباد الإله «أتار سامين» والنباتيين بين مدينتى « ياركى» و « أزلا » فى صحراء نائية حيث لا توجد حيوانات برية وحيث لا تبنى هناك الطيور أعشاشها وقد استوليت منهم غنيمة على أسرى يخطئها العد وحمير وجمال وماشية صغيرة ، وبعد أن سار جيشى دون مقاومة مسافة مسيرة ست عشرة ساعة عاد فى أمان وورد المـاء فى «أزلا» ليطفىء ظمأه ثم ساروا إلى الأمام حتى بلدة «قوراسيتى» على مسيرة اثنى عشر ميلا فى إقليم عطشه محرق وهناك حاصرت حلف عباد الإله « أتارسامين» . وأهل « قدار » الذين كانوا تحت إمرة « وايتى بن بيرددا » وجعلتهم يسيرون معى على الطريق إلى « دمشق » وكذلك آلهته وأمه وأخته وزوجه وأسرته وكل نساء « قدار » الآخرين والحمير والجمال والحيوانات الصغيرة بقدر ما قبضت عليه بمساعدة « آشور » و « إشتار » سيدى .

وفى شهر « أبو » وهو شهر نجمة القوس ابنة « سن » الجبارة اليوم الثالث وهو اليوم الذى قبل عيد « مردوك » ملك الآلهة غادرت « دمشق » وتقدمت حتى « هولهوليتى » وهى مسافة مسيرة اثنتى عشرة ساعة فى ليلة واحدة ، وقد استوليت على حلف « أبياتى » بن « ترى » ومعه القداريون عند جبل « هكورينا » المنحدر وأوقعت هزيمة بهم وحملت منه بعض غنيمة . وفى خلال الموقعة قبضت على حسب أمر وحى أعطاه الإله «آشور» والإلهة « إشتار » أربابى على « أبياتى » و « عمو » ابن « ترى » ، حيين ووضعت فى أيديهما وأرجلهما السلاسل والأغلال من الحديد وسقتهما إلى « آشور» ، وكذلك الغنيمة التى جمعتها فى بلادهما . أما أولئك الهـاربون

الذين فروا من هجومى فقد استولوا فى رعبهم على جبل « هوكورونو » وهو ذروة منحدرة . وقد أمرت جنودا ليقفوا حراسا فى بلاد « مانهابى » و « أباروا » و « تنوقورى » و « زايوران » و « مارقانا » و « سداتن » و « إنزيكارم » و « تانا » و « إرانا » ، وفى كل مكان كانت توجد فيه أحواض ماء أو ماء فى عيون ، وبذلك منع عنهم السبيل للحصول على الماء الذى وحده يمكن أن يحفظهم أحياء فكان الماء نادراً جداً لشفاههم ، وكثير منهم هلك من العطش المحرق . وقد شق آخرون بطون الجمال التى كانت وسيلتهم الوحيدة للنقل وشربوا الدم والفظ[1] لإرواء عطشهم ولم يفلت واحد من هؤلاء الذين صعدوا الجبل أو دخلوا هذا الوادى ليختبئوا فيه ، ولم يكن واحد من بينهم سريع القدم ليفلت من يدى وقد قبضت عليهم كلهم بنفسى فى مخابئهم . وكانوا أناسا كثيرين ذكورا وإناثا ، وقد قدت غنيمة إلى « آشور » حميرا وجمالا وحيوانات صغيرة وكبيرة ، وقد ملأت تماما بلادى حتى نهايتها التى أعطاها إياى « آشور » وقد ألفت قطعانا ووزعت جمالا كأنها غنم مقسما إياها على كل سكان سوريا . وكانت الجمال تشترى فى داخل بلادى بأقل من شكل من الفضة فى مكان السوق وكانت عمال « سوتامو » يتسلمون جمالا وحتى العبيد بمثابة هدية وصانع الجعة بمثابة بخشيش ، والبستانى بمثابة أجر إضافى ؟ أما « إزا » المحارب (أى الطاعون) فقد أصاب « وايتى » وكذلك جيشه الذى لم يرع الأيمان التى حلفها لى وفر أمام مذبحة « آشور » سيدى ، وقد شاع بين جنوده القحط فأكلوا لحوم أطفالهم من الجوع وبذلك فإن « آشور » و « سن » و « شماش » و « أداد » و « بل » و « بنو » و « إشتار » نينوة ملكة « كدمورى » و « إشتار أربلا » و « نينورتا » و « نرجال » و « نوسكو » قد صب عليهم بسرعة كل اللعنات التى كتبت فى إتفاقاتهم الموثقة بالأيمان وحتى أن

---

(١) الفظ الماء الذى يوجد فى معدة الجمل بعد ذبحه وكثيرا ما كانت العرب تسق الجمال الماء ليخزن فى بطونها ليستعمل ثانية أثناء السفر فى الصحراء

البعران والجحوش والعجول والخراف الصغيرة كانت ترضع سبع مرات من أمهاتها ولكن لم تكن لتملأ بطونها باللبن. وعندما كان سكان بلاد العرب يسأل أحدهم الآخر. لأي سبب حاقت هذه المصائب ببلاد العرب ؟ (أجابوا أنفسهم :) ذلك لأننا لم نرع أيماننا مع « آشور » ولأننا أغضبنا صداقة « آشور بنيبال » الملك محبوب « إلليل » .

و (لا ريب) في أن « نينليل » البقرة البرية المسوّدة وأعظم الالهات شجاعة والتي يماثلها فقط في المكانة « آنو » و « انليل » ، كانت تناطح أعدائي بقرنيها الجبارتين ، و « إشتار » التي تسكن في « اربلا » مرتدية نارا (مقدسة) وحاملة لباس الرأس « ملامو » كانت تمطر لهيباً على بلاد العرب ؛ و « إرا » المحارب المسلح بأنونتو كانت تحطم (تحت قدمها) أعدائي ، و « نينورتا » السهم ، البطل العظيم ابن « إلليل » كان يقطع حناجر أعدائي بطرفه الحاد ، و « نوسكو » الرسول الطيع (للالهة) المعلن عن سيادتي الذي رافقني بأمر « آشور » والمحاربة « نينليل » سيدة « إربلا » التي حمتني بوصفي ملكا أخذت قيادة جيشي وطوحت بأعدائي . وعندما سمع جنود « وايتي » باقتراب هذه الأسلحة الجبارة الخاصة بأشور وإشتار إلهي العظيمين وسيدتي وهي التي أتت في أثناء المعركة لمساعدتي ، ثاروا عليه ، فأصبح خائفاً ونزل البيت (المحراب) الذي هرب فيه ، وعلى ذلك قبضت عليه شخصياً على حسب الوحي الأمين الذي أوحى به « آشور » « وسن » و « شماش » و « أداد » و « بل » و « نبو » و « اشتار » صاحبة « نينوة » ملكة « كدموري » و « اشتار » صاحبة « إربلا » و « نينورتا » و « نرجال » و « نوسكو » وأحضروه إلى « آشور » ، وبأمر وحي من « آشور » و « نينليل » خرقت خديه بحربة ظباها حاد . وهي سلاحي الشخصي وذلك بوضع نفس اليدين اللتين تسلمتهما للتغلب على المعارضة ضدي . ووضعت الحلق في فكه وطوقت عنقه بطوق كلب وجعلته يحرس درباس بوابة « نينوة » الشرقية التي تسمى « نيريب — ماسناق — أدناتي » . وفيما بعد رحمته ومنحته الحياة لأجل أن يثني على فخار « آشور » والآلهة العظام أربابي .

وفى عودتى فتحت بلدة « أوشو » التى تقع على ساحل البحر (اسم الأرض الرئيسية لموقع صور) وقتلت سكان « أوشو » الذين لم يطيعوا برفضهم دفع الجزية التى كان عليهم أن يدفعوها سنويا . وأخذت للعمل أولئك الذين لم يكونوا مطيعين من بينهم . أما أصنامهم ومن بقى حيا من السكان فقد سقتهم غنيمة إلى « آشور » . وقتلت كذلك أولئك السكان من « عكا » غير المطيعين وعلقت أجسامهم على عمد نصبتها حول البلد وأخذت الآخرين إلى « اشور » وألفت منهم فرقة عسكرية أضفتها للجيش المظيم الذى قدمه لى الاله « آشور » . وفى خلال المعركة قبضت شخصياً على « عامو » بن « ترى » الذى كان قد انحاز إلى « أبياتى » أخيه . وقد جعلته يسلخ فى « نينوه » التى كنت آدير فيها الحكم » .

ولدينا من نقش على معبد « إشتار » ما يأتى :

« استوليت على « وايتى » حيا ، ملك اشمائيل (سو — مو — إيل) الذى كان متحالفاً معه (يقصد شماش — شوم — أوكن) ، وأمولادى ملك « قدار » وقع فى يدى جيشى فى حومة الموقعة وقد أحضروه (رجال الجيش) إلى حياً .

وقد أسرجت « تاماريتو » ، و « باى » و « أما نالداسى » ملوك « صيلام » و « إيوتى » ملك « اشمائيل » وهم الذين قبضت عليهم شخصياً بأمر وحى من الآلهة « آشور » و « نينليل » و « إشتار » القاطنة فى « أربلا » كمهارى مختارة لأجل جر عربة نصرى وهى لنقل جلالتى بعد أن خرجت فى موكبى من المعبد . . . لأجل أن أضحى وأن أقوم بالشعائر وقد قبضوا فعلا على السيور بجر العربة .

أما « نتنو » ملك « نباياتى » — وهى بلاد بعيدة — الذى لم يخضع لأجدادى الملكيين فإنه انحنى إلى نيرى ، وعلى ذلك فإن وحياً بأمر من « آشور » و « نينليل » الالهين العظيمين سيدىَّ اللذين شجعانى على ذلك ؛ فهزمت «إيوتى» الذى وضع ثقته فى مساعدة بلاد نباياتى .

وعلى ذلك منح هداياه (تامارتو) ؛ وقد قدته هو وزوجه وأولاده . . . بمثابة غنائم ثقيلة من بلاده . أما « نوهورو » (ناهور) ابنه الذى هرب أمام هجوم آشور وإشتار . . . فإن بهاء قدسيتهم قد أعماه ؛ وأتى الى بالهدايا وقبل قدمى ؛ فرحمته وأقعدته على عرش والده » .

وجاء فى متن آخر[1] :

« تبئلهونو » كاهنة الآلهة « دلبات » التى أصبحت غضبى من « هزيل » ملك العرب — وجعلته يسلم إلى يدى « سنخرب » جدى وذلك بأن سببت هزيمته ؛ وهو الذى أعلن أنه لن يعيش بعد قوم العرب وهاجر إلى « آشور » . وقد أتى « هزيل » إلى « إسرحدون » ملك بلاد « آشور » والدى ، وهو محبوب الآلهة العظام والذى نال النصر بسبب عبادته لكل الآلهة والإلهات وهو الذى أعاد «هزيل» على عرش والده بأمر أعطاه الإلهان « آشور » و « شماش » وأعاد كل الأصنام المستولى عليها إلى محاريبها — ملك بلاد العرب ايراه ومعه هدايا ثقيلة الوزن وقبل قدميه وطلب إليه إعادة (تمثال) إلهته « إشتار » فرحمه (أى إسرحدون) وسمح بإعطائه « تبئلهونو » كاهنتها السابقة . أما عن (الكاهنة) « تابوا » فإنه سأل وحياً من الإله « شماش » كما يأتى : . . . وبعد ذلك أعادها ومعها تمثال الآلهة . وكذلك وضع نجمة (رمز الآلهة « إشتار ») من الذهب الأحمر المحلى بالأحجار الثمينة و . . . الحياة سعيدة له ، ومدة عمر دائم ، وفلاح نسله . . . ودوام ملكه و (هزيمة كل أعدائه) . . . » .

هذا ما وصل إلينا من وثائق عن بلاد العرب فى عهد « آشور بنيبال » ومنها نفهم ما كانوا عليه من حب للحرية وعدم الرضا بحكومة منظمة إذ كانوا لا يميلون إلا إلى الضرب فى الأرض فى مجاهل الصحراء وعدم الاستقرار فى مكان وقد كان

---

(١) راجع British Museum, K¹. 308; Luckenbill, II, 9408 943; Pritchard, Ibid, p. 301

هذا هو دأبهم إلى أن جاء الاسلام فوجدهم على نفس الحال التى كانوا عليها منذ ١٢٠٠ سنة مضت بل أكثر من ذلك .

ومن المحتمل أنه قبل هزيمة « أيوتى » التى وقعت على ما يظن حوالى ٦٣٩ ق . م . قبض على « منسة » ملك « يهودا » وهذه الحادثة دونت فى كتاب أخبار الأيام ولكن لم تذكر فى سفر الملوك .

وهذا الحادث بعينه لم يذكر فى تواريخ ملوك « آشور » ، ولكن ليس لدينا شك فى أن ما جاء فى أخبار الأيام صحيح من الوجهة التاريخية وأن « منسة » نقل فى شيخوخته إلى « بابل » ليجيب عن اتهامه فى الاشتراك فى المؤامرة التى قام بها « شماش شوم أوكن » وقد عاد فى النهاية إلى «أورشليم» حيث مات عام ٦٣٨ ق.م.

ولا بد أنه حوالى عام ٦٣٨ ق. م. كان قد وقع العقاب على كل من « صور » و « عكا » للمساعدة التى قدمها الفينيقيون للثورة التى قام بها « شماش شوم أوكن » .

و بعد هذه الانتصارات فى أنحاء الامبراطورية الآشورية عقد «آشور بنيبال » مهادنة صداقة بين « آشور » و « ساردرور الرابع » ملك « أورارتو » (أرمنيا) و بذلك انتهى نشاطه الحربى .

ولا نزاع فى أنه لم يقم على رأس حملة من حملاته هذه فى ساحة القتال منذ أن ذهب لمصر فى عام ٦٦٣ ق . م .

ومع ذلك فإنه حوالى عام ٦٣٥ ق . م . أقام حفل انتصار فى « نينوة » شاكرا الإله على الانتصارات التى أحرزها فى عهده الطويل فسار فى موكب إلى معبد إشتار فى عربته التى كان تحت نيرها « خومبا خالداش » ملك « عيلام » السابق وكذلك « باى » الذى ادعى عرش «عيلام» عندما ثار على الآشوريين وضايقهم بعد هزيمة « خومبا خالداش » ثم « تمريتو » بن الملك « أورتاكى » الذى حكم مدة على «عيلام» ثم أيوتى ملك العرب ، وهناك شخصية عظيمة هائلة لم تكن بين هؤلاء الملوك الذين صب

عليهم هذا الامبراطور جام غضبه ووضع أنوفهم فى الرغام وأذلهم أخس إذلال وأهانهم أحقر إهانة يمكن أن توجه لبشر وهذه الشخصية الغائبة عن هذا الحفل هو «بسمتيك» ملك مصر . وقد يرجع السبب فى ذلك إلى الثورة التى قام بها «شماش شوم أوكن» فقد أجبرت ملك «آشور» على سحب جنوده من مصر حوالى عام ٦٥١ ق . م . (ويلحظ هنا أن «الملك بسمتيك» قد حسب سنى حكمه من أول السنة التى مات فيها تهرقا كما شرحنا ذلك فى غير هذا المكان) .

وفى تلك الأثناء استأجر «بسمتيك» جنودا يونانيين وكاريين من «جيجيز» ملك «ليديا» [1] ليبعث فى جنوده روح الشجاعة وبذلك أصبح فى مركز يمكنه أن يقاوم أية محاولة من جانب الآشوريين للاعتداء على استقلال مصر وقد كان قبل ذلك يلبس تاج الوجهين القبلى البحرى مدة عشر سنين ولم يكن يناهضه فى ملك مصر أى ملك آخر من «الكوشيين» ولذلك فإنه اعترف به فى الحال ملكا على مصر حتى أسوان ولم يبد فى ذلك «آشور بنيبال» أية معارضة إذ من المحتمل أنه فطن إلى أن تكرار الحروب فى مصر لفتحها من جديد عقب عودته لبلاده فى كل مرة كان سببا فى إضعاف جيشه تماما هذا إلى أنه بعد تجديد الفتح لمصر لا يمكنه أن يسيطر عليها كما حدث من قبل فى عهد والده وفى عهده إذ كان بمجرد عودة الملك إلى «آشور» تنطلق الثورة من عقالها .

وقد ظلت مصر عشر سنوات هادئة بسبب عدم ظهور السيطرة الآشورية فى أى جزء من أجزائها . وكان وجود أى جنود آشوريين فيها يعده المصريون بلا نزاع جنوداً مرتزقة استأجرهم «بسمتيك» . ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن «بسمتيك» قد اتخذ خطة سياسية حكيمة إذ لم يظهر عدم الولاء للملك «آشور بنيبال» أمام مواطنيه قط . وتدل شواهد الأحوال على أنه كان مرتبطا بمساعدة مليكه السابق عاهل «آشور»

(١) راجع Herodotus II, 152

فى بعض الأمور كما سنرى بعد . ومن ثم بدأت مصر تسير فى سبيل جديدة من التطور بوصفها مملكة مستقلة تحت سيادة أسرة جديدة ظهر مؤسسها « بسمتيك الأول » بمظهر القوة والفطنة وحسن السياسة مما ميزه عن أولئك الملوك الكوشيين الذين لم يستطيعوا الوقوف أمام « الآشوريين » الغزاة . ومن أجل ذلك عزم «الآشوريون» على ترك وادى النيل لأهله ، وتلك كانت سياسة حكيمة ، قد كان الدافع على اتباعها أحداث جسام أدت إلى سقوط امبراطورية « آشور » بعد قليل من الزمن وقيام أخرى على أنقاضها . وهى دولة « كلديا » .

سقوط الامبراطورية الآشورية

انتهت المصادر التى فى متناولنا عن عهد الملك « آشور بنيبال » عام ٦٣٩ ق. م. على الرغم من أن هذا الملك قد توفى عام ٦٢٦ ق. م. ومن ثم نعلم أنه حكم البلاد ثلاثاً وثلاثين سنة بنجاح وذلك من مجموع الاثنتين والأربعين سنة التى قبض فيها على زمام الأمور فى « آشور » . وقد كانت مصر تعد بالنسبة للامبراطورية الآشورية خارجة عن ممتلكاتها الفعلية وإن كانت الحوادث التى أتت بعد قد برهنت على أن خروج مصر عن نطاق امبراطورية « آشور » يعد كسباً لها ، وذلك لأن مصر قد أصبحت بعد نيل استقلالها حليفة مخلصة لآشور . هذا وقد استقر السلام وحسن النظام فى « فلسطين » و « فينقيا » و « سوريا » كما أصبحت « ليديا » على ود ومصافاة مع « آشور » .

وكان « آشور بنيبال » فى سلام مع قوم السيثيين فى الشمال كما كان ملك عيلام الذى عينه أخيراً يظهر له الاخلاص والطاعة ، والواقع أن « عيلام » قد سحقت ولم تقم لها قائمة بعد كما أنه لم يكن فى استطاعة الميديين أن يقاوموا جيوش الامبراطورية الآشورية . وكان الآشوريون فى كل أمهات بلاد الامبراطورية يعملون على سيادة النظام وسير الأمور فى مجراها الحسن وبخاصة عندما نعلم أن بعض هؤلاء الحكام كانوا من البيت المالك .

وكان « آشور – إطيل – شام – آرسيتيلى – أو باليتسو » أصغر إخوة « آشور بنيبال » يحمل لقب الكاهن الأكبر للاله سن (= القمر) فى مدينة « حران » ومن كل ذلك نفهم أنه كان يحق « لآشور بنيبال » أن يفخر بما كانت تتمتع به امبراطوريته من سلام ورخاء . ولكن على الرغم من كل ذلك السلام الظاهرى السائد نجد أنه على حين غفلة قد تداعى ملكه وأخنى عليه الدهر وطوحت به الأيام إلى الحضيض لأسباب لم نصل إلى كنهها بعد ويقف التاريخ أمام هذا الحادث مشدوها حائرا . وقد حدثنا « آشور بنيبال » فى فقرة رائعة من متن كتبها عن نفسه وكان أديبا منقطع النظير يصف لنا فيها آخر أيام حياته السود فاستمع إليه وهو يتحدث والحسرة ملء قلبه وروحه وسمعه وبصره :

لقد أعدت الشعائر الخاصة بعمل القربان للموتى ومياه الطهور لأرواح الملوك والأجداد بعد أن كانت نسيا منسيا . ولقد عملت كل خير للاله والانسان والأحياء والأموات فلماذا انتابنى المرض واعتلال الصحة والبؤس والشقاء ؟ فأصبحت وليس فى مقدورى أن أقضى على الشغب فى البلاد والأحقاد فى أسرتى فالفضائح المزعجة تضايقنى دائما والبؤس العقلى والجسمانى قد قوس قناتى وإن أيامى الأخيرة تحتضر مصحوبة بصيحات ملؤها الفزع وفى يوم إله المدينة وهو يوم عيد أجد نفسى بائسا والموت يأخذ بخناقى ويودى بى إلى الأرض ، وإنى أنتحب بالبكاء والعويل ليل نهار وأتأوه قائلا يا إلهى امنح إنسانا كافرا حتى يرى النور . إلى متى يا إلهى ستعاملنى هكذا ؟ كأنى أصبحت إنسانا لم يخف إلها أو إلهة » .

فماذا يا ترى تلك الآلام الجسمانية التى أصابت هذا الرجل الذى بلغ من الكبر عتيا ؟ ذلك مالا علم لنا به . أما الإشارة إلى القلاقل والشجار فى أسرته ومملكته فواضحة ظاهرة لا تحتاج إلى فحص أو تدقيق .

فقد قامت منازعات خاصة بوراثة عرش الملك ، وذلك أنه عندما وافت

« آشور بنيبال » المنية كان على ابنه « آشور — إطيل — إلانى » الذى اختاره لوراثة العرش أن يحارب مغتصباً للملك قبل أن يتولى العرش ولم ينجح إلا بمساعدة موظف يدعى « سن — شوم — ليشير » . وكان النزاع بينهما شاقا طويلا وقد قاست الإمبراطورية الآشورية أهوالا من جراء ذلك ؛ وكانت بابل الجنوبية تحت سلطان « كاندا لانو » حتى موت « آشور بنيبال » عام ٦٢٦ ق . م . غير أنها انخلعت عن طاعة « آشور — إطيل — الانى » فى عهد « نابو بولاسار » القائد الكلدانى المختار الذى بدأ بالثورة على أثر تولية العاهل الجديد عام ٦٢٥ ق . م وفى نفس الوقت نجد أن فلسطين قد تخلصت من نير الحكم الآشورى وأعلنت « فينقيا » عدم الطاعة للقوانين الآشورية . أما بلاد « ميديا » فقد أصبحت الآن متحدة الكلمة تحت حكم ملك واحد وانفصلت نهائيا عن الامبراطورية الآشورية . ومن المدهش أنه فى مدة حكم « آشور — إطيل — الانى » القصيرة (٦٢٦ — ٦١٩ ق . م .) لم تفقد « آشور » من أقاليمها شيئا جديداً لأننا سنرى أن ممتلكاتها فى الشرق والغرب بقيت على ولاء لحكومة « نينوة » .

انتهى حكم الملك « آشور — إطيل — الانى » بقلاقل كما ابتدأ ، واستولى على العرش من بعده الملك « سن — شوم — ليشير » . فلم يمكث على العرش أكثر من بضعة أشهر بعد وفاة سيده ، فقد طرده أحد أولاد « آشور بنيبال » الآخرين الذى يسمى « سن — شار — إشكون » . وهذه الحوادث قد جرت بين عامى ٦٢١ — ٦١٩ ق . م .

وفى خلال الحروب الطويلة التى شنها « نابو — بولاسار » ملك « بابل » و « كيا كازارس » ملك « ميديا » على ملك « آشور » لكسر شوكته كان على عرش « آشور » ملك قادر يدعى « سن — شار — إشكون » . ولو اتيحت له فرصة أحسن من التى كان فيها لكان فى مقدوره أن ينازل هذا الحلف وينتصر عليه ولو أن كثيراً من الفرق التى كانت تابعة للجيش الآشورى سابقا لم يعد من المستطاع تجديدها

فإنه كان لديه حلفاء أقوياء، والواقع أن كلا من «بسمتيك» ملك مصر وقوم «السثيون» كانوا على استعداد لمساعدته . ولا نزاع فى أن الحروب الداخلية التى وقعت فى السنين السابقة قد أضعفت القوة المقاومة فى الجيش الآشورى ، هذا إلى أن أعداء «آشور» من البابليين والميديين كانوا يحاربون بقيادة قواد ليسوا أقل مهارة ومقدرة من القواد الآشوريين .

وكانت خطط أعداء ملك «آشور» سليمة محكمة فقد عملوا على حصر القوات الآشورية وجعلها تنكمش شيئاً فشيئاً فى المربع المحصن الذى يشمل البلاد الآشورية الأصلية من أول قلعة «شرقات» حتى «كاروك» ومن ثم حتى «إربل» إلى «خرسباد» ، ففى عام ٦١٦ ق . م . كان فى مقدور «نابو — بولاسار» ملك «بابل» أن يزحف بجيشه إلى أعالى «الفرات» فى إقليم «سوخو» و «خندانو» دون مقاومة وهزم الجيش الآشورى الذى وقف له فى «قابلينو» ، وكان فى مقدوره فى الوقت نفسه أن يرسل فرقة من جيشه إلى نهر «بلخ» ولكن النجدة المصرية كانت قد وصلت وقتئذ لمؤازرة «الآشوريين» ولذلك اضطر «نابو بولاسار» إلى التقهقر بسرعة إلى «بابل» ولكن من جهة أخرى صادف البابليون نجاحا عظيما عند «أراباجيا» (القريبة من «كاركوك») حيث هزم الجيش الآشورى وتقهقر عبر نهر «الزاب» . هذا وقد كان لتدخل الميديين أثر فى إضعاف قوة الدفاع عند الآشوريين مما جعل عزيمة الملك «سن — شار — إشكون» تخور وتنحل وربما كان سبب ذلك قلة الرجال ، ففى عام ٦١٤ ق . م . زحف «سياكزرسس» حتى أصبح على أبواب «نينوة» نفسها واستولى على «تاربس» (شريف خان) ثم تحول جنوبا نحو «آشور» ليضمن مقابلة جيشه بجيش «نابو — بولاسار» حسب الخطة الموضوعة ، والآن وللمرة الأولى على حسب ما وصل إلينا من تاريخ «آشور» سقطت العاصمة القديمة ونهبت بوحشية مشينة كما دلت على ذلك الحفائر الحديثة . وقد وصل «نابو — بولاسار» متأخراً ليشترك فى المعركة غير أن هذه الفرصة قد خدمته فى توطيد عرى التحالف مع «سياكزرسس» .

وعلى الرغم من أن أحوال ملك « آشور » كادت تكون على شفا اليأس فى بلاد « آشور » نفسها فإن ممتلكاته الخارجية لم تكن قد انحلت بعد ، فقد كانت إدارتها غاية فى الحكمة طوال مدة قرن من الزمان ، ولذلك لم يكن من المعقول أن تصل إلى درجة من الانحلال والتفكك بتلك السرعة الخاطفة .

وإذا كان ما رواه لنا الإغريق صحيحا فإن « سن — شار — إشكون » قد تضرع فى عام ٦١٣ ق . م . إلى السيثيين ليساعدوه على مقاومة الميديين فى الوقت الذى كان يحارب فيه البابليين ، وفى تلك اللحظة الحرجة زحف « السوحو » على الفرات علناً خوفا من مقاصد « نابو — بولاسار » إلى ساحة القتال لمساعدة الاشوريين ، وعلى الرغم من أن « البابليين » قد أصابوا بعض النجاح فإن الجيش الآشورى طرد « البابليين » من « عناه » (Anah) واضطرهم على الأقل إلى التقهقر ، وكان نجاح « سن — شار — إشكون » يتوقف كلية على ولاء السيثيين له وإخلاصهم فى مساعدته ولكنهم خانوه ، وربما كان قد توصل إلى ذلك « سياكزرسس » بما بذله لهم من الغنائم التى استولى عليها ، ولذلك اتحدوا معه هو وحليفه « نابو — بولاسار » فى عام ٦١٢ ق . م . فى الهجوم النهائى على « نينوة » نفسها ، وقد قام الحلفاء بثلاث هجمات غير مظفرة على المدينة التى كانت مضرب الأمثال فى الثراء والقوة فى كل أنحاء الشرق الأدنى ، ولكن فى النهاية سقطت أمام هؤلاء الجموع المدربين الذين كانوا قد تلقوا دروسهم فى نصب الحصار على يد ملوك الآشوريين . وهذا يذكرنا بقول الشاعر العربى :

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رمانى

وكم علمته نظم القوافى   فلما قال قافية هجانى

والكلمات الرئيسية التى دونها المؤرخ البابلى فى هذا الصدد هى : لقد حدث دمار للناس والأشراف . . . فحملوا الغنائم من المدينة بمقادير يخطئها الحصر وحولوا

المدينة إلى أكوام خربة . أما الإسرائيليون فقد وصفوا لنا سقوط «آشور» على لسان نبيهم «ناحوم» بصورة رائعة . ومن المحتمل أن «سن — شار — إشكون» نفسه كان قد هلك إذ قص علينا الإغريق أنه ألقى بنفسه فى النار التى أشعلها هو كما لاقى حتفه بنفس هذه الكيفية من قبل الملك «شماش — شوم — أوكن» . والواقع أنها كانت نهاية جندى وملك آشورى عظيم لا نهاية خليع مخنث كما صورها لنا الاغريق فى صورة «ساردا ناپالس» (Sardanapalus) .

وبسقوط «نينوة» طويت صفحة تاريخ اشور نفسها وهى البلاد التى اضطرت أن تحارب قرونا أولا لتعيش ثم لتبنى إمبراطورية مترامية الأطراف ، وأخيراً هوت دون أن تقوم لها قائمة عندما آلت إلى الوهن والضعف لدرجة أنه لم يبق من بين أقاليمها العديدة الشاسعة إقليم يمكن أن يدافع عن كيانها .

ومع ذلك فإن قليلا من الآشوريين الذين أمكنهم الهرب من «نينوة» قد استمروا فى النضال وهؤلاء الذين فروا نحو الغرب على الرغم منهم التجئوا إلى «حاران» تلك القلعة التى سيطروا منها على «سوريا» باستمرار على وجه التقريب منذ عهد الملك «آشور ناصيربال» .

وفى الوقت الذى كان فيه «نابو بولاسار» مشتغلا فى إخضاع نصيبين والمراكز المجاورة لها مباشرة عاد كل من الملك «سياكزرسس» وملك السيثيين إلى بلادهما محملين بالغنائم .

وقد نصب «آشور أوباليت» ملكا على «آشور» الذى اتخذ عاصمة ملكه فى «حاران» ويحتمل أنه كان أخا «آشور بنيبال» الذى كان قبل ذلك يشغل وظيفة كاهن الإله «سن» إله القمر .

ولما لم يكن فى مقدور هذا الملك أن يمنع تخريب أقاليم وطنه القديم الذى استمر حتى عام ٦١١ ق . م . لم ير بداً من انتظار الهجوم على «حاران» فثبت هناك

على أمل أن يسعفه المصريون فى الوقت المناسب لصد عدوان أعداء بلاده ، وكان « نابو بولاسار » يعلم فداحة العبء الذى سيلقى على عاتقه فى هذا النزال ، ولذلك فإنه لم يزحف على « حاران » إلا بعد أن انضم إليه الميديون والسيثيون عام ٦١٠ ق . م .

ولما كان « آشور أوباليت » يرغب فى بقاء جيشه فى ساحة القتال هجر مدينته التى وقعت فريسة فى يد العدو الذى خربها كما خرب المدن الآشورية الأخرى ، وفى نهاية الأمر وصلت جنود ملك مصر « نخاو » وانضمت إلى جيش « آشور أو باليت » وحاصر الجيشان الجيش البابلى فى « حاران » ولكن وصل إليه المدد فى الوقت المناسب من « بابل » وبذلك هزم جيش « أوباليت » وجيش « نخاو » المصرى فى ساحة القتال . ومن المحتمل أن هذه الحروب الضعيفة الفاترة قد امتد أجلها حتى عام ٦٠٥ ق . م . عندما هزم « نخاو الثانى » على يد الملك « نبوخاد رازار » فى كركميش ، وبذلك حلت مؤقتا مسألة السيادة فى « سوريا » وانتقلت بهذه الكيفية الأمة الآشورية إلى « سوريا » .

وسيبقى اختفاء قوم الآشوريين دائماً ظاهرة فريدة مدهشة فى التاريخ القديم . حقاً لقد اختفت ممالك وامبراطوريات أخرى مشابهة لآشور ، ولكن أقوامهم قد ظلوا عائشين معروفين من بعدهم ، وقد دلت الكشوف الحديثة على أن مجتمعات عضها الجوع والفقر قد خلدوا أسماءهم الآشورية القديمة فى أماكن مختلفة ، كما نجد ذلك ممثلا فى مدينة « آشور » القديمة لمدة أجيال ، ولكن الحقيقة الرئيسية ظلت كما هى . وذلك أن أمة عاشت مدة ألفين من السنين ومدت سلطانها على مساحة شاسعة قد فقدت صفتها المستقلة ، ولتعليل هذه الظاهرة سببان . أولا كان الآشوريون منغمسين فى عادات شهوانية لا يمكن أن تؤدى فى النهاية إلا إلى انتحار سلالتهم . ويمكن تفسير السنين الأخيرة من تاريخهم بنقص محس فى رجالهم ولكن لا يرجع ذلك كله إلى الحروب الداخلية . وثانياً نعلم أن الميديين كانوا قد نقلوا

إلى بلادهم عدداً عظيما من الاشوريين أصحاب الحرف الذين كانوا يشتغلون فى المعادن والأحجار ، فنجد كثيراً من القطع الفنية العظيمة التى عثر عليها فى مدينتى « برسبوليس » و « إكيتانا » قد عملها صناع أخذوا صناعتهم عن طوائف من « نينوة » . هذا وقد علم العبيد الآشوريون أسيادهم فن قطع الأختام .

والواقع أنه لاتوجد بلاد أخرى فى العالم خربت ونهبت تماما كآشور كما أنه لا توجد أمة أخرى إذا استثنينا بنى إسرائيل قد استعبدت استعباداً تاماً مثل آشور .

ومن جهة أخرى يلحظ أن سقوط « آشور » كان منقطع القرين ، وذلك أنها بعد أن مدت نفوذها الحربى مدة هذه القرون الطويلة فى « مسوبوتاميا » وبعد أن ظل سلطانها الإمبراطورى شامخ الذرا مسيطراً على أقوام عدة أصبح المؤرخ الحديث لا يستطيع أن يتتبع أى تأثير باق فى تاريخ العصور التى جاءت بعد سقوطها . ولا ينبغى أن نعزو عدم قدرة المؤرخ على تتبع آثارها للجهل وحسب ، إذ لو كان لدينا معلومات كافية عن قوم الميديين أو لو كان لدينا معلومات أتم عن تطور الفرس وتاريخهم ومعلومات أدق عن طائفة الزرواستيين فإنه كان من المفهوم أن نصل إلى صورة ناطقة عن مصير هؤلاء القوم بصفة قاطعة . والواقع أنه من الوجهة السياسية أصبح فى استطاعتنا الآن أن نؤكد أن الإمبراطورية الآشورية قد عاشت فى الدولة الفارسية العظيمة التى خلفتها وكانت الأصل لطراز الحكم الباقى المعروف باسم (المملكة الشرقية) ، ومن الجائز أنه لو وصلت إلينا معلومات أكثر لعرفنا أن المدنية الآشورية قد تركت طابعاً ثابتا فى بلاد « سوريا » وغيرها من المقاطعات الآشورية أكثر مما هو ملحوظ حتى الآن ، وإنه لمن الخطأ أن نقول إن حكام السراجنة قد ركنوا إلى العزلة وسموها سلاما . ففى « حاران » مثلا قد بقى حتى عهد الخلافة العباسية نوع من الوثنية يشبه فى بعض صفاته الرئيسية الديانة الآشورية . ولكن فوق كل ذلك نجد أن قوة « آشور » الحربية ساعدت المدنية البابلية على أن تبقى

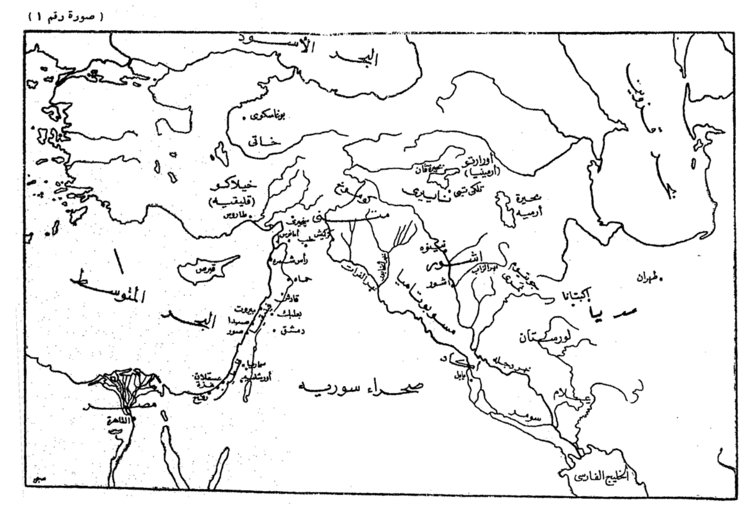
قرونا فى الوقت الذى لم تكن فيه « بابل » قد صارت بعد مركزاً ثقافياً إلى أن أصبح فى مقدور الأسرة الكلدانية التى حاكت بيديها كفن « نينوة » أن تأخذ على عاتقها مهمة حفظ المدنية فى مهد من أقدم مهادها .

وعلى أثر سقوط الإمبراطورية الآشورية قسمت أملاكها بين الميديين الآريين والكلدانيين الساميين ، ولم يمض أقل من قرن من الزمان حتى قام أمير آرى وهو « كورش الفارسى » وحل محل الساميين وأسس إمبراطورية آرية فى كل الشرق الأدنى وهى الإمبراطورية الفارسية .

فهـــرس

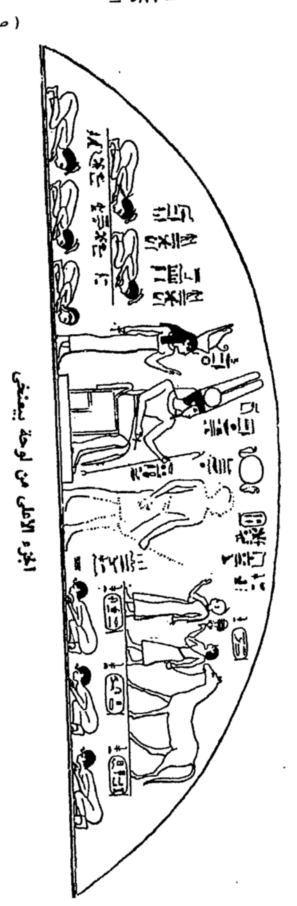
الصورة والأشكال الايضاحية والخرائط

(صورة رقم ١)



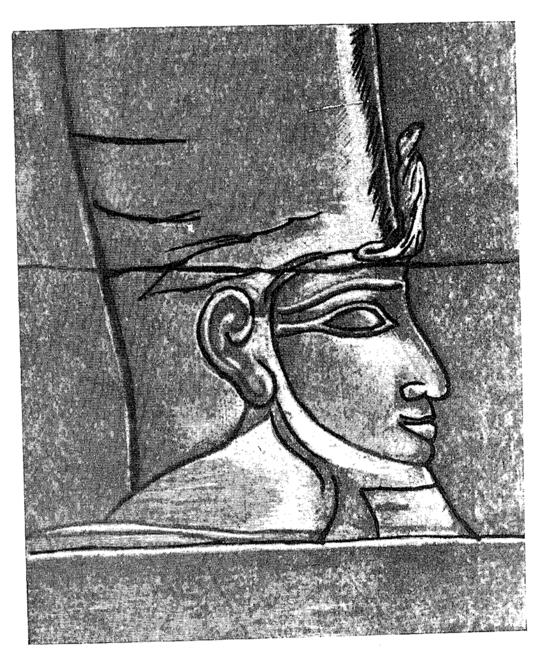
خريطة الامبراطورية الآشورية

(صورة رقم ٢ ، ٣)



الجزء الأعلى من لوحة بيعنخى
(انظر صفحة رقم ٩)

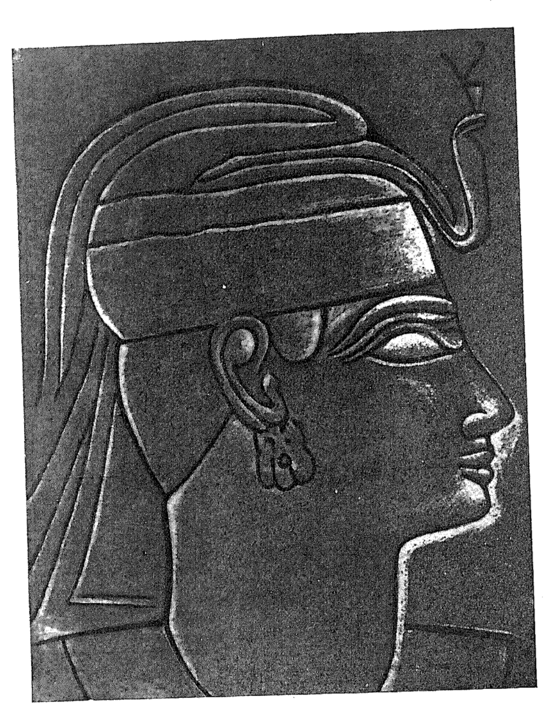
(صورة رقم ٤)



صـــورة الملك شـــبكا

(انظر صفحة رقم ٧٤)

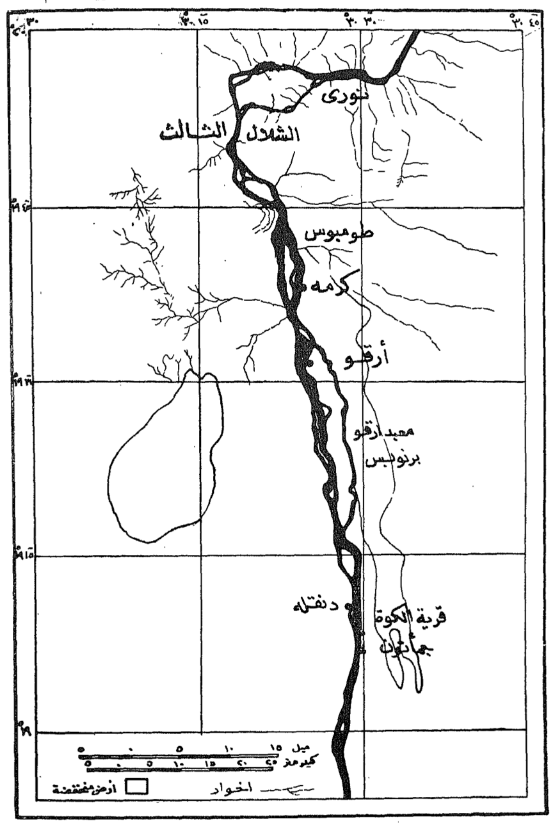
(صورة رقم ٥)



صـــورة الملك شـــبتاكا

(انظر صفحة رقم ١١٠)

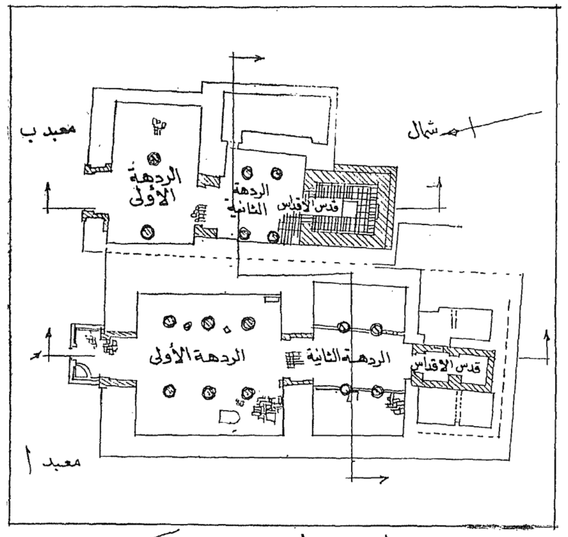
(خريطة رقم ٦)



موقع إقليم الكوة

(انظر صفحة رقم ١٢٠)

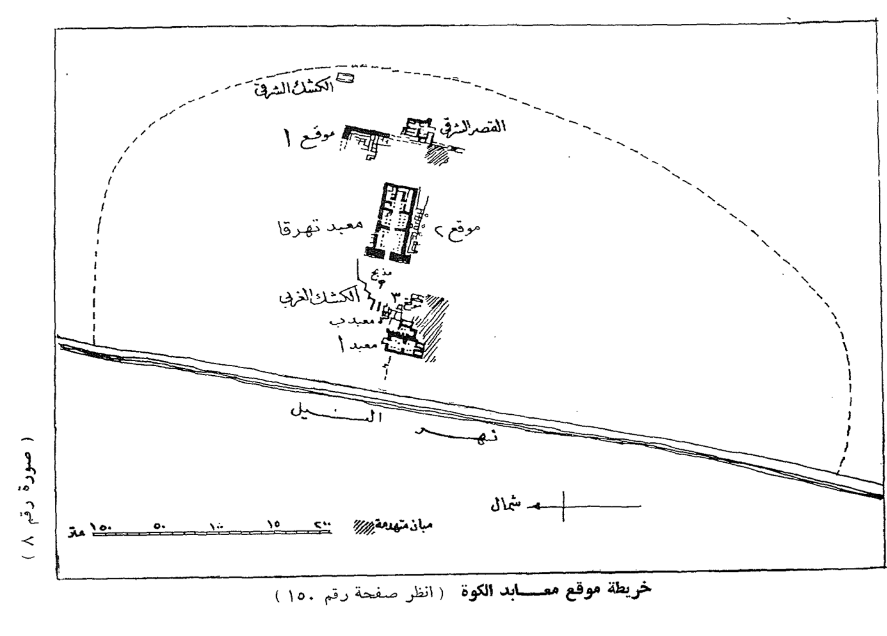
(صورة رقم ٧)



المعبدين أ و ب من معابد الكوة

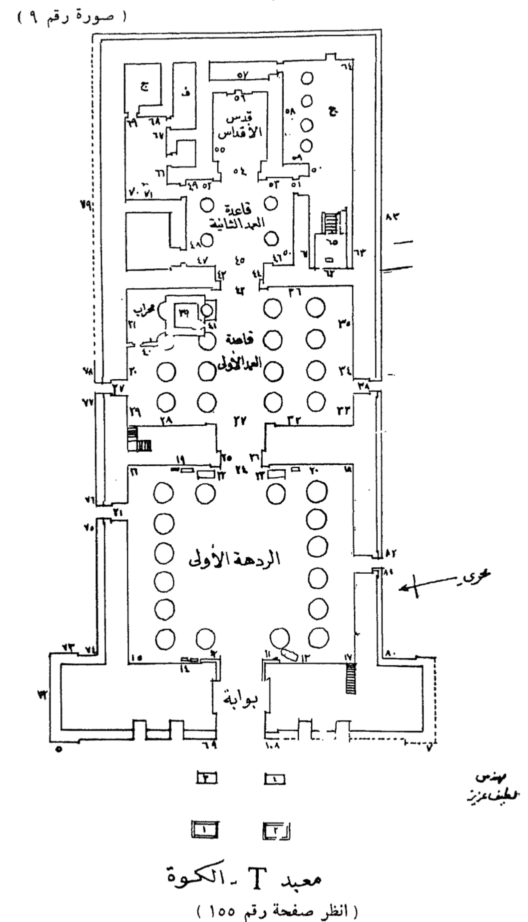
(انظر صفحة رقم ١٢٨)

(صورة رقم ٨)



خريطة موقع معابد الكوة (انظر صفحة رقم ١٥٠)

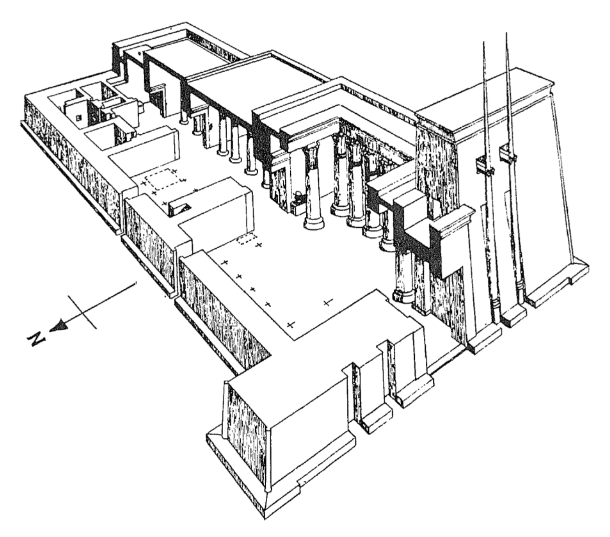
(صورة رقم ٩)



معبد T ـ الكوة

(انظر صفحة رقم ١٥٥)

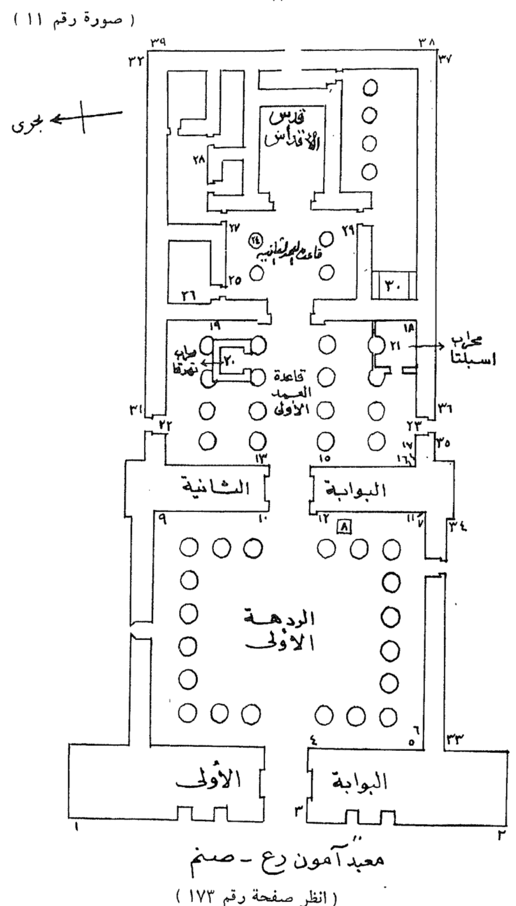
(صورة رقم ١٠)



نموذج لمعبد تهرقا بالكوة

(انظر صفحة رقم ١٥٥)

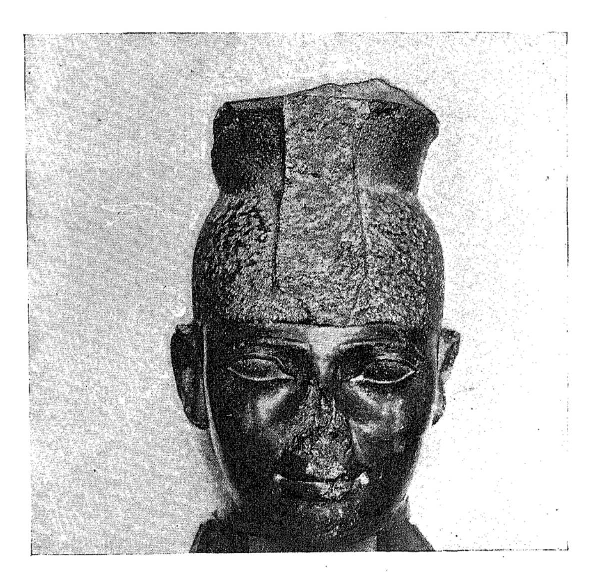
(صورة رقم ١١)



معبد آمون رع - صنم

(انظر صفحة رقم ١٧٣)

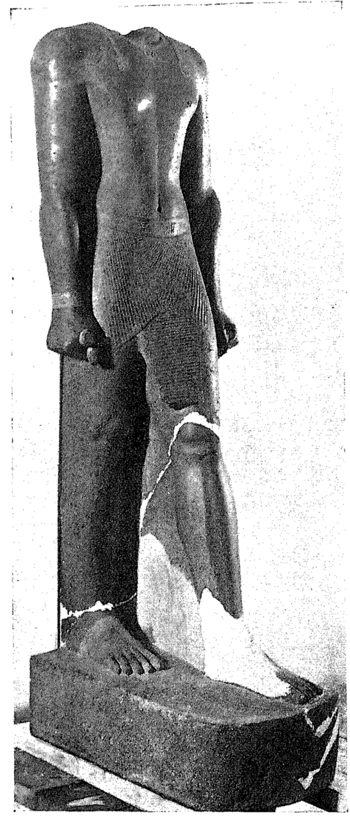
(صورة رقم ١٢)



تمثـــال الملك تهرقا

(انظر صفحة رقم ٢٦٣)

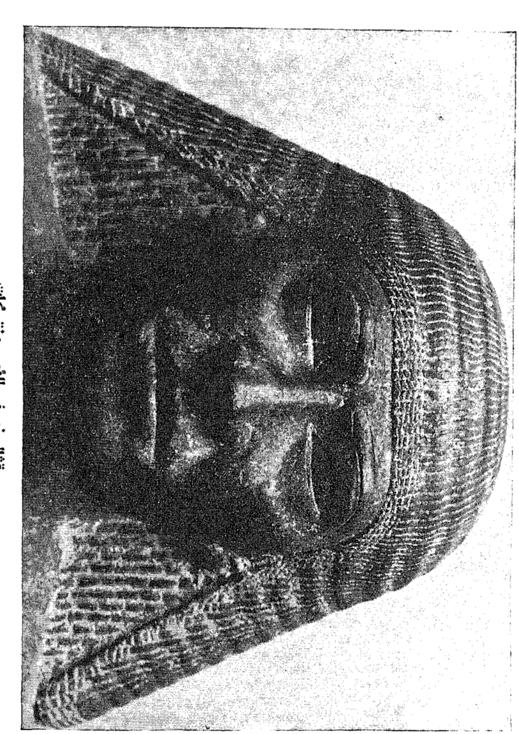
(صورة رقم ١٣)



تمثـال الملك تانوتامون

(انظر صفحة رقم ٢٧٠)

(صورة رقم ١٤)



تمثال نصفى للأمير منتوكات

(انظر صفحة رقم ٢٧٦)

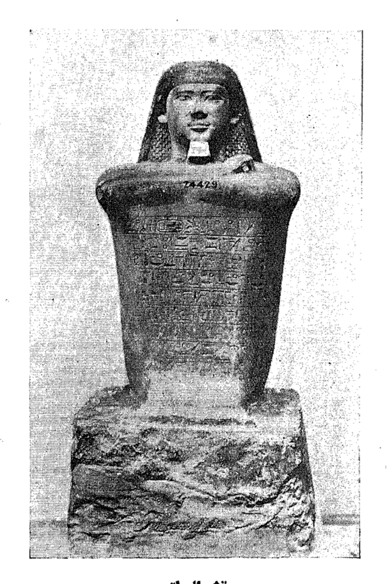
(صورة رقم ١٥)



تمثال نصفى آخر للأمير منتوحات

(انظر صفحة رقم ٣٨١)

(صورة رقم ١٦)



تمثال اتى

ذكر عليه السنة الخامسة عشرة من عهد الملك شبكا

(انظر صفحة رقم ٧٤ ، ورقم ٣٨٩)

فهرس الموضوعات

تاريخ مصر والسودان من أول عهد « بيعنخى » حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ولمحة فى تاريخ آشور

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس

أسماء الأعلام والبلدان والآلهة

حرف (ب)

حرف (ت)

حرف (ث)

حرف (ج)

حرف (ح)

حرف (خ)

حرف (د)

حرف (ذ)

حرف (ر)

حرف (ز)

حرف (س)

حرف (ص)

حرف (ط)

حرف (ع)

حرف (غ)

حرف (ف)

حرف (ق)

خرف (ك)

حرف (ل)

حرف (م)

حرف (ن)

حرف (هـ)

حرف (و)

المصادر الافرنجية

١ — مختصر أهم أسماء الدوريات الافرنجية التي استعملت في الجزءين الخاصين بالسودان :

A.J.S.L. = The American Journal of Semitic Languages and Literatures, Chicago and New York.
Ancient Egypt, London.
A.S. = Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, Caire.
A.S.N. Bull. = Survey Department, Archæological Survery of Nubia, Cairo
A.Z. = Zeitschrift für Ägyptische Sprache und Altertumskunde, Leipzig.
Bull. Boston M,F.A. = Bulletin of the Museum of Fine Arts, Boston
Bull. Inst. Fr. = Bulletin de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, Caire.
Cambridge Ancient History vol. II.
Chronique d'Egypte, Brüssel.
The Egyptian Expedition Metropolitan Museum = The Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, New York.
J.E.A = Journal of Egyptian Archæology, London.
Journal Asiatique.
Kemi, Revue de Philologie et d'Archeologie. Egyptienne et Coptes, Paris.
L.A.A.A. = Annals of Archæology and Anthropology issued by the Institule of Archeology, University of Liverpool, Liverpool.
Mélanges Maspero, *i.e.* Mem. Inst. Fr.
Mem. Inst Fr. = Mémoires publiés par les Membres de l'Institut Français d'Archeologie Orientale, Caire.
Mem. Miss. Fr. = Mémoires publies par les Membres de la Mission Française du Caire,
(Ministre de l'instruction Publique et des Beux Arts).
Mitt. D. Inst. = Mitteilungen des Deutschen Instituts für Agypiischs Altertumskunde in Kairo, Berlin.
O.L.Z. = Orientalische Literaturzeitung Monatsschrift für die Wissenschaft von ganzen Orient, Leipzig.
P.S.B.A. = Proceedings of the Society of Biblical Archæology, London.
Transactions of the Society of Biblical Archeology Vol. III.
Rec. Trav. = Recueil des Travaux Relatifs à la Philologie et à l'Archeologie Egyptiennes et Assyriennes, Paris.
Rev. de l'Egypte Anc. = Revue de l'Egypte Ancienne, Paris.

Revue d'Egyptologie, Pris.
Revue Egyptologique, Paris.
Sphinx, Revue Critique Embrassant la Domaine Entier de l'Egyptologie, Upsala.
Sudan Notes and Records, Khartoum.
Z.D.M.G. = Zeitschrift der Deutschen Morgenladischen Gesellschaft. Leipzig.

٢ – المراجع الافرنجية :

Albright, W. F., The Archæology of Palestine and the Bible.
— , The Excavation of Tell Beit Mirsim, 1 A: The Bronze Age Pottery of the Fourth Campaign, Yale University, 1933.
Anthes, R., Die Felseninschriften von Hatnub, Leipzig, 1928.
Avedief, V., The Origin and Development of Trade and Cultural Relations of Ancient Egypt with Neighbouring Countries (Papers presented by the Soviet Delegation at the 23rd International Congress of Orientalism, 1954),
Bates, O., The Eastern Libyans, London, 1914.
Baumgartel, Elise J., The Culture of Prehistoric Egypt, Oxford, 1927.
Blackman, A. M., The Temple of Derr, Cairo, 1913.
Blankenhorn', M, Aegypten, Heidelberg, 1921.
Bonnet, Reallixikn der Agyptischer Religions geschichte.
Borchardt, L., Altägyptische Festungen an der Zweiten Nilchnelle. Leipzig, 1923.
Boreux, C., Etudes de Nautique Egyptienne. L'art de la Navigation en Egypte jusqu'a la fin de l'Ancien Empire, (Memo. Inst. Fr. 50).
Breasted, J. H., Ancient Records of Egypt. Historical Documents from the Earliest Times to the Persian Conquest, I-IV, Chicago, 1906; V, Chicago, 1909,
British Museum, A Guide to the Egyptian Galleries, Sculptures, etc. 1909.
— Hieroglyphic Texts from Egyptian Stelae, I-VII vols., 1911
Brugsch, H. K., Thesaurus Inscriptionum Aegyætiacarum. Altaegyptische Inschriften gesammelt verglichen, ubertragen, erklart und Autographiert von H. Brugsch Abteilung I-VI, Leipzig, 1883 ff.
Brunner-Traut, E., Der Tanz im Alten Agyten, 1938.
Brunton, G., Mostagedda and the Tasian Cultures (British Museum Exploration to Middle Egypt 1st. 2nd 1nd years 1928, 1929), London, 1931.
— , Qau and Badari III, London 1930.
Brunton C., and Caton-Thompson, G., The Badarian Civilisation and Predynastic Remains near Badari, 1928.
Budge, E. A. W., The Egyptian Sudan, Its History and Monuments in 2 vols. London 1907.
— Book of Kings Vol. II.

Burckhardt. J. L., Travels in Nubia. London, 1819.

Carnarvon, G.E.S.M.A. and Carter, H., Five Explorations at Thebes, A Record of Work done 1907-1911, London, 1912.

Carter. H., and Mace, A.E., The Tomb of Tut Ankh Amun discovered by the late Earl of Carnarvon and Howard Carter 4, London, 1930.

Carter, H., and Newberry, P.E., The Tomb of Thutmosis IV, Westminster, 1904.

Davies, N. De G., The Rock Tombs of Sheikh Said, London, 1901.

— , The Tomb of Huy, Viceroy of Nubia in the Reign of Tut Ankh Amun, London, 1926.

— , Tomb of Ken-Amun at Thebes, 2 vols, New York, 1930.

— , Tomb of Neferhotep at Thebes. 2 vols. New York, 1933.

— , The Tombs of two Officials of Thutmosis the fourth, London, 1923.

— , The Rock Tombs of El Amarna, I—VI, London, 1903-1908.

Davis Th. M. and Maspero, G. u. a., The Tomb of Siptah, the Monkey Tomb and the Gold Tomb, London, 1908.

Drioton, E., and Vandier, G., L'Egypte, Paris, 1938.

Dunbar, G. H. Sarra, The Rock Pictures of Lower Nubia.

Dunham, Dows, The Royal Cemeteries of Kush, El Kurru, Cambridge, 1950.

Emery, W. B., and Kirwan, L.R., The Excavations and Survey between Wadi Es Sebua and Adindan, 1929-1941, Cairo, 1935.

Engberg, S. M. The Hyksos reconsidered, Chicago, 1939.

Erichsen, W., Papyrus Harris I, Brüssel, 1933.

Ermann, A., Aegypten und Aegyptischen Leben im Altertum Neu bearb., von H. Ranke., Tubingen, 1923.

Evans A., The Palace of Minos at Knossos, I-II Vols, London, 1921 ff.

Firth, C. M., The Archæological Survey of Nubia Report for 1908-1915. Cairo. 1915. Report for 1909-1910, Cairo, 1915. Report for 1910-1911, Cairo, 1927.

Firth, C. M. and Quibell, J. E., The Step Pyramid, Cairo, 1936.

Fritzler, K., Steinbrüche und Bergwerke im Ptolemäischen und Römischen Ägypten. Ein Beitrag zur Antiken Wirtschaftsgeschichte Diss.. Leipzig, 1910.

Gardiner, A. H., Egyptian Grammar, Oxford, 1950.

— , Ancient Egyptian Onomastica, Oxford, 1947.

— , The Inscription of Mess, Leipzig, 1905.

— , Late Egyptian Miscellanies.

— , The Admonitions of an Egyptian Sage from a Hieratic, Papyrus in Leiden, Leipzig, 1909.

Garstang, G., Moroe, The City of the Ethiopean, Oxford, 1911.

Gauthier, La Livres des Rois d'Egypte, I-III Vols.

— , Precis de L'Histoire de l'Egypte, Caire, 1932.

— , La Temple d'Amada, Caire, 1926-1926.

— , La Temple de Kalabchah, Caire, 1911-1927.

— , Dictionnaire des Noms Geographiques contenus dans les Textes Hieroglyphiques. Caire, 1925.

Griffith F. Ll., The Oxford Excavations in Nubia.

Helck, H. W., Der Einfluss der Militarfuhrer in der 18 Ägyptischen Dynastie, Leipzig, 1931.

Herodotus Book II.

Hieratische Papyrus aus den Koniglichen Mussen zu Berlin, Leipzig, 1911.

Holscher, W., Libyer und Ägypter, Gluckstadt-Hamburg, New York, 1937.

James x prilchard, Ancient near Eastern texts.

Jaquier, G., Le Monument Funeraire de Pepi II, Caire 1931.

Junker. H., Der Nubische Ursprung der Sogenannten Tell el Jahudiye Vasen, Wien 1921.

— , Das Erste Auftreten der Neger in der Geschichte, Wien, 1925.

— , Bericht über die Grabungen der Akademie der Wissenschaften in Wein auf den Friedhofen von Ermenne (Nubien in Winter 1911-1912, Wien, 1925.

— , Ditto Ditto von Kubanieh Nord in Witer 1910-1911, Wien 1919.

— , Ditto Ditto Ditto von El Kubanieh Süd im Winter 1910-1911, Wien. 1919.

— , Ditto Ditto von Toschke (Nubien) im Winter 1911-1912, Wien, Leipzig, 1926.

— , Giza, Vorbericht. 1913, Wien, 1927.

— , The first Appearance of the Negroes in History.

— **, and Delaporte, L.,** Die Völker des Antiken Orients.. Die Ägypter, von H. Junker, Freiburg, 1933.

Kees, H., Totenglauben und Jenseitsvorstellungen der Alten Ägypter, Grund lagen und Entiwicklung bis zum Ende des Mittleren Reiches, Leipzig 1926.

— , Beiträge zur Altägyptischen Provinzialverwaltung und der Geschichte des Feudalismus, 1932.

— , Herihor und die Aufrichtung des Thebanischen Gottesstaates Gottingen, 1936.

Kees, Kultlegende und Urgeschichte Grundsätzliche Bemerkungen zum Horusmythus von Edfu, 1930.

— , Beiträge zur Geschichte des Vezirats im Alten Reich. Die Chronologie der Vezire unter König Phiops II, Gottingen, 1940.

Knight, F., Nile and Jordan, 1921.

Kortenbeutel, H., Der Ägyptische Süd-und Osthandel in der Politik der Ptolemäer und Romischen Kaiser, Berlin, 1931.

Lange, H. O. and Schafer, H., Grab-und Denksteine des Mittleren Reichs., Berlin 1902–1925.

Lepsius, C. R., Denkmaler aus Aegypten und Aethiopien, Berlin, 1894.

Lieblein, Dictionnaire des Noms Hieroglyphiques en Ordre Genealogique et Alphabitique, Christiania, 1871.

Loat, L., Gurob, London. 1905.

Lucas, A., Ancient Egyptian Materials and Industries 2nd rev. Ed. London. 1934.

Muckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia Vol. II

Macadam, M. F. Laming. The Temple of Kaw, I-IV Vols., London-1949. etc.

Maciver, D. R. and Woolley, C. L., Buhen, 2 Vols., Philadelphia, 1911.

— , Areika, Oxford, 1909.

Macmichael, H. A., A History of the Arabs in the Sudan, 2 Vols., Cambridge. 1922.

Mariette, Catalogue General des Monuments d'Abydos Decoverts pendant les Fouilles de cette Ville, I-II, Paris, 1880.

— , Karnalk Etudes et Atlas.

— , Monuments Divers Recueillis en Egypte et en Nubie. Paris, 1889.

— , Le serapeum de Memphis Paris 1857.

Maspero, Melanges d'Archeologie Egyptien.

Meyer, Ed., Geschichte des Altertums. Stuttgart, Berlin, 1921.

Moller, G., Hieratische Lesestucke für den Akademischen Gebrauch, I-III Leipzig, 1910.

Montet, Byblos et L'Egypte.

— Les. Reliques de L'Art Syrien.

Moret, A., L'Egypte Pharaonique, Paris, 1932.

— Histoire de L'Orient Tom. II.

De Morgan, J., Catalogue de Monuments et Inscriptions de L'Egypte Antique, 1er sér. Haute Egypte, Wien. 1894.

Muller, M. W., Die Felsengräben der Fürsten von Elphantine; 1940.

— Die Liebespoesie der Alten Ägypter, Leipzig 1899.

Murray, M. H , Saqqara Mostabas. London, 1905.

Naville, E., The XIth Dynasty Temple at Dier El-Bahari, I-III Vols London, 1907, 1910, 1913.

— Bubastis (1887–1889), London, 1891.

Newberry, P.E., The Set Rebellion of the IInd Dynasty, 1922.
— Egyptian Antiquities, Scarabs, London, 1906.
Otto, H., Studien zur Keramik der Mittleren Bronzezeit in Palastine, 1938
Peet, T. E., and Loat, W. S. L., The Cemeteries of Abydos, I-III Vols.
Pendlebury, J. D. S. Aegyptiaca, a Catalogue of Egyptian Objects in the Aegean Area, Cambridge, 1930.
Petrie, W. M. Fl., Prehistoric Egypt, London 1920.
Petrie, W.M. Fl., Six Temples at Thebes, 186, London, 1897.
— Diospolis Parva, the Cemeteries of Abadiyeh and Hu, 1898-99 London, 1901.
— Gizeh and Rifeh, London, 1907.
— A Season in Egypt, 1887, London, 1888.
— A History of Egypt, London, 1894.
— Royal Tombs of the 1st Dynasty, London, 1901.
— Royal Tombs of the Earliest Dynasties, London, 1901.
— Qurnah, London, 1901.
Petrie. W. M. Fe., and Duncan, J. G., Hyksos and Israelite Cities London, 1906.
Piehl, K., Inscriptions Hieroglyphique recueillies en Europe et en Egypte Stockholm, 1884.
Pirenne, J., Histoire des Institutions et du Droit privé de l'Ancienne Egypte, Brussel, 1932-1935.
Plyte, W., and Rossi, F., Payprus de Turin, Leiden, 1869-76.
Porter and Moss. Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Inscriptions, Texts, Reliefs, and Paintings, I-V Vols, Oxford, 1921-1937.
Posner G., Princes et Pays d'Asie et de Nubie, Brussel, 1940.
Quibell, J. E. and Green, F. W., Hierakonpolis, London, 1902.
Reisner, G. A, Excavations at Kerma, I-III, IV-V, U.S.A., 1923.
— The Archæological Survey of Nubia, Report for 1927. 1908 Cairo, 1910.
Roeder, G., Der Felsentempel von Bet El-Wali, Cairo. 1938.
— Debod bis Bab-Kalabsche, I-II, Caire, 1911.
— Der Tempel von Dakke, I-III Cairo, 1930.
Rowe, A., Catalogue of Egyptian Scarabs in the Palestine Arch. Museum,
Save-Soderbergh, Torgny, Egypten und Nubien, 1941.
Schafer, H., Urkenden der Alten Athiopenkonig, Leipzig, 1905.
— Kriegerauswanderungen unter Psammatik und Slöderaufstand unter Apries, Leipzig, 1904.
J. Simons, Egyptian Topographical Lists relating to Western Asia.
Sjoqvist, E, Problems of the late Cypriote Bronze Age, Stockholm, 1940.
Seligman C. G., Egypt and Negro Africa, London, 1934.

— Die Achtung Feindlicher Fursten Volker und Dinge auf Altägyptischen Tongefasscherben des Mittleren Reiches, Berlin, 1926.

— Die Altägyptischen Pyramidentexte, nach den Papierabdrucken und Photographique des Berliner Museums, Leipzig. 1998 ff.

— Die Bau-und Denkmalsteine der alten Agypter und ihre Namen 1933.

— Urgeschichte und alteste Religion der Agypten, Leipzig, 1930

— Aegyptische Lesestucke zum Gebrauch im Akademischen Unterricht Texte des Mittleren Reiches, Leipzig, 1921.

— Urkunden des alten Reichs, Leipzig, 1932 ff.

Steindorff, G., Aniba. Vorlaufiger Bericht uber die Ergebnisse der in den Jahren 1912-1914 und 1930-1931 I-II Vols. 1935. 1937.

Stock, Studien zur Geschichte und Archeologie der 13 bis 17 Dynasite Agypten, 1942.

Wainwright, G. A., Balabish, London, 1920.

Weigall. A. F. P., A Report on the Antiquities of Lower Nubia, Oxford 1907.

Weill, R., Les Décrets Royaux de l'Ancien Empire Egyptien, Paris, 1912.

— La Fin du Moyen Empire Egyptiene., Paris, 1918.

Wiedmann, A., Aegyptische Geschichte, Goth. 1884.

— and **Portner,** Aegyptische Grabsteine. und Denksteine aus Verscheidenen Sammlungen.

Wilkinson, J. G., Manners and Customs of the Ancient Egyptian. 3 Vols. London 1837.

Williams, C. R., Gold and Silver Jewelry and Related Objects, New York, 1923.

Winlock H. E., The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes New York, 1947.

Wolf, W., Die Kultische Rolle des Zwerges in Alten Agypten (Anthropos 33)

Wreszinski, W., Atlas zur Altaegytischen Kulturgeschichte, 2 Bande Leipzig, 1914. etc.

كتب للمؤلف

بالعربية :

(١) **مصر القديمة :** الجزء الأول فى عصر ما قبل التاريخ الى نهاية العهد الاهناسى .
(٢) **مصر القديمة :** الجزء الثانى فى مدنية مصر وثقافتها فى الدولة القديمة والعهد الاهناسى .
(٣) **مصر القديمة :** الجزء الثالث فى العصر الذهبى فى تاريخ الدولة الوسطى ومدنيتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الأسيوية ولوبيا .
(٤) **مصر القديمة :** الجزء الرابع فى عهد الهكسوس وتأسيس الامبراطورية .
(٥) **مصر القديمة :** الجزء الخامس فى السيادة العالمية والتوحيد ويبحث فى علاقات مصر مع ممالك آسيا وسيادة مصر عليها وأول عقيدة للتوحيد بالله .
(٦) **مصر القديمة :** الجزء السادس فى عصر رعمسيس الثانى وقيام الامبراطورية الثانية .
(٧) **مصر القديمة :** الجزء السابع فى عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث .
(٨) **مصر القديمة :** الجزء الثامن فى نهاية عصر الرعامسة وقيام دولة الكهنة الحديثة فى طيبة (الأسرة الواحدة والعشرين) .
(٩) **مصر القديمة :** الجزء التاسع فى نهاية الأسرة الواحدة والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الكوشى ولمحة فى تاريخ العبرانيين .
(١٠) **مصر القديمة :** الجزء العاشر فى تاريخ بلاد النوبة الى أول عصر «بيعنخى»
(١١) **مصر القديمة :** الجزء الحادى عشر تاريخ مصر والسودان المقارن من أول عهد بيعنخى الى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين ولمحة فى تاريخ آشور .
(١٢) **جغرافية مصر القديمة :** (مجلد بإحدى وأربعين خريطة) .
(١٣) **الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة :** الجزء الأول فى القصص والحكم والتأملات والرسائل .
(١٤) **الأدب المصرى القديم أو أدب الفراعنة :** الجزء الثانى فى الدراما والشعر وفنونه .
(١٥) **تاريخ مصر من الفتح العثمانى** الى قبيل الوقت الحاضر بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .
(١٦) **تاريخ أوروبا الحديثة وحضارتها : (جزءان)** بالاشتراك مع عمر الاسكندرى .
(١٧) **صفوة تاريخ مصر والدول العربية :** (جزءان) بالاشتراك مع عمر الاسكندرى والشيخ أحمد الاسكندرى .

(١٨) **تاريخ دولة المماليك فى مصر** : (تعريب) بالاشتراك مع محمود عابدين .
(١٩) **ديانة قدماء المصريين** : (تعريب) .
(٢٠) **صفحة من تاريخ محمد على** : (تعريب) بالاشتراك مع طه السباعى .

بالفرنسية :

(1) "Hymnes Relihieux du Moyen Empire" : 199 pages (1923, Cairo).
(2) "Le Poeme dit de Pentaour et le Rapport Officiel sur la bataille de Qadesh". 162 plates. Université Egyptienne, Faculté des Lettres, (1929, Caire),
(3) Le Sphinx à la lumière des fouilles récentes.

بالانجليزية :

(1) "Excavations at Giza", Vol. I, (1929-1930); 119 pages, 81 Plates. 187 Illustrations in the text, Plan (Oxford, 1932).
(2) "Excavations at Giza" Vol II, (1930-1931); 225 pages, 83 Plates 251 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo. 1936).
(3) "Excavations at Giza", Vol. III, (1931-1932); 229 pages, 71 Plates 227 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo, 1941).
(4) "Excavations at Giza", Vol. IV, (1932-1933); 218 pages, 62 Plates, 159 illustrations in the text, 3 plans (Fourth Pyramid (Cairo 1943).
(5) "Excavations at Giza", Vol. V, (1933-1934); 325 pages, 79 Plates, (3 coloured), 169 Illustrations in the text, 2 Plans (Cairo, 1944).
(6) "Excavations at Giza", Vol- VI, Part I, "The Solar Boats : (1934-1935) (Cairo, 1947).
(7) "Excavations at Giza", Vol. VI, Part II. The "Offering-list in the Old Kingdom", 504 pages, 174 Plates, and numerous Illustrations in the text (Cairo, 1948).
(8) "Excavations at Giza", Vol- VI. Part III, a Description of the Mastabas and their Contens (1934-1935).
(9) "Excavations at Giza", Vol. VII, (1935-1916).
(10) "Excavations at Giza", Vol. VIII, "The Great Sphinx and its Secrets" (1916-1917). (Cairo. 1954).
(11) The Sphinx, Its history in the light of Recent Excavations.
(12) Excavations at Giza Vol IX (in print)
(13) Excavations at Giza Vol X (in print)
(14) Excavations at Saqqara I (in print)
(15) Excavations at Saqqara II (in print)
(16) Excavations at Eaqqara III (in print).

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة جامعة القاهرة
فى ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٧٥ الموافق
٢٩ من يناير سنة ١٩٥٦
مدير المطبعة
محمد زكى خليل

مطبعة جامعة القاهرة
١٥٠٠/١٩٥٤/٢٤٤


Bibliotheca Alexandrina
0464344